شؤون فلسطينية

١٠

حزيران (يونيو) ١٩٧٢

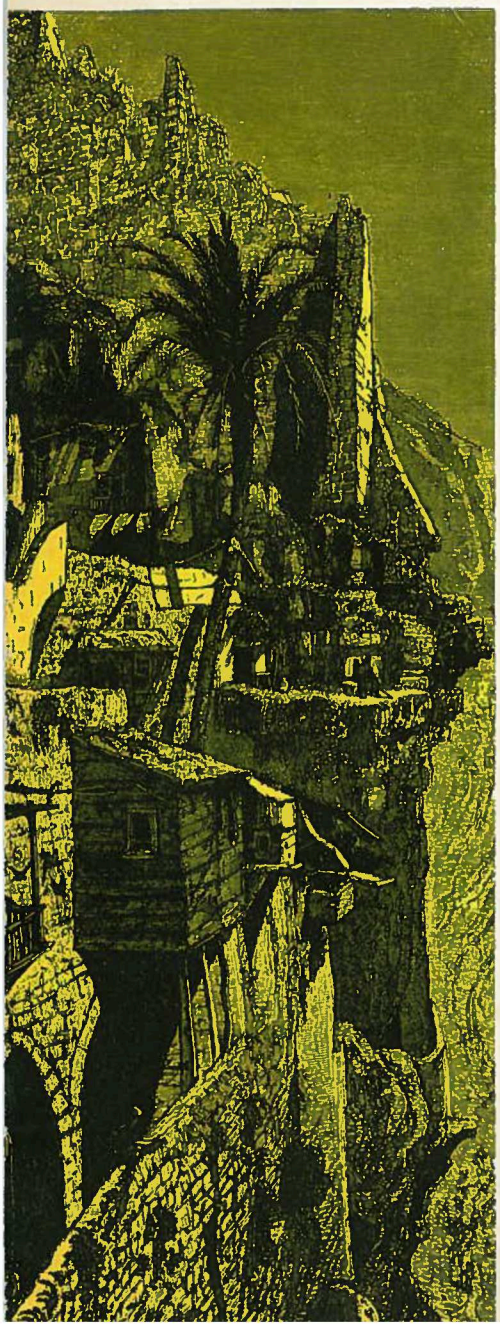

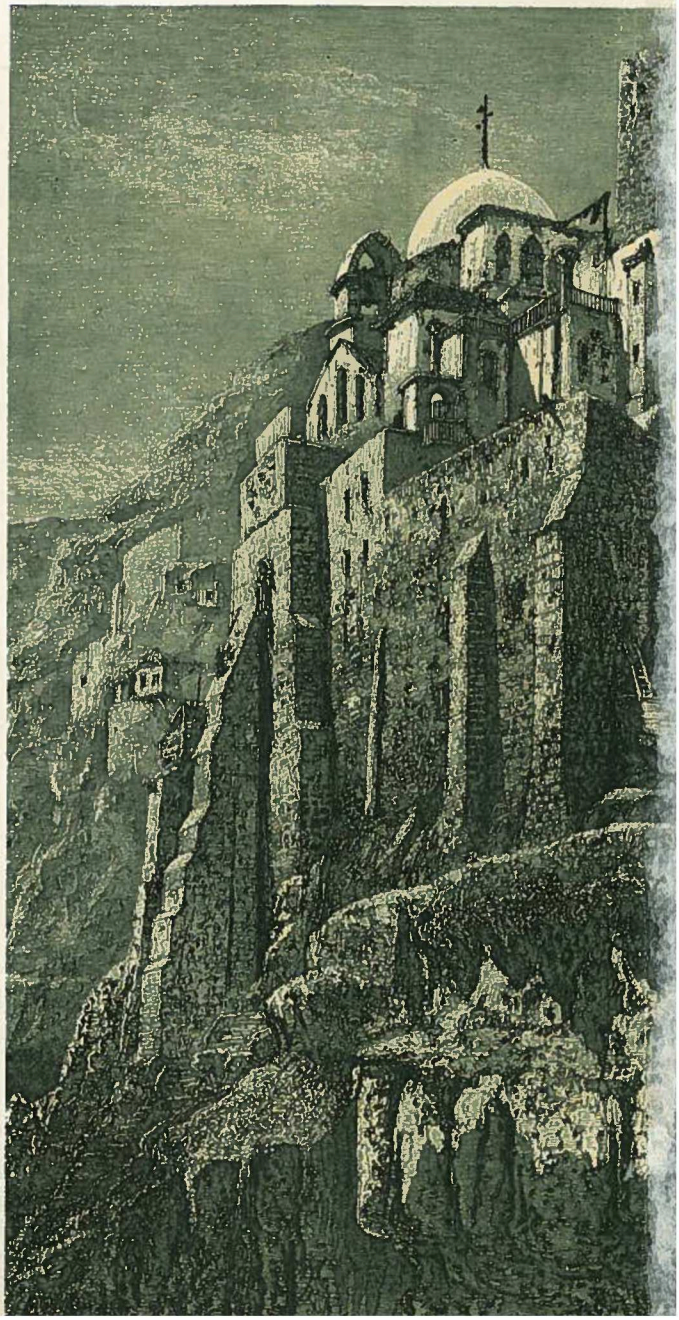

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٠ — حزيران (يونيو) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير الادارة** : جبريل ديب .

هيئة التحرير : د. ابراهيم ابو لغد ، بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات أو الاتحادات .

صورتا الغلاف : دير مار سابا بين القدس واريحا

المحتويات

صفحة ٤ — **شؤون فلسطينية** ، د. انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٥ — **معالم المشاركة العربية في الثورة الفلسطينية** ، د. كلوفيس مقصود [الكاتب التقدمي العربي ، مستشار جريدة الاهرام] .

٣٢ — **ناحوم غولدمان : الوسيط تحت الطلب** ، د. اسعد رزوق [الباحث في الشؤون الاسرائيلية — م. أ. في م. ت. ف.] .

٤٥ — **من جذور مشروع الملك حسين : مشروع جامعة نيويورك لانشاء « كومنولث فلسطيني »** ، أحمد بهاء الدين [الكاتب التقدمي العربي ، رئيس اتحاد الصحافيين العرب] .

٥١ — **الهجرة الى اسرائيل : مشاكلها وكيفية التصدي لها** ، عبدالحفيظ محارب [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.].

٦٩ — **مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط : تقديم . تساؤلات . تحفظات أولية** ، أحمد خليفة [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٧٨ — **حزيران والشعر والثورة** ، فوزي كريم [شاعر وناقد عراقي] .

٩٠ — **نماذج من الادب الاسرائيلي المعاصر بعد حرب ١٩٦٧** ، رشاد الشامي [معيد بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس] .

١٠٨ — **الاعلام الصهيوني في مواجهة تحدي المقاومة** ، غيث نجيب الارمنازي [كاتب عربي سوري] .

١٢٢ **الجيش الاردني في حرب ١٩٦٧** ، ف. المنصور [باحث في الاعلام الاسرائيلي في م. أ.] .

١٤٠ **تقريران عن الاوضاع في الضفة الغربية المحتلة في السنتين الاوليين للاحتلال** ، مراسلة خاصة في الارض المحتلة .

١٦٠ **كتب أجنبية حول معركة الخامس من حزيران ١٩٦٧** ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

١٨٤ **حرب حزيران بين كتابين** ، المقدم الهيثم الايوبي [الكاتب العربي العسكري] .

١٩٩ **السينما والقضية الفلسطينية** ، ندوة ادارها وحررها هاني حوراني [فنان وناقد أردني] .

٢٢٩ **تقارير** : زيارة نيكسون لموسكو [اعداد مركز التخطيط في م. ت. ف.] . علاقات رومانيه مع اسرائيل : خلفيتها وابعادها ، شحادة موسى [باحث في قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني [اعداد قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط] .

٢٥١ **رسالة من موفد خاص الى الارض المحتلة** ، ا. ت.

٢٥٦ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، ص. ج. ع. (٤) السياسة الاسرائيلية ، أ. خ. و م. د. (٥) المناطق المحتلة ، ع. م.

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

تهتم « شؤون فلسطينية » بحزيران اهتمام الامة العربية به : شهر الذكرى المؤلمة الذي سيظل ، والى ان تذوي ذكراه امام اول انتصار عربي ساحق ، حريا بالدرس وبالتأمل. ولكن ان كنا ننقب في حزيران ١٩٧٢ عما حصل وعما لم يحصل في حزيران ١٩٦٧ فاننا لا نفعل ذلك تعبيرا عن عطش اكاديمي للمعرفة ولا سعيا وراء حقائق جديدة نثري بها كتب التاريخ المعاصر . اذ اهم من التأريخ الصادق (على جلال هـذا المسعى النبيـل) ان ندرس حزيران كمصدر للعبرة ، كحدث فعال فينا (شعبا فلسطينيا وامة عربية) وفي عدونا المنتصر (داخل الارض المحتلة وخارجها) . ومهما كتب في هذا الشهر ، وقد كتب فيه الكثير في السنوات الخمس الماضية ، تظل امامنا قائمة طويلة من المواضيع المتعلقة به التي تدعو الى المزيد من الدرس . من هنـا خصصت « شؤون فلسطينية » مئـة وعشرين صفحة من عددها العاشر هذا لتناول بعض المسائـل الحزيرانية التي يجدر بالمثقف العربي ان يقف عندها قليلا : اولها ، كيف تناول الاديب ، العربي والاسرائيلي ، موضوع حزيران. وقد كان بودنا ان نكتب ايضا عن اثر الحدث نفسه في المفكر العربي. لكن باحث هذا الموضوع منعه مرضه من انجاز دراسته في الموعد المحدد (والمرض ، واحيانا التمارض ، خصم تقليدي لتقديرات اي رئيس للتحرير ولترتيباته ولمخططاته ، خاصة انه لا يهجم الا في اللحظة الاخيرة) . وثانيهـا ، مراجعات عدد منتخب مـن المعالجات الحزيرانيـة ــ وقد اكتفينا بما صـدر من كتب اجنبية في مـدى سنة من العدوان ، وبكتابين عربيين فقط صدرا منذ العدوان . وقد استعضنا بهذين المقالين عن باب « المراجعات » المعهود لهذا العدد . وثالثها ، التطورات التي حصلت على المجابهة الاسرائيلية للاعلام العربي بعد حزيران وبسببه. ورابعها، تحر لاوضاع العرب في الارض التي احتلها العدو في العدوان . وخامسها ، دراسة لدور جيش واحـد من الجيوش العربية التي هزمها العدو ، وان كنا نكتب في هذا الموضوع الخطـير والحرج والمؤلم فلاننا نعتبر الجيوش العربية جيوشنا ونعتبر جنودها ابناءنا ولاننا نريدهـم ان يكونوا ابطال العودة والتحرير ، والسند الاكبر والاقوى للثورة الفلسطينية ، ولا نريدهم ان يظلوا ، كما يريد سياسيوهم ومسؤولوهم المنتفعون من الهزيمة والمعتادون عليها ، طاقة مقيدة وقدرة معطلة . اننا اذ نتكلم عن جيش عربي ما فانما نتكلم بالامل وبالحب وبالايمان ، وبالثقة الكاملة به : مؤسسة لا بد ان تقف على قدميها وتنطلق نحو النصر.

معالم المشاركة العربية في الثورة الفلسطينية

الدكتور كلوفيس مقصود

لم تكن الثورة الفلسطينية في تاريخها المعاصر ثورة فلسطينية منفصلة عن ارتباطها القومي بالساحة العربية بل كانت في الواقع ثورة عربية بين الفلسطينيين في فلسطين . لا يزال هذا الواقع الموضوعي يتحكم بمسيرة الثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة الى حد بعيد . اصيب هذا الترابط الموضوعي بين الثورة الفلسطينية وواقعها العربي بصدمة عنيفة اثر هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ . كانت الهزيمة بالنسبة للشعب الفلسطيني اكثر من مجرد هزيمة للعرب في معركة رئيسية مع اسرائيل ، وكانت اكثر من مجرد هزيمة ناجمة عن فقدان التصور الاستراتيجي والفكر الاستراتيجي لدى القيادات العربية العسكرية ، وكانت اكثر من مجرد بروز النتائج السلبية لتسيس الجيوش العربية وبالتالي لعدم قدرتها على الممارسات السياسية الواضحة بينما فشلت في مواصلة دراسة الفنون العسكرية الحديثة . لقد كانت هزيمة الخامس من حزيران بالنسبة للفلسطينيين هزيمة المؤسسات القومية والتقدمية التي ارتبطوا باطاراتها وحركيتها الجماهيرية ارتباطا ثوريا وفكريا ومصيريا . هذا الفهم الفلسطيني للهزيمة عنى ، فيما عنى ، ان الثورة العربية في فلسطين وبين الفلسطينيين ، فقدت مبرراتها الجهازية ، والى حد كبير مبرراتها النظرية والسلوكية . كان من جراء ذلك حدوث ارتداد الى الدعوة لتركيز فلسطينية الثورة ، اي جعلها بمنأى عن تحكم العلاقات والروابط العربية . كان هذا الارتداد في الواقع حكما فلسطينيا على الحركات القومية . اي على الحركات الثورية ذات الامتداد القومي ، ذلك لان الطلائع الفلسطينية كانت ، خاصة بعد قيام اسرائيل ، في حالة تمرد وثورة مستمرة لكن هذه الثورة لم تتخذ طابعا فلسطينيا محضا او غالبا . لقد كان التعبير عن الارادة الفلسطينية الثورية يتجلى في المشاركة العضوية الحميمة في كل الصياغات التنظيمية والحزبية والحركية الجماهيرية التي كانت تفرزها الساحة العربية . من هنا كان القطاع الفلسطيني في حزب البعث وفي حركة القوميين العرب وفي الحركة الجماهيرية التي تزعمها وعبر عنها الرئيس جمال عبدالناصر ، كانت كلها مؤشرات الى قناعة اساسية لدى الشعب الفلسطيني بأن لا سبيل للتحرير الا الوحدة ، وبأن الوحدة لا تتحقق الا ببرامج تستهدف تحولات جذرية في التركيب الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات العربية . لهذا فقد كان استعداد الشعب الفلسطيني وطلائعه المتمردة او الثورية لتذويب الشخصية الفلسطينية في الصياغات القومية والتنظيمات القومية ، يعود الى اقتناع الفلسطينيين بمعادلة نظرية صحيحة ، كانت صحيحة ولا تزال كذلك ، تقول بأن عملية التحرير الشامل لا يمكن ان تتحقق الا من خلال الوحدة العربية او من خلال الصيغة التنظيمية للوحدة، وبأن اية خطوة وحدوية في الساحة العربية انما هي اقتراب من موعد التحرير . لم يكن لدى الفلسطينيين اي رغبة او امل في التوصل الى السلطة او في ممارسة سلطة مباشرة من وراء انضمامهم ومشاركتهم في الاحزاب القومية او في الحركات الجماهيرية العفوية ، لكن المستمرة ، كالحركة الناصرية مما ميز الانتساب الفلسطيني لهذه الاحزاب والحركات وجعله متقدما

عن الانتسابات الاخرى لها . لانه وان كانت هناك شرعية في التوجه للاستيلاء على السلطة من قبل المنتسب الى حزب معين، الا ان الفلسطينيين كانوا يعتبرون ان السلطة التي يريدون هي استمرارية الثورة واستمرارية الالتزام باهدافها. لقد كان الفلسطينيون صلة الوصل بين الاحزاب والحركات العربية الثورية وبين اهدافها البعيدة المدى بينما اثبتت تجارب السنوات العشر الماضية بأن وصول حزب قطري الى الحكم اجهض ، في كثير من الاحيان ، مواصلة التزامه بالثورة القومية الشاملة . لم تكن الفوارق بين الفلسطينيين وبين غيرهم من العرب المنتسبين او المشاركين في الاحزاب والحركات الثورية واضحة في البداية لان حملات التعبئة السياسية كانت تشدد على التذويب والانصهار . الا ان الاقتراب من السلطة ومن ثم ممارستها اوجد التمايز بين الفلسطينيين وسواهم مما جعل العلاقة بين الفريقين متوترة . لقد بقي الفلسطينيون متمسكين بتقييمهم السابق لدور الاحزاب والحركات الثورية وبأن استلام السلطة وممارستها انما هو تعجيل لعملية الوحدة والتحرير وليس عملية معطلة لاستمرارية مسيرة التحرير . وهذا ادى بالفلسطينيين الملتزمين بهذه الحركات والاحزاب ، التي استلمت السلطة وقامت ، في بعض الاماكن والمراحل ، بممارسات قمعية او ارهابية او سلبية تتعارض مع القيم والمفاهيم المذهبية والثورية ، ادى ذلك بالفلسطينيين الى تبرير هذه التعبيرات السلبية اقتناعا منهم بأن هذه الممارسات هي في سبيل تأكيد السلطة وترسيخها خاصة وان السلطة هي ، في النهاية ، القوة المادية القادرة على متابعة ومواصلة الالتزامات العقائدية والمذهبية من اجل التحرير .

الارتداد عن الذوبان

كان الخامس من حزيران فاصلا اساسيا بين حقبتين . فالذوبان السابق للشعب الفلسطيني وللطلائع الثورية الفلسطينية في العمل القومي بمستوييه التنظيمي والحركي، كان ذوبانا بمعنى القناعة الوحدوية لكنه لم يكن الغاء لخصوصيات الهدف الفلسطيني الا من حيث ان هذه الخصوصية لن تتحقق الا من خلال الوحدة العربية العضوية . كانت الهزيمة ، كما قلنا ، هزيمة للصياغات التنظيمية وللمؤسسات النظامية التي لم تفشل فقط في ساحة المعركة بل وفشلت في اثبات جدوى هذه المعادلات التنظيمية . وهكذا مر الشعب الفلسطيني ، باستثناءات محددة ، بحالة من الارتداد عن الذوبان القومي لان الذوبان ادى الى تعميق اليأس من جدوى العمل القومي فتوجهت القيادات الفلسطينية الى المنطق الاقليمي المتمرد الذي يؤكد الاقليمية بمقدار ما اكدت هذه القيادات منطق الذوبان في السابق . لقد كان هذا الارتداد الى الاقليمية ظاهرة تمرد اكثر مما كان انسلاخا عن الواقع القومي ، كان تعبيرا عن ادانة للمؤسسة العربية الواحدة اكثر مما كان ادانة للصيغة النظرية التي يرتكز عليها العمل القومي في سبيل التحرير ، وكان اداتة لمظاهر القسر والارهاب التي لازمت ممارسات السلطة في الاقطار العربية وخاصة تلك التي سميت اقطارا تقدمية . وهكذا ، وبينما برر الفلسطينيون في السابق القسر والارهاب والقمع باعتبارها ادوات لتأكيد السلطة اداة التحرير ، اخذوا بعد الهزيمة يؤكدون على اهمية الديمقراطية من حيث دراسة البدائل المطروحة وجعل السلطة قادرة على استيعابها واختيار الافضل من بينها على ان يكون المعيار في ذلك، الالتزام الثوري. ان الديمقراطية في هذا المضمار تعني ان الثورة لا يمكن أن تتحقق وخاصة بالنسبة للتحديات التي تمثلها اسرائيل ، الا عبر مشاركة عملية في النفاذ الى كافة التعقيدات التي يطرحها التحدي الذي يواجهنا . ان العقل العلمي الثوري المتوجه لحل هذه التعقيدات مطالب بأن يتعرض لمختلف الاجتهادات والاحتمالات . وتنتفي الديمقراطية حين يتردد المجتهدون او اصحاب الرأي في الادلاء بآرائهم لادراكهم بأن هذا الاجتهاد او الرأي يخالف مفهوم السلطة او قناعتها او ارادتها . وبنتيجة ذلك يخرج قرار السلطة او قرار الحزب

الحاكم نتيجة ممارسة هذا الارهاب الذي لا يسمح بالاجتهاد او بالتهديد بالارهاب مستثنيا قدرة المجتمع والسلطة والاجهزة على ان تكون مسلحة بالاحتمالات المختلفة السلبية والايجابية التي تترتب على اتخاذ قرار ما . وهذا ما جرى بالفعل بالنسبة لكثير من القرارات العربية السابقة لهزيمة حزيران والتي لم تنطو على كل الاحتمالات والبدائل والمعلومات المتوفرة بالنظر الى تغييب هذه المعلومات عن السلطة قصدا لان السلطات القيادية المقررة كانت تثبط اية محاولة لطرح هذه المعلومات والنظريات . لقد كانت القرارات منقوصة لان المشاركة في صياغتها كانت ناقصة ايضا .

هذا النفاذ الفلسطيني الى مسألة غياب الديمقراطية الحقيقية والى سيادة مناخ الارهاب الفكري والسياسي على الحكم العربي بقطاعيه المحافظ الرجعي والتقدمي الوطني ، جعل الفلسطينيين يدركون ان المعادلة النظرية السابقة القائلة بضرورة التنظيم على المستوى القومي كانت تعاني من فقدان الاصرار على الديمقراطية الحقيقية مما افقد هذه النظرية فعاليتها وقوتها . ان القوة الحقيقية للسلطة ليست فيما تنطوي عليه من قدرة على ممارسة القهر ، بل بمقدار ما تنطوي عليه من معرفة . ان السلطة الثورية هي سلطة المعرفة الدقيقة . وهكذا يمكننا القول بأن عدم التوجه للالتزام بالديمقراطية الثورية في العمل القومي السابق كان من السلبيات الرئيسية التي ادت الى الهزيمة . والا فكيف نفسر ظاهرة ارتباك او انهيار المجتمعات القومية التي تبدو متماسكة امام الازمات الحادة ؟ وكيف نفسر المعادلة التي كانت تقوم على ان الظهور بمظهر القوة وشمول السلطة يجب ان ينفي وجود اية مشاكل اساسية في المجتمع لكنه ما ان يصطدم بأزمة حادة حتى تبدأ مؤسساته في الانهيار ؟ وبالمقابل ، وحيث تتوفر المناهج الديمقراطية الفعلية نجد المشاكل والأزمات تطفو على سطح المجتمع انطلاقا من القناعة باهمية المشاركة الجماهيرية في التصدي للازمات، فالمجتمع قوي بمقدار ما يطرح مشاكله للبحث علانية وضعيف بمقدار ما يخفيها . المجتمع قوي بمقدار ما يوحي بادراك الصعوبات التي تقف امام آماله ، وضعيف بمقدار ما يعتقد أن ترديد الاماني هو تعويض عن معالجة المشاكل. لذلك فان الثورات العربية ، وفق هذا المعيار الاكبر للثورية ، هي انتفاضات متقطعة اكثر مما هي ثورات متواصلة رغم اهمية التحولات الاساسية والانجازات الهامة التي حققتها في مجتمعاتها ، لكن تسميتها بالثورات كان اكبر من انجازها . وعندما تصبح التسمية اكبر من الانجاز تتولد لدى الجماهير الامال المغلوطة. وحين لا تتحقق هذه الامال او اكثرها ، ترتد الجماهير عن التزاماتها وتصاب بالشلل . فالجماهير ، بحسها الثوري الاصيل ، تكون اكثر ثقة بقياداتها اذا كانت قياداتها اكثر ثقة بها . اما الذي كان في الساحة العربية فغير ذلك . لقد كان وهج العلاقة بين القيادات والجماهير اشد من الثقة بينهما ، والوهج يولد فورات اكثر انتشارا وقدرة على انبهار الجماهير ، بينما تتطلب الثقة مؤسسات للمحاسبة المستمرة . لم يكن هناك مؤسسات جادة للمحاسبة حتى لدى اكثر القيادات ارتباطا بقضايا الجماهير .

وهكذا ، واذا كان للردة الاقليمية عند الشعب الفلسطيني وجه سلبي ، الا انها كانت ردة مرحلية انطوت ، ولو بشكل غير مقصود ، على الابتعاد عن عدم احترام الديمقراطية والاصرار على ضرورة تامين المشاركة المتواصلة . من هنا ، ورغم انتقادنا المرير ، لكن المتفهم ، للنزعة الاقليمية التي نشأت في الفترة ما بين ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ، يمكن ان ندرك بعض الفوائد الايجابية لهذه النزعة من حيث انها ادركت حاجتها لا لتعزيز قوتها الذاتية فحسب بل ولتقوية مؤسساتها الخاصة التي اتسمت بنزعة ملحة لاحترام الموضوعية العلمية واحترام التفاصيل ودراسة كل البدائل قبل الوصول الى قرار ما . كان هذا التوجه لتعزيز مراكز الابحاث والتخطيط والدراسات من قبل الطلائع الفلسطينية المثقفة والملتزمة ، بمثابة تصحيح لما افتقدته الاحزاب القومية الثورية والحركات القومية

الجماهيرية من معلومات . ان الاندفاعات الجديدة بعد ١٩٦٧ لمركز الابحاث الفلسطينية ولمؤسسة الدراسات ومركز التخطيط كان من شأنهـا تقوية البنيـة الهيكلية للشعب الفلسطيني التي تؤهله ، من خلال التثقيف الموضوعي المتواصل ، للتوجـه نحو نزع الصفة الدغمائية ، اي صفة التزمت المذهبي ، ونزع الصفة الديماغوجية كذلك ، والتي تجهز الشعب الفلسطيني ، بمختلف قطاعاته وتنظيماته ، بمناعة المعرفة بحيث يتمكن من امتصاص الازمات الحادة ومن تخفيف وطأة هذه الازمات . هذا الاحترام للمعرفة ، هذا الاصرار الفلسطيني على استيعاب كافة اوجه التعقيد في القضية الفلسطينية وعـلى الاتصال المثابر بالصعوبات والتوجه ، بدون عقد ، نحو معرفة مصادر القوة الاسرائيلية بالاضافة الى اوجه الضعف في المجتمع الاسرائيلي ، كل هذا يشير الى ما ينطوي عليه الواقع الفلسطيني من احتمالات النضج الثوري . ان الثورية غير الناضجة تركز عـلى استغلال مكامن الضعف لدى العدو ، بينما يركز النضج الثوري على امتـلاك معرفة عناصر القوة عند العدو . لكن امتلاك المعرفة وحده لا يكفي ، الا اذا كانت القيادة ، التي يفترض ان تكون المستفيدة من هذه المعلومات ، قادرة على تقييمها التقييم الصحيح .

معركة الكرامة وعودة نسيج العلاقة العربية

جاءت الاقليمية الفلسطينية ترد على هزيمة العرب في ٥ حزيران لتؤكد بانها تأبى الوصاية العربية ليس بالمعنى الاستعلائي لكلمة وصاية بل من حيث بعض مظاهر السلوك العربي تجاه الفلسطينيين وقضيتهم . لكن هذا التعبـير عن الاقليمية كاد يتحول الـى عملية انسلاخ لولا معركة الكرامة وما ادت اليه من تأجيج الجماهير العربية باسرها مما أوضح للمقاومة ان حصر علاقاتها السابقة مع الانظمة ومع الاحزاب في بعض الانظمة ورضوخها السابق لعملية اقصاء الجماهير عن المشاركات الفعلية ؛ ان ذلك ادى الى تعطيل دور الجماهير وتحويلها الى قوة غير مستفاد منها بالمقدار المطلوب . لكن الجماهير العربية التي اندفعت عشية معركة الكرامة متعاطفة مع المقاومة الى حد كادت تغرقها بتعاطفها، لم تنتظم في علاقة سليمة مع المقاومة . ان الجماهير العـربية التي صدمتها هزيمـة الخامس من حزيران والتي واجهت انظمتها المهزومة بالعجز عن القيام بأية عملية تغيير أو تصحيح ، توجهت الى المقاومة الفلسطينية لا لتتعاطف معها فحسب ، بل لتستبدل ، وهي مدفوعة في ذلك بحسها التاريخي ، ولاءها الثوري السابـق للرئيس عبد الناصر والاحزاب الثورية التقدمية ، بولاء مشترك للناصريـة والاحزاب الثوريـة والمقاومة الفلسطينية ، بل واكثر من ذلك فقد مالت الجماهـير في بعض الاحيـان لترجيح ولائها للمقاومة على علاقاتهـا بقياداتها التقليديـة . وهكذا ارتبطت الجمـاهير بالمقاومـة الفلسطينية كقيادة سياسية معنوية لها ولكنها ابقت على بعض ولاءاتها للقيادات القومية الملهمة التي كان عبد الناصر ابرزها والى حد اقل للاحزاب المسماة تقدمية . لعل تلك كانت المرة الاولى منذ قيام دولة اسرائيل ، التي تصبح فيهـا الجماهـير موالية لقيادة تمردت على الهزيمة واستمرت في المقاومة ، وابقت في الوقت ذاته على علاقاتها بالانظمة التي كان فشلها في حزيران ١٩٦٧ سببا في انضاج عملية التمرد عند الشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية ، اي ان الجماهير العربية فرضت شركة بين المقاومة المستحوذة على وجدانها وبين الانظمة العربيـة المستحوذة عـلى مصالحها الآنيـة . ولعله من المفارقات المؤلمة ان هذا الولاء الوجداني للمقاومة ابعـد الى حد كبير قـدرة الجماهير العربية على ادانة ومعاقبة الانظمة العربية التي افشلتها في مواجهتها للعدو الصهيوني. وهكذا استبدلت الجماهير ، بما تنطوي عليه من حيوية ومن احتمالات تصحيحية ثورية . وظيفتها ومهمتها الاساسية بالتعاطف الحميمي مع المقاومة . كان من جراء ذلـك ان استغلت الانظمة العربية هذا التوجه وركبت موجة التعاطف فظهرت امـام الجماهير العفوية غير المحصنة بالادراك السياسي لمهامها الاساسية ، وكأنها مستعدة للوفـاء

بالمطالب الوجدانية لهذه الجماهير . بهذه الطريقة تمكنت الانظمة العربية من كسب الوقت ومن ارضاء العفوية الوجدانية عند الجماهير ما دامت هذه العفوية تفرغ الجماهير من قدراتها الصدامية مع الانظمة ، او على الاقل من قدراتها على الادانة العلنية المتواصلة لها وانزال العقوبات السياسية بها . واذا كانت الجماهير قد سارت في هذا الاتجاه الخاطىء من جراء فقدانها الوضوح النظري والتنظيم الثوري السليم ، ومن جراء ما عانته من اقصاء فعلي لها عن المشاركة الديمقراطية في مهمات العمل الوطني ، فان المقاومة الفلسطينية ، وفي تلك المرحلة بالذات التي اكسبتها تعاطف الجماهير معها ، ارتضت بهذا التعاطف الفوري في الوقت الذي جاءت فيه معركة الكرامة لتؤكد صحة نظرية الابتعاد الاقليمي الفلسطيني عما سمي بالوصاية العربية .

كان هذا التعاطف الجماهيري مع المقاومة وهي تتبرعم ، مدخلا لان تتصور المقاومة الفلسطينية من حيث هي تمرد قتالي على الهزيمة ، انها قيادة ثورية بديلة للجماهير العربية . لقد ادت ظاهرة المقاومة الفلسطينية ونمو هذه الظاهرة على الساحة العربية والعالمية التقدمية وما اوجدته من امواج التعاطف المتزايد والمتعاظم معها ، وما استقطبته من اهتمامات اساسية من قبل القوى التقدمية في العالم ، وما مثلته من تماثلها مع ثورة الاجيال الصاعدة في كل مكان في سبيل تاكيد الذات والمشاركة ، ادت كل هذه الظواهر والنتائج الى افقاد الجماهير ادراكها لضرورة توجهها نحو تعويز قدراتها الذاتية ، والى افقاد المقاومة الفلسطينية قدرتها على تجاوز هذا الوهج الذي اوجدته لها الجماهير ولتتمكن من التخطيط لمواجهة المراحل الصعبة المقبلة . كان هذا الوضع منسجما مع طبيعة تكوين المقاومة الفلسطينية في تلك المرحلة ، هذا التكوين الذي ، وان استتبعه فيما بعد انفتاح على البعد القومي ، فهم التعاطف الجماهيري مع المقاومة في الساحة العربية على انه يعني بان المقاومة اصبحت قيادة للتحرك الجماهيري وليست طليعة من طلائعه . بالطبع ، لم تكن المقاومة مسؤولة وحدها عن هذا الفهم الخاطىء اذ ان الاعتداد بالنفس يلازم كل انتفاضة تمردية تعقب هزيمة او صدمة عنيفة . وبنتيجة هذا الاعتداد ، ظهرت المقاومة وكانها خلقت من عدم وهي ليست كذلك رغم ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني — فتح — نفسها تعتبر انها انشئت عام ١٩٦٥ وانها كانت نقطة انطلاق الثورة الفلسطينية . ان الثورة الفلسطينية حالة ثورية متواصلة وان تنوع اشكالها او اشكال التعبير عنها يعكس تقلبات موازين القوى في الواقع العربي القومي . فاذا تلاشت العلاقات العربية الوحدوية او بهتت ، تاكدت فلسطينية الثورة ، واذا نضجت خطوات عربية وحدوية او اخذت طريقها للتنفيذ ، تاكد الارتباط القومي للثورة العربية في فلسطين فلا تعود الثورة ثورة فلسطينية في فلسطين .

تجربة السنوات الخمس الماضية

والان ، كيف تستعيد الثورة الفلسطينية كونها ثورة عربية في فلسطين او قطاع الثورة العربية في فلسطين ، وكيف يسترجع الفلسطينيون استعدادهم للذوبان المقبل في الحركة العربية الثورية الموحدة لا بشكل قفزي بل بصورة تدريجية واعية لكل مرحلة ولكل خطوة ؟ لقد عالجت كل منظمات المقاومة وكل الملتزمين والمتعاطفين معها هذه القضية المركزية لكن بشكل متقطع فاقد للمنهجية الصحيحة في السنوات الخمس الماضية . كانت العلاقات بين المقاومة الفلسطينية والجماهير والاحزاب العربية علاقات متقطعة غير مرتكزة على مؤسسات فكثر فيها الاستنساب الظرفي ، فانهمكت المقاومة الفلسطينية ، بعد معركة الكرامة ، في اقامة علاقات مع الاقطار العربية تتميز بتعامل محتوم بينها وبين الانظمة العربية ، ووأصلت اتصالها بالجماهير دون ان تصل الى مستوى التداخل المبرمج معها . وهكذا فان المقاومة — باستثناءات محددة — لم تتمكن ان تربط نظريا وعمليا ما بين سلطتها المعنوية على الجماهير وبين قدرة هذه الجماهير على الضغط على

انظمة الحكم في اقطارها حتى تتمكن من تلبية الاحتياجات المتجددة والضرورية لمسيرة النضال التحرري الفلسطيني . وكانت الانظمة العربية تشجع المقاومة على الفصل بين تداخلها المتقطع مع الجماهير ، وبين تعاملها معها لان هذا الفصل كان باستطاعته ان « يكوّع » تصاعد الضغط الجماهيري على الانظمة بشكل مباشر . وبالتالي كانت الانظمة تسعى لان تنتزع ، من جراء التعامل مع المقاومة ، شرعية الاستمرار في وجه منطق المطالبة باحداث تغييرات جذرية في الوضع العربي . وهكذا بقيت العلاقة بين الجماهير والمقاومة علاقة تعاطف وانجرار وراء المقاومة دون ان يتحول هذا التعاطف الى قوة مادية فاعلة الى درجة المساندة المباشرة للمقاومة الفلسطينية ومواجهة ترددات وذبذبات الانظمة في بلادها . وبالنتيجة فقد تغلب التعامل بين المقاومة والانظمة ، على أولوية التداخل مع الجماهير في المرحلة التي كان فيها التداخل مع الجماهير قادرا على العزل السياسي للانظمة التي خرجت من حرب حزيران وهي فاقدة رصيدها الشعبي والجماهيري وقدرتها على مواجهة هذه الجماهير وتصاعد ضغطها .

وبنتيجة هذا الوضع ، اصبحت الجماهير العربية ، من حيث اندفاعاتها التلقائية والعفوية مع المقاومة الفلسطينية ، ومن حيث استمرار ارتباطها بالقيادة التاريخية للرئيس عبد الناصر ، وفي غياب انتظامها وانضباطها عقائديا وتنظيميا ، اصبحت هذه الجماهير تفرض من حيث تريد او لا تريد استمرارية التلاحم بين القيادة الناصرية وبين المقاومة الفلسطينية . كان الارتباط الوجداني بين الجماهير العربية والمقاومة الفلسطينية فرصة لتسييس هذه العلاقة وتنظيمها . لكن هذا لم يحدث ، وان حدث فبمستوى ضئيل وباهت ، مما مكن المعادلة السابقة لحرب حزيران ١٩٦٧ ، المتمثلة في علاقة الجماهير مع القيادة التاريخية لجمال عبد الناصر ، ان تحتفظ بمستواها السياسي، والى حد ما ، بمستواها التنظيمي بما ينطوي عليه التنظيم بالمفهوم الناصري ، من انفلاش في العمل السياسي المنتظم . وهكذا ولدت حالة من الازدواجية : ولاء وجداني للمقاومة ، ولاء سياسي للقيادة الناصرية . لكن العلاقة الوجدانية بين الجماهير والمقاومة تصبح عرقلة للهدف من ورائها اذا لم تنظم وتسيس بالمعنى الثوري والعلمي للتنظيم والتسيس ، كما ان العلاقات السياسية بين الجماهير والقيادة المصرية الوطنية المتمثلة بعبد الناصر ، اذا افرغت من ابعادها الوجدانية ، تفرغ من طاقاتها على التحريك الثوري . حالت هذه المشاركة ما بين المقاومة وقيادة عبد الناصر في ولاء الجماهير حالت دون ان ترمي الجماهير العربية وقسم كبير من الجماهير الفلسطينية بالذات بثقلها مع احدى القيادتين عندما تعارضتا او اختلفتا . كان الارتباط السياسي يرجح ما يسمى بالواقعية ، وكان الارتباط الوجداني يرجح الاعتبارات الثورية . ولما اصطدمت مقتضيات الواقع مع مقتضيات الثورة ونظرا لحالة المشاركة القائمة ، اصيبت الجماهير بحالة ضياع . ومن جهة ثانية ، فان المقاومة الفلسطينية لم تتمكن من ان تبقي العلاقة الوجدانية بينها وبين الجماهير بالمستوى المطلوب وتصعدها بالنظر لواقع التشرذم الذي حصل في المقاومة نفسها . ان العلاقات الوجدانية الثورية بين الجماهير والمقاومة تصبح سريعة العطب اذا افتقرت الى اطر واقنية المؤسسات التنظيمية والعلاقات السياسية الواعية . حين تكون العلاقات وجدانية ، تصبح الصورة التي تتركها المقاومة في نفس الجماهير بنفس اهمية واقع المقاومة ذاته .

التعامل مع النظام الاردني

وفي هذه الاثناء ، اي في الفترة ما بين اذار ١٩٦٨ وايلول ١٩٧٠ ، كان انهماك المقاومة الفلسطينية في التعامل المكثف الضروري مع النظام الاردني ينطوي على الرغبة في تحقيق الاحتمالات العملية التي تمكن الاردن من ان يكون مجتمع التأهب للعمل الفلسطيني الفدائي . ان طبيعة النظام الاردني تجعله نظاما متربصا بالمقاومة لكنه ، بحكم مقتضيات

الهزيمة ، مضطر للتعايش معها . وقد ادى توجه المقاومة المكثف للتعامل مع النظام الاردني ، وبحكم محدودية امكانياتها وتصوراتها الاستراتيجية ، الى الاكتفاء بوهج العلاقة الرومانسية الوجدانية مع الجماهير ، والايحاء بان تعايشها مع النظام ، وان لم يكن هو الصيغة الاوفق لمقتضيات نضالها واهدافها . انما هو صيغة مرحلية لطمس مواقع التربص عند النظام الاردني المخطط للانقضاض عليها . هذا التصور جعل المقاومة تهمل تنظيم الجماهير في الساحة الاردنية سياسيا وتنظيميا ، فكان التجمع الوطني الاردني في ذلك الحين يلعب دور التعبئة السياسية عند الحاجة الملحة ولا يقوم بعمل سياسي تجهيزي لحماية المقاومة في الساحة الاردنية . يتساءل البعض ، وهذا هو محور المناقشات بين عدد من فصائل المقاومة ، فيما اذا كان هذا التعاون بين النظام الاردني بما ينطوي عليه هذا النظام من تصميم مخفي للادوات الداعية للانقضاض على المقاومة الفلسطينية ، يعكس عجز المقاومة عن النفاذ للحقائق الاساسية التي يمثلها النظام الاردني ؟ ام كان عدم الاعلان عن الاستنتاجات الكلية للمقاومة عن طبيعة النظام الهاشمي منطلقا من تقييم لموازين القوى في الاردن ولم يكن نقصا في التقييم بل جزءا من المخطط ؟ هناك منظمات تعتقد ان عدم اعلان الفصيل الاكبر ، اي فتح عن ادراكها لحقيقة عوامل التربص من قبل النظام الاردني ناتج عن عدم استكمال فتح لمقدرتها على التقييم الدقيق النافذ الى طبيعة التكوين الطبقي والمصلحي للنظام الاردني والمرتبط مع الامبريالية العالمية . يستتبع هذا ان الشعار الذي طرحته فتح في هذه المرحلة والقائل بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، رغم كونه يعكس بشكل واقعي موازين القوى في المنطقة بين الانظمة والمقاومة ، الا انه شعار يعبر عن عدد من السلبيات الاساسية في تفكير المقاومة فهو يعبر اولا : عن تسليم بان الادانة والعقوبة الموجهة من الجماهير للانظمة بعد حزيران ١٩٦٧ لن تحصل ما دامت لم تحصل . وثانيا : جاء هذا الشعار بمثابة تطمين اضافي بان المقاومة الفلسطينية لن تترجم التعاطف الوجداني الى ضغوط سياسية . وثالثا : عبر هذا الشعار ، ولو بشكل غير مباشر ، عن الاقليمية الفلسطينية التي كادت ، باسم نزع الوصاية العربية ، تصبح جزءا من النظام العربي . لكن هذا الشعار ، رغم هذه السلبيات الهامة والمعيقة ، كان يعبر ، بالمقابل ، عن مخاوف حقيقية لدى المقاومة وفتح على الاخص من ان الانظمة العربية ، وخاصة النظام الاردني ، تحمل في ثناياها مخالب مهيأة للانقضاض عليها . وبالتالي فقد كانت فتح تطرح هذا الشعار باعتباره مهادنة تكتيكية ولكن بسبب رجحان قوى الانظمة وعلى الاخص النظام الاردني ، كانت مضطرة الى اظهاره على انه مهادنة استراتيجية رغم ما كانت تدركه من ان هذه المهادنات ستؤدي الى سحب نسبة كبيرة من رصيدها العقائدي والثوري والى تثبيت مواقع الفصائل الاخرى الاصغر حجما ولكن الاكثر تقدما من حيث التركيب النظري . حين هادنت المقاومة الفلسطينية النظام الاردني تكتيكيا ، كانت تنطلق من تقييم لها لواقع العلاقة بين الانظمة العربية والنظام الاردني . وبالتالي ما كان لهذه المهادنة ان تبرز بهذا الشكل الطاغي لو كانت هناك قناعة بان احدى آثار الهزيمة العسكرية على الانظمة الوطنية كانت المهادنة مع الانظمة الرجعية والمحافظة في المنطقة ومع النظام الاردني على الاخص والتي تمثلت في مقررات مؤتمر القمة الذي عقد في الخرطوم في العام ١٩٦٧ . لقد كانت الجماهير المرتبطة بقيادة عبد الناصر ، ممتعضة وجدانيا من مهادنة الانظمة الرجعية والمحافظة لانها اعتادت لسنوات متعددة على ان تتحرك ثوريا . وهكذا عندما جاءت المهادنة السياسية ومعها المقاومة الفلسطينية وارتباط الجماهير وجدانيا معها ، ما كان باستطاعة الجماهير الا ان تعوض عن المهادنة السياسية بعدم المهادنة الوجدانية . لذلك ، وعندما لم تتوضح عناصر التعايش بين المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني ، ارتبكت الحالة الوجدانية او المعادلة الوجدانية بين الجماهير والمقاومة واصبح بامكان بعض الفصائل الاخرى كالجبهة

الشعبية والديمقراطية وغيرها ان تبدو وكأنها اكثر استيعابا لتصميم الجماهير على الحركة الثورية لانها رفضت هضم المهادنات المفروضة على الانظمة والمهادنات المفروضة على المقاومة . وقد تمكنت هذه المنظمات الاكثر قدرة على التعبير عن وجدانية الثورة من استقطاب قطاعات من الجماهير وجدت فيها مرسى لقلقها وضياعها . لكن صغر حجمها لم يمكنها من الاستقطاب العام نظرا لضآلة فعاليتها على الساحة الاردنية الاساسية . كانت احدى نتائج هذا الارتباك في صيغ العلاقة مع الجماهير ان تأثرت علاقة فصائل المقاومة مع بعضها بعضا وبدأ وهج العلاقة الوجدانية بين الجماهير والمقاومة الفلسطينية يبهت . ومع ان الجماهير العربية تدرك بحسها الثوري ان لا بد من تعقيدات تواجهها المقاومة الفلسطينية وان على المقاومة ازاء هذه التعقيدات ان تقوم بانحناءات تكتيكية امام النظام الاردني او امام الانظمة العربية الاخرى ، الا ان غياب المشاركة وغياب انتظام التفكير بين المقاومة والجماهير ، جعل من هذه الانحناءات التكتيكية تبدو وكأنها تخل عن المضامين الثورية لحرب التحرير الشعبية التي يفترض بالمقاومة ان تضع التصور الاستراتيجي لها وان تقوم بمتطلبات التعبئة لها وتنظيم عملياتها .

في هذه المرحلة بالذات ايضا ، اشتدت الخلافات بين فصائل المقاومة الرئيسية واشتدت عملية الانشقاقات فيما بينها مما زاد في عملية ارتباك العلاقة بينها وبين الجماهير ، مما ادى الى جعل الجماهير العربية مكتفية الى حد كبير بعلاقاتها السياسية الباهتة نسبيا مع القيادة المصرية . كانت هذه العلاقات السياسية مع القيادة المصرية علاقات اصيلة ومستمرة الا انها لم تعد علاقات ثورية . كأن الارتباك في علاقتها بالمقاومة، جعل الجماهير تقبل بمنطق تحقيق الممكن بدلا من اجتراح المستحيل ، أي ان قوة الجماهير التي كانت تكمن في طموحها ، اصبحت هذه القوة تكمن في استمرارها ، وكأن المقاومة الفلسطينية عندما دخلت في وجدان الجماهير ابقت الطموح لديها ولكنه كان طموحا بدون توجيه بينما تمكنت القيادة المصرية ، برصيدها الثوري الوطني السابق ، ان تحتفظ بالعلاقة السياسية ، فرغم ان الهزيمة انتزعت من هذا الرصيد قيمته الثورية ، الا انها لم تنتزع قيمته الموضوعية . وحين نؤكد على عامل الارتباط بين الجماهير والقيادة المصرية المتمثلة بالرئيس عبد الناصر ونحن في معرض الحديث عن الاردن ، فلان الساحة الاردنية كانت تضم القوى الثلاث الرئيسية : قوة النظام الاردني الهاشمي ، قوة الحائل الناصري ، وقوة المقاومة الفلسطينية . كانت قوة الحائل الناصري تلتحم وتتناسق مع القوى الذاتية للمقاومة الفلسطينية وتشكل لها بالتالي الحماية النسبية التي تمكنها من ان تتحرك ثوريا وفدائيا .

المقاومة والقيادة الناصرية

ان الواقع الذي كانت تعيشه الجماهير العربية اجمالا من حيث التلاحم بما نسميه اعتباطا حركة الجماهير الناصرية ، اي المتأثرة بقيادة عبدالناصر ، وبالثقة المتراكمة لديها به ، كان يجيز للمقاومة الفلسطينية التعامل مع الانظمة ويمكنها في الوقت ذاته من التحرك الجماهيري . وقد كانت السياسة المصرية في هذا الحين تؤكد على امكانية التوازي بين العمل من اجل الحل السياسي بموجب قرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن وعمل المقاومة من اجل التحرير الكامل . ورغم التنافر العلمي والعملي بين هذين السلوكين : السلوك بموجب قرار مجلس الامن والمحاولات السياسية والدبلوماسية لتنفيذه ، وسلوك المقاومة الفلسطينية الذي يتجاوز هذا القرار ويواصل التخطيط والعمل في سبيل التحرير على المدى الطويل ، فقد كان هناك اصرار لدى الطرفين : القيادة الناصرية والمقاومة ، على الظهور بمظهر عدم التناقض بالنظر الى ارتباط الجماهير سياسيا بعبد الناصر ووجدانيا بالمقاومة الفلسطينية . اذا كان هذا الارتباط

المزدوج والمتوازي ، والى حد اقل المتناقض ، هو الذي فرض على عبد الناصر وعلى المقاومة عدم التصدي لبعضهما بعضا في المرحلة الاولى ، وفرض عليهما مستوى من الارتباط والتلاحم لا تجيزه التزامات كل منهما : التزامات القيادة المصرية بالحل السياسي ، والتزامات القيادة الفلسطينية بالحل التحريري . وقد تمكن الرئيس عبد الناصر ، في الخطاب الذي افتتح به المجلس الوطني الفلسطيني السادس في حزيران ١٩٦٩ ان يعبر عن منطقية التوفيق بين مطلبين هما ، في اي امتحان او معيار ، متناقضان . وانصافا نقول ، بأن الجماهير العربية وكذلك القيادة المصرية كانت تفسر هذا الموقف بان احتمالات تنفيذ قرارات مجلس الامن ليست واردة بالنظر لتعنت اسرائيل ومراوغتها ، وبالنسبة لطبيعة الذهنية والحركية الصهيونية وتصميمها على التوسع ومواصلة العدوان . لذلك فان الثقة السياسية للجماهير العربية بقيادة عبد الناصر ، كانت نابعة من اقتناعها باستحالة تنفيذ قرار مجلس الامن الذي من شانه ، في حالة تنفيذه ، تصفية القضية الفلسطينية ، لانه من الاستحالة ان يسهم عبد الناصر في هذه العملية التصفوية . وفي الوقت ذاته ، كانت الجماهير مرتبطة وجدانيا والى حد ما سياسيا بالمقاومة الفلسطينية ، لانها كانت تعتبر ان سياسة التحرير هي التي تلبي تطلعاتها القومية وامالها الثورية . ولكنها ، اي الجماهير ، كانت تعتقد بانه ليس بمقدور المقاومة ان تقوم بالتحرير وحدها ، انما بمقدورها ان تبقي قضية التحرير مفتوحة وحية ومتفاعلة . بقيت هذه العلاقة الثنائية من قبل الجماهير مع كل من المقاومة وقيادة عبد الناصر ، قادرة على فرض مستوى من التنسيق حتى في احلك لحظات اللاتفاهم ، وكانت قادرة على ان تنجز هذا المستوى انطلاقا من قناعة وطنية اساسية عند الرئيس عبد الناصر بأهمية ابقاء الجماهير في حالة متقدمة من الاستعداد للتلاؤم الذي كان متوفرا عند القيادة الفلسطينية وعلى الاخص فتح وعند قطاعات كبيرة من الشعب الفلسطيني خاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة . على اي حال مهما كانت التباينات مع مصر ، ومهما كانت المقتضيات الظرفية التي تحول دون قدرة مصر على التحرك الثوري الجماهيري الكامل ، فان اي اسقاط لمصر من حسابات اشاعة روح المقاومة وتعميقها على الساحة العربية ، هو اسقاط يفرغ العرب من احدى الادوات الرئيسية الضاربة ضد اسرائيل . وهكذا كان على المقاومة الفلسطينية رغم عدم تواجدها الحميمي داخل الارض المحتلة بمعنى ارتباط اهلنا في الارض المحتلة بقيادة المقاومة وتوجيهاتها وليس بمعنى التعاطف معها ، كانت المقاومة قادرة على التقاط هذه الضغوط والاستجابة لها وبالتالي الابقاء على علاقة عضوية مع القيادة المصرية رغم تشنجات طرأت في عدد من المراحل تمثلت في ادانة تخلي التعبير السياسي المصري عن مفرداته الثورية بالنظر الى مهادنة الانظمة العربية والى تقلص ، والى حد ما تخلي القيادة المصرية ، عن الفعل الثوري في المنطقة العربية . اذا ، فقد كانت المقاومة الفلسطينية وكذلك الرئيس عبد الناصر ، على استعداد للقبول بوجهة النظر الاخرى رغم عدم وجود استعداد لدى اي منهما لتبني وجهة النظر الاخرى . هذه العلاقة الحميمة لكن المتوترة في الوقت ذاته ، العضوية والمستقلة في نفس الوقت بين هاتين القيادتين الجماهيريتين بقيت تحمي التواجد الفلسطيني المكثف وعمل المقاومة في الاردن ، والى حد ما في لبنان .

مشروع روجرز

ظلت العلاقة على هذا النحو : حميمة ومتوترة في آن واحد ، الى ان تقدم وزير الخارجية الاميركية بمشروعه المسمى « المبادرة الاميركية للتسوية » . وكان الرئيس عبد الناصر قد ذهب الى موسكو واجتمع بالزعماء السوفيات ، وتباحث واياهم في موضوع القبول بهذه المبادرة . تبين بالنتيجة ، ان السوفيات ، وان كانوا يرغبون في مضمون هكذا مبادرة ، الا انهم المحوا الى ان من الافضل ان تأتي هذه المبادرة من فرنسا بدلا من ان

تجيء من الولايات المتحدة حتى لا تثير تعبئة جماهيرية فورية ضدها . كان التقييم السوفياتي في ذلك الوقت يتطلب تنفيذا متمرحلا وليس فوريا شريطة ان تكون المراحل متتابعة ومتصلة بحيث لا تقفل اية مرحلة ما يستتبع من مراحل . الا ان الرئيس عبد الناصر اصر بأنه ما دام هناك قبول بالمبادرة فلتأت من المصدر الفعلي لها حتى يكون بالامكان الزام الولايات المتحدة بان تتحرك في سبيل التنفيذ وان تحاسب ، على ضوء مبادرتها ، على كل تصرفاتها تجاه اسرائيل عملا بمنطق « الحق العيار لباب الدار » . ورغم ان عبد الناصر كان مدركا للمغامرة التي يتضمنها القبول بالمبادرة الاميركية بالنظر الى الشكوك العميقة التي تساور الجماهير العربية من اية مبادرة تأتي من الامبريالية الاميركية ، الا انه خلص الى ان رصيده يكفي لان يحمي ثقة الجماهير به فأعلن قبوله بمبادرة روجرز امعانا في تأكيد التزامه أمام الرأي العام الدولي والمجتمع الدولي بالتسوية السلمية لحل النزاع العربي ــ الاسرائيلي وليعطي الفرصة الاخيرة للولايات المتحدة بان تترجم تباينها الشكلي مع اسرائيل الى تناقض بين مقتضيات الدبلوماسية الاميركية بموجب المبادرة وتعنت اسرائيل ، وحتى يفوت على الاميركيين بالذات اية فرصة للامعان في المراوغة وفي التطابق الكامل مع اسرائيل . نقول هذا لا تحليلا لدوافع الرئيس عبد الناصر لقبوله مشروع روجرز ، انما نقوله لنثبت الحقائق والاستنتاجات التاريخية الاربعة التالية : اولا ــ ان الرئيس عبد الناصر لم يستوعب اهمية التخلي الوجداني عن علاقة الجماهير بقيادته السياسية ، وبالتالي فان قبوله بمشروع روجرز حمل الجماهير اكثر من قدرتها على التحمل . ثانيا ــ ان قبول المشروع شكل بالنسبة للمقاومة الفلسطينية وللوجدان الجماهيري فرصة تثبت امكانية واقعية للبدء في تنفيذ قرار مجلس الامن وافساح الفرصة امام هذا القرار كي يترجم مستقبلا الى واقع جغراسي موضوعي في المنطقة . ثالثا ــ لم تقيم المقاومة الفلسطينية من جانبها احتمالات تجاوب اسرائيل مع هذه المبادرة وسلمت بانه ما دامت المبادرة اميركية فلا بد ان يكون التجاوب الاسرائيلي معها آليا . ولذلك ، وبدلا من الاسترسال في التوجه نحو التقييم الأدق والاكثر استيعابا للتفاصيل في شأن العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وفي كون هذه المبادرة لم تكن مبادرة في الصميم بقدر ما كانت استمرارا في المراوغة الاميركية ، فقد كان قبول الرئيس عبد الناصر بالمبادرة من وجهة نظر المقاومة شحنة في تغليب التوتر في العلاقات على حميمية هذه العلاقات . رابعا ــ ولما عجزت المقاومة الفلسطينية عن التوجه الدقيق لتحليل ما يمكن ان يستتبع مبادرة روجرز من اجراءات تنفيذية محددة ، اي عندما لم يستعرض التقييم استحالة قبول اسرائيل بمشروع روجرز ، وتبعت المقاومة اجتهادات الفصائل الاصغر التي كانت اصلا ترفض اسلوب التعامل الحميمي وان كان متوترا بين المقاومة والقيادة المصرية فنظرت الى مبادرة روجرز على انها تأكيد على صحة تقييمها السابق ، عند ذلك جاءت مبادرة روجرز مضخمة في اهميتها فلم تتمكن المقاومة من النفاذ الى كون قبول عبد الناصر استمرار في الملاحقة التكتيكية للدبلوماسية الاميركية .

من مشروع روجرز الى مجزرة أيلول

كان من جراء عدم الاخذ بالتفاصيل الدقيقة للتقييمات المتبادلة بان ترجمت اعتراضات قيادة عبد الناصر على المقاومة ، واعتراضات المقاومة على القيادة المصرية الى مدخل جديد لتصعيد التوتر من جهة ، والى السماح للتناقضات بان تتحول الى تصادمات سياسية علنية بدلا من الاستمرار في علاقة التوازي التي كانت قائمة في السابق . نتج عن ذلك مواقف انفعالية تتولد حتما كلما يتغلب التوتر على التفاهم في اية علاقة حميمة . صعدت اجهزة الاعلام الفلسطينية الحملة على القبول بمشروع روجرز وشحنت الحملة بالتشكيك في القيادة المصرية . كان هذا الموقف لحاقا اعلاميا من قبل التيار العام

للمقاومة بالمواقف المتشددة غير المراعية لضرورات استمرار التنسيق والعلاقة مع القيادة المصرية . ادى هذا الموقف الى ارباك المعادلة السياسية بين الجماهير وقيادة عبد الناصر ، مما حدا بالقيادة المصرية لاتخاذ اجراءات انفعالية الى حد ما فاقفلت اذاعة صوت العاصفة وطوقت القدرات الاعلامية الاخرى للمقاومة . كانت هذه الاجراءات بمثابة اعلان عن التناقض . وبالنظر الى افتقاد المقاومة الفلسطينية والقيادة المصرية لاية علاقات تنظيمية مع الجماهير العربية ، وبالنظر الى افتقاد الاقنية التي تمكن الجماهير العربية من ممارسة ارادتها وضغطها وثقلها على القيادات التي تمنحها ولاءها ، كانت علنية التناقض مدخلا للانقسام ولشل قدرة الجماهير على التحرك السياسي القادر .

ولعل اهم او اخطر نتائج هذا التناقض العلني ان فاعلية الحائل الناصري في الساحة الاردنية تعطلت فلم يعد قادرا على تحديد سياسته وتوجهه ففقد قدرته على الحيلولة دون انقضاض النظام الاردني على المقاومة في ايلول مثلما تمكن هذا الحائل الاردني الجماهيري ، ذو الولاء السياسي لقيادة عبد الناصر ، ان يفعل في الازمات المتتالية بين المقاومة والسلطة الاردنية في ١٩٦٨/١١/٢ و ١٩٧٠/٢/١٠ و ١٩٧٠/٦/٥ ، ان الشلل الذي اصاب هذه القوى السياسية الحائلة دون الاصطدام المباشر او دون استمرارية هذا التصادم ، هو الذي جعل المقاومة تقف وحيدة في مجابهة مباشرة مع النظام الاردني ، وهو الذي مكن انياب النظام الاردني المتربص للانقضاض ، ان يتحرك وان يجر المقاومة الى الفخ الذي نصبه لها النظام الاردني المتواطىء مع اسرائيل والامبريالية الاميركية . لقد كانت مبادرة روجرز بمثابة تغييب المظلة الوقائية التي شكلتها الجماهير الناصرية للمقاومة الفلسطينية . صحيح ان الجماهير لم تتخل عن المقاومة من حيث تعاطفها ، ولكنها افرغت من فاعليتها . ورغم ان عدة محاولات قد بذلت لرأب الصدع وللتفاهم ، الا ان التناقضات بين الانظمة العربية التي ارادت وراثة جزء من الجماهير المرتبطة سياسيا بعبد الناصر ، وجدت الفرصة مناسبة لها لتصعيد هذا التناقض وتعميق الصدع باشعار المقاومة بأن علنية تناقضها مع النظام المصري لا تعني عزلتها عن بعض الانظمة . وهكذا تجرأت المقاومة على القيادة المصرية بما يتجاوز المقتضيات المرحلية الموضوعية لعلاقاتها مع مصر ورضيت بالتجاوب اللفظي الذي عبرت عنه انظمة عربية اخرى ، محافظة وتقدمية ، التي استهدفت في الواقع تصعيد الاستعداد الذهني لدى المقاومة للتصدي للقيادة المصرية واسقاط مصر من الحسابات الاساسية للمجابهة مع النظام الاردني واسرائيل ، دون ان تدقق المقاومة بمدى الاستعداد العملي والموضوعي لترجمة المواقف الاعلامية المعلنة من قبل هذه الانظمة الى ممارسات فعلية من شأنها ان تعوض للمقاومة ما قد تفتقده من جراء علنية تناقضها مع القيادة المصرية .

كانت السلطة الاردنية ، بالدراسات التي كانت تعدها لها باستمرار اجهزة المخابرات الاميركية ومخابراتها الذاتية ، مستعدة لان تهيء نفسها لما كانت تخطط له منذ معركة الكرامة اي الانقضاض على المقاومة الفلسطينية بغية تكريس اهليتها للنطق باسم الشعب الفلسطيني وتقرير مصيره ومصير قضيته . جاء التصدع في العلاقة بين القيادة المصرية والمقاومة الفلسطينية ، وجاء تغييب الجماهير السياسية ذات الولاء الناصري في الوقت الذي كانت فيه المقاومة الفلسطينية في حالة من الانقسام تجعلها دون المستوى الذي يمكنها من حماية نفسها . من هنا جاءت قضية خطف الطائرات التي قامت بها الجبهة الشعبية ، وطرح شعار كل السلطة للمقاومة الذي طرحته الجبهة الديمقراطية في مرحلة لم تتمكن المقاومة فيها من السيطرة على انضباطية يسارها المذهبي كما انها لم تتمكن من ضبط علاقاتها السابقة بالقوى الاساسية في المنطقة . وهكذا كانت كل

استغلال الخسائر الفلسطينية للحيلولة دون تثوير الجماهير الفلسطينية بل ولتمييع علاقة الشعب الفلسطيني بالمقاومة . وبكلام آخر : كانت هزيمة ١٩٦٧ مدخلا للامبريالية والرجعية العربية لان تمعن في فك الارتباطات القومية العربية ، وكانت مجزرة ايلول بالنسبة للامبريالية والرجعية واسرائيل فرصة لفك العلاقات العضوية الوطنية بين الشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية .

وبعد غياب عبدالناصر شعرت مصر بأن عشل مبادرة روجرز يدفعها نحو مزيد من العمل السياسي فتوجهت الدبلوماسية المصرية الى العزل المعنوي لاسرائيل . لكن موازين القوى في المنطقة بقيت ، الى حد كبير ، مرتهنة بالمعادلة الدولية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة اكثر مما هي مرتهنة بالطاقات الذاتية للعرب. لذلك ورغم ابقاء موازين القوى بين مصر واسرائيل على الاخص في حالة لا تمكن اسرائيل من القيام بأعمال عدوانية رئيسية من شأنها اذلال مصر ، فان الولايات المتحدة استمرت في تمكين اسرائيل من ابقاء قوتها راجحة تحت ستار المحافظة على توازن القوى .

الوحدة وميزان القوى

وهكذا نشأ في المنطقة العربية واقع لا يجيز مطلقا بقاء واقع التجزئة ويؤكد على ضرورة التوجه الوحدوي كسبيل لتعديل ميزان القوى لا يمكن للاميركيين اخذه منا كما انه ليس من نوع السلاح الذي يمكن للاتحاد السوفياتي ان يعطينا . ان طبيعة العلاقات الاستراتيجية الاميركية ــ السوفياتية تحتم على الدولتين العظميين ابقاء نوع من التعادل والميزان بين قوة اسرائيل وقوة مصر والعرب اجمالا . لكن هذا التوازن غير طبيعي لانه يوازن بين قوى بشرية وسياسية وموضوعية غير متوازية كالعرب واسرائيل . اذا فالسياسة الاميركية امبريالية من حيث انها تعمل على افتعال حالة توازن بين قوى غير متوازنة . اما السياسة السوفياتية فتقوم على ابقاء حالة التوازن بين العرب ، ومصر على وجه التخصيص ، واسرائيل ، لكن مع تمكين العرب من اتخاذ الخطوات اللازمة لان يتحقق ترجيح قوتهم دون التأثير على المعادلة الاميركية ــ السوفياتية الشاملة .

ما هي هذه الخطوات التي لا يمكن للامبريالية الاميركية واسرائيل ان تأخذها كمأخذ على انتهاك الاتحاد السوفياتي لمبادىء توازن القوى ؟ لا يمكننا مطالبة الاتحاد السوفياتي ، في ظل واقع المعادلات الدولية وحساسية هذه المعادلات على المستوى الكوني ، بأكثر مما يمكن له ان يعطي لان كل مطالبة بأكثر من ذلك الى جانب عدم واقعيتها ، فانها تعني التخلي عن مهمات قومية اساسية . فاذا اردنا تجاوز قرارات مجلس الامن والدخول في حيز العمل التحريري لفلسطين ، فاننا لا نستطيع ان نعتمد في ذلك على الاتحاد السوفياتي كليا . اذا ، ما هي هذه القوى التي تستطيع ان تلغي فاعلية الامبريالية الاميركية التي تفتعل موازنة بين قوى غير متوازية ؟ انها الخطوات الوحدوية بين الدول العربية . ان الوحدة او اية خطوة نحوها من شأنها ان تجعل الصراع العربي ــ الاسرائيلي بمنأى عن جر الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الى احتمالات تصادم عامة . قد يقول بعض الكسالى في فهم الواقع العالمي بأننا في سبيل التحرير يمكن بل ويجوز لنا ان نجر العالم الى المغامرات ، لكن طبيعة العلاقات الدولية والمعادلات الاستراتيجية ، وطبيعة موقعنا في العالم ، تجعلنا نستنتج بأن العالم غير مستعد لان يركب المغامرات بسببنا او على ضوء اعتبارات نحددها نحن . ان للاتحاد السوفياتي حسابات في مناطق أخرى من العالم لا تمكنه من ربط مواقفه بما نفرضه عليه نحن من ظروف ووقائع . ان ادراك هذه المحدودية في علاقاتنا مع الاتحاد السوفياتي ضروري لصالح علاقتنا به لكن هذه المحدودية يجب أن لا تدفعنا الى الافتراء على الاتحاد

السوفياتي او بأن نطالبه باكثر مما هو قادر على تلبيته وما نحن قادرون على استيعابه. ان الاتحاد السوفياتي يدرك بأن القوى الذاتية العربية قادرة ، بعد تأمين موازاة الاسلحة بين العرب واسرائيل ، على ترجيح الميزان فهو ، ككل اصدقاء العرب ، ينتظر من العرب تعبئة وتوحيد قواهم الذاتية . وبالمقابل فانه لا يمكن للولايات المتحدة ان تزيد من تسليحها لاسرائيل بحيث ترجح ثقلها العسكري وتتجاوز المعادلات الدولية بين الولايات المتحدة واسرائيل .

وهكذا عندما تخطو الامة العربية خطوات وحدوية ، يصبح افتعال الولايات المتحدة لموازين القوى استفزازا للاتحاد السوفياتي لان اي ترجيح للعرب نابع من تزايد قوتهم الذاتية هو ترجيح مشروع بالمفاهيم الاستراتيجية الدولية بل هو ترجيح مطلوب ومؤثر حتى على السياسة الاميركية من حيث تقليص فعلها الامبريالي داخل الولايات المتحدة وفي المنطقة نفسها. هذا الوضع هو الذي يجعل من تسليح فيتنام من قبل الاتحاد السوفياتي لا يؤثر على المشروعية الاستراتيجية الدولية رغم وجود قوات عسكرية اميركية فيها . وهو الذي يجعل دعم الاتحاد السوفياتي للهند اثناء الحرب الهندية الباكستانية عملا مشروعا . وفي هذا الوضع ، كما في الشرق الاوسط ، افتعلت اميركا واقعا متساويا بين قوى غير متساوية . وحين اثبتت الهند قدرتها على التحرك الثابت الموحد ، جاءت المساعدات السوفياتية ترجح ، دون ان تؤثر ، على الموازين الاستراتيجية الكونية . وفي الشرق الاوسط ، وحتى تنقلب المساعدات المادية والعسكرية من قبل الاتحاد السوفياتي للعرب ، الى ترجيح لكفتهم في صراعهم مع الامبريالية واسرائيل ، لا بد من التوجه الوحدوي الحاسم . وفي هذا الاطار ، فان على المقاومة ان تعمل على تحريك الطاقات الوحدوية على الساحة العربية وان تعمل على اعادة النظر بمعادلاتها مع الانظمة العربية لان الموازنة بين العرب واسرائيل تجعل من تنفيذ بنود قرار مجلس الامن حتى في التفسير السوفياتي العربي ، اقصى ما يمكن الوصول اليه ، بينما قد يؤدي الضغط للقيام بخطوات عربية الى اجهاض قرار مجلس الامن موضوعيا والى وضع الامة العربية في مسيرة التحرير . ان الوحدة هي طريق التحرير وليس العكس . هذا يعني انه رغم ضرورة متابعة العمل التحريري القتالي ، فان المطلوب اتخاذ خطوات وحدوية تسبق عمليات التحرير . لا بد من التأكيد هنا على ان الوحدة لن تتحقق قفزا كما ان التحرير لن يتحقق قفزا . فليس المطلوب في هذه المرحلة تحقيق التحرير بل المطلوب ان يبقى العرب على طريق التحرير وهذا يعني انهم لن يتحولوا في الاشهر القليلة القادمة عن هذا الطريق ويرضخوا لمقتضيات التسوية .

كيف نجعل من مطلب التحرير احتمالا واردا في ظل تلاشي التوجه الوحدوي في المنطقة العربية الحاصل بسبب التجزئة في الساحة العربية وفي مجال العلاقات بين المقاومة والجماهير العربية ؟ ان استمرار التجزئة هو في صالح الانظمة العربية لانها لا تستطيع الاستمرار والرسوخ الا في ظل واقع التجزئة . وبالتالي فمهما تباينت شعارات الانظمة واختلفت التزاماتها اللفظية بقضية التحرير ، فانها تبقى مشدودة لواقعها ولقبولها بحالة التجزئة في الامة العربية وبالتالي بمنطق التسوية . ان هذا الثالوث : الانظمة والتجزئة والتسوية لن يقوى على الاستمرار والترسخ ما دامت العلاقة غير محددة بين الجماهير والمقاومة . ولذلك لا بد من ان تتحدد اولوية العلاقة العضوية بين الجماهير والمقاومة حتى تكون هي المدخل لجعل التحرير مرحليا وفي الحسابات الواقعية مرجحا على التسوية .

اولوية القضية

تتضح أولوية تحديد علاقة المقاومة الفلسطينية بالمؤسسات العربية الحزبية والشعبية

بالنظر الى ضرورة ارجاع المقاومة الفلسطينية الى كونها مقاومة عربية في فلسطين . ان تحديد هذه العلاقة من شأنه ان يعيد الى القضية الفلسطينية أولويتها في الاقطار العربية ، وبين الجماهير العربية . ان الارتباك الذي من شأنه ان يرسخ ويعمق مفاهيم التجزئة يستند الى دفع الشعوب والاقطار العربية لتتخلى عن منحها الاولوية للقضية الفلسطينية . وبذلك فان التحدي الاساسي للحركات الشعبية والحزبية وللجماهير العربية ، يتمثل في كيفية ارجاع القضية الفلسطينية ، الى كونها القضية الاولى في جدول الاولويات في الاهتمامات العربية . ان هذه الاولوية هي التي تجعل من قضية التحرير الفلسطيني المدخل لترجيح قضية التحرير على قضية التجزئة . اذا هناك علاقة جدلية وعضوية بين الوحدة والتحرير . وبالتالي فان اولى مهمات المقاومة الفلسطينية هي ان تكوّن بذاتها علاقات عضوية ، مع الطلائع الجماهيرية في الوطن العربي ، التي يمكن لها داخل الاقطار التي تتواجد فيها ، ان تقوم بنضالاتها القطرية ، ولكن ان تجعل للقضية الفلسطينية أولوية على هذه النضالات القطرية . كيف يمكن الوصول الى هذا المستوى ؟ ان بدهية علاقة التحرير بالوحدة يجب ان لا تؤدي بنا الى ابقاء هذه العلاقة معلقة وخارج حيز الترجمة العملية ، بل المطلوب هو الوصول الى التنظيم القادر على جعل قضية الوحدة متلازمة مع قضية التحرير . ان كل دعوة للتحرير ، لا تنطلق من الالتزام العميق بالوحدة ، انما هي شعار مفرغ من قدرته على التنفيذ . لا يمكن لمطلب التحرير ان يتحقق بشكل فوري او بشكل قفزي ، لكنه يتحقق في الالتزام بتصور واضح للتحرير ومن ثم بتصور واضح للمراحل التي لا بد للمجتمع العربي والفلسطيني ، على الوجه الاخص ، ان يمر بها حتى يتسنى له الوصول الى التحرير ؛ من خلال هذا التصور الواضح للهدف . لقد تشكلت لدى الثورة العربية في ربع القرن الماضي ؛ وعلى الاخص في العقد الاخير من تاريخها ، عقدة تجاه التمرحل ، اذ اعتقدت او تصورت ان التمرحل هو تمييع للالتزام . ولذلك كان مفهوم الثوريين العرب في اكثر الاحيان ، مرتبطا باعلان الالتزام اكثر من اهتمامهم بدراسة حقول الالغام التي تمر بها الثورة العربية . كان التمرحل بالنسبة لمسيرة الثورة العربية ، يعني المساومة والقبول بالحلول الوسط ، لكن هناك فرقا اساسيا وجوهريا بين المساومة على المبادىء وبين الانحناءات التكتيكية التي تفرضها موازين القوى بين الثورة واعدائها . كما ان اعلان الالتزام او اعلان هدف التحرير او الوحدة ، مجردا بل ومتجاهلا لمقتضيات الدراسة المستفيضة للعراقيل القائمة ازاء الوحدة ، والمشاكل القائمة والتي ينطوي عليها واقع التجزئة ، وتفسخ الواقع العربي ، كان يجعل من الثوريين العرب ، بمختلف التزاماتهم المذهبية ، حريصين على عدم ابراز اهمية تحديد المراحل . انا اعتقد ان هذه العقدة البورقيبية ، التي فرضت على الكثير من دعاة الثورة العربية وقادتها ، الدمج بين التمرحل والمساومة هي من احدى النواقص الهامة في ادبيات الثورة العربية المعاصرة . وفي الوقت الذي لم يكن فيه التوجه الثوري العربي نحو تحديد المراحل توجها واضحا او مدروسا ، جاء التحرك الثوري العربي مشحونا بالتعبئة الجماهيرية الظرفية دون ان يكون مكثفا بخط بياني مستمر قادر على ايجاد البنية المتماسكة داخل الحركات الثورية التي من شأنها ان تدرك ان مطاليبها لا تتحقق بالشكل القفزي . لكن هذه الفجوة النظرية في ادبيات الثورة العربية ، لم تلازمها الى مدة طويلة اذ ان عددا من القوى التي كانت محسوبة على الثورة العربية وعلى اليسار العربي ، كانت بنفس الوقت تمارس السلطة ، في عدد من الاقطار العربية . لذلك فان ممارسة السلطة وضعت كثيرا من القوى الثورية العربية، في مجال الممارسات اليومية ، مما جعل الشعارات الثورية التي تنادي بها ، غير قابلة للتصديق عند الجماهير ، نتيجة لابتلاع السلطة لكل الاندفاعات الثورية فيها ، أو لان السلطة كانت بمستوى من القوة بحيث اعتبرت ان الحزب هو مجرد احدى امتدادات السلطة ، وليس هو المهيمن عليها .

لذلك عندما هزمت الانظمة العربية عام ١٩٦٧ ، جاءت المقاومة الفلسطينية غير قادرة على تحديد علاقات عضوية مع الملتزمين بكلية اهدافها ، وكان من جراء ذلك ان برزت عدة نظريات للخروج بمعادلة يمكن ان تحقق علاقة عضوية مستمرة ونامية بين المقاومة الفلسطينية والجماهير العربية . كانت هناك دعوة لترك المقاومة الفلسطينية ، تتحمل اعباء تنظيم الشعب الفلسطيني بمنأى عن التداخلات العربية فيها ، نظرا لان تجربة التنظيمات القومية السابقة اثبتت عجزها عن تنظيم الشعب الفلسطيني بالمستوى الثوري المطلوب . كما ان سمة انشداد الشعب الفلسطيني الى القيادة التاريخية للرئيس عبدالناصر ، صدمت بعد عام ١٩٦٧ . وكانت هذه الجماهير عفوية في وطنيتها وفي ثوريتها فأصيبت بحالة من الضياع التنظيمي لكنها سرعان ما توجهت الى الاطار ، الذي ثبت بالتجربة بأنه تنظيم فلسطيني يمتاز بالوطنية الاصيلة والابهام المذهبي في آن واحد . كان هذا التنظيم هو المعادلة التوفيقية التي استجابت لمستوى الوعي والالتزام عند الاكثرية الساحقة للشعب الفلسطيني . ومن هنا قبلت هذه الجماهير بقيادة حركة التحرير الفلسطيني اي فتح . وهكذا نجد بأن فتح كانت الى حد كبير ، بمثابة التعبير الاصيل عن التيار السائد للالتزام السياسي للشعب الفلسطيني . ولذلك فلا بد من النفاذ الى مفهوم فتح للعلاقات العربية .

فتح والعلاقات العربية

ادركت فتح بأنها تستقبل بعد ١٩٦٧ نزعة تمردية على ما سمي بالوصاية العربية ، اي انها تستلم تيارا اقليميا يتحكم في رد الفعل الفلسطيني لهزيمة ٥ حزيران . ولعل شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، لم يكن كما صور ، تعبيرا عن مذهبية اجتماعية محافظة ، بمقدار ما عبر عن تيار فلسطينية الثورة الفلسطينية . لقد ادركت فتح بأن هذا التيار الاقليمي ، هو انفعال وليس قناعة ، هو ردة اكثر مما هو حاجة . حين استقبلت فتح هذا الطوفان الفلسطيني داخل اطاراتها بعد الكرامة حولت ذاتها الى اطار للشعب الفلسطيني ، بكل ما ينطوي عليه هذا الشعب من ترسبات وامكانيات وبكل ما يعيشه من قلق ومعاناة ، وكل ما ينطوي عليه من ارادة ثورية جذرية . وكان الابهام النظري ، الذي ميز حركة فتح ، هو بالتالي الصيغة التوفيقية الملائمة لمستوى الشمول الذي حوته فتح في اطاراتها . ولذلك عبرت فتح عن تحالف القطاعات الفلسطينية فأكدت بأنها حركة وليست حزبا . وقد جسدت فتح هذا التحالف عبر تعايش تيارات مذهبية مختلفة ، تؤكد أولوية التعايش على ضرورات التوضيح النظري والعقائدي . لان ضرورات التعايش المذهبي ، كانت على ضوء تقييم فتح ، حاجة ملحة لتثبيت ركائز الشخصية الفلسطينية ازاء واقع التمزق والانهزامية ، الذي استشرى في الدول العربية . من هنا كانت مقاومة فتح للتحديد النظري مع العلم بأن عددا كبيرا من قيادات وقواعد فتح ، ادركت اهمية التحديد وضرورتها ، الا انه تشكلت لدى قيادة فتح، في مرحلة ٦٨ — ٦٩ واوائل ١٩٧٠ قناعة بأن الشخصية الفلسطينية ، وان عبرت عن التيار الاقليمي ، الذي جاء قويا اثر هزيمة حزيران فان التأكيد عليها ضروري من اجل مواجهة الضياع والتشتت العربي وحتى تكون هذه الشخصية في مرحلة مقبلة اداة استقطاب والتحام للشعوب العربية . لذلك غدا التميز في الشخصية الفلسطينية ، بعد عام ١٩٦٧ وازاء الاوضاع المتردية على الساحة العربية ، ويا للمفارقة ، مطلبا قوميا لا بل وحاجة قومية .

كانت فتح تؤكد الناحية الذرائعية من حيث ان قراراتها أو شعاراتها ، كانت تشكل ، بالنسبة الى حجمها الواقعي ، الزاما لها والى حد ما للشعب الفلسطيني . وبالتالي فقد كان الشعار الذي طرحته بعدم التدخل بالشؤون الداخلية للاقطار العربية ، بمثابة مرحلة استعادة النفس للشعب الفلسطيني ، حتى يحدد معالم توجهه من خلال تأكيد

شخصيته. وكانت الموافقة العربية على هذا التميز الفلسطيني باعتباره نوعا من تخليص واقع التجزئة من خطر الوحدة عليه. لذلك نشأت بين الواقع الفلسطيني والواقع العربي حالة تنطوي على الكثير من التناقض الظاهري تمثل ، من ناحية ، في التأكيد على تميز الشخصية الفلسطينية باعتباره حاجة قومية ازاء الواقع الموضوعي للتردي العربي بعد الهزيمة ، ومن ناحية اخرى ، في اعتبار الانظمة الضالعة في تأكيد التجزئة العربية لهذا التميز تثبيتا فلسطينيا لواقع التجزئة . من هنا يأتي الاصرار على تحديد البعد القومي للمقاومة الفلسطينية لان هذا التميز الفلسطيني ، اذا انتقل من كونه مرحلة الى كونه قناعة ، فانه سيشكل عنصرا داعما ومدعما للتيارات الانفصالية القائمة في المجتمع العربي .

المنظمات الاخرى

من هنا لازمت المخاوف بأن يطغي التميز الفلسطيني كقناعة على التميز الفلسطيني كحاجة مرحلية العديد من الملتزمين بالتحرير وبالمقاومة . ولذلك اخذت فئات فلسطينية ، تعبر عن مخاوفها ، بأن أوجدت لذاتها ، تنظيمات للمقاومة واضحة في ارتباطاتها ، والتزاماتها القومية ، فبلورت في ذهنها أن التميز الفلسطيني مرحلة وان الانتماء القومي هو القناعة . هذا كان شأن الجبهة الشعبية والصاعقة وجبهة التحرير العربية . الا أن هذه التنظيمات ، أو هذه الفصائل اكدت ارتباطاتها القومية بأشكال مختلفة . جبهة التحرير العربية ومنظمة الصاعقة ، كانتا بمثابة امتدادات فلسطينية لتنظيمات قومية تستمد امكاناتها المادية والعسكرية من جراء ارتباطها بسلطات البعث الحاكمة في سوريا والعراق . كان لمثل هذا الارتباط تبريرات تاريخية ، فحزب البعث لا يعتقد أنه سقط كحزب أو كفكرة بعد عام ١٩٦٧ ، بل أكثر من ذلك ، فان بقاءه في ممارسة السلطة في بلدين عربيين ، كان ، في المفاهيم النظرية لحزب البعث ، انه يمارس سلطة قطرية دون أن ينزع ذلك عنه حقه في الممارسات التنظيمية على المستوى القومي العام . لذلك فان تنظيمه الفلسطيني داخل المقاومة ، اعتبر ترجمة واقعية لتنظيمه القومي ، وبالتالي وان كانت هذه الفصائل المرتبطة بحزب البعث ، بشقيه ، امتدادات ، الا أن هذا من موقع الافق القومي لافكار البعث أمر لا غبار عليه . ان تواجد هاتين المنظمتين في الساحة الفلسطينية ، من حيث التجريد النظري لمدلولات البعد القومي ، هو تواجد مشروع قوميا، الا أن المحاذير والاعتراضات التي تركزت على ان هاتين المنظمتين لا تأخذان بعين الاعتبار ، وبشكل كاف ، مقتضيات ابقاء المقاومة الفلسطينية بمنأى عن ارتباط اجزاء منها بسلطات حاكمة في أي بلد عربي . فقد قامت المقاومة الفلسطينية على تقييم مغاير لتقييم الاحزاب الحاكمة ، من حيث أن الذي سقط في حزيران كان النهج الذي تحكم في اوضاع السلطات في كثير من البلاد العربية بما في ذلك الجزء الوطني والتقدمي منها . هذا التقييم الفلسطيني لم ينف ضرورة الارتباط العضوي في تنظيمات قومية ، ولكنه بقي مصرا على أن يأتي هذا الارتباط من مواقع التقييم الفلسطيني لهذا الارتباط وليس انعكاسا لتقييم تنظيم حزبي حاكم .

اما الجبهة الشعبية فكانت تسلم من حيث خلفيتها التاريخية ، بضرورة وجود حزب عربي على امتداد الساحة القومية يكون له فرع في الساحة الفلسطينية ويتميز بمقدار تميز الحالة الفلسطينية ، لكنه يرتبط في الوقت ذاته بالتنظيم القومي الجماهيري بمقدار ضرورات الارتباط . لقد كانت الجماهير الفلسطينية والعربية أكثر استعدادا لتقبل صياغات تنظيمية قومية ، اذا توفرت حرية التحرك الثوري بمنأى عن الارتباطات مع السلطة . هذا كان شأن الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية . وكان أيضا شأن حركة فتح ، الا ان طابع التميز الفلسطيني ، كان أوضح من طابع العلاقة القومية بالنسبة لفتح . لكن فتح ، من حيث تأكيدها لضرورات التعامل مع الاقطار العربية

والتداخل مع الجماهير العربية ، كانت تؤكد بأنه ما دام هدف التحرير هو في مرحلة التحرر الوطني ، فليس مطلوبا من حركة التحرر ذلك المقدار من الفرز المذهبي الذي اصرت عليه الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية . من هنا كان التوجه للجماهير العربية ، من قبل فتح ، توجها صادقا ، لكنه كان توجها سهلا ، من حيث ان الالتزام بالمقاومة الفلسطينية لم ينطو على التزام بمذهبية عقائدية محددة . من هنا لاقى توجه فتح العربي ، قبولا عاما مكنها من التحرك العربي الاسهل . لكن سهولة تحركها جعلها اكثر استعدادا ، لان تكون علاقاتها العربية اقل عضوية ، واقل الزاما باعتبار انها تؤكد على ضرورة تنمية القوى الذاتية للشعب الفلسطيني وتكتفي بالدعوة لان يؤخذ من العرب ما يمكن للعرب ، في كل مرحلة ، ان يعطوه . وكانت علاقة فتح بالجماهير العربية تمتاز بالتقطع والشمول في آن واحد وكانت تعتمد على عفوية الجماهير دون ان تسعى الى تنظيمها . وبالمقابل كان توجه الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية ، في هذا المضمار ، اكثر صرامة ، في تحديد الملتزمين وبالتالي جعل المشاركة بالثورة الفلسطينية في الساحة العربية تعني التزاما متطابقا مع مسؤولية الفلسطينيين .من هنا كان التجاوب العربي مع الجبهتين التزاما اكثر تقدما في المعيار الثوري ، لانه كان على مستوى الساحة الجماهيرية استثناء وليس شاملا . ومن ناحية اخرى ، فان سوء التوقيت فيما يتعلق بالتوجه المذهبي المتقدم للجبهتين يهدر من صحة التوجه . وهكذا كان لكل من توجهات فصائل المقاومة على المستوى العربي محاذير وامكانيات ، ولعل تعدد التوجهات ظهر في ركاكة العلاقات الجماهيرية العربية مع المقاومة الفلسطينية ، رغم بقاء التزامها بضرورة وجود مقاومة . وهكذا فان علاقة المقاومة الفلسطينية بالجماهير العربية في السنوات الخمس الماضية ، لم تكن علاقات بالمستوى المطلوب ولا بالمستوى التي تستحقه . ولذلك فان اولى شروط وحدة المقاومة مع الجماهير العربية هو الوصول الى وحدة التوجه العربي ، ووحدة التوجه لا تاتي الا من خلال وحدة التقييم للمرحلة ولتتابع المراحل التي يمر بها نضال الشعب الفلسطيني ونضال الشعوب العربية في سبيل الوحدة والتحرير .

ان اول شروط التوجه الوحدوي للمقاومة الفلسطينية هو نجاح تجربة الجبهة الوطنية العضوية ، بين الفصائل الرئيسية لحركة المقاومة ، ولقد حصل في الاسابيع التي تلت انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني التاسع ، خطوات عملية نحو توحيد المؤسسات الوظيفية لمنظمة التحرير ، وهذا من شانه ان يعوّد فصائل المقاومة المختلفة مذهبيا على مناخ الوحدة في قطاعات اساسية ستصبح ، بنتيجة الخطوات الوحدوية ، مؤسسات جماهيرية مشتركة . ان الصيغة الجبهوية لا ترمي الى الغاء الفروقات المذهبية لكنها تسعى الى ان تصب الاجتهادات الناشئة عن تباين مذهبي او سياسي في محصلة للراي ، تكون ملزمة لكافة فصائل المقاومة ، دون ان تكون هذه المحصلة مطابقة كل التطابق لسياسة او مذهبية اي من هذه الفصائل ، الا بمقدار مماشاة سياسة المنظمة لمحصلة الراي . ان هذا التفاعل السياسي يقضي على سلوكية تربص فصائل المقاومة ببعضها ، وتحين الفرص لوراثة بعضها او ابتلاعها ، الا ان الصيغة الجبهوية بالمقابل تجيز غارات عقائدية بين فصائل المقاومة ، لان مثل هذه الغارات تدفع المنغلق لان يكون اكثر انفتاحا وتشجع الملتزمت لان يكون اكثر مرونة في الاقناع . اذا فالغارات العقائدية والسياسية هي من داخل الشرعية الثورية للجبهة الوطنية . لكن تركيز العلاقات على التوتر وجعل كل من المنظمات تتعصب تنظيميا لحماية نفسها ، يناقض الوحدة في الساحة الفلسطينية المطلوبة . قلنا ان وحدة التقييم تؤدي الى وحدة التوجه للمقاومة على الساحة العربية ، ولعل اهم ظاهرة في هذا المضمار ، هي ان تدرك المقاومة الفلسطينية أن اولوية توجهها هي للساحة العربية . فالساحة العربية بالنسبة لكل فصائل المقاومة الفلسطينية هي "ساحة الطبيعية التي ينتمي اليها الشعب الفلسطيني والتي لا يفكر بتجاوزها قبل ان

يشبها . لذلك فتلقائية التوجه العربي لدى المقاومة الفلسطينية مضمونة من حيث انها حددت انتسابها القومي العربي ولم يعد أمامها الا أن تترجم هذا الانتساب . ان المقاومة الفلسطينية ، بعد التجارب المريرة والمأساوية في بعض الاحيان مع الانظمة العربية ، اخذت تدرك — ولعل هذا الادراك أعمق في فتح لانها كانت أقل ادراكا لذلك من غيرها في السابق — بأن على المقاومة الفلسطينية ، رغم كل الاعتبارات الظرفية، ان تغلب تفاعلها مع الجماهير واسهامها في تنظيمها على تعاملها مع الانظمة العربية . ان هذه القناعة التي تتعمق يوما بعد يوم تفسح المجال أمام الاجتهادات التي سبق لها ، أن أكدت ضرورة التنظيم الثوري بين المقاومة الفلسطينية والملتزمين العرب وتفسح المجال أمامهم لان يجدوا لصياغاتهم السابقة ، والتي أعلنت في غير وقتها ، تجاوبا اوضح .

القبول بالوساطة

وفوق كل ذلك فقد اخذت المقاومة الفلسطينية بعد معارك جرش وعجلون في تموز ١٩٧١ تدرك أن علاقتها مع الانظمة هي تمكين للانظمة من الديمومة والاستمرار . وان الانظمة، وان تناقضت مع بعضها ، تدرك بان انفلات حلقة منها بعد عام ١٩٦٧ قد يؤدي الى تتابع في انفراط عقدها . لذلك أدركت المقاومة الفلسطينية أن الانظمة العربية تفاوتت في تصميمها على اخراج النظام الاردني من حيز اطاراتها . ولعل ظاهرة الوساطة العربية — المصرية السعودية — بعد أحداث تموز ١٩٧١ في الاردن ، تجربة تعكس الى حد كبير مأزق المقاومة ، في علاقاتها العربية . ولعلها ، بالمقابل ، حسمت الى حد كبير الكثير من الترددات السابقة ، باتجاه توجه جماهيري أوضح في ثوريته وفي انطلاقه .

كان مشروع الوساطة المصرية السعودية بمثابة المجهود العربي ، المنبثق عن واقع المهادنة بين الانظمة العربية ، وعن تأكيد لاهتمام الانظمة العربية بأن تستمر المقاومة الفلسطينية بالتواجد في الساحة الاردنية. وكان هذا التواجد في الساحة الاردنية ، يعتبر من قبل القيادة السياسية والعسكرية للمقاومة الفلسطينية حاجة استراتيجية اساسية. ولذلك ورغم كل المجازر التي أعدتها ونفذتها السلطة الاردنية ، وحلفاؤها ، للمقاومة ، ورغم أن التواجد في الساحة الاردنية ، اصبح أكثر استحالة ، الا أن الحسابات الجافة لاستمرارية المقاومة ، كانت تؤكد على ضرورة التواجد المكثف في الساحة الاردنية لان تغييب المقاومة عن الساحة الاردنية ، هو تحول كيفي في عمل المقاومة وفي تصوراتها الاستراتيجية والسياسية ومخططاتها المرحلية والبعيدة الامد . ورغم ان بعض المذهبيين اصروا على أنه لا يمكن للتواجد الفلسطيني المقاوم ان يكون في الساحة الاردنية ، الا من خلال وبعد اسقاط النظام الاردني الهاشمي ، الا أن هذا المتطلب النظري السياسي السليم بقي ، بالنسبة الى التيار العام للمقاومة الفلسطينية ، خاضعا لاولوية التواجد ، حتى ولو كان على حساب سلامة هذه النظرية . لذلك كان قرار اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في أيلول ١٩٧١ بالوساطة ، قرارا ينطوي على الكثير من انتظار غير المعقول بالاضافة الى انطلاقه من مقتضيات الاستراتيجية الفلسطينية بأن تتواجد في الساحة الفلسطينية ، مهما كلف الامر ، ومن ضرورة التواجد السياسي المنظم ، داخل مخيمات الفلسطينيين ، وفي القطاع الفلسطيني في الضفة الشرقية للاردن ، ومن الاهمية العسكرية لانطلاق العمل الفدائي من الاردن . كل هذه الاعتبارات، جعلت قيادة المقاومة تكبت غضبها على النظام الاردني وتعمل جاهدة على احتواء من يزايد على خطها المرحلي، رغم ان المزايدة لم تكن ، في المعيار التاريخي ، مزايدة بل تأكيدا لاستنتاج حقيقي لكون السلطة الاردنية جزءا من المحور الامريكي — الاسرائيلي في المنطقة . لقد كان قرار قيادة المقاومة بالقبول بالوساطة ، يشابه الى حد ما قرار الرئيس عبدالناصر بالقبول بمبادرة روجرز . وبقبولها بالوساطة ، وضعت المقاومة القوى المادية المرجحة لصالح السلطة الاردنية والقوى المعنوية والسياسية التي تشكلها المقاومة في الميزان . اعتبرت المقاومة

الفلسطينية بعد خروجها من المجازر المأساوية في أيلول عام ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ بحالة من الارهاق العسكري ، والارتباك التنظيمي ، والغياب لفعلها في كثير من الاماكن في الساحة الاردنية اعتبرت ان الوساطة توازن ما بين القوة المادية الشرسة للنظام والقوة المعنوية السياسية للمقاومة وان هذا التوازن ينطلق من موقع الانظمة العربية بشقيه المحافظ والتقدمي . كان هذا يعتبر كافيا بالنسبة للمقاومة ليمهد الطريق نحو المطلب الاستراتيجي والمرحلي المطلوب بالحاح وهو عودة التواجد الفدائي للساحة الاردنية . لكن الاعتبارات الاستراتيجية والتكتيكية والعسكرية والسياسية ، وضعت دون استكمال التقييم الدقيق للحقائق الاساسية في الواقع الاردني ، وهذا ما اشارت اليه قوى داخل فتح والجبهة الشعبية والديموقراطية ، والتي عللت رفضها للوساطة من حيث اقتناعها بأن السلطة الاردنية، انما هي خط دفاعي أمامي للمحور الاسرائيلي الامريكي في المنطقة.

لذلك فقد كانت الوساطة ، بالنسبة الى فئات متزايدة ، بحجمها وثقلها داخل المقاومة الفلسطينية ، مرفرضة بالنظر الى الاعتبارات الاساسية التالية : اولا : ان الاستمرار بمنطق التعامل مع الانظمة العربية ، يخلق آمالا مغلوطة عند الجماهير ، فيجعلها تنتظر من الانظمة اكثر مما باستطاعة هذه الانظمة ان تعطي . واشارت هذه الفئات الى ان اتفاقية القاهرة بعد مجزرة ايلول ٧٠ كانت بمثابة ادانة سياسية ضخمة لكن بدون اية عقوبة مهما هزلت. لذلك فان الادانة بدون العقوبة مكنت السلطة الاردنية، بأن تستأنف هجمتها الشرسة ضد المقاومة الفلسطينية . وبالتالي فان ادخال الانظمة العربية ، طرفا يتحكم بصيغة العلاقات بين المقاومة والسلطة الاردنية ، انما هو ادخال يرجح ، في نهاية الامر ، ومهما كانت الصياغات اللفظية له ، ابقاء وتركيز السلطة الهاشمية . ثانيا : كان الاعتراض على الوساطة ناتجا عن كون السلطة الاردنية تشكل موقعا اسرائيليا في المنطقة انطلاقا من النتائج الموضوعية لمسلكيتها وارتباطاتها مع الامبريالية. وهذا يحتم على المقاومة واقع الاصطدام معها . لئن كانت هناك اعتبارات كثيرة تتحكم بالاصطدام مع اسرائيل ، غير رغبة الاصطدام ومشروعيته، الا انه كان لا بد من حسم ما يتعلق بتقييم المقاومة للسلطة الاردنية. ان الاعتراض على الوساطة كان ينبثق من تصور استراتيجي ثوري ، بأن المقاومة الفلسطينية يجب ان لا تبقي نفسها سجينة اللاحسم . من هنا كانت الوساطة مدخلا للنظام الاردني ليستعيد مشروعية عربية له . وبالتالي كان كل تعامل مكثف او باهت مع السلطة الاردنية هو في النتيجة الموضوعية النهائية ، تعامل عربي مع اسرائيل . هذا التقييم الثوري المتقدم عن المراحل السابقة لمعادلات المقاومة الاردنية مع النظام الاردني ، جاء في اعقاب وضوح مخططات السلطة الاردنية من حيث تركيزها على محو المقاومة من الساحة الفلسطينية ، وجعل النظام الهاشمي المؤهل الاوحد للبت بمصير الشعب الفلسطيني وبالتالي انهاء القضية . اذن كانت الوساطة مدخلا تجريبيا للمقاومة الفلسطينية لتعيش معاناة تحديد اولوية مطاليبها . هنا تمكنت السلطة الاردنية ، اثناء مناقشات الوساطة ، بأن تسلك سلوك الاسرائيليين عندما كانت تسأل ازاء تباين آراء فصائل المقاومة : من هو الذي يتكلم باسم المقاومة ؟ لقد كانت مراوغة السلطة الاردنية ومحاولاتها لكسب الوقت ؛ ولترسيخ سلطتها وسطوتها في الساحة الاردنية ، ولالغاء فاعلية المقاومة ، وتطويق نمو الوعي السياسي والحركي للشعب الفلسطيني ، تماثل ما تفعله الدبلوماسية الاسرائيلية من حيث مراوغتها في المجتمع الدولي ، عندما تتساءل عن احتمالات وكيفية تنفيذ قرار مجلس الامن . وهي تهدف من وراء هذه المراوغة وهذا التعنت الى ترسيخ احتلال اسرائيل للاراضي العربية والى الغاء المعارضة والانتفاضة الفلسطينية ، وهو في ذلك يلتقي مع السلطة الاردنية في ازالة القضية الفلسطينية كقضية طارئة في المجتمع الدولي وفي الساحة العربية ، اذن فان اي نفاذ الى سلوك الوفد المفاوض الاردني ، اثناء مباحثات جدة ، كان يؤكد نمط

التصرف الذي كان الى حد كبير نسخة طبق الاصل عن نمط التصرف الاسرائيلي في الامم المتحدة .

حسم الموقف من النظام الاردني

جاء مقتل وصفي التل يحسم قضية الوساطة ويشير الى ان الشعب الفلسطيني لا يقبل بهذه الذبذبة في تحديد نوعية النظام الاردني . كان مقتل وصفي التل على الساحة الاردنية ، بمثابة عودة معركة الكرامة بالنسبة لوجود اسرائيل . اشرنا بنوع من التفصيل لقضية الوساطة لانها كانت الحلقة الاخيرة ، قبل قرار الحسم من قبل المقاومة الفلسطينية باسقاط النظام الاردني ذهنيا داخل اطاراتها كشرط مسبق لاسقاط النظام الاردني عمليا . ان هذا التطور في مواجهة النظام الاردني ، وفي اعتبار اسقاط النظام الاردني شرطا اساسيا من اجل تمكين المقاومة من متابعة نشاطها على الساحة الاردنية، احتل مكانة سياسية هامة ظهرت في مقررات المؤتمر الشعبي الفلسطيني والمجلس الوطني في ٦ نيسان ١٩٧٢ . ماذا تعني قضية اسقاط النظام الاردني ؟ هل تعني ان المقاومة الفلسطينية اخذت على عاتقها القيام بعمليات تصحيحية داخل الانظمة العربية ، بمعنى ان تتحمل مسؤوليات خارج اطار مسؤولياتها المباشرة في تنظيم وتعبئة وتثوير الشعب الفلسطيني ؟ ان الاجابة على هذا السؤال المشروع والذي يتردد على السنة الكثيرين دون ان يكون بصوت عال ضرورية ، نظرا لما ينطوي عليه هذا الشعار من اهمية استراتيجية مستقبلية بالنسبة للعمل الفلسطيني الثوري وبالنسبة للمجهودات الساعية للمشاركة العربية الفلسطينية . الاجابة تكمن فيما اذا اعتبرنا ان النظام الاردني ، هو بالفعل خارج اي مستوى من مستويات الارادة العربية ، اي انه لا يشكل جزءا او قطاعا من اية ارادة عربية ، بل انه يشكل جزءا من الارادة الاسرائيلية الامبريالية في المنطقة . واذا كان هناك من تردد في هذا الموضوع ، فقد جاء مشروع الملك حسين الذي تقدم به في ١٦ آذار ١٩٧٢ دليلا ثبوتيا على ذلك تماما مثلما كان تشومبي في كاتنغا ، جزءا من ارادة الاستعمار والمؤسسات الاستثمارية الاجنبية في الكونغو . اذا لم نحسم في هذا الموضوع حسما نهائيا ، فان كل المواقف ، مهما كانت عنيفة في الفاظها ، تبقى ناقصة من حيث انها تربك مستوى العلاقات العربية الفلسطينية ومستوى العلاقات الفلسطينية الاردنية . لذلك حتى ولو كان هناك خطأ في التفاصيل ، من حيث هذا الحسم بأن السلطة الهاشمية هي اداة من ادوات المحور الامبريالي ــ الصهيوني ، فان القناعة الجماعية لا تخطيء في التوجه . ان تسلسل العمليات القمعية التي قامت بها السلطة الهاشمية ، والسلوك الذي انتهجته ، مهما كانت دوافع الملك حسين من وراء مثل هذا القمع او مثل هذا السلوك ، ومهما كان باستطاعة المخابرات الامريكية المركزية، وأجهزة المخابرات والحرب النفسية الصهيونية، اخضاع قطاعات واسعة في الاردن الى عملية غسل دماغ سياسي ، توحي بأن الملك حسين انما ينطلق في سلوكه وسياساته من رغبة في المحافظة على عرشه فقط دون ان يكون حلقة من التآمر الصهيوني الامريكي على المنطقة ، ورغم انني من غير المقتنعين بالجوانب الذاتية لدوافع الملك حسين ، الا اننا لو سلمنا بأن هذه الدوافع هي ذاتية في الاصل ، فان هذا لا يحرفنا عن التقدير العلمي والموضوعي والتاريخي ومؤداه بان هذا السلوك انما هو تعبير عن ارادة اسرائيل في المنطقة . اذا لا بد من ازاحة السلطة الاردنية من كل حسابات العلاقات القومية المقبلة في المراحل القادمة .

صحيح ان وحدة التقييم ووحدة الموقف جاءتا نتيجة التجربة والخطأ ، وان المراحل السابقة ادت بكثير من الضحايا وان ترسبات التقييمات الخاطئة في مضمونها او في موقفها ، جاءت تربك حركة المقاومة ، وتربك العلاقات العربية الفلسطينية ، وتحول دون فرص انضاج وحدة الجماهير العربية حول المقاومة ، ومعها . الا ان الاسابيع

الماضية التي اعقبت المؤتمر الشعبي الفلسطيني شهدت وحدة في الموقف الفلسطيني نحو التوجه الى الساحة العربية . هذا لا يعني أن المعوقات السابقة لوحدة الموقف قد أزيلت نهائيا ، الا انها أخضعت لمقتضيات ومستلزمات الوحدة .

كيف تحقق الوحدة مع الجماهير ؟

ما هي المشاكل الفورية لتحديد مجالات هذه الوحدة الجبهوية بين المقاومة والجماهير العربية ؟ لعل اول سؤال يتبادر الى اذهاننا هو مع من تتفاعل المقاومة الفلسطينية حتى تؤمن لذاتها علاقة مباشرة مع الجماهير العربية ؟ هناك في الساحة العربية أحزاب تتفاعل بنسب متفاوتة مع المقاومة الفلسطينية ، من هذه الاحزاب احزاب تمارس السلطة كحزب البعث في سوريا وحزب البعث في العراق والجبهة القومية في اليمن الديمقراطية الشعبية ، ومنها من يعارض السلطة في بعض الاقطار العربية كالحزب الشيوعي في السودان والمعارضة التونسية واتحاد القوى الشعبية في المغرب وغيرها . منها من هو داخل في جبهة حاكمة مثل الحزب الشيوعي في سوريا وفي العراق والوحدويين الاشتراكيين في سوريا ، كما ان هناك اقطارا مثل مصر وليبيا والسودان حيث الجهة السياسية هي الاتحادات الاشتراكية فيها ، وهي ليست حزبا حاكما بالمعنى الحقيقي ، انما هي الجبهة السياسية المسؤولة عن علاقة السلطة مع الجماهير . هذه النماذج المتعددة تعتبر حلقات وسيطة لعلاقة المقاومة الفلسطينية بالجماهير العربية . السؤال الذي يتبع هو : هل ان المقاومة الفلسطينية بحاجة الى الحلقة الوسيطة ؟ او هل باستطاعة المقاومة الفلسطينية ، من حيث هي تعبير عن المقاومة العربية في الساحة الفلسطينية ، التوجه بموازاة مع الحلقات الوسيطة ، الى انشاء علاقات مباشرة مع الجماهير ؟ يتبع هذا تساؤل آخر وهو : انه بالاضافة للاحزاب الحاكمة والاحزاب المتحالفة ، هناك احزاب معارضة ، فكيف تكون طبيعة العلاقات معها ؟

لا بد أن تتحكم بطبيعة العلاقات بين المقاومة الفلسطينية وهذه القوى الموجودة على الساحة العربية اعتبارات اربعة اساسية : **اولا** : ان المقاومة الفلسطينية من حيث هي قطاع من واقع او احتمال ظاهرة المقاومة على الساحة العربية ، فانها ليست منفصلة عن الجماهير العربية ، حتى تكون صيغة تفاعلها معها مرتهنة بعلاقتها ، اي المقاومة ، مع أحزاب أو قوى محددة . اذا هناك حق طبيعي للمقاومة الفلسطينية بأن تكون علاقاتها مع الجماهير العربية ، علاقات تلقائية مباشرة مستمرة . هذا الحق الطبيعي منبثق عن وحدة الانتماءات القومية للشعب الفلسطيني والشعوب العربية . **ثانيا** : ان المقاومة الفلسطينية بممارستها المقاومة تكتسب مشروعية تجيز لها حق التداخل والتعامل والتفاعل بدون الحلقات الوسيطة من احزاب حاكمة أو متحالفة مع الانظمة أو معارضة لها ، لانه باعتبار الثورة بعيدة المدى ، لا تستطيع حتى ، ولو كانت في اقصى درجات الانسجام مع حزب حاكم او غير حاكم ، ان تعتبر ان المجتمع لا يمكن ان يفرز عمليات ثورية مستجدة . لذلك فان علاقاتها رغم انها — يجب ان تكون شديدة ، الا انها يجب ان لا تكون نهائية . وهذا يجب ان لا يؤدي الى عقدة لدى الحكم او الحزب الحاكم . وهذا ، بالمقابل ، يخضع الاحزاب لمبضع التقييم العلمي والثوري ولمقتضيات نضالاته القطرية والمرحلية ولعملية انتقال في سلم اولوياته التي لا ترتبط فقط بمتطلبات النضال الفلسطيني . ان المقاومة كمقاومة تكون في موقع طليعي متقدم داخل اطارات الجماهير الشعبية . فالحلقات الوسيطة من احزاب واتحادات وهيئات تكون اقنية التفاعل بين المقاومة والجماهير بالنسبة لاستعداداتها لتلبية حاجات المقاومة ، وحاجات نموها واتساع رقعتها ، ورضى الجماهير عنها ، وقبولها بقياداتها وباستعدادات الجماهير ان تتفاعل مع المقاومة من خلالها . ان جدوى الحلقات الوسيطة المشار اليها تحددها المقاومة نفسها وتحددها الجماهير نفسها ، لذلك فان العلاقة

الاصيلة القائمة هي بين المقاومة والجماهير وليست بين الحلقات الوسيطة والمقاومة ، الا بمقدار أصالة العلاقة بين الحلقات الوسيطة والجماهير . **ثالثا** : ان المقاومة الفلسطينية تكتسب مشروعية ثورية في تفجير الطاقات التصحيحية داخل المجتمعات العربية ، وبالتالي فان كل علاقة لها مع الاحزاب والقوى ، التي تمارس سلطة او تعارض ، تتحدد بمقدار استعدادات هذه الاحزاب والقوى ، أن تكون هي نفسها عناصر التصحيح . ولقد يقال في هذا المضمار بأن الاحزاب هي التي تحدد ما هو المطلوب من التصحيح ، الا أن التحديد الثوري لمعنى عملية التصحيح ونتيجتها هو المعيار الذي يجعل لقضية التحرير اولوية في سلم اهتمامات هذا المجتمع العربي أو ذاك . ومن حيث ان المقاومة الفلسطينية هي طليعة واقع أو احتمال المقاومة العربية فهي مؤهلة لتحديد مدى اقتراب قوى عربية أو احزاب عربية معينة من عملية التصحيح ومدى ابتعادها عنها . هذا لا يعني بأن تحتكر المقاومة الفلسطينية قدرة التحديد في هذا المضمار الا ان طبيعة موقعها المصطدم بشكل مباشر مع المعادلة الامبريالية الاسرائيلية في المنطقة ومن حيث انها أبعد القوى عن الوصول الى السلطة وممارستها، فان عندها من تلقائية البراءة ما يجعل معاييرها صحيحة وعلمية بالمستوى الموضوعي، وان تخلل هذه المعايير اخطاء في التفاصيل . **رابعا** : يستتبع هذا بالضرورة تأمين حالة انفتاح الاقطار العربية على تمكين المقاومة الفلسطينية من ممارسة حقوقها القومية الطبيعية ، وحقوقها المشروعة الثورية ، في التعبئة والتثقيف والتنظيم الجماهيري . هذا الانفتاح لا يعني بالطبع ان المقاومة الفلسطينية تصبح طلائع بديلة قطرية ، بل بالعكس فانها تصبح عوامل مساندة لجعل الطلائع المناضلة داخل هذه الاقطار ، بحالة من التوافق النظري والتطبيقي ، حتى اذا ما جاء التنسيق بين المقاومة الفلسطينية وبين القوى الجماهيرية، يأتي التنسيق ملبيا حاجات المقاومة وموزعا ادوار المقاومة على المستوى العربي العام. ان هذا الانفتاح يقتضي تكثيف العلاقات بين قطاعات الشعب الفلسطيني المنتظمة على المستوى المهني والنقابي مع النقابات المهنية والعمالية والطلابية في الساحة العربية ، لان العلاقات من خلال المؤسسات الشعبية والنقابية ، هو الذي يدفع النقابات الطلابية والعمالية والمهنية ، في الاقطار العربية ، ان تبقي لقضية التحرير اولوية في نضالاتها الطبقية ، كما تبقي القطاعات النقابات الفلسطينية في قدرة من مواصلة نضالاتها الطبقية الاجتماعية التصحيحية ، داخل المجتمع الفلسطيني بالاضافة الى تأكيدها اولوية التحرير على اهتماماتها الاساسية . كذلك الامر بالنسبة الى ضرورة تعبئة القطاع الثقافي من حيث ان دائرة العلاقات الثقافية هي التي تخصب الدورة النفسية الواحدة بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، اذ أن التوجه نحو انماء الوعي الثقافي العربي عند الشعب الفلسطيني هو الذي يجعل من التميز الفلسطيني في الواقع العربي تميزا واعيا لمرحليته . كما انه علينا ملازمة هذا الوعي الثقافي بثورة ثقافية عند الجماهير العربية حتى تعتبر هذه الجماهير بأن قضية فلسطين هي محور همومها لا القومية فحسب، بل محور اهتماماتها الوطنية والقطرية أيضا. من هنا تصبح قضية فلسطين بالنسبة لكل الاجيال، ليست عملية تبرئة ذمة ، بل ممارسة يومية ، داخلة في صميم الوجدان الحياتي والوطني والقومي . لذلك فان واقع التفاعل التلقائي من خلال المؤسسات النقابية والثقافية ، من خلال مؤسسات البحوث والدراسة ، يوجد نمطا من العلاقات الثابتة ، التي هي كفيلة بأن تقف بوجه المحاولات المستمرة والمتكررة التي تقوم بها اجهزة الحرب النفسية ، الخاضعة للمخططات الاميركية والاسرائيلية في المنطقة ، من حيث أن هذا المحور يؤمن استمراره ونمو نفوذه ، وسلطته في المنطقة ، لا من حيث قواه المادية والعسكرية فحسب ، بل أيضا من خلال انسياب معالم التكاسل الانفصالي على الوحدة القومية . فاذا ما تمكن هذا المحور الامريكي الاسرائيلي من ان يصوب هذه الحرب النفسية لفسخ الشعب الفلسطيني عن انتماءاته القومية، وحتى اذا عجز عن سلخه، لكنه

تمكن على الاقل من جعل علاقاته وانتماءاته متوترة ، والى حد ما متنافرة ، فانه يكون قد تمكن من خلال تنمية الظاهرة الابتعادية عند الشعب الفلسطيني ، من تقليص كل الانتماءات القومية عند الجماهير العربية . ان قضية الشعب الفلسطيني ، تبقى بسبب طبيعة الغزوة الصهيونية لفلسطين وبسبب الصمود الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية في نصف القرن الماضي ، هي القضية المحورية القومية في الوجدان الجماهيري .

حركة المقاومة العربية

لذلك فان المؤسسات الثابتة المنتمية قوميا والحائلة دون انسياب الافكار الاقليمية والانفصالية ، والمحصنة للجماهير الفلسطينية بشكل خاص والعربية بشكل عام ، وخاصة حيث يكون هناك تواجد فلسطيني مكثف ، تؤدي الى الحيلولة دون نمو الظواهر الابتعادية وتؤدي الى تقوية وتعميق تلقائية العلاقة وعفوية الانتماء القومي وطبيعيته . اذا تأمنت سلامة المناخ القومي ، عطلت المحاولات الساعية الى تفكيك العلاقات القومية العضوية ، عندئذ تصبح المقاومة في حالة علاقة دائمة مع الجماهير ، وعندئذ فان هذه العلاقة هي التي تحدد دور ونوعية الحلقات الوسيطة . ان الحلقات الوسيطة أي الاحزاب والقوى السياسية المنظمة هي ، في أي توجه أساسي ، قوى وتنظيمات مرحلية، واذا صدقت في شعاراتها فانها لا تتصور نفسها اكثر من انها تعبير عن ضرورات مرحلية ، لكن الاحزاب العربية بشتى تشكيلاتها ، اثبتت عجزا في التعبئة الجماهيرية الشاملة . ورغم اننا لسنا في صدد تقييم هذه الاحزاب ، الا من خلال كونها جسورا للعلاقة بين المقاومة واحتمالات المشاركة الجماهيرية العربية ، فانه لا بد لنا من ان نحدد ان المطلوب ، اذا اجيز لنا الاختصار الاستنسابي ، اننا بحاجة الى ما يشابه حزب المقاومة العربية . مما لا شك فيه ان فئات كثيرة من العاملين داخل هذه الاحزاب والقوى يشكلون نواة مثل هذه الحركة ، الا أن الاحزاب لا تحاكم بنواياها او ببرامجها، انما بسلوكها وممارساتها ، وان تجربة العرب المريرة خلال السنوات التي عقبت قيام اسرائيل ، كلها تشير الى فجوة عميقة او الى هوة عميقة بين البرنامج المعلن والممارسة على ارض الواقع . واذا نحن قفزنا الى اعلان نتيجة ، وهذا غبن قد الحقه بالبعض ، الا ان هذه الهوة ، هي التي مكنت ، تمحور القيادة السياسية في زعامات فردية ملهمة ، وهو الذي مكن قيادة عبد الناصر ، من خلال مواقف حادة، حاسمة ، واضحة ، مبسطة ، ان تستقطب الجماهير التي كانت مصالحها الوطنية والطبقية متوجهة تلقائيا نحو المؤسسات والاحزاب التي عجزت أن تكتسب ثقة الجماهير على فترات زمنية طويلة . ثم ان قيادة عبد الناصر في هذا المضمار ، عودت الجماهير ان تكون مشدودة الى القيادة ، دون ان تكون مرتبطة بمؤسسات . لكن عبد الناصر لم يتمكن من ان يصدق بأن الاحزاب التي تعامل معها ، هي احزاب بالمعنى الذي طرحت نفسها به ، اذ انها اجازت للانقلابية العسكرية ، أن تتسلق الثورات وان تجهضها . لذلك فان فئة عسكرية ، تختبيء وراء شكلية التنظيم الحزبي ، لا تضفي على هذا الحزب شرعية الوجود الحزبي . كما ان الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، رغم ما اسهمت به من حيث عملية الايقاظ الجماهيري ، والتوعية وتوجيه هذه النضالات في عدة مراحل ، وما اعطته ، بالمشاركة مع حزب البعث وحركة القوميين العرب ، للجماهير من قدرة على عدم الانزلاق في مهاوي التفكير اليميني التبسيطي ، الا ان الاحزاب الشيوعية ، باستثناءات فردية او فئوية ، لم تظهر او تثبت قدرتها على الاجتهاد النظري والحزبي الذي يعجز عن الابداعية النظرية يعني انه عاجز عن الالتصاق الحميمي بالجماهير . فالاحزاب الشيوعية في المنطقة العربية ، لم تتمكن من ابراز فهم ثوري واضح لبعض المميزات والخصائص الملازمة للتحرك الثوري العربي ، مثلما تمكنت الاحزاب الشيوعية في الصين والفيتنام وايطاليا والى حد ما بشكل مختلف يوغوسلافيا وفي شيلي وكوبا .

كل هذه التململات في الواقع الشيوعي العالمي ، برزت اثر نمو القناعة عند الاحزاب الشيوعية وتزايدها بضرورة ادخال المعاناة الوطنية والقومية ، في صميم النظريات الاممية . وان واقع الثورة العربية المعاصرة ، التي كانت بحاجة قصوى ، الى مثل هذه الابداعية الثورية ، التي تلازم معايشة المعاناة بكافة جوانبها ، بقيت حالة جماهيرية ، ولم تستكمل هيكلها لان تصبح ثورة منتجة ، لذلك فان هذه الحالة الثورية، التي هيأتها الظروف الموضوعية والحاجات الملحة والتحديات الامبريالية والرجعية والصهيونية ، هذه الحالة الثورية مكنتها او جعلتها ، في غياب منظماتها الثورية المبدعة، ان تصبح مستباحة للانقلابات العسكرية . فكان في بعض الاحيان ان تقلصت الثورات الممكنة الى انقلابات متتالية . وما ينطبق على الاحزاب الشيوعية من خلال افتقارها الى طاقة الابداع ينطبق ايضا على باقي الاحزاب ، التي اشرنا اليها ، والتي كانت تعبيرا اصيلا مثل حزب البعث وحركة القوميين العرب ، عن تطلعات قومية متطورة ولكنها استساغت السلطة ، بشكل جعلها تخضع اجهزة الحزب الى من سهل لها تسلق السلطة . وقد ظهر ايضا على الساحة العربية بحركات اليسار الجديد ، التي وان تمكنت من أن تفلت قطاعات من الجيل الجديد من مكتبية الاحزاب الشيوعية ، وعسكرية احزاب البعث ، وعشوائية الاتحادات الاشتراكية ، الا انها كانت يسارا جديدا ، بمقدار انها تطور جديد في المنطقة ، لان المطلوب ليس يسارا جديدا بل يسارا متجددا . واليسار المتجدد العربي يشمل اليسار الجديد ، ولكنه يتجاوزه ، وهذا اليسار الجديد المتجدد ، كامن في حركة المقاومة الفلسطينية من خلال ممارساتها اكثر مما هو ظاهر من خلال مذهبيتها. لان الممارسة تنشيط لعملية التجديد ولان الركود في الممارسة يعصب المذهبية ، ويجعل من التزمت العقائدي تعويضا لفقدان قدرة الممارسة النضالية . بهذا المضمار يتراءى لنا ان المطلوب ليس يسارا جديدا يضيف الى التنظيمات والقوى اليسارية او المتيسرة الموجودة على الساحة العربية ، انما المطلوب يسار متجدد ، يتمكن من استقطاب كافة الملتزمين بأولوية قضية التحرير الفلسطيني ، داخل اطار جديد ، داخل اطار يكون بمثابة نقطة الالتقاء للذين يعانون القلق الحقيقي داخل احزابهم ومنظماتهم ، من جراء ما حصل من انحرافات او من ممارسات خاطئة او من تغليب القول على الفعل ، والشعار على الممارسة . ان التجاوز المطلوب هو أن عددا كبيرا من الملتزمين باولوية قضية التحرير مبعثرون في احزاب ومنظمات مختلفة ، يشكلون اقلية وجدانية داخل الاحزاب الحاكمة، ويشكلون طلائع صراعية داخل احزاب معارضة، ينطلقون من مفاهيم واحدة ، لكنهم يعملون في اجهزة وتنظيمات مختلفة . ان ما عنيناه بالمقاومة كونها اداة تفجير طاقات التصحيح ، داخل المجتمعات العربية ، هو ان مستلزمات المقاومة وجودا ونموا هي المعايير الموحدة لكل ملتزمي التحرر . لذلك فالمقاومة الفلسطينية اذ تتوجه بقوة الآن نحو تنظيم مشاركاتها العربية ، وتنظيم المشاركات العربية مع المقاومة الفلسطينية لا بد من ان تكتشف أنها تعمل في مستويات اربعة مختلفة : **المستوى الاول** : هو مستوى التفاعل والتعامل مع ما هو متوفر وظاهر. هذا المستوى قادر على فرز الملتزم من المتعاطف من المتملق . **المستوى الثاني** : ان المقاومة الفلسطينية ستدرك ان مهماتها الاساسية تتعلق في الاسهام بتنظيم الملتزمين ، وتكثيف عملية تعبئة المتعاطفين ، وتحييد ثم عزل المتملقين والانتهازيين . هذا الفرز سيكون اكثر دقة في تبيان الفروقات بين الملتزم والمتعاطف والمتملق كلما توضحت معالم الطريق الطويل لعملية التحرير . **المستوى الثالث** : ان المقاومة الفلسطينية ستكتشف ، ان لم تكن قد اكتشفت بعد ، ان الجماهير العربية ، التي يكثر الناطقون باسمها ، تجد نفسها غير منضوية داخل الاطارات الحزبية القائمة ، وان كانت تؤيد تحالف البعض منها في مراحل محددة ، وان هذه الجماهير العربية تختزن في ذاتها حيوية ثورية ، عبرت عن نفسها بانتفاضات ولكنها لم تعبر عن نفسها بعمليات ثورية متواصلة ، كما

أن هذه الجماهير من حيث اختزانها لهذه الطاقات الثورية غير المستحدثة ، لديها استعداد للانضباط ، وان مدخل انضباطها السياسي هو مدى التوافق بين المقاومة الفلسطينية وبين من هم على استعداد للانتظام في أطاراتها . **المستوى الرابع** : ان ما سميناه اعتباطا حركة المقاومة العربية ، او طموحا حزب المقاومة العربية هو الاطار الذي تنتظر الجماهير انضاجه ، من حيث كون هذه الحركة ، هي التي تحسم بأن أولوية التزاماتها هي القضية الفلسطينية أي قضية التحرير . وأن هذه الحركة غير المرئية هي التي كان منتظرا أن تقوم اثر هزيمة ٥ حزيران وأن لا يكتفى بكونها ظاهرة فلسطينية محضة ، والا فقدت المقاومة الفلسطينية قدرتها على الاستمرار والمجابهة . فاذا كانت المقاومة الفلسطينية قطاعا من حركة عربية ، فليس باستطاعة المقاومة الفلسطينية ، ان ترضخ لتركيبة عربية جبهوية ، ليست من صميم معدنها النظري والسلوكي والتنظيمي ، اذ ان ابقاء الشعب الفلسطيني في مستوى مختلف من التنظيم الثوري والسياسي عن باقي الجماهير العربية ، يعني ابقاء مسؤولية التحرير مسؤولية فلسطينية في الاساس ، يشترك باقي العرب فيها من حيث المساندة والتعاضد ، لكن الرد على هذا المستوى من التنظيم يكمن في ان التركيب الديموغرافي ، والخلفية التاريخية للشعب الفلسطيني ، من حيث هو الضحية الاولى للغزوة الصهيونية ، يضع الشعب الفلسطيني ، في وضع المرشح للتثوير اكثر من باقي الشعوب العربية ، التي تعيش في مجتمعات ابنيتها الادارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية الى حد ما متكاملة وراسخة. هذا التفاوت في الظروف بين الشعوب العربية والشعب الفلسطيني، هو الذي يجعل من حركة المقاومة العربية ، متنوعة في الاسلوب ولكنها مركزية في التنظيم والتوجيه . لان جعل تباين اوضاع الشعب الفلسطيني مدخلا لتعدد اوجه التنظيم في الساحة العربية الجماهيرية ، يحرف توجه الطاقات العربية الثورية نحو التحرير اولا ، ويحرفها ايضا عن تعميق مفاهيم التزاماتها الوحدوية ، كما يزيح عن بصيرتها الادراك بأن هناك تلازما حتميا بين الثورة الاجتماعية الجذرية، داخل المجتمعات العربية والخطوات الوحدوية والتحريرية في الساحة الفلسطينية والعربية . فاذا لم يكن هناك مركزية في التوجيه ، مع التسليم بضرورة التعدد والتنوع في الادوار ، عندئذ نسلم بأن التميز الفلسطيني ، لم يعد من ضمن الخصائص المرحلية للنضال الثوري الفلسطيني والعربي ، انما هو تميز يحمل في ثناياه احتمالات الانسلاخ عن طاقات الثورة العربية ، وهي الطاقات نفسها القادرة على تجديد حيوية المقاومة وتطويرها الى ثورة .

لذلك اشرنا الى أن المقاومة الفلسطينية ، في حال انجازها خطواتها الوحدوية الوطنية داخل اطارها تصبح بشكل مباشر او غير مباشر ، اداة التفجير للطاقات الوحدوية والتصحيحية داخل المجتمع العربي . فاذا ما تفجرت طاقات التصحيح اكتشفت وحدتها، من خلال رفضها لواقع التجزئة ، وما ينطوي عليه واقع التجزئة من ممارسات خاطئة تصيب المقتل في عملية تحرير فلسطين . ومن هنا فان المقاومة الفلسطينية تصحح ايضا الكثير من ترسبات الحركات والمنظمات والقوى التقدمية والعربية ، من خلال التزامها بمفاهيم علمانية تقدمية . لذلك فان ما اشرنا اليه ان نتيجة عملية التصحيح في الساحة العربية ، هو بروز اليسار المتجدد الذي يتمكن في مراحل لاحقة ان لا يجعل من القلق الذي تعيشه الاوساط الملتزمة العربية حالة ضياع ، بل ان تكتشف من خلال حيوية القلق طاقات الثورة التي تنطوي عليها ، ومن خلال اكتشافها لهذه الطاقات تكتشف الجماهير التي تختزن هي بدورها الطاقات الثورية المكبوتة ، التي كبتها الارهاب او اقصتها السلطات التي تخاف من الجماهير .

ان توجه المقاومة الفلسطينية الآن نحو وضع صياغات المشاركة يجب أن يعتبر عملية انتقالية مرحلية وليس صياغة للعمل المستقبلي .

ناحوم غولدمان :
الوسيط تحت الطلب

الدكتور اسعد رزوق

اوراق اعتماد ناقصة

منذ ربيع ١٩٧٠ اخـذت الاضواء في التسليط اكثر من ذي قبل عـلى شخصية الزعيم الصهيوني العالمي ناحوم غولدمان ، وبنوع خاص على الآراء والتصريحات التي يدلي بها والمواقف التي يتخذها . وليس القصد من وراء تسجيـل هذا الاهتمام بما يصدر عن غولدمان ان يتم تجاهل التاريخ الحافل الذي خلفه وراءه في ميدان العمل الصهيوني وعلى صعيد النشاط اليهودي العالمي . فالرجل شغل منصب الرئاسة في المنظمة الصهيونية العالمية طيلة اثني عشر عاما (من ١٩٥٦ الى ١٩٦٨) ، وتسلم عـام ١٩٤٩ رئاسة المؤتمر اليهودي العالمي بالوكالة لكي يصبح رئيسه الاصيل منذ عام ١٩٥٣ ، حيث مـا زال يشغل هذا المنصب الاخير حتى الآن . لكن اسم غولدمان قفز الى عناوين الصحف العالمية في ربيع ١٩٧٠ بمناسبة ما أشيع عن اتصالات تمهيدية قام بها بغية التوصل الى لقاء الرئيس الراحل عبـد الناصر والتفاوض معه حول ايجاد حـل سلمي لما يعـرف بـ « ازمة الشرق الاوسط » ، وعلى سبيل التحديد : للنزاع العربي ــ الاسرائيلي . ولقد سبق لناحوم غولدمان في اعقاب تسلمه رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية (١٩٥٦) ان حاول القيام بمسعى مماثل للاجتماع الى الرئيس عبد الناصر ، فجاء العدوان الثلاثي على مصر آنذاك ليقطع الطريق على مشروعه ويفسد مسعاه(١)*. بيد ان النجاح الذي احرزه غولدمان على صعيد اللقاء المنشود ظل محصورا باجتماعه الى الملـك الحسن الثاني في الرباط وبتاريخ ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠(٢). وازاء التصريحات الرسمية المتكررة من جـانب المسؤولين الاسرائيليين : بان ناحوم غولدمان لا يمثـل الـدولة الصهيونية ، ولا يحق له بالتالي التصرف على هذا الاساس دون الرجوع الى الاوساط الحاكمة في اسرائيل ــ حرص الزعيم الصهيوني ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي علـى ابراز الامور التالية من خلال حديث اجرته معه الاذاعة الاسرائيلية : ا ــ الاجتماع الى ملك المغرب تم بناء على رغبة الحسن الثاني وطلبه ، وعن طريق احد اصدقاء الطرفين (وهو شخص فرنسي مقيم في باريس ولعب دور الوسيط) . ب ــ اشترك غولدمان في المقابلة بصفة شخصية ، وليس باعتباره رئيس المؤتمر اليهودي العالمي او احـد المبعوثين الديبلوماسيين لدولة اسرائيل . ج ــ خلال الاجتماع حصل بين الرجلين تبادل في الآراء حول ازمة الشرق الاوسط .

والذي يسترعي انتباهنا في هذا الصدد ، ولا سيما بالنسبة لزيارة غولدمان التي لم تتم الى القاهرة ، هو تلك الضجة المفتعلة التي قامت في اسرائيل ولدى أوساطها الحاكمة بنوع خاص . حتى ان الجنرال عيزر وايزمان (القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي ،

ثم وزير المواصلات في حكومة التكتل الوطني ، والرئيس الحالي للجهاز الاداري في حركة حيروت) اعتبر ما اسماه بـ « الغولدمانية » من الظواهر التي تميزت بها مرحلة حرب الاستنزاف في مطلع صيف ١٩٧٠(٣). كما نقلت وكالات الانباء العالمية في ذلك الحين وعن الصحف الاسرائيلية بالذات (« يديعوت احرونوت » و « معاريف ») ان غولدا مئير قامت بتوجيه أقسى التهم الى ناحوم غولدمان بسبب اللقاء الذي كان يزمع اجراءه مع الرئيس المصري . وقيل آنذاك — على لسان الصحف المذكورة اعلاه — ان رئيسة الحكومة أعربت عن استهجانها الشديد لموقف غولدمان من النزاع العربي — الاسرائيلي، هذا الموقف الذي كان له « وقع الصدمة القاسية » في نفسها . ثم استطردت مئير بقولها ان غولدمان ليس مؤهلا لتمثيل اسرائيل في اية محادثات تجري مع مصر . وكانت مقالة ناحوم غولدمان المنشورة في مجلة « فورين أفيرز » الاميركية تحت عنوان « مستقبل اسرائيل » قد نادت بالدعوة الى « تحييد » اسرائيل واخراجها من دائرة سياسة القوة في العالم الراهن ، كما اشارت الى ما يستتبع عن هذا التحييد من تمركز قوات دولية رمزية وبصورة دائمة في دولة اسرائيل(٤). لكن الجهات النافذة داخل اسرائيل ارتأت الاشارة الى دعوة « التحييد » هذه في معرض قولها ان ناحوم غولدمان — كما يستفاد من مقالته تلك — يضع وجود الدولة بالذات موضع التساؤل . مما افسح المجال أمام رئيسة الحكومة لكي تتساءل في غمرة الهجوم على حامل الجنسية الاسرائيلية — والرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية بالاضافة الى رئاسته الحالية للمؤتمر اليهودي العالمي — بما يلي : « كيف يمكن ايفاد مثل هذا الرجل الى القاهرة ؟ وباسم من ينطق غولدمان ؟ » .

أما الناطق الرسمي بلسان حكومة اسرائيل فقد استبق الحملة التي شنتها رئيسة الحكومة على الدكتور غولدمان ، وادلى عقب اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي في مطلع نيسان (ابريل) ١٩٧٠ بالتصريح التالي نصه : « توصلت الحكومة الى نتيجة مفادها أن كل اعلان عن الاستعداد من جانب الرئيس المصري لعقد اجتماع يمكن خلاله مناقشة القضايا التي تهم مصر واسرائيل سوف يقابل من جانبها هي بنوايا طيبة ، شرط ان تترك الحرية لكل جهة في تسمية ممثليها . ولهذا السبب جاء الرد بالنفي عندما طلب الدكتور غولدمان الى الحكومة ان تمنحه الموافقة على لقائه مع الرئيس المصري » . ومضى الناطق قائلا : « ان عضوا بمفرده فحسب من بين أعضاء الحكومة البالغ عددهم ٢٤ وزيرا أعرب عن موقف مغاير لموقف زملائه . وهذا العضو لم يكن وزير الدفاع ، موشيه دايان »(٥).

توزيع الادوار

لكن التصريح الرسمي الاسرائيلي — وهو الذي جرت صياغته على النحو المشار اليه — لم يضع حدا نهائيا لازمة الزيارة والملابسات التي احاطت بها . فقد صرحت احدى سكرتيرات غولدمان في القدس بان « الدعوة » الى القاهرة لم تأت نتيجة مبادرة صدرت عن ناحوم غولدمان . وتبين فيما بعد ان الروايات متضاربة ، على الاقل في ظاهرها . فهناك رواية أدلى بها احد الناطقين بلسان الحكومة الاسرائيلية كالآتي : قام الدكتور ناحوم غولدمان — وهو الذي يحمل الجنسيتين الاسرائيلية والسويسرية ، ويقيم بمدينة جنيف — بابلاغ رئاسة الوزارة في اسرائيل منذ اسبوعين (خلال النصف الثاني من شهر اذار ، ١٩٧٠) في ان « جهات عديدة » تلح عليه الحاحا شديدا لحمله على السفر الى القاهرة والاجتماع هناك الى الرئيس عبد الناصر . بينما اشترط الرئيس المصري — على حد قول الناطق اياه — لاتمام هذا اللقاء ان يجري بمعرفة الحكومة الاسرائيلية وموافقتها ، وان يذاع أمره علانية(٦).

وفي رواية غولدمان ، التي افضى بها خلال مقابلة اجرتها معه مجلة « دير شبيغل »

الالمانية ونشرتها في أواخر نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ، تطالعنا الامور التالية : ان مسألة تلقيه الدعـــوة لزيارة القاهرة كان حظها بالحدوث يتراوح بين ٥٠ و٦٠ بالمائة،واقترنت بشرطين هما ذهابه بصفة شخصية وليس كممثل للحكومة ، وضرورة ابلاغ رئـــاسة الوزراء الاسرائيلية بالامر . وبناء عليه ، فقد سافر غولدمان الى اسرائيل ، حيث اجتمع الى غولدا مئير وحذرها من مغبة عرض الطلب على مجلس الوزراء بصورة رسمية ، لئلا تكتسب مهمته طابعا رسميا وتتسرب اخبارها بالتالي الى خارج القاعات المغلقة . لكن مئير لم تأبه لتحفظات غولدمان . بل عمدت الى طرح الموضوع بصورة رسمية على مجلس الوزراء لكي يصار الى ادماجه في صلب الموقف الاسرائيلي وتخريجه على الشكل الذي تضمنه البيان الصادر عن الناطق الرسمي . اما كيف حصل ذلك ، فتقول رواية غولدمان ان الانباء تسربت الى مراسل صحيفة « لوموند » في القدس ، اندريه سكيماما. وعندما تبين للحكومة ان المراسل المذكور على علم بما يجري ، بادرت الى عقد اجتماع لها على جناح السرعة وارتأت اذاعة الخبر بنفسها وعلى طريقتها الخاصة(٧). ثم جاءت تصريحات غولدا مئير في استهجان موقف غولدمان والتساؤل عن الجهات التي خولته صلاحية النطق بلسانها ، لا بل التشكيك في أهلية الزعيم الصهيوني واليهودي وصلاحيته للقيام بدور اعتبرته «تمثيـــل اسرائيـــل في محادثات مع مصر » . ونقلت الصحـــف الاسرائيلية في حينه على لسان رئيسة الحكـــومة ان رواية غولدمان عن احاديثه مع اعضاء الوزارة الاسرائيلية بشأن زيارته « المرتقبة » الى القاهرة لا تنطبق على الوقائع بدقة . كما هددت غولدا مئير باللجوء الى افشاء المضمون الحقيقي على الملأ ، فيما لو تمسك الدكتور غولدمان بروايته .

وممـــا تجدر الاشارة اليه ان غولدمـــان لم يحاول التنصل من صفاتـــه الاسرائيلية والصهيونية ، بل اعتبر زيارته بمثابة الدعوة التي يتـــم توجيهها لاول مرة الى مواطن اسرائيلي كان طيلة سنوات عديدة على راس المنظمة الصهيونية العالمية ـــ كما افصح عن ذلك في المقابلة المذكورة أعلاه . فقد سألته « دير شبيغل » اذا كان رفض الحكومة الاسرائيلية لقيامه بدور الوسيط بين الطرفين مرده الى الانتقادات التي وجهها لسياسة اسرائيل ، واجاب بطريقته الديبلوماسية التي تتفادى الاحراج قائلا : « لم يكـــن لدي ثمة قصد في اجراء مفاوضات . وكما قلت للسيدة مئير ، لم تحـــدوني الرغبة في القيام بدور الوسيط : « يارينغ اليهودي » . ثم استطرد غولدمان فقال انه ابلغ غولدا مئير وابا ايبان وموشيه دايان وغيرهـــم من الوزراء بانه لا ينوي التقدم بمقترحات خـــلال الزيارة . فلو سئل في القاهرة ، مثلا ، عما سيحل بكل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، لكان جوابه على هذا السؤال : « انا لا اعرف ذلك ، لان حكومة اسرائيـــل بالذات لا تعرفه »!(٨).

ولئن كان ناحوم غولدمان على عادته في البوح بما يراه ملائما للظروف فحسب ، فلا يغير هذا التحفظ الديبلوماسي شيئا من الدور الذي يضطلع به الزعيم الصهيوني واليهودي في خدمة الاهداف والمخططات الاسرائيلية . ولم يتهيأ لتلك التهديدات الصادرة عن غولدا مئير اخراج غولدمان عن طوره وحملـــه على التراجع عن روايته . كمـــا اتضح لاحقا ـــ وهذا ما سنبادر الى تناوله بعد قليـــل في سياق تحليلنا ـــ بان اختـــلاف الروايات وتضارب التفسيرات في الظـــاهر ينم عن شيء من التنسيق المسبق في المواقف بـــين « الغولدمانية » والمؤسسة الحاكمة في اسرائيل . فالرجل الذي جردته رئيسة وزراء اسرائيل في ربيع ١٩٧٠ من كافة المؤهلات والصلاحيات التي تكرس انتدابه للقيام بمهمات حيوية ضمن الخط الرسمي للسياسة الاسرائيلية ، وناحوم غولدمـــان بالذات ، قـــد استعاد اعتباره بعد مضي عامين تقريبا على قصة الزيارة التي لم تصله دعوتها وكادت مختلف الروايات المنسوجة حولها ان تؤدي الى نشوب ازمة مفتعلة. وفي منتصف شباط

(فبراير) ١٩٧٢ تبين بما لا يقبل الشك ان ناحوم غولدمان ما زال حائزا على ثقة غولدا مئير ورضاها ، رغم كل التصريحات والتكذيبات . فقد اكدت رئيسة وزراء اسرائيل مؤخرا بانها خولت رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، ناحوم غولدمان ، صلاحية القيام باجراء اتصالات مع مصر لترتيب لقاء سري يحضره ممثل لكل من الطرفين ، المصري والاسرائيلي ، بغيه التباحث في أمر احتمال التوصل الى أساس يصلح لايجاد التسوية السلمية بين الدولتين : مصر واسرائيل . واعترفت مئير هذه المرة بان القاهرة رفضت الاستجابة للطلب المعروض من الجانب الاسرائيلي وعن طريق ناحوم غولدمان والاوساط الدائرة في فلك اتصالاته « الشخصية » ــ بعد ان سبق لها نفي الانباء المتعلقة بمحاولات غولدمان في هذا الاتجاه ونعتها بالتلفيق والغلط . حتى انها وجدت من المناسب ايضا وصف الرواية التي أدلى بها غولدمان عن فشل المحاولات الرامية لتدبير اللقاء بـ «الصحة» والاصابة(٩).

والمعروف ان غولدمان افضى بمعلوماته عن طريق مقابلة هاتفية في باريس أجرتها معه الاذاعة الاسرائيلية ، ثم عاد وكرر القصة في حديث خاص مع وكالة الصحافة الفرنسية (١٨/٢/١٩٧٢)(١٠). فقد صرح غولدمان ــ هذه المرة ايضا ــ بان «الوسطاء» الذين فاتحوه بالامر لتدبير اللقاء بين الطرفين لم يتقدموا منه « بدعوة صريحة للغاية » ، بل كانت المسألة محصورة بمحاولات ترمي الى « جس النبض » لدى الاطراف المعنية . ورغم ذلك بادر من طرفه الى احالة الموضوع على غولدا مئير ، فأتى ردها بالايجاب . لكن تفشيل اللقاء كان مرده الى عزوف الجانب المصري عن المشاركة في ايجاد تسويات من هذا القبيل ومن خلال لقاءات لا تزال سابقة لاوانها في الظروف الراهنة .

هل طرا تحول ؟

نتوقف هنا لطرح سؤال يتعلق بأوجه الشبه أو المفارقة بين الصيغتين اللتين انتشرت حولهما مختلف الروايات في الصحف والتصريحات . ثم ننتقل الى التساؤل عن طبيعة « التحول » ــ اذا جاز هذا الوصف ــ الذي طرأ على موقف غولدا مئير وحكومة اسرائيل من ورائها .

اكدت غولدا مئير في تصريح صادر عن مكتب رئاسة الوزراء مساء الثلاثاء (١٥ شباط ، ١٩٧٢) ان محادثات سرية لاجراء اتصالات مصرية ــ اسرائيلية قد تمت عن طريق الدكتور غولدمان . وجاء هذا التصريح الرسمي في اعقاب خبر أوردته صحيفة « يديعوت احرونوت » عن اجتماع عقد يوم الاثنين بين غولدا مئير وفريق من الاساتذة الجامعيين ونوقشت خلاله مسألة الاتصالات الجارية . لكن غولدمان فوجيء على ما يبدو باذاعة الخبر رسميا ، فقال يوم الاربعاء (١٦ منه) بانه لا يفهم لماذا سمحت غولدا مئير بنقل المسألة الى الصعيد العلني وترك الاخبار تنتشر(١١). واستهجان الدكتور ناحوم غولدمان هذه المرة يقابله الاستهجان الذي اعربت عنه رئيسة الحكومة الاسرائيلية في المرة السابقة . ويضاف اليه هذا الطابع التصديقي الذي اسبغته غولدا على غولدمان .

ويؤخذ من الانباء الواردة حتى كتابة هذه السطور ان رئيسة الحكومة الاسرائيلية أعطت موافقتها على المسعى الغولدماني هذه المرة دون الرجوع الى اعضاء وزارتها واستشارتهم في الامر . فقد كشفت غولدا مئير أمام اجتماع ضم ١١٠ أشخاص من اساتذة الجامعة العبرية بالقدس ان الموافقة حدثت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام الفائت . واختارت التعبير على النحو الآتي : « كان الامر يتعلق بشخصية لا اتفق معها في الرأي تمام الاتفاق ، ولكنها تحظى بتقديري » . فالدكتور ناحوم غولدمان هو المقصود بهذا الكلام دون شك . وهناك معلومات تفيد ان بعض المثقفين الفرنسيين من

اليساريين هم الذين كانوا وراء تحريك المساعي الرامية الى ترتيب لقاء غير رسمي بين ممثلين عن الاطراف المتنازعة في الشرق الاوسط ، وان المسألة تتصل عن كثب بالاستعدادات التي كانت تجري في روما (نيسان ، ١٩٧١) لعقد « مؤتمر السلام والعدالة » في مدينة بولونيا الايطالية . فالمعروف انه تقرر عقد المؤتمر المشار اليه في غضون شهر كانون الاول (ديسمبر) من العام الفائت ، كما ان حزب « مابام » الاسرائيلي لعب دورا بارزا في انتقاء العناصر الاسرائيلية على نحو يضمن اشراك مؤيدين للصهيونية الى جانب الفئات المناهضة لها . فقد علمت « نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية » (١٩٧١/١٢/١) ان تشكيل الوفد الاسرائيلي جرى بصورة شبه سرية ، مثلما سعى القيمون على اشراك الوفد الاسرائيلي من جماعة « نيو اوتلوك » والمابام الى جعل التمثيل وقفا على عناصر معينة واستبعاد غير المرغوب فيهم — أمثال الدكتور يسرائيل شاحك (رئيس عصبة حقوق الانسان في اسرائيل والمعروف بمواقفه الجريئة ضد الاضطهاد الذي تمارسه سلطات الاحتلال في المناطق العربية) . وليس بمستغرب ان يلجأ الذين اشرفوا على تشكيل الوفد الاسرائيلي — الصهيوني الى جعل الاشتراك مشروطا بالامتناع عن طرح موضوعات في المؤتمر تتعلق بمصير سكان غزة واضطهاد العرب في المناطق المحتلة .

وجاء على لسان غولدمان ان العناصر اليسارية الفرنسية التي ندبت نفسها لرعاية المؤتمر المذكور ناشدته لكي يمد يد المساعدة . فالزعيم الصهيوني « المتقاعد » يعتبر نفسه بمثابة « الوسيط الغيور » عن هوى في الوساطة والتوسط . لكن فشل المساعي المبذولة هذه المرة جعل ناحوم غولدمان يقول بلهجة تنم عن الاستسلام : « هذه نهاية مبادراتي الشخصية » (انظر مجلة « دير شبيغل » الالمانية ، العدد ٩ : ٢١ شباط ، ١٩٧٢ ، ص ١٣٠) .

في المرة السابقة كانت اتصالات غولدمان مع شخصيات لا تتمتع بصفة رسمية ، لكنها — على حد قوله — مقربة من السلطات الحاكمة في مصر . ومع ان غولدمان امتنع عن افشاء هوية السفير الذي فاتحه بأمر الاتصالات(١٢)، فقد بادر هذه المرة الى ربط محاولاته السابقة باقتراح يوغوسلافي يرجع تاريخه الى العام ١٩٦٩ . واعترف بأن المحاولة التي قام بها عام ١٩٧٠ « فشلت بسبب رئيسة وزراء اسرائيل » بعد ان روى القصة على النحو الآتي : « كان الرئيس تيتو ، الذي التقيه من حين الى آخر وتربطني به علاقات طيبة ، يعتقد انه من المفيد ان اقابل الرئيس عبد الناصر الذي وافق تقريبا على ذلك في نهاية الامر ، وان كان طلب احاطة مئير بالموضوع دون اشتراط موافقتها بالضرورة »(١٣). اما المحاولة الثانية فقد احبطتها — كما يقول غولدمان — وفاة الرئيس عبد الناصر ، وهي ما زالت في طورها التمهيدي . وفي المحاولة الاخيرة جرى العدول عن فكرة الزيارة الى القاهرة ، وقر الراي مبدئيا على اختيار ارض محايدة لعقد اللقاء المنشود بعد استبعاد كل من القاهرة والقدس لتكون مكان الاجتماع . ومن البادي تماما ان الموقف الاسرائيلي يتعمد هذه المرة القاء مسؤولية الفشل والتفشيل على عاتق الجانب المصري في اتصالات الدكتور ناحوم غولدمان ، محاولا استغلال القضية على صعيد السياسة الرسمية التي تعلنها اسرائيل بقصد احراج مصر امام المجتمع الدولي والراي العام العالمي . هذا بالاضافة الى استخدام قصة اللقاء الفاشل قبل ان يتم لاغراض السياسة الداخلية وتسخيره لازالة بعض الصعوبات التي تواجه حكومة غولدا مئير في اوساط اسرائيلية لها وزنها داخل الحياة العامة . وقد تمثلت هذه الصعوبات مؤخرا في البرقية التي وقعها ٣٤ شخصا من كبار المثقفين وارسلوها الى غولدا مئير طالبين اليها تعديل سياستها ازاء مصر .

برقيـــة المثقفين

من الصحيح ان حكومة غولدا مئير لا تواجه معارضة بارزة عمليـــا داخل الكنيست وحول المسائل الجوهرية التي تتناول الموقف الاسرائيلي الرسمي من قضايا الحرب او السلام . لكن بعض اوساط المثقفين ، من اساتذة جامعات وادباء ، بدأت تتمخض عن ولادة حركة جديدة يحددها الشعور لمنازعة السياسة التي تسير عليها حكومـــة اسرائيل . فقد بعث اندريه سكيماما ، مراسل صحيفة « لوموند » ، برسالة مـــن القدس تحدث فيها عن البرقية التي حملت ٣٤ توقيعا ، ولا يمكن ــ حسب معلوماته ــ الصاق تهمة « اليسارية » بواحد من الموقعين . وجاء في هذه البرقية الموجهة الـــى غولدا مئير بتاريخ ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، ما يلي : « نحن الموقعين ادناه نعيش اليوم على الشعور الذي يخامرنا بان الحكومة الاسرائيلية لم تقم بعد باستنفاد جميع الاحتمالات التي عرضت عليها بالنسبة لاجراء مفاوضات مع مصر والحيلولة دون خطر استئناف الحرب . ولذا نتوجه الى الحكومة باقتراح يناشدها تعديل مواقفهـــا المعلنة رسميا والتقدم بمقترحات ــ ليس من شأنها الحاق اي ضرر او مساس بأمن اسرائيل ــ لكنها تصلح لتشكيل اساس واقعي لاجراء مفاوضات في خاتمة المطـــاف مـــع مصر »(١٤) .

ان هذه البرقية تنم عن صياغة معتدلة في اللهجة وبعبارات جرى اختيارها بعناية فائقة ــ كما يؤكد ذلك مراسل الصحيفة الفرنسية . ومن بين الذين قاموا بتوقيعها تذكر « لوموند » الاسماء التالية : بنحاس روزين (وزيـــر العدل السابق) ، سيجفريـــد موزيس (المدير السابق لديوان المحاسبة) ، ويعاكوف ارنون (المدير العام لوزارة المالية حتى فترة حديثة العهد واحد الاعضاء النافذين في الحزب الحاكم الذي تنتمي اليه غولدا مئير) ، والبروفسور دان باتنكين (وهو من الاقتصاديين اللامعين ، واحد الذين تزعموا الحملة لارسال البرقية) . ثم تقدم باتنكين من غولدا مئير طالبا اليهـــا تحديد موعد لاستقبال اصحاب البرقية ، فردت عليـــه رئاسة الوزراء بابلاغـــه ان اصدقاءه سوف يكون لديهم الوقت الكافي لعرض مقترحـــاتهم خلال انعقاد جمعيـــة الاساتذة المنتمين الى الهيئة التعليمية في الجامعة العبرية بالقدس ــ في غضون شهر شبـــاط .

وما ان ترامت اخبار الالتماس المرفرع من جانب هؤلاء ، حتى تنادى خمسة من مؤيدي الحكومة وسياستها ــ وعلى رأس هؤلاء البروفسور يوفال نيمان ، رئيس جامعـــة تل ابيب ــ الى توقيع برقية مضادة يعلنون فيها تأييدهم لسياسة الحكومة ويستنكرون التحرك الذي قام به الفريق الآخر تحت قيادة باتنكين . حتى ان غولدا مئير استجابت لطلب الخمسة وحددت موعدا لمقابلتهم على جناح السرعة . ويعلق سكيماما على هذه البادرة من جانب رئيسة الوزراء بقوله ان غولدا مئير في اختيارها الا تخص بالاستقبال غير الذين يوافقون على سياستها قـــد اثارت اشـــد الاستياء في عدد من الاوســـاط الجـــامعيـــة .

وليس بمستبعد ان يكون التوقيت المفاجيء للدكتور غولدمان في اذاعة البيان الرسمي عن اتصالاته التي ثبت فشلها منذ شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ ، بمثابة اجراء اسرائيلي على صعيد تهدئة الاوساط التي أخذ يساورها الشعور بان الحكومة لا تزال مقصرة في الاستفادة من جميع الاحتمالات والامكانيات المعروضة عليها للوصول الى تسوية والحؤول دون تجدد الحرب . ان هذا الاستنتاج يؤكده النبأ القائل بان صدور البيان الرسمي عن مكتب رئاسة الوزراء قد جاء في اعقاب ما اوردته صحيفة «يديعوت احرنوت» عن الاجتماع الذي تم بين غولدا مئير وفريق من الاساتذة الجامعيين وجرى

البحث خلاله في موضوع الاتصالات اياها تمهيدا لعقد لقاء بين ممثلين عـن الجانبين : الاسرائيلي والمصري . كما ان الظروف الاسرائيلية الراهنة سمحت هذه المرة لرئيسة الحكومة بعدم خذلان الدكتور غولدمان وتفشيله لجهة صحة الرواية التي ادلى بها عن مسألة اتصالاته والموافقة التي حصل عليها من غولـدا مئير في شهر تشريـن الاول (اكتوبر) من العام الفائت .

« قضية غولدمان »

لنعد قليلا الى الوراء ، ونتوقف عند بعض الملابسات التي احاطت بأزمة « الزيـارة » الخائبة الى القاهرة في ربيع ١٩٧٠ . ان الضجة التي رافقتهـا في اسرائيل حينذاك اتخذت ابعادا مختلفة تماما ، وتبدت مضاعفاتها على اكثر من صعيد واحد . وبالنسبة للدكتور غولدمان ، لم تؤثر تصريحاته التي اطلقها في لندن بصدد الموقف الصهيوني من يهود الاتحاد السوفياتي — وتسببت في اقصائه عن منبر المؤتمر الصهيوني الثـامن والعشرين لالقاء الخطاب الافتتاحي — على صدق روايته وصحتها هذه المرة بقـدر التأثير الذي احدثته آراء الرجل في الاوساط الرسمية الإسرائيلية ابان تلك الفتـرة الحرجة من ربيع ١٩٧٠ . فالمراقبون السياسيون في القدس لم يفاجئهم حينذاك الرفض الذي قوبل به مسعى غولدمان من جانب الوزارة الاسرائيلية . والاوساط الرسمية في اسرائيل كانت تستشيط غضبا ونقمة على الآراء التي عبر عنهـا غولدمان فجـاءت خارجة على الخط السياسي الذي يتقيد به الموقف الاسرائيلي الرسمي .

لقد سبقت الاشارة الى مقالة غولدمان المنشورة في عدد نيسان (ابريل) ١٩٧٠ من مجلة « فورين افيرز » الاميركية ، والدعوة التي تضمنتها الى تحييد اسرائيل على غرار الصيغة المتبعة في سويسرا ، وجعل « الحياد الاسرائيلي » مرهونا بضمانات من جانب الدول الكبرى والبلدان العربية . وفي مطلع الازمة كانت عناوين الصحف الاسرائيلية ملأى باخبار المقالة ودعوة غولدمان في التحييد . كما ان صحيفة « هآرتس » ، التي تحتل مكانة مرموقة بين صحف اسرائيل ، اخذت تنشر تباعا سلسلة من المقالات بتوقيع الدكتور ناحوم غولدمان . وقد تهجم في لحداها على السياسة الاسرائيلية ناعتا اياها بـ « العناد المفرط اكثر من اللازم » ، فلم يترك ناحية دون التعـرض لها بالنقـد الشديد . مثلما اتهم اسرائيل بانها تعرض على العرب شروطا للسلام لا يمكن القبول بها ، وسجل على الحركة الصهيونية في اسرائيل ان نظرتها الى الوجود العربـي في الشرق الادنى وداخل الدولة حاليا تتسم « بكثير من الاستخفاف »(١٥) . ومن المؤكد ان غولدمان دعا الى الانسحاب الاسرائيلي من المناطق العربية المحتلة في اثناء حـرب حزيران ١٩٦٧ ، وتحويل القسم الاعظم منها الى مناطـق مجردة مـن السلاح تحت اشراف قوات دولية . فالمقالات التي نشرتها « هآرتس » ابـان ذروة الازمة علـى الصعيد الداخلي الاسرائيلي ضاعفت النقمة على رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، ولا سيما تلك المقالـة التي ضمنها مشروعـه المؤلف مـن تسع نقاط لحـل النزاع العربي — الاسرائيلي . والى جانب مناشدته الدول الاربع الكبرى (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا) تقديم الضمانات والعمل جديا على وضع حد لسباق التسلح في الشرق الاوسط على اساس فرض المراقبة الدولية الفعالة ، طالب غولدمان بتجريد المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران من السلاح ، مثلما ايد وجوب السماح بعودة اولئك اللاجئين العرب الى اسرائيل من الذين يرغبون في العودة ، ونادى بعملية ضم القدس العربية رسميا من جانب اسرائيل لكي يطالب بتحديد وضع للمدينة يجعل منها مدينة يهودية في طابعها الغالب(١٦) .

هذه الآراء اغضبت الاوساط الحاكمة في اسرائيل دون ريب . واهتمام الصحف بنشرها

والتعليق عليها اثار حفيظة القيمين على شؤون الدولة والحكم . حتى ان حكومة غولدا مئير ذهبت الى الكنيست لتطرح الثقة بنفسها على اساس السياسة التي تتبعها في قضية الشرق الاوسط . فنالت الثقة المطلوبة بأكثرية ساحقة من ٦١ صوتا ضد ٥ اصوات — علما بأن عدد اعضاء الكنيست الاسرائيلي يبلغ ١٢٠ نائبا . ومن الملاحظ ان ثقة الكنيست جاءت مقرونة برد التهمة القائلة ان الحكومة قامت عمدا باحباط المحاولة الرامية الى اجراء تبادل في الرأي بين الرئيس المصري عبد الناصر ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، ناحوم غولدمان . حدث كل ذلك بالطبع بعد اقدام وزير خارجية اسرائيل ، ابا ايبان ، على تأكيد استعداد حكومته للاجتماع الى كل واحد من رؤساء الحكومات والدول العربية بقصد التفاوض حول النزاع في الشرق الاوسط(١٧).

لكن « قضية غولدمان » لم تنته آنذاك بالثقة التي نالتها حكومة غولدا مئير في الكنيست على سياستها ، واقترنت بالتنصل من محاولة أحباط المساعي الغولدمانية . فقد شهدت شوارع القدس المحتلة تظاهرات قام بها اعضاء ينتمون الى احزاب يسارية وحركات للشبيبة . واعتصم المتظاهرون بالقرب من مبنى الكنيست ، بعد محاولتهم اقتحام مقر رئاسة الوزراء ، لكي يطالبوا بذهاب غولدا مئير . كما سقط منهم بعض الجرحى نتيجة الاشتباكات مع قوات الشرطة . ويقال ان التظاهرة انطلقت بعد اجتماع حاشد لتأييد موقف غولدمان ، وجرى اعتصام المتظاهرين في اشد الشوارع ازدحاما بحركة السير .

وعندما قامت تظاهرة ثانية في غضون الاسبوع ذاته ، لاحظ المراقبون الاجانب ان الصحافة الاسرائيلية حاولت التقليل من شأن التظاهرات عمدا . فلم تنشر الصحف الصادرة في اليوم التالي اية صور تظهر فيها اشتباكات المتظاهرين وقوات الامن . حتى ان صحيفة « الجيروسالم بوست » ، وهي المقربة من الاوساط الحاكمة ، امتنعت عن نشر اية صورة للتظاهرات تحت وطأة الضغط عليها من «فوق» . غير ان مراسلي الصحف الاجنبية سجلوا على الصحافة الاسرائيلية محاولتها المتعمدة لاعتبار التظاهرات بانها من عمل فئة قليلة العدد وتعاني من الخيبة السياسية . فقد كتب بيتر فيليب ، مراسل صحيفة « سود دويتشه تزايتونغ » الالمانية يقول ان التفسير الذي اعطته صحافة اسرائيل للتظاهرات هو اكثر من تفسير مغلوط : و « رغم كون المتظاهرين يشكلون اقلية صغيرة فحسب ، فانهم يمثلون قسما كبيرا من سكان اسرائيل . لقد تظاهروا بالنيابة عن الجميع من اولئك الذين يغمرهم الاستياء من موقف الحكومة في قضية غولدمان ، كما يساورهم القلق من سياسة اسرائيل التوسعية وشهوتها المتزايدة في ضم الاراضي العربية ، لكنهم ليسوا على استعداد للنزول الى الشارع في سبيل الاعراب عن موقفهم ورفع صوتهم بالاحتجاج »(١٨).

بينما عمد الدكتور غولدمان من جانبه الى الادلاء بتصريحات للصحف الاوروبية والاذاعات العالمية معربا فيها عن دهشته وسروره لردود الفعل العنيفة التي صدرت عن قطاعات واسعة لسكان اسرائيل ازاء موقف الحكومة من مهمته الفاشلة . ورأى في تظاهرات الشباب بنوع خاص دليلا على رغبة عميقة في الاستفادة من كل فرصة ضئيلة للتوصل الى احلال السلام . كما تنبأ غولدمان بان تغيير الاجيال في اسرائيل سوف يترك اثرا حاسما على السياسة المتبعة في المستقبل نحو الدول العربية . فالعناصر الشابة — على حد قوله — هي اقل تورطا بالتركة العاطفية واكثر انفتاحا على الافكار الجديدة . والاسرائيليون الذين يقفون على الجبهة هم بنظره اكثر واقعية واشد استعدادا لانهاء الحرب . ثم يستطرد غولدمان قائلا : ان من اطرف الامور للغاية هو الاستماع الى هؤلاء الشباب كيف يتملكهم الاسف ويغمرهم

السخط العميق عندما يتحدثون عن الضرورات التي ترغمهم على شن الحرب اطلاقا(١٩).

وفي الوقت نفسه كانت مؤسسات استفتاء الراي داخل اسرائيل تقوم بحملة غرضها تدعيم سياسة الحكومة والوصول الى نتيجة مفادها ان الاكثرية الاسرائيلية تؤيد اتباع سياسة متصلبة ولا تقبل التنازلات . فقد جاء في النتائج التي اسفر عنها احد الاستفتاءات ان كل شخص اسرائيلي بين ثلاثة اشخاص يقف ضد الاستعداد للقيام بتنازلات نحو العرب ويؤيد « سياسة القبضة الحديدية » . بينما اعرب كل شخص رابع عن وجوب الاعتدال والتساهل في تقديم التنازلات . ومضت الصحيفة الاجنبية التي اوردت ذلك الى القول بأن هذا التوزيع في الآراء بين السكان ينطبق تقريبا على تركيب الحكومة الاسرائيلية ، حيث نسبة تمثيل « الصقور » تفوق عدد « الحمائم » . ثم ارتأت الاشارة الى مقارنة النتائج الحالية بما اسفر عنه استفتاء مماثل في صيف ١٩٦٧ — اي في اعقاب حرب حزيران . فالصورة التي اعطاها ذلك الاستفتاء تختلف تمام الاختلاف عن صورة ١٩٧٠ ، لان الاكثرية الساحقة حينذاك اعلنت تأييدها لاحلال « سلام عاجل على اساس التعقل » مقرونا بشروط سخية حيال البلدان العربية المجاورة(٢٠).

ان جميع هذه المواقف والتخريجات لم تترك اثرا سلبيا على الخط الرسمي للسياسة الاسرائيلية ، بل جرى استخدامها لاغراض داخلية ليس اقلها شأنا تعزيز الموقف الحكومي وحشد التأييد الاكثري له . والغضبة التي استبدت برئيسة الوزراء لكي تنصب على ناحوم غولدمان ، فتنتزع منه اوراق الاعتماد الصهيوني ، كانت معدة في المقام الاول للاستهلاك الداخلي تحت وطأة ظروف عصيبة . هنا يجوز لنا استحضار التحليل الذي اجراه عيزر وايزمان لفترة حرب الاستنزاف وتحدث فيه عن « الغولدمانية » باعتبارها من الظواهر السلبية والمؤسفة التي تبدت خلال الايام الصعبة . وليس من قبيل الشطط او المبالغة وصولنا الى نتيجة مؤداها ان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي هو « العوبة » و « اداة » بيد السياسة الرسمية لدولة اسرائيل ، يجري استخدامها لاغراض معينة وحسب الظروف السائدة والحاجات الملحة . فالآراء المنسوبة الى الدكتور غولدمان — والتي اثارت غضب المؤسسة الحاكمة على شخصه وصلاحيته — لم يطرأ عليها اي تبدل بارز بين ربيع ١٩٧٠ وشتاء ١٩٧٢ . والحق يقال ان معظم آراء الزعيم الصهيوني واليهودي وردت ، قبل ان تحملها المقالات والتصريحات ، بين دفتي كتابه الصادر اصلا عام ١٩٦٩ ، والمنقول الى عدة لغات وفي طبعات مختلفة منذ عام ١٩٧٠ .

كما ان التحرك الغولدماني في خدمة اسرائيل والصهيونية العالمية ، وعلى صعيد تأمين التغطية اللازمة للنوايا التوسعية في اوساط الراي العام العالمي ، ترجع الى فترة مبكرة من الشهور التي سبقت حرب الخامس من حزيران (يونيو) واعقبتها مباشرة .

ازدواجية المظاهر

ففي ربيع ١٩٦٧ عاد ناحوم غولدمان — بصفة كونه يجمع بين رئاسة المؤتمر اليهودي العالمي ورئاسة المنظمة الصهيونية — من جولة قام بها داخل بلدان اوروبا الشرقية بقصد استطلاع احوال اليهود هناك واجراء الاتصالات مع كبار المسؤولين والنافذين . وعقد الرئيس المزدوج مؤتمرا صحفيا في جنيف تحدث خلاله عن انطباعات الجولة التفقدية التي قام بها ، لكي يعلن بان اليهود في كل من يوغوسلافيا (٧ آلاف يهودي) ورومانيا (حوالى مائة الف يهودي ، منهم ٣٠ الفا في بوخارست) وهنغاريا (٨٠ الف يهودي ، منهم ١٠ آلاف في بودابست) وتشيكوسلوفاكية (٢٠ الف يهودي) ، وبولونيا (٣٠ الف

يهودي) يتمتعون بحرية تامة في حقوقهم وثقافتهم وشؤونهم الدينية . ثم خلص الى القول « ان الاشتراكية واليهودية ليس بينهما من تناقض » ، وبأن حقيقة كون اليهود في الاتحاد السوفياتي يعانون وضعا هو اشد سوءا في جوهره من الوضع الذي توجد عليه الاقليات القومية الاخرى — هي مشكلة تتناول روسيا السوفياتية وحدها ، وليست بالمشكلة الشيوعية(٢١) .

لكن تصريحات غولدمان لم تثر آنذاك نقمة الاوساط الحاكمة في اسرائيل ، بقدر ما اغضبت المسؤولين عن حركة حيروت . فقد سبق لهذه الحركة ان اوعزت للشباب الصهيوني التصحيحي في منظمة « بيتار » اليمينية المتطرفة بالتظاهر ضد رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، فضلاً عن رئاسته للمنظمة الصهيونية العالمية . وفي اثناء انعقاد جلسة لجنة العمل الصهيونية بالقدس قام المتظاهرون من « بيتار » بتوزيع منشورات ضد ناحوم غولدمان واتهموه فيها بخيانة اليهود السوفيات (« انت خائن ليهود روسيا ») مثلما طالبوا باخراجه وطرده : (« اخرج يا غولدمان » و « اطردوا غولدمان ») .

فالمعروف ان غولدمان يخشى على نقاوة الفكرة الصهيونية ، كما يعز عليه ان يرى الصهيونية في اسرائيل « قد اصبحت لفظة ازدراء واحتقار بالنسبة الى كثير من الشبان الاسرائيليين ، ومرادفة للمثالية البالية وغير العملية » (« السيرة الذاتية لناحوم غولدمان » ، ص ٣٢٣) . وفي معرض حديثه عن النزعات المتطرفة داخل اسرائيل يعمد ناحوم غولدمان الى القاء تبعة التطرف على عاتق الصحافة الاسرائيلية التي تخضع لسيطرة التصحيحيين واشرافهم . فهو يقول ، مثلا ، في سيرته الذاتية ما يلي : « ثمة قطاع من الصحافة الاسرائيلية ، ولا سيما تلك الصحف الشعبية السادرة بعد الظهر والتي يقوم على تحرير القسم الاكبر منها اشخاص تصحيحيون سابقون او من مؤيدي حزب حيروت المغالي في التطرف ، وهذا القطاع يشجع النزعات المتطرفة بين الناس » . ويمضي غولدمان الى تعليل النفوذ المتزايد للصحافة في اسرائيل — باعتباره « يفوق نفوذ الصحافة في كثير من البلدان الديمقراطية الاخرى » — على اساس « التركيب المختلط لسكان اسرائيل » ، لكي يخرج بتبرير يسترعي الانتباه ويثير الدهشة في آن واحد . فهو يخبر القارىء الذي يدفعه فضوله نحو طلب المزيد من التفسيرات بان النفوذ المشار اليه يتجلى على الشكل الآتي : « ان اكثر من نصف السكان يضم اليهود الشرقيين ، وهؤلاء تسيرهم العواطف العنيفة وتصدر عنهم ردود فعل متطرفة ، والكلمة المطبوعة لها سلطان في نفوسهم يفوق سلطانها على العقل الشكاك لدى اليهود المتحدرين من بلدان اوروبا الغربية او الشرقية » (ص ٣٠٣ من السيرة الذاتية) .

بيد ان هذه التغطية الغولدمانية للموقف الاسرائيلي لا تلبث حتى تتخذ صيغة اخرى . ففي النصف الاول من العام ١٩٦٨ انفجرت ازمة مماثلة بين غولدمان والاوساط الحاكمة في اسرائيل — او بين حكومة التكتل الوطني والمنظمة الصهيونية العالمية ، التي كان ناحوم غولدمان على رأسها حينذاك . وظهرت بوادر الازمة عقب الانباء المقترنة بتحركات رئيس المنظمة الصهيونية العالمية واتصالاته الدبلوماسية . فقد ذهب غولدمان الى مقابلة السناتور وليام فولبرايت ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي ، لكي يطلب اليه ممارسة الضغط على اسرائيل حتى « يأتي موقفها من ازمة الشرق الاوسط اكثر اعتدالا » .

وسارعت صحيفة « هايوم » الاسرائيلية (١٩٦٨/٤/٤) الى القول : ان النشاط الدبلوماسي الذي يقوم به ناحوم غولدمان قوبل لدى الاوساط الحكومية في القدس باستياء شديد . كما سبب حديثه مع فولبرايت ارتباكا لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، فعمدت هذه الى اجراء تحقيق في الامر . لكن غولدمان لجأ الى الانكار بانه تقدم من

فولبرايت بمثل ذلك الطلب . واعترف بتزويده للسناتور الاميركي بمعلومات « ليست للنشر » حول التركيب الائتلافي للحكومة الاسرائيلية . فقد اعرب غولدمان لرئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي عن اعتقاده ان « حكومة اسرائيل لم تتوصل بعد الى اتخاذ قرار حول السياسة المستقبلية ، لانها تمثل ائتلافا موسعا لجميع الاحزاب من اليمين واليسار ، وهي احزاب تسود بينها خلافات في الراي » . ومضى في روايته مؤكدا انه وان صارح السناتور الاميركي بضرورة اقدام الحكومة الاسرائيلية على اتخاذ قرارها وصياغته ــ « حتى انني قلت له ان العناصر المعتدلة تملك اكثرية داخل الحكومة » ــ فهو لم يطلب اليه ، « في اي حال من الاحوال » ، ممارسة الضغط الاميركي على اسرائيل(٢٢) .

وازاء هذا التراجع الغولدماني لم تهدأ حملة الاوساط الاسرائيلية على رئيس المنظمة الصهيونية العالمية . فقد اعتبرت تلك الاوساط الرسمية ان النشاط الديبلوماسي الذي يمارسه ناحوم غولدمان في الولايات المتحدة يعود باضرار سياسية لا حصر لها على اسرائيل . واعترفت الاوساط ذاتها بان الزعيم الصهيوني يقوم في الولايات المتحدة الاميركية باجراء محادثات مع كبار الموظفين في وزارة الخارجية ومع ممثلي الدول المختلفة ، ومن بينهم ممثلون سوفيات . لكن ممثل حركة حيروت في اللجنة الدائمة للمؤتمر الصهيوني بادر الى الاعلان بانه لن يقترح ترشيح غولدمان لرئاسة المنظمة ، بينما طالب نائب الامين العام لحركة العمل الصهيونية (صحيفة « هايوم » ٦٨/٥/١٧) باقالة غولدمان من منصبه « على اثر تصريحاته غير المسؤولة والتي تشكل عبئا لا يطاق على كاهل الحركة الصهيونية » .

واذا كانت جميع الاحزاب الصهيونية قد حملت على ناحوم غولدمان وهاجمته بشدة ، فوجهت اليه شتى الاتهامات لكي تطالب بعزله من رئاسة المنظمة العالمية على الفور (« لا سيما وانه اجرى اتصالات في دول اوروبا الشرقية ») ، فان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية لم يتردد عن التصريح بانه اجرى اتصالاته بمعرفة رئيس الحكومة ووزير الخارجية وغيرهما من اعضاء الوزارة الاسرائيلية . فقد نقلت صحيفة «دافار» (٦٨/٤/١٠) عن لسان غولدمان ما يلي : « ومن الطبيعي ان اطلعهم على المعلومات الكاملة حول هذه الاتصالات ، وهذا ما ينطبق على الاجتماع الذي عقدته مع سفير الاتحاد السوفياتي في واشنطن » .

ان غولدمان لا يتوانى عن تقديم الغطاء اللازم للتخفيف من وقع النوايا التوسعية في تصريحات المسؤولين الاسرائيليين على اسماع الراي العام العالمي ، فهو يتحرك كلما اشتدت الوطأة على الصهيونية واسرائيل وازداد الشعور بخطورة الموقف على صعيد الاطماع التوسعية المفضوحة والرغبة المزعومة في السلام . والتهجم الغولدماني على حكومة التكتل الوطني يكاد لا يتعدى القول بأن المشاكل او التناقضات الداخلية في اسرائيل هي المسؤولة عن الشلل الذي يعتري تلك الحكومة . اي ان ناحوم غولدمان يعرف تمام المعرفة ما هو الشعور السائد في اوساط الراي العام خارج اسرائيل وفي الاندية الديبلوماسية العالمية . ولذا يتبنى لنفسه الدور القائم على ايهام الناس في الخارج بان رغبة اسرائيل في السلام هي ضحية التشويه الناجم عن كون الحكومة الاسرائيلية تضم عناصر متناقضة ! كما يعرف غولدمان ان التناقضات لا تخلو من انعكاسات على صعيد المنصب الذي كان يحتله في الحركة الصهيونية العالمية . فقد اوردت صحيفة « هايوم » (١٩٦٨/٧/٩) ــ عقب انتهاء المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين و « عزوف » ناحوم غولدمان عن ترشيح نفسه لرئاسة المنظمة ــ خبرا مفاده ان اشكول يؤيد بقاء الدكتور غولدمان في منصبه ، بينما غولدا مئير تعارض هذا البقاء بشدة .

والرجل الذي يدعي لنفسه واجب السهر على « نقاوة الفكرة الصهيونية » وقف خلال احتفال صهيوني بمناسبة مرور سبعين عاما على انعقاد مؤتمر بازل الصهيوني الاول ليقول ان « تنفيـــذ فكرتنا ، هذا التنفيذ الذي كان الوظيفة المنوطة بدولة اسرائيل طيلة العشرين عاما الماضية ، لم تتهيأ له اداة اشد تأثيرا وابلغ روعة من الجيش الاسرائيلي، بدون انتصارات هذا الجيش من الراجح ان اسرائيل ما كانت لتوجد ، ولا الفكـــرة لتتحقق . . . ان الجنرال اسحق رابين هو القـــائد الاعلى لتلك الاداة العظمـــى التي اوجدناها لتحقيق فكرتنا . . . وما حدث في اسرائيل خلال شهر حزيران كان من اعظم الاحداث ، ليس في تاريخ اسرائيل فحسب ، بل في حوليات الشعب اليهودي على مر آلاف السنـــين قاطبة » .

فهل تختلف آراء ناحوم غولدمان الصادرة من على منبر الاحتفال الصهيوني عن آرائه التي اخذت تطالعنا بها تصريحات الرجل منذ اقصائه عن رئاسة المنظمـــة الصهيونية العالمية في صيف ١٩٦٨ ؟ ان التحولات الغولدمانيـــة،تتم على ما يبـــدو وفقا لبواعث صهيونية في جوهرها ، بينما تلعب الظروف السائدة في اوساط العالم الخارجي وبميدان الحياة الدولية دورها البارز لاسباغ طابع التحولات على ظاهر المواقف التي يتبناها ناحوم غولدمان ويسارع الى الاعراب عنها حتى ولو جاءت متناقضة في الظاهر مـــع اتجاهات الموقف الرسمي لدولة اسرائيل .

---

١ * — اشار غولدمان في « سيرته الذاتية » الى تلك المحاولة ، حيث سعى عن طريق الديبلوماسي الاميركي شستر بولز ، وبناء على اقتراح قدمته اليانور روزفلت ، الى مقابلة جواهر لال نهرو بغية توسيطه لدى الرئيس الراحل عبد الناصر . والفكرة التي بنى عليها مشروعه « الغولدماني » حينذاك كانت تتعلق باقامة اتحـــاد فدرالي في الشرق الادنى ، يضـــم اسرائيل والدول العربيـــة وينطوي على حل للنـــزاع العربي — الاسرائيلي . ثم قال ان الرئيس المصري لم يستبعد صلاحية الفكرة كاساس لايجاد التفاهم ، لكنه ابلغ الذين فاتحوه بالامر ان صاحب الفكرة لا ينطق بلسان اسرائيل . واستنتج غولدمان بان العرب لن يتفاوضوا مع بن غوريون تحت اية ظروف . كما نسب الى الرئيس عبد الناصر العبارة التالية بنصها الانجليزي : « المستر غولدمان لا يستطيع تسليم البضاعة » : "Mr. Goldman cannot deliver the goods" . والمعنى المقصود بهذا القول لا يحتاج الى مزيد من الايضاح . (انظر : « **السيرة الذاتية لناحوم غولدمان** » ، ص ٣١٠ . وسيأتي الحديث عنها لاحقا) .

٢ — يبدو من الصور التي اختارها غولدمان للنشر في كتاب سيرته الذاتية (ذكريات ناحوم غولدمان) انه قام بزيارة سابقة للمغرب ، وذلك في مطلع العام ١٩٥٢ وقبل نيل المغرب استقلالها . فهناك صورة تمثله بين لفيف من يهود المغرب وزعمائهم . وتحمل العبارة التالية : « الدار البيضاء ، في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٥٢ » . ولا ريب في ان هذه الزيارة كانت وثيقة الصلة بمسألة تهجير اليهود من شمال افريقيا الى اسرائيـــل .

٣ — أشار عيزر وايزمان الى هذه الظاهرة « السلبية » التي دعاها « الغولدمانية » في معرض حديثه عن ظواهر أخرى من طراز مماثل : « رسائل الصفوف الثامنة » ، وهي الرسائل الموجهة من طلاب الصفوف الابتدائية العليا في المدارس الاسرائيلية الى ارباب الحكم للاعراب عن مخاوف الناشئة من الموت الذي ينتظر المجندين على جبهة القناة وفي باقي المناطق العربية المحتلة . فقد اعلن الطلاب فيها امتناعهم عن تادية الخدمة العسكرية في تلك المناطق الساخنة ، حيث يتربص بهم الموت الاكيد . وأتى وايزمان على ذكر الظاهرة الثالثة ناسبا اياها الى تلك المسرحية الهزلية — « ملكة الحمام » — التي صبت جام نقدها اللاذع بطريقـــة السخرية على موقف الزعامة الاسرائيلية والفئات الحاكمـــة في أثناء حرب الاستنزاف . (انظر ن. م. د. ف. ، العدد ٥ من السنة الاولى ، ١٩٧١/٦/١ ، ص ٧٦ — ٧٧) .

٤ — راجع ما يلي : Nahum Goldman, "The Future of Israel", in *Foreign Affairs*, Vol. 48, No. 3, April 1970, pp. 443-459.

وانظر الصفحات التالية بنوع خاص ٤٥٣ — ٤٥٦ ، حيث يرى غولدمان ان « التحييد » الـــذي يدعو له

باستطاعته تشكيل الاساس لايجاد تسوية بين العرب واسرائيل واحلال السلام الدائم . وسوف نشير الى المقالة المذكورة بعبارة « مستقبل اسرائيل » .

٥ ــ صحيفة « **سود دويتشه تزايتونغ** » ، في يومي ٧ و٨ نيسان (ابريل) ، ١٩٧٠ (العدد ٨٣ و٨٤) .

٦ ــ **المصدر نفسه** ، عدد ٨٣ .

٧ ــ انظر مجلة « **دير شبيغل** » ، العدد ١٨ (١٩٧٠/٤/٢٧) ، مقابلة مع رئيس المؤتمر اليهودي العالمي تحت عنوان « الزمن يعمل ضد اسرائيل » . ص ١٣١ ــ ١٣٦ .

٨ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٣٦ .

٩ ــ « **سود دويتشه تزايتونغ** » ، ١٩٧٢/٢/١٧ (العدد ٣٩) ، نقلا عن وكالة اسوشيتدبرس في القدس .

١٠ ــ انظر **النهار** ، عدد يوم السبت : ٧٢/٢/١٩ (نقلا عن وكالة الصحافة الفرنسية) .

١١ ــ « **الدايلي ستار** » (نقلا عن وكالة رويتر) ، ٧٢/٢/١٧ .

١٢ ــ سئل غولدمان في مقابلته مع مجلة « دير شبيغل » هل يكون سفير الدولة ذات الاهمية هو السفير اليوغوسلافي ، فأجاب انه قطع عهدا على نفسه بالامتناع عن تسمية البلد المعني بالامر .

١٣ ــ **النهار** ، ٧٢/٢/١٩ .

١٤ ــ انظر صحيفة « **لوموند** » ، ١٤ كانون الثاني (يناير) ، ١٩٧٢ .

١٥ ــ « **سود دويتشه تزايتونغ** » ، ٧٠/٤/٧ (العدد ٨٣) .

١٦ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٠/٤/٩ (العدد ٨٥) .

١٧ ــ **المصدر نفسه** .

١٨ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٠/٤/١٣ (العدد ٨٨) .

١٩ ــ **المصدر نفسه** ، ٧٠/٥/١٤ (العدد ١١٥) . والمقابلة اجرتها مع غولدمان صحيفة Tages-Anzeiger الصادرة في مدينة زوريخ .

٢٠ ــ انظر صحيفة « **دي فلت** » ، ١٩٧٠/٥/١٤ (العدد ١١٠) .

وفي استفتاء أجرته صحيفة « هآرتس » ــ ونقلت نتائجه وكالة الصحافة الفرنسية ــ جرى طرح ثلاثة اسئلة على ٢٠٠ شخص يمثلون مختلف الاوساط الاسرائيلية ، أجاب ٦٥ ٪ على السؤال المتعلق بتصرف غولدا مئير حيال قضية غولدمان بقولهم ان الحكومة قد احسنت التصرف . بينما نسب ٢٠ ٪ الى الحكومة ارتكاب بعض الاخطاء ، وقال ١٢ ٪ انها ارتكبت خطأ فادحا (و٣ ٪ ــ لا رأي لهم) . لكن السؤال الثاني عن الطريقة التي ينبغي للحكومة الاسرائيلية اتباعها في حال وجود مبادرة عربية لاحلال السلام حظي بالتوزيع الآتي : ٣٤ ٪ قالوا ينبغي عليها الرد بصورة ايجابية وقاطعة ، و٤٠ ٪ ان يأتي الرد بالايجاب وفق بعض الشروط . بينما قال ٢٠٪ انه يجب رفض اية مبادرات عربية ، و ٦٪ كانوا بلا رأي . والسؤال الثالث حول سياسة الحكومة بشكل عام حظي بهذه الاجابات : ٧٤ ٪ من الذين اشتركوا في الاستفتاء اعلنوا تأييدهم لها ، و١٣ ٪ رفضوها بشكل قاطع ، و١١ ٪ أبدوا قسما منها ، والذين كانوا بلا رأي بلغت نسبتهم ٢ ٪ .

٢١ ــ راجع صحيفة « **سود دويتشه تزايتونغ** » ، ١٩٦٧/٤/١٩ (العدد ٩٣) .

٢٢ ــ اعتمدنا في متابعة أوجه الازمة على « **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨** » ، القسم الثالث : «الوضع السياسي والاجتماعي في اسرائيل » ، ص٣٥٥ ــ ٣٥٦ (مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٧١) .

من جذور مشروع الملك حسين
مشروع جامعة نيويورك لانشاء "كومنولث فلسطيني"

احمد بهاء الدين

يعرف الذين سافروا ودرسوا وتأملوا أن رئاسات الدول الكبرى ، ووزارات خارجيتها ، وبصفة عامة كل الجهات « صانعة القرارات السياسية فيها » تستفيد الى حد كبير في اتخاذ قراراتها من خيرة الادمغة والخبرات المتاحة لها في شتى المجالات . فالقرار السياسي البعيد المدى ، او الخطة السياسية التي ترسم لمواجهة مشكلة معقدة خلال فترة طويلة ، لا ترتجل ارتجالا ، ولا تأتي كمجرد رد فعل ، بل ولا تقتصر دراستها على « السياسيين » الغارقين بحكم عملهم ومسئولياتهم في مواجهة المشاكل الملحة يوما بيوم . انما يدخل في « الاعداد » لهذه القرارات خبير الاقتصاد والجغرافيا والتاريخ وعلوم الاجتماع ، الى جانب خبراء العلوم الدولية ذاتها . وربما كانت الولايات المتحدة بالذات ، من اكثر البلاد استفادة من هذا الاسلوب ، واستخداما للاساتذة الذين يسمح لهم عملهم بالعكوف على القضية شهورا وربما سنوات ، متفرغين لها . ولعل كل مشتغل بالقضايا العربية عامة وبالقضية الفلسطينية خاصة ، قد صادف وجادل هنا وفي الخارج ، منذ يونيو ١٩٦٧ ، افواجا من الاساتذة الجامعيين الاجانب ، والخبراء ، والجمعيات ، الذين يقابلون ويناقشون وينقبون بحثا عن فهم اعمق للتيارات والمشاكل ، ويحاولون تقديم حلول ومقترحات وأفكار حول ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ، او الصراع العربي الاسرائيلي .

وعندما اعلن الملك حسين عن مشروعه الخاص باقامة « المملكة العربية المتحدة » من قطرين ، قطر اردني وقطر فلسطيني ، ثم توالت تصريحاته التي تشرح وتضيف ملامح جديدة عن هذا المشروع ، خصوصا حول علاقة المملكة المقترحة باسرائيل ، تذكرت الكثير من هذه المشروعات التي حملها اساتذة وخبراء من الولايات المتحدة ، يزورون البلاد العربية واسرائيل ، ولم يكن صعبا ان يجد المرء ان بعض جذور المشروع الاردني تمتد الى هذه الافكار التي طرحت في الولايات المتحدة من حين لآخر ، مشروعات وافكار يجب ان يعرفها المفكر العربي ويناقشها ويحلل ما وراءها . وذكرت بوجه خاص ، انني عندما كنت في الولايات المتحدة الامريكية في نوفمبر ١٩٧١ خلال دورة الامم المتحدة ، دعيت الى جامعة نيويورك لمقابلة مجموعة عمل اكاديمية لديها مشروع من هذا النوع ، او بالاحرى عدة مشروعات عن كل جوانب القضية : اسرائيل وفلسطين ، اسرائيل ومصر ، اسرائيل وسوريا . وكان الذي استوقفني منها ، وما اريد عرضه هنا هو الجزء الخاص بالمشكلة بين اسرائيل والاردن ، والذي يتعلق بمستقبل الفلسطينيين بالذات . وكان رئيس المجموعة ومحرك المشروع استاذ لامع من اساتذة القانون الدولي في الجامعة هو البروفيسور « جيدون جوتليب » ، مدير « برنامج دراسات السلام » في الجامعة . ولم تترك لدي المناقشة شكا في ان هذه الدراسات والمشروعات ليست جهدا

يتسلى به اصحابه « كرياضة عقلية اكاديمية » ، ولكنها افكار مطروحة بالفعل على الجهات والشخصيات صانعة السياسة في الولايات المتحدة الامريكية وفي اسرائيل . والمشروع يحمل عنوان حل المشكلة عن طريق انشاء « كومنولث فلسطيني » يضم اسرائيل وباقي فلسطين والاردن .

ومنطق المشروع يمضي متسلسلا ، بعبارات اصحابه تقريبا ، على النحو التالي :

● تتوصل حكومتا الاردن واسرائيل الى اتفاق مبدئي على مستقبل فلسطين وسكانها يعرض للاشتفتاء العام . وفي اطار هذا الاتفاق المبدئي تتفاوض الدولتان بعد ذلك على حل مشكلة اللاجئين ، ورسم الحدود الآمنة المعترف بها ، ومستقبل القدس ، وصولا الى السلام العادل المستمر . ● ان التوفيق بين العرب واليهود في فلسطين يستلزم العثور على تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، واحترام حقوق كل السكان العرب واليهود في كافة ارض فلسطين على اساس من الاعتراف المتبادل ، وحق كل من الشعب العربي واليهودي في فلسطين في تقرير مصيره بعيدا عن التهديد باستخدام القوة ، او الغزو ، او التهجير .

وبعد هذا التمهيد ينطلق اصحاب المشروع الى طرح فكرتهم بالتسلسل التالي :

١ ــ وحدة كل ارض فلسطين ــ وهي في نفس الوقت بالنسبة لليهود كل ارض اسرائيل التاريخية ايضا Eretz Israel وهي تشمل ضفتي نهر الاردن كما حددها صك الانتداب في عصبة الامم [اي ان ارض فلسطين كما سيرد في المشروع تشمل فلسطين وما يسمى الآن بشرق الاردن ، اي بقية المملكة الاردنية كلها] . فالعرب كما يقول المشروع يطلبون هذه الوحدة ، واليهود كذلك يحلمون بهذه الوحدة .

٢ ــ فلسطين ــ بهذا الوصف ــ هي **الوطن القومي** للشعبين العربي واليهودي .

٣ ــ ولكن ، طبقا للقانون الدولي المتعارف عليه ، لا يمكن قيام دولتين لهما سيادة متساوية على نفس الوطن .

٤ ــ فالحل اذن : ان يقبل اطراف النزاع الفلسطيني اقامة « كيان شرعي ذو سيادة » ، له شخصية دولية شرعية ، هو « كومنولث فلسطيني » يتكون من عدة دول متساوية ذات سيادة ، عربية واسرائيلية ، على اساس حق كل من الشعبين العربي واليهودي في فلسطين في ممارسة حق تقرير مصيره . ويكون « الكومنولث الفلسطيني » ، والدولة العربية ، والدولة اليهودية ، اعضاء في الامم المتحدة .

٥ ــ لا يمنع الاتفاق دولة الاردن من اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية لنهر الاردن كدولة ثالثة في الكومنولث الفلسطيني تكون بدورها عضوا في الامم المتحدة . اي ان العرب في اطار الكومنولث يمكن ان يكونوا دولة واحدة ، او دولتين اذا ارادوا ذلك .

٦ ــ الهوية القومية والعرقية لكل شعب من الشعوب المشتركة في الكومنولث الفلسطيني يجب ان تحترم ، ويجب ان تسن القوانين والتشريعات التي تحترم رغبة كل شعب من هذه الشعوب في ان يعيش حياة مستقلة متحررة من اي تدخل خارجي .

٧ ــ السلطات والحقوق التي سوف تمنح « لحكومة الكومنولث الفلسطيني » يجب ان تحددها وتتفق عليها حكومات الدول الداخلة في الكومنولث ، مع مراعاة احترام المبدأ السابق ذكره تحت رقم ٦ .

٨ ــ الحل العادل لمشكلة اللاجئين ، وكذلك تحديد خطوط الحدود الآمنة والمتفق عليها، ووضع القدس ، يكون محل اتفاق الاطراف المعنية على اساس استعدادها لتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

٩ ــ اي فلسطيني عربي او يهودي يعتبر انه في « وطنه القومي » حيثما اراد ان يقيم

في أي جزء من « الكومنولث الفلسطيني » . وتحتفظ كل دولة من دول الكومنولث بحقها في تحديد شروط الاقامة فيها وسلطتها على المقيمين فيها .

١٠ — رعايا كل دولة من دول الكومنولث الفلسطيني ، يمكن ان يكونوا في نفس الوقت رعايا لدولة الكومنولث ذاتها (كما ان رعايا كندا ونيوزيلندا مثلا يعتبرون في نفس الوقت رعايا بريطانيين) .

١١ — لا يجوز اعتبار اي عربي او يهودي « اجنبيا » في اي دولة من دول الكومنولث يختار الاقامة الدائمة فيها . وسيكون للمقيمين بصفة دائمة نفس حقوق المواطنين في اي دولة من هذه الدول .

١٢ — ترتيبات الامن المتعلقة بالاراضي التي سوف تنسحب منها القوات الاسرائيلية الى حدود آمنة ومتفق عليها ، يمكن ان تتم من خلال لجان مشتركة للامم المتحدة ولجان فلسطينية مشتركة بترتيبات أخرى .

١٣ — « عودة » العرب او اليهود الى دولهم الداخلة في الكومنولث الفلسطيني تحددها وتحكمها القوانين التي تصدرها كل دولة من هذه الدول في هذا الشأن ، والتي ستراعي فيها كل دولة حماية الهوية القومية والعرقية لها .

١٤ — المقصود من سيادة كل دولة في الكومنولث في هذا الشأن ان تتمكن حكومة الدولة العربية في فلسطين وذات العلاقات الخاصة بالدول العربية الاخرى ، من حماية شعبها العربي من سيطرة الدولة اليهودية بواسطة تفوقها التكنولوجي ولمنع اي اشكال غير مرغوب فيها من الروابط باسرائيل . وان تتمكن حكومة اسرائيل من حماية الشعب اليهودي من التفوق العربي العددي .

١٥ — « حكومة الكومنولث » ليس لها اي سيطرة على أي جزء من دول الكومنولث العربية واليهودية ، الا على « منطقة العواصم » التي سيأتي ذكرها بعد قليل .

هذه الاشارة الى « منطقة العواصم » ، هي الحل الذي يقدمه المشروع لمشكلة القدس، وتتلخص اهم نقاطه في التالي :

١ — وحدة مدينة القدس .

٢ — توحيد القدس رمز لتوحيد كل شعوب فلسطين .

٣ — السلطة الروحية والمعنوية على الاماكن المقدسة تعطى للجهات الدينية صاحبة الشأن .

٤ — تتحول القدس ، مع توسيع نطاقها ، الى « منطقة عواصم » لها وضع خاص في الكومنولث ، تكون فيه عاصمة دولة الكومنولث ، وعاصمة دولة اسرائيل وعاصمة الدولة العربية او الدولتين العربيتين في فلسطين .

٥ — السلطة القانونية والادارية على منطقة العواصم تقسم بين الدول المشتركة في الكومنولث بناء على مناطق محددة يتفق عليها .

٦ — كل العرب القاطنين في القسم الاسرائيلي من القدس يمكنهم الاختيار بين الرعوية العربية او الاسرائيلية دون أن يفقدوا الحقوق التي تخولها لهم الرعوية الاسرائيلية .

٧ — كل اليهود القاطنين في الاقسام العربية من القدس لهم حق الاختيار بين الرعوية العربية او الاسرائيلية دون ان يفقدوا الحقوق التي تخولها لهم الرعوية العربية .

٨ — يراعى في الحكم الاداري «لمنطقة العواصم» التي هي القدس الموسعة ان تكون ، رغم تقسيمها ، مدينة واحدة تتوفر فيها حرية الحركة والتنقل واستخدام الاماكن المقدسة للجميع .

٩ — يتم هذا التوحيد الاداري عن طريق « لجنة عمل » من عمدة اسرائيلي وعمدة عربي ينتخب كل منهما بواسطة شعبه في القدس .

١٠ — يتم توسيع منطقة القدس بحيث تتسع لتكون منطقة عواصم وسوف يستدعي هذا ضم اماكن من بينها مدينة بيت لحم والمناطق المحيطة بها .

١١ ــ ادارة مدينة القدس سوف تكفل المحافظة في كل قسم منها على احترام هوية كل شعب وتعليمه وديانته وثقافته الخاصة .
١٢ ــ تتكون قوة بوليس خاصة للاماكن المقدسة (المدينة القديمة وكل الاماكن المقدسة خارجها) تكون خاضعة للادارة المشتركة للمدينة .

تلك هي الخلاصة الجوهرية للمشروع . وهناك بالطبع تفاصيل اخرى كثيرة عن أسلوب المفاوضات ، وعن قرار مجلس الامن ، ومهمة يارنج ، وكل مـا له صلة بالقضايـا والمحاولات التي طرحت منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ . ولكنني آثرت التركيز او الاكتفاء بالجانب الاساسي في المشروع وهو فكرة « الكومنولث الفلسطيني » .

ولالقاء مزيد من الضوء على هذا المشروع وتعقيداته القانونية واهدافـه السياسية ، اسجل هنا بعض فقرات ، بحذافيرها تقريبا ، من الملاحظات التي ختم بها البروفيسور « جيدون جوتليب » مشروعه ، كالآتي :

- انه يعتبر هذا الاقتراح « طريقة جديدة للنظر الى المشكلة وفك تعقيداتها » ، قد تفيد رجال السياسة من شتى الاطراف ، اكثر مما هو « مشروع متكامل » كحـل سياسي للمشكلة الفلسطينية ، وبالتالي فهو قابل للتعديلات الكثيرة .

- انه في تفكيره حول هذا المشروع ، حاول ان ينطلق مما يسميه « الاهداف المعلنة لطرفي النزاع » ، وهم منظمات المقاومة الفلسطينية من جهة ، وزعماء اسرائيل من جهة اخرى . كيف ؟ ان ممثلي حركة المقاومة الفلسطينيـة يقولون ان هدفهم هو « اقامة دولة ديمقراطية علمانية يتساوى فيها العرب واليهود » ، وان كان «البعض» يعتقد ان هذا الهدف « المعلن » غير حقيقي ، وان الهدف الحقيقي لهم هو « تدمير دولة اسرائيل وطرد اليهود » . وزعماء اسرائيل يقولون ان هدفهم هو السلام الكامل والنهائي ، وان كان « البعض » يعتقد ان هذا الهدف المعلن غير حقيقي وان اسرائيل تضمر في الواقع نوايا توسعية صهيونية . ولكنه يبدأ في تفكيره من « الاهداف المعلنة » لكل من الطرفين ، وينطلق من تصديقها . وفي نفس الوقت ، هناك « رفض معلن » ايضا لكل من الطرفين . فالمقاومة الفلسطينية ترفض قيام دولة صهيونية اسرائيلية ، الدولة بشكلها الراهن ، على جزء من ارض فلسطين . وجولدا مايير ترفض الاعتراف « بحقوق قومية » للشعب العربي في فلسطين . ولكنها تتحدث عن حدود ما مع دولة عربية هي الاردن . اي ان اسرائيل تقبل قيام دولة عربية على جزء من ارض فلسطين في لغة العرب او ارض اسرائيل التاريخية Eretz Israel [وهي، كما سبق ان ذكرت، شيء واحد في رأي صاحب المشروع وتشمل فلسطين وشرقي نهر الاردن] . وهو يرى أن الطرفين يتفقان على وحدة ارض فلسطين ، وان ارض فلسطين في لغة العرب وارض اسرائيل في لغة العبريين هي جغرافيا فلسطين والاردن التي منحت عصبة الامم انجلترا صك الانتداب عليهما ، وقامت انجلترا بتقسيمهما الى فلسطين واردن . وهو لهذا يفضل ان يضم الكومنولث دولتين فقط دولة عربية ودولة اسرائيلية ، الا اذا رأى العرب ان يقسموا الجزء الخاص بهم الى دولتين عربيتين فيصبح في الكومنولث ثلاث دول . المهم ان شرق الاردن داخلة في الكومنولث الفلسطيني .

- انطلاقا من هذه المواقف المعلنة للطرفين ، بدأ صاحب المشروع محاولة التوفيق « بين حقوق العرب وحقوق اليهود في فلسطين » لا كأفراد ، ولكن كشعوب . وهنا يضع قناعة اخرى انطلق منها وهي : **ان اي حل ينطلق من رفض فكرة حق الوجود القومي لاحد الشعبين داخل اطار سياسي ما خاص به ، هو حل غير قابل للتطبيق .**

من نقطة « الاهداف المعلنة » للطرفين ، ومن قناعة « عدم امكانية حل لا يعترف بالوجود القومي لاحد الشعبين » وصل الى هذا الاقتراح الذي يرى انه يوفق بين أشياء كثيرة.

— فالفلسطيني العربي امامه كل ارض فلسطين « وطنا قوميا له » يستطيع ان يعيش ويمارس حياته ويتنقل في اي مكان منها كما يشاء. والاسرائيلي لديه كل Eretz Israel « وطنا قوميا له » يستطيع ايضا ان يعيش ويمارس حياته ويتنقل في اي مكان منهـا كما يشاء .

— ان فكرة الدولة الصهيونية المنغلقة غير موجودة ، كما ان الدولة العربية المعادية بالنسبة لليهودي غير موجودة . ولكن هناك درجة كبيرة من التبادل والاندماج بين الشعبين تقترب كثيرا من صيغة المجتمع المثالي « الديمقراطي العلماني الذي يتمتع فيه اليهود والعرب بحقوق متساوية » .

— ويعتقد البروفيسور جوتليب ايضا ، انه وان كانت المشكلة الفلسطينية هي المشكلة الاكثر تحديا وتعقيدا ، الا انه من ظواهر هذا العصر الحديث : تفجر الحركات القومية ، واصرارها على حق تقرير مصيرها حتى تلك التي عاشت قرونا في اطار دولة واحدة (يمكن ان تساعد مشاكل القوميات اليوغوسلافية في هذا المجال كنموذج) واصرار كل قومية حتى ولو كانت جذورها قبلية او عددها قليلا على الاستقلال ، الامر الذي قفـز — مثلا — برقم العضوية في الامم المتحدة ، اذ دخلت «دول» لا يزيد عدد سكان بعضها على مئات الآلاف .

ولهذا فالمشكلة ، في رايه ، تطرح على الفقه الدستـوري والـدولي التقليدي تحـديا جديدا ، حيث ما زال السائد في هذا الفكر هو صورة الدولة « ذات البناء الراسي » والسلطة الهرمية الواحدة ، الامر الذي لم يعد يلبي الحاجة الى صيغ جديدة : بالنسبة للدول ذات المجتمعات المتعددة ، صيغا ونماذج اكثر مرونة ، وتوفق بين : رغبات التفرد والتميز والاحتفاظ بالهوية الذاتية لدى مجتمعات معينة ، وبين الابقاء على حد ادنى من كيان « الدولة » الذي بغيره لا يمكن ممارسة التقدم المنشود في هذا العصر .

وهو يعتبر مشروعه عن « الكومنولث » الفلسطيني تجربة في هذا المجال . وما فيه من ابتكارات وتعقيدات اهل للموازنة بين امكانيات التعاون ورغبة كل مجتمع في الاحتفاظ بهويته واصراره على حق تقرير مصيره .

هذا هو جوهر المشروع في ايجاز . ومفتاحه كما يبدو ، من الناحية القانونية ، هو التفرقة بين « المواطنية » اذا جاز التعبير وبين « الجنسية الرسميـة » . فهو يجعل « فلسطين كلها » وطنا قوميا لكل من الشعبين العربي والاسرائيلـي ، ثم يقيم عدة « دول » يحمل كل فريق جنسية دولة منها بما في الجنسية من حقوق سياسية . وهو يفتح الابواب بين الدول المشتركة في الكومنولث على آخرها ، ويبقي لكل دولة حدا ادنى من السلطة يكفي للاحتفاظ « بالهوية القومية » الاساسية لكل شعب . فهو نوع مـن الاتحاد الفدرالي ، وهي فكرة ترددت في عناوين الصحف ومقالات المعلقين وتصريحات بعض الرسميين أحيانا . ولكنه أكثر من اتحاد فدرالي ، لان نسبة التداخل والامتزاج فيه اكبر بكثير ... فهو اكثر من قول ابا ايبان منذ اسابيع انه يريد ان يرى الشرق الاوسط « منطقة مفتوحة كبلاد السوق الاوروبي المشترك » .

وقد لا يتسع المجال هنا هذه المرة لمناقشة مفصلة للمشروع ، ولردود اعتقد ان غيري سوف يحب ان يساهم بها . وقد يلاحظ المرء انه يعطي لاسرائيل حدودا جديدة ، تريدها فعلا ، تشمل الاردن وتلتصق بحدود العراق ... واشياء اخرى كثيرة . ولكن مـن الضروري تسجيل ملاحظة اساسية جوهرية هي :

انه حين تكون كل التصرفات الاسرائيلية — والامريكية بالذات — تحمل معنى التصميم على ان حجر الاساس في كل تخطيط او تفكير هو « الاحتفاظ بتفوق اسرائيلي ساحق » ،

فان هذا يلقي ظله على كل مشروع مطروح . ذلك اننا نعرف جميعا ان كل النصوص القانونية في الحياة الدولية لا يفسرها قضاة محايدون ، أو محكمة منزهة ، ولكن تفسرها « علاقات القوى الفعلية » في الساحة .

الى قارىء شؤون فلسطينية :

لعله ما من موضوع كتب به الكثير ، محليا وعالميا ، لأثره في حياة الملايين من البشر لمدة طويلة من الزمن ، ومع هذا لا يزال يعاني من جهل غالبية الشعوب لتفاصيله واساسياته مثل موضوع القضية الفلسطينية . ويزيد في خطورة هذه الحقيقة ان غالبية الناس لا تعترف بهذا الجهل ، بل انها ، وفي معظم الاحيان ، تستبدل الحقائق والبدهيات بمعتقدات مشوشة وبمعلومات مغلوطة وبتصورات متجنية . وذلك تحت تأثير عوامل تاريخية ونفسية تستغلها وتوجهها لمصلحتها أجهزة دعاية معادية ومغرضة قوية تتحكم في عقول الشعوب وتبني حولها أسوارا عالية تعجز المحاولات الفلسطينية ، قصيرة النفس والمتقطعة والضيقة نسبيا ، عن اختراقها ولو بشكل جزئي .

الا ان الشعب الفلسطيني لن ييأس .

فهو ، اولا ، صاحب حق . وعلى صاحب الحق ان يثابر وان يواصل رسالته مهما كانت العقبات . وهو ، ثانيا ، شعب ثائر . وعلى الثائر دائما أن يعلن لماذا هو يرفع بندقيته في وجه الظلم والطغيان . وهو ، ثالثا ، يؤمن ان العالم أسرة واحدة ، بالرغم من وجود مصاصي الدماء (من أفراد وطبقات وأنظمة وتكتلات مصلحية) يفرقون بين الشعوب ويضللون الجماهير ، ويؤمن ان ثورته انما هي جزء عضوي من ثورة جميع المضطهدين في العالم . وبالتالي فانه يجب ان يفهم اخوانه وزملاءه حقوقه ومشاكله وظروفه واهدافه حتى لا يبقى لوحده على ارض الجهاد وحتى تكمل ثورته جهود اخوانه في بقاع اخرى من العالم نحو التحرر والنمو .

وليس كتاب « فلسطيني من الملايين الثلاثة » أكثر من محاولة ، بالصورة وبالقليل جدا من الكلمات ، لنقل صوت الشعب الفلسطيني الى العالم بهدوء وببساطة ، ولكن بحزم وبصدق وبتصميم .

لقد روى غازي دانيال ، من أسرة مركز الابحاث وشؤون فلسطينية ، قصته . وحررها هاني فارس من باحثي المركز ومراسل المجلة في كندا . وأخرجها زاهي خوري ، المستشار الفني للمجلة وللمركز .

ارسل ليرة لبنانية واحدة الى قسم التوزيع في مركز الابحاث (ص ب ١٦٩١ بيروت) تحصل على نسخة من الكتاب لتهديه الى صديق اجنبي او صديقة اجنبية . اما اذا طلبت مئة نسخة او اكثر فتحصل على حسم قدره ٥٠ ٪ من السعر .

الهجرة الى اسرائيل : مشاكلها وكيفية التصدي لها

عبد الحفيظ محارب

من اهم الاسلحة التي تعتمد عليها الصهيونية لتحقيق مآربها سلاح الهجرة اليهودية الى فلسطين من اجل خلق دولة اسرائيل وتعزيزها . وقد اعتمد هذا السلاح في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، حين خلق في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ما يعرف بـ « اليشوف » اليهودي بواسطة ست موجات من الهجرة جاءت في فترات متقطعة ، أدت لتحويل « اليشوف » الى دولة اسرائيل التي تعززت بفضل موجات اخرى من المهاجرين ، ومكنتها مع عوامل اخرى من الوقوف على قدميها ومن ثم احراز نصر عسكري في الخامس من حزيران ١٩٦٧ والسيطرة على مزيد من الاراضي العربية تصل مساحتها ثلاثة اضعاف ونصف ضعف ما كانت قد حصلت عليه عام ١٩٤٨ . فالهجرة اليهودية الى فلسطين كانت الوسيلة الوحيدة لقيام دولة اسرائيل ، كما وانها لا زالت تعتبر الوسيلة الاساسية والفعالة لتعزيز الكيان الاسرائيلي . ولا يمكن للعقل ولو للحظة تصور وجود « اليشوف » في فلسطين بدون الهجرة اليهودية ، كما لا يمكن له ايضا تصور تزايد نمو الكيان الاسرائيلي بدون هذه الهجرة . وعليه فان عامل الهجرة يعتبر من اهم مرتكزات ومقومات المجتمع الاسرائيلي . فهذا المجتمع يعتبر ، بالرغم من مرور حوالي قرن على بداية موجات الهجرة ، مجتمع مهاجرين ، ويتميز بالخصائص العامة التي يتميز بها اي مجتمع مهاجرين . فلو القينا نظرة على الواقع الديموغرافي في اسرائيل لاتضح لنا ان الاكثرية الساحقة من يهود اسرائيل هم مهاجرون او ان آباءهم مهاجرون. ففي عام ١٩٦٨ وصل عدد السكان اليهود البالغين (من سن ١٥ فما فوق) الى ١٬٦٨٩٬٢٨٦ نسمة ، منهم فقط ٢٤ ٪ من مواليد البلاد ، اما الذين يعتبرون هم واباؤهم من مواليد البلاد فتبلغ نسبتهم ٤ ٪ فقط(١).

وبما ان اي مجتمع مهاجرين جديد يتسم ايضا بالطابع الاستيطاني ، حيث ان الاستيطان يعتبر الخطوة العملية الاولى لترسيخ اقدامه ، وتعميق جذوره في الارض الجديدة ، كذلك هو الحال بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي الذي يعتبر مجتمع مستوطنين ويتميز بالخصائص العامة لاي مجتمع مستوطنين . فقد وضع مجتمع المهاجرين اليهود في فلسطين قبل وبعد قيام الدولة على رأس سلم الافضليات ، اقامة المستوطنات في كل مكان يستطيع فيه ذلك ، وهذا امر طبيعي ناجم عن طبيعة المجتمع الاسرائيلي — مجتمع المهاجرين — الذي يضع نصب عينيه ترسيخ اقدامه على الارض الجديدة بكل ثمن ، وليس من الغريب في شيء ان يقوم هذا المجتمع بعد حرب حزيران باقامة مستوطنات في الاراضي العربية المحتلة بالرغم من انه لم يضمها اليه رسميا ! ذلك ان مجتمع المهاجرين لا يمكن ان تقوم له قائمة بدون تحويله الى مجتمع مستوطنين . ومن المعروف ان المجتمع الاسرائيلي يمر في المرحلتين في آن واحد ، فهنالك « يهود الشتات » الذين يبلغ تعدادهم حوالي ١٤ مليونا ويمدون اسرائيل بموجات من المهاجرين سنويا ، وفي

من اسرائيل الى الخارج اي الهجرة المعاكسة فتدعى « هيريداه » اي الهبوط ، اما المهاجر من اسرائيل فتلصق به كنية « الهابط » . ولا تخفى الدوافع الكامنة وراء خلق هذه المصطلحات .

لكي ندرس الهجرة الى اسرائيل ونصل الى الاستنتاجات المتأتية عن ذلك ، وضرورة اتخاذ خطوة عربية عملية في وجه الهجرة ، لا بد لنا من استعراض موجات الهجـــرة الى اسرائيل التي وفدت اليها منذ قيامها وحتى الان .

الهجرة الى اسرائيل

لم تكن الهجرة الى فلسطين قبل قيام اسرائيل متاحة لكل من يرغب في ذلك من اليهود ، بل كانت مقيدة « بحد اقصى » من قبل سلطات الانتداب البريطاني . وكان هذا « الحد الاقصى » يعتريه الهبوط والارتفاع بين الفينة والاخرى بسبب مراوغة سلطات الانتداب بين طرفي النقيض العربي والصهيوني. كانت الهجرة تقسم الى قسمين، هجرة «شرعية» بموافقة سلطات الانتداب ضمن « الحد الاقصى » المسموح به ، وهجرة غير شرعية وتتم عن طريق التسلل الى البلاد ، ومن ثم تنشط المؤسسات الصهيونيـــة في اضفاء « الشرعية » عليها بواسطة علاقاتها الخاصة مع السلطة المنتدبة . بيد ان هذا الوضع انقلب رأسا على عقب عند اعلان قيام دولة اسرائيل فقد غدت الهجرة الى اسرائيل مفتوحة امام كل يهودي يرغب في ذلك . ولاهمية هذا الموضوع تضمنت « وثيقـــة الاستقلال » التي اعلنت يوم قيام اسرائيل ، بندا ينص على « ان دولة اسرائيل ستكون مفتوحة امام الهجرة اليهودية وجمع الشتات » ثم حظي هذا النص بتصديق برلماني عليه عام ١٩٥٠ ، عندما أقر البرلمان الاسرائيلي قانونا يعرف باسم « قانون العودة ١٩٥٠ » . واهم البنود التي وردت فيه هي : « ان لكل يهودي الحق في العودة الى البلاد » واستثنى من ذلك « كل من يعمل ضد الشعب اليهودي او يعرض الصحة العامة او أمن الدولة للخطر »(٢). ويعتبر هذا القانون سابقة في التشريعات العالمية ، ويفصح بشكل واضح جلي اكثر من اي قانون او تشريع آخر في اسرائيل عن الهدف الذي قامت من أجله اسرائيل ، كما يوضح مدى الاهمية التي تعلقهـــا السلطات الاسرائيلية على الهجرة اليهودية . وبالاضافة الى قانون العودة واستكمالا له ، اقر البرلمان الاسرائيلي عام ١٩٥٢ « قانون الجنسية » الذي يمنح الجنسية الاسرائيلية لكل يهودي يهاجر الى اسرائيل بمجرد وصوله اليها .

عند قيام الدولة انهمكت المنظمات الصهيونية والسلطة الجديدة في دراسة شؤون الهجرة على ضوء الاحداث المستمرة ، وامكانية نقل مهام الاعتناء بالهجرة والمهاجرين على كاهل « السلطة الرسمية » . غير انه اتضح بأن هذا الامر غير ممكن ، ولـــذا قررت اللجنة التنفيذية الصهيونية في مؤتمر عقدته في تل ابيب بعد مضي ثلاثة اشهر على قيام الدولة « ان الهجرة الى البلاد واستيعابها ليست وظيفة رسمية فقط ، بل هي هدف قومي ينبغي على كافة يهود الهجرة المساهمة الفعالة لانجازها »(٣). ونتيجة لهذا القرار بقيت مهام الهجرة اليهودية على كاهل الوكالة اليهودية ، وبذلك قدر لهذه الوكالة التي كانت قد لعبت دورا اساسيا في تكوين اليشوف وتجسيده ، ان تلعب دورا آخر يتمثل في تعزيز « الدولة اليهودية » . وقد حددت اللجنة التنفيذية الصهيونية مهام الوكالة اليهودية : تنظيم الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، استيعاب المهاجرين في اسرائيل ، والعمل على دمجهم في اقتصاد الدولة ، وتوطينهم في المزارع ، وتثقيف ابنائهـــم ، وتمهيد الاراضي والقيام بأعمال تشجير . ومن اجل ذلك انشأت الوكالة اليهودية خمس دوائر : دائرة الهجرة ، دائرة الاستيعاب ، دائرة الشبيبة ، الدائرة الاقتصادية ودائرة الاستيطان(٤). بيد ان ذلك لا يعني ان الحكومة الاسرائيلية تركت شؤون الهجرة بيد الوكالة لوحدها ،

بل اخذت تساهم بها ، وتحاول توسيع صلاحياتها ، الامر الذي احدث نوعا من التداخل في صلاحيات الطرفين ، مما دفع البرلمان الاسرائيلي الى ان يقر قانونا عام ١٩٥٠ ، ويستكمله بالتصديق على اتفاقية عام ١٩٦٤ ، حددت بموجبهما صلاحيات كل طرف ، حيث بقيت معظم المهام الرئيسية مناطة بالوكالة اليهودية التي اصبح عليها بموجب اتفاقية ١٩٥٤ ان تعمل على « اساس برنامج متفق عليه مع الحكومة او مصدق عليه بواسطة لجنة التنسيق »(٥). ومن الجدير بالذكر ان لجنة التنسيق مكونة من ممثلين عن الوكالة اليهودية ، وممثلين عن الحكومة بمستوى وزير . غير ان رغبة الحكومة في توسيع صلاحياتها دفعتها عند مطلع ١٩٦٧ الى احداث تغيير في هيكل المؤسسات العاملة في شؤون الهجرة ، حيث تمت الموافقة بين الحكومة والوكالة على انشاء « سلطة مشتركة للهجرة والاستيعاب » تضم خمسة وزراء وخمسة اعضاء من الوكالة ، كما اقيمت دائرة لاستيعاب المهاجرين ، يشترك فيها كبار موظفي وزارات العمل والمالية والاسكان والشؤون الاجتماعية واعضاء عن الوكالة اليهودية ، كما تم تقليص الدوائر الخمس التابعة للوكالة عندما تقرر احداث دمج بين بعض هذه الدوائر ، واصبحت تقتصر على ثلاث فقط . ثم خطت الحكومة الاسرائيلية خطوة اخرى في سبيل توسيع صلاحياتها اثارت سخط الوكالة اليهودية ، حين قررت في ١٩٦٨/٦/٩ استحداث وزارة جديدة تحمل اسم « وزارة الهجرة والاستيعاب » برئاسة نائب رئيس الوزراء يجال آلون ، الامر الذي دفع رئيس ادارة الوكالة اليهودية اريه بنكوس الى تقديم استقالته ولكنه عدل عن خطوته تحت الحاح كبار موظفي الوكالة بالبقاء في منصبه . وقد ادت خطوات الحكومة الرامية الى توسيع صلاحياتها على حساب صلاحيات الوكالة الى توتر العلاقات بين الطرفين ، وتبادل التهم بينهما بين الفينة والاخرى ، ومع ذلك فان الاعمال الاساسية والرئيسية لا زالت بيد الوكالة اليهودية .

موجات الهجرة اليهودية

شهدت اسرائيل بعد قيامها موجات من الهجرة ، تتسم حينا بالارتفاع ، وتارة بالهبوط ، وطورا بالاستقرار . ومن اجل توضيح الصورة قسمناها الى فترات زمنية حسب الارتفاع والهبوط والاستقرار .

الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ ــ ١٩٥١ : تعرف هذه الفترة باسم « الهجرة الجماهيرية » بسبب سيل الهجرة الذي تدفق على اسرائيل خلالها ، مما تأتى عنه مضاعفة سكان اسرائيل خلال ثلاثة اعوام ونصف ، فقد وصل عدد المهاجرين خلال هذه الفترة حوالي ٦٨٥ الف مهاجر ، بينما كان عدد سكان اليشوف عشية قيام الدولة ٦٥٠ الف نسمة ، وبذلك تكون الحركة الصهيونية قد انجزت خلال هذه الفترة القصيرة اكثر مما انجزته خلال عشرات السنين .

لم يتوقف سيل الهجرة عام ١٩٤٨ بسبب المعارك ، فخلال الاشهر الاربعة الاولى التي اعقبت قيام اسرائيل ووسط اشتداد المعارك قدم حوالي ٣٣ الف مهاجر معظمهم من الشبيبة الطلائعية والمتطوعين ، وقد ارسل قسم كبير من هؤلاء « مباشرة من السفينة الى جبهات القتال »(٦).

بدأت « الهجرة الجماهيرية » والتي تعرف ايضا « بهجرة الانقاذ » بسبب هجرة عدد كبير من يهود المعسكرات في اوروبا ، بدأت في شهر سبتمبر من عام ١٩٤٨ . ويمكن تقسيم الروافد الاساسية لهذه الهجرة الى ثلاثة روافد (١) معسكرات اليهود في اوروبا الغربية وقبرص (٢) بلدان اوروبا الشرقية (٣) العالم العربي . ففي عام ١٩٤٨ بدأت الوكالة اليهودية تنشط بين يهود المعسكرات في كل من المانيا والنمسا وايطاليا ، لتنقل قسما منهم الى اسرائيل عن طريق ميناءي مرسيليا في فرنسا ، وباري في ايطاليا ، وكذلك

قامت بتصفية معسكرات اليهود في قبرص ، التي كانت قد اقامتها سلطـــات الانتداب لليهود الذين تسللوا الى فلسطين بطرق غير شرعية . وفي نفس الوقت بدأت هجرة واسعة ليهود البلقان (خاصة يهود هنغاريا ويوغوسلافيا) وكذلك قدم الى اسرائيل عدد كبير من يهود تركيا . وقد حدث في بداية هذه الفترة هبوط في حركة الهجرة من بولونيا ورومانيا نتيجة وضع قيود على حركة الهجرة منهما ، غير ان هذه القيود أزيلت مؤقتا بفضل نشاط المنظمات اليهودية والصهيونية ، مما أدى الى هجرة ١٠٠ الف يهودي من بولونيا و١٢٠ الف يهودي من رومانيا الى اسرائيل . اما رافد الهجرة الثالث الذي اخذ يصب في اسرائيل فقد أتى من الاقطار العربية ، ففي صيف عام ١٩٤٩ بدأت عملية « البساط السحري » لتهجير يهود اليمن الى اسرائيل ، عند موافقة السلطات اليمنية على ذلك(٧) وقد استغرق تنفيذ هذه العملية التي نقل فيها حوالـــي ٤٥ الف يهودي بالطائرات الى مطار اللد حوالي العام . وقبل ان توشك عملية « البساط السحري » على الانتهاء شرع في انجاز عملية اخرى تعرف باسم عملية « عزرا ونحميا » التي جاءت لتهجير يهود العراق الى اسرائيل . وقد تحققت هذه العملية بطرق « شرعية » ، بفضل اقدام البرلمان العراقي على سن قانون في شهر آذار من عام ١٩٥٠ « يسمح لليهود بالهجرة من العراق »(٨) . بدأت الهجرة من العراق بأحجام صغيرة الا انها وصلت الى قمتها بين شهري آذار وحزيران ١٩٥١ وانتهت بعد ذلك بعدة شهور . وقد ترتب على عملية « عزرا ونحميا » وصول ١٢٤ الف مهاجر يهودي الى اسرائيل !! وهكذا تكون الهجرة اليهودية من العراق قد احتلت الرقم القياسي للهجرة الجماهيرية في تلك الفترة . ولم تقتصر الهجرة اليهودية الى اسرائيل على اليمن والعراق فقط ، بل شملت ايضا ليبيا حيث قدمت الى اسرائيل معظم الجالية اليهودية (٣٠ الفا من مجموع ٣٥ الفا) في عامي ١٩٤٩ و١٩٥٠ في خط مباشر الى اسرائيل او عن طريـــق الموانىء الايطاليـــة والفرنسية ، كما وهاجر في هذه الفترة قسم من يهود مصر ، وقسم ضئيل من يهود شمال افريقيا الى اسرائيل .

لم يكن العامل الصهيوني هو الحافز الاقوى في الهجرة الجماهيرية الى اسرائيل بل كانت هنالك عوامل اقوى منه نجمت عن الاوضاع الصعبة التي عاشها اليهود في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد « كان الكثيرون من مهاجري أوروبا الشرقية والوسطى وخاصة الشباب منهم ، غرباء عن الثقافة والتقاليد اليهودية وحتى عن وجهة النظـــر الصهيونية »(٩) . وفيما يتعلق بيهود العالم العربي فان الحوافز الدافعة لهجرتهم ليست نابعة من العامل الصهيوني (وليد الحركة اللاسامية في اوروبا) بقدر ما كانت ناجمة عن العوامل السياسية والاقتصادية . يقول يعقوب كوهين في حديث له عن اسباب هجرة يهود العالم العربي الى اسرائيل : « ان حافز الهجرة نجم عن الضغوط السياسية والاقتصادية وقد جاءت الهجرة نتيجة لاعتبارات اقتصادية وسياسية صريحة ، وكانت اسرائيل الامكانية الاخيرة ... امكانية عدم وجود خيار لاولئك اليهود الذين لم يكن بامكانهم الاندماج في بلدان اوروبا واميركا . لقد هاجر الاثرياء والاكاديميون فقط عند اشتداد وطأة الضغوط السياسية . ومن المؤكد ان ثمة يهودا هاجروا الى البلاد بدوافع صهيونية وحوافز دينية او لاسباب شخصية ، غير ان العامل البارز والحافز الاساسي ، يتمثل في الوضع الاقتصادي والسياسي »(١٠) .

كان من نتيجة الهجرة الجماهيرية الواسعة النطاق ــ علاوة على تعزيز القوة البشرية لاسرائيل ــ ان ظهرت على السطح في المجتمع الاسرائيلي مشاكل حادة بسبب اختلاف الاجناس والحضارات ومستويات المعيشة ، وللتناقض بين المهاجرين الجدد والمهاجرين القدامى ، بين الاشكناز والاسفارديم الذين اخذوا يحتلون نسبة لا بأس بها في المجتمع

الاسرائيلي بفضل هجرة يهود البلقان وتركيا والعالم العربي الامر الذي ادى الى ولادة ما يعرف « باسرائيل الثانية » .

الفترة الواقعة بين ١٩٥٢ ــ ١٩٥٤ : شهدت هذه الفترة هبوطا حادا في عدد المهاجرين ، اذ بلغ مجموع ما وصل خلالها الى اسرائيل حوالي ٥٠ الف مهاجر فقط ، بسبب الازمة الاقتصادية الحادة وما نجم عنها من بطالة واسعة في تلك الفترة . وتعود اسباب هذه الازمة الى مضاعفة سكان الدولة خلال فترة وجيزة ، وتخصيص مبالغ كبيرة لمتطلبات الامن ، مما ترتب على ذلك حدوث عجز خطير في ميزان المدفوعات. وقد دفع هذا الوضع الوكالة اليهودية الى اتباع سياسة جديدة تجاه الهجرة تعتمد على أسلوب الاختيار ، اشترطت بموجبها ان يجري اختيار ٨٠ ٪ من المرشحين لهجرة الشبيبة والطلائعيين ، واصحاب المهن الحرة الذين لا تزيد اعمارهم عن ٣٥ عاما وان يجتاز المهاجر فحصا طبيا دقيقا باشراف طبيب اسرائيلي . اما المهاجرون الذين يتمكنون من ترتيب امورهم بأنفسهم دون اللجوء الى الوكالة اليهودية فبوسعهم ان يفعلوا ذلك بدون حدود او قيود(١١). كان من نتيجة ذلك ان طرأ هبوط على حركة الهجرة ، وبلغ الهبوط ذروته في عام ١٩٥٣ حين زاد عدد المهاجرين في اسرائيل على عدد المهاجرين اليها . وقد ترتب على هذا الواقع ان اصبح الكثير من اليهود المرشحين للهجرة وخاصة يهود شمال افريقيا يترددون في القدوم الى اسرائيل ، ولكن بالرغم من ذلك ارتفعت في هذه الفترة نسبة اليهود الشرقيين (٧٨ ٪) معظمهم من تونس ومراكش ، بينما انخفضت نسبة المهاجرين من الاقطار الاوروبية .

الفترة الواقعة بين ١٩٥٥ ــ ١٩٥٧ : شهدت هذه الفترة تصاعدا في حركة الهجرة اليهودية لاسباب داخلية وخارجية اهمها تحسن الحالة الاقتصادية والعمالية بفضل اتفاقية التعويضات مع المانيا الغربية التي اخذ يسري مفعولها في عام ١٩٥٣ مما ترتب عنها تدفق ملايين الدولارات ، وزيادة الانتاج لامتصاص الايدي العاملة ، وتخفيف حدة البطالة . اما العوامل الخارجية التي استغلتها الحركة الصهيونية لصالحها فتتمثل في الاحداث السياسية التي وقعت في كل من هنغاريا وبولونيا في اوروبا ، واشتداد ساعد الحركة الوطنية في شمال افريقيا .

وفيما يتعلق بروافد الهجرة لهذه الفترة فهي تقريبا نفس الروافد السابقة : اوروبا الشرقية والعالم العربي . الا ان نسبة الوافدين من الاقطار العربية تتفوق هذه المرة على نسبة الوافدين من اقطار اوروبا الشرقية . اذ كانت حصيلة الهجرة تناهز الـ ١٦٠ الف مهاجر ، احتل فيها المغرب مكان الصدارة ، بعد ان كان العراق متربعا على كرسي الصدارة في فترة « الهجرة الجماهيرية » فقد بلغ عدد اليهود الوافدين من المغرب ٧٠ الف مهاجر ، واما تونس فقد قدم منها ١٥ الف مهاجر ومصر ١٢ الف مهاجر ، اما بقية المهاجرين فقد قدمت من بولونيا وهنغاريا وبعض الدول الاوروبية والاميركية .

الفترة الواقعة بين ١٩٥٨ ــ ١٩٦٠ : حدث هبوط نسبي في هذه الفترة على حركة الهجرة . اذ بلغ عدد المهاجرين خلال الاعوام الثلاث حوالي ٧٥ الف مهاجر اي اقل من نصف عدد المهاجرين في الفترة السابقة . ومن بين الامور التي ساعدت على هذا الهبوط قيام الحكومة المغربية بعد الاستقلال بمنع الهجرة ، وقيام السلطة الجديدة في تونس (في عهد الاستقلال) بنشاط لابقاء اليهود في بلدهم . اما مصادر الهجرة فقد بقيت على حالها في دول اوروبا الشرقية ، ويهود اسيا وافريقيا (معظمهم من العالم العربي) وقد بلغ نصيب اليهود في هذه الهجرة حوالي الثلث .

الفترة الواقعة بين ١٩٦١ ــ ١٩٦٤ : تميزت هذه الفترة بالارتفاع النسبي المستقر في حركة الهجرة لاسرائيل . وقد تأتى ذلك بفضل انتعاش الاقتصاد الاسرائيلي خلال هذه

الاعوام . اما روافد الهجرة الاساسية فهي نفس الروافد السابقة : العالم العربي واوروبا الشرقية . شكل اليهود الشرقيون الوافدون من آسيا وافريقيا معظمهم من المغرب وتونس والجزائر نسبة ٥٤٪ من عدد المهاجرين . ومن الجدير بالذكر هنا ان اسرائيل كانت قد علقت عشية استقلال الجزائر ، آمالا كبيرة على اليهود هناك ، الذين شرعوا بهجرة واسعة النطاق الى فرنسا . وقد بذلت الوكالة اليهودية جهودا كبيرة لتحويل سير هجرتهم الى اسرائيل ، الا ان محاولاتها لم تعط الثمار المرجوة منها ، فقد نجحت في جلب ٧٥٠٠ يهودي فقط من مجموع ١١٠ آلاف فضلوا الهجرة الى فرنسا والبقاء فيها(١٢). اما بقية المهاجرين فقد قدموا من الاقطار الاوروبية (وخاصة دول اوروبا الشرقية) ومن اماكن متفرقة من الدول الغربية .

الفترة الواقعة بين ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧ : اتسمت هذه الفترة بهبوط بارز شبيه بالهبوط الذي حدث في الفترة التي اعقبت الهجرة الجماهيرية ، بسبب توقف حركة البناء وتفشي البطالة وسياسة التقشف الاقتصادي التي انتهجتها الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٦٥ . وقد بلغت حصيلة الهجرة خلال هذه الاعوام الثلاثة حوالي ٥٤ الف مهاجر ، شغل بها اليهود الشرقيون نسبة ٦٩ ٪ .

الفترة التي اعقبت حرب حزيران : شهدت هذه الفترة ارتفاعا نسبيا طفيفا خلال الاعوام الاربعة الماضية . فقد بلغ المعدل السنوي للمهاجرين والمهاجرين المؤقتين خلال هذه الفترة حوالي ٣٤ الف مهاجر ، الا انها تتميز عن الفترات السابقة بتعدد روافد الهجرة التي كانت شبه مقتصرة على العالم العربي واوروبا الشرقية ، اما في هذه الفترة وبعد نضوب معين الرافدين فقد اصبحت الهجرة تنبع من مصادر متعددة ومختلفة ، برزت فيها دول اوروبا الغربية واميركا الشمالية ودول اميركا الجنوبية ، وكذلك الاتحاد السوفييتي خاصة في عام ١٩٧١ حين بلغ مجموع اليهود المهاجرين منه في ذلك العام حوالي ١٤ الف مهاجر(١٣).

ومن الجدير بالذكر ان اسرائيل تقسم دول العالم الى قسمين رئيسيين على اساس واقع اليهود فيها ، القسم الاول « بلدان الرخاء » وتعني بها دول اوروبا الغربية واميركا الشمالية وبلدان اميركا الجنوبية واستراليا وافريقيا الجنوبية ، القسم الثاني « بلدان الضيق » ويقف على راسها الاتحاد السوفييتي وبلدان اوروبا الشرقية والعالم العربي . ان هذا التقسيم ، ينبع من خلال النظرة الصهيونية لواقع اليهود السياسي والاقتصادي والثقافي في كل بلد على حدة ، دون الاخذ بعين الاعتبار مدى « رفاهية » او « ضيق » ذاك البلد ، بل اقتصار النظرة على واقع رفاهية او ضيق اليهود فيه ، حسب المفاهيم الصهيونية . لقد جاءت موجات الهجرة اليهودية الاساسية الى اسرائيل من « بلدان الضيق » اوروبا الشرقية والعالم العربي ، وقد نضب معين الهجرة من هذه البلدان ، وتحولت انظار اسرائيل الى يهود الاتحاد السوفييتي ويهود العالم الغربي الا انها تواجه مشكلتين اساسيتين :

١ ــ مشكلة يهود الاتحاد السوفييتي : لا يزال الاتحاد السوفييتي يفرض قيودا على الهجرة بالرغم من هجرة الـ ١٤ الف يهودي في عام ١٩٧١ . ومن المحتمل ان يتخذ خطوات مشددة وحازمة تجاه هذا الموضوع اذا ما قام الطرف العربي بخطة عملية لمواجهة الهجرة اليهودية لاسرائيل .

٢ ــ مشكلة يهود « بلدان الرخاء » : ان مشكلة هؤلاء لا تتمثل في عدم السماح لهم بالهجرة الى اسرائيل او في الضغوطات السياسية والاقتصادية ، بل تتمثل في المستوى المعيشي والاقتصادي الذي يفوق المستوى القائم في اسرائيل ، الامر الذي جعل الهجرة اليهودية من هذه البلدان ضعيفا ويقتصر بشكل عام على « الفئة الصهيونية » ، كما ان

« بلدان الرخاء » تشكل تحديا آخر بالنسبة للهجرة اليهودية ، فعلاوة على ان الهجرة اليهودية منها ضعيفة ، فان نسبة اليهود المهاجرين اليها من اسرائيل تعتبر قوية .

مراحل الاستيعاب

مرت عملية استيعاب المهاجرين الجدد بعدة مراحل، اثرت الى حد كبير في بلورة وتجسيد المجتمع الاسرائيلي . وقد بدأت المرحلة الاولى بعيد اعلان استقلال اسرائيل وتعرف باسم مرحلة المخيمات . لم يكن بوسع اسرائيل في ذلك الوقت استيعاب آلاف المهاجرين الذين اخذوا يتدفقون عليها ، كما ان الوكالة اليهودية التي كانت قد اخذت على عاتقها الاعتناء بشؤون المهاجرين ، اصبحت تواجه وضعا صعبا ، فهي من ناحية مكلفة باستيعابهم بيد انها في الوقت نفسه لم تكن لتستطيع توفير اماكن سكنية وتقديم خدمات ثقافية او صحية لهم . ازاء ذلك ، وجدت الوكالة ان خير طريقة لمواجهة سيل المهاجرين توجيهه نحو البيوت العربية المهجورة . وقد بدأت بالفعل خلال النصف الثاني من عام ١٩٤٨ باحلال المهاجرين اليهود في المنازل العربية المهجورة ، وبذلك غدت المدن العربية التي كانت قد خلت من اصحابها ، مثل حيفا ويافا والرملة واللد وبئر السبع وطبريا وصفد وعكا والخالصة ومجدل عسقلان وبيسى وغيرها ، غدت تغص بالمهاجرين اليهود . ومن الجدير بالذكر ان المهاجرين كانوا يتسابقون على المدن العربية للحصول على المساكن الجيدة في الاحياء الجديدة ، اما الذين لم يسعدهم الحظ فقد سكنوا في الاحياء القديمة التي تعرف بمنازلها القابلة للانهيار ، وقد حدث بالفعل ان انهارت بعض البيوت على سكانها الجدد ، الامر الذي دفع الوكالة اليهودية الى اخلاء المهاجرين من الاحياء القديمة خشية وقوع حوادث شبيهة ، الا ان هؤلاء عادوا اليها لعدم توفر بديل آخر ، واحدثوا بعض التصليحات عليها . وقد بدأت هذه الاحياء تستقطب ابناء الطوائف الشرقية وتتحول مع مرور الزمن الى بؤر للتفجرات الاجتماعية في اسرائيل ، مثل حي وادي الصليب في حيفا عام ١٩٥٨ ، وحي المصرارة في القدس عام ١٩٧١ .

لم يكن بوسع المنازل العربية المهجورة استيعاب كافة المهاجرين ، ولذا وجهت الوكالة اليهودية اولئك الذين لم يستطيعوا الحصول على بيت عربي نحو المخيمات العسكرية التي تركها الجيش البريطاني على اثر انتهاء الانتداب ، كما وجه قسم ضئيل الى الكيبوتسات والمدن الاسرائيلية ، الا انه بعد انتهاء المعارك العربية الاسرائيلية ، وعودة الكثير من المجندين الى قراهم ومدنهم في الوقت الذي كانت فيه موجة الهجرة آخذة بالتصاعد ، بدأت عملية الاستيعاب تدخل مرحلة حرجة وصعبة . وازاء هذا الوضع شرعت الوكالة اليهودية في بناء « مخيمات اللاجئين » حيث بدأت المخيمات تبرز تباعا وبكثرة في اماكن مختلفة من السهل الساحلي الفلسطيني بغرض استيعاب « الهجرة الجماهيرية » وادت الى تغيير المنظر المألوف للقسم الذي احتل من فلسطين . ومن الجدير بالذكر ان نفس التغيير قد طرأ في نفس الفترة على الجانب الاخر من الخريطة الفلسطينية حيث بدأت المخيمات تنصب هنا وهناك لاستقبال « الهجرة الجماعية » للشعب الفلسطيني .

بذلت الوكالة اليهودية جهودا كبيرة للتغلب على مشاكل الاستيعاب حيال سيل الهجرة ، وكان عمالها ينشطون في بناء المخيمات قبل وصول السفن المحملة بالمهاجرين ، وكان يحدث في بعض الاحيان ان يهبط هؤلاء من السفن التي تقلهم دون ان يجدوا مأوى يلتجئون فيه « فيقوم عمال الوكالة بالسرعة الممكنة ، على مرأى منهم ، بدق الاوتاد ورفع الخيام »(١٤). وقد وصل عدد سكان هذه المخيمات في شهر اغسطس عام ١٩٤٩ الى اكثر من مئة الف مهاجر ، وكانت مشكلة التفاهم بلغة مشتركة من اصعب المشاكل التي واجهت المهاجرين الجدد والوكالة اليهودية ، فقد اتى هؤلاء من اماكن شتى ومن

اصول حضارية مختلفة دون ان تكون لديهم دراية باللغة العبرية ، الامر الذي ساعد بشكل عفوي على تنمية الشعور لدى مجموعات المهاجرين بالانتماء الطائفي ، مما احدث نوعا من العلاقات الجافة بين هؤلاء المهاجرين الذين لم يكن بوسعهم ايجاد لغة مشتركة فيما بينهم وفي بعض الاحيان لم يكن بوسعهم « تناول الطعام معا » . ومما زاد الطين بلة ظهور التمييز في توزيع وجبات الطعام التي كانت الوكالة تشرف عليها « فقد اتهم المسؤولون عن توزيع وجبات الطعام باظهار العداء تجاه اولئك الذين لا يحسبون من ابناء طوائفهم.»(١٥) والانكى من ذلك قيام الوكالة اليهودية باعداد الطعام وفق الطريقة الغربية التي تستهوي أذواق فئة معينة فقط ، مما « أثار استياء كبيرا بين صفوف اليهود الشرقيين الذين لم تستهو أذواقهم وجبات الطعام المعـــدة في مطابخ المهاجرين حسب الطريقة الاوروبية »(١٦).

كان المهاجرون الجدد من سكان المخيمات يعيشون على حساب الوكالة دون ان يقوموا بأعمال تذكر ، لعدم توفر فرص العمل ولبعد المخيمات عن مصادر العمل البسيطة في المدن والقرى . ولذا اخذت الظواهر السلبية تتفشى بين صفوف المهاجرين ، واخذت المخيمات تتسم « بالتعفن الاجتماعي واليأس » حيث دبت في نفوس المهاجـــرين روح الاتكالية وغدوا متعودين على حياة البطالة ، الامر الذي « كبت فيهم حافز العمل والتكيف في حياة مستقلة » . وعلى ضوء ذلك ارتأت الوكالة اليهودية ان خير طريقة للخروج من المأزق الحالي ، والتخلص من مظاهر الاتكالية والكسل ؛ الانتقال الى مرحلة استيعاب جديدة .

مرحلة المعابر : اخذت الوكالة عند منتصف عام ١٩٥٠ ببناء وحدات سكنية مصنوعة من الخشب والالمنيوم والخيام بالقرب من المـــدن والقرى الاسرائيلية بغرض نقل سكـــان المخيمات والمهاجرين الجدد اليها ، وتشغيلهم في مصادر العمل الموجودة في المدن والقرى الزراعية. ولكثرة هذه الوحدات طرأ تغيير على المنظر المألوف للمدن والقرى الاسرائيلية، فقد نبتت في مطلع الخمسينات بالقرب من كل مدينة او بلدة او مصادر عمل وحدات سكنية بائسة تدعى « معبروت » (مشتقة من كلمة « معبـــار » اي انتقال) جاءت لاستيعاب آلاف المهاجرين ضمن اطار سكني مؤقت ، كمرحلة انتقال فقط مع خلق فرص عمل جديدة للمهاجرين ، لكي يعيشوا حياة مستقلة معتمدين على انفسهم بمساعـــدة الوكالة اليهودية . لم تكن عملية نقل المهاجرين الى « المعابر » الجديدة عملية سهلة ، فعندما أرادت الوكالة تنفيذ العملية واجهت صعوبات جمة اهمها رفض قسم كبير من سكان المخيمات الانتقال الى المعابر ، لانهم اعتادوا على حياة البطالة والكسل ، وفضلوا العيش في المخيمات على حساب الوكالة ، على الانتقال الى المعابر حيث يضطر المهاجر هناك الى الاعتماد على نفسه في بناء عائلته . وقد ساعد هؤلاء « الاتكاليين » اثنـــاء نقاشهم مع الوكالة في شتاء عام ١٩٥٠ هطول امطار غزيرة حالت دون البدء بعملية الانتقال الواسعة ، الا انه بعد تحسن حالة الجو وتحت اصرار الوكالة اليهودية على الانتقال ، بدأت موجات من مهاجري المخيمات بالاضافة الى المهاجرين الجدد تنتقل الى المعابر التي بلغ تعدادها عند منتصف عام ١٩٥٢ ، ١١٣ تضم حوالي ربع مليون نسمة . لم تفتقر عملية الاستيعاب في المعابر الى المشاكل ، فبالاضافة الى مشاكل السكن ظهرت مشاكل اقتصادية واجتماعية حادة ، كانت الوكالة اليهودية تبذل جهودا كبيرة لتذليلها ، الا ان مشكلة البطالة « التي هددت بتحويل المعابر الى بؤر غليان وسخط اجتماعي ، انحرفا اكثر من مرة الى مجرى طائفي »(١٧)، كانت تقف على رأس هذه المشاكل ، الامر الذي دفع الوكالة الى خلق مصادر عمل بكل ثمن ، للحيلولة دون العودة الى صيغة الاستيعاب التي كانت متبعة في فترة المخيمات حين شرعت في ايجاد أعمال غير ثابتة او مستقرة يتقاضى فيها العمال رواتبهم حسب الساعات او الايام التي يشتغل بها خلال

الشهر، مثل القيام بأعمال التحريش، وشق الطرق، وازالة الاعشاب البرية في الحقول. وبذلك خلقت الوكالة اليهودية سابقة في مجال العمل في اسرائيل عند اقدامها على خلق أعمال تعرف « بأعمال الطوارىء » (عفودات داحك) لا زالت قائمة حتى الان ، يعمل فيها المسنون وينقاضون رواتبهم حسب ساعات العمل المخصصة في الشهر . لم تكن الاعمال التي « خلقتها » الوكالة اليهودية ذات مردود اقتصادي بقدر ما كانت ذات مردود اجتماعي ، فقد أرادت منها عدم العودة الى أسلوب المساعدات المباشرة في فترة المخيمات الذي ولد لدى المهاجرين « ظواهر الكسل والتهرب من العمل » .

امتدت فترة استيعاب المهاجرين بواسطة الوحدات السكنية المؤقتة (المعابر) حتى عام ١٩٥٤ ، لتحل مرحلة اخرى في تاريخ الاستيعاب ، وهي مرحلة تحمل اسم « من السفينة الى القرية » . ففي اعقاب انتهاء موجة «الهجرة الجماهيرية» وتلقي اسرائيل مساعدات مالية اميركية في عام ١٩٥٢ ، وسريان مفعول اتفاقية التعويضات مع المانيا الغربية في عام ١٩٥٣ ، اخذت الوكالة اليهودية بالتعاون مع الحكومة الاسرائيلية في خلق مشاريع عمرانية كثيرة في أماكن مختلفة ، من بينها انجاز مد انبوب للمياه بين نهر العوجا (اليركون) والنقب كمقدمة لمشروع المياه القطري ، والبدء بتجفيف مياه بحيرة الحولة ، والشروع باقامة منشآت صناعية ، واعمال بناء واسعة في المستوطنات مما مكن الوكالة من تحويل سيل الهجرة الى اماكن سكن دائمة وليست مؤقتة .

جرت عملية الهجرة « من السفينة الى القرية » بمحورين : من السفينة الى نقاط الاستيطان الزراعي ، ومن السفينة الى قرى التطوير . غير ان المهاجرين واجهوا صعوبات جمة في هذه القرى لعدم درايتهم بالشؤون الزراعية الامر الذي وضع عبئا ثقيلا على مؤسسات الاستيعاب التي ارتأت ان تقيم مخيمات مؤقتة بالقرب من « الموشافات » (قرى زراعية تعاونية) لتدريبهم على الاعمال الزراعية لفترة معينة ، ومن ثم يتم نقلهم الى اماكنهم الثابتة .

انتهت هذه المرحلة في عام ١٩٥٦ . وبذلك انتهت مراحل الاستيعاب التي تميزت باتباع وسائل مؤقتة لمواجهة سيل الهجرة عن طريق التجربة والخطأ ، لتحل محلها مرحلة استيعاب جديدة تتميز بالدراسة والاعداد والتخطيط ، حيث بدأت الوكالة اليهودية مع السلطات الحكومية باقامة مزيد من الضواحي السكنية بالقرب من المدن وباشادة المستعمرات الزراعية وقرى التطوير في الاماكن النائية لتستوعب المهاجرين بشكل دائم . الا ان المشكلة الرئيسية التي واجهت عملية الاستيعاب هي « صهر » المهاجرين على اختلاف اجناسهم وطوائفهم « في بوتقة واحدة » بواسطة اقامة مستوطنات وضواح مختلطة ، ولكن تجربة الصهر لم تعط الثمار المرجوة منها ، بل اظهرت بشكل واضح استحالة عملية الدمج ، مما ترتب عنها بداية استقطاب القرى والاحياء للمهاجرين ، حسب انتمائهم الاثني او الطائفي ، واصبح العامل الطائفي او الاثني هو الطابع المميز لكل حي او ضاحية او قرية ، حتى غدت الضواحي والقرى تعرف بالاضافة الى اسمائها « بضاحية الرومانيين » او مستوطنة اليمنيين او موشاف المراكشيين ... ومع ذلك فقد يحدث في بعض الاحيان صراع بين ابناء المستوطنة الواحدة ذات الطابع الاثني الواحد لاسباب طائفية ، ففي احدى مستوطنات النقب (يسكنها يهود مصريون، الاكثرية من طائفة القرائين والاقلية من طائفة الربائيين) حدث انشقاق كبير بين ابناء الطائفتين ، « ولم يكن هنالك من مناص من نقل عشرات العائلات اليهودية المصرية الى مستوطنة اخرى قبل فوات الاوان »(١٨).

بالرغم من عمليات البناء الكبيرة ، بقيت قضية « المعابر » قائمة في اسرائيل حتى الان . ففي عام ١٩٥٤ عند ابتداء مرحلة الاستيعاب « من السفينة الى القرية » اخذت

مؤسسات الوكالة والسلطات الاسرائيلية على عاتقها تصفية المعابر في اقرب وقت ممكن . وقد هبط عدد سكان المعابر في عام ١٩٥٦ الى ١٢٧ الف نسمة ، وكان من المتوقع ان تتم عملية التصفية خلال النصف الثاني من الخمسينات الا ان المشكلة بقيت قائمة في الستينات واستمرت في مطلع السبعينات ! ففي شهر ديسمبر ١٩٦٣ صرح وزير الاعمار في ذلك الوقت يوسف الموغي « اننا نقترب من اللحظة السعيدة التي نستطيع فيها الاعلان عن انتهاء قضية المعابر في اسرائيل ... وسيتم في العام القادم تصفية بقايا المعابر »(١٩) وبعد مضي عامين على هذا التصريح اي في عام ١٩٦٥ ذكر مدير وزارة الاسكان انه بقي في المخيمات ٣٢٥ عائلة و ١٧٠ من المسنين فقط ! الا ان الاحصائيات الرسمية التي صدرت عند مطلع عام ١٩٧٠ ذكرت انه « يوجد في اسرائيل حوالي ٥٠ الف نسمة يعيشون في ظروف المعابر ... »(٢٠) ومن بين المعابر التي لا زالت قائمة حتى الان « جبعات اولغا » و « نابليون » و « مشمار هيام » و « ومحانيه يسرائيل » و « بئير يعقوب » و « بات يام » . يعيش سكانها بظروف صعبة للغاية ويعتبرها البعض منهم « مقبرة للاحياء » . يقول يتسحاق ملكا احد سكان جبعات اولغا : « ان اطفالنا يمرضون وليس لدينا صندوق للمرض (كوبات حوليم) ... اننا نعيش هنا لوحدنا ، فعندما يشاهد اطفالنا اناسا غرباء يشرعون بالبكاء نتيجة الخوف ، وعندما نذهب الى اي حفل او عرس « خارج المعبراه » يتطلعون علينا كأننا هنود حمر »(٢١) .

ومن الطبيعي ان تكون الغالبية العظمى من السكان الذين يعيشون في المعابر من ابناء الطوائف الشرقية وخاصة من اليهود المغاربة . لقد كانت المعابر في مطلع الخمسينات تمثل مرحلة انتقال فرضتها الضرورة في ذلك الحين ، اما في مطلع السبعينات فقد غدت رمزا لتعاسة وفقر الطبقات المسحوقة و « وصمة عار على جبين المجتمع الاسرائيلي في عام ١٩٧٠ »(٢٢) .

تحديات الهجرة ومشاكل المهاجرين

يمكن ايجاز التحديات التي تواجه الهجرة اليهودية في الوقت الحاضر في الامور التالية : (١) نضوب معين الهجرة اليهودية من الاقطار العربية وبلدان اوروبا الشرقية . (٢) القيود المفروضة على هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي . (٣) تحسن اوضاع اليهود الاقتصادية والمعيشية والثقافية في الدول الغربية ، الامر الذي يشكل حجر عثرة في سبيل الهجرة اليهودية من هذه البلدان وينشط الهجرة المعاكسة في اسرائيل . وفيما يتعلق بمشاكل المهاجرين في اسرائيل فانها كثيرة سنركز الحديث على اهمها وهي مشاكل الاستيعاب والتكيف مع الاوضاع الجديدة ، والروتين الحكومي ، والامتيازات ، ونظرة المجتمع الاسرائيلي .

تعتبر مشاكل الاستيعاب وصعوبة التكيف مع الاوضاع الجديدة على راس القضايا التي يواجهها المهاجرون الجدد في اسرائيل . لا تقتصر قضية الاستيعاب على المساكن المريحة والاماكن الجميلة التي يصر المهاجرون على السكن بها ، في الوقت الذي تسعى فيه السلطات الى استيعابهم في القدس وقرى التطوير والمستوطنات ، بل تشمل قضايا الاندماج والتكيف في المجتمع الجديد (مجتمع المهاجرين) . يقول وزير الاستيعاب نتان بيلد في معرض حديثه حول صعوبة الاندماج والتكيف التي تواجه المهاجرين الجدد : « لقد اوضح لي مهاجر من الولايات المتحدة صعوبات الاستيعاب حين قال انه عندما نقل مكان سكناه من نيويورك الى لوس انجلوس ، لم يبدل نقوده واستمر في التحدث بالانجليزية وبقي في نفس الدولة ، ومع ذلك فقد مر عليه عام حتى استطاع التأقلم في المكان الجديد ، والبدء بالاحساس كأنه في بيته ، اذا كان الامر هكذا في الولايات المتحدة،

فما وجه الغرابة في اسرائيل ، حيث يأتي الينا مهاجرون من بلدان مختلفة لا يتحدثون لغتنا ، فضلا عن أن العلاقات هنا علاقات جافة بما فيه الكفاية بين المرء وزميله ، وخاصة تجاه المهاجر الجديد ... ان هذه عملية تكمن في ثناياها الالام ...!»(٢٣).

ان جوهر المشكلة يكمن في العلاقات التي تتحكم في مجتمع المهاجرين المستوطنين حيث التناقضات الاثنية والطائفية ، والتناقضات بين المهاجر « القديم » والمهاجر « الجديد » مما يسبب فتورا في العلاقات بينهما تصل الى درجة « البرودة والجفاف » التي لا تطاق ، وتدفع بعض المهاجرين الى العودة من حيث أتوا . يتحدث دافيد يونس (مهاجر من اميركا ، هاجر من اسرائيل بعد مضي سبعة اشهر على قدومه اليها) حول هذه العلاقات قائلا : « في عيد الفصح جلسنا وانتظرنا . لماذا ؟ انتظرنا ببراءة تامة دعوة من قبل عائلة يهودية للاحتفال بهذا العيد ... لم نتلق اية دعوة ! أين الجالية اليهودية في العفولة ، اين الحرارة اليهودية... وكذلك في رأس السنة لم نتلق دعوة من اية عائلة ... لم يكن حولنا صديق او زميل . لقد كانت البرودة تحيط بنا » . اما امراته « شارون يونس » فقد افصحت عن جوهر هذه العلاقة بقولها : « من المشكوك فيه ان كانوا قد تفهمونا ، في جملة واحدة استطيع القول : ان المشكلة ليست الجامعة او العمل ، المشكلة الحقيقية هنا ، البرودة القائمة حتى في اشهر الصيف الحارة ... قل لي كيف تستطيع امريكا ان تكون اكثر يهودية من دولة اسرائيل ؟ »(٢٤).

لا تقتصر العلاقات على « البرودة » فقط بل تتسم احيانا بالقطيعة شبه التامة والتامة بين المهاجرين الجدد والمهاجرين القدامى ، وتجعل المهاجر الجديد يشعر كانه منبوذ في المجتمع الجديد ويفضل العودة في بعض الاحيان من حيث اتى . فهنالك على سبيل المثال اربع عائلات يبلغ تعداد افرادها ٣٢ نسمة كانت تسكن في مدينة نتانيا اضطرت للعودة الى فرنسا « ليس لدينا ادعاءات ضد السكن والعمل... ولكن لم يأت اي واحد للتحدث معنا خلال ستة اشهر من وجودنا هنا »(٢٥).

ولعل الارقام توضح لنا بشكل اوضح مدى هذه القطيعة ، فقد اتضح في استفتاء ، ان ٤٨،٥ ٪ من المهاجرين قد « اتصلوا في فترات متباعدة او انهم لم يتصلوا مطلقا مع اسرائيليين خلال عام من قدومهم »(٢٦).

اما الروتين الحكومي فلا يزال مشكلة مزمنة يشكو منها المهاجرون الجدد ، خاصة وان دعاة الهجرة في الخارج يسهبون في تبسيط الامور والتفوه بالوعود الوردية . ويبدأ الروتين فور هبوط المهاجر الى ارض المطار او الميناء ، حيث يصطدم مع الواقع الاسرائيلي « في الوقت الذي كان فيه قلبه مفعما بالامل ، وعيونه تذرف دموع الفرح مع احساس كأنه في بيته ، يصطدم فجأة بالواقع الاسرائيلي ، ورويدا رويدا تتحول فرحة الامل الى تعابير غضب وخذلان ، ودموع الفرح الى دموع بلهاء »(٢٧).

فعندما يهبط المهاجر من الطائرة او السفينة ، يقف امام شرطي يقوم بتسجيله في سجل تعداد السكان التابع لوزارة الداخلية مع ملء نموذج خاص للهوية الاسرائيلية ثم ينتقل الى موظف وزارة الاستيعاب الذي يبدأ بتسجيل التفاصيل الشخصية من جديد على نموذج خاص لوزارة الاستيعاب لكي يحصل على هوية مهاجر ، لينتقل بعد ذلك الى موظف قسم الهجرة والاستيعاب التابع للوكالة حيث يبدأ بتسجيل التفاصيل من جديد لالزام المهاجر بدفع تكاليف السفر حسب حجم عائلته ، لينتقل بعد ذلك الى موظف الوكالة اليهودية لاخذ التفاصيل في نموذج خاص للحصول على آثاث بسيط لبيته (طاولة، اسرة، صحون ...) حسب عدد افراد العائلة ، بعد ذلك يجد المهاجر نفسه امام موظف شركة « عميدار » يبدأ بتسجيل التفاصيل من جديد ، ثم يطلب من المهاجر التوقيع على نموذج خاص بالسكن دون الاشارة الى مكان السكن... ثم يعود مرة اخرى الى موظف

وزارة الاستيعاب ليقرر حجم المنزل ومكان السكن في المدينة او القرى الزراعية حسب قائمة المباني التي تعدها وزارة الاستيعاب في ذلك التاريخ ... وهنا يبدأ الجدل ويأخذ بالاشتداد عندما يطلب المهاجر منزلا وفي اماكن معينة ... « ويتطور الجدل في بعض الاحيان الى صراخ ، وتنصب المسبات واللعنات على موظف شؤون الاستيعاب »(٢٨). وحينذاك تتحول « دموع الفرح الى دموع بلهاء » . ولا يقتصر الروتين الحكومي على المطارات والموانىء فقط ، بل يشمل ايضا كافة الدوائر التي يتردد عليها المهاجر الجديد في المرحلة الاولى من قدومه .

من بين الامور التي ساعدت على احداث ثغرة في العلاقات بين المهاجرين الجدد والمهاجرين القدامى في اسرائيل ، قضية الامتيازات التي يحظى بها المهاجرون الجدد ، وتتلخص الامتيازات في الامور التالية : ١ ــ منح المهاجر قرضا لشراء سيارة وقطع آثاث معفاة من الرسوم الجمركية . ٢ ــ منح المهاجر قرضا بحدود ٥٠ الف ليرة لشراء منزل. ٣ ــ اعفاء المهاجر من دفع الضرائب طيلة الاعوام الثلاثة من قدومه ، وبانتهائها يبدأ بدفع الضرائب وتسديد الديون . واتبعت هذه الامتيازات بغرض تشجيع الهجرة من « بلدان الرخاء » وقد واجهت انتقادات شديدة من جانب عدد كبير من الاسرائيليين الذين طالبوا بالغائها ، غير ان ذلك يعتبر امرا صعبا ويؤثر على الهجرة « فالغاء الامتيازات يعتبر بمثابة ضربة مميتة للهجرة من الدول الغربية »(٢٩).

ومن الجدير بالذكر ان هذه الامتيازات التي قصد منها تشجيع الهجرة ، تستغل في بعض الاحيان في صفقات تجارية ، وتدفع بعض المهاجرين الى الهجرة المعاكسة ، ومن الامثلة على ذلك المحامي شمعون ايلنبرغ الذي هاجر مع عائلته قبل عامين ، وعند وصوله استلم منزلا مكونا من اربع غرف في ضاحية اشكول في القدس بواسطة وزارة الاستيعاب مقابل ٦٠ الف ليرة (نصف القيمة الحقيقية) وبعد ذلك قرر لاسباب شخصية العودة الى الولايات المتحدة وباع المنزل بـ ١١٧ الف ليرة اي بربح صاف وصل الى ٥٧ الف ليرة(٣٠).

كان من نتيجة هذه الامتيازات ان بدأت نظرة الاسرائيليين العاديين تتحول وتتغير تجاه المهاجرين الجدد « فكيف يمكن الطلب من مواطن اسرائيلي عادي ، يرزح تحت وطأة ديون الشقة وربما السيارة ، والضرائب ، ان يتصرف بمنطق تجاه المهاجر الذي يسكن في شقة مريحة ، ويقود سيارة كبيرة معفاة من الرسوم الجمركية ؟ ان الشعب هنا ليس من الملائكة ولا يمكن للايمان بالهجرة وبعث البلاد ، ان ينسيهم متاعبهم اليومية »(٣١).

من بين التحديات التي اصبحت تواجه الهجرة ، وتنفر المهاجر من وضعه الجديد الظواهر الاجتماعية الناجمة عن التمييز القائم في مجتمع المهاجرين ، وعلى راسها ظاهرة الفهود السود التي برزت في الساحة الاسرائيلية في مطلع ١٩٧١ كنتيجة طبيعية لاتساع الهوة الاجتماعية بين الطوائف الشرقية والطوائف الغربية . فقد طالبت هذه الحركة بتوفير منازل سكنية للطبقات المسحوقة من ابناء الطوائف الشرقية ، اسوة بما يحصل عليه المهاجرون الجدد ، واخذت توجه نقدا شديدا وتقوم بتظاهرات عنيفة ضد مجمل سياسة التمييز التي يرزح تحتها ابناء الطوائف الشرقية ، ومن بينها الامتيازات التي يحصل عليها المهاجرون الجدد ، الامر الذي اثر على حركة الهجرة من الخارج ، واثر على نفسية المهاجر الجديد في الداخل . ويستشف ذلك من رسالة بعثت بها مهاجرة اميركية الى عضو مجلس بلدية القدس « منشيه نحمياه » جاء فيها : « سمعت من بعض الاصدقاء ، وشاهدت بأم عيني اطفال ضاحية القطمون كيف يتحدثون ويصرخون في وجوهنا ، في بعض الاحيان يرجموننا بالحجارة لكوننا مهاجرين جددا من اميركا ونتلقى منازل جميلة . اردت ان اشاهد بنفسي القطمون لاعرف سبب غضب الاولاد علينا ...

تحدثت مع اناس هناك وشاهدت بيوتهم ... ان ذلك لامر فظيع ــ لا اثاث ولا اسرة تكفي الجميع ، ولا يوجد مكان جلوس باستثناء الاسرة ، ولا مكان للدراسة او اللعب... الان اعرف لماذا يلقي الاولاد بالحجارة علينا او يصرخون في وجوهنا ... لقد قالوا اننا نحصل على مبان جميلة وهم لا يستطيعون ذلك (لا افهم لماذا) . من المؤكد انني لا اريد ان اعيش بشكل جيد على حساب الاخرين ... انني لا اريد استلام شقة في الوقت الذي لا يستطيع فيه الاخرون الحصول عليها . انني قلقة ازاء ما يخبئه المستقبل اذا ما استمر هؤلاء الناس يربون اطفالهم في هذه البيوت التي شاهدتها ... انني اتخوف ان يحدث هنا ما يحدث في اميركا ، ويكره الواحد الاخر ... »(٣٢).

وهنالك ظاهرة اخرى برزت على سطح الاحداث في نفس الفترة التي ظهرت فيها حركة الفهود السود ، ظاهرة « الازواج الشباب » أثرت هي الاخرى على نفسية المهاجر الجديد . نجمت هذه الظاهرة عن اتساع شقة الهوة الاجتماعية بين ابناء الطوائف الشرقية والغربية ، الا انها تختلف عن حركة الفهود السود بان وضعت نصب عينيها هدفا واحدا معينا : « الانقضاض » على المنازل المعدة للمهاجرين الجدد « واحتلالها بالقوة » . ان السبب المباشر لعمليات « الانقضاض والاحتلال بالقوة » للازواج الشباب يتمثل في عدم توفر اماكن سكنية للشباب خاصة من ابناء الطوائف الشرقية حين يقدمون على الزواج ، حيث يضطر قسم كبير منهم على مشاطرة ابائهم الغرف البسيطة وخروجا من هذا المأزق ارتأى قسم من هؤلاء ان خير طريقة للخروج من مأزقهم احتلال المنازل الفاخرة المعدة للمهاجرين الجدد . وبالفعل بدأت مجموعات من الشباب تنتظم في امكنة مختلفة على حدة ، وتقوم بين الفينة والاخرى « بغزو » مباني المهاجرين « مع اولادهم واثاثهم » وتحتل كل عائلة شقة لها « اننا لسنا فهودا بيضا او سودا ؛ اننا نريد ان نعيش كبشر . لقد خدمنا في الجيش ونحن الان نخدم في سلك الاحتياط . لماذا لا نتلقى على الاقل ما يتلقاه المهاجر الجديد ؟ »(٣٣).

ومن الجدير بالذكر ان عملية احتلال الازواج الشباب للمنازل الجديدة المريحة لا تستمر مدة طويلة ، فقد تستغرق بضعة ساعات ، وان اسعدهم الحظ يقضون بها ليلة واحدة الى ان تأتي قوات الامن وترغمهم على اخلائها ومغادرتها .

الى جانب حركة الفهود السود وظاهرة الازواج الشباب ، ظهرت منظمة اخرى تدعى « منظمة مواليد البلاد الذين يعانون من الضائقة السكنية » اخذت تنشط في الاونة الاخيرة ضد المهاجرين الجدد الذين « يسلبون » على حد ما ورد في منشور وزعته المنظمة على المهاجرين الجدد ، حقوق مواليد البلاد والعائلات الكبيرة والازواج الشباب. « ليكن معلوما لديك ايها المهاجر الجديد باننا لن نسمح لك بأن تسلب انت واصحابك حقوقنا في هذه الدولة . اعلم انك اداة في يد السلطة . اعلم ان الشباب الذين ولدوا وحاربوا في هذه الدولة مضطهدون بسببك ، فانت تهضم حقوق العائلات الكثيرة الاولاد وحقوق الازواج الشباب . اعلم بانه حين قدومك الى البلاد ووصولك الى مطار اللد سيستقبلك الالاف باكاليل الزهور ، ولكن عند وصولك القدس سيستقبلك الالاف من مواليد البلاد بالاعلام السوداء . ايها المهاجر الجديد ! ان المعابر تنتظرك ! الرجاء ان تجربها ، ودعنا نجرب المباني الفاخرة المعدة لك »(٣٤).

لقد اخذت نظرة رجل الشارع في اسرائيل تتحول رويدا رويدا تجاه المهاجرين الجدد بسبب الامتيازات التي يتمتعون بها ، وغدا ابناء الطبقات المسحوقة يرفعون اصواتهم ضد التمييز الواقع عليهم « لقد خدم ابي في الجيش وسلك الاحتياط ، وانهى زوجي خدمته العسكرية قبل عام . اننا نعيش في بيت ابي لاننا لا نملك عشرات الالاف من الليرات . وهنا يأتي مهاجرون من جميع ارجاء المعمورة ويتلقون منازل فاخرة » كما تقول احدى

النساء ، وقد افصحت امراة اخرى عن استيائها من التمييز القائم بسردها قصة رجل وامراة طاعنين في السن قدما من بريطانيا « وعند قدومهما استلما شقة فاخرة . ماذا يستطيعان ان يفعلا من اجل الدولة ؟ ان زوجي يذهب الى الحدود للدفاع عنهما »(٣٥). ما هي نظرة المجتمع الاسرائيلي تجاه الهجرة والمهاجرين ؟ واجابة على هذا السؤال لا بد من الفصل بين الهجرة والمهاجرين ، فبالنسبة للهجرة لا توجد هنالك احزاب او هيئات تعارضها ، مع ان الحماس لها قد خف بين صفوف الاسرائيليين اما بالنسبة للمهاجرين فيمكن القول ان الجمهور الاسرائيلي بشكل عام لا يريد المهاجرين وهنالك قول اصبح دارجا في اسرائيل « الاسرائيليون يريدون الهجرة ولكنهم يكرهون المهاجرين». للوهلة الاولى يبدو ان هنالك تناقضا في هذا القول ، اذ كيف يقفون مع الهجرة ويكرهون المهاجرين الذين هم نتيجة طبيعية للهجرة التي يودونها ؟

لقد كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين حيث خلق « اليشوف » اليهودي هناك تعتبر اهم مطلب قومي بالنسبة لليهود ، وكانت بمثابة امر شبه مقدس ، ثم اصبحت بعد قيام اسرائيل من اهم المطالب القومية لتعزيز الكيان الاسرائيلي ، ولكن بعد ان اصبح الجمهور الاسرائيلي يشعر بالقوة نتيجة انتصارات متكررة حققها في ثلاث حروب مع العرب ، وبعد ان ظهرت التناقضات الاجتماعية على السطح من خلال حالة الهدوء الراهنة ، اخذت حماسته تخف تجاه الهجرة الا انه لا يقف ضدها بل يحبذها بسبب مجموعة الاحاسيس الدفينة المشفوفة بالقدسية تجاه الهجرة اليهودية التي عايشت كافة الاجيال قبل وبعد قيام الدولة . وفيما يتعلق بكراهيته للمهاجرين ، فان هذا الشعور ناجم عن الاحساس بأن المهاجر الجديد سيؤثر على مستواه المعيشي ويقلل من امكانية فرص تقدمه ، او كما جاء على لسان احد الخبراء الاجتماعيين في اسرائيل « يبدأ الاسرائيلي بالتخوف من ان يغدو المهاجر الجديد بمثابة حجر رحى على صدره ويبدأ في اظهار ضيقه به »(٣٦).

ان الجو العام في اسرائيل لا يشير مطلقا بأن رجل الشارع الاسرائيلي يرحب بالمهاجرين الجدد ، ويعترف كبار موظفي الوكالة اليهودية بهذا الواقع ، فيقول المتحدث الرسمي باسم الوكالة اليهودية « اوري براك » « انني اعرف ان الجمهور الاسرائيلي لا يظهر تعاطفا تجاه المهاجرين ، وفي الاونة الاخيرة تكشفت مظاهر عداء تجاه المهاجرين بسبب الامتيازات التي يحصلون عليها »(٣٧). اما ناحوم غولان مدير قسم الهجرة في شمال اميركا فقد رد على سؤال وجه اليه عن رايه في استقبال الجمهور الاسرائيلي للمهاجرين قائلا : سأكرر قولا سمعته وأؤمن به ، ان اسرائيل تريد الهجرة بيد ان الاسرائيليين لا يريدون المهاجرين ، فهم لا يدعونهم الى بيوتهم ، ولا يقدمون لهم يد المساعدة ، في الوقت الذي يحتاج فيه هؤلاء الى المساعدة والزمالة . انهم غرباء هنا . ان الشعور بالاغتراب شعور صعب للغاية »(٣٨).

نتيجة للتناقضات القائمة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين في اسرائيل ، اخذت مجموعات من اليهود تهاجر من اسرائيل الى البلدان التي قدمت منها او الى العالم الغربي . ولا نريد هنا ان نقف على دراسة الهجرة المعاكسة ودوافعها ، بل نكتفي بالاشارة الى ان معظم الفئات التي تشملها الهجرة المعاكسة تتكون من ابناء الطوائف الغربية ، بينما يمثل ابناء الطوائف الشرقية الذين اصبحوا يشكلون اكثرية السكان في اسرائيل نسبة ضئيلة في هذه الهجرة .

هنالك ثلاثة اسباب تحول دون ارتفاع نسبة اليهود الشرقيين في الهجرة المعاكسة : ١ ــ صعوبة التكيف في المجتمعات الغربية . ٢ ــ عدم توفر الامكانيات المادية لتغطية تكاليف السفر واقامة حياة جديدة . ٣ ــ والاهم من ذلك كله الصعوبات التي تواجههم،

اذا ما قرر البعض منهم العودة الى اوطانهم الاصلية وخاصة العالم العربي ، على خلاف المهاجرين الاخرين . ومع ذلك فهنالك — بالرغم من كافة الصعوبات — من يقرر العودة الى وطنه مثل « يوسف مندل » وعائلته الذي قرر في بداية عام ١٩٧١ « العودة الى لبنان لانه وجد ان ظروف المعيشة صعبة في اسرائيل »(٣٩). وهنالك من يفكر بالعودة الى وطنه الاصلي المغرب ، مثل « دافيد بيرتس » مع عائلته المكونة من ١٤ شخصا « لانه لم يبق امامه الا استنتاج النتائج »(٤٠) والعوده الى وطنه الام .

ضرورة اتخاذ خطة عربية لمواجهة الهجرة

اتضح لنا من خلال دراستنا لموجات الهجرة اليهودية الى اسرائيل ان الاقطار العربية كانت تشكل المعين الرئيسي للهجرة ، مع ان هذه الاقطار هي المتضررة اساسا من النتائج المتمخضة عنها .

لقد تمت هجرة اليهود من الاقطار العربية في فترتين : ١ — فترة ما قبل الاستقلال مثل بلدان شمال افريقيا وعدن . ٢ — فترة ما بعد الاستقلال مثل العراق خلال العهد الملكي واليمن خلال حكم اسرة حميد الدين وبعض الاقطار الاخرى .

ماذا فعلت الاقطار العربية من خلال جامعة الدول العربية لمواجهة الهجرة الى اسرائيل؟ الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان ان هذه الاقطار مجتمعة او منفردة لم تلتزم بأية خطة عملية جدية لمواجهة الهجرة اليهودية ، اللهم الا بعقد الاجتماعات او القاء التصريحات التي لا تسفر عن شيء يذكر ، مع العلم ان كافة الاقطار العربية وخاصة في الوقت الراهن اصبحت حساسة تجاه الهجرة ولا سيما بعد حرب حزيران حيث اخذ العالم العربي يدرك اكثر من اي وقت مضى خطورة مجتمع المهاجرين والمستوطنين الذي لا يمكن له ان يتعزز ويقوى بدون الهجرة .

ان ذلك يقودنا الى السؤال التالي : ماذا ينبغي علينا ان نعمل لمواجهة الهجرة اليهودية الى اسرائيل ؟ قبل الاجابة تجدر بنا الاشارة الى التحديات التي تواجه الهجرة اليهودية في الوقت الراهن (١) مشكلة يهود الاتحاد السوفييتي التي تتمثل في فرض قيود على هجرتهم (٢) مشكلة يهود « بلدان الرخاء » التي تتمثل في مستواهم المعيشي والاقتصادي الذي يفوق المعدل العام لمستوى المعيشة في اسرائيل . (٣) مشكلة الجمهور الاسرائيلي « الذي يريد الهجرة ويكره المهاجرين » .

هذه هي التحديات الثلاثة التي تواجه الان مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، دون ان يكون هنالك اي تحد عربي !! كيف يكون التحدي العربي ؟ الحقيقة انه يمكن ان يكون هنالك تحد عربي يزيد من حدة التحديات الثلاثة الراهنة ويسهم بشكل فعال في تصفية الكيان الاستيطاني العنصري المغروس في قلب الوطن العربي . ويمكن للتحدي العربي ان يعطي ثماره اذا ما التزمت الدول العربية من خلال جامعة الدول العربية بالتالي :
١ — فتح ابواب العودة لاخوتنا يهود البلدان العربية الذين كانوا قد هاجروا الى اسرائيل لسبب او لاخر ، مع اعتبار العودة حقا لهم . ٢ — منح كل عائد الى وطنه جنسية القطر العائد اليه بمجرد وصوله . ٣ — انشاء وكالة عربية تشرف عليها جامعة الدول العربية لتقوم من خلال مكاتبها في اوروبا بمساعدة كل من يرغب في ذلك من يهود الدول العربية الموجودين في اسرائيل او في الخارج ، الى ان يندمج العائد في مجتمعه وفي وطنه الام .

---

١ — المعطيات مأخوذة من **الكتاب السنوي الرسمي** لعام ١٩٦٩ .

٢ — موشي ليسك واخرون (محررون) **مهاجرون في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ١٩٦٩ ، ص ٢٠ .

٣ — ١٦ عاما من استيعاب المهاجرين في اسرائيل . **مهاجرون في اسرائيل** ص ٦٢٣ .

٤ ــ يعكوف شتس (محرر) **عشرون عاما لاستقلال اسرائيل** (عبري) مكتب رئيس الحكومة ، القدس (لا تاريخ) ، ص ٢ .

٥ ــ **نفس المصدر** ص ٢ .

٦ ــ شموئيل اتينجر ، **تاريخ شعب اسرائيل في العصر الحاضر** ، المجلد الثالث ، (عبري) دبير ، تل ابيب ١٩٦٩ ،ص ٣٥١ .

٧ ــ موشي ديفيس (محرر) ، **اسباب الهجرة من دول اسيا وافريقيا** (عبري) الجامعة العبرية ، القدس ١٩٦٨ ، ص ١٦ .

٨ ــ الهجرة الى اسرائيل ١٩٤٨ ــ ١٩٥٣ . **مهاجرون في اسرائيل** ص ١٠٧ .

٩ ــ **تاريخ شعب اسرائيل في العصر الحاضر** ص ٥٥٢ .

١٠ ــ **اسباب الهجرة من بلدان اسيا وافريقيا** ص ٢٣ .

١١ ــ الهجرة الى اسرائيل ١٩٤٨ ــ ١٩٥٣ . **مهاجرون في اسرائيل** ص ١٠٧ .

١٢ ــ **عشرون عاما لاستقلال اسرائيل** ص ١٧ .

١٣ ــ **معاريف** ١٩٧١/١/٥ .

١٤ ــ ١٦ عاما من استيعاب المهاجرين في اسرائيل . **مهاجرون في اسرائيل** ص ٦٢٨ .

١٥ ــ **عشرون عاما لاستقلال اسرائيل** ص ٧ .

١٦ ــ ١٦ عاما من استيعاب المهاجرين في اسرائيل . **مهاجرون في اسرائيل** ص ٦٢٨ .

١٧ ــ ١٦ عاما من استيعاب المهاجرين في اسرائيل **مهاجرون في اسرائيل** ص ٦٣٣ .

١٨ ــ دراسات في مشكلة صهر اليهود . **مهاجرون في اسرائيل** ص ٢٩ .

١٩ ــ **معاريف** ٧٠/١٢/٢٣ .

٢٠ ــ **نفس المصدر** .

٢١ ــ **نفس المصدر** .

٢٢ ــ **نفس المصدر** .

٢٣ ــ **ملحق هآرتس** ٧١/١/٢٢ .

٢٤ ــ **يديعوت احرونوت** ٧١/١١/١٨ .

٢٥ ــ **معاريف** ٧١/٩/٢٤ .

٢٦ ــ **المصدر نفسه** .

٢٧ ــ **هآرتس** ٧١/١/١٥ .

٢٨ ــ **هآرتس** ٧١/٥/١٤ .

٢٩ ــ **هآرتس** ٧١/٥/٦ .

٣٠ ــ **هآرتس** ٧١/٧/٢١ .

٣١ ــ **هآرتس** ٧١/٥/٦ .

٣٢ ــ **يديعوت احرونوت** ٧١/٣/١١ .

٣٣ ــ **يديعوت احرونوت** ٧١/٥/١٧ .

٣٤ ــ **معاريف** ٧٢/١/١٠ .

٣٥ ــ **هآرتس** ٧١/٢/٢١ .

٣٦ ــ **يديعوت احرونوت** ٧١/٥/٧ .

٣٧ ــ **يديعوت احرونوت** ٧١/١١/١٨ .

٣٨ ــ **هآرتس** ٧١/١/٣١ .

٣٩ ــ **يديعوت احرونوت** ٧١/٧/٨ .

٤٠ ــ **يديعوت احرونوت** ٧١/٨/١٦ .

مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط : تقديم . تساؤلات . تحفظات اولية

احمد خليفة

في أوائل آذار الماضي تواجد في روما وفد اسرائيلي مكون من ثماني شخصيات بارزة تمثل ما يسمى بـ « قوى السلام في اسرائيل » ، ومندوبون عن خمس دول عربية هي مصر والجزائر وسوريا والعراق ولبنان ، وممثلون عن عدد كبير من الاحزاب اليسارية والليبرالية في أوروبا الشرقية والغربية والاتحاد السوفياتي وأمريكا الشمالية والجنوبية. وقد تواجد هؤلاء جميعا في روما استجابة لدعوة اللجنة التحضيرية الايطالية لمؤتمر « السلام والعدل في الشرق الاوسط » . وكان الهدف من التواجد — حضور الاجتماع التحضيري الثاني العام للمؤتمر المذكور ، بعد ان كان الاجتماع التحضيري الاول قد عقد في روما في نيسان (ابريل) من العام الماضي . ان الاجتماع ، لاسباب سيرد ذكرها فيما بعد ، لم يتم ، واستعاضت اللجنة الايطالية عنه بعقد مشاورات ثنائية مع مختلف الوفود ، كانت نتيجتها صدور بيان عن اللجنة يذكر انه تقرر عقد المؤتمر في سياق العام الراهن في مدينة بولونيا الايطالية . وقد وصف أوري أفنيري ، النائب في الكنيست وعضو الوفد الاسرائيلي ، البيان بأنه « انجاز كبير وخطوة هامة الى الامام » على طريق تحقيق السلام في المنطقة « لانه لاول مرة تنشر وثيقة بموافقة العرب تقرر بشكل واضح انه سيتم لقاء وجها لوجه بين عرب واسرائيليين » . كما وصف أفنيري المؤتمر ذاته المزمع عقده في خريف العام الحالي بأنه « حدث ثوري وربما تاريخي » لانه يمكن ان « يشق الطريق لمفاوضات مباشرة (بين العرب واسرائيل) عندما يحين الوقت الملائم ويتشكل اساس سياسي لذلك » [هعولام هزه — ٧٢/٣/٨ ص ١٨] . وقبل اوري أفنيري وصف أحمد حمروش، رئيس تحرير روز اليوسف سابقا وعضو لجنة السلام المصرية ، الاجتماع التحضيري الذي كان مقررا ان يتم عقده في أوائل آذار بأنه « عمل من أهم الاعمال التي يمكن ان تؤدي الى اقرار السلام في الشرق الاوسط » . وكان ذلك في مقالة نشرها في روز اليوسف بتاريخ ٧٢/٢/٢١ ، اي قبل اسبوع تقريبا من الموعد المحدد لانعقاد الاجتماع . ان المؤتمر قد بات معروفا في الصحافة العالمية باسم مؤتمر بولونيا ، وهو على حد قول احمد حمروش امتداد لثلاثة مؤتمرات عقدت تحت اسم « نصرة الشعوب العربية » في نيودلهي وبرلين والقاهرة بعد حرب حزيران ، واستهدفت توليد ضغط عالمي على اسرائيل لدفعها لقبول قرار مجلس الامن ٢٤٢ وتنفيذه . وقد نال اجتماع روما الاخير والمؤتمر المنوي عقده في بولونيا (ايطاليا) اهتماما واسعا من الصحافة الاسرائيلية عامة ، والحزبية خاصة ، وثارت حوله خلافات كبيرة في اوساط ما يدعى بـ « قوى السلام الاسرائيلية » . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : ما هو هذا المؤتمر الذي لم يسمع عنه الا القليل في الوطن العربي رغم الاهمية

« التاريخية » المنسوبة له ؟ ولماذا حقا لم يسمع عنه الا القليل ؟ ان هدف هذا التقرير تقديم المعلومات المتوفرة حوله في الصحف العربية والاسرائيلية ، وتسجيل ما دار في روما في أوائل آذار ، وطرح أسئلة معينة ، ومن ثم ابداء بضعة تحفظات اولية حول المؤتمر .

المؤتمر ــ تقديم : يقدم خالد محي الدين ، الذي تجمع المصادر المختلفة على انه صاحب فكرة عقد المؤتمر ، المعلومات التالية حوله . وقد وردت هذه المعلومات في تعليق بعث به خالد محي‌الدين لمجلة الحوادث اللبنانية (عدد ٧٢/١/٢١) ردا على خبر منقول عن نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية حول المؤتمر ، كان قــد ظهر في عدد الحوادث الصادر بتاريخ ٧١/١٢/١٧ . يقول خالد محي‌الدين في التعليق : ● ولدت فكرة المؤتمر في روما في يناير ١٩٧٠ اثناء انعقاد اللجنة الدولية لنصرة الشعوب العربية، التي يرئسها كريشنا مينون الهندي ويشغل سكرتاريتها العامة خالد محي‌الدين . وهي اللجنة المنبثقة عن المؤتمر الثاني لنصرة الشعوب العربية الذي انعقد في القاهرة في يناير ١٩٦٩ . فقد قررت اللجنة ان الظروف ليست مهيأة لدعوة مؤتمر عالمي ثالث لنصرة الشعوب العربية وان المطلوب هو مؤتمر اكثر اتساعا فلا نكتفي بالقوى المناصرة للعرب فقط . المطلوب هو مؤتمر عالمي تحت اسم « العدل والسلام في الشرق الاوسط » يجذب اليه ملايين الناس وممثليهم ... وبعد جهود كبيرة وافق الايطاليون على عقد المؤتمر في مدينة بولونيا الايطالية ● اتفق على عقد الاجتماع التحضيري الاول في روما في ١٩ و٢٠ أبريل ١٩٧١ ، وقام خالد محي الدين شخصيا بتوجيه الدعوات الى كل المنظمات العالمية والاحزاب السياسية واتحادات العمال والشباب والنساء والمنظمــات السلامية والاجتماعيــة المختلفة . وكذلك شخصيات لها مكانتها العلمية والادبية والفنية . وانعقد الاجتماع فعلا ــ وحضره مندوبون من مصر وسوريا ولبنان ــ ومن اغلب بلدان أوروبــا الغربية والشرقية والاتحاد السوفياتي وامريكا الشمالية والجنوبية ــ كما حضر الاجتماع ممثلون عن السودان وفلسطين ولكــن بصفتهم اعضاء في وفد منظمــة التضامن الآسيوي الافريقي ... ولم يحضر هذا الاجتماع اي مندوب او شخص من اسرائيل ● اتفق في هذا الاجتماع على بيان عام يحدد اهداف المؤتمر واهمية الدعوة له وجاء فيه انه يدعو الشخصيات والهيئات التي تعارض ضم الاراضي عن طريق القوة وتطالب بضرورة سحب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي التي احتلت بعد يونيه ١٩٦٧ . ويطالب بتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ وجميع قرارات مجلس الامن الاخرى وكذلك بالتطبيق الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني واحقيته في تقريــر مصيره وكذلك ضرورة تطبيق جميع قرارات الامم المتحدة الخاصة بالشعب الفلسطيني وخاصة قرار ٤ نوفمبر ١٩٧٠ ● رؤي ان يدعى لاجتماع تحضيري ثان في اواخر اكتوبر ١٩٧١ على ان يعقد المؤتمر في نهاية عام ١٩٧١ او اوائل ١٩٧٢ . ولكن الذي حدث هو ان اجتماع اكتوبر لم يتم لظروف طارئة (وضع خالد محي‌الدين تحت الاقامة الجبرية بعد اقصاء علي صبري ومجموعته عن الحكم) ... واتفق على تكوين لجنة دعوة ايطالية ، وعقدت أول اجتماع لها في يوليه ١٩٧١ . وقد تقرر أن تقوم اللجنة الايطالية بتوجيــه الدعوات لاجتماع تحضيري ثان يعقد في فبراير ١٩٧٢ ● كانت هناك نقطتان في جدول الاعمال : الاولى محاولة التنسيق بين « متطلبات المعركة العاجلة بالانسحاب من جميع الاراضي المحتلة في يونيه ١٩٦٧ وبين التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني الكاملة » ... والنقطة الثانية هو انه «نظرا لكون المؤتمر ذا طبيعة عالميةوسينعقد فيايطاليا، كما سترسل الدعوات من جانب لجنة ايطالية ، فلا يمكن تجنب حضور مندوبين من اسرائيل » . واتفق بأن اي شخص يؤمن بالاهداف المذكورة في البيان **كلها أو بعضها** يمكن أن يحضر المؤتمر . وكان الاتفاق واضحا منذ البداية ... انه لا يمكن دعوة أية احزاب اسرائيلية مشتــركة في

الائتلاف الحكومي الاسرائيلي او تؤيد أهداف الحكومة الاسرائيلية او تزيد عليها ... ولكن قد يدعى بعض الشخصيات الاسرائيلية المنضمة لاحزاب ولكن بصفتهم الشخصية على أن يكون موقفهم واضحا ومحددا من قضية ضم الاراضي مهما كان حجمها وحقوق الشعب الفلسطيني ومعارضة العدوان والتوسع ومشروعات الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة .

الى هنا كلام خالد محي‌الدين . وهو واضح فيما يتعلق بالوقائع الخاصة بالخطوات التي اتخذت والاساس الذي سيرتكز اليه المؤتمر والجهات التي ستدعى اليه . ولكنه غامض فيما يتعلق بالهدف منه . ما هو الهدف من وراء عقد المؤتمر ؟ اجراء نقاش عام بحضور ممثلي الهيئات الدولية المعنية بالسلام حول الاحتلال الاسرائيلي للمناطق بعد حزيران ١٩٦٧ ورفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ واستمرار تجاهلها للحقوق القومية لشعب فلسطين ومن ثم اتخاذ قرارات في نهايته تعكس رأي غالبية المجتمعين وتمثل ضغطا على اسرائيل من قبل المجتمع الدولي لتنفيذ قرار مجلس الامن ، أم اجراء حوار جدي مباشر بين مندوبي ما يسمى بـ « قوى السلام العربية » ومندوبي ما يسمى بـ « قوى السلام الاسرائيلية » للوصول الى تصور مشترك لابعاد وحلول المسألة العربية ـ الاسرائيلية يكون بمثابة أساس لنضال متواز يقوم به كل فريق في جانبه الخاص من المتراس ؟ ان خالد محي‌الدين في رده المنشور في « الحوادث » لا يتعرض لهذه النقطة ، ولكن سياق النص وروحيته يسمحان للقارىء العربي بأن يضع نفسه في نقطة منظور يبدو المؤتمر من خلالها أقرب الى مؤتمر « ضغط » يشترك فيه اسرائيليون منه الى مؤتمر « حوار مباشر » مع الاسرائيليين ـ فالمؤتمر هو بمعنى ما استمرار موسع لؤتمرات نصرة الشعوب العربية ، والوفد الاسرائيلي « لا يمكن تجنب حضوره » لكون المؤتمر « ذا طبيعة عالمية » والدعوات سترسل « من جانب لجنة ايطالية » . الا أن أحمد حمروش ، الذي تابع الاتصالات بالجهات المعنية بالمؤتمر بعد وضع خالد محي‌الدين تحت الاقامة الجبرية ، يرى المؤتمر من نقطة منظور مختلفة . انه يذكر في المقالة التي نشرها في روز اليوسف بتاريخ ٧٢/٢/٢١ ان « هناك تيارا شعبيا جادا داخل اسرائيل يضغط على الحكومة من اجل الانسحاب الشامل وتنفيذ قرار مجلس الامن » . ان هذا التيار قد ثبت في ظروف بالغة الصعوبة ويشق طريقه ويكسب ـ حسب رأي أحمد حمروش ـ انصارا جددا في كل يوم . ولا تقتصر دائرة هؤلاء الانصار على أعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكاح وانما تمتد لتشمل « عناصر محترمة من العلماء والمفكرين واساتذة الجامعات والادباء والعمال والشباب منتشرين في مختلف القوى السياسية بما فيها حزب المباي والمابام الحاكمين » . ومن واجب العرب ، في رأي حمروش ، ان يتخذوا مواقف « تشجع هؤلاء الملتقين معهم في افكارهم ... لان انقطاع الصلة يحمل هذا التيار الناشىء صعوبات شديدة في مواجهة سكان اسرائيل » . ومن هنا يكتسب مؤتمر السلام والعدل بالنسبة لاحمد حمروش اهميته . انه يفتح المجال امام العرب والاسرائيليين لاقامة « حوار سلمي وسط وفود من مختلف انحاء العالم في اطار ينطبق تماما مع الحق العربي ، ومع الرغبة الانسانية الشاملة في ضرورة تفادي أخطار الحرب، وتحقيق العدالة لشعب فلسطين » ويمكن ان يكون بمثابة « نقطة انطلاق جديدة لقوى السلام في المنطقة ... وخاصة داخل اسرائيل » . ان المؤتمر اذن ، في نظر حمروش ، ليس مؤتمر « ضغط » وانما مؤتمر « حوار » ، والاسرائيليون مدعوون ليس لانه « لا يمكن تجنب دعوتهم » وانما ليكونوا الطرف الآخر في حوار متوقع له ان ينتهي نهاية تؤهله لان يكون بمثابة « نقطة انطلاق جديدة لقوى السلام في المنطقة ، خاصة داخل اسرائيل » .

وهكذا بالضبط رأى الاسرائيليون المؤتمر . يذكر سمحا فلابن ، عضو المابام البارز

ورئيس تحرير مجلة اوتلوك التابعة للمابام ، في مقابلة اجرتها معه مجلة « كول هعام » الناطقة بلسان ماكي (عدد ١/٣/٧٢) ، انه كان موجودا في أوروبا في فترة انعقاد الاجتماع التحضيري الاول في روما في ابريل من العام الماضي ، وانه عني بمقابلة عدد من المبادرين للدعوة الى انعقاد المؤتمر ، للاستفسار منهم حول بعض النقاط المتعلقة بالمؤتمر . وكان من جملة ما عني بالاستفسار عنه طبيعة المؤتمر وطبيعة القوى والشخصيات الاسرائيلية التي ستدعى اليه . ويقول فلابن انه فهم من الاشخاص الذين قابلهم بأن « النية هذه المرة متوجهة لعقد مؤتمر مفتوح ، وليس مؤتمرا دعاويا قراراته مصاغة سلفا — مؤتمر يكون بمثابة محاولة لاقامة اتصال لاول مرة بين قوى سلام عربية واسرائيلية » . كما فهم منهم ان اللجنة التحضيرية الايطالية ترتأي اقامة لجنة عامة اسرائيلية تضم كافة « قوى السلام » المعنية بالمؤتمر في اسرائيل . ويستطرد فلابن فيذكر انه بعد عودته الى اسرائيل دعا الجهات التالية لعقد اجتماع لبحث الموضوع : حركة السلام والامن ، لجنة السلام الاسرائيلية ، هيئة تحرير مجلة أوتلوك ، الحزب الشيوعي الاسرائيلي — راكاح . ولكن الحزب الشيوعي الاسرائيلي — راكاح رفض حضور الاجتماع ، وسارع الى اقامة لجنة مبادرة اسرائيلية لمؤتمر بولونيا ، ضمت اضافة اليه هعولام هزه — قوة جديدة ، والتحالف اليساري ، وعدد من الكتاب والاشخاص البارزين المعارضين لضم أي جزء من الاراضي المحتلة في حرب حزيران . ويفهم من البيان الذي وزعه أوري افنيري [هعولام هزه : ٨/٣/٧٢ ص ١٥] في اجتماع روما الاخير في أوائل آذار ، ان الاساس الذي قامت عليه هذه اللجنة كان يرتكز الى ثلاث نقاط : تأييد قرار مجلس الامن ٢٤٢ بكليته . ٢ — الاقرار بانه على اسرائيل الانسحاب من كافة المناطق التي احتلتها في حرب حزيران ، ضمن اطار اتفاق يوفر لها السلام والامن . ٣ — الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني . وقد قطع هذا التحرك من قبل راكاح الطريق على المابام (الذي يدعو برنامجه لضم مساحات واسعة من الاراضي المحتلة) لتشكيل لجنة عامة اسرائيلية تضم عناصر تفسر قرار مجلس الامن بانه لا يعني الانسحاب من كل المناطق . وقد جرت اتصالات عديدة بين راكاح وهيئة تحرير اوتلوك لتوحيد جهود الفريقين العاملين لاقامة اللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا ، ولكن اصرار راكاح على شرط القبول بانسحاب اسرائيل الى حدود الرابع من حزيران ادى — على حد قول سمحا فلابن في مقابلة لمجلة كول هعام — الى فشل الاتصالات . ويبدو من المقالات التي ظهرت في الصحف الاسرائيلية في شهر آذار الماضي حول المؤتمر انه طوال الفترة ما بين انعقاد اجتماع اللجنة التحضيرية الاول في روما في ابريل ١٩٧١ (دون اشتراك الاسرائيليين) ومشاورات روما الاخيرة في آذار الماضي (باشتراك الاسرائيليين) قد جرت اتصالات من قبل كل من الفريقين المذكورين باللجنة الايطالية ، بهدف استيضاح موقفها تجاه الخلاف بينهما ، كما يتضح من تركيب الوفد الاسرائيلي لمشاورات روما الاخيرة ان اللجنة التحضيريةالايطالية قد تبنت وجهة نظر راكاح والفرقاء الملتقين معها . التي هي في ذات الوقت وجهة نظر أو شرط الجهات العربية ، اذ ضم الوفد الاسرائيلي فقط عناصر وافقت على النقاط الواردة في بيان افنيري المذكور اعلاه ، ولم توجه الدعوة لحزب المابام . هذا ما دار عليه الخلاف داخل ما يسمى بـ « قوى السلام الاسرائيلية » بشأن المؤتمر ، ولكن لم يكن ثمة خلاف حول طبيعة المؤتمر والهدف منه . اذ ان الاسرائيليين جميعا انما تحمسوا للاشتراك فيه على اساس انه يوفر لهم فرصة الاتصال المباشر بالعرب واقامة حوار جدي بين الطرفين مرتكز على قبول الطرفين بقرار مجلس الامن — اي الاعتراف باسرائيل (ضمن حدود الرابع من حزيران) كدولة ذات سيادة . ولذا عبر الوفد الاسرائيلي لاجتماع روما الاخير عن خيبة أمله البالغة لما اتضح له لدى وصوله الى روما ان العرب ما زالوا في المرحلة الراهنة يرفضون الجلوس سوية مع الاسرائيليين ، كما عبر عن ارتياحه لموافقتهم على الجلوس معهم للتحاور وجها

لوجه في مؤتمر بولونيا في الخريف القادم . وقد كانت هذه الموافقة بالذات هي التي اعطت المؤتمر اهميته التاريخية في نظر اوري افنيري وعدد من اعضاء الوفد الاسرائيلي. ماذا جرى في اجتماع روما الاخير في اوائل آذار ؟

اجتماع اللجنة التحضيرية الثاني : نحن هنا مضطرون كلية تقريبا للاعتماد على المصادر الاسرائيلية لاننا لم نستطع العثور في الصحف العربية المتوفرة لدينا على تلخيص من جانب المندوبين العرب لما جرى ، دون ان يعني ذلك اننا جازمون بانه لم ينشر شيء في الصحف العربية حول الموضوع . تذكر المصادر الاسرائيلية ان الوفد الاسرائيلي الى اجتماع روما كان مكونا من ثمانية اشخاص هم : اوري افنيري (هعولام هزه — قوة جديدة) ٢ — عوزي بورشتاين (راكاح) ٣ — اميل حبيبي (راكاح) ٤ — زئيف ساده (التحالف اليساري) ٥ — ناثان يلين مور (قائد منظمة ليحي سابقا وعضو حركة السلام والامن الاسرائيلية — مدعو بصفة شخصية) ٦ — امنون كابليوك (عضو حركة السلام والامن وعضو المابام — مدعو بصفة شخصية) ٧ — عاموس كينان (كاتب اسرائيلي مستقل ومعارض لسياسات ضم المناطق) ٨ — فكتور تسيغلمان (صحفي بارز ومعارض لسياسات الضم) . اما المندوبون العرب فكانوا : ١ — خالد محي‌الدين (مصر) ٢ — عبدالكريم غريب (الجزائر — رئيس اتحاد العمال الجزائريين في اوروبا) ٣ — فاروجان ساتازيان (سوريا — لجنة السلام السورية) ، ومندوبان عن كل من العراق ولبنان لا تذكر المصادر الاسرائيلية اسميهما . وتذكر « الانوار » اللبنانية في خبر قصير جدا (عدد ٧٢/٣/٧) ان طلعت التغلبي مسؤول العلاقات الخارجية بالامانة العامة للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب قد اشترك ايضا في الاجتماعات . ولم ترسل المقاومة الفلسطينية مندوبا الى الاجتماع رغم انها — على حد زعم الصحف الاسرائيلية — كانت قد وعدت بالاشتراك ، وان كانت ابلغت اللجنة الايطالية بانها ستسمع رأيها في المؤتمر القادم . وكان من المتوقع ايضا اشتراك احمد حمروش ولطفي الخولي (رئيس تحرير الطليعة وعضو اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي المصري) باعتبارهما لعبا دورا بارزا في التمهيد لعقد اجتماع اللجنة التحضيرية العام الثاني . وقد وصل الوفد الاسرائيلي الى روما وفي اعتقاده ، بناء على المعلومات التي وصلته من اللجنة الايطالية، انه ا — سيتم هذه المرة اجتماع رسمي يجلس فيه المندوبون العرب مع الاسرائيليين الى طاولة واحدة وسط المندوبين الآخرين ليناقشوا ترتيبات المؤتمر ، ب — ستكون « قوى السلام » العربية ممثلة بوفد كبير يضم شخصيات من نفس مستوى الشخصيات الاسرائيلية [اوري افنيري : هعولام هزه ٧٢/٣/٨ ، عاموس كينان : يديعوت احرونوت ٧٢/٣/٧ ، امنون كابليوك : هآرتس ٧٢/٣/١٣ . وستكون هذه اضافة لمقالة اخرى لعاموس كينان في يديعوت احرونوت عدد ٧٢/٣/١٠ هي المصادر التي سنعتمدها لرواية ما حدث في الاجتماع] . وقد فوجيء الاسرائيليون لدى وصولهم الى روما بحجم الوفد العربي الصغير ، وبأن العرب يرفضون الجلوس معهم وجها لوجه في هذه المرحلة . وفي صدد تحليل دوافع العرب لعدم الجلوس مع الاسرائيليين الان ، مع استعدادهم في ذات الوقت للجلوس معهم في الخريف القادم تحت اضواء الصحافة العالمية التي ستقدم بدون شك تغطية واسعة للمؤتمر، يذكر الاسرائيليون ان العرب فوجئوا بحجم ومستوى الوفد الاسرائيلي الذي جاء اكبر بكثير من المتوقع ، وانهم ذكروا انه لم تتم تهيئة نفسية ملائمة في الوطن العربي بعد لمثل هذا الاجتماع . ويذكر عاموس كينان [يديعوت احرونوت ٧٢/٣/٧] انه كان بامكان الاسرائيليين حزم حقائبهم والعودة الى اسرائيل ، ولكنهم قرروا البقاء والاستجابة لطلب اللجنة الايطالية باجراء مفاوضات ثنائية بدلا من الاجتماعات الرسمية ليوضحوا « مرة والى الابد ، في هيئة دولية ذات صفة غير رسمية، تحت اية شروط هم مستعدون للاجتماع بالعرب ، وتحت اية شروط لن يكونوا مستعدين

لذلك » . وقد كانت الشروط الاسرائيلية ، كما يذكر أوري افنيري [هعولام هزه ٨/٣/ ٧٢] ، خمسة : ١ ــ ان يعلن بصورة قاطعة انه في مؤتمر بولونيا سيشترك وفد اسرائيلي ووفود من دول عربية بمكانة متساوية ، ويجلس الجميع الى طاولة واحدة ، ٢ ــ ان يعترف باللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا كهيئة رسمية تشترك في كل التحضيرات للمؤتمر ، ٣ ــ ان تسمي اللجنة الاسرائيلية المدعوين الاسرائيليين للمؤتمر ، ٤ ــ ان يكون هناك ، حتى في مرحلة الاعداد للمؤتمر ، تساو كامل بين الاسرائيليين والعرب ، ٥ ــ ان يذكر بوضوح في البيان الختامي لاجتماع روما أن الهدف من المؤتمر هو ايجاد السبل لتحقيق السلام . وقد قدم الوفد الاسرائيلي هذه الشروط في الاجتماع الاول الذي عقدته اللجنة التحضيرية مع الوفد الاسرائيلي . ويذكر افنيري ان اللجنة الايطالية وافقت ، بعد مناقشات صاخبة ، على كل الشروط الاسرائيلية . كما وافقت على ان يصدر في نهاية المشاورات بيانان احدهما عن اللجنة الايطالية بموافقة كافة المشتركين ، والثاني عن الوفد الاسرائيلي بموافقة اللجنة الايطالية . وهكذا صدر في ختام الاجتماعات بيان عن اللجنة التحضيرية الايطالية أعلنت فيه انها بموافقة كافة المشتركين تأخذ على عاتقها مهمة الدعوة لمؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط ، على ان يعقد المؤتمر في سياق العام الراهن (الخريف على الارجح) ، ويشترك فيه الاسرائيليون والعرب وممثلو الهيئات والاحزاب التي يرتأى دعوتها ، ويجري التشاور بصدد الترتيبات للمؤتمر بين اللجنة الايطالية (التي سيجري توسيعها بحيث تضم قوى من دول اخرى) وبين كافة اللجان القطرية للبلدان المشتركة . اما البحث فيتم على اساس النقاط الواردة في بيان روما ــ ابريل ١٩٧١ . ان بيان اللجنة التحضيرية هذا ، كان هو البيان الذي وصفه أوري افنيري ــ كما أوردنا اعلاه ــ بأنه بيان تاريخي ، لانه على حد قوله « لأول مرة تصدر وثيقة بموافقة العرب تقرر بشكل واضح انه سيتم لقاء وجها لوجه بين عرب واسرائيليين » . اما بيان الوفد الاسرائيلي الذي صدر عن الاجتماع بموافقة اللجنة الايطالية فقد تضمن فقرتين هذا نصهما : أ ــ يعقد مؤتمر بولونيا بمشاركة كل القوى ــ بما فيها قوى السلام في الدول العربية واسرائيل ــ المعنية بسلام عادل ودائم بين اسرائيل والشعوب العربية ، وفقا لقرار مجلس الامن ٢٤٢ ومبدأ الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني . ب ــ تبقى اللجنة التحضيرية الايطالية على اتصال دائم باللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا ، وتشترك اللجنة الاسرائيلية في كافة الترتيبات التحضيرية للمؤتمر .

واستكمالا لصورة ما جرى ويجري في كواليس روما وكواليس « قوى السلام العربية » و« قوى السلام الاسرائيلية » نقدم الافكار الاساسية الواردة في تلخيص لكراس نشرته صحيفة « اونيتي » الايطالية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الايطالي الذي يلعب دورا مركزيا في التحضير لمؤتمر بولونيا . وقد ظهر هذا التلخيص في الصفحة الرئيسية المخصصة للمقالات السياسية الهامة فيها ، وأرسله اليها مراسلها في القاهرة ، مدعيا انه متداول بشكل سري في مصر ، ويمثل آراء الاوساط الماركسية القريبة من خالد محي‌الدين في مصر ــ اي الاوساط المصرية المعنية بعقد مؤتمر بولونيا . وقد وصفت صحيفتا دافار (٧٢/٣/١٠) وعل همشمار (٧٢/٣/١٩) في صدد عرضهما للافكار الواردة في تلخيص الصحيفة الايطالية ، الكراس بأنه بمثابة « برنامج » قوى السلام المصرية لمؤتمر بولونيا . ماذا يقول الكراس الذي نعتمد بدورنا في تلخيص افكاره ، للاسف ، على صحيفة عل همشمار (٧٢/٣/١٩) ؟

برنامج قوى السلام المصرية لمؤتمر بولونيا ! : يحمل الكراس الغفل من التوقيع ، كما تدعي صحيفة اونيتي ، عنوانا رئيسيا « حرب أم سلام ؟ » وعنوانا فرعيا « مساهمة شخصية في النقاش الوطني ــ اقتراح متواضع للخروج من المأزق الراهن » . ان كاتب

الكراس ينتقد في بداياته النظرات الثلاث السائدة فيما يتعلق بحل المشكلة العربية ــ الاسرائيلية : الحرب التقليدية ، الحرب الشعبية ، والحل السياسي عن طريق الدبلوماسية .

ــ الحرب التقليدية : ان ثلاث حروب مع اسرائيل ، في راي المؤلف ، قد برهنت بوضوح على انه لا مجال لهزيمة اسرائيل في حرب تقليدية . والاسباب هي : أ ــ ان الجيش المصري هو جيش تقليدي في بنيته، تخنق الاوتوقراطية والتسلسل الهرمي فيه كل مبادرة أو مرونة في التكتيك ، ب ــ ان الحروب التي دارت ، والحرب التي ستدور ، فيما لو وقعت ، سوف تشن في الصحراء حيث العوامل المقررة فيها هي سرعة الحركة والمقدرة التقنية ، والاسرائيليون متفوقون في هذا المجال ، ج ــ ان الجيش المصري تنقصه الثقافة السياسية الجدية . وبعد ان يذكر المؤلف ان الجبهة الداخلية في مصر ما زالت غير مستعدة لخوض المعركة يقرر ان اية حرب تقليدية ستكون نتيجتها هزيمة اخرى لمصر .

ــ الحرب الشعبية : بعد ان يعبر المؤلف عن تعاطفه مع مطلب الطلاب المصريين بتسليح الشعب ، يبدي الملاحظات التالية : أ ــ ان هذا المطلب يعبر عن سذاجة سياسية لان حكومة ثورية حقيقية فقط هي التي يمكن ان تثق بالشعب كفاية بحيث تضع السلاح بين يديه . وحكومة مصر ، في رأيه ، ليست ثورية ولا تطرح نفسها كذلك . ب ــ الحرب الوحيدة التي يمكن تصورها بين مصر واسرائيل هي حرب تقليدية تدور رحاها في سيناء واسلحتها الاساسية هي الدبابات والطائرات . وكل ما يمكن ان يفعله الطلاب غير المدربين جيدا في حرب كهذه هو ان يقدموا انفسهم طعاما للمدافع . اما الحديث عن حرب فيتنام والحروب المشابهة لها فانه حديث خيالي لانه لا يمكن ادارة حرب كهذه في مصر الا اذا جن الاسرائيليون واحتلوا الدلتا المصرية الكثيفة السكان ، والجنرالات الاسرائيليون ليسوا بمجانين . ج ــ ان الكلام عن جماهير مسلحة بدون حزب جماهيري ثوري يقودها هو مجرد هراء . لان هذه الجماهير ستكون عرضة لتحريضات المخربين ويمكن ان تغرق البلد في دوامة حرب اهلية مدمرة . والنتيجة ــ الحرب الشعبية ليست هي المخرج .

ــ الحل الدبلوماسي : يعترف المؤلف ببعض الفوائد للجهود الدبلوماسية ولكنه يقرر انه ليس هو المخرج ، لان الحكومة الاسرائيلية لا تريد السلام وانما تريد التوسع . وحكومة كهذه بحاجة دوما الى عدو خارجي تمتص عن طريقه التوترات الداخلية ، ومن مصلحتها دوما ابقاء التوتر قائما لمنع التناقضات القائمة في المجتمع الاسرائيلي من الانفجار .

واذن ما الحل ؟ وهنا يطور مؤلف الكراس نظرية « السلام الشعبي » الذي يمكن تحقيقه بتحالف كل شعوب المنطقة ، بما فيها الشعب الاسرائيلي ، ضد الامبريالية والعدوان والرجعية . ان المؤلف يهاجم الكتاب والصحفيين المصريين لانهم امتنعوا حتى الآن عن تحليل طبيعة الشعب الاسرائيلي وتبيان التناقضات الطائفية والطبقية وحتى القومية القائمة ، واكتفوا بين الفينة والاخرى بنشر اخبار عن تفجرات هنا وهناك فيه . وبعد ان يحلل الكاتب المجتمع الاسرائيلي يصل الى الاستنتاج بأن عبء النفقات التسليحية بدأ يضغط اكثر فاكثر على العمال والمثقفين والطبقات البورجوازية الصغيرة ، وان هذا الضغط بدأ يولد ردود فعل تجد تعبيراتها في النقد المتزايد داخل اسرائيل ضد سياسات الحكومة العدوانية والتوسعية . ان هذه الفئات المتذمرة ، الداعية لتحقيق السلام مع العرب ، تنقصها بعد قيادة سياسية توحد جهودها وتحولها الى قوة سياسية ضاغطة حقيقة . ومن هنا فان مبادرات على شاكلة مبادرة مؤتمر بولونيا يمكن ان تلعب دورا في ايجاد مثل هذه القيادة . ان مؤتمر بولونيا ، في راي

مؤلف الكراس ، قد احدث تاثيرا دراماتيكيا على الجماهير الاسرائيلية . ان مجرد « استعداد شخصيات تقدمية عربية للاعتراف اخيرا بوجود قوى تقدمية في اسرائيل ، واستعدادها للجلوس معها على طاولة واحدة للتباحث في انهاء الحرب والعدوان ، عن طريق التفاهم المتبادل والنضال المشترك ، قد ساهم مساهمة كبيرة في توحيد تيارات السلام الاسرائيلية التي كانت حتى الان تناضل ضد سياسات حكومتها كل على انفراد » . ولولا تردد الساسة المصريين ، على حد زعم المؤلف ، بالنسبة لمؤتمر بولونيا لكانت هذه الخطوة قد اعطت ثمارا اكبر .

اسئلة وتحفظات : بهذا نكون قد قدمنا خلاصة موجزة جدا لافكار الكراس المصري « حرب ام سلام » كما اوردت الصحف الاسرائيلية تلخيصه نقلا عن صحيفة اونيتي الايطالية . والاسئلة التي نود طرحها على الجهات العربية التي تنشط لعقد مؤتمر بولونيا ، وبشكل خاص الجهات المصرية ، وبشكل اخص خالد محي الدين باعتباره الشخصية المركزية في هذه النشاطات ، هي :

- ما هي فعلا حقيقة مؤتمر بولونيا للعدل والسلام في الشرق الاوسط ، وما هو الهدف من وراء عقده ؟ هل هو مؤتمر ضغط ام حوار ، وعلى اي اساس سيعقد ؟
- كيف تتصور قوى السلام المصرية التوفيق بين « متطلبات المعركة العاجلة بالانسحاب من جميع الاراضي المحتلة في يونيه (حزيران) وبين التمسك بحقوق الشعب الفلسطيني الكاملة » — على حد تعبير خالد محي الدين في « الحوادث » اللبنانية .
- لماذا هذا التعتيم حول المؤتمر وحول مناقشات روما الاخيرة في الصحافة العربية ؟ ولماذا تدور المناقشات حوله مع الجهات الدولية والاسرائيلية (في الاجتماعات غير الرسمية كما يذكر اعضاء الوفد الاسرائيلي لاجتماع روما) اكثر مما تدور مع الجماهير العربية وحركة المقاومة الفلسطينية ؟
- ما هي علاقة الكراس المشار اليه اعلاه بقوى السلام المصرية الناشطة لعقد المؤتمر ، ولماذا تعنى جريدة الحزب الشيوعي الايطالي ، الذي يلعب الدور الابرز في الاعداد للمؤتمر ، بنشر تلخيص وافر له ؟

ان حجم التحفظات التي يمكن ان يطرحها المرء حول المؤتمر مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاجابات التي يمكن ان تقدمها الجهات العربية المعنية بالمؤتمر على الاسئلة المطروحة. اننا لسنا معنيين الآن بمناقشة الافكار الواردة في الكراس ولا نقصد اتخاذ موقف من المؤتمر ، او دعوة حركة المقاومة الفلسطينية لاتخاذ موقف . وانما نود هنا ان نسجل مبدئيا ، بناء على المعلومات المتوفرة (مهما كانت نسبة الصحة فيها) ، التحفظات الاولية التالية :

- تحفظ اول : حول الطريقة شبه التآمرية التي يجري بها الاعداد للمؤتمر . ونقول « شبه التآمرية » مدخلين في الاعتبار السرية التي تجري بها الاتصالات والتعتيم المتعمد من قبل الجهات العربية الناشطة لعقد المؤتمر على الاتصالات التي تمت حتى الآن والمناقشات التي دارت بين الجهات الدولية والاسرائيلية .
- تحفظ ثان : حول تعريف احمد حمروش لما يسمى بـ « قوى السلام الاسرائيلية » الوارد في مقالته المشار اليها اعلاه في روزاليوسف .
- تحفظ ثالث : حول استعداد قوى عربية تدعي مناصرة المقاومة المسلحة الفلسطينية للتحاور مع اسرائيليين مواجهة تحت اضواء الصحافة العالمية وبحضور عدد كبير من ممثلي القوى الاشتراكية والتقدمية في العالم دون تنسيق مع حركة المقاومة الفلسطينية ، الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين ، على اساس الاقرار

بوجود اسرائيل والاعتراف بها . ان مثل هذا الاقرار يقيم تلقائيا حاجزا بين هـذه القوى العربية والشعب العربي الفلسطيني الـذي اعلن ، عبر قيادتـه الشرعية ، عن تمسكه بحقوقه القومية على كامل تراب وطنه فلسطين. وسوف يكون من المؤسف جدا ، نتيجة لخطوة كهذه ، ان ينشأ وضع تضطر فيه المقاومة الفلسطينية لخوض معركة سياسية لكسب تأييد القوى التقدمية العالمية ضد جبهة تقف فيها قوى عربية تقدمية وقوى اسرائيلية سلامية مزعومة جنبا الى جنب .

● تحفظ رابع : اذا صحت نسبة الكراس المشار اليه اعلاه الى قوى السلام المصرية فانه يصح تسجيل تحفظ رابع حول العقلية الاقليمية التي تناقش الحرب الشعبية من ضمن الوضع الجغرافي لمصر ، ومن ضمن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي القائم حاليا . ان القول بان الحرب الوحيدة الممكن تصورها مع اسرائيل هي حرب تدور رحاها في صحراء سيناء هو قول يستند الى منطق اقليمي لا يـرى في مواجهة اسرائيل الا مصر ، ولا يهمه في الاساس الا اخراج مصر من مأزقها الراهن ، ولو عن طريق بيع فلسطين مقابل سيناء . ان الحرب الشعبية يمكن ممارستها من كافـة الجبهات ، واستنادا الى قوى من المفروض والممكن ان يحرر طاقاتها عمـل ثوري جدي . ان حذف الحرب الشعبية كحل استنادا الى الاوضاع الراهنة في البلـدان العربية انما يعكس محاكمات منطق شكلي مستسلم امام الواقع وابعد ما يكون عن المنطق الجدلي الثوري المفروض ان يكون خالد محي الدين ، الماركسي القديم ، خير من يمسك بناصيته .

خلاصة القول : ليخرج مؤتمر بولونيا الى الضوء ــ الآن ، وعندنا ايضا ، وليس فقط في روما وعند الاسرائيليين ، ليصبح بالامكان اجـراء نقاش مفتوح حـوله واتخـاذ موقـف واضح منه .

صدر عن مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف.

اوري افنيري

او الصهيونية المستحدثة

بقلـم

كميل منصور

بالعربية والفرنسية — سعر النسخة ٢ ل. ل.

حزيران والشعر والثورة

فوزى كريم

اين هو الشعر من حزيران ، واين هو حزيران في الشعر ؟ لقد اصيب الشعراء — عبر هذا التساؤل — من تهم المفكرين الكثير ، ولقد اصيب المفكرون ، بدورهم ، من ضيق الشعراء ، الكثير الكثير . وما من هوة عميقة كالهوة التي تفصل بين شعراء العربية ومفكريها . ولعل الصرخة التي اطلقها الشاعر محمود درويش امام النقاد ومفكري الشعر قائلا « انقذونا من هذا الحب القاسي » ، كانت اكثر ودا واقل قسوة من تلك السابقة التي اطلقها الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب « يا نقاد العالم ... ارفعوا ايديكم عن قصائدنا ، واقراوا راس المال »(١). فلقد كان درويش يحب بتواضع وحياء ان يتعرف على موقعه الحقيقي، وموقع زملائه من خارطة الشعر الشاسعة ، ويخشى كل الخشية ان يكون صوته وصوت زملائه مجرد لافتة مثيرة في مقدمة مسيرة سياسية. ولكن احتجاجه هذا حين يتوجه الى النقاد ذاتهم انما يتحول الى مطالبة ، لا تعنى في النهاية بذلك الفاصل الذي يجعل الشاعر والشعر في طرف والناقد والفكر في طرف آخر ، ذلك الفاصل الذي كان يوسف الخطيب يريد بغضب العارف ان يجعله حقيقة اساسية : « ان جميع اعباء الفكر — الموضوعية بطبيعتها — قد خلعها النقاد على عاتق الادب عامة، والشعر بصفة خاصة، لا لمجرد لبس في المفاهيم ، بل على الاغلب، هربا ، وتعمية على اصل القضية ، لانه يظل الاسهل ان يتعرض الناقد لشاعر على الرصيف ، من ان يتعرض لشرطي في الدولة ... »(٢).

اذن ، فالامر يعود في النهاية الى دور الشعر ومهمته . هل تملك العملية الابداعية في الشعر وفي غير الشعر ان تكون حصيلة ردود افعال مباشرة لازمات الواقع المعاش . ولماذا يرى المفكر الناقد ان الكاتب الروائي انما يحتاج لفاصل زمني كبير بين حدث الواقع وحدث الرواية من اجل خلق بناء متكامل وخالد ، ولا يرى الامر ذاته بين الحدث والشاعر ؟ وكيف نفسر طبيعة العلاقة بين الشعر والالتزام ؟ وماذا يعني الشعر الثوري ، والثورة في الشعر ؟ ان الاجابة الواضحة على مجموع هذه الاسئلة ، واسئلة اخرى كثيرة ، تشكل القاعدة الضرورية لفهم العلاقة اللازمة بين هزيمة ٥ حزيران والشعر الذي تلاها ، والشعر العربي بشكل عام .

لمنح الصلح كلمة يقول فيها « ان حرب الخامس من حزيران لم تكن الا انفجارا داخل الحل السلمي »(٣)، فنحن محكومون — بهذا المعنى — داخل مسيرة هذا الواقع لا خارجها.وبهذا المعنى ايضا يجبان ننظر الى كل انفجار شعري يستوي على ارض الواقع كرد فعل مباشر . فمعظم الاعمال الشعرية التي طمعت وتطمع بهذا اللقب « الادب الحزيراني » ستمثل في النهاية هذه الاستجابة المباشرة لانفجار عابر ، وستكون تحصيلا موسميا يشبه المهمة الصحفية في تغطية الاحداث ، او « ادبا يؤرخ للازمة » كما يسميه غالي شكري : « لقد آن الاوان لان نفرق الادب الذي « يقاوم » قبل حدوث المحنة ، وهو الادب الذي يرتفع الى مستوى النبوءة ، والادب الذي « يقاوم » اثناء المعركة

وبعد الهزيمة او النكسة ، والادب الذي « يؤرخ » للازمة بعد انتهائها بوقت طويل او قصير »(٤).

ان للشعر فعلا حضاريا ، شأنه شأن الموسيقى ، وهذا الراي الذي قد يراه البعض نزعة لتسام مفتعل ومغلق وبعيد عن الارض ، سيظل وحده ، دون ريب ، محك الاعمال العظيمة . ان شموخ العمل الشعري مسألة تاريخية بالضرورة ، فيه يتفجر الحاضر نحو المستقبل ، وفيه يكمن الماضي كمون البذرة بالشجرة .

ان هذا الفعل الحضاري للشعر هو فعل ثوري ، لانه لا يطمس الحقائق بانفعال وحماس ذي قماشة جاهزة ، ولا يساهم باكذوبة الاناشيد المتوترة التي اتقنتها الاذاعات العربية . بل هو يمتد بأفق داخلي في « ذات » الامة ، مجموعة . فنحن لا نجهل مئات الابواق الشعرية التي نفخت اوداج الواقع المترهل بعد حزيران ، شأنها شأن الصحف العربية حين وضعت الفدائي والعمل الفدائي في دائرة لا حدود لسعتها . ونحن لا نجهل ، بالتالي ، نوبات الضمير التي بدأت تجترها ، وهي تتلمس حطام حبها المخرب . انها ببساطة لم تلتفت الى مهمة الشعر التفاتة مسؤولة، فلقد شاءت — بظرف مساعد — ان تجعل تحت اسم « الشعر الثوري » كل حديث عن الفدائيين والشهداء وفلسطين . وما عداه مجرد هلوسة خارجيين لا حنجرة لهم . ولقد ساهم النقاد — وما اسوأ النقد في العربية وما اقل نقاده ! — بتثبيت هذا المفهوم . الا اذا استثنينا بعض الارتدادات المتأخرة .

يقول يوسف الخطيب في مقدمته الهامة لكتابه « ديوان الارض المحتلة » والتي تعتبر في مقدمة المراجع العربية لشعر المقاومة الفلسطينية « ان مواضيع استنباط الأفكار قائم في حقل الفلسفة .. في حقل السياسة .. في حقل الطبيعة .. في حقل الاجتماع والاقتصاد .. وليس الشعر ، بل ليس الادب عامة ، الا قوى الرعد والبرق والشمس ، التي تمنح الحياة والاشراق لهذه الحقول جميعا .. لعل ان يفلحها السادة المفكرون »(٥). ان فاعلية الشعر الثوري ليست هي فاعلية البندقية الثورية . انها اشارة لاولئك الذين يطالبون بان تكون الكلمة كالرصاصة . ان فاعليتهما مختلفة نوعيا . اذ ان المدى بين الرصاصة والهدف لا يمكن ان يوازي ، مهما اختلفت المقاييس ، ذلك المدى الذي يفصل الشعر عن هدفه . ان المشاركة الفاعلة والحقيقية لن تتمكن من النتائج الا بمعرفة مهماتها وحدودها .

لعل اقرب المسائل لهذه النزعة المجحفة تلك التي تجد في موضوع الساعة محكا لا محيد عنه لقيمة الشعر ولثوريته . ولقد اشار الشاعر محمود درويش الى هذه الظاهرة البائسة بقوله « ان الخطأ يكمن في مجرد اجراء عملية المفاضلة ، فليس من الضروري ولا ينبغي ان تكون القضية الفلسطينية منذ نشأتها حتى حزيران هي المحور الاوحد الذي يدور حوله الادب العربي المعاصر ، والا فاننا نصاب بأقصى ضيق النظر ، ونعتبر ان كل التطورات السياسية والاجتماعية في العالم العربي ، منذ ما يزيد من عشرين سنة غير جديرة بتعامل الاديب معها ، او نعتبرها ضربا من ضروب الكماليات لمجرد عدم التصاقها المباشر بالقضية الفلسطينية ، ولعلنا لا نختلف على اعتبار هذا الموقف تنكرا لمسيرة التاريخ العربي . ومن هنا لا يمكن تقويم اعمال الشعراء العرب بميزان مدى تفاعلهم مع قضية فلسطين ، كما ان احدا لم يجر مثل هذه المحاسبة مع الشعراء العرب في مدى اشادتهم بالثورة الجزائرية مثلا او التحولات الاجتماعية العميقة في الجمهورية العربية المتحدة ... »(٦).

حتى هذه الاشارة التي تبدو للوهلة الاولى حاسمة،لا تفطن الى مهمة الشعر الاساسية، فدرويش هنا انما يوسع رقعة الاهتمامات من قضية محددة واحدة الى قضايا محددة

عديدة . من قضية فلسطين الى قضايا عربية « التطورات السياسية والاجتماعية » . بالرغم من ان درويش استطاع في الفترة الاخيرة الناضجة من مراحل تطوره ان يفطن بشكل اوضح واعمق الى مهمة الشعر، وطبيعة الثورة فيه. فالثورة طاقة مستمرة على التغيير والتحام حاد بين الموقف من الحياة والموقف من العملية الابداعية ، فهو — اي محمود درويش — لا يملك ان يرى الثوري — اذا كان شاعرا موهوبا — رجعيا داخل الشعر وثوريا خارجه . كذلك شأن الشاعر — اذا كان ثوريا حقيقيا — لا يكون ثوريا داخل الشعر ورجعيا خارجه : « وماذا نعني بالثورة داخل الشعر ؟ الموقف من التراث، والتجديد الدائم للعلاقات القائمة في القصيدة وتغيير هذه العلاقات . لا اعني بالتغيير التدمير او الابادة ، اعني التطوير. أن المحافظة على ما هو حيوي في القديم هي المحافظة على المقدمات لمتابعة الحركة . والجديد — كما نعلم — لا ينفي القديم كله . اننا نصادف موقفين خطيرين من هذه المسألة : موقف العبادة للقديم — وهو موقف متحجر ورجعي ، وموقف الكفر المطلق بالقديم — وهو موقف فوضوي »(٧).

وهذا الموقف المحايد هو الذي يشكل تيار معظم المجددين من شعراء العربية ، ولكنه موقف أعمق من مجرد هذه المحايدة ، فالشاعر خليل حاوي مثلا يرفض « الشعر الذي ينطلق من الرفض ويستقر عليه » ويرى ان الثورة ليست صفة ملازمة لكل جديد كما انها ليست حركة انفعالات سطحية عابرة ، ولا يمكن لها ان تكون جزئية فتقنع بتحوير بسيط في الشكل الشعري او في بعض المفاهيم السياسية الشائعة . ويرى ان التجارب الاصيلة هي تلك التي حاولت ان تبلغ في الثورة والرفض حد الكشف عن العناصر الحية في تراثنا وتراث الانسان(٨).

وما كان يسميه غالي شكري « الشعر المؤرخ » ، ويوسف الخطيب في مقدمته بـ « أدب الكتبة » — الذين يشغلون وظائف عادية في مختلف مشاريع الصحافة والنقد والفن ، يسميه الشاعر أدونيس « شعر التبشير » او « الشعر — الوظيفة » والذي يقابل في رايه « شعر الثورة » او « الشعر — الابداع » . ان الثوريين العرب يفهمون الشعر الثوري على انه نوع من تبشير الجمهور العربي بالثورة ، ولا يجوز لابسط ثوري ان ينسى ان تبشير هذا الجمهور لا يبدأ بالشعر ، بل يبدأ بالقراءة والكتابة . يبدأ بأن يكون هذا الفرد موجودا ككائن له الحق بالتعليم والرغيف والكلام »(٩). ولعل هذه الاشارة تعود بنا الى « معضلة » الحديث الذي لا ينتهي حول علاقة الشعر بالجمهور ، وحول « محك » مدى فاعلية هذا الشعر جماهيريا . ان موضوع « الكاتب والكتبة » او «المقاوم والمؤرخ » او « الثائر والمبشر » هو في رايي الموضوع الاساس الذي يجب ان تبنى عليه كل رؤية تقييمية للشعر العربي وعلاقته بالحركة الثورية العربية بشكلها الاشمل والاعمق ، وبانتصارات هذه الحركة وهزائمها . وبهذا لا نملك ان نقدم من « الكتبة » و« المؤرخين » و« المبشرين » الا صورة مشوهة ، وحصيلة سلبية ، لا نستطيع ببساطة ان نقول عنها انها عابرة ، فهي ذاتها فاعلة بتشويهها وسلبيتها . كم ركب شعر الطبل والزمر ، قبل حزيران وبعدها ، موجات لم تخلف منه الا ركام الاوراق المجانية ، ولم يخلف فيها الا العورات والجذام والآفات . كذلك لا نملك ان نقدم من « الكتاب » و« المقاومين » و« الثوريين المبدعين » — على قلتهم — الا الصورة المعطاءة والحصيلة الايجابية . فكم من عمل عظيم ووجه في أيامه الاولى من قبل ذوي الانفعالات الثورية ، بالصدود والتذمر حينا ، وبالرفض احيانا ، وحتى بالاتهام ، استطاع ان يثبت بقوة « ثوريته » قيما جديدة على حساب قيم قديمة بالية . وان يفعل في الساحة الشعرية العربية ، غير مبال بروح ردود الافعال ، وبطغيان المباشرة الاعمى .

كان محمود درويش شابا يخشى طغيان هذه المباشرة ، فالتفت الى نفسه ، ليتيح لموهبته اصرارها على النمو والنضج ، فكتب مجموعته « آخر الليل » ليبدأ مرحلة أراد

ان تكون فيها « الصورة الغنائية » القديمة التي اعتادها الناس ، « رؤيا غنائية » جديدة . ولم يفاجأ دون شك بشكوى الجمهور ، فهو يعرف ان قيمته الاساسية انما تكمن في فاعليته الشعرية لا في استجابته. واستمر في اصراره حتى مجموعته « العصافير تموت في الجليل » ، حيث تحولت شكوى الجمهور الى سوء تفاهم ، هذا السوء الذي كان محمود يخشى « ان يتحول الى خلاف قد يأخذ شكل القطيعة » . وقد حصل ما كان يخشاه محمود ، اذا ما واجهنا معطيات الجماهير بالوجه المباشر . اذ بعد صدور مجموعته الاخيرة « احبك او لا احبك » كان كثير من القراء يلتفتون بكآبة الى قصيدته « سجل انا عربي » والى « صورته الغنائية » السابقة . ولكن هذه المعطيات المباشرة لا تشكل جوهر الحقيقة . بالرغم من انها حقيقة محزنة . فليس من الصحة التصور ان فاعلية الشعر الثوري تكمن في ذلك الحماس او التصفيق الصالوني — مهما اختلفت اشكاله — السريع الذوبان ، بعد استنشاق الهواء في الخارج .

من حق الشاعر ان يحزن وان يتساءل « هل يترتب علي ، لكي لا ينقطع التفاعل بين شعري وبين الناس ، أن أعود الى التعبير المباشر ، والحث الصريح على الكفاح والتمسك بالامل والعقيدة ؟ هل أعلل هذه الظاهرة بعدم وجود نقاد جادين ؟ هل هذه الظاهرة تطرح قضية « التناقض » الفني بين متطلبات التجديد عند الشاعر وبين مدى الامكانيات الفنية المتوفرة لدى قطاع واسع من الناس ؟ »(١٠). ومن حق الشاعر ايضا ان لا يثنيه تساؤله هذا عن فاعليته الاعمق .

حين تكون حرب حزيران انفجارا داخل هذه المسيرة المستسلمة ، فأين يكون الانسان العربي ، والشاعر العربي بالتالي ؟

الاجابات على هذا التساؤل كثيرة ، بحيث اصبحت بسحر الاستجابة ، وجها مجردا « لفكر سياسي » مطلق ، شأنها شأن الانقلابات التي اصبحت وجها مجردا « لنظام عربي واحد » مطلق . ان هذا « النظام الواحد » يعد أمثولة مكثفة لواقع شاسع . أمثولة مكثفة لانها « حزيرانية » ، استطاعت الهزيمة ان تقدمها ، وان شئنا الدقة ، ان تكشفها بكل تجاذباتها و« وحدويتها » المتخلفة الشرسة في وجه الثورة . وفي وجه التطلع لـ « وحدوية » الجماهير . واذ تكون فلسطين — فجأة — والفلسطينيون ، نواة لثورة ممكنة ومقبلة ، يتمسك النظام بسطح الواقع الراكد ، وبطبيعة المسيرة المستسلمة . « ويدرك ان هذا اللاجيء الفلسطيني — ويسمونه العائد في الاذاعات .. — قد أصبح بتأثير جرحه الانساني والقومي ذا حساسية خطرة ملتهبة ، قابلة لان تلتقط « جرثومة الثورة » من سابعة سماء ، فكان لا بد اذن ، في حساب أولئك الرسميين التقليديين ، من ان يحاصروا موطن الداء هذا بكل ما أوتوه من فطنة وحسن تدبير — وانهم هنا لجد فطنين جد مدبرين ، اكثر منهم في اي موضع آخر — وذلك لئلا يفلت هذا الطاعون الثوري من عقاله في سماء المنطقة فيجتاح المراعي الفسيحة ، ويزلزل السطح العربي الراكد من تحت الاقدام الصلبة العاتية الضاغطة عليه .. »(١١). وليس قرار ١٩٥٤ لتحديد اقامة « اللاجئين » ، وحصر انتقالهم بحرية عبر حدود الوطن العربي ، وكان القرار الوحيد الذي أجمعت عليه دول الجامعة العربية ، ببعيد .

ان « الرسميين التقليديين » كما يسميهم يوسف الخطيب هم الذين وحّدهم حزيران ليشكلوا الاساس الذي حدث بعده والذي يسميه منح الصلح « النظام العربي الواحد »، حيث ان الاشتراك في قرار وقف القتال والهزيمة خلف عند الانظمة العربية ردود فعل واحدة أمام الاحداث ، وغرائز ومخاوف واحدة بشكل تبيح لنا ان نقول ان هناك نظاما عربيا واحدا ، له ملامح متشابهة « الحذر من الجماهير ، الازدواجية في القول والعمل ، تناقض السياسة الخارجية مع السياسة الداخلية ، الطرق المتشابهة في مواجهة الازمات

والمشكلات : عدم جدية الالتزام بالمعركة ، وربما عبادة السلطة »(١٢). هذه العبادة التي تمثل اعتى انواع الالتصاق بالوضع الراهن ، الا وهو نوعه السياسي . والذي تشبهه نزعة المبالغة بعصمة التراث وتقديسه ، على صعيد الادب والكتابة . يقول منح الصلح: « في البدء كانت الانظمة توحي للجماهير بأن اتركوا لي فلسطين فأنا أحررها وعندما برز العمل الفدائي ، واجهت هذا العمل بالاتهام والتجريح والتخويف . وبعد الخامس من حزيران ، وتوجه الجماهير نحو العمل الفدائي غيرت الانظمة لهجتها : لا تناقض ، أنا اعد للحرب ، وليعد شعب فلسطين للثورة . واليوم تقول هذه الانظمة : لا تناقض ، فأنا اسالم وليستمر العمل الفدائي في الثورة . ولكن الانظمة لا تعني من خلال هذا التدرج كله الا الوصول الى اليوم الذي تستطيع فيه ان تعلن انها لا تقبل لا بحروب الانظمة ولا بثورة فلسطين »(١٣).

ان النظام هو الشكل السياسي لنزعة التقليد التي ابتليت به المسيرة العربية، هذه النزعة التي اخذت أشكالها العديدة في التربية ، والفكر ، والدين ، ومـــن ثم الادب . وبقوة التعرية التي مارسها « حزيران » لاشكال التقليد المختلفة ، استطاع من جهة ثانية ان يعطي للشعر مهمة جديدة هي مهمة مواصلة التعرية ، لتلك الاشكال ومواصلة التفجر من اجل ان لا يكون هناك انفجار واحد داخل تلك المسيرة المستسلمة ، بل انفجارات متصلة . وهي مهمة ثورية ، والشعر الذي يستلهمها هو شعر ثوري .

ان الشعر الحزيراني هو الشعر الذي عمق حزيران رؤيته لحقيقة طالما كانت ماثلة : حيث اصبحت فلسطين ، والحرية ، والثورة ، والحب ، والارض ، مترادفات لرؤيا واحدة . كما اصبح النظام وكل وجوه التقليد و« الالتصاق بالوضع الراهن » ، حاجزا كبيرا يحول بين الانسان وبين معنى وجوده . وبذلك اصبح الالتفات الـــى فلسطين ـــ شعريا ـــ مجردة عن مترادفاتها وعن اضدادها ، اشبه بالالتفات الى « المناسبات »، واقرب الى « التبشير » و« التأريخ » منها « للثورة » .

من منا يملك ان يتعرف على معنى « العودة » الى الارض المستلبة ، دون أن يتمثل في اللحظة ذاتها الحرية ـــ الغائبة ، والكلمة ـــ المحرمة ، والوحدة ـــ المجزأة ، والثورة ـــ الملجومة ، والجماهير ـــ المستعبدة ، والى ما لا نهاية من الاستلابات التي يملك « النظام الواحد » ـــ على الدوام ـــ تبريراتها الجاهزة . ان الارض المستلبة هي الوجه المباشر لاستلابات عاتية تحيط بالانسان العربي من محيطه الى خليجه . هكذا ، وبشكل واضح « عمق » حزيران مهمة الشعر ، واقول « عمق » لا وجه، لان الصوت الشعري الحقيقي الذي واصل مسيرته من الاحتجاج ـــ والرفض ، حتى الثورة ، والذي يتمثل بعدد من الشعراء « المقاومين » و« المبدعين الثوريين » لا « المؤرخـــين » و« التبشيريين » و« الموظفين » ، كان كذلك قبل حزيران ، فلم توجهه الهزيمة بل عمقت احساسه بعنف الفاجعة المرابطة في الواقع على جميع اصعدته . ولم تنبهه ، بل زادته يقينا بصدق رؤياه ورسالته . لذلك فسيبقى وحده الصوت الحزيراني الحق ، لانه صوت النبوءة السابقة واليقين اللاحق .

بعد الاشارة الى اثر حزيران على الصعيد السياسي في تعرية « النظام الواحد » وعلاقة ذلك بالشعر ، ما هو اثره على الصعيد الاجتماعي في « الوجدان » العام و« المزاجية » العامة للانسان العربي . وما هي علاقة ذلك بالشعر ؟ يقول الدكتور حليم بركات : نستطيع ان نرى الانسان العربي مر بثلاث مراحل من حيث تحركه الوجداني ومن حيث المزاجية او العاطفة التي سادت تصرفه : ١) مرحلة اكتشاف الذات ، اثر صدمة قوية جعلته يستفيق من نوم عميق ويتجه الى المرآة ليتفرس بنفسه . وقد امتازت هذه المرحلة بالميل نحو النقد الذاتي . ٢) مرحلة الحماسة والالتفـــاف العاطفي حول المقاومـــة

الفلسطينية وعقد الآمال عليها . ٣) بدء مرحلة الفتور العاطفي والميل نحـــو القبول والاستسلام(١٤).

ان هذه الظاهرة الواضحة التي تشكل صفحة من صفحات الواقع الفاجع ، تشكل من جهة أخرى هدفا من أهداف « الشعر الثوري » ، اذ هي في مدى مراحلها الصغيرة بعد حزيران انما تمثل مسيرة تاريخية عامة لم يكن حزيران الا انفجارا فيها .

ومهما اختلف الشعراء في الجزئيات من وجهات نظرهم حول اثر حـــزيران في الشعر العربي ، فهم يتفقون في النهاية على ان التأثير لم يكن جذريا بحيث يتحول الى تغيير . بل هو ان شئنا الدقة اختصر مسافة النمو بعض الشيء ، وفقط لاولئك الشعراء المهيئين بعنف طاقة التغيير في اعماقهم الى هذا التجاوز .

ان سميح القاسم ــ هذا الشاعر السريع والشديد الانفعال ــ يبدو اقل منطقية من محمود درويش حين يقول « في الخامس من حزيران ولدت من جديد » اذ ان ولادته ــ وهو الشاعر ــ لم تكن شعرية ، بل هداية انسانية حيث كشف حزيران امام عينيه اشياء كثيرة منها « ان الطريق الصحيح أمام حركة التحرر العربي هـــي في ممارسة مبادىء الاشتراكية العلمية ، بشكل علمي »(١٥). ان هذه « الولادة الجديدة » يجيب عليها محمود درويش بقوله « ادبيا ، لم تخلق تأثيرا مفاجئا ، ولم تقلب افكاري رأسا على عقب ، ولم تحطم قيمي كما فعلت ، ومن الخير انها فعلت ، بالكثيرين من الشعراء العرب خارج بلادي ... ولكنها كانت مكاشفة جارحة »(١٦). شيء واحد ، أحسب ان محمود قد عرفه بنفسه حق المعرفة ، بعد خروجه الى العالم العربي والى الكثيرين من شعراء العالم العربي ، بأن حزيران لم يعط الاثر الذي توقع ، وبأن ردود الافعال من جهة و« الكشف الجارح » من جهة ثانية يجب ان يفهم على ضوء فهـــم النوعية بين « الشعراء ــ الكتبة والمؤرخين والتبشيريين » وبين « الشعراء الثوريين ــ المبدعين ». انني ، لا أعتبره تغييرا ثوريا ، ذلك الانعطاف الذي يفرضه الآحتلال على شاعر تقتضيه رؤياه الشعرية الحقة أن يستبطن جوهر الازمة الانسانية في أمة « محتلة » بشتى ضروب الاحتلال .

فليس من صالح الشاعرة فدوى طوقان ، مثلا ، ان يفاتحها محمود درويش ذات يوم قائلا : « هل ترين يا فدوى ان شهرا واحدا من الاحتلال قد حل ، عندك ، كل المناقشات الطويلة حول الشعر ؟ مشيرا الى الانعطاف الواضح في شعر فدوى بعـــد احتلال نابلس »(١٧). ما الفرق ، اذن ، بين شعر «الانعطافات» هذا ، وشعر « المناسبات » ؟ ان الدعوة الى التغيير ، على المدى الدائم ، وبغير توقف ، هو هاجس الشاعر الثوري. انه لا يدخل في دائرة « كأي مواطن ، اصيب بمفاجأة مذهلة ، ولذلك كان صوته يصرخ في كل الاتجاهات » كما يعبر درويش ، انه خارج « الوجدان » و« المزاجية » التي تعرفنا على مراحل آثارها ، والتي يتفق محمود درويش بأنها اصابت الشعر العربي بعـــد حزيران ، ولكنني اضيف بأنه الشعر الذي كان وجها من وجوه الفوضى الصادقة التي يقول درويش ذاته فيها « اكاد اشك كثيرا في قدرة اكثرية قصائد تلـــك الفترة على البقاء »(١٨).

ليس من السهل ، اذن ، ان نتلمس حزيران وهزيمته في القصائد التي ترفع شعار فلسطين ، والفدائي ، والشهيد ، وقومية المعركة .. الخ . ولا نستطيع أن نتعرف على هاجس الثورة والتغيير في « الشعر الحزيراني » ، في النتاج الذي يستقي من المعطيات المباشرة ، لهزيمة حزيران . بل لا بد لكي نفهم ــ عميقا ــ ذلك الهاجس من الالتفات الى مظاهر « الجراة » واحيانا « الصمود » ، من أجل نمو أكثر طبيعية ، وأكثر اصرارا، في وجه ردود الافعال ، والانفعالات العاجلة . ان قاموس العشق الذي فاتحنا فيـــه

الشاعر نزار قباني منذ الاربعينات وطوال ربع قرن ، كان اكثر تفاعلا مع حركة التغيير واكثر ثورية ، من صياغاته « السياسية » التي دفعه اليها حزيران دفعا . قد نحترم حس نزار ، مثلا ، في اهمية « المشاركة » ولكننا نختلف معه في طبيعة هذه المشاركة وطبيعة دوافعها المفاجئة . والا فما هو الفرق بين « انعطافته » هذه وبين انعطافة الشاعرة فدوى طوقان « الثورية ! » بعد احتلال نابلس . ونحن ، على هذا الضوء ، قد نختلف مع كثيرين ممن جعلوا من نزار عاملا من عوامل الهزيمة الكثيرة . شأنهم شأن الذين جعلوا « غياب الايمان الديني » عاملا ، او « النظـام » ، او « الاحزاب .. والسياسة » الى آخره من النظرات الاحادية المجحفة . فنزار صوت متفرد دون شك ، وهو حين يدافع عن « قصائده السياسية » ــ كما يسميها ــ بعد حزيران ، باعتبارها كتبت بدافع الصدق والمشاركة ، لا نملك الا ان نصدقه ، ولكننا حين نواجه « طبيعة » هذا الصدق وهذه المشاركة انما لنتساءل : « هل الصدق وحده يكفي ؟ » اننا حين نبرر نزار بعد حزيران ، يجب علينا بضرورة هذا الصدق ان نبرر كل ركامات القصائد ــ التي اندثرت ــ بل كل ردود الفعل على الصعيد المزاجي والوجداني وعلى الصعيد الادبي والفكري . واذا ما اختلفت مع غالي شكري حول تعليلاته لدوافع نزار الشعرية وغير الشعرية وتحولاته من شاعر الحب والحنين الى شاعر يكتب بالسكين ، فانني اتفـق معه في ان خطأ نزار الفادح « انه جعل من حزيران مجرد مناسبة يقال فيها الشعـر وليست تجربة عميقة الاغوار يعانيها حتى النخاع . وشعر المناسبات مهما تنوعت الوانه وصوره من السياسة الى الجنس الى الوفيات الى المواليد ــ هو شعر مناسبات : أخطر سماته الفنية النظم البارد الذي يفضله النثر معظم الاحيان ، واخطر سماته الفكرية السطحية المفرطة في التفاؤل والتشاؤم والمثالية والجزئية ، واقترانه بلحظة سريعـة الزوال لا يتجاوزها الى ما هو ابعد »(١٩) .

طبعا ، لم يكن نزار وحده في هذا المأزق الابداعي ، اذ يقف معه في ساحته عدد كبير من الشعراء . واذا كان نزار يحمل معه ارثا هاما من العمل الشعري الفاعل يتيح له ان يقدمه وقت الحاجة الى الدفاع عن السمعة فان ذلك العدد الكبير لا يملك ذلك الارث . حين بدأ نزار في الاربعينات كان يحاول بوضوح ان يجمع بين الشعر و« الثورة » ، بمعنى انه لم يفصل بين « الشعر الثوري » و« الثورة في الشعر » بين مواجهة زيف الواقع المتخم بالمحرمات وبين الحاجة القصوى الى التجديد في اللغة القاموسية الزائفة والمتخمة هي الاخرى بالمحرمات . ولكن الذي حصل بعد حزيران وبفعل ردة الفعل والاحساس بالمشاركة ان نزار لم يعد يرى من الشعر الا طرف « حرمة الثورة » ، وطرف المشاركة حتى لو كان الامر على حساب الطرف الاعمق ، والذي لا يملك الشعر ان يكون « ثوريا » دونه الا وهو « الثورة في الشعر ذاته » .

في الطرف النقيض يقف الشاعر أدونيس ، وهو نموذج فذ لهاجس التغيـر المستمر ــ والذي اشرت اليه سابقا ــ المتميز بمظاهر « الجرأة » و« الصمود » من اجل نمو اكثر طبيعية ، واكثر اصرارا في وجه ردود الافعال ، والانفعالات العاجلة . لقد بـدأ أدونيس في الخمسينات مع بداية فترة التجديد ولكنه لم يتوقف شأن نزار في حدود « التجديد الانتقالي » من قاموس شعري ، الى لغة « عصرية » لا تملك في النهاية الا ان تتحول هي الاخرى الى قاموس شعري جديد « ثابت » . انه بدأ من جوهر فعل التغيير ، حيث « الثورة في الشعر » و« الشعر الثوري » لحمة واحدة لا حدود ولا فواصل بينهما . واهم ما أود الاشارة اليه هو « الجرأة » و« الصمود » والاصرار على النمو الطبيعي ، دون ان يترك نفسه مرآة تنعكس عليها ظواهر الانفجارات المفاجئة او العابرة . انه داخل الانفجار ذاته ، الانفجار الارادي المتصل . انه ردة فعل كبرى ، بمعنى المواجهة التي تفرضها مسيرة مستسلمة راكدة . ان « الثـورة » لدى أدونيس ليست ثورة

سياسية ، ولا ثورة جنسية ، ولا ثورة اخلاقية .. الخ من الاحاديات التي ما زالت تصطنع للشعر « اغراضا » مجزأة ومنفصلة شأنها شأن اغراض الشعر العباسي او الاموي . بل هي مجموع هذه الثورات مجتمعة في « رؤيا » جديدة ابداعية للفتك بالحاضر ولتفجيره نحو المستقبل .

ولذلك لم « يعطف » حزيران ادونيس ، ولم يقلبه رأسا على عقب . ولكنه « عمق » رؤياه تلك وزادها حساسية ، وعنفا . ان الشراسة الادونيسية التي فجرها حزيران اصبحت قاسما مشتركا بين « الشعر في الثورة » و« الثورة في الشعر » . ولعل ابرز مظاهر الجناحين لطائر الثورة تلك هي الدعوة الى الهدم من أجل البناء ، والتبشير « بساعة الهتك العظيم الآتية وخلخلة العقول » الى جانب الهاجس اللغوي الجديد المتوتر الغاضب والبناء الدرامي المتفاعل الذي يشبه الى حد بعيد الطوفان في أعتى مراسيمه التطهيرية .

لقد كتب أدونيس بعد حزيران ، وبعد مراحله الشعرية المتمثلة في مجاميعه الهامة « اغاني مهيار الدمشقي » و « كتاب التحولات والهجرة » و« المسرح والمرايا » ، اعظم أعماله الشعرية الا وهي قصيدته « هذا هو اسمي » وقصيدة « مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف »(٢٠) التي اعتبرها جزءا ملحقا . انها تعرية جبارة لم يألفها الشعر العربي ، لا لسطح الواقع العربي وكشف الغطاء عنه فحسب ، بل لمجرى السوس السري الذي ينخر الاعماق . ان التبشير « بساعة الهتك » او الاصغاء الفاجع « للنواح السري في كبد العالم » و« الموت العربي » ، او الاعتراف داخل « البلاد التي رفعت فخذها راية » بأنها « عكازة السلاطين وسجادة الانبياء » ، أقول أن هذه المكاشفة لا تشكل وحدها القيمة الاساسية للثورة ، اذا هي تجردت من صيغتها الابداعية الجديدة . وأريد بها « الشكل » الشعري . هذا « الشكل » الذي فهم طوال مرحلتنا الشعرية الحديثة على انه القشرة الخارجية والثانوية . ان من مهمات « الثورة » لدى أدونيس ، هو هذا العطاء النامي والمتجدد « للشكل » لا بمعناه المجرد ، المنفصل عن « المضمون » ، بل بمعناه المعطى بدءا من لحظة الابداع ذاتها .

ثمة ملاحظة هامة تجب الاشارة اليها . ان الحدث الكبير مهما كانت حصيلته: الانتصار او الهزيمة يظل حدثا كبيرا ، واشير بذلك الى الصعيد الابداعي ، الفكري او الادبي ، وما يشكلانه كحصيلة لذلك الحدث . وما يجب ان نؤكد عليه هو ان تلك الحصيلة الابداعية لا يمكن ان تتواجد في فترة ردود الافعال اللاحقة ، والاستجابة الزمنية الآنية. انما هي تتسرب في وعي الامة الداخلي ، نسغا يكمن لفترة قد تتجاوز السنوات العديدة. لينبعث كما تنبعث الروح ، بعد مرحلة « الآثار المباشرة » ، محملا — كطاقة ابداعية — بروح ذلك الحدث ومعانيه وآثاره الحقيقية .

ان السنوات العشرين التي تلت الثورة الفرنسية الجبارة ، كانت محملة باعباء ردود الافعال التي تحولت الى كمود وفراغ ابداعي مطلقين . في حين ظهرت بعد هذه الفترة الطويلة الطاقة الابداعية الحقيقية التي كانت الثورة الفرنسية بذرتها الاولى وجذرها الاساسي . ان قيمة حق الانسان في الحياة ، والحرية ، وقيمة النزعة الفردية ، والديمقراطية البرجوازية ، التي تمتعت بها حركة القرن الثامن عشر الفرنسي كانت ذاتها شعارات الثورة الفرنسية . ولم تخصب العبقرية الفرنسية الا في هذه الفترة عينها ، كنتائج بعيدة المدى ، على يد بلزاك ، واستندال ، وهيجو ، ولامارتين ، والفرد دي موسيه .. الخ .

بهذا المعنى يجب ان نتعرف على مهمة حزيران ، الابداعية ، لا في سنوات الاضطراب وردود الفعل التي تلته ، بل في فترة قادمة لا نملك القدرة على تحديدها . اننا اذ نتحدث

عن حزيران والشعر ، انما نتقصى آثاره الحاضرة لا على الصعيد الابداعي الخالص ، بل على صعيد الساحة الشعرية العربية . ولقد سبقت الاشارة الى بعض تلك الآثار كمواجهة ازمة « النظام الواحد » وتعرية « التخلف » الجذري ، وسقوط نزعة « المناسبات » و« ضرورة المشاركة » ووجوب « الانعطاف » في حالات الضيق او الاحتلال .

لا شك ، ان من آثار حزيران تلك النزعة « الماسوكية » المفاجئة والبارزة ، والتي غطت مساحة لا حدود لها في الشعر العربي . ولا شك ان جزءا من نتاج تلك النزعة كان صادقا وايجابيا وفاعلا . فان مواجهة النفس ، ضرورة بالغة ، ولكن بشرط ان تكون مواجهة بهاجس تغييري وثوري لا بهاجس تدميري مرضي . ان بعضا من قصائد نزار قباني وعبدالوهاب البياتي وخاصة في مجموعته الصغيرة « بكائية الى شمس حزيران »، تدخل ضمن هذه النزعة . بالرغم من ان هموم البياتي« الثورية » القديمة بقيت متصلة بخط لا انقطاع فيه — مهما اختلفنا في طبيعة هذه الثورية — . ولا شك ، ايضا ، ان من آثار حزيران تلك النزعة « الرومانتيكية » المفاجئة والبارزة هي الاخرى ، لتقديم « أدب للبطولة » عربي ، مستوحى مباشرة من ذلك الدفق المعنوي الذي أملته على الجماهير العربية ، حركة العمل الفدائي ، والتي كانت بعد سنة الهزيمة ، قوة خلاقة ، واثرا شامخا ، زعزع لدى العربي ذلك اليقين الراكد ، وتلك الخيبة ، الجارحة . لقد كان اشبه بذلك الانبعاث التموزي الذي كان الشاعر الرائد بدر شاكر السياب يبشر به في قصائده ، أو ذلك الانتصار الخلاق الذي تعرفنا عليه في رحلة « السندباد » الثامنة ، للشاعر خليل حاوي ، وهي الرحلة الداخلية حيث هدم مظاهر الانحطاط وبناء القيم الانسانية الحية ، بدءا من البراءة الاولى . ولكن هذه النزعة بطبيعتها « المستوحية » من الواقع المعاش المباشر ، انما تخلق بذاتها قدرتها المحدودة . ففي الفترة التي خبت فيها قوة الحركة الثورية الفدائية ، بعد حصار الانظمة الفاضح ، والهجمة « التترية الجديدة » الشرسة ، خبت معها هذه النزعة .

ظاهرتان مهمتان — لهما طابعهما الحزيراني — احب ان اقف أمامهما في ختام هذه الدراسة . الاولى : نتاج شعراء الارض المحتلة الذي أطلق عليه « شعر المقاومة » . والثانية : ظاهرة الجيل الشاب الجديد الذي واجه في فترة حساسيته المرهفة هزيمة حزيران بكل ابعادها . ولا استثني منه ، بل أؤكد عليه ، الجيل الشاب من الشعراء الفلسطينيين الذين عاشوا بعمق ذلك التجاذب الداخلي بين الواقع — المنفى ، وبين الارض — الانتماء المستلب .

يقول محمود درويش — طليعة شعراء الارض المحتلة والذي خرج قبل عام الى القاهرة — « ان طفولتي هي بداية مأساتي الخاصة التي ولدت مع بداية مأساة شعب كامل ، لقد وضعت هذه الطفولة في النار ، في الخيمة ، في المنفى ، مرة واحدة ، وبلا مبرر تتمكن من استيعابه » ومنذ ذلك الحين « انقلبت الصفة الخاصة لعالم الطفولة ، وأصبح ذلك الطفل محروما من الاشياء واللغة التي تميزه عن الكبار ... والتصقت بذهنه وعاطفته كلمات جديدة صار يعرف انها مصيرية : الحدود ، اللاجئون ، الاحتلال ، وكالة الغوث ، الصليب الاحمر ، الجريدة ، الراديو ، العودة ، وفلسطين .. » ، عبر كل هذه الشفرات الحادة القاطعة أمام كافة الطفولة الشفافة صار الصغير يقترب ، بوتيرة سريعة ، من عالم الطفولة الذي صار يعني المكان الذي ستخلصه العودة اليه من هذه الكلمة الجارحة : لاجيء . « وهكذا ، تحولت عواطفي الى اسيرة لكلمة « العودة » . »(٢١).

انها تسجيل شديد الحساسية وشديد العمق لواقع البذرة وهي تنمو في وحشية

« النفي » غير المبرر . من نكبة ١٩٤٨ حتى هزيمة ١٩٦٧ ، امتدت خامة جيل تبحث عن قسماتها ، في مرحلة من أشد مراحل الانسان تأثرا . وهي تحت ضغوط لعنة تاريخية لا ترتخي مخالبها ولا السنة نيرانها ساعة واحدة . فيها بدأت بوادر الشعر المقاوم الشاب ، تتعرف على الاعداء ، وتتلمس الارض اللصيقة ــ المفقودة معا . والمواطن ــ الغريب معا . وبهذا ، ليس من الصعب ان تنمو تلك الحساسية الشعرية الجديدة على أرض تستحق الغناء . والى جانب ذلك ، ليس من السهل ، أن يكون هذا الشعر هو الهم الكبير .

ان تلك الاصوات من توفيق زياد ــ الى محمود درويش وسميح القاسم لم تلفت نظر النقاد ولا القراء ، قبل حزيران ، رغم توفرها المعقول ، في حدود ما تبيح له الاسلاك الشائكة ان يخرج ، شأنها شأن عشرات الاصوات الموهوبة على ارض الوطن العربي الواسعة . فكانت العدالة النقدية « الظالمة » واحدة ، وموزعة على الجميع .

بعد حزيران ، التفت الجميع ، جمهورا وكتابا نحو فلسطين ، وكأنها خلقت فجأة مدماة بين مخالب الطمع الخارجي . فعصفت بهم المشاعر ، لتلوين كل جزء من الوطن المحتل بفرشاة ، تنبعث الوانها من تأنيب داخلي . وكان نصيب نقاد الشعر وقرائه وشعرائه ، أولئك الافراد من الشعراء المعدودين تحت الاحتلال وفوق الارض البعيدة البعيدة والقريبة في كل قلب ،حتى اصبحت بين الكلمة والقصيدة الشعرية في الداخل وبين قرائها ونقادها في الخارج الف غلالة وغلالة من الحب . ولقد عرف شعراء الارض المحتلة الشباب المفاجأة حينها . فأمتعهم هذا الاهتمام المفاجيء ، وأثار حماسهم ذلك التقدير والتقييم الواحد ــ المتفق عليه ــ ، حتى الوقت الذي اصبح فيه ذلك الاهتمام وذلك الحماس مقصلة في عنق القيمة الابداعية الحقيقية ، بحيث لم يحتمل شاعر صادق كمحمود درويش الا ان يصرخ « انقذونا من هذا الحب القاسي » .

وبدأت ، في الفترة المتأخرة ، النظرة المتأنية ، فالشاعر صلاح عبد الصبور يجدهم جميعا « اصحاب تجارب جديدة وانهم لم يبلغوا بعد الدرجة التي تتيح لهم ان يطمئنوا الى اسلوبهم وان يطمئنوا الى الآفاق التي يصبون اليها ويتجاوزونها »(٢٢). والشاعر خليل حاوي يجد في شعرهم « ردة فعل مباشرة صادقة لما نحسه ونعانيه . اما من حيث البناء ، اي ان يبني احد هؤلاء الشعراء بناءا شعريا ضخما يعادل ضخامة الحجر فهذا لم يتحقق بعد . وربما كان للزمن فعل كبير هنا »(٢٣). في حين يتساءل ادونيس : هل في الارض المحتلة « شعر مقاومة » ؟ لست واثقا . بشعر المقاومة اعني اولا الشعر الذي يحمله المواطن على شفتيه وفي قلبه كما يحمل المقاتل البندقية . واعني ثانيا الشعر الذي يكون عاملا يصنع زمانه ــ يتحول ، بما يحمل من الطين والماء الصافي ، الى نهر كبير يجرف ويغسل ويغير . بل لست واثقا ان في الارض المحتلة شعراء مقاومة، بالمعنى الدقيق الكامل . ان فيها ، بلا شك قصائد مقاومة ، وهي قصائد توحي ، في مجملها ، انها دفاع عن بشر مظلومين وحريات مضطهدة ، اكثر مما توحي بانها هجوم مضاد تقوم به الجماهير كقوة تحرير وتحرير . لذلك يقتصر دور هذه القصائد على تحريك العواطف والمشاعر ، ولا يتجاوزه الى التأثير في مجرى تفكير الجماهير وفي تطورها النضالي والثقافي »(٢٤).

ويكاد الناقد غالي شكري يتفق مع هذا الراي بعض الشيء . الا انه في كتابة « ادب المقاومة » يخضع « لهواية التلاعب بالالفاظ او الافكار » كما عبر درويش . فهو «يختار من مصطلح « ادب المقاومة » المعنى الاوسع للكلمة بمعالجة ما يبدو له انه ادب مقاومة في شتى البلدان وفي شتى الازمنة ، ولكنه يتنازل عن هذا المعنى الواسع ويتشبث بأضيق معاني المصطلح عندما يصل الى بلد ما في منطقة الشرق الاوسط ، فيصبح الموقع

الجغرافي هو معيار تقويم المواقف ، لانه هو الذي حدد ، موضوعيا ، موقفا سياسيا تفصيليا لهذا الشاعر او ذاك ، فتصبح غدوى طوقان — على سبيل المثال — شاعرة مقاومة لانها لا تعترف بوجود اسرائيل . ولو عاش معين بسيسو في مدينة عكا لما كان شاعر مقاومة لانه لن يكرس شعره للتصريح بانه لا يعترف بوجود اسرائيل . اما محمود درويش — على سبيل المثال — فلو هاجر الى الكويت لكان شاعر مقاومة ، لان واقعه هناك لن يدفعه الى محاورة اليهود »(٢٥) . وها هو درويش قد هاجر الى القاهرة ، فهل حلت بذلك المشكلة . بالرغم من انه يجيب على السؤال : « هل انت شاعر مقاومة ؟ » بقوله : « لا ادري . ولا يهمني هذا السؤال كثيرا » .

« ليس كل شعر مقاومة شعرا ثوريا » . وبهذا المعنى املك ان اجد في محمود درويش شاعرا ثوريا . اولا قد تتوفر لديه الخامة الاولى التي يتمتع بها معظم شعراء الارض المحتلة . ولانه ثانيا ، وهو الامر المهم ، يجمع في عمله الابداعي طاقتين « الشعر في الثورة » و «الثورة في الشعر» . ان معاناته تركيبة جدلية بين الرؤيا الثورية للانسان والعالم ، والرؤيا الثورية لطبيعة عملية الخلق الشعري . وهذا معنى نموه الدائم والمتغير . ان سميح القاسم وتوفيق زياد — بالرغم من ان هذا الاخير ينتمي الى جيل اسبق — بقيا وباشكال عدة ضمن العمل الشعري في حدود « الصورة واللغة الغنائية » المباشرة ، والمتوترة ، والمكررة ، وخاصة لدى سميح القاسم . انه حتى مجموعته الاخيرة « الموت الكبير » — دار الآداب ، لم يستطع ان يقتنع بقيمة تجاوزه لتلك «الحالة العاطفية » ، التي تعيد نفسها في اطر مختلفة ولكن ضمن دائرة واحدة ضيقة . ان محمود درويش تجاوز «الصورة الغنائية» الى « الرؤيا الغنائية » ، ان النهر الشفاف الصغير فيه ، بدأ يتحد ببحر شفاف جديد . فهو لم يقنع كما كان من قبل « بان اللعبة الفنية عنده ، مكشوفة خلف منديل شفاف » لقد حول هذا المنديل الى شراع فاتن يعكس بحر المعاناة والرؤى المتفجرة . ان قصيدته « سرحان يشرب القهوة في الكافيتريا » والتي تضمنها ديوانه الاخير « احبك او لا احبك » — دار الآداب ، لخير مثال على وجه محمود درويش الجديد .

ثمة جيل جديد تفتح وعيه بتواقت مع الانفجار الحزيراني . هذا الجيل الذي واجه العالم بكل تحدياته في الستينات ، واخذ يراقبه ويتفاعل معه بعنف . هو وحده دون شك الذي سوف يعكس في المدى الآتي كل تناقضات هذه الفترة الفاجعة ، بعطاءات ابداعية رائعة وهامة . ان بعض شعراء هذا الجيل الشاب ، الذي حمل عبء حزيران على اكتافه ، شعرا مواجها ومعريا وصارخا لا يزيد مسؤولية عن اولئك الآخرين الذين يكتمون حزيران في اعماق تجربتهم ليخرج شجرة رافضة تجتاح كل الحدود من اجل التغيير الاعمق .

ليست الاسماء في هذه الفترة هي المهمة ، فالحدود الفاصلة لم تنضج بعد ، ولكنه المجرى « الحزيراني » العام هو السمة الاساسية ، بكل تياراته ، واختلاف رؤياه للعالم ولعملية الكتابة ذاتها . « ... ان من المنتظر من كل شاعر جديد ، لا سيما متى كان يصدر عن تجربة عجيبة كالتجربة الفلسطينية ، ان يطمح الى زحزحة تاريخ الشعر وكأنه لم يكتب بعد في العالم قصيدة واحدة ، وان القصيدة التي ستحفر في ذاكرة البشر الرعب من الظلم وبتر الاصول وهوان الشعوب ، القصيدة التي ستخترق في العربي قرون النوم وتلامس تلك النقطة النارية المنفية في غور ما وراء الصبر والقبول وراء المصطلحات والامثال ، وراء شهوة الحكم والترف والحرير الالف ليلي ، هذه القصيدة تنتظر الشعراء في لحظة من لحظات الجحيم الحاضر »(٢٦) .

الحواشي :

١ ــ ديوان الوطن المحتل ، يوسف الخطيب ، دار فلسطين ، دمشق ١٩٦٨ . ص ١٩
٢ ــ المصدر السابق . ص ١٩ .
٣ ــ مجلة مواقف ، عدد ١٠ ــ ١٩٧٠ .
٤ ــ ادب المقاومة ، غالي شكري ، دار المعارف بمصر . ص ١٣ .
٥ ــ ديوان الوطن المحتل . ص ١٩ .
٦ ــ شيء عن الوطن ، محمود درويش ، دار العودة . ص ٣٢ .
٧ ــ المصدر السابق . ص ٣٢٣ .
٨ ــ مجلة الاداب ، عدد سنة ١٩٧٠ . ص ٢٤ .
٩ ــ الاسبوع العربي ، عدد ٦٢٥ ــ سنة ١٩٧١ .
١٠ ــ شيء عن الوطن ، ص ٢٦٠ .
١١ ــ مجلة مواقف ، عدد ١٠ . ص ٧ .
١٢ ــ صحيفة النهار ، ١٩٧٠/٩/٢٦ .
١٣ ــ المصدر السابق .
١٤ ــ الاسبوع العربي ، عدد ٦٢٥ .
١٥ ــ عن الموقف والفن ، سميح القاسم ، دار العودة . ص ٤٨ .
١٦ ــ شيء عن الوطن . ص ٢٦٨ .
١٧ ــ المصدر نفسه . ص ٢١٩ .
١٨ ــ المصدر نفسه . ص ٣٢٧ .
١٩ ــ ادب المقاومة . ص ٤٠٦ .
٢٠ ــ راجع القصيدتين في مجموعة وقت بين الرماد والورد ، منشورات مواقف ١٩٧١ .
٢١ ــ شيء عن الوطن . ص ٢٤٢ .
٢٢ ــ الاداب ، عدد ٢ سنة ١٩٧٠ . ص ٢٥ .
٢٣ ــ المصدر السابق .
٢٤ ــ مجلة الطريق ، العدد الخاص في ادب المقاومة ١٠ ــ ١١ سنة ١٩٦٨ . ص ١٥ .
٢٥ ــ شيء عن الوطن . ص ٣١٩ .
٢٦ ــ خالدة سعيد ــ مجلة مواقف عدد ١٨/١٧ . ص ١٣٩ .

صدر عن مركز الابحاث

التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني
(عهد الانتداب)

بقلم
نبيل بدران

٣٦٠ صفحة ٣ ل.ل.

نماذج من الادب الاسرائيلي المعاصر بعد حرب حزيران ١٩٦٧

رشاد الشامي

كانت حرب حزيران ١٩٦٧ هي الحلقة الثالثة في سلسلة الحروب التي خاضتها اسرائيل ضد الدول العربية بعد حربي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ ، لكي تفرض وجودها في المنطقة ، من ناحية ، ولكي تحقق مرحلة من مراحل اطماعها التوسعية لتحقيق دولة الحلم من النيل الى الفرات ، من ناحية اخرى . وهذا الامر لم يخفه قادة اسرائيل، واعلنوه صراحة في تصريحاتهم بعد الحرب ، (وخاصة تصريحات جماعة « دولة اسرائيل الكاملة » التي تحظى بعطف الزعامة الاسرائيلية) ولم يعد خافيا على احد . وقد اختلفت الى حد ما احكام الادباء الاسرائيليين بالنسبة لردود فعل هذه الحرب على الواقع الاسرائيلي عامة، وعلى واقع الانسان الاسرائيلي بصفة خاصة. فالاديب الاسرائيلي اهارون امير يقول مثلا: « اذا كنا نعتبر ان حرب ١٩٤٨ هي ذروة فترة من ناحية الجيل الذي حملها على عاتقه ، واذا كانت حرب « قادش » هي مجرد علامة طريق تاريخية او جغرافية دون مغزى خاص بالنسبة لمنفذيها — فاننا من الممكن ان نعتبر ان حرب الايام الستة هي بداية لفترة جديدة بمفهوم ان الحرب لم تنته بعد ، بالذات بعد مرور الايام الستة التي شهدت العمليات الضخمة والنصر . وبهذا المفهوم فانها خلقت ابعادا جديدة لدولة اسرائيل ليس فقط بالمفهوم الاقليمي والاستراتيجي بل خلقت كذلك ابعادا في الرؤية الذاتية وفي الرؤية العالمية عندنا » . ثم يواصل حديثه فيقول : « ان التخطي الذي يشكله انتصار ١٩٦٧ ، هو اولا وقبل كل شيء ، تخط من حالة الحصار النفسي ، ومن حالة السجن والانغلاق ، الى حالة الارتكاز والثقة بالنفس ، والسيطرة ، وكذلك الصراع الشجاع وجها لوجه مع وجود البيئة الجغرافية الخاصة بنا مع كل الشحنات المرتبطة بها من ناحية الظروف التاريخية والاهداف في المستقبل »(١) ويختلف معه في هذه الرؤية الاديب الاسرائيلي حانوخ برطوف الذي يشير ايضا الى ان « حرب الايام الستة قد خلقت حقائق » وان الحرب لا تدور الآن بجوار « كفرسابا » بل « بجوار القناة » ، ولكنه رغما عن هذا يعود في سياق حديثه فيؤكد ان « الموقف الاساسي لم يتغير » . والموقف الاساسي الذي يعنيه حانوخ برطوف هو ما عبر عنه بكلمات فيها ما يكفي لعكس صراعات الانسان الاسرائيلي . يقول برطوف : « بالرغم من انتصارنا في الحروب ، فاننا نحن المحتلون والمحاصرون لان لدينا تخبطات تكفي للموت ... » . « ويوجد هنا شعب صغير ، هو بالكاد شعب ، وبالكاد يعيش ، في منطقة هي بالكاد ارض ، مع كوابيس بسبب حدود لا يعرف ماذا يفعل بها ، ويريد السلام ولا يستطيع الحصول عليه »(٢). ويعكس هذان الموقفان اللذان يعبر عنهما اثنان من اشهر ادباء اسرائيل بحق المناخ الذي ساد اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ والذي عكسه الانتاج الادبي الذي عبر عن هذه الفترة . ان احدهما يرى ان حرب ١٩٦٧ قد منحتهم الامان والثقة ، والاخر

يرى ان الانتصار في هذه الحـــرب لم يغير من الموقف الاساسي شيئا ، بل وزاد مـــن تخبطاتهـــم .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى رد فعل هذه الحرب على الانتاج الادبي في اسرائيل ، فاننا لن نجد هناك اختلافا كبيرا بينها وبين تاثير حرب ١٩٤٨ على الادب الاسرائيلي ، الا من حيث التناول الفني للعمل الادبي ذاته على ضوء التيارات المعـــاصرة في عالم القصة والرواية والشعر . فبالرغم من ان حرب ١٩٤٨ قد شهدت فور وقوعها ردود فعـــل ادبية مباشرة ، حيث كتب س. يزهار في البداية قصصه القصـــيرة « خربة هزاعة » (مايو ١٩٤٩) ، و « الاسير » (نوفمبر ١٩٤٨) ، و « قافلة منتصف الليل » (١٩٥٠) ، الا ان كتابه الكبير « ايام تسيكلاج » الذي يعبر عن حرب ١٩٤٨ تعبيرا شاملا ، لم يظهر الا عام ١٩٥٨ ، اي بعد الحرب بعشر سنوات ــ وحرب الايام الستة لم تكـــن حربا دامت ستة ايام ، بل هي حرب احدثت في العالم ، وفي منطقة الشرق الاوسط آثارا لم تنته بعد . وبالفعل فان شعوب المنطقة ، وعلى الاخص «الشعب الاسرائيلي» ما زال يعيش في داخل هذه الحرب . وبالطبع فان الاقتراب المباشر من الاحداث يحول غالبا دون كتابة الادب الحقيقي المعبر عن الحدث . ومعنى هذا ان الادب الحقيقـــي المعبر عن ردود فعل المجتمع والانسان الاسرائيلي ازاء حـــرب ١٩٦٧ لم يكتب بعد . ويعبر عن هذا الراي بطريقته الخاصة الاديب الاسرائيلي يورام كنيوك فيقـــول مجمـــلا انطباعه العام عن الادب الاسرائيلي : « من الصعب أن ننتج في ظروف التوتر التـــي نعيشها . ان فترات الهدوء النسبي التي مرت بنا خلال الخمسين عاما الاخيرة كانت قليلة . والفترات الفاصلة بين المعارك كانت مليئة بالاحداث ، وبالحـــروب الصغيرة الاخرى ، اي بالتوتر ــ ومن الصعب على الادب ان يصارع معدل السرعة »(٣).

وكذلك فانه كما حدث في اعقاب حرب ١٩٤٨ ، حدث في اعقاب حـــرب ١٩٦٧ ، وظهر سيل مـــن الادب الريبورتاجـــي او الادب الوثائقي ، ثم بدا بعد ذلـــك الادب شبـــه الريبورتاجي . ومع ان الادب الاصيل المعبر عن هذه الحرب ما زال في طور النضوج بعد ، الا انه قد ظهرت بوادر لانتاج ادبي جدير بأن يؤخذ في الحسبان ، سنتناوله فيما بعد . وقد اثارت هذه الظاهرة ــ ظاهـــرة الادب الريبورتـــاجي المعبر عن مأســـاة الحرب ــ احتجاج الاديب « يورام كنيوك » فقال محتجا عليهـــا : « اننـــا من الناحية الوثائقية فقط في حالة فيضان . وفي بعض الأحيان يكون الامر مثيرا للضحك . ان الادب هو محاولة تنقية وبلورة مشاعر وجدانية ، وبحث عن مغزى ، وتعبـــير عن المواجهة الدائمة للموت عند الشاب . ولا بد من ان ينقضي وقت حتى يصبح من الممكن التعبير عن هذا . ولكن الناس عندنا يفسرون القتل والخوف على الفور ، ويتحول الامر الى شيء ما بسيط الى حد ما »(٤).

الادب الريبورتاجي او الوثائقي في اعقاب حرب ١٩٦٧

لقد عم اسرائيل في اعقاب معارك الايام الستـــة في حزيران ١٩٦٧ فيض مـــن الادب الجورنالي الذي اصطلـــح على تسميتـــه باسم « الادب الريبورتـــاجي » او « الادب الوثائقي » ، اشتمل على الكثير من قصص الصحفيين شهـــود العيان الـــذين رافقوا الجنود في المعارك ووصفوها بصورة واقعية جعلت هذه الكتب تجد رواجا لهـــا في السوق وتشد اليها جمهورا واسعا من القراء . وقد ازعجت هذه الظاهرة احد كبـــار النقاد الادبيين في اسرائيل وهو البروفسور باروخ كورتسفيل وكتب يقول : « انني في الحقيقة خائف من كل ادب هذه الحرب . وذلك لانه حينما تكون هنـــاك اشياء كبيرة تنشر في السوق بملاليم ضئيلة ــ فان هذا يهدم الاشياء الكبيرة »(٥). وبالرغم من هذا فان هذا النوع من الادب قد سيطر لفترة من الزمن على عالم ادب حـــزيران بالاضافة

الى بعض الانتاج الادبي الآخر الذي تميز بالعنصرية وبالنشوة من ذلك الانتصار المفاجيء ومن المناطق الجديدة التي سيطر عليها الجيش الاسرائيلي ، وخاصة قصائد اوري تسفي جرينبرج ، وناتان الترمان ، ويتسحاق شيلاف وغيرهم من دعاة الضم وتحقيق دولة اسرائيل الكبرى .

ومن اهم الكتب التي صدرت بعد ان هدأ هدير المدافع ، وتعطي صورة عن الادب الريبورتاجي او الوثائقي ، كتابا : « حديث المحاربين » (سيح لوحاميم) الذي صدر في اكتوبر ١٩٦٧ ، وطبع خمس طبعات كان آخرها طبعة اكتوبر ١٩٧٠ ، مما يشير الى مدى الاقبال عليه من القراء ، وكتاب « مكشوفون في برج الدبابة » (حشوفيم بتسريح) لشبتاي طيبت المحرر العسكري لجريدة « يديعوت احرونوت » العبرية المسائية ، الذي يناقش مشاكل الجندي الاسرائيلي ، ويوضح ما هي الحرب الاسرائيلية . والكتاب الاول « سيح لوحاميم » عبارة عن محادثات مع عدد من اعضاء الكيبوتسات الاسرائيلية ممن اشتركوا في معارك حرب حزيران ١٩٦٧ ، ويقدم تخبطات الجندي الاسرائيلي ابن الكيبوتس عن الحرب ، (يشتمل الكتاب على ثلاثين محادثة اشترك فيها حوالى مائة واربعين عضو كيبوتس) . وهذه المحادثات التي يجرونها مع مقاتلي الكيبوتس حافلة بمادة خصبة من اجل دراسة نفسية المقاتل الاسرائيلي عشية عودته من الحرب وبعد تحقيقه لانتصار لم يكن يحلم به ، وما هي الدوافع التي تحركه للحرب احيانا وتجعله ينبذها حينا آخر ، وما هو موقفه من الحرب ، وما هو موقفه من عدوه العربي عموما ، ومن العدو المهزوم بصفة خاصة . كل هذه الموضوعات تكشف عنها في وضوح وجلاء سطور هذه المحادثات . وبالطبع فاننا لن نتمكن من عرض كل النماذج التي تستحق العرض والقراءة ، ولكننا سنكتفي ببعض المقتطفات التي تعطي لمحة وافية وسريعة عن تخبطات ابن الكيبوتس الاسرائيلي بعد عودته من القتال — يقول عضو كيبوتس عين شيمر الجندي الاسرائيلي ابيشي مصورا انطباعاته عن الحرب : « ... هناك من يحاولون ان يقنعوا انفسهم وهم يتناقشون ويدعون ان هذه هي النهاية وان العرب قد انتهوا ، وليس لهم اي رجاء الخ . وانا لدي احساس طوال الوقت بأن الجولة القادمة ستكون اكثر قوة بكثير . لانه حتى الآن هناك قسم كبير من العرب لم يكرهنا كرها حقيقيا ، وحسبما هو معروف ، فان كراهية العدو هي احد الدوافع الطيبة للحروب ، وحينئذ — بعد ان اصبحنا اخيرا جيشا محتلا — ... يبدو لي انه في الجولة القادمة ستكون كراهية العرب تجاهنا اكثر جدية ... ولذلك فان الحرب القادمة ستكون اقسى وسيكون ضحاياها اكثر »(٦).

ويقول جافي عضو كيبوتس « جبعات حييم » : « ... ان كل حرب تترك راسبا — لكل واحد ... »(٧). ويتحدث رفيقه موشيه عن حادثة ما زال يتذكرها فيقول : « ان احد الجنود الذين جرحوا واصابهم اضطراب عصبي كان يصرخ وهم يحملونه الى محطة التضميد : لا تعيدوني الى الهضبة ... »(٨).

وقد قامت مجموعة مكونة من عشرة باحثين من علماء النفس بتفريغ الكتاب وتحليل ما ورد فيه تحليلا علميا . وكان التركيز على تحليل مضمون وفحص مواقف المتحدثين تجاه العرب حسبما عبروا عنها في « حديث المحاربين » . وكانت النتيجة التي توصل اليها هؤلاء الباحثون هي ان « حديث المحاربين » هو محاولة جزئية من اجل التغلغل في ثنايا نفس الشاب الاسرائيلي . ولا شك في ان هذه المادة جديرة بأن توضع تحت تصرف مجموعة من علماء النفس والاجتماع العرب لكي يلقوا من خلالها ضوءا واضحا على نفسية الانسان الاسرائيلي وتخبطاته كجزء من محاولة دراسة الشخصية الاسرائيلية الحديثة . والكتاب الثاني « مكشوفون في برج الدبابة » ، هو كتاب وثائقي عن الحرب ، وقد حظي باهتمام كبير من المعلقين والخبراء العسكريين في اسرائيل ،

وقد تناوله بالتعليق على سبيل المثال ؛ يجآل يادين ، المستشار العسكري لليفي اشكول اثناء حرب حزيران واول رئيس أركان اسرائيلي(٩)، و« الوف مشنه » (العقيد) دكتور يهودا فالخ ، رئيس قسم التاريخ العسكري في جامعة تل ابيب(١٠)، وزئيف شيف ، المحرر العسكري لجريدة «هآرتس» المستقلة(١١).. الخ. وهذا الكتاب يتناول فصول القتال الذي دار على الجبهة الجنوبية (جبهة قناة السويس) بواسطة الطوابير المدرعة الاسرائيليه بقيادة « الالوف » (العميد) اسرائيل طل ، قائد سلاح المدرعات . والكتاب مقسم الى ثلاثة اجزاء رئيسية — الاستعداد عشية الحرب ، وتاريخ سلاح المدرعات بما في ذلك اشتراكه في حوادث الحدود ، ثم الجزء الاخير الذي يتناول معارك الايام الستة . ويحدد الكاتب ان المعجزة التي حدثت لاسرائيل في تلك الفترة تكمن في ان الحكومة ترددت واخطأت في وجهة نظرها . كذلك يكتشف المؤلف ان موشي ديان ايضا كان من انصار الراي القائل بان الموعد والظروف غير طبيعية لمبادرة اسرائيلية ، بالرغم من انه كان يعتقد ان الحرب غير مستبعدة . وحينما عين وزيرا للدفاع غير رايه .

والمؤلف يحول « الالوف » طل و « الوف مشنه » شموئيل الى « عملاقين اسطوريين » يقفزان فجأة من عالم الآلهة الخرافي . وهذا الامر يتحدد على ضوء الصورة التي عرض بها طيبت النماذج الاخرى من القاده ، التي تظهر كشخصيات انسانية عادية وطبيعية. ويعلق زئيف شيف على هذه النقطة فيقول : « ان الالوف طل قد ساهم بالكثير من اجل سلاح المدرعات ، وعلى الاخص في ادخال الانضباط والاحتراف الى سلاح جماعي كهذا ، ولكن ليس هذا بمبرر كاف لتحويله الى اله »(١٢).

وهذه السمة الخاصة بتحويل قادة اسرائيل الى الهة خرافية في الكتابات التي صدرت عن حرب حزيران ١٩٦٧ ، كانت من السمات الشائعة بشكل يدعو للدهشة في الادب الوثائقي عن هذه الحرب . وهذا المأخذ ذاته هو الذي جعل « الوف مشنه » دكتور يهودا فالخ يرفض هذا التحديد القاطع من جانب طيبت بتأليه طل ويؤكد « ان بطل الكتاب هو بطل جماعي وهو سلاح المدرعات في جيش الدفاع الاسرائيلي »(١٣). وكان من الواضح بالطبع ان هذه التأكيدات التي وردت في الكتابات النقدية حول الكتاب بالنسبة لهذه النقطة بالذات ، هي بمثابة محاولة لاقامة نوع من التوازن .

ويخصص طيبت في كتابه اجزاء كثيرة لمشكلة الانضباط في الطوابير المدرعة الاسرائيلية. ويقول زئيف شيف عن هذه النقطة : « ان طيبت بتأكيده على هذه النقطة من الممكن ان يساهم في توضيح احدى المشاكل المؤلمة للغاية في جيش الدفاع الاسرائيلي . ومن بين سطور طيبت في هذا الموضوع،يتضح مرة اخرى بعد عشرين سنة انهليس هناك بعد في جيش الدفاع الاسرائيلي طرق مبلورة للانضباط . لقد تقدم جيش الدفاع الاسرائيلي في اشياء كثيره ، ولكن ما زالت هناك في هذا المجال ارض خالية تنبت فيها الاعشاب البرية ، الى جانب الزهرات الطيبة . ان هناك الانضباط الخاص بالمدرعات ، وكذلك الخاص بسلاح الطيران ، والخاص بسلاح المظلات وغيرهم . ولكن ما هو ادهى من هذا بسبعةاضعاف هو انه ليست هناك اي ثقة في ان اكتساب اسس طيبة في الانضباط سوف يبقى حتى الغد وبعد الغد . واذا نجح أحد القادة في هذا الامر يمكن ، لمن يخلفه ، ان يقضي على ما فعله دفعة واحدة ، حين تكون وجهة نظره ، او حتى طابعه، مختلفا . وكل هذا بسبب عدم وجود مباديء اساسية »(١٤).

وهكذا فان هذا الكتاب كوثيقة عن دور سلاح المدرعات على الجبهة الجنوبية في حرب حزيران يتعرض لمشاكل الجيش الاسرائيلي التي تقض مضاجع قادته ، ويدرج تحت قائمة الادب الوثائقي عن حرب حزيران ١٩٦٧ .

طفرات الغضب والسخط في الشعر والمسرح

بعد مرحلة الانتصار ، والنشوة التي اطاحت برؤوس قادة اسرائيل ، والامل القريب في السلام مع العرب (انتظار تليفون من العرب) ، في عام ١٩٦٧ ، استيقظ الاسرائيليون من النصر اثر العدوان الى الواقع مع بداية حـرب الاستنزاف ، وتبـددت الامال في السلام . واخلت نشوة النصر وفترة البومات الانتصار مكانها لقراءة الانباء عن الضحايا في القناة ، وبدا الاسرائيليون ينزلون من عليائهم . وشهدت فترة حرب الاستنزاف هذه مجموعة من ردود الفعل العارمة التي اجتاحت كل قطاعات المجتمع الاسرائيلي بشتى فئاته مطالبة بوضع حد لهذه الحرب وبالسعي الى السلام بأي ثمن من العرب ولو على حساب التنازل عن الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ . وكان من اشهر ردود الفعل هذه ذلك الخطاب المتكون من عدة سطور ، والذي ارسله طلاب الصف الثاني عشر في احدى المدارس الثانوية في اسرائيل ، الى جولدا مائير ، رئيسة الحكومة احتجاجا على عدم استجابة الحكومة لاقتراح دكتور ناحوم جولدمان الخـاص بارساله للتباحث مع عبدالناصر حول السلام . وقد جاء في الخطاب : « نحن جماعة تلاميذ الثانوية ، الذين على وشك التجنيـد في جيش الدفاع الاسرائيلي ، نحتج على سياسة الحكومة ازاء قضية جولدمان ــ ناصر ، لقد كنا نعتقد حتى الآن اننا نذهب للحرب وللخدمة لمدة ثلاث سنوات لانه لا خيار امامنا . وبعد هذه القضية ــ ثبت انه حتى حينما يكون هناك خيار ، ولو صغير للغاية ، فانكم تتجاهلونه . وعلى ضوء هذا فاننا وكثيرين آخرين نفكر كيف نحارب حربا دائمة لا مستقبل لها في الوقت الذي توجه فيه حكومتنا سياستها بطريقة تضيع احتمالات السلام . اننا ندعو الحكومة الـى استغلال كل فرصة وكل امكانية للسلام »(١٥) .

وكان خطاب الصف الثاني عشر بمثابة سماد انبت بسرعة نباتات جـديدة من انتـاج اسرائيل ، وانضم الشباب علانية وايدوا حركة « متسبين » (المنظمـة الاشتراكيـة الاسرائيلية) التي اصبحت فجاة موضوع اهتمام اسرائيليين كثيرين . وكان هناك مـن وزعوا صحفا سرية تحمل اسماء مثل « جعشوش » و« نعشوش » (نوعر شومير شالوم ــ الشباب الداعي للسلام) ، متوجة بأسلوب براق وتحوي كلمات احتجـاج صارخة ضد سياسة العدوان والتوسع والحرب الاسرائيلية . وقد حفلت هذه المقالات بصرخات مثل : « لن يبعد اليوم (اذا استمرت الظـروف الحالية في الوجود) الذي نصل فيه حقا الى هذه الحالة : لكل شاب ستكون هناك ثلاث بنات » . او مثل : «انت ايها الشاب اليقظ لمشاكل الساعة ، انت ايهـا الشاب الهادىء الذي لا يتمرد علـى المجتمع ، انت ايها الشاب الذي تسمى ذئبا على السنة العجائز ولا تخجل من هذا ، انت ايها الشاب الميت ، المتعب ، قم وتخلص من جمودك ، وتخلص من وصاية آبائك واجدادك ! قم وتظاهر واخرج ضد الزعامة المجنونة ، التـي بسبب غبائها الشديـد اوصلتنا الى هذا ! كف ! كف عن أن تقول آمين لكل كلمة تقولهـا جولدا او ديان . اخرج الى الشوارع وتخط الحواجز ، وحارب من اجل السلام . لا تقل ان الموقـف الامني لا يسمح بهذا ــ حارب من اجل تغيير الموقف الامني . ان السلام يجب ان يصل بأي ثمن وكان سيصل لولا غباء الزعامة . لا تقل أن الحرب قد فرضت علينا ، ان هذا القول من الممكن ان يردده الامريكيون في فيتنام والنيجر في بيافرا . انهم لم يفرضوا علينا الحرب بل فرضتها انت على نفسك لانك ايدت طريق زعمائك ... »(١٦) . ولم يكن مثل هذا المناخ المليء برائحة البارود ومشاهد القتلى والجرحى الذين يتساقطون في كل يوم على ضفاف القناة وفي وادي الاردن وعلى الهضبة السورية من الاسرائيليين كضحايا بلا ثمن ليمر دون ان يمزق وجدان الشعراء الاسرائيليين ويجعلهم يطلقون صرخـات الاحتجاج والسخط ضد سياسة التوسع الصهيونية وضد ظاهرة الموت بلا ثمن التي

اصبحت جزءا من الحياة الاسرائيلية بعد تبدد الامـــل في السلام ، وتلاشي اسطـــورة الحرب التي تنهي جميع الحروب .

ولنقرأ سوية قصيدة نشرت غير ممهورة بتوقيع في ملحـــق هآرتس (١٩٧٠/٩/٣٠) وتعبر في وضوح وجلاء عن النفسية الاسرائيلية في ذلك الوقت ، وليست في حاجة الى تفسير أو تعليق :

مخصص لمحبي الارض والمناطق
كلوا الارض كلوهـــا
واملأوا أكفكم بالتراب
ولكن لا تسفكوا دماءكم عليها .
انكـــم قتلة
حتى اذا قال لكم بعض الشيوخ المحترمين
اقتلـــوا
وامروكم بالقتـــل
من خـــلال اقتناع كامل
بأن هذه هي الطريقة لحب الارض
الارض المسيجـــة
التـــي لا بـــد من حبهـــا
ولا يجـــوز حب سواهـــا
والريح التي تئز
في الآذان المجمـــدة
تدعي ان القتـــل هو من اجل التراب
وتحشون بنـــادقكم
لكي تكونوا معهـــم
مـــع الراقدين وراء السور
وبين المتمرغين في التراب .
الفيضان يجتـــاح البيت بمن فيـــه
والعجائز يجلسن على الدولاب الغارق في الميـــاه
ويرسلون الاولاد للسباحة ضد التيـــار
لكي ينقذوا بقايـــا ماضيهم
ولا يشعرون بأن الفيضان يجعلهم ينهارون .
انهم يجلسون في هدوء على كرسي فوق الدولاب
ويرسلون الاولاد للسباحـــة
واحيـــانا للغرق
للحظة خاليـــة من الشعارات والمنشورات
من يستطيع ان ينقذ بالتنفس الاصطناعي
غرقـــى القذائـــف .

ولنقرأ تلك القصيدة للشاعر الاسرائيلي « يهودا عميحي » وهو واحد من ابرز شعراء العبرية المحدثين ، ومن معارضي فاشستية زعماء حركة « أرض اسرائيل الكاملة » التي تطالب بالمزيد من الاحتلال وبالمزيد من الدم . انه في هـــذه القصيدة يحتج على الـــدم المسفوك بلا ثمن ، ذلك الدم الذي ما أن يسيل حتى يصبح باردا ... لانه سفك من أجل قضية غير عادلة ... تلك القضية التي يشبهها الشاعر بالحجارة ... بالاوثان :

كالكنجـات هم في دفئهـم
ايـام السلام .
الامهات يطعمن ابناءهن
جبنـة وبرتقـالا
لا ليموتوا في سبيـل الحجارة .
بطولـة الخيول مفيـدة للخيول
وليس للآدميين
والدم في الجسد الحي يكون دافئـا
والدم المسفـوك ... يكون باردا
وهـم حينما يكونون دافئين
يكونون أجمل من جميع حجارة القبور والانصاب
ومن الحجر البـارد .
آمـين ...

والامثلة التي يمكن ان نسوقها تدليلا على نغمة الاحتجـاج الصارخة التي اجتاحـت صفحات الملاحق الادبية في الصحف العبرية ودواوين الشعر معبرة عن وجدان الشعراء، المرآة الصادقة لوجدان الجماهير ، هي امثلة كثيرة . ولنقرأ على سبيل المثال الشاعرة « حدفا روتام » ، وهي تتغنى بقصيدة هي اشبه بمرثية تدلل على مدى الاحباط النفسي الذي عم جيل الشباب من الصهيونيين بعد أن تلاشت اصداء النصر واطلت معالم الحلقة المفرغة من الحرب والدماء والموت :

انت لا تسمـع الا صرخة ،
ولا ترى الا وجوها ليست موجـودة ،
ولا تشم الا رائحة القبـور
بطعنات قلمكم السريـع في سفك الـدم
نمـوت نحـن .
وكثيرة هي الجثث بـين السطور
وكثـير هو الدم الـذي في المحبرة
عن عدد المدفونين في المقبرة العسكريـة ،
وعن الدم الذي يروي احواض الزهور .
ولو قاموا مـن سرير مرضهم
ومعهـم أسرهـم
والاصابـع مشيرة اليكـم
(أو بقايا الاعضاء والمكاكيز) لقـالوا :
بتفاهات أفواهكـم نموت
نقلتم دمنـا على صفحـات الملاحـق
في يـوم الجمعـة .
اخفضوا رؤوسكم امـام الجندي الميت
الذي جعلتـم عقله سيفـا
ويديـه قوسا
وهو ساذج بـريء .
وليس هنـاك موطيء قدم في هذه البـلاد
ولو كان كل آبائنا قد ساروا فيه
اغلـى عنـدي

مـــن جثـــة الفتى المتعفنة . (معريف ١٩٦٩/٣/١٤)

والقصيدة التالية للشاعر الاسرائيلي دان عومر التي تحمل عنوان « في سن الثلاثين » هي الاخرى تعبير صارخ عـــن ذلك الاحساس بعدمية الحياة ، وبالتحـــول مـــن لهجة الغرور والصلافة التي كانت السمة المميزة لما بعد حزيران ١٩٦٧ ، الى لهجة الضياع والحيرة والقلق التي أصبحت من سمات ذلك المجتمع الحائر :

في ســـن الثلاثـــين
انـــا كالبيت المهجـــور
تصفر بـــين أحلامي رصاصات الحـــرب
واســـمـــال باليـــة
تجفف في داخلـــي قطرات الـــدم
دم عزلتـــي .
مشاعري مدافع عديمـــة الارتداد
تنمو في مواسيرها أشواك صفراء
تقصفني الى الـــداخل
ويبدو لي العالم الآن كاعشاب بريـــة
نامية حـــول بيت مهجور
هو حيـــاتي !
الا رائحـــة القبـــور
لـــذلـــك
ارقـــد مستلقيا على ظهري
وانتظـــر
ان تاتـــي
لتسد فتحـــات أنفي
ولتضع احجـــارا صغيرة
في عيونـــي
احمـــل التـــراب
بقـــدر وزنـــك
واهلـــه علـــي — آمين . (معريف ١٩٧٠/٢/٢٧)

وفي قصيدة أخرى للشاعر الاسرائيلي « مائير شيلاف » بعنوان «على مشهد من الفتيان» يصرخ صرخة الاحتجاج المرتفعة ضد من يعبثون بحياة الشباب من شعراء الصهيونية العنصرية دعاة ارض اسرائيل الكبرى ، وضد من يهدرون انسانية البشر ويجعلون منهم مسخا مشوها لخدمة أغراضهم بينما تتتابع صورهم بعد الموت على صفحات الصحف دون ان يبدو انهم قد حققوا شيئا مقابل هذا الموت ، ثم يؤكد بزئير دام انه ليس هناك في الحياة ما هو أغلى من جثة هذا الفتى ... تلك الجثة التي تعفنت حتى ولو كان هذا الشيء هو ارض الآباء بأسرها :

ويل للمحاربين من على الكراسي ،
ولجنـــود الورق والقلـــم ،
وللراقدين للكمـــين في السرير الدافىء
ولمحتلي الاهـــداف على المكاتب ،
وللصارخين « الى القتال » المتدثرين بالعباءة .
يا شعراء الدم والعنصر

يـــا كالحي الوجوه
يا من تتحدثون باسم الزمـــان والمكان .
في قبـــور عينكم العميقـــة
يتمـــدد موتـــاي
وتحت سمائكـــم المقدســـة
يقفز أصدقائي المشوهون .
على مشهـــد من الزمان والمكـــان
وعلى مشهد مـــن الامهات الباكيـــات
وبصرخة الجنـــدي الجريـــح .

ملكة الحمام ... اقفز !

واذا انتقلنا بعد ذلك الى رد فعل حرب ١٩٦٧ ومرحلة حرب الاستنزاف على الحركـــة المسرحية في اسرائيل ، فاننا سنصادف اول ما نصادف مسرحية تعتبر من وثائق الادب العبري الساخط ، هي مسرحية « ملكة الحمام » ، للاديب الاسرائيلي الشاب « حانوخ لفين » وقد ظلت هذه المسرحية لفترة بمثابة الملكة غـــير المتوجة للمسرح الاسرائيلي ، الى ان قامت جماعات المتطرفين بشن موجة من الارهاب ضدها مما اضطر السلطـــات الاسرائيلية الى وقف عرضها ، والحكم عليها بالنفي في ادراج مؤلفها . ومؤلف هـــذه المسرحية اعتصر من قلبه في شرايينها كل الحزن السام والدموع السامة التـــي تخثرت في ضمائر اعداء الحرب في اسرائيل دون ان يعرفوا كيف يطلقون صرختهـــم الدامية : « لا ! » ، تحت وطأة العسكرية الاسرائيلية الصاخبـــة . وقد اثارت « ملكة الحمام » التي تعتبر استعراضا مسرحيا وليست مسرحيـــة حسب المقاييس المتعارف عليهـــا في المسرح ، ما لم يثره اي عمل فني في اسرائيل حتى وقت عرضها . لقد هزت الـــرأي العام الاسرائيلي ، وانفجرت اصداؤها في الخارج كذلك ، لانها كانت صرخة انسانيـــة حقيقية تتلهب فيها صرخات الدماء المسفوكة على حـــرب العدوان ، دماء الضحايا من ابناء الشعبين العربي واليهودي ، والحزن والمرارة اللذان تحولا سما طيبا ، كالزهور الحمراء المتوهجة طيبا ، كشفرات الحب والصوت والحرف . وليس أدل على هـــذه الاصداء التي احدثتها في اسرائيل مما قاله موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في معرض تعليقه على هذه المسرحية : « لست أعرف ماذا ومن تعبر عنه هذه المسرحية ... ولست استهين بهذا وقد رأيت جزءا كبيرا من الجمهور المتحيز معهـــا ... لقد فكرت اثنـــاء العرض فيما يحدث بالفعل لو انهم اخذوا هذه المسرحية على ما هي عليه ، وعرضوها في المواقع على الجنود . على الجنود المصريين في الطرف الآخر ، في الطرف الغربي من القناة . أي متعة كانت ستصيب الجيش المصري لو عرض عليـــه المسرح « الكامري » الخاص بحكومة اسرائيل ، والذي تساعده الحكومة والبلدية ويحملـــه الجمهور على الاكف ... لست اتصور اي شيء من الممكن ان يكـــون أكثر تشجيعا وهائـــلا للجيش المصري مما يعرضونه ... انهم يبرئون العرب ، اولئك العرب المساكين الذين نذبحهم طوال الوقت أو نتفاخر باننا نذبحهم ... »(١٧) .

ولكن لماذا اختار المؤلف هذا الاسم ولماذا قرن نقده لموجات العنف والموت التي تجتاح المجتمع الاسرائيلي بالحمام ؟ اننا في هذا الصدد نتذكر العالم الكبـــير ارشميدس رجل سيراكوز الذي يحكي عنه التاريخ أنه اكتشف أحد الاختراعات المذهلة عبر التاريخ لدى استحمامه في الحمام . وكذلك نسمع عن الثوري الفرنسي جان بول مارا منظّر الثورة الفرنسية الذي كان يعاني من مرض جلدي ، واعتاد ان يقضي الساعات الطويلـــة في الحمام . وخلال استحمامه في الحمام كان يخرج بأفكار مقالاته وكتاباتـــه . وذات يوم تسللت الى حمامه فتاة تـــدعى شارلوت كورداً ، وقضت على حياته بواسطـــة خنجر

استلته فجاة من بين طيات ثيابها . ومن يعرف كيف كان سيتطور مصير الثورة الفرنسية لولا تلك المجزرة الدموية في الحمام .

وفي المسرحية صرخة تقول : « اعطوني نقطة ارتكاز على جثة ارملـــة ، وانا ارفعكم جميعا » . فمن هو غير ارشميدس الذي اطلق للمرة الاولى صيحته المشهورة عن « نقطة الارتكاز » التي بمساعدتها قصد ان يرفع الكرة الارضية بما عليهـــا ؟ وهكذا يتأرجح الموقف من « نقطة الارتكاز » الى ارشميدس ومنه الى الحمام ، ومن الحمام الى الثورة الفرنسية ذهابا وايابا ـــ لتصبح هناك مسرحية ساخرةثورية تهز اسرائيل ومؤسساتها. ان حانوخ لفين يجعل من اسرائيل في مسرحيته سلاح طيران يملك دولة ، ويضع على لسان وزير الدفاع كلمات مفزعة ترى ان « مهمة اليهود هي الاعداد مـــن لجل نقاط اختيار رئيسية »

الموت بتعذيبات مريعة
والقتل المفزع المثير للرعب
والقتل المريع لدرجة الفزع الذي يقف من هوله شعر الرأس
وسفك الدماء الرهيب مع القسوة المروعة .

ان هذا مجرد جزء من محاولة كاتب المسرحية لان يمركز في سنتيمتر مربع مـــن الورق ابشع ما يمارس من ارهاب وقسوة وقتل وتدمير على يد جحافل الشر الصهيونية . وفي مكان آخر يضع كاتب المسرحية يده ببراعة على كل مواطن التحلل والتفسخ في المجتمع الاسرائيلي ، مؤكدا قضية الموت بلا ثمن من اجل دواعي الامـــن ، انه ذلك النوع من الموت الذي لا يعلن عنه ولا عن ظروفه الحقيقية ويتحرشون بالقضاء والقدر ليلقوا عليه باللوم باعتباره السبب في موت هؤلاء الفتية في ريعان شبابهم لاخفاء الاسباب والارقام الحقيقية للضحايا . ويستغل لفين هنا ظاهرة من ظواهر المجتمع الاسرائيلي الفاضحة وهي حوادث السيارات التي تعتبر نسبتها في اسرائيل من أعلى النسب في العالم ، وحوادث القضاء والقدر التي تؤدي الى الموت في كل وقت وفي كل ساعة ، فيقول :

بين معركة واخرى
تقرأ احيانا في الجريدة
عن شخص ما مضى في رحلة
احس بسوء وسقط في الشارع .
او تقرأ عن انسان كان مغموما
خطر له أن يقفز
هكذا لاسباب شخصية .
هناك ايضا لحظات جميلة
فما زال هناك أمل وايمان
بأن الله الطيب ، المطوق بالطيارين في العلاء
يعزينا بقليل من الموتى في كل يوم .
بين معركة واخرى
تقرأ عن انسان متعب
دست له زوجته السم
ومات في طريقه الى المرحاض
وقد تقرأ عن رجل آخر
كان يعيش في استقرار

ويحمل الابناء والاحفاد الى الحديقة
بين معركة واخرى
حمله ابناؤه واحفاده .

وفي المسرحية اغنية او اهزوجة هي « فنجان من الصديد » او بمثابة جيفة فار لم يجد كاتب المسرحية بدا من امساكه من ذيله ودفعه الى وجوه قادة اسرائيل. انه ذلك المقطع الذي يتحدث فيه عن الاب الثاكل ــ ذلك الاب غير اليهودي من برونكس الذي يقف على جثة ابنه الذي سقط على ضفاف نهر الكونج ، وهو في الحقيقة ذات يهودية تقف على جثة ابنها الذي من صلبها . وفي هذا المقطع يناجي الشاب المقتول والده بكلمات تقطر اسى ومرارة ، ويتهم الاب بأنه دفعه الى الموت من اجل غاية لا يعيها ومن اجل قضية لا مبرر لها ولا مبرر للموت في سبيلها ، لان موته حينئذ ، هو موت بلا ثمن :

ابي العزيز
حينما تقف الى جوار قبري
عجوزا ومتعبا ووحيدا للغاية
وحين ترى كيف يدفنون جسدي في التراب
بينما تقف فوقي يا ابي
لا تقف آنذاك باعتزاز كبير
ولا ترفع هامتك يا ابي
اصبحنا الان لحما في مواجهة لحم
وهذا هو وقت البكاء يا ابي .
اذن فدع عينيك تبكيان عينـــي
ولا تصمت احتراما لي
فالشيء الذي كان اكثر اهمية من الاحترام
ملقى الان ، تحت قدميك يا ابي .
لا تقل انك قدمت تضحية
لان الذي ضحى هو انا
ولا تتفوه بعد ، بالكلمات العليا
لانني اصبحت منخفضا جدا يا ابي !
حين تقف بجوار قبري يا ابي العزيز
شائخا ومتعبا وشديد الوحدة
وحين ترى كيف يهيلون على جسدي التراب
اطلب مني الصفح آنذاك يا ابي .

أليست هذه صرخة دامية تحتج على الحقيقة المرة التي يعانيها المجتمع الاسرائيلي الذي يعيش نهبا لاطماع الايديولوجية الصهيونية ويقدم الضحايا بلا ثمن ويبحث عن السلام فـــلا يجده ؟

والمسرحية الثانية التي عرضت في اسرائيل في اعقاب حرب ١٩٦٧ وكشفت عن تخبطات الجيل الجديد في اسرائيل ازاء المشاكل التي تمخضت عنها حرب ١٩٦٧ هي مسرحية « اقفز » التي اثارت ضجة لا تفوقها سوى ضجة « ملكة الحمام » . وهذه الكلمة عنوان المسرحية ، هي لفظة تستخدم حين يريد احد متحدثي العبرية الاحتجاج بسخرية على موقف أو رأي من ند له ، ولهذا التعبير بقية لا تستخدم الا في اقصى درجات « قلة الحياء » . ومضمون المسرحية يتفق مع العنوان ، فابطال المسرحية كلهم من الشبان والشابات الضجرين من الحرب ، ومن ظروف حياتهم الراهنة التي تعدها لهم الاسرة

والوكالة اليهودية وسائر المؤسسات الصهيونية ، وتقدمها لهم دون ان يبذلوا كثيرا في سبيلها ، اللهم سوى الدم الذي يراق من حرب الى اخرى !! وهذا العمل المسرحي اقل جرأة من « ملكة الحمام » في تناولها لمشكلة الحرب والموت بلا ثمن . ولا شك ان المؤلف قد خشي التعرض للحملة التي تعرض لها زميله مؤلف « ملكة الحمام » ، ولذلك فقد حاول خلق توازن معين بين وجهات النظر المتباينة في المجتمع الاسرائيلي .

وقد اخترت من هذه المسرحية المقطع التالي ، لانه يعبر عن الصراع الذي يعم الشباب الاسرائيلي تجاه قضايا الحرب والحياة من ناحية ، ويبين محاولة التوازن التي التزم بها مؤلف المسرحية من ناحية اخرى :

ايلي : اذن ، أنت تهرب يا جبان ، اقتد بيوسي

آبي : لا تسخر ، للهروب أوجه حسنة جدا .

ايلي : هروب ؟ انه عدم قدرة على مواجهة المشاكل !

آبي : من قال ذلك ؟ أهو بياليك ؟ أم آحاد هعام ، أم ترومبلدور ؟ عم تتحدث ؟ ثلاثة يهود استطاعوا الهرب من روسيا ، كاتب هرب من المانيا النازية ، ومتهم بريء هرب من السجن ، وملحق شهيد هرب من اليونان . أليس لسماع هذه الاخبار فرصة عظيمة ؟ ان كلمة هروب ليست لها نغمة شاذة ، بالعكس تماما ، فهي نغمة الحرية ، ورنين السعادة . انها ليست نغمة المنطق ، أتفهم يا سيدي ؟

موشي : الى الجحيم ! قل لي بأية مقاييس تحكم على الحرب ؟

آبي : بالمقياس الوحيد ، وهو ان حياة الانسان هي الشيء الاكثر سموا واهمية .

يوسي : وعندما تفنى الاقلية لتمنع فناء الاغلبية ؟

آبي : اذا كان على شخص ان يقتل ويقتل من اجل ان يحيا شخص آخر ، يكون هناك دون شك أمر غير طبيعي .

يوسي : واضح ان هذا غير طبيعي ، ولكن لا مفر !

آبي : لا مفر لان احدهم قرر انه لا مفر .

يوسي : ماذا بك بحق الشيطان ؟ اننا نحارب ونناضل من اجل الحياة لا من اجل الموت . وعندما لا نحارب سنقتل ونفني . انت تعلم انني كذلك اسخر من الساسة والسياسيين ، ومن ذلك الجنون ، جنون الشعارات . انما الامر هنا يختلف ، يا آبي اختلافا شاسعا . ليس الامر هنا ان سياسيا مجنونا قد قرر ان الامر ليس كذلك هنا .

آبي : لن اخدم شيئا لا أؤمن به حتى ولو كان هذا الشيء يدعى بيتا او وطنا او ارضا . سأحاول العيش بشكل آخر ، بالصورة التي انال فيها اقصى حرية(١٨).

الرواية والقصة القصيرة

بعد حرب حزيران لم تكن هناك وفرة في الانتاج الادبي عن الحرب بصور مباشرة وذلك فيما عدا عدد قليل من القصص القصيرة التي سارع كاتبوها الى الاشادة بالبطولة والروح الخارقة للعادة التي حققها الجندي الاسرائيلي في معارك الايام الستة ومصورين له في صورة اسطورية تذكرنا بأبطال الاساطير اليونانية . وبالاضافة الى هذا ظهرت عدة روايات وقصص قصيرة ، تناولت الجو العام في اسرائيل من خلال نماذج انسانية مختارة بعناية تتفاعل في أعماقها كل تخبطات وصراعات المجتمع الاسرائيلي ، تماما كما تنعكس الصور في شظية زجاجية محطمة . وأهم هذه الروايات : « والله يا أمي اني اكره الحرب » ليجآل ليف، وهي الرواية الاولى عن حرب حزيران ١٩٦٧ والتي سأتحدث عنها بعد قليل ، و« النمل » لاسحاق اورباز ، و« ميخائيل الخاص بي » لعاموس عوز ، و« تاريخ حفا جو تهيلف » لمريم شفارتس ، و« يعقوب » لبنيامين تموز ، و« ليست الحرب للابطال » لايهود بن عيزر ، و« سيدي النهر » لاهارون ابيلفيلد . وفي مجال القصة القصيرة كانت هناك وفرة من الانتاج بالقياس الى الرواية . ومن هذه القصص

على سبيل المثال : مجموعة « في مواجهة الغابات » لابراهام بن يهوشـــع ، وقصته القصيرة الطويلة « في بداية صيف ١٩٧٠ » التي تناول فيها مناخ الحرب بعد ١٩٦٧ ، و« وجه جيل وكلب » لاسحق أورن ، و« في الطابق الارضي » لاهـــارون أبيلفيلد ، و «اجازة الصيف الاخير» لاوري أوليف ، و « من شارع الى شارع » لشلومو نيتسان ، و« رحلة الى البلاد الكبيرة » لمردخاي طبيب ، و« شكسبير » لشولاميت هراوبين وغيرها وغيرها من القصص القصيرة .

ومعظم هؤلاء الكتاب جربوا وجهات نظر جديدة من أجل اكتشاف العالم الداخلي للانسان الاسرائيلي المعاصر ، واضاءوا انطباعات الحياة الاسرائيلية بضوء متغلغل من زوايا رؤية مختلفة ، وبطرق تعبير مختلفة ، اعتبارا من الكتابة الواقعية حتى المحاولات الرمزية والسريالية . ومعظم هذه الكتابات تشهد على ان المؤلفين الاسرائيليين ليسوا منطوين على أنفسهم ، وانهم يتخبطون كثيرا في تشكيل اطارات التعبير ، وفي البحث عن طريق موضوعية خاصة بهم.ويواصل عدد ليس قليلا منهم التجارب الادبية الفنية بجهود خاصة بهم ، وذلك للخروج عن الوصف التقليدي والحبكة الخارجية الى التطلع النفسي والتكييف الرمزي للعالم الداخلي . ويهتم هؤلاء الادباء بالتعبير عن عالم الأنا الذي يكتفي بآلامه الذاتية ، والذي تستولي عليه المخاوف باجتياز لظلمات اللاوعي الخاص به ، وبالتعبير عن الصورة المعوجة للمجتمع مع تعرية واقع الانسان ووجوده الاجتماعي من القمصان الحديدية ، وازاحة قناعات الكذب ، وانواع الزينة والزخرفة ، وعرض العالم كما هو . ونجد في هذه الكتابات كذلك أن العزلة المريرة ، وفقدان الرابطة مع البيئة ، والتعرف التدريجي المريع للابطال على انفسهم ، والتطور التدريجي للاكتشاف الذاتي ، والعنف الذي يتفجر من داخل الشخصية المعقدة التي تشعر بالاختناق الذي تعـــاني منه ، والعدوانية المتزايدة التي تهاجم البيئة القريبة منها من خلال الدفاع عن النفس غـــير الواعي ، ومن خلال احتجاج خفي ، ومن خلال خوف عميق كمحاولة للانقاذ والتماسك اثناء مرحلة التحطم الذاتي المتزايدة ، نجد أن هذه هي الموضوعات المشتركة بين الادباء الشبان في اسرائيل وعلى الاخص في كتاباتهم بعد حزيران ١٩٦٧ ، مع اختلاف في طرق الكتابة وفي تكنيك الكتابة .

وبما ان دراستنا هذه تنحصر في الموضوعات ذات الصلـــة المبـــاشرة بأحداث حـــرب حزيران ١٩٦٧ ، فاننا سنختار كنموذج من نماذج الرواية الاسرائيلية في هذا الصدد رواية « والله يا أمي اني اكره الحرب » ليجآل ليف (وهو من مواليد ١٩٣٨ . عضو كيبوتس « جبعات شلوشا » . عمل قائدا عسكريا مقاتلا في حرب سيناء ، ١٩٥٦ ، وفي حرب حزيران ١٩٦٧ . أنهى دراسته في الجامعة العبرية وتخصص في الفلسفة . صدر كتابه الاول بعنوان « سيدي القاضي » عام ١٩٦٤ . الف مسرحية بعنوان « صرخة السكوت » عرضتها على المسرح فرقة « زوطا » . كتب سيناريو الفيلـــم السينمائي « اسرى الحرية » . من محرري صحيفة « معريف » المسائية المستقلة .

هذه الرواية هي من اولى الروايات التي صدرت في اعقاب الحرب . وهي محاولة للكتابة من وجهة نظر شاب هو مقاتل ذاق بنفسه أهوال الحرب . والشخصيات التي يعرضها المؤلف هي شخصيات حية وموجودة ـــ وهي الشخصيات التي أفرزها المجتمع الاسرائيلي وخلق منهم جنودا مقاتلين . وهؤلاء الجنود هم جنـــود لحم ودم وليسوا أبطالا، كما تعمهم باستمرار أحاسيس الخوف ، والتخبطات والاشواق الى البيت ، والى الحياة اليومية ـــ وذلك منذ تحركهم من اللطرون قبل القتال حتى وصولهم الى ضفاف نهر الاردن في نهاية المعركة .

والرواية حافلة بشخصيات متنوعة . هناك « رامي » الفتى التل أبيبي ، ممثل كل شباب

اسرائيل وهو من دعاة الحرب : « قال رامي هامسا ، وكأنه يخاطب نفسه : « لن تصدق ، انني أشتهي اندلاع الحرب ، لقد سئمت كل شيء . الاكل ، والسهرات ، والسرير . انني بحاجة الى شيء يدفعني الى الامام ... انني بحاجة ماسة الى الحرب، فأنا لا استطيع ان اقرر شيئا بالنسبة لي . صدقني لا قوة لي على ذلك . علي أن اقرر ماذا افعل ، أي مهنة اختار ؟ ومن هي المرأة التي اتزوجها ؟ وأنا ... » (ص ١)

ان الحرب بالنسبة له هي خلاص وحل لمشاكله الشخصية. وليس هذا فحسب انها كذلك حل لمشاكل الدولة في نظره : « .. الحرب فقط هي التي تعمل هذا كله . لولاها لبقينا كما كنا ، نبكي من البطالة ، ومن الهجرة ، ومن الانحطاط الاخلاقي ، ومن الركود الاقتصادي ، ومن تخفيض قيمة الليرة ، ومن وقاحة الجيران » . (ص ٢٠) . ولكنه في النهاية وبعد أن ذاق أهوال الحرب ومآسيها ، يكرهها. ولكنه يدفع حياته ثمنا لعقيدته هذه في أحد الكمائن .

وهناك « ايتساك » رجل سلاح الاشارة الذي اشترك في حرب عام ١٩٤٨ ، وخاض حرب سيناء ١٩٥٦ ، ويستعد لخوض غمار حرب ثالثة كمحارب ذي خبرة . ان هذا الرجل هو انسان هادىء وطيب القلب ، ويؤدي واجبه .

وهناك « ليفني » الذي كان يكره الحرب أكثر منهم جميعا . « لقد كانت الحرب بالنسبة له كارثة قوضت أركان عالمه ، لا لانها أخلت بنظام حياته الرتيبة ، الحياة العريقة لابن الاطباء الذي انهى دراسته منذ مدة وجيزة، بل لانها لمست أكثر نقاطه حساسية — وهي حياة الانسان (ص ١٥). لقد كان يكرر دائما قوله: « كيف أستطيع قتل انسان، في الوقت الذي كرست فيه حياتي لانقاذه » (ص ١٥) . وكان ليفني هذا هو الذي جسد لرفاقه في الوحدة معنى الحرب ومعنى الاستعداد لها ، وتوقع الأهوال البشعة التي ستنجم عنها : « لم يقض ليفني أيامه الاخيرة قبل الحرب مثلنا ، في حب أخير ، ومع أناس يحبون بعضهم . لقد حدثنا عن المستشفيات الكبيرة التي أخليت من المرضى ، وعن غرف العمليات ، وعن الممرات التي غصت بالاسرة ، وعن بنك الدم الذي جمع آلاف الزجاجات . وعن تجهيزات أخرى دقيقة وموزونة بمنطق واحصاء دقيق لعدد القتلى والجرحى » (ص ١٦) . وكانت هذه التجهيزات الدقيقة والمنطقية مصدر فزع لمن على الجبهة في انتظار لحظة اعطاء اشارة البدء بالقتال . ويقول البطل القاص عن الانطباع الذي اجتاحه لدى سماعه عن التجهيزات الدقيقة : « حدثني ايتساك مرة ، انه في حرب ١٩٤٨ ، وقبل أن تهجم فرقته على القسطل وتحتلها ، سمعوا ضربات معول ، فذهبوا ليلا في صف طويل ، وإذا برجال المستوطنة الزراعية يحفرون قبورا لابنائهم الذين ذهبوا الى المعركة ! » .

وهناك « داني ران » المهندس الكيماوي (٣١ سنة) الشاب البسيط ، الذي لم يغير علمه وثقافته من طريقة تفكيره المستقيمة ، والذي يحب زوجته حبا خجولا ومكبوتا . انه يقضي وقته على الجبهة وهو في شوق جارف الى بيته وزوجته وأطفاله : « في الاسبوعين اللذين انقضيا منذ أن جندنا حتى بدء المعركة ، ذاب داني كالشمعة . رأيت العذاب على وجهه . كان يغني كالجميع ، ويضحك مع الجميع ، ولكن كان هناك غشاء من الحزن والشوق يلازمه » .

ثم هناك من يحتوي هذه الشخصيات جميعها ويراقبها ويعايشها ، انه البطل القاص ، ذلك القائد الشاب الذي لم يخض الا حربين ثم اصبح « أبا » للجميع ، وهو ما زال بعد في الثالثة والثلاثين من عمره . ولكنه يشعر أن الحرب جعلته أكبر من ذلك بكثير : « لقد كبرت مع ابناء جيلي لدرجة انه بامكان ابن الحادية والعشرين ان يدعوني ببساطة « أبي » ، وحتى دون أن يبتسم » (ص ٢) . وهو انسان لا يختلف عنهم في مخاوفه وفي

تخبطاته وفي ضيق صدره ــ ولكنه يركع ، أكثر منهم جميعا ، تحت نير المسئولية الملقاة عليه . وكل هذا من اجل التقليد المتوارث في الجيش الاسرائيلي « ورائي ! » .

وبالاضافة الى هذه النماذج توجد شخصيات كثيرة مرسومة بعناية ، ومأخوذة من الحياة بالفعل ، نقلتهم الحرب من حياة الهدوء والدعة، الى حياة القلق اليومي ، والخوف من المستقبل .

ومن الجدير بالذكر بالنسبة لهذه الرواية ، « تكنيك الانتقالات » عند المؤلف ، حيث كان ينقل القارىء بصورة تكاد توصف بالتسلسل من حرب عام ١٩٤٨ ، الى حرب عام ١٩٥٦ ، ثم يجعله يعايش اللحظة الحالية من خلال حرب ١٩٦٧ وما تلاها . وبهذه الطريقة فان الاديب كان يضع أمام القارىء بانوراما للتراجيديا التي تعم المجتمع الاسرائيلي الذي لا يفتأ يخوض الحروب ويخلق من أبنائه مجرد مقاتلين .

والنماذج التي في المؤخرة ، والنماذج على الجبهة ، واوصاف المعاناة ومظاهر الصبر التي يعيشها اللاجئون العرب ، والعلاقة بينهم وبين الجنود الاسرائيليين ، وفي خلال هذا كله « الافكار الجنسية » التي تجتاح الشباب الاسرائيلي ، الذين حرمتهم الحرب من الاذرع والشفاه والاسرة الدافئة لحبيبات القلب ، والخوف ــ والحب والموت ــ كل هذه الموضوعات هي الاطار الذي تجري من خلاله احداث القصة ، والتي ملأ بها يجآل حفنتيه . ولذلك فان القصة تكاد تخلو من ابطال حقيقيين ، وان كان يمكن القول بان الابطال الحقيقيين فيها هم : « الحرب والانسان والحياة » ، وكل ما يتفرع عنهم .

القصة القصيرة بين تبرير العدوان وكراهية الحرب

وفي مجال القصة القصيرة لن يتيح لنا المجال استعراض كل الاعمال التي كتبها الكتاب الاسرائيليون والتي تناولت من قريب او بعيد احداث حرب حزيران ١٩٦٧ ، أو ما بعد هذه الحرب . ولذا فاننا سنكتفي بعرض نموذج لقصة قصيرة تعبر عن اتجاه التبريرية للعدوان والتوسع الاسرائيلي بعد حرب حزيران ، وهي قصة « شكسبير » للكاتبة الاسرائيلية شولاميت هراوبين ، ونموذج لقصة قصيرة طويلة تعبر عن مزاج كراهية الحرب ورفض الموت ، وهي قصة « في بداية صيف ١٩٧٠ » للكاتب الاسرائيلي ابراهام بن يهوشع .

وتجري أحداث القصة الاولى « شكسبير » بعد حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال الاسرائيليين للقدس الشرقية . يعثر بطل القصة مصادفة بعد توحيد القدس ، وبينما كان يبحث عن اسم احد الموظفين في دليل التليفونات لكي يحدد معه لقاء ، على اسم انطون بشارة . ويتذكر البطل القاص هذا الاسم ، انه اسم صاحب الفيللا التي استولت عليها « الذئاب الشابة الجائعة » خلال احداث حرب ١٩٤٨ وعبثوا فيها ، واستحلوا لانفسهم الاستيلاء على كل ما وصلت اليه أيديهم مما كان فيها ، واطلعوا على اسرار عائلته من خلال المذكرات التي عثروا عليها في غرف أنجاله . ويغادر المحتلون تلك الفيللا بعد أن يستولي البطل القاص على احد كتب شكسبير من مكتبة انطون بشارة . ويتذكر البطل القاص ان هذه الفيللا اصبحت الان عيادة للاسنان ، وفي مونولوج واف تعطي الكاتبة على لسانه ما تريد ان تصل به الى الهدف من قصتها : « حينما رأيت اسم انطون بشارة في دليل التليفونات لم استطع ان احتمل كتاب شكسبير هذا عندي ولو للحظة واحدة أخرى بعد ذلك . لقد شعرت كما لو كانت عندي ، منذ احدى وعشرين عاما ، نقطة خفية من القلق ، سوف تهدأ وتستكين مع اعادة هذا الكتاب ... انني لست في حاجة بعد الى كتابه . لقد مر الزمن وانا أبحث عن شيء اتخذ منه جسرا بيني وبينه . فلأقابل ذلك الرجل الذي مرت بي في بيته تلك الليلة الغريبة . لن يكون ما سيجري أكثر من اتصال ، وأكثر من اعادة كتاب الى اصحابه ، واعادة الامور الى نصابها ، ذلك

النصاب الذي لم أعرفه في نفسي ، ولست أعرف كيف أسميه ، وكيف يمكن لانسان ان يبحث عنه . لقد أدركت الآن فقط منذ أن اندمجت القدس ، ومنذ ان وجدت اسمه فجأة ذات صباح تقليدي ، انني يجب ان اقابله وليكن ما يكون »(١٩).

ويذهب بالفعل للقاء انطون بشارة ، ويجري بينهما حوار مثير ، ينتهي بالنتيجة التي تتنبأ بها الكاتبة مقدما ، وهي رفض الانسان العربي أخذ الكتاب الذي أراد الاسرائيلي المغتصب اعطاؤه له ، واذ به ، يعود تافلا وفي يده الكتاب مرة اخرى ، وفي يده كتاب شكسبير « يوليوس قيصر » . ان هذه القصة هي وثيقة قاطعة تحمل في ثنايا بنيتها الادبية ، وفي تضاعيف مضمونها الفني ، تفنيدا حاسما لكل ما تردده اجهزة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية عن رغبتها في السلام مع العرب . ان الكاتبة تقدم في تفاصيل قصتها صورة حية رامزة لعملية الاغتصاب الدموي الذي قامت به الحركة الصهيونية متمثلة في « الذئاب الشابة الجائعة » ، لميراث الانسان العربي، على ارضه في فلسطين. انها تتحدث صراحة عن اغتصاب البيت العربي ، والملبس العربي ، والقوت العربي ، والارض العربية . انها تتحدث عن سلب الارض الفلسطينية روحها العربية الضاربة فيها منذ أبعد الاجيال .

وفوق ذلك فالكاتبة تقدم من خلال عملها الادبي للانسان الاسرائيلي المغتصب النهج الذي ينبغي عليه ان يسلكه تجاه صاحب الحق السليب. انها تقول صراحة للانسان الاسرائيلي الذي اغتصب البيت والارض ، انه اذا لاحت في نفسه صحوة من ضمير أو شاع فيها احساس بالجرم او الذنب بحق صاحب الحق الحقيقي ، فليس عليه الا أن يريح ضميره بأن يبدي استعداده الكريم للتنازل عن عرض شكلي لا يمت الى جوهر الحق السليب بصلة ، وان يخاطب صاحب الحق العربي ليعرض عليه هذه المكرمة المتمثلة في تنازله عن نسخة قديمة بليت أوراقها من احدى الروايات الكلاسيكية لشكسبير . ان الكاتبة ، ممثلة للادب الاسرائيلي الموجه والمجند لخدمة الاغراض السياسية الصهيونية ، ولبث القيم الخاصة في نفس الانسان الاسرائيلي ، تقدم هذا النهج من السلوك وتتنبأ مقدما بنتيجته التي تكفل للضمير الغاصب راحة زائفة ، وذلك عندما تقرر في قصتها ان صاحب الحق العربي سيرفض هذا العرض . وبهذا فانه يكون هو الرافض للتفاهم ، والمصر على العناد القائم على العداء . وفي هذه الحالة لا يكون امام ضمير العدوان الا ان يسيطر ويواصل عدوانه ، وكأن هذا هو رد فعل طبيعي للعناد العربي وللرفض العربي للتفاهم وقبول ما يعرض عليه . انها محاولة توجيهية لضمير الانسان الاسرائيلي حتى لا تعذبه عقدة الذنب ، وحتى يستبيح لنفسه العيش في راحة وهمية بعيدا عن مطاردة شبح الضحية .

في بداية صيف ١٩٧٠

تعكس هذه القصة القصيرة الطويلة بحدة شعرية انفعال الانسان الاسرائيلي بعد حرب حزيران ، وخصوصا في فترة حرب الاستنزاف حين كانت اخبار موت الجنود تجعل المواطن العادي يرهب ساعات نشرة الاخبار في الاذاعة وساعات صدور الصحف !

وملخص هذه القصة ان معلما ، المفروض ان يتقاعد عام ١٩٦٧ يرفض التقاعد ويقرر مواصلة العمل لان المعلمين الشبان استدعوا للخدمة العسكرية ويريد ان يسد ثغرة من الثغرات التي يتركونها . وخلال مواصلته للعمل ، يعود ابنه الوحيد من الولايات المتحدة الامريكية بعد أن طاف العالم من اقصاه الى اقصاه ، وعاد بروفسورا شابا ، ومعه بالاضافة الى الشهادة زوجة شابة ، مثل زهرة ، وطفل صغير . ولا تتكلم الزوجة وابنها الا الانجليزية ، ولذا فان البروفسور يتعامل مع عائلته الصغيرة بالانجليزية . ويستقبل المعلم العجوز ابنه وزوجته وحفيده بحرارة ، ويبهره كل شيء فيهم ، الثقافة الواسعة ،

والانطلاق الحقيقي في العادات والسلوك ، والافق الفكري والاجتماعي المنطلق ، حتى ليعتقد المعلم العجوز ان ولده وزوجته قد وقعا في حرم الجامعة الامريكية في أسر الافكار اليسارية الجديدة . وبسرعة ينتقل البروفسور الشاب مع عائلته الى القدس حيث يعمل استاذا في الجامعة ، ثم يجند . وتتوالى الاحداث بسرعة ، فاذا بالمعلم العجوز ، يتلقى خبرا يفيد ان ابنه قتل في صدام مع « العدو » في وادي الاردن . ويسافر الاب المرعوب الى القدس ويصل الى بيت ولده ، فلا يجد كنته ، بل يجد امراة عربية عجوزا تنظف الدار . ويذهب مرعوبا الى روضة الاطفال القريبة ليقتاد حفيده الى البيت — يريد ان يحمل حفيده لان فيه رائحة ابنه . ويذهب الى المستشفى ليتعرف على جثة ولده ، ثم لتجري العملية الروتينية عملية دفن « الشهيد » الجديد !!

ولكن ... وهنا يحدث تحول صارخ في الرواية . يكتشف الوالد ان الجثة التي يظن المسئولون العسكريون انها جثة ابنه ليست في الحقيقة جثة ابنه . وهنا ، تستيقظ آمال الاب . ويبدأ الصراع الضاري الذي يتفجر بالانسانية ، بين أمل الاب في ان ابنه ما زال حيا يرزق وبين خوفه من الآمال الفارغة . ويروح المعلم الشيخ يحضر خطابا في الصف الثاني عشر في المدرسة لتوديعه . هذا الصف الذي سيذهب الى الجيش . أذن فان المدير سوف يعطي المعلم الثاكل الفرصة النادرة ، فرصة بث الروح المعنوية في جنود المستقبل !!

وبعد ذلك يذهب المعلم الشيخ مع « الحاخام العسكري » الى المعسكر الذي كان ينتمي اليه ولده . ويقتادون الوالد المبرح بكاء وعذابا الى وادي الاردن للاتصال بالقيادة العامية للمعسكر ، لتقصي مصير ابنه . وفي وادي الاردن ، تكون الفرقة قد ابلغت بكل تعقيدات القصة ، وحين يصل الوالد يستقبلونه ، ويخبرونه بسرعة بأن ولده حي يرزق. وبعد وقت قصير تعود الدبابات من « مهمة » وينزل الجنود واحدا واحدا ، ثم ينزل ولده . وهكذا ينبعث الابن من جديد ، بعد ان مات طوال يوم كامل ، وبعد ان ابنه والده ولبس عليه بذلة سوداء تتناسب مع المصاب الجلل ، وخلال هذا تكون الزوجة ايضا قد جاءت واطمأنت وينامان الى الصباح ، في المعسكر .

القصة باختصار اذن ، هي أن الوالد يبلغ خطأ بأن ابنه قد مات ، وخلال يوم يكتشف كذب هذا الخطأ . وهكذا فان « أحداث » القصة بسيطة حقا ، « لا تكفي » لتكون خيوط قصة طويلة . ومع هذا ، فان قوة هذه القصة في عنفها ، ليس في الاحداث ، بل في الرداء العاطفي الرائع من الافكار والتخيلات والهواجس والاحلام ، التي تملأ قلب بطل القصة — المعلم العجوز — الذي تروي كل القصة على لسانه ، بضمير المتكلم . كذلك فان سير الاحداث في القصة لا يأتي « منطقيا » ، من البداية الى النهاية ، بل أن هناك اختلاطا عجيبا ، رائعا ، بين الاحداث والمشاهد ، اختلاطا ، هو من الناحية الفنية والفكرية ، تعبير صادق عن ذهول الوالد ، وعن ضياع حدود الزمان والمكان في ذهنه ، وهو يواجه موقفا رهيبا غير عادي . لو تأكد أن ولده مات فعلا لواجه الموقف بالصبر ، او بالانهيار ، ولو تأكد أن ولده لم يمت لانتعش ، ولكنه خلال كل احداث القصة كان معلقا بين الانهيار والامل ... ومن ناحية أخرى ، فاننا نعتقد أن كل الوصف القوى لشخصية البروفسور الشاب ، ولشخصية زوجته الامريكية الشابة ، ولشخصية الطفل ، وللعلاقات بين هذه العائلة الصغيرة ، ولافكار البروفسور وزوجته ، تعطي عنفا خاصا لحبكة الرواية ... هذان الشابان اللذان يتفجران حياة وجدية ، اللذان جمعهما القدر في امريكا ، يؤمنان بالسلام وبالحرية ، ويحملان افكارا انسانية عالمية . أبعد هذا يموت البروفسور على مذبح القومية المتعصبة ؟!

لقد تمكن بن يهوشع ، في أسلوب مكثف من ناحية ، في سرد يشبه الهذيان ، او نقل يشبه أحلام اليقظة عند انسان مرعوب — تمكن من طرح قضية من القضايا أمام المجتمع

الاسرائيلي في قوة صارخة . . . ويخيل الي ان اللقاء التعيس بين الوالد اليهودي الثاكل، وبين الامرأة العربية التي تعمل في بيت يهودي لتعيش ، والتي تحب الطفـل ، وتطعمه بحنان حقيقي يزيد الرواية حدة . وكل مأساة المعلم العجوز تجري دون أن يقدم المؤلف، خلال سير الرواية ، أي ذكر للعرب ، اللهم الا شخصية العجـوز التي تنظف البيت . ولا شك أن سرد كل القصة بضمير المتكلم ، من خلال ما يمكن أن نسميه « التجاهـل » التام للقارىء ، كأنما المتكلم يحكي مأساة لنفسه ، او لضمير العالم ، لا شـك ان هذا قد زاد من قوة تأثير القصة .

ومن ناحية أخرى ، فان الكاتب يبدو ، بعد دراسة متأنية للقصة ، الى اي حد دقيق في استخدام الكلمات . وهكذا تصبح كلمة واحدة او جملة بمثابة اشارة صارخة تفتح أمام القارىء مجالات للتفكير والتأمل .ومن هذا مثلا مشهد حديث والد البروفسور في المعسكر مع الجنود . هذا الحب الجارف الذي يبديه الجنود له ، كان حبا للابوة وحبا للحياة : « انهم يرتجفون ـــ شيء ما في قصتي يجعلهم يرتجفون فجـأة . وبينمـا كانت عليهم المناشف ورائحة الصابون ، فانهم يسكتون الترانزستورات ، وينسون انهم كـانوا في الحمام . ويمسكون بي من ذراعي ويوقفونني ـــ يشتمون الجيش ، وضابطا ما » .

وفي مكان آخر يصف كيف يعد الجنود بظما كـم سبت بقي لهـم في الخدمة حتى اليوم المرتقب ـــ يوم التحرير من الخدمة العسكرية . وهذا مجرد مثل ، ولكن القصة في الواقع غنية جدا بمثل هذه الاشارات ، كما أن بعض الاصطلاحـات تعبر بسطوع عن مزاج كراهية الحرب ، عن مزاج رفض الموت ، واحيانا عن مزاج الوقفة المتسائلة الحائرة ، أمام الواقع الرهيب . . والمستقبل الغامض ، وهذه الرواية باعتراف النقاد العبريين ، من أحسن الاعمال الادبية العبرية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ واكثرها اثارة ، وهي من حيث ارتباطها ببن يهوشع تعبير صادق عن معاناته المريرة والمتواصلة في التفكـير بهذا الواقع ، تعبير عن بحثه ، وتساؤلاته ، واحلامه . وفي الرواية يعيش الكاتب المأساة بحق ويحاول البحث عن نقطة ضوء حقيقي الى مستقبل بلا اعلانات حداد . بلا موت فى الجبهة . بلا استشهاد ـــ عن مستقبل آمن فعلا .

---

١ ـــ اهارون امير ، « من الخوف ـــ الى التخطي » ، **معريف** ١٩٦٩/٥/٢ ص ١٣ .

٢ ـــ حانوخ برطوف ، «المنتصرون والمحاصرون»، **معريف** ١٩٦٩/٥/٩ ص ١٣ .

٣ ـــ يورام كنيوك ، « كل جبل يسلم الاخر ـــ السيف والدهشات » ، **معريف** ١٩٦٩/٤/٢٥ ، ص ٢٧ .

٤ ـــ يورام كنيوك ، **المرجع السابق** .

٥ ـــ باروخ كورتسفيل ، **معريف** ١٩٦٨/١٠/١٣، ص ١٨ .

٦ ـــ **حديث المحاربين** ، (فصول انصات وتأمل)، اصدار مجموعة من الاصدقاء الشبان في الحركة الكيبوتسية ؛ الطبعة الخامسة ، اكتوبر ١٩٧١، ص ٢٥٤ .

٧ ـــ **نفس المرجع** ، ص ٢٦٠ .

٨ ـــ **نفس المرجع** ، ص ٢٦٠ .

٩ ـــ يجال يادين ، « مكشوفون في برج الدبابة » لشبتـاي طيبت ، **هآرتس** ١٩٦٨/٣/١٥ ، ص ١٠ .

١٠ ـــ دكتور يهودا نالخ ، « كيف شكل الفولاذ »، **هآرتس** ١٩٦٨/٣/١ ، ص ٣ .

١١ ـــ زئيف شيف ، « مكشوفون في برج الدبابة » لشبتاي طيبت، **هآرتس** ١٩٦٨/٤/٣٠، ص٢٣.

١٢ ـــ **المرجع السابق** .

١٣ ـــ د. يهودا نالخ ، **المرجع السابق** .

١٤ ـــ زئيف شيف ، **المرجع السابق** .

١٥ ـــ عوزي بنيامين ، « بوب والسياسة » ، **هآرتس** (الملحق) ١٩٧٠/٩/٣٠ ، ص ٢٠ .

١٦ ـــ عوزي بنيامين ، **المرجع السابق** .

١٧ ـــ موشي ديان ، **معريف** ١٩٧٠/٥/١٧ ، ص ١٠ .

١٨ ـــ النص مترجـم عن « **هعولام هـازه** » ١٩٧٠/١٢/٩ ، ص ٢٠ ـــ ٢١ .

١٩ ـــ راجع ترجمة القصة الى العربية عن العبرية بقلم رشاد الشامي في « **الاسبوع العربي** » ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧١ ، ص ٤٠ .

٢٠ ـــ ابراهام بن يهوشع ، « في بداية صيـف ١٩٧٠ » ، **هـآرتـس** ١٩٧١/٤/١٥ ، ص ١٤ ـــ ١٥ .

الاعلام الصهيوني في مواجهة تحدي المقاومة

غيث نجيب الارمنازي

كان من جملة ما احدثه بروز شأن المقاومة الفلسطينية بعد حرب حزيران قيام حملة اعلامية « فلسطينية » تتمايز في كثير من خصائصها عن الاعلام العربي الرسمي الذي لم يعرف له بديل الى ان نشأ اعلام المقاومة . وقد ظهر تأثير الاعلام الفلسطيني من خلال عاملين رئيسيين . اولهما واهمهما تصاعد نشاط الفدائيين العسكري وتسارع اجهزة الاعلام العالمية الى تغطية هذا النشاط وتحليل طبيعته وابعاده مما ادى الى تسليط الاضواء على هذه الظاهرة الجديدة التي اضافت باجماع المعلقين بعدا جديدا على « ازمة الشرق الاوسط » . فمنذ معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨ وحتى مجازر ايلول عام ١٩٧٠ ظلت انباء المقاومة الفلسطينية تحتل امكنة الصدارة في الصحف الغربية فضلا عن اهتمامات الاوساط الاذاعية والتلفزيونية . فكان « الاعلام » الفلسطيني من هذه الناحية مجرد رد فعل طبيعي ومتوقع على الصعيد العالمي لانجازات عسكرية وسياسية حققتها المقاومة في نطاق نشاطها الفلسطيني والعربي . كما كان هذا النوع من الاعلام في مجمله لا يرتكز على خطة محكمة ذاتية لدى المقاومة ولم يكن بالتالي يتصف في كليته او حتى في اكثريته باتجاه ودي نحو المقاومة بل على العكس كان هدف معظم اجهزة الاعلام الغربية ابراز النواحي السلبية في المقاومة (كالتشديد كثيرا مثلا على الانقسامات في صفوفها) ومع ذلك فقد ادى في نتيجته — شاءت تلك الاجهزة ام ابت — الى اكتساب المقاومة شهرة عالمية واصبح الحديث عن ازمة الشرق الاوسط دون اعتبار اساسي لدور المقاومة في تلك الازمة امرا غير طبيعي بنظر الاكثرية الساحقة من المعلقين الصحفيين المهتمين بشؤون الشرق الاوسط (وقد تقلص كثيرا دور المقاومة بعد مجازر ايلول بنظر هؤلاء المعلقين ولم يبق اليوم سوى الكلام الذي يردده بعض الافتتاحيات عن ضرورة دخول « الطرف الفلسطيني المعتدل » في معادلة الحل السياسي اي الطرف غير المقاتل المتمثل في بعض قيادات الضفة الغربية) .

اما العامل الثاني الذي ادى الى انطلاقة الاعلام الفلسطيني فقد تمثل بنشاط المقاومة الداعي من خلال المؤسسات الاعلامية التي اقامتها او اقامها بالنيابة عنها انصارها اما في داخل المنطقة العربية او في الخارج . فبالنسبة للخارج لعبت خلايا المنظمات الفدائية — وخاصة خلايا فتح — بالتعاون مع المنظمات الطلابية العربية دورا بارزا في دفع الاعلام الفلسطيني الى الامام وفي تحويل الاعلام « الموضوعي » الناجم عن العامل الاول المذكور اعلاه الى اعلام « ذاتي » منظم يأخذ شكل حملة محددة المنطلقات والاهداف . فقد انشئت مثلا صحف ومجلات تنطق بشكل شبه رسمي بلسان المقاومة نذكر منها Free Palestine في كل من بريطانيا والولايات المتحدة و Fedayin في فرنسا و Resistancia في المانيا الغربية . كما شكلت تنظيمات عربية واجنبية كثيرة في الغرب لدعم الكفاح الفلسطيني دخلت فيها المقاومة عضوا وحاولت من خلالها التأثير على الرأي العام واقامة درجات من الحوار والتعاون مع كافة المنظمات الطلابية والسياسية الغربية خاصة تلك التي درج على تسميتها بـ « اليسار الجديد » .

ان الغرض من هذا البحث هو رسم صورة لرد الفعل الصهيوني الذي رافق هذا المد الاعلامي الفلسطيني وتحديد بعض ملامحه وخطوطه العامة علما بان الامثلة التي اخترناها من الاعلام الصهيوني تمثل نزعات مختلفة — رسمية وغير رسمية — قد لا ترتبط بجهاز اعلامي صهيوني مركزي ولكنها موحدة الهدف في التزامها الصهيوني ، يمينا كانت أم يسارا ، معارضة للحكومة الاسرائيلية ام موالية لها . فالاعلام الصهيوني يحمل في اطاره كثيرا من التناقضات الداخلية ولكن جميع فروعه ونزعاته — مهما تباهت في استقلاليتها ومهما « تطاولت » في انتقادها للفروع الاخرى — تصب في النهاية في مجرى واحد . فاليمين واليسار والوسط الصهيوني يدرك كيف ومتى يتوجب «الافتراق» لكسب تأييد قطاعات معينة من الرأي العام الغربي تشاطره منحاه الايديولوجي وكيف ومتى يتوجب في النهاية « الالتقاء » لكي ينعم الجميع كجسم صهيوني واحد بتلك المكاسب . وكما سنرى فان « وظيفة » مكافحة نشاط المقاومة الفلسطينية الاعلامي حلت بالدرجة الاولى من « نصيب » الجناح اليساري في الحركة الصهيونية لكون ذلك النشاط قد اثر اكثر ما اثر في صفوف اليسار الغربي .

منذ حرب حزيران والمسؤولون عن الاعلام الصهيوني يراقبون بقلق وحذر تحول اجزاء كبيرة من اليسار الغربي عن مواقفها التقليدية المؤازرة لاسرائيل . فقد اصبح هاجسهم على الاخص تيار معاداة الصهيونية وتأييد حركة المقاومة الفلسطينية الذي اخترق صفوف اليسار الجديد وسيطر عليه او كاد . فقد وضع هؤلاء المسؤولون كل ثقلهم لمواجهة هذا التيار بالذات بالاضافة الى تيارات اقل شمولا ظهرت في اوساط « الاشتراكيين الديمقراطيين » و « الليبراليين » . فقد كتبت مجلة « تيارات يهودية » الصادرة في نيويورك تقول بهذا الصدد « ان حق اسرائيل في البقاء كدولة يهودية ، حتى فيما بعد التوقيع على اتفاقية السلام مع جيرانها العرب ، اصبح خاضعا للتساؤل وللنفي من قبل جهات عديدة ومن ضمنها اوساط ومنشورات يسارية . فجريا وراء فتح التي تدعو الى امتصاص اسرائيل داخل فلسطين ديمقراطية وغير طائفية اصبح بعض الراديكاليين يعتقدون ان رغبة اليهود الاسرائيليين في العيش كشعب صاحب سيادة في دولتهم هو من قبيل التزمت القومي غير المعقول »(١).

واذا اردنا تلخيص المواضيع التي ركزت عليها الدعاية الصهيونية للرد على اعلام المقاومة ولمحاولة اعادة اليسار الغربي الى حظيرتها فيمكن وضعها ضمن اربع قضايا رئيسية هي : ١) قضية الدولة الديمقراطية الفلسطينية ٢) قضية علاقة اسرائيل بالامبريالية ٣) قضية عنصرية اسرائيل ٤) قضية تقدمية حركة المقاومة .

الدولة الديمقراطية الفلسطينية

لقد ادى طرح المقاومة شعار اقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية الى اضطراب كبير في صفوف القائمين على الاعلام الصهيوني الذي كان سندهم الاكبر في الماضي اعتمادهم على فرضية « القاء اليهود في البحر » لكسب عطف الرأي العام العالمي . فكان لا بد لهم من مواجهة دعوة ليس فقط لا تطالب بالقاء اليهود في البحر — كما كانوا ينقلون عن لسان المتحدثين العرب في الماضي — بل تدعو بالعكس الى مبدأ المشاركة والى اعتبار غزاة الامس واليوم مواطني المستقبل في دولة واحدة لا طائفية ولا عنصرية. فقد ادركت الدعاية الصهيونية ان مشروع الدولة الديمقراطية سيلاقي ترحيبا لدى قطاعات واسعة غربية تقدمية وليبرالية تمرست وتربت على مبادىء معاداة العنصرية وفصل الدين عن الدولة وتعايش الاديان والاجناس فدأبت على مقاومة مفعوله بالاستناد الى منطلقين رئيسيين .

أول هذين المنطلقين كان التركيز على الادعاء بان المقاومة الفلسطينية لا تعني ما تقوله

وان شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية هو مناورة تكتيكية لكسب تأييد الرأي العام العالمي . ومن ابرز الاسرائيليين الذين تصدوا لهذا الشعار على اساس « سوء نية » مطلقيه الدكتور يهوشافاط هركبي الذي شغل في الماضي مسؤوليات في جهاز المخابرات الاسرائيلي واصبح اليوم خبيرا في الشؤون العربية عامة وفي شؤون المقاومة خاصة . فقد نشر هركبي عام ١٩٦٨ كتيبا بواسطة مؤسسة الدراسات الستراتيجية (البريطانية) بعنوان « العمل الفدائي والستراتيجية العربية » كما ان له مقالات عديدة في الصحافة الصهيونية والعالمية يعالج فيها شؤون المقاومة ويحاول باسلوب « علمي » الرد على مواقفها السياسية والاعلامية والتشكيك بمقدرتها العسكرية . ففيما يتعلق بشعار الدولة الديمقراطية يحاول هركبي مثلا في كتيبه المشار اليه ايجاد تناقض بين دعوة فتح لاجل قيام الدولة الديمقراطية وبين برنامجها العسكري والسياسي الستراتيجي لتحرير فلسطين وهو ينقل لهذا الغرض فقرات يذكر انها وردت في كراس « دراسات وتجارب ثورية » وفيها اشارة الى ضرورة العمل لاجل انقراض المجتمع الصهيوني . وفي بحث اخر بالانجليزية بعنوان « معنى الدولة الديمقراطية الفلسطينية »(٢) يشكك هركبي في موقف المقاومة ككل من شعار الدولة الديمقراطية بالاستناد الى الاوراق التي قدمتها الجبهة الشعبية الديمقراطية الى المؤتمر السادس للمجلس الوطني الفلسطيني والتي نشر محتواها في بيروت عام ١٩٦٩ . فاعتمادا على تلك الاوراق وعلى تعليقات صحفية ظهرت في ذلك الحين (لا سيما في مجلة « الحرية » البيروتية) يقول هركبي انه كان هناك انقسام كبير في الرأي داخل صفوف المقاومة حول شعار الدولة الديمقراطية وان جزءا فقط من اعضاء المجلس الوطني كان يؤيد تبني ذلك الشعار . وينتقل الكاتب من ثم الى التصدي لموقف الجبهة الديمقراطية بالذات الداعية اكثر من غيرها ، في رأيه ، للالتزام بشعار الدولة الديمقراطية والذاهبة ابعد من غيرها في مسألة الولوج في تفاصيله ، يتناول هركبي بالتعليق حديث نشر لنايف حواتمة في مجلة الطليعة فيقول : « ان اقتراح الدول المزدوجة القومية الذي تتبناه جماعة « متسبن » ليس تقدميا بالدرجة الكافية بالنسبة لحواتمه . فحقوق اليهود القومية لا تتعدى حسب رأيه الاستقلال الثقافي لجالية دينية . وهو بذلك لا يأتي بجديد اذ كان السيد الشقيري مستعدا لمنح الشيء ذاته »(٣). ويتابع هركبي كلامه فيجزم ان هناك تناقضا بين موقف الجبهة الديمقراطية من شعار الدولة الديمقراطية وعضويتها في منظمة التحرير وقيادة الكفاح المسلح الفلسطيني آنذاك وبالتالي تعاونها مع جهات يمينية لا تعترف بذلك الشعار . كما يدعي ان « تطرف » الجبهة الديمقراطية في عدائها للحل السلمي وتمسكها بمبدأ الكفاح المسلح يشكل في الواقع الخطر الاكبر على حياة اليهود ويقول بهذا الصدد : « يجب الاخذ بنظر الاعتبار ان موقف الجبهة الديمقراطية ليس معتدلا ولا مصالحا . فبالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي السؤال السياسي المطروح حقيقة هو ما هي النظرة تجاه اسرائيل كدولة وتجاه سيادتها . ان الجبهة الديمقراطية قد رفضت رفضا قاطعا حق اسرائيل في البقاء كدولة وكأنها هنا تعوض عن ليونتها تجاه اليهود الافراد باعتمادها القساوة ازاء دولتهم »(٤). ويخلص هركبي الى القول بان « شعار الدولة الديمقراطية مع تضمنه اعترافا معلنا بحقوق جزئية للاسرائيليين يعتبر **تراجعا** بالنسبة للمواقف العربية على الرغم من قوة قناعته الدعائية والدبلوماسية »(٥). اما المواقف العربية السابقة التي يشير اليها الكاتب فهي على الارجح تلك المتعلقة مثلا بقبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي يعترف بسيادة اسرائيل ضمن حدود آمنة .

وقد نشر هركبي ايضا في « نشرة مكتبة واينر » التي تصدر في بريطانيا تعليقا على البيان المشترك الذي اصدرته القيادة الموحدة للثورة الفلسطينية بتاريخ ٦ ايار ١٩٧٠ . وقد اشار البيان في مادته الخامسة الى ان هدف الكفاح الفلسطيني هو تحرير فلسطين كاملا

حيث سوف يتعايش جميع المواطنين ويتساوون في الحقوق والواجبات ضمن اطار اماني الامة العربية في الوحدة والتقدم . وحول هذه الفقرة بالذات يقول الكاتب : « على الرغم من انه لن تكون هناك تفرقة في الدولة المحررة (على صعيد الافراد) الا انه لن يعترف باليهود كجماعة . وفضلا عن ذلك فان هذه الدولة لن تكون مزدوجة القومية كما يلمح اليه بعض المتعاطفين مع العرب، فمع ان حقوق المواطنين وواجباتهم متساوية فان الدولة تبقى عربية »(٦). وهنا يشير هركبي الى حجة كثيرا ما يستعملها الناطقون الصهيونيون في محاولتهم للتشكيك بشعار الدولة الديمقراطية الا وهي الادعاء بأن ثمة تناقض بين ذلك الشعار وشعار عروبة فلسطين او الدعوة للوحدة بينها وبين الدول العربية الاخرى .

كما تناول هركبي بالتعليق المادة الثانية عشرة من البيان المشار اليه وهي المادة التي تؤكد على ضرورة القضاء قضاء مبرما على الكيان الصهيوني ولا تعير اهمية للحركات المضادة للصهيونية داخل اسرائيل لصغر حجمها وتأثيرها . يقول الكاتب « ان هذه المادة تعكس الجدل القائم حول اليسار الاسرائيلي ومدى قدرته على تغيير طبيعة الدولة . . . فمتسبن على الرغم من ذكر الجبهة الديمقراطية لها كشريكة محتملة للحوار تعد غير تقدمية بالدرجة الكافية لانها لا تقبل بوجهة النظر العربية الا بتحفظ . وبالتالي فان احتمال قيام القوى التقدمية بتبديل شخصية اسرائيل هو احتمال مرفوض فمجرد فكرة اسرائيل ووجودها مقترنان الى الابد بمفهوم الشر ، ان لمثل هذه النظرة مدلولا بالنسبة لنطاق عملية الافناء التي يجري تصورها ، فهذه العملية ليست مقتصرة على الوجود السياسي لاسرائيل بل تصل الى حد الافناء الكامل لمؤسساتها الاجتماعية والثقافية . ولكن سواء صرح عن ذلك ام لم يصرح فان القضاء على مؤسسات اجتماعية وثقافية يعني ضمنا ، بالطبع ، افناء شعب »(٧). ونأتي هنا ايضا الى ادعاء يتكرر كثيرا على السنة الناطقين الصهيونيين وهو القول بأن القضاء على المؤسسات الاسرائيلية الصهيونية يؤدي في الواقع الى القضاء على الشعب اليهودي بأكمله (ويحلو لهم بشكل خاص استعمال كلمة Genocide لما توحيه للرأي العام العالمي من معان تذكره بجرائم النازية) . فمنطق الاعلام الصهيوني يرتكز على ان هناك تلازما مطلقا بين الشعب اليهودي في اسرائيل ومؤسساته الصهيونية التي سيدافع عن وجودها حتى اخر رمق ، فلا فائدة اذن من محاولة فصل هؤلاء اليهود عن صهيونيتهم وبالتالي فان حرب التحرير ستؤدي اذا انتصرت الى مذبحة او الى « القاء اليهود بالبحر » بغض النظر عن نوايا المقاومة من الناحية النظرية . ولا يخفى على أحد مدى حاجة الاعلام الصهيوني للتوكيد باستمرار على بقاء « خطر افناء الشعب اليهودي » الذي در عليه في الماضي فوائد جمة والذي بات مشككا فيه اثر طرح شعار الدولة الديمقراطية . وهذا ما يحدو بهركبي وبكثيرين غيره الى الاهتمام كثيرا باعادة شبح ذلك « الخطر » الى سابق عهده وفاعليته .

ومن « الحجج » الرئيسية الاخرى التي اعتمدها الاعلام الصهيوني لمجابهة شعار الدولة الديمقراطية استنجاده بالمادة السادسة من الميثاق الوطني الفلسطيني للدلالة على سوء نية حركة المقاومة . وقد ذكر هركبي ما يلي في محاضرة القاها في جامعة تل ابيب يوم ١٨ ايار ١٩٦٩(٨): « على الرغم من أن ثقة العرب في قدرتهم على تحقيق هدفهم قد تزعزعت بعد حرب الايام الستة فان تطرف القيادة الفلسطينية الموجودة خارج البلاد قد ازداد نتيجة لتلك الحرب . ان هذا يمكن استنتاجه من مقارنة الميثاق (الوطني الفلسطيني) في صيغته الاولى في ايار ١٩٦٤ ، خلال زمن الشقيري ، بالصيغة اللاحقة التي نتجت عن تأثير يحيى حموده وياسر عرفات وذلك بالنسبة لمستقبل اليهود في الدولة الفلسطينية العربية الحرة بعد ان يتم تحريرها وافناء اسرائيل . فمن الامكان تفسير الصيغة الاولى بحيث نتوصل الى اعتبار اليهود الذين كانوا يقطنون فلسطين عام ١٩٤٧

فلسطينيين ، اي انهم سيتمكنون من البقاء ، بينما في الصيغة الجديدة التي اعتمدت بعد اعادة النظر في الميثاق في الجلسة الرابعة للمجلس الوطني (تموز ١٩٦٨) هناك اعلان صريح بان فقط اليهود الذين كانوا مقيمين بشكل دائم في فلسطين قبل ١٩١٧ سيعترف بهم كفلسطينيين »(٩). وهكذا تصبح المقاومة ــ بنظر هركبي ــ اكثر تعصبا حيال يهود فلسطين حتى من الشقيري (رمز « التطرف العربي » سابقا) وذلك على الرغم من تبنيها « ظاهرا » لشعار الدولة الديمقراطية حيث يعترف منها لجميع اليهود بحق المواطنة . وقد خص هركبي لموضوع الميثاق الوطني الفلسطيني مقالة بكاملها نشرتها صحيفة معاريف الاسرائيلية(١٠). وقد تناول الكاتب بالتعليق مواد الميثاق بندا بندا وعند وصوله الى المادة السادسة ذكر ما يلي : « ان الصيغة المعدلة لهذه المادة تدل على تطرف في وجهة النظر العربية الفلسطينية وتحتوي على دليل واضح عن طبيعة الشعار الذي يطلقه الزعماء العرب عن (الدولة الديمقراطية اللامركزية) . ان مثل هذا الشعار الذي يعبر عنه في الواقع بالقضاء على مليونين واربعمئة الف يهودي انما هو من قبيل ذر الرماد في العيون »(١١). ثم يتابع الكاتب تهجمه فيقول : « يضيف المتحدثون العرب بان الهدف هو ان تصبح الدولة الفلسطينية علمانية ، على عكس اسرائيل التي يشجبونها لكونها قائمة على مبدأ ديني . لكنه جدير بالملاحظة ان جميع دساتير الدول العربية (باستثناء لبنان) تنص صراحة على اعتبار الاسلام دينا للدولة . ان الدستور السوري لعام ١٩٦٤ ينص على ان رئيس الدولة يجب ان يكون مسلما . وفي غالب الدساتير هناك تأكيد على ان الشريعة هي مصدر قوانين الدولة . لقد ناشدت فتح مؤتمرا عقد في جامعة الازهر في ايلول ١٩٦٨ لكي يوصي باعتبار التبرع للفدائيين زكاة ، والحرب ضد اسرائيل جهادا . فهكذا يشنون حربا دينية لاقامة دولة علمانية . كذلك فان تاج الديمقراطية الذي يزين المتحدثون الفلسطينيون به رؤوسهم يثير ايضا الشك نظرا لفشل العرب في اقامة انظمة ديمقراطية »(١٢).

ان الفقرة المذكورة اعلاه تحتوي على ثلاثة خطوط اعلامية « نموذجية » صهيونية . اولها طبعا نص الميثاق الوطني الفلسطيني حول تعريف « الفلسطينيين » والقفز من ثم الى الجزم بأن معنى ذلك هو طرد كل اليهود الذين لا يطالهم هذا التعريف من ارض فلسطين المحررة على عكس ما يفهم من شعار الدولة الديمقراطية . اما الخط الثاني فهو التشديد على « اسلامية » المحيط العربي و « تناقض » ذلك مع الدعوة « لعلمنة » فلسطين . كما ان الخط الثالث ينفي صفة الديمقراطية عن الدول العربية بمجملها وبالتالي يستنتج بأن دولة فلسطينية عربية ستذهب بما ذهبت اليه باقي الدول العربية . وبالاضافة الى المنطلق الاعلامي الصهيوني الذي يعتبر اطلاق شعار الدولة الفلسطينية خدعة تكتيكية تضمر نوايا مبطنة شريرة ، هناك منطلق اخر «يعترف» او يكاد بحسن نية الفلسطينيين ولكن يرفض شعارهم لانه في الواقع « يتعذر تحقيقه » لاسباب وظروف موضوعية وذلك على الرغم مما يتضمنه نظريا من صفات ايجابية . ولقد تجند لاظهار مدى « عدم قابلية هذا الشعار للتحقيق » فئات ومنظمات صهيونية « يسارية » على راسها حزب مابام . ومن ضمن تلك المنظمات ايضا جمعية تشكلت في تل أبيب عام ١٩٦٨ سمت نفسها « رابطة السلام » . وقد وزعت هذه الجمعية على نطاق واسع جدا كراسا يحمل عنوان « أربعة حلول للمسألة الفلسطينية » تلقى نسخا عنه العديد من رجال الصحافة واصحاب الراي والفكر في الغرب وخاصة اولئك الذين عرف عنهم ميلهم نحو وجهة النظر العربية . والكراس عبارة عن عرض لاربعة حلول مطروحة على ساحة النزاع الفلسطيني ــ الاسرائيلي لايجاد تسوية له . هذه الحلول هي ١) القضاء على اسرائيل ٢) فلسطين وضمنها اقلية اسرائيلية ٣) اسرائيل وضمنها اقلية فلسطينية ٤) اسرائيل والفلسطينيون امتان منفصلتان . ان الحلول الثلاثة الاولى ــ بنظر

الرابطة ــ لا تشكل حلا بالمعنى الصحيح لانها تؤدي الى استمرار النزاع. وتبرز الرابطة بالمناسبة « تقدميتها » برفضها لمشروع الحل رقم ٣ وهو الحل الذي يطالب به « التوسعيون الصهيونيون » ويفترض ضم الاراضي العربية المحتلة بعد حرب حزيران والابقاء على سيطرة الاسرائيليين على اقلية فلسطينية ــ واما مشروع الحل رقم ٢ المطروح من قبل « بعض المنظمات الفلسطينية » اي مشروع الدولة الديمقراطية فهو يشكو من « السلبيات » التالية : ١) انه « عنصري » بنظر الاسرائيليين لانه يرفض الاعتراف « بقوميتهم » ٢) انه يمنح للفلسطينيين « امانيهم القومية » بينما يرفض منحها للاسرائيليين ٣) انه « يرغم » الاسرائيليين على قبول صفة الاقلية و« هذا ما سوف يرفضون القبول به مما يؤدي بالتالي الى استمرار النزاع » . ومن ناحية ثانية يقول الكراس في معرض رفضه لهذا المشروع ان من اسباب « استحالة تحقيقه » « كون الاسرائيليين والفلسطينيين امتين مختلفتين بالنسبة لمعاداتهم السياسية وروابطهم الثقافية » وانه « حتى ولو تم اقامة مثل هذه الدولة (اي الدولة الديمقراطية) على اساس الواقع الحالي فانه من الواضح ان الاسرائيليين سيشكلون العنصر الطاغي فيها اقتصاديا وتكنولوجيا وثقافيا . هذا ما لا يمكن ان يرتضيه الفلسطينيون العرب لذلك فان ما يعنيه هؤلاء حقيقة من اقتراح اقامة فلسطين تكون «فوق القوميات» هو اقامة فلسطين يكون الاسرائيليون فيها قد انتزعت منهم بالقوة انجازاتهم الاقتصادية والتكنولوجية » .

يلاحظ من قراءة كراس « رابطة السلام » وجود خط اعلامي اساسي سوف نلتقي به مرارا لدى الاوساط الاعلامية الصهيونية « اليسارية » . هذا الخط الاعلامي يبدأ عادة « بالاعتراف » بالكيان الفلسطيني وبحقوق شعب فلسطين القومية ولكن مع التأكيد بأن ذلك يجب الا يمس « حقوق الاسرائيليين القومية » . ويلي هذا « الاعتراف » في غالب الاحيان طرح الحل « المثالي » الذي يوفق بين حقوق الشعبين وهو قيام دولة فلسطينية ملاصقة لاسرائيل من الشرق (الحل رقم ٤ حسب الطرح الخاص لـ « رابطة السلام » المعروض اعلاه) . والملاحظ كذلك ان هذا الخط لا يعتمد في رفضه لمشروع الدولة الديمقراطية اساسا على حجة « سوء نية الفلسطينيين » (مع ان هناك تلميحا بهذا المعنى في الفقرة المنشورة اعلاه حول مصير الانجازات الاقتصادية والتكنولوجية الاسرائيلية تحت ظل مثل تلك الدولة) ولكنه ينطلق من فرضية عزم الفلسطينيين حقيقة على انشاء تلك الدولة ولكن « النية الحسنة » لا تكفي اذ هناك عوامل موضوعية من قومية وثقافية واقتصادية وتكنولوجية تحول دون تحقيق مثل هذا الهدف .

ويشكل حزب مابام بفروعه العديدة و« واجهاته » المختلفة العمود الفقري للاعلام الصهيوني الموجه للتقدميين واليساريين في الرأي العام العالمي . وقد تصدر هذا الحزب بطبيعته الحملة الصهيونية الموجهة ضد الاعلام الفلسطيني ، ومن جملة ما يعتمد عليه لنشر وجهة نظره في الخارج مجلة « نيو اوتلوك » التي تصدر في اسرائيل باللغة الانجليزية . فبالنسبة لموضوع الدولة الديمقراطية كتب « بيريتز ميرحاف » رئيس المكتب الدولي لحزب مابام مقالا في تلك المجلة تحت عنوان « ازدواجية القومية بين الماضي والحاضر »(١٣). تناول فيه بالبحث مشروع « الدولة المزدوجة القومية » الذي تقدم به حزب « هاشومير هتسعير » (سليف حزب مابام) وذلك خلال فترة الانتداب البريطاني. وقد ذكر الكاتب ان مشروع «هاشومير هتسعير» يختلف اختلافا جذريا عن الشعار الذي تطرحه المقاومة لانه « لا يحاول فرض التعايش ضمن قومية مزدوجة بل كان يصبو الى ايجاد اتفاق يرتضيه الجانبان معا »(١٤). كذلك فان الاقتراح « لم يتضمن نزع صفة الصهيونية عن الجانب اليهودي ولا الصفة العربية عن الجانب الفلسطيني بل كان منطلقه هو ان تحقيق الاماني القومية لليهود ينسجم مع الاماني العربية كما ان الاقتراح لم يأت بعد ثلاث حروب بين الطرفين » .

ومن ثم ينتقل الكاتب الى الحاضر فيقول أنه « من المستحيل تصور اقدام دولة ذات سيادة هي اسرائيل على الاستغناء طوعا عن تلك السيادة للدخول في دولة مزدوجة القومية . وانا اقول هذا على افتراض ان الشريك القومي الاخر هو بدوره مستعد للوصول الى اتفاق حول الخطوط العامة لمشروع « هاشومير هتسعير » السابق اذ هناك شك بأن ذاك الشريك لا يزال يرى في مثل هذا الاتفاق سبيلا للقضاء على الدولة اليهودية ولقطع اواصر الاتصال بين الجالية اليهودية في (الدولة الفلسطينية الديمقراطية) واليهودية العالمية مع الاعتماد على مساندة العالم العربي . ان احلاما وشعارات من هذا النوع لا يمكنها ان تحل محل خطط عملية لاقامة تعايش سلمي يقود تدريجيا نحو التقارب مع كل ما ينطوي عليه هذه التقارب من امكانات كونفدرالية او قومية ازدواجية »(١٥). ويستطرد الكاتب « فينصح » الفلسطينيين بأن عليهم قبل التفكير بالقومية الازدواجية ان يعملوا لاجل اقامة دولة فلسطينية « تكون بمحاذاة اسرائيل وتتعايش وتتعاون معها ... وخلاصة القول هو ان التعبير اليوم عن فكرة ازدواجية القومية يكون بتبني حل « الدولتين » (bi-state) داخل الوطن التاريخي الواحد »(١٦).

ان الكاتب كما رأينا يخلص الى نتيجتين ، النتيجة الاولى هي ان مشروع الدولة الفلسطينية الديمقراطية (حتى اذ جاء مطابقا لمشروع «هاشومير هتسعير» وهو مشروع بعيد كل البعد عما طرحته المقاومة خاصة وانه ينص على الابقاء على الروابط الصهيونية ليهود فلسطين) غير قابل للتحقيق لسبب بسيط وهو ان دولة ذات سيادة كاسرائيل ليس من المعقول ان تتخلى عن تلك السيادة . اما النتيجة الثانية — وهنا يأتي الجانب « الايجابي » والاكثر خطورة في الرد الصهيوني — فهي ان هناك بديلا (ويحتمل ان يكون حتى خطوة اولى) لقيام الدولة الفلسطينية الواحدة بقيام دولتين واحدة فلسطينية واخرى اسرائيلية منفصلتين ولكن قابلتان للتعايش والتقارب التدريجي نحو نوع من الاتحاد في المستقبل . وهكذا حسب الخط الدعائي لليسار الصهيوني « يقرر شعب فلسطين مصيره » و « يقرر الشعب اليهودي مصيره » كلاهما في جزء من « وطنهما المشترك » . فانطلاقا من ردودهم على شعار الدولة الديمقراطية يحاول « التقدميون » الصهيونيون الايهام بأن للفلسطينيين وللاسرائيليين حقوقا متساوية داخل « الوطن المشترك » . وفي الوقت الذي يتعذر فيه دمج الشعبين لاسباب قاهرة ذاتية وموضوعية يتوجب العمل لاجل « الحل الواقعي » الوحيد اي اقامة دولتين يتقرر مصير كل من الشعبين داخل كل منهما مع العمل على توثيق عرى الروابط فيما بينهما تؤدي الى صيغة اتحادية في المستقبل . ان لهذه الحجة بساطتها ولا يخفى تأثيرها المنطقي على السذج في الرأي العام العالمي الذين تستهويهم الحلول « الواقعية » التي لا تكلفهم عناء التعمق في الاسس الحقيقية لمشكلة مستعصية كالمسألة الفلسطينية . ان الدهاء الاعلامي الصهيوني يتمثل هنا في الانتقال من موقع « المدافع » ازاء طرح المقاومة لشعار الدولة الديمقراطية الى موقع « المهاجم » بطرح مشروع « بديل » يحمل في ظاهره عناصر وقعها حسن على الاذن الغربية « التقدمية » و « الليبرالية » . نذكر على سبيل المثال لفظات « تقرير المصير » و « الحقوق القومية » و « التعايش السلمي » التي تتكرر دوما في كتابات الناطقين باسم حزب مابام ومن لف لفهم من « يساريي » الصهيونية . فضلا عن ان مابام يظهر بمظهر المدافع عن حقوق الشعب الفلسطيني والمتيقظ لمصيره ولحقه في وطنه ودولته! بينما لا يقابل هذا الموقف بموقف مماثل في «عدله» من قبل الفلسطينيين .

علاقة اسرائيل بالامبريالية

بالاضافة الى تصديه لمفهوم الدولة الفلسطينية لقد حرص الاعلام الصهيوني «اليساري» على مواجهة انعكاسات المقاومة الفلسطينية على « اليسار الجديد » الغربي الآخذ في اتهام اسرائيل والصهيونية بالعمالة للامبريالية وخاصة الامبريالية الامريكية . وقد

توزع على نطاق واسع في الغرب وخاصة على مستوى الكليات والجامعات منشوران يحملان توقيع م. س. ارنوني يشتملان على كثير من النقاط التي تستعين بها الدعاية الصهيونية للحيلولة دون اتساع رقعة التأييد اليساري للمقاومة الفلسطينية .

يقول المنشور الاول الذي هو بعنوان « اسرائيل والامبريالية » : « ان الادعاء بأن اسرائيل هي خليقة الامبريالية هو تحريف مفضوح للتاريخ . فولادة اسرائيل جاءت مغايرة لولادة الاردن الذي كان تمايزه الاثني والقومي مجرد اختراع قامت به الامبراطورية البريطانية لاسباب خاصة بها . كذلك لم تكن الولادة مشابهة للاسس الاستعمارية الفرنسية التي كانت وراء ولادة الكيانين السوري واللبناني . كلا ، فان اسرائيل برزت الى الوجود نتيجة لصراع سياسي وعسكري طويل المدى ضد السلطان البريطاني الذي التزم بمنع تحقيق الاماني القومية لليهود ... لقد ولدت اسرائيل ليس كابن ولا كحليف للامبريالية ولكن كنتيجة لتحديها المباشر للامبريالية » .

فلانه قام هناك صراع في السنوات الاخيرة للانتداب البريطاني بين العصابات الصهيونية وسلطات الانتداب (مرده في الاساس الى التناقضات التي ظهرت بعد الحرب بين امريكا الامبريالية وبريطانيا الامبريالية وبعد ان اصبحت الاولى حليف الصهيونية الاساسي) اصبحت الحركة الصهيونية — بنظر الاعلام الصهيوني — حركة مناهضة للاستعمار ! ان هذا المنطق السطحي المبسط الذي يتجاهل وعد بلفور والتاريخ الطويل للتعاون الوثيق بين الانتداب والحركة الصهيونية يشكل احد العناصر الاساسية التي يعتمد عليها الاعلام الصهيوني لاقامة البرهان على « تقدمية » نشأة اسرائيل . والعنصر الاخر التي تستغله الدعاية الصهيونية في هذا الصدد هو التأييد الذي نالته اسرائيل من قبل المعسكر الاشتراكي في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ . فقلما نجد « دفاعا » عن « تقدمية الصهيونية الاصيلة » الا وفيه اشارة الى موقف الاتحاد السوفياتي آنذاك معززا بفقرات طويلة من خطب مندوبه لدى المحافل الدولية اندريه جروميكو .

أما فيما يتعلق بعلاقة اسرائيل الحميمة الحاضرة بالولايات المتحدة فيدعي الناطقون الصهيونيون انها علاقة مؤقتة خاضعة لتقلبات عديدة كما هي العلاقات بين كثيرين من حلفاء الامس واليوم . فلو عدنا لمنشور « اسرائيل والامبريالية » نجد التبرير التالي لموقف اسرائيل : « ... ان الدعم الدولي من الولايات المتحدة الذي تقبل به اسرائيل كان مقبولا لدى دول كثيرة مختلفة تحاول اليوم التهجم على اسرائيل . فاذا لم يجد الاتحاد السوفياتي ، اثناء لحظة الخطر التي واجهته ، مانعا من ان يقبل عونا سياسيا وعسكريا واقتصاديا من الولايات المتحدة فكيف ينتظر من اسرائيل اذن خلال لحظة خطرها ان ترفض مثل هذا العون » . وهكذا فان اسرائيل فقط « تقبل » بالدعم الامريكي كما قبله في السابق غيرها . ليس لهذا الدعم اذن ابعاد استراتيجية طويلة الامد بل تتحكم به مشيئة الظروف وتقلبات المصالح الدولية . وبقدر ما تتمسك بهذا المفهوم السطحي للتحالفات الدولية بقدر ما تحاول الدعاية الصهيونية ابراز ادوار تاريخية معينة « شطت » فيها اسرائيل عن قاعدة الولاء للمعسكر الامبريالي . ورد في المنشور بهذا الخصوص ما يلي : « مع عدم واقعية الاعتقاد بأن اية دولة ، بما في ذلك اسرائيل ، يمكنها ان تلقي جانبا بمصالحها الحيوية لاجل الاحتفاظ بنقاوتها الايديولوجية، فان اسرائيل لم تتردد في بعض الاحيان من اثارة امتعاض الولايات المتحدة وتصرفت بما لا يليق ما تتهم به من عمالتها للامبريالية . فقد قاومت باصرار مثلا جميع الضغوط التي شاءت ان تجعلها تعترف بنظام الحكم في سايجون الذي يرعاه الامريكيون . ومما هو اكثر مدعاة للاستغراب بالنسبة لدولة « دائرة في فلك النفوذ الغربي » كون اسرائيل قد اعترفت بخط « اودر — نيس » كحدود شرقية لالمانيا ، وفي عام ١٩٥٦ عندما احتلت اسرائيل اراضي مصرية وجدت نفسها على الجانب الاخر من الجدار الدبلوماسي مع

امريكا . فقد قاومت الضغوط الامريكية لاجلاء شبه جزيرة سيناء لمدة طويلة . هذا الضغط الامريكي تجاهل مصالح اسرائيل الحيوية تجاهلا تاما فكانت تلك بادرة عدائية لم تات لدعم دولة عميلة ... ان مثل هذه الضغوط والتهديدات ليس من حاجة لها في التعامل مع عميل مطيع كما انه لا يمكن تجاهل مصالح عميل ما الى هذا الحد » . ان الاعلام الصهيوني نراه هنا في اوضح صوره . فحادثة احتلال اسرائيل لسيناء عام ١٩٥٦ وثم انسحابها منها تحت ضغط الادارة الامريكية التي تعتبر بحق مثالا كلاسيكيا عن ارتباط اسرائيل بالامبريالية وخضوعها في النهاية للطرف الغالب (الامريكي) في المعسكر الغربي الذي انشق مؤقتا آنذاك بسبب تناقضاته ، ان هذا المثال الصريح في مدلوله ينقلب بسحر ساحر فيصبح دليلا على « تحرر » اسرائيل وعلى عدم انصياعها لمشيئة الامبريالية ! ولا تكتفي احيانا الدعاية الصهيونية بتبرئة اسرائيل من تهمة العمالة للامبريالية بل تصور اسرائيل كحجر عثرة امام تحقيق مطامع الامبريالية . يعتمد هذا المنطق مثلا على ابراز دور شركات النفط العاملة في البلدان العربية كأدوات ضغط معادية لاسرائيل في الدول الغربية ، يقول منشور « اسرائيل والامبريالية » : « ان انحياز الضغوط النفطية الامبريالية ضد اسرائيل وكذلك انحياز وزارة الخارجية الامريكية الخاضعة لنفوذ تلك الضغوط قد عاصر جميع مراحل الصراع العربي الاسرائيلي . فقد لعبت تلك الضغوط دورا مهما في حمل اسرائيل على التخلي عن الاراضي التي احتلتها بعد الحرب الاسرائيلية — المصرية عام ١٩٥٦ وتستمر هذه الضغوط حتى اليوم » . هنا ايضا مثال عن المنطق المبسط الساذج الذي تجيد اسرائيل استغلاله وتحاول منع الولوج الى حقيقته بالسفسطة الكلامية . فالمعادلة هي كالاتي : شركات البترول هي شركات امبريالية تستغل موارد الشعوب العربية — هذه الشركات « تعادي اسرائيل » — اذن اسرائيل هي عدوة الامبريالية !!

ولا ينحصر الامر في انكار تهمة التبعية للامبريالية او في « تثبيت » معاداة الصهيونية للامبريالية بل يتعدى ذلك الى اضفاء صفة « ثورية » ايجابية على الحركة الصهيونية . فبينما كان عنوان المنشور الاول الذي ذكرناه هو « اسرائيل والامبريالية » حمل المنشور الثاني عنوان « الصهيونية كحركة تحرير وطني » مشيرا الى ما وصل اليه العقل الصهيوني الاعلامي « اليساري » . فبما ان حركات التحرير الوطنية في العالم اخذت تلاقي رواجا في السنين القليلة الماضية بفضل حرب فيتنام مثلا وبفضل المقاومة الفلسطينية وحركات التحرير الافريقية فلا مانع من اعتماد هذه التسمية بالنسبة للحركة الصهيونية كذلك وكان « اليسار » الصهيوني قد اكتشف « كلمة السر » التي تضعه في مرتبة الثوار الاخرين . وفي هذا المجال تقول مذكرة صادرة عن « حركة السلام الاسرائيلية » بتاريخ حزيران ١٩٦٨ (وهي الحركة التي تنضم تحت لوائها جميع الاحزاب والحركات « اليسارية » الاسرائيلية بما في ذلك مابام والحزبان الشيوعيان ماكي وراكاح — لم توقع راكاح على المذكرة المذكورة) : « ان الحركة الصهيونية هي حركة التحرير الوطني للشعب اليهودي ، لولا تلك الحركة لتعذر تصور استيطان ارض اسرائيل من قبل يهود جاءوا من شتى ديار منفاهم او تصور بعث الثقافة العبرانية او اقامة دولة اسرائيل . وكما هو الحال بالنسبة لجميع الحركات الوطنية هناك داخل الحركة الصهيونية جناح رجعي وجماعة في الوسط وجناح تقدمي » . واذا عدنا كذلك الى منشور « الصهيونية كحركة تحرير وطني » نجد الفقرة التالية : « مثل باقي حركات التحرير الوطنية الاخرى احتوت الحركة التي حاربت من اجل اسرائيل وانتصرت على جميع الالوان السياسية من اليسار الى اليمين . ولكن على عكس الكثير من تلك الحركات كان ضمن الصهيونيين دوما اكثرية من القوى التقدمية تتراوح ما بين الليبراليين وحتى الماركسيين اللينينيين . وفضلا عن ذلك فان الحركة الصهيونية بمجموعها اخذت

على عاتقها مهمات اجتماعية لا يطالها في الخارج سوى المصلحين الاجتماعيين اليساريين والثوريين ... هكذا نشأت ظاهرة اقامة بعض الكيبوتزيم من قبل رجال لم يكن لهم معتقد اشتراكي . اذ ان قوة القطاع الاسرائيلي الجماعي والتعاوني التي ليس لها مثيل مستمدة من منحى صهيوني عام بقدر ما هي نتيجة لفعل تيار ايديولوجي » .

ان مثل هذا التأكيد على الادعاء بأن الحركة الصهيونية ككل (بفضل رمزها الابدي ــ الكيبوتزيم مثلا) هي بالنتيجة حركات تقدمية رغم وجود عناصر رجعية فيها تشكل مدخلا لخط اعلامي صهيوني معين يحاول المحافظة على « اصالة » اليسارية في الحركة الصهيونية بالقاء اللوم ليس على الحركة الصهيونية ولكن على بعض اجنحتها الرجعية خلال معالجة موضوع سياسة اسرائيل «المتحجرة» الحاضرة ازاء الفلسطينيين خاصة وقضية ازمة الشرق الاوسط عامة . الامثلة على هذا الخط كثيرة نذكر منها مجلة « تيارات يهودية » التي تنطق بلسان « يهود الولايات المتحدة التقدميين » . وقد ورد في احد مقالاتها مؤخرا تحت عنوان « صقور وحمائم في اسرائيل » : « هناك شبه اجماع عالمي على ان فرص حل ازمة الشرق الاوسط لم تكن في يوم من الايام افضل مما عليه اليوم . ولكن من ناحية اخرى فان ثمن الفشل وعودة الحرب بعيد عن كل تقدير فان اصدقاء اسرائيل في الولايات مدعوون في لحظة كهذه لمساندة حركة السلام في اسرائيل ولعزل تلك القوى في الجالية اليهودية الامريكية والعامة التي تحاول ربط اسرائيل بعجلة الحرب الباردة »(١٧). ان هذا المقال صادر عن جهة هي في الواقع صهيونية رغم الفاظها التقدمية وتعلقها بـ « السلام » ومعارضتها « للصهيونيين الرجعيين » . وهذه الجهة تريد ان توحي ان تأزم الوضع في الشرق الاوسط ناجم عن سياسات اسرائيلية وامريكية معينة وان باستطاعة الصهيونيين « التقدميين » الحلول دون تفاقم هذا الوضع بل ان هؤلاء « التقدميين » يحملون في جعبتهم مفتاح السلام النهائي (وقد رأينا نماذج عن ذلك « السلام » فيما اوردناه اعلاه عن مشاريع الدولة الفلسطينية وعن «اعتراف» بعض الصهيونيين « بالحقوق القومية » للشعب الفلسطيني) . يستهدف مثل هذا الموقف الاعلامي امتصاص نقمة اليساريين والتقدميين على اسرائيل والصهيونية وتحويل اتجاهها بحيث تصبح نقمة على ممارسات اسرائيلية معينة وعلى زعماء اسرائيليين معينين مع استمرار العطف والتأييد للحركة الصهيونية « الاصيلة التقدمية » ولاسرائيل وليدة « حركة تحرير وطنية » . وحزب مابام ايضا يجد فائدة كبرى في استقلاله «اللفظي» عن سياسة حكومة اسرائيل . فمجلته «نيو اوتلوك» لا تترك مناسبة تمر الا وتصب حمى غضبها على « المتزمتين والمتعصبين التوسعيين » داخل اسرائيل . فيقول احد كتاب المجلة ، فيكتور سيغلمان ، في معرض رده على « مشروع من تسع نقاط » تقدم به بعض اساتذة الجامعات الغربيين ونشرت نصه المجلة (ينتقد المشروع فيما ينتقد سياسة اعتماد اسرائيل على مساعدات يهود امريكا) « ليس التضامن اليهودي مع الامة الاسرائيلية هو بحد ذاته ما يتوجب انتقاده وانما المساعدة اليهودية وغير اليهودية للسياسات الحكومية الاسرائيلية التوسعية والرجعية »(١٨). فتبرئة الحركة الصهيونية وتبرئة التضامن اليهودي العالمي من واقع اسرائيل الرجعي يكون بالتهجم بالقول على سياسة حكومة اسرائيل التوسعية التي حزب مابام هو منها براء مع انه عضو في الائتلاف الحكومي الذي يحكم اسرائيل !

اسرائيل والعنصرية

وتشكل قضية عنصرية اسرائيل ميدانا آخر يخوضه الاعلام الصهيوني لتخفيف وطأة تهمة العرقية التي اخذت تلصق باسرائيل اكثر فأكثر من جراء انتشار الاعلام الفلسطيني وتركيزه الانظار على مأساة الشعب الفلسطيني على يد العنصرية الصهيونية . وقد وجدت الدعاية الصهيونية في العنصرية سلاحا حادا موجها ضدها يحمل في طياته خطرا

ربما يفوق الخطر الاعلامي الناجم عن علاقة اسرائيل بالامبريالية . فبينما تهمة التبعية للامبريالية تؤدي الى كسب عداء اليسار تنطوي تهمة العنصرية على مضاعفات خطيرة ليس في صفوف اليسار فحسب بل في صفوف الوسط الليبرالي حليف الصهيونية العريق. قد أصبحت الليبرالية الغربية في هذا العصر ملتزمة بقضايا التفرقة العنصرية والاضطهاد العرقي ان كان ذلك داخل المجتمعات الغربية او في العالم الثالث ولا سيما في افريقيا الجنوبية . اما العنصرية الصهيونية فقد ظلت في منأى عن اهتمام تلك الأوساط الليبرالية لسبب ان « عقدة الذنب » تجاه اليهود وتجارب اليهودية ضد العنصرية المعادية لليهودية وضعت حاجزا بسيكولوجيا ادى الى تغافل الكثيرين من مناهضي العنصرية عن عنصرية اسرائيل على الرغم من ظهور تلك العنصرية للعيان بشكل مفضوح ، فضلا عن ان الكثير من المنظمات المعادية للعنصرية التي ظهرت في اوروبا وامريكا كان يقودها يهود وصهيونيون وجدوا في احتلالهم لمراكز الصدارة في تلك المنظمات ضمانا لاستمرار تجاهل تلك المنظمات للاضطهاد العنصري الاسرائيلي . الا ان المقاومة الفلسطينية استطاعت ان تخترق جدار الصمت هذا ونفذ الاعلام الفلسطيني الى بعض اوساط التيار الليبرالي المناوىء « تقليديا » لشتى انواع الاضطهاد العرقي . ففي بريطانيا مثلا انضمت حركة الشبان الاحرار بحماس للحملة المعادية للصهيونية والمساندة للثورة الفلسطينية القائمة في بريطانيا وكان لهذا الانضمام وقعا قويا اهتزت له التنظيمات الصهيونية في تلك البلاد . واهمية حركة الشبان الاحرار تتمثل في كونها دائما في طليعة الناشطين في حملات مكافحة العنصرية . وقد قادت هذه الحركة مثلا الحملة المعادية لـ « ابارثايد » (سياسة جنوب افريقيا العنصرية) وتسببت في صيف ١٩٧٠ بسحب دعوة كانت موجهة لفريق « الكريكيت » التابع لجنوب افريقيا لزيارة بريطانيا واللعب فيها وكانت تلك بداية لمقاطعة جنوب افريقيا رياضيا . كذلك نذكر على سبيل المثال التيار المعادي للصهيونية الذي اجتاز صفوف حركة السود في الولايات المتحدة التي عانت ما لم يعانه احد من الاضطهاد العنصري والتي تشكل رمزا وقدوة للشباب الابيض الراديكالي والليبرالي المناهض للعنصرية . فقد تلقت اجهزة الاعلام الصهيونية من مواقف الناطقين باسم تلك الحركة وخاصة قواد الفهود السود من الصهيونية ومن امكانية تسربها الى عقول الكثير من انصار تلك الحركة البيض .

فكيف واجهت الدعاية الصهيونية تهمة العنصرية التي وجهت اليها ؟ واجهتها باللجوء الى اسلوب تقليدي عريق تلجأ اليه الدعاية الصهيونية عندما تعوزها حجة اخرى . هذا الاسلوب هو عبارة عن القاء تهمة « معاداة السامية » اي الصاق جرم «العنصرية» بمن يتهم اسرائيل اصلا بالعنصرية . فقد تعرض مثلا زعماء الشبان الاحرار في بريطانيا الى اتهامات من هذا النوع وعلى الاخص زعيمهم السابق « لوي ايكس » . وفي الولايات المتحدة اتهم المتحدثون الصهيونيون زعماء اليسار الجديد وزعماء الحركة السوداء ايضا بمعاداة السامية لتهجمهم على اسرائيل . وقد نشرت صحيفة النيويورك تايمز في عدد مجلتها الاسبوعية الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/٣(١٩) نموذجا عن هذه النغمة الاعلامية الصهيونية بشكل مقال طويل للبروفيسور مارتين ليبسيت من جامعة هارفارد . فقد حاول الكاتب تفسير موقف اليسار الجديد والحركة السوداء من الصهيونية من خلال التحليل التالي : « ان الراديكاليين من الطلبة والمفكرين ، من اليهود وغير اليهود ، يميلون تاريخيا الى كره الذات بتأييدهم للحركات المعادية للثقافة ، وقد عرفوا الحكمة على انها تأتي من غريزة الجماهير وغير المتعلمين والفقراء . وفي هذا الزمن فان هذه الظاهرة الماسوخية في الولايات المتحدة تأخذ شكل تبني قيم وبيانات وتكتيك الجماعات السوداء المتطرفة . وكثير من تلك الجماعات قد دأبت على نشر الدعاية المعادية للسامية التي هي في كثير من الاحيان غير مغلفة الا جزئيا بغطاء معاداة الصهيونية » وفي

كلامه عن منظمة الفهود السود يقول الكاتب « على الرغم من عدائهم لجميع الرأسماليين فان الفهود يخصون بهجومهم المصالح اليهودية »(٢٠).

ويرى الكاتب كذلك ان صعود موجة العداء لاسرائيل مرده الى الاسباب التالية : اولا : موجة العداء لامريكا ولكل من هو الى جانب امريكا في العالم . ثانيا : قيم الحق والعدالة المسيحية والليبرالية واليسارية التي تناصر المغلوب على امرهم (اي العرب) . ثالثا : (وهنا بيت القصيد) ظاهرة العداء للسامية التي رافقت المسيحية منذ نشوئهـا ولم تغب الا ظاهريا عن الانظـار خلال فترة ربع القرن الماضية اي بعد الجرائم الهتلرية . وقد اخذت ، حسب زعم الكاتب ، الآن تطل مرة اخرى على السطح لان الجيل الجديد لم يمر بتجربة العصر النازي . فالعنصرية المعادية للسامية المرتبطة ارتباطا عضويـا بالمجتمعات المسيحية هي المحرك الاساسي لتيار العداء لاسرائيل حتـى ولو جاء هذا العداء على لسان اقصى اليسار او على لسان الحركة السوداء التي وجدت لمكـافحة العنصرية . وجدير بالذكر ان اتهام الامريكيين السود خاصة بالعنصرية هو جزء من حملة صهيونية قائمة منذ فترة كرد علـى ثورة السود على امتيازات البيض السياسيـة والاقتصادية ومنها امتيازات اليهود . وقد حاولت الصهيونية استغلال نقمة السـود لاجل حمل المزيد من اليهود على الهجرة الى اسرائيل . فبالاضافة الى فوائده الاعلامية فان ربط تيار معاداة الصهيونية بتراثه « الاصيل » (اي العداء للسامية) كما يـذهب اليه مارتين ليبسيت من شأنه دفع هذه الهجرة الى الامام حسب التقديرات الصهيونية .

وكما في دفاعها عن الصهيونية تجاه تهمة الامبريالية تحاول الدعاية الصهيونية رد تهمة العنصرية بالاستناد الى مواقف سابقة للاتحاد السوفياتي . ففي مقال نشرته مجلـة « تيارات يهودية » تحت عنوان « هل الدولة اليهودية دولة عنصرية »(٢١) تورد المجلة فقرة من خطاب لجروميكو القاه في الامم المتحدة في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧ ويقول فيه ان التجربة اثبتت انه ليس باستطاعة العرب واليهود العيش ضمن حدود دولة واحدة وبالتالي فانه يجب ان تقام دولتان على ارض فلسطين . كما تدافع المجلة عن مخطط « النقاوة » اليهودية التي تسير عليه الصهيونية بالاعتماد على « امثولة يسارية » اخرى كقولها : « في محاولتها للتقليل من الاحتكاكات القومية ولاقامة دول قومية متجانسة عملت حكومات اوروبا الاشتراكية على تعديل حدودها وعلى تبادل اقلياتها فيما بينها بعـد الحرب العالميـة الثانية »(٢٢).

كذلك تعتمد الدعاية الصهيونية كثيرا على بعض عملائها من العرب الفلسطينيين ممن هم مستعدون لان « يشهدوا » على ما يتمتعون به من « حسن معاملة ومساواة » . فالصحف والمجلات الصهيونية وخاصة « اليسارية » منها قلما تصدر الا وضمنها مقالات واحاديث لناطقين عن العرب المتواطئين مع اسرائيل تدعو الى «تعايش عربي ـ اسرائيلي» والى « نبذ الاحقاد » و« الاعتراف بالامر الواقع » مع اصرار هؤلاء الناطقين في اكثر الاحيان على حفظ نوع من « التوازن » بانتقاد بعض السياسات الاسرائيلية ولكن مـن ضمن الاعتراف « بشرعية » الحقوق القومية الاسرائيلية ، والحزب الاسرائيلي الخبير اكثر من غيره في محاولة ابراز دور العـرب في حياة اسرائيل هو حزب مابام الـذي « يفتخر » بكونه الحزب الصهيوني الوحيد الذي يقبل عضوية العرب في صفوفه . فقد رأى هذا الحزب مثلا في تعيين عبد العزيز الزعبي مؤخرا نائبا لوزير اسرائيلي انتصارا للاماني القومية للعرب في اسرائيل . لذلك نشرت مجلة « نيو اوتلوك » حديثا اجراه مع الزعبي مراسلها(٢٣) وجاء في مقدمته ما يلي : « ان هذه الخطوة (اي تعيين الزعبي) لم تكن مفاجئة للذين يعرفون عبد العزيز الزعبي كأحد هؤلاء الذين عرفوا كيف يوفقوا بين دورين متناقضين في الظاهر : خدمة مصالح دولة اسرائيل من جهة والعمل من اجل احتياجات شعبه العربي الفلسطيني وامانيه القومية » . اما الحديث بحـد ذاته فهو

نموذج عن ذلك « التوفيق » بين اماني « القوميتين » العربية واليهودية الذي طالما تحدث عنه مابام والذي يشكل حجر الاساس في منطلق الحرب الاعلامي للدفاع عن كيانية اسرائيل ورد تهمة العنصرية عن الدولة الصهيونية .

تقدمية المقاومة

وبالاضافة الى المواضيع التي جئنا على ذكرها والتي تصدى لها الاعلام الصهيوني هناك صورة المقاومة او الانطباع الخارجي عنها بالذات الذي حاولت الدعاية الصهيونية تحريفه بكل ما اوتيت من وسائل . وقد حاول الاعلام الصهيوني بشكل خاص تشويه سمعة المقاومة داخل صفوف اليسار الغربي باطلاق التهم عن روابط المقاومة ببعض الدول والقوى العربية وعن « تبعيتها » لسياسات واستراتيجيات تلك الدول . لنقرأ مثلا في هذا الصدد ما كتبته « حركة السلام الاسرائيلية » في المذكرة التي سبق ان اشرنا اليها : « هناك البعض ممن يقارن بين حرب التخريب ومنظمات الارهاب داخل اسرائيل والاراضي المحتلة وبين المقاتلين من اجل الحرية في فيتنام ، ان هذه مقارنة باطلة . ففي فيتنام هناك حرب اهلية تشن ضد نظام فاسد طاغ في الداخل وضد تدخل امبريالي من الخارج . بينما بالنسبة للعلاقة بين اسرائيل وجاراتها العربية الظاهرة هي ظاهرة نزاع قومي بين امة عادت الى وطنها تمشيا مع القانون الدولي (فقد اعترفت بحق الشعب اليهودي في العودة الى وطنه كل من عصبة الامم والامم المتحدة بمساندة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في ذلك الحين) وبين حكومات ترفض الاعتراف بهذا الحق وتتبع سياسة نفي وجود تلك الامة وتعمل لاجل القضاء عليها كما يتبين بوضوح من خلال الاستعدادات التي قامت بها تلك الحكومات عشية حرب الايام الستة . ان الرومانسية في النظر الى تقييم منظمات الارهاب والتخريب العربية التي تسربت الى بعض اوساط الرأي العام والشباب والتي تجلت بمقارنة تلك المنظمات بجبهة التحرير الوطني في الجزائر والفيتكونغ في فيتنام هي امر خطير للغاية يجعلنا مضطرين للتنبيه الى عواقبه . ففي هذا النزاع الفلسطينيون العرب هم مجرد اداة في يد حكام الدول العربية » .

فمحاولة الربط بين سياسات الحكومات العربية والمقاومة الفلسطينية هي جزء اساسي من الاعلام الصهيوني المضاد للمقاومة خاصة وان المقاومة كسبت شعبيتها في الخارج على اساس كونها حركة شعبية مستقلة عن الدول العربية . وقد ذهبت اجهزة الاعلام الصهيونية الى ابعد بكثير من ربط المقاومة بالحكومات العربية . فقد اتهمتها حتى بالتعاون مع الفاشستيين والنازيين . ففي منشور لجماعة بريطانية تدعى « حلقة الدراسات الجامعية لاجل السلام في الشرق الاوسط » وهي منظمة تحاول استعادة المبادرة من مؤيدي المقاومة الفلسطينية الناشطين في الجامعات نقرأ الفقرة التالية : « كثيرة هي الوقائع التي تقيم الدليل اليوم على العلاقة بين فتح والمنظمات الفاشستية ، ففي بلجيكا مثلا يساعد فتح في تجنيد شبان اوروبيين ذوي الخبرة للخدمة في المنظمات الفدائية نازي سابق كان قد خدم في فيلق رومل الافريقي » . ويأتي المنشور كذلك على ذكر علاقة الحاج امين الحسيني بادولف هتلر كمثال « تاريخي » آخر عن خضوع الشعب الفلسطيني « لقيادات نازية » . ثم يخلص المنشور الى القول التالي : « ان التنديد بالعناصر الرجعية والتوسعية التي داخل اسرائيل يجب ان يرتبط بشجب للقوة الفاشستية الشوفينية المتعصبة في قيادة فتح ، كذلك فان مساندة شعب فلسطين المتألم يجب ان يلازمها تشجيع للعمال والطلبة والمثقفين في اسرائيل المناضلين من اجل مجتمع اشتراكي » .

نكتشف هنا خطا اعلاميا صهيونيا « يساريا » ناشطا جدا على مستوى الجامعات والكليات الغربية . هذا الخط يدعو الى تأييد « الشعب الفلسطيني » والى النظر بعطف

الى آلامه كما يدعو من ناحية اخرى الى تأييد « القوى التقدمية في اسرائيل » . امـا التقدميون فيجب ان يوازنوا بـين الاوساط التوسعيـة في اسرائيل وبـين « قيادات الفدائيين الفاشيست والمتعصبين الشوفينيين » فكلا الطرفين اعداء للشعبين الفلسطيني والاسرائيلي . ومن هنا نجد مدخلا الـى النظرية الاعلامية « اليسارية » التي يطرحها مابام وهي أن لكلا الشعبين الفلسطيني واليهودي حقا في فلسطين كما ان قيادة الشعبين منقسمة بين يمين ويسار . هكذا يكون واجب كل شعب الاطاحة بقياداته اليمينية في صراع « طبقي » داخلي ومن ثم وفي ظل القيادات التقدمية المنتصرة (في كل شعب على حدة) تتحقق الظروف المؤاتية للتعايش بين الشعبين (كل في دولتـه طبعا) وتتحقـق الاماني القومية للفريقين . وتمشيا مع هذا المنطلق يصب الاعلام الصهيوني «اليساري» جمام غضبه على فتح بالذات « حرصا » منه على سعادة و « ثوريـة » الشعـب الفلسطيني شريكه « المنتظر » في بناء المستقبـل الاشتراكي للشعبـين « الشقيقين » الاسرائيلي والفلسطيني . وهو يعلم تمام العلم انه اذا استطاع تلطيخ سمعة فتح في الخارج — اي اكبر المنظمات الفدائية واشهرها عالميا — يكون قـد لطخ بذلك سمعـة المقاومة بمجموعها في نظر مؤيديها ، ولم يتقاعس الاعـلام الصهيوني عن استغـلال الانقسامات في صفوف المقاومة لاجل تنفيذ مهمته هذه . فالانتهازية الاعلامية الصهيونية لا تقف عند اي حدود وآخر ما توصلت اليه من سلاح هو « مناصرة » فريق في المقاومة على فريق آخر لعل ذلك يسهم في تشويه صورة قيادة المقاومة وجناحها الاكبر .

---

١ — *Jewish Currents*, New York, N. Y., U. S. A. Special Israel Issue, May 71 "Is a Jewish State a Racist State", by Sid Resnick.

٢ — *The Wiener Library Bulletin*, London, U. K. Vol. XXIV, No. 2, 1970 "The Meaning of 'A Democratic Palestinian State' ", by Dr. Y. Harkabi.

٣ — المصـدر ذاته .

٤ — المصـدر ذاته .

٥ — المصـدر ذاته .

٦ — المصـدر ذاته . Vol. XXIV, No. 4, 1970-71 "Scope and Limit of a Fedayeen Consensus", by Dr. Y. Harkabi.

٧ — المصـدر ذاته .

٨ — صحيفة معاريف الصادرة بتاريخ ٦٩/١١/٢١ .

٩ — المصـدر ذاته .

١٠ — صحيفة معاريف الصادرة بتاريخ ٦٩/١٢/١٢ .

١١ — المصـدر ذاتـه .

١٢ — المصـدر ذاتـه .

١٣ — *New Outlook*, Tel Aviv, March 1971, "Bi-Nationalism. Then and Now", by Peretz Merhav.

١٤ — المصـدر ذاتـه .

١٥ — المصـدر ذاتـه .

١٦ — المصـدر ذاتـه .

١٧ — *Jewish Currents*, المصـدر ذاته "Doves Vs Hawks in Israel", by W. S.

١٨ — *New Outlook*, May 1971, "Answer to Nine Points Towards Peace in the Middle East", by Victor Cygleman.

١٩ — *New York Times Magazine*, 3/1/71 "The Socialism of Fools", by Seymour Martin Lipset.

٢٠ — المصـدر ذاتـه .

٢١ — *Jewish Currents*, "Is a Jewish State a Racist State" المصدر ذاته

٢٢ — المصـدر ذاتـه .

٢٣ — *New Outlook*, June-July 1971 "First Arab Deputy Minister", Interview with Abdul Aziz Zu'abi, by Victor Cygleman

الجيش الاردني في حرب ١٩٦٧

ف. المنصور

المعروف عن الجيش الاردني انه جهاز عسكري يتمتع بسمعة حسنة داخل البلاد العربية وخارجها . فضباطه هم عسكريون محترفون تتلمذ الكثير منهم على يد الضباط الانكليز الذين كانوا قد انشأوا الجيش العربي في العشرينات وقادوه فترة طويلة . ومع ان كتبا كثيرة الفت عبر السنين عن الجيش الاردني ، وبينها كتب بأقلام بعض قادته السابقين ، الا انه لم يدون قبل اليوم تقييم عسكري لدور هذا الجيش في حرب حزيران ١٩٦٧ . فالكتب التي تناولت بالبحث تلك الحرب لم تركز على دور الجيش الاردني . ثم لما كان معظمها قد نشر بعد فترة قصيرة من الحرب ، فانها لم تكن خالية من التقديرات التي ثبت خطأها اليوم . ويمكن تقسيم الكتب التي الفت عن حرب حزيران الى ثلاث مجموعات : المجموعة الاولى ، تضم الكتب التي الفها الغربيون وهي على درجات متفاوتة من التحيز ضد العرب ، مع انها طبعا ستظل المراجع الرئيسية لمؤرخي المستقبل . والمجموعة الثانية ، وتحتوي على الكتب التي الفها الاسرائيليون ، وهي تتضمن الخليط الصهيوني المعهود من الحقائق **والمغالطات** ، والمجموعة الثالثة ، وهي صغيرة لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة ، وهذه صادرة عن العرب ، وبينها « حربنا مع اسرائيل »(١) الذي يتألف من احاديث اجراها الصحفيان الفرنسيان فيك فانس وبيير لوير مع الملك حسين ووصفي التل ويحيى حموده وناطق غدائي ، و « اللواء المدرع/٤٠ »(٢) بقلم اللواء معن ابو نوار ، مدير دائرة التوجيه المعنوي في الجيش الاردني ، وهو كتاب يركز على بطولات اللواء المدرع ويكاد يخلو من الفائدة للباحث ، و « المؤامرة ومعركة المصير »(٣) بقلم سعد جمعه ، رئيس وزراء الاردن ايام الحرب ، وهذا ايضا كتاب لا يحتوي على معلومات جدية ، علاوة على اسلوبه البدائي المجوج الذي اشتهر به مؤلفه . واخيرا يمكن اضافة كتاب سليمان عبد الله شليفر « سقوط القدس »(٤) الى هذه المجموعة الثالثة . وشليفر امريكي اسلم وكان يسكن القدس عندما سقطت بايدي الاسرائيليين . من كتب هذه المجموعات الثلاث يمكن استخلاص المعلومات المتناثرة التي، بعد غربلتها وتقييمها ، باستطاعتنا ان نكون منها صورة تكاد تكون كاملة لدور الجيش الاردني في حرب حزيران . **ويجب ان نبين هنا ان الغرض من هذا البحث هو ليس المفاضلة بين الجيوش العربية التابعة للاقطار المحيطة باسرائيل ، او التي ارسلت قوات للاشتراك بالحرب ، فهذه الجيوش انهزمت جميعا ، ولا مجال للمفاضلة بين المنهزمين ، وانما الغرض هو تقييم لدور الجيش الاردني كوحدة منفصلة ، وفي اطار سمعته كجهاز عسكري من الدرجة الاولى ، ومحاولة التحقق من درجة انطباق آراء بعض مؤرخي الحرب العربية الثالثة على الواقع في تقريرهم ان الجيش الاردني قد بذل اقصى جهوده . فالسؤال الرئيسي الذي نريد طرحه على بساط البحث في هذه الدراسة الموجزة هو : هل بذل هذا الجيش اقصى جهوده حقا ، وهل كانت هزيمته مفروغا منها سلفا ؟**

الكتاب الاول الذي يمكننا الاستشهاد به في هذا الصدد هو « الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ »(٥) تاليف البريغادير (العميد) بيتريونغ ، استاذ التاريخ العسكري في الاكاديمية الملكية البريطانية ساند هرست . وكان يونغ احد اركان الجيش الاردني وقائد حامية القدس في الخمسينات ، وسبق له ان الف كتابا ضمنه تجاربه في قيادة وحدات البدو في الجيش الاردني . ويمكن القول انه بالرغم من اعجاب المؤلف الواضح بالنصر الاسرائيلي الذي يعتبره لامعا ، الا انه في الوقت ذاته يؤمن بالقدرة القتالية الجيدة الكامنة في الجندي العربي ، او الاردني على وجه التحديد ، اذ يذكر اكثر من مرة في كتابه ان سبب هزيمة العرب يعود الى سوء تدريبهم ، وليس الى عدم صلاحيتهم الفطرية للقتال . فهو يكتب في الصفحة ١٤٠ قائلا : « العرب الذين يستطيعون طرد الاسرائيليين من المناطق التي احتلوها يجوز ان يكونوا قد ولدوا ، لكنهم لم يتدربوا بعد » .

ما هو رأي يونغ في دور الجيش الاردني بحرب حزيران ؟ في الصفحة ١٢٠ يكتب هذا الضابط السابق في الجيش الاردني : « في مدرسة شرطة فلسطين القديمة الواقعة شمالي القدس ، قتل ١٠٦ رجال من الحامية المكونة من مئتي رجل قبل سقوط الموقع بيد مظليي الكولونيل موردخاي غور . والسؤال الآن هو : هل كان باستطاعة الاردنيين اعداد خطة افضل ؟ الجواب على ذلك يجب ان يكون انه اذا لم يكن هناك مفر من تورطهم بالحرب على الاطلاق — وهو التورط الذي كان غلطة بالطبع — فقد كان بمقدورهم انزال خسائر اكبر بالعدو ، وذلك بواسطة هجوم قوي يشنونه على العدو بدلا من الجلوس في مواقعهم الدفاعية لمضايقة الجزء اليهودي من القدس وتل ابيب ورامات ديفيد بقذائف المدفعية . انهم اصبحوا عرضة لقنابل النابالم بعد تدمير سلاحهم الجوي ، ولكن حتى بعد ان دمر السلاح الجوي المصري بقيت لدى الاردنيين ميزة . فالاسرائيليون مضطرون الى احترام الاماكن المقدسة وليسوا على استعداد لاستخدام سلاحهم الجوي في بلادهم نفسها خوفا من قتل المواطنين اليهود . وفي ستالينغراد حيث كان الالمان يتفوقون على الروس في الجو ، وجد الروس ان افضل طريقة لمحاربة العدو هي الالتحام به . ولذا فالافضل من عدم القيام بأي عمل على الاطلاق ، كان باستطاعة الاردنيين شن هجوم قوي ، اما في الجزء اليهودي من القدس او صوب تل ابيب . ولكن لا يوجد دليل على ان الجنرال رياض قام بمحاولة في هذا الاتجاه » .

وفي الصفحة ١٢٨ كتب يونغ : « استولى الاردنيون على دار الحكومة (مقر هيئة المراقبة التابعة للامم المتحدة) الا انهم سمحوا للاسرائيليين باجلائهم منه مقابل ثمانية قتلى من الاسرائيليين . واذاع راديو عمان (في الساعة ١٢،٤٥ من بعد ظهر الاثنين ٥ حزيران) ان الجيش الاردني استولى على جبل المكبر ، مما يدل على ان اهميته لم تغرب عن ذهن القيادة الاردنية ، وان كان ذلك لا يعني انه وقع في قبضتهم . وباختصار ، فالفريق رياض استفز الاسرائيليين باطلاق النار بكثافة ، لكنه سلم المبادرة بيد العدو ، وبعد ان شاهد الجيش الاردني يتهشم ، عاد الى وطنه مصر . ان مساهمته في الحرب لم تكن لامعة » .

ينبغي التوقف لحظة عند ملاحظات يونغ عن الفريق رياض . اولا لا بد من التذكير ان يونغ الف كتابه المذكور ونشره عام ١٩٦٧ ليحصل على اهتمام الناس ما دام الموضوع ما زال ماثلا في اذهانهم ، مع انه كمدرس للتاريخ العسكري في اشهر اكاديمية عسكرية ببريطانيا كان يجب ان ينتظر بعض الوقت قبل ان يسرع في تدوين قصة حرب حزيران . فالمؤرخ الجدي يفضل ان يترك فترة كافية من الزمن تمر على الاحداث ، قبل ان يخرج على القراء بتاريخه . ولكن يونغ كان في عجلة من امره . اما غلطته الثانية ، فهي تنكره للمبدأ الذي يحتم على المؤرخ ان يكون موضوعيا ومنصفا في استنتاجاته . فان ملاحظاته عن القائد المصري ظالمة وتنم عن الحقد التقليدي الذي يكنه البريطانيون للمصريين منذ

حرب السويس ، وحتى قبل ذلك . فهل كلف يونغ نفسه عناء التقصي عن مدى تنفيذ الضباط الاردنيين لاوامر قائدهم المصري الذي استلم القيادة العامة قبل ايام معدودة من الحرب ؟ هل هو الذي امر العقيد كمال الطاهر ، قائد لواء المشاة الهاشمي المسؤول عن خط الدفاع في منطقة عبد العزيز واللطرون بالانسحاب عند غروب شمس الاثنين دون اطلاق رصاصة واحدة ، مع ان اللطرون كان في حرب ١٩٤٨ ميدانا لاقوى مقاومة اردنية ضد هجمات اسرائيلية قامت بها الوية بكاملها ، ومع ان هذا الموقع الاستراتيجي البالغ الاهمية حصن في السنوات التي اعقبت تلك الحرب ؟(٦) هل رياض هو الذي اهمل تحصين القدس ، فسقطت بسهولة بيد العدو(٧)؟ هل هو الذي أمر جنود الاحتياط الذين كانوا قد تلقوا التدريب لمدة ثلاثة اشهر فقط ان يدافعوا عن القدس ، فجيء بهم من الخليل ليدافعوا عن مدينة يجهلون منافذها وضواحيها ؟(٨) علما بأن قتال الشوارع المرتقب حدوثه في القدس يتطلب معرفة المدافعين معرفة تامة بمسالك المدينة . هل هو الذي ترك المدينة المقدسة دون مدافع مضادة للطائرات داخلها او حواليها ، ولا دبابات ولا مدفعية ثقيلة ولا اسلحة مضادة للدروع ؟(٩) هل هو الذي ارسل الجنود للقتال دون ان يؤمن لهم الغذاء والماء ؟(١٠) .

بل هل يعلم البريغادير يونغ ان خال الملك ، الشريف ناصر بن جميل ، كان هو المسيطر الفعلي على الجيش مع ان القائد العام كان حابس المجالي ؟ يقول شليفر في الصفحة ٤٢ من كتابه : « ذهب انور الخطيب (محافظ القدس) صباح السبت (الذي سبق اثنين الحرب) الى عمان لمقابلة خال الملك الشريف ناصر . وكان اللواء حابس المجالي قائد الجيش ، ولكن كان من المعروف عموما ان الشريف ناصر هو القوة المسيطرة في الجيش . وبما ان المحافظ لم يتلق جوابا عن طلبه السلاح (لتسليح المدنيين) فقد قرر ان يعالج الامر مباشرة . « ارجوك ان لا تتكلم في مثل هذه الامور فنحن لدينا خمسة الوية لحماية القدس ورتبنا كل شيء » قال الشريف ناصر حين طلب الخطيب ١٠ آلاف بندقية « ولكن عندما نشب القتال فعلا ، اكتشف سكان القدس ان لواء واحدا فقط من المشاة والمدفعية ومهندسي الميدان كان موزعا على منطقة القدس ، اي خمس القوة التي كان الشريف ناصر قد وعد بها انور الخطيب . اما لجنة المقاومة فقد تسلمت ٢٦٠ بندقية انفيلد و٢٠ رشاشا (ستين) و٢٠ رشاشا (برين) فقط وكانت هذه الاسلحة هي كل ما وزع في منطقة القدس . ومن الجدير بالذكر ان هذه الاسلحة وزعت في الضواحي القريبة من القدس ولم يوزع منها شيء داخل المدينة المسورة حيث كان الالاف ينتظرون » .

وفيما يلي مقتطفات من كتاب شليفر : « لم يكن مركز الشرطة محصنا . لا اكياس رمل ولا خنادق لتأمين سلامته » . (ص ٥١) . « كانت قد وضعت خطة لتسليح القرويين وحملهم على الهجوم فجأة على الارض المسدودة المسالك بين مستشفى هداسا والجامعة العبرية على قمة التلة (..) لم يكن القرويون مدربين عسكريا (..) ولو وقع الهجوم حسب الخطة لكانت وقعت مذبحة» . (ص ٥٥) . « كان الهجوم (على دار الحكومة — مقر رئيس المراقبين اود بول) عملا اعتباطيا اذ لم يكن ثمة تخطيط سابق له ولم تكن في القدس العربية اية دبابات او مصفحات او مدفعية مضادة للدبابات . وكل ما كان ثلاثة مدافع من عيار ١٠٦ ملم لا ترتد عند اطلاق النار منها Recoiless Guns مركزة على سيارات الجيب » . (ص ٥٦) . « اقترح الضابط المتقاعد حازم الخالدي ان يجري تلغيم المسالك المؤدية الى دار الحكومة . فخابر عطا علي ، قائد موقع القدس ، مركز قيادة المهندسين قرب الحرم ، ولكنه لم يجد احدا من الضباط ، وابلغ انه لا توجد مصفحات لنقل المهندسين مع الالغام » . (ص ٥٧) . « المصادر الاسرائيلية المفوضة التي كان في مصلحتها ان تبالغ في مدى تأثير نيران المدفعية الاردنية، اذ ان في ذلك تبريرا مفترضا لاحتلال الضفة الغربية ، ابلغت ان قنبلة واحدة فقط سقطت في منطقة تل ابيب،

وانها لم تطلق الا الساعة ٢١ من يوم الاثنين » . (ص ٥٧) . « وفي دراسة وضعها الميجر د. د. كامبل بعد سنة من الحرب عن استعمال المدفعية في حرب حزيران ونشرها في مجلة المدفعية الملكية البريطانية ، أبدى الضابط المذكور استغرابه حول تصرف المدفعية الاردنية في الجبهة الوسطى حيث انها لم تستفد من فرص ثمينة سنحت لها . فعند بدء القتال كانت كل قواعد الطيران الأسرائيلي ضمن المدافع الاردنية ذات العيار ١٥٥ ملم (ذات المرمى البعيد) فلو ضرب الاردنيون هذه الاهداف الحيوية لكانوا انزلوا الدمار بالطائرات الاسرائيلية عند عودتها لتتزود بالوقود . وقال الميجر كامبل ان تلك كانت فرصة اضاعها الاردنيون ولو استفادوا منها لكانوا غيروا مجرى الحرب »(١١). (ص ٥٧ — ٥٨) .

« ولا تقل غرابة عن ذلك التقارير عن الاوامر التي تلقاها في الصباح الاول من الحرب قسم المدفعية الملحق بلواء الامام علي من المشاة في خان الاحمر شرقي القدس لينسحبوا من مراكزهم المهيأة ، وينتقلوا الى مراكز « افضل للضرب » . وبعد الظهر حين بدأت معركة المدفعية بصورة جادة ، تبددت مدفعية الامام علي الموجودة في مراكز معرضة للاصابة وغير مهيأة سلفا » . (ص ٥٨) . « اكثر الرجال كانوا غير مدربين تدريبا عسكريا » . (ص ٦٠) . « لم تكن هناك اية اكياس رمل لتخفيف وطأة القصف عن بناية الاذاعة » . (ص ٦٠) . « أقل من خمسة آلاف رجل دافعوا عن القدس من جيش يبلغ مجموع رجاله حوالي ٥٦ الفا . وضد هذا اللواء الوحيد المدافع عن القدس تجمعت ثلاثة الوية اسرائيلية . لواء مشاة ولواء مظليين تساندهما الدبابات ولواء مدرع. وجميع هذه القوات تحت قيادة الجنرال عوزي ناركيس »(١٢). « كان الجندي الاردني مسلحا بالبندقية الامريكية غاراند — ١ وهي بندقية شبه اوتوماتيكية اعتبرت قديمة العهد ايام الحرب الكورية (١٩٥٠ — ١٩٥٣) . اما الاسرائيليون فكانوا يحملون جميعا الاسلحة الاوتوماتيكية »(١٣).

ونقطة الضعف لم تكن كامنة في السلاح العتيق فقط ، وانما ايضا في الرجال . ففي اكثر من موضع في كتابه يتحدث شليفر عن تخلي الضباط عن جنودهم وفرارهم الى المؤخرة ، وهو التخلي الذي أدى الى انهيار معنويات الجنود ، فبدأوا هم أيضا يتسللون من ساحة القتال. كما يتحدث في الصفحة ٧٣ من الترجمة العربية لدار النهار عن حالة المستشفيات بالقدس ، فيقول : « بقيت كمية وافرة من الذخيرة ولكن المواد الطبية استهلكت (..) كانت الحالة يائسة ولم يبق دم . طلبوا الدم من بنك الدم فقيل لهم لا توجد عندهم قطرة منه . وكانت وزارة الصحة في اليوم ذاته ترد بالوعود على طلبات الضمادات والادوية الواقية من الجراثيم ، ولكنها لم ترسل جميعا . في جميع المستشفيات كان الموظفون يجودون بدمهم » .

وفي الصفحة ٨٠ من النص الانكليزي الاصلي كما نشرته مجلة الدراسات الفلسطينية ، كتب شليفر : « في المستشفى الحكومي كان مستحيلا حتى تقدير عدد الجنود والمدنيين الذين ماتوا بسبب عدم توفر الدم وبقية المواد الضرورية (..) لا ضمادات ولا دواء ولا طعام ولا حتى الخبز (..) موظفون يعملون بيأس وغرف تكدس فيها الجرحى والمحتضرون وهم يلعنون ضباطهم لانهم تخلوا عنهم ، ويلعنون الملك وخاله الشريف ناصر لعدم توفر المؤن والذخيرة الفاسدة وغياب الامدادات » . كما يستشهد شليفر بافادة مستشفى القديس يوسف التي جاء فيها انه ليس بين جرحى الجيش اي ضباط . (ص ٧٣ — النص العربي) . ويختتم شليفر فصله عن سقوط القدس بهذه الكلمات : « **لو كانت القدس (او أية مدينة في الضفة الغربية) مستعدة ، ولو وجدت فيها مقاومة جدية ، فان الازقة التي لا تحصى والشوارع الضيقة والانفاق والسطوح المتقاطعة والبيوت المدعومة جدرانها والازقة المسدودة والاقبية والكهوف**

المنسية والمخازن تحت الشوارع ، لكانت كل هذه اوجدت الغطاء اللازم للمعارك في المدينة وللبلبلة وللاضطراب الكافية لصد فرقة عسكرية اياما . ولو تكرر هذا الامكان المفترض في انتظام ، اي لو سلح شعب الضفة الغربية تسانده ميليشيا بدائية ، ودرب على حرب العصابات ، لكان في مقدور الاردن ان يخلق المشكلة الوحيدة التي لم يسبق للجيش الاسرائيلي ابدا ان واجهها . من الصعب ان نقدر التاثير الذي كان سيتم نتيجة حرب حزيران لو ان الجيش الاسرائيلي المهاجم واجه مقاومة عربية مسلحة في نواح مسدودة نوافذها داخل مدينة القدس المسورة ، وفي نابلس وجنين والخليل ورام الله وبيت جالا وبيت لحم وقلقيلية واريحا ومخيمات اللاجئين ، بالاضافة الى الخوف من قطع مواصلاته على ايدي عصابات مسلحة من الفلاحين والانصار في القرى ، وذلك في حالة حرب طويلة تثيرها مثل هذه المقاومة الشعبية . ان عوامل معنوية وسياسية تلعب دورها ، عندما تشحذ عزائم شعب بكامله وتستدعي نشاطاته للدفاع عن ارضه — هذه العوامل ليس ممكنا تقديرها وحسبانها بواسطة الالات الحاسبة في البنتاغون او بواسطة تحليلات الاستخبارات الامريكية » . (ص ٨٣ — ٨٤ النص العربي) .

هذه هي رواية شاهد العيان شليفر لسقوط القدس ، ومع ان كتابه عموما لا يخلو من بعض المآخذ ، الا ان جميع شهود العيان الاخرين يتفقون على ان الصورة التي رسمها هي صحيحة ، وكذلك استنتاجاته . الا ان روايته لا تتفق مع ما صرح به الملك حسين الى الصحفيين الفرنسيين فيك فانس وبيار لوير . ففي « حربنا مع اسرائيل » قال الملك : « القدس سقطت بعد معركة ضارية (..) ولقد حاربنا ببطولة وشرف ودافع جنودنا عن كل شبر » . (ص ٧٨) . كما كتب البريغادير يونغ : « في وجه اعداد متفوقة وتفوق جوي ساحق ، ادى الجيش الاردني افضل ما لديه ، واذا كانت مناوراته لا تتصف بذكاء لامع على صعيد التكتيك ، فقائده المصري يجب ان يتحمل مسؤولية ذلك » . (ص ١٤٠ من « الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ ») . وتعليقا على ذلك يجب ان نذكر هنا انه لا يونغ ولا الملك حسين كان في القدس عندما سقطت . يونغ كان في انكلترا وبنى روايته على تقارير مراسلي الصحف ، بينما للملك الاردني مصلحة اكيدة في التستر على ما حدث فعلا في المدينة المقدسة . فلنفحص الان سجل كل من الملك حسين والفريق رياض الذي اعتبره يونغ المسؤول الاول عن الهزيمة . قائد الجبهة الشرقية في حرب حزيران، الفريق عبدالمنعم رياض ، وضع تقريرا مفصلا حلل فيه الحرب في الضفة الغربية ، وهذا هو بالطبع اجراء متبع بعد كل حرب ، الا ان السلطات الاردنية لم تسمح بنشره (مع ان مقتطفات منه تسربت الى خارج الدوائر الرسمية العليا في الاردن) ، كما ان الفريق استشهد عام ١٩٦٨ وهو يدير عمليات الجيش المصري ضد العدو في الخطوط الامامية على القناة ، فهو اذن لا يستطيع دفع الاتهامات عن نفسه . ما هو رأي الملك حسين في الفريق ؟ في حديثه مع الصحفيين الفرنسيين وصفه الملك بانه « جندي محترف مجرب ، ويفد من المع القادة العسكريين العرب » (ص ٤٤) . وردا على سؤال للصحفيين جاء فيه : « كنت شاهدا لجميع القرارات التي اتخذها الفريق رياض . ما رأيكم بتصرفاته ؟ الملك : فعلا شهدت جميع القرارات التي اتخذها الفريق رياض . بل شاركت فيها لان رياض كان يطلب موافقتي بالنسبة الى كل ما يعتبره مهما . كان اصعب قرار اتخذته هو اضطراري الى الموافقة على اقتراح الفريق رياض بسحب قواتنا من الضفة الشرقية للاردن . كان هذا اقسى قرار يمكن اتخاذه تجاه مواطنينا في الضفة الغربية والقدس بصورة عامة ، التي تخلينا عنها . فيما يتعلق برياض ، فانا اعتبره جنديا اصيلا وضابطا قديرا . ان تربيته ممتازة » . (ص ٨٧) .

وبصدد اشارة الملك حسين الى « اقتراح » الفريق رياض سحب القوات من الضفة الشرقية ، يجب الرجوع الى الكتاب « عاصفة الرمال » تاليف الاسرائيليين ديفيد كمشه

ودان بولي(١٤)، فقد ذكرا ان الملك حسين أصدر أمرا بالانسحاب من الضفة الغربية ثلاث مرات خلال اربع وعشرين ساعة . وكل مرة كان ينقض أمره الاول بالانسحاب بعد ان يكون الانسحاب قد بدأ فعلا ، مما ادى الى حدوث اضطراب بالغ في صفوف الجيش ، نظرا الى ان الجنود كانوا قد غادروا مواقعهم المحصنة وتمركزوا في معسكراتهم تمهيدا لعبور الاردن عندما وصلتهم الاوامر بالعودة الى مواقعهم الاولى . هذا الاجراء تكرر ثلاث مرات ، وكان عائدا الى تردد الملك بين رغبته في الاحتفاظ بالضفة الغربية (ولذا البقاء) وبين حرصه على المحافظة على جيشه سليما (ولذا الامر بالانسحاب) اما في الكتاب « حربنا مع اسرائيل » فذكر الملك حسين في الصفحة ٧٧ : « .. وللاسف ، كان الفريق رياض قد أصدر للتو أمرا الى الوحدات التي لا تزال تحارب في الضفة الغربية للاردن بالانسحاب الى الضفة الشرقية . واعطينا فورا أمرا مضادا الى قواتنا بالبقاء في المواقع التي تحافظ عليها منذ ٢٤ ساعة ، لاننا كنا نريد مهما كلف الامر ، تحديد الاضرار مع الاحتفاظ بأكبر رقعة من الارض » . اي ان الملك يدعي هنا ان التناقض في الاوامر المعطاة للجيش كان بينه وبين الفريق رياض ، وليس بينه وبين نفسه ، مع انه كان يلازم الفريق في مقر القيادة العليا طوال الحرب ، حسب تأكيده هو ، ولا يمكن ان يكون الفريق رياض قد اصدر أمرا بهذه الخطورة العظمى دون علمه ، حتى ينقضه الملك فيما بعد . ولذا ينبغي هنا اعتماد الرواية الاسرائيلية لانها تفسر الكثير مما حدث اثناء الحرب . وعموما يمكن القول انه لا حاجة للاسرائيليين لاختلاق هذه الرواية في حرب كانوا بها المنتصرين على طول الخط . بل انهم بالغوا في وصف مدى العنف في مقاومة الجيش الاردني لهم حتى يبدو نصرهم اعظم وأروع . ولكن فيما عدا اشتباك الدبابات في جنين ، والمعركة من اجل مدرسة شرطة فلسطين في القدس ، كانت الحملة الخاطفة التي بها استولوا على البقية الباقية من فلسطين هي مجرد نزهة بالنسبة اليهم .

عن الفريق رياض قال ايضا الملك حسين في « حربنا مع اسرائيل » (ص ٨٨) : « نظرا للطابع الخاص الذي تميزت به معركة الاردن التي قادها رياض دون ان يعرف الارض وامكانات الرجال التابعين له ، وهو تحت رحمة معلومات مهزوزة تتعلق بالوضع على مختلف الجبهات الحليفة ، كان يصعب على الفريق المصري أن يتصرف بشكل افضل » . ولكن بالرغم من هذه التزكية القادمة من القائد الاعلى ، فرأي وصفي التل في رياض كان يحتوي على قدر اقل من الثناء . ففي الصفحة ١٠٩ من نفس الكتاب ، قال التل يصف القائد المصري : « كان رياض محاطا بأربعة او خمسة ضباط مصريين كبار يؤلفون أركان حربه. وكان المصريون في المقر العام يقبضون على الزمام ويتحكمون بالمواقف والمقررات. ومع العلم ان الاصول المتعارف عليها لا تسمح باطالة الاخذ والرد وعرض المقترحات والمقترحات المضادة داخل مقر قيادة العمليات ، الا أن هذا لم يمنع اللواء الاردني عاطف المجالي معاون الفريق رياض من انتقاد بعض المقررات التي اتخذها رئيسه ، غير ان هذا ذهب في التمسك بقراراته الى حد العناد . وهكذا كانت الحال في مراكز قيادات الفرق والالوية المشتبكة مع العدو على الضفة الغربية ، اذ كان معظم أوامر رياض يثير اعتراض ضباط الوحدات المذكورة ، فيبادرون الى الاتصال بعاطف المجالي لاقناعه بخطل راي الفريق المصري ومطالبته بأن يدافع عن وجهة نظرهم امام الفريق . ودائما كان رياض يتشبث برأيه وينتهي الامر برضوخ الضباط وتنفيذهم الاوامر الصادرة . عبدالمنعم رياض رجل ذكي يضج بالحيوية ، ما في ذلك ريب ، لكنه بدا لي في الظروف العصيبة دون المستوى المطلوب ، وذلك بالرغم من هالة الوقار التي أحاط بها نفسه ليدخل في روع الآخرين انه يعرف أكثر مما يبدو انه يعرف ، مع ان الرجل من خريجي الاكاديمية العسكرية البريطانية وقد أمضى سنوات في التخصص في الكليات العسكرية في اميركا وروسيا وحتى في فرنسا . وهو رئيس اركان القيادة العربية الموحدة منذ ١٩٦٤ ، ولهذا

كان مفروضا فيه ان يعرف الجيش الذي دعي الى تولي قيادته ، وان يعرف الارض التي سيناور عليها ، وقد زار الاردن مرارا لهذا الغرض » .

كان من المعروف عن وصفي التل ان عداءه للمصريين لا يقل عن عداء الانكليز لهم وهذا واضح في نبرة التجريح التي يتحدث بها عن الضابط المصري ، عن غروره المزعوم ، و « عناده » وكونه « تحت المستوى المطلوب » . كما ان حديثه عن قبض المصريين على الزمام وتحكمهم بالمواقف والمقررات يتناقض على طول الخط مع ما قاله الملك حسين في نفس الكتاب . ولذا فان نظرة هذا السياسي الاردني الى العسكري المصري لا يمكن اعتبارها تقييما نزيها لشخصية الفريق رياض وكفاءته العسكرية . بنظر التل ارتكب رياض خطأين كبيرين (ص ١٠٨) أولهما « تصديقه ما كانت ترددة القاهرة » عن سحقها نطيران العدو . والسؤال الآن هو : كيف يمكن لرياض الا يصدق ما صدقه في البداية حتى قائده الاعلى نفسه : جمال عبدالناصر ؟ ثم يذكر التل ان غلطة رياض الثانية كانت في اقدامه على نقل اللواءين المدرعين من المواقع التي كانا يحتلانها ، دون مبرر استراتيجي . وفي الواقع كان لهذا الاجراء مبرر استراتيجي فائق الاهمية . فالفريق رياض ترك الجبهة الاردنية الشمالية ليدافع عنها الجيشان العراقي والسوري ، واصدر اوامره للواء السئين بالتوجه الى الخليل ؛ ومنها عبر الحدود الى بئر السبع ، أهم قاعدة للدروع الاسرائيلية ، لتحقيق الاتصال بالعناصر الامامية من الجيش المصري الذي كان يفترض فيه ان يكون قد اخترق خط الدفاعات الاسرائيلية ليتصل بالجيش الاردني في منطقة بئر السبع . هذه كانت الخطة المعدة سلفا ، أما سبب فشلها فلا يعود الى عدم كفاءة رياض، وانما الى تدمير الطيران المصري الذي نتج عنه انسحاب المصريين السريع .

يقول المؤلفان البريطانيان راندولف و ونستن تشرشل في كتابهما «حرب الايام الستة»(١٥) « ان الاسرائيليين كانوا يخشون هجوما أردنيا من منطقة طولكرم — قلقيلية صوب الساحل قرب ناتانيا ، لان الحدود الاردنية كانت لا تبعد عن البحر في تلك المنطقة الا مسافة عشرة اميال فقط . وكان من شأن هذا الهجوم لو تم بنجاح ان يشطر اسرائيل الى شطرين ، فيفصل شمالها عن جنوبها» . ويستخلص المعلقون من ذلك ان رياض كان يجب ان يهجم عبر تلك المنطقة وليس في الجنوب من الخليل والسموع باتجاه بئر السبع. ومن هؤلاء شليفر ايضا الذي يقول في كتابه (ص ٥٥) : « ان اختيار بئر السبع كان دليلا على مقدار ما انطوت عليه فكرة الدفاع الملازمة للعرب حتى في خطة « الهجوم المعاكس » . بئر السبع هي مدخل النقب ، والنقب بدوره مدخل سيناء . فالنفاذ الاردني في بئر السبع يخفف من الضغط الاسرائيلي على القوات المصرية في سيناء ، ومن الممكن نظريا ان يرغم الاسرائيليين على الانسحاب سريعا (في حال ثبات المصريين) لتجنب الوقوع في خطر التطويق . لكن قبل حرب حزيران كان كابوس الاستراتيجية الاسرائيلية هو اندفاع عربي عبر السهول الوسطى من مدينتي الحدود الاردنية الامامية ، قلقيلية وطولكرم ، اللتين لا تبعدان عن البحر سوى ١٢ كيلومترا . ونظريا ، نفاذ العرب ١٢ كيلومترا هناك يقطع تل ابيب عن حيفا والقدس الجديدة وطبريا والجليل . » **نظريا** يمكن تنفيذ هذه العملية ، ولكن لانها ظاهريا كاحل أخيل في الخارطة الاسرائيلية ، فلا بد ان الاسرائيليين أعدوا للدفاع عن نقطة الضعف هذه أقوى وحداتهم ، ولذلك كان من الضروري على الفريق رياض ، كاي قائد محنك واسع الحيلة ، الا يهاجم العدو في النقطة التي يتوقع ان يأتي منها هجومه . بيد ان شليفر كان على حق عندما وصف الاستراتيجية العربية بأنها تنطوي على فكرة الدفاع حتى في خطة الهجوم المضاد ، اذ لا ريب ان خطة رياض استهدفت تخفيف الضغط على القوات المصرية في سيناء ، وليس الى الغاء الوجود السياسي لاسرائيل ، وتحرير الارض المغتصبة ، فذلك هدف لم يكن ابدا قد خطر

جديا ببال القيادة السياسية العليا للاقطار العربية المتورطة تورطا فعليا في القضية الفلسطينية . اذن فتحت الظروف السياسية الدولية المعروفة ، لم يبق امام الفريق الا التحرك عسكريا داخل النطاق السياسي الضيق الذي عينته قيادته السياسية العليا . اذن فاستراتيجيته لم تكن تهدف الى تدمير اسرائيل ككيان سياسي ، بقدر ما كانت ترمي الى انشاء حالة من **الاعتقار** العسكري بين الجيوش المتحاربة من شأنه ان يؤدي في النهاية الى حل سلمي يجلب معه بعض المكاسب السياسية للعرب . هذا النمط من التفكير فشل طبعا ، لأن اسرائيل رفضت الاشتراك في اللعبة والتقيد بقواعدها ، تاركة للعربي ان يرتدي قفاز الملاكمة ويدخل حلبة الملاكمة لينازل خصمه ، ثم ليفاجأ بعدوه الاسرائيلي وهو يأتي بدون قفاز وانما بمدية طويلة يظل يطعنه بها حتى يمزق احشاءه . فما كان بالنسبة للقيادات السياسية العربية استعراض قوة في نطاق رياضي مهذب ، كان لاسرائيل صراعا حتى الموت . هذا هو الاختلاف الاساسي في تولج الفريقين نحو المشكلة . أما بقدر ما يتعلق الامر بالفريق رياض ، فالرجل كان جنديا يتلقى الاوامر من الزعامة السياسية ، ويحاول جهد امكانه التصرف داخل قيودها ، لينجز الافضل من مهمة هي في اساسها عفنة حتى الصميم .

ثم هناك نقطة وردت في حديث وصفي التل في « حربنا مع اسرائيل » لا بد من مناقشتها . قال التل : « لم يكن لدينا ضابط ارتباط في مصر ليوافينا بالخبر اليقين » . وهذا هو بلا شك اعتراف من جانب التل باشتراك حكومته في المسؤولية عن تفكك الارتباط بين الجيشين الحليفين ، المصري والاردني ، اذ كيف يمكن لدولة ان تخوض غمار حرب الى جانب حليف لها دون ان يكون لها ضابط ارتباط مع جيش ذلك الحليف ؟ هذه هي احدى الامور الاولية البديهية في الحروب . بل حتى محافظ القدس كان لديه ضابط ارتباط مع الجيش الاردني ، بينما الجيش الاردني نفسه لم يكن لديه ضابط ارتباط مع الجيش المصري ليوافيه بالخبر اليقين عن سير الامور في الجبهة المصرية .

للمؤلفين ديفيد كمشه ودان بولي ملاحظات جديرة بالاهتمام في كتابهما « عاصفة الرمال » بصدد تكوين الجيش الاردني . فهما يذكران انه في عهد الجنرال غلوب كان مفهوم الدفاع الاردني قائما على تركيز القوات الرئيسية في مناطق التلال ، مع الاحتفاظ بوحدات دفاعية صغيرة في القرى الامامية . وكانت حجة غلوب (وهي لا ريب صحيحة في نطاق السياسة الاردنية) ان هذا التوزيع من شأنه ان يحبط أية خطط اسرائيلية تستهدف الحصول على موضع قدم في مرتفعات الضفة الغربية . هذا المفهوم الغي في ١٩٦٢ عندما انشأت الحكومة الاردنية قوات الحرس الوطني المتكونة غالبا من الفلسطينيين وعهد اليها بحراسة المواقع الامامية . ولكن عمان عادت وحلت هذه القوات عام ١٩٦٥ لانها لم تكن تثق بولائها للنظام القائم . ولما بقيت المواقع الامامية دون حراسة كافية ، قررت الحكومة انشاء خمسة الوية نظامية جديدة تتألف في غالبيتها من سكان شرق الاردن ، ولكن حرب حزيران استبقت الاحداث عندما كانت هذه الالوية ما زالت في طور التكوين، فوقع على عاتق القوات المتمركزة في نقط مفاتيحية على التلال ، ان تنتشر على طول الحدود التي يبلغ امتدادها ٦٥٠ كيلومترا ، بينما يجب في حالة الحرب ان تتجمع هذه القوات المبعثرة ، فتلتئم سوية في قبضات حديدية لتحاول اختراق خطوط العدو في هجمات مركزة صلبة . وفعلا حاولت هذه القوات التجمع ، ولكن السلاح الجوي الاسرائيلي عاجلها بناباله ، فمنعها من ذلك واحرق قوافلها .

بالنسبة لهذا البحث ، فالجملة ــ المفتاح في تحليل المؤلفين هي المتعلقة بحل الحرس الوطني ، اذ ان ذلك الاجراء كان من اهم الاسباب التي ادت الى ضياع البقية الباقية من فلسطين في أيام معدودة. ومع ان الملك حسين أجاب على برقية من المشير عبدالحكيم عامر طالب فيها الاخير بتسليح المدنيين بسبب تدهور الموقف في الضفة الغربية ، قائلا

(أي الملك) « ان المدنيين مسلحون منذ وقت طويل »(١٦). فالواقع ان الحكومة الاردنية لم توزع الاسلحة الا على بضع مئات من المدنيين غير المدربين ، من بين مليون شخص في الضفة الغربيـــة . ومن اقسى الاتهامات التي تكـــال اليوم للمقاومة الفلسطينيـــة واكثرها تجنيا هي تلك التي تشير الى عجز المقاومة عن ارساء قواعد فعالة لها في الضفة الغربية المحتلة . وتناسى الناس قمع النظام الاردني لكل محاولة جـــرت منذ ١٩٤٨ لتسليح سكان البقية الباقية من فلسطين ، واعدادهم لمواجهة الغارات الاسرائيليـــة المتعددة ، بل والاهم من ذلك ، لاعدادهم للمقاومة المسلحة في حالة احتلال اسرائيل للضفة الغربية . ومع ان الحكومة الاردنية كانت دائما السباقة الى التخويف من خطط اسرائيل التوسعية ، الا انها لم تفعل شيئا على صعيد الاعداد الشعبي لمواجهة هذا الاحتمال الممكن جدا ، احتمال ان توسع اسرائيل اراضيها على حساب الاردن . بل بالعكس ، بذلت عمان قصارى جهودها لمنع السكان من الاستعداد للحرب . وهذا يعود بنا الى الموضع من كتاب « سقوط القدس » الذي تحدث فيه مؤلفه عن امكانية نشوء مقاومة ضارية للغزاة فيما لو سلح السكان ودربوا على حرب العصابات .

في عام ١٩٦٤ نشرت مذكرات الجنرال غريفاس(١٧)، بطل الثورة القبرصية، التي تضمنت الفقرة التالية : « ان اي بلاد تظن انها قد تتورط في حرب ، وعندما يتم التغلب على العقبة البسيكولوجية التي يبدو انها تمنع الحكومات من الاقرار بهذه الحقيقة ، فانه لامر سهل ان تختزن الدولة الاسلحة والمتفجرات سلفا ، وتعين الرجال الذين بمقدورهم ان يقودوا السكان ويحوزوا على ثقتهم . ويمكن تحقيق اشياء عظيمـــة بواسطة المواد القليلة كما برهنا على ذلك في قبرص . اما اذا كانت الموارد اللازمة متوفرة ، فالآفاق تصبح بدون حدود » . هذا الحديث الذي دونه واحد من اشهر قادة حروب التحرير في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كان ينبغي ان يكون الالهام لقطر كالاردن ، يتهدده على الدوام عدو طامع يعد الخطط العدوانية منذ زمن بعيد . عندما تبوأ الملك حسين عرش الاردن قبل عشرين عاما ، وكان آنئذ شابا متحمسا ، اصطحبه الجنرال غلوب ، قائد جيشه وصاحب السلطة الفعلية في البلاد ، في جولة تفتيشية على طول حدود الاردن الطويلة مع اسرائيل ، ليبين له استحالة حراسة كل شبر من الحدود ضـــد الاعتداءات الصهيونية المتكررة . وطبعا لم يكن الجنرال الكهل ، خريج قتال الخنادق في الحرب العالمية الاولى ، من تلامذة ماوتسي تونغ وغياب ليؤمن بالمقاومة الشعبيـــة وحروب العصابات والانصار . فبقدر ما يتعلق الامر بذهنيته العسكرية الاتباعية ، كان الدفاع عن المملكة الاردنية الهاشمية منوطا بالجيش النظامـــي . فاذا كان الجيش ، باقرار الجميع ، وحتى باقرار قائده غلوب ، هو غير قادر وحده على صد اي هجوم اسرائيلي محتمل ، فهذه قسمته ونصيبه ، ولا يمكن تغيير ما هو مكتوب على الجبين . اما ان يؤمن غلوب بطاقات الشعب الذي انيطت به مهمة حمايته ، فيدربه على القتال، وينشىء منه وحدات كبيرة لتساند الجيش النظامي في حالة اندلاع الحرب ، فهذا بالنسبة للجنرال الامبريالي هو بمثابة هرطقة عسكرية لا يمكن ان تخطر ببال غير البلاشفة وغيرهم من المشاغبين واعداء المؤسسات القائمة .

قبل خمسة قرون من ميلاد المسيح ، كتب صـــن تسو(١٨) عن استراتيجية القوتـــين المتكاملتين في ساحة القتال ، فقال : « الجيش الذي يستطيع صد هجوم العدو دون ان يتعرض للهزيمة هو ذاك الذي يعتمد على قواته العادية وغير العادية . القوات التي تتصدى للعدو هي العادية ، اما التي تهدد جناحه فهي غير العادية ، ولا يوجد قائد جيش يستطيع جني ثمرة التفوق من يد العدو دون استخدام القوات غير العادية » . وكتكملة معاصرة لهذا المذهب في الاستراتيجية ، اضاف ماوتسي تونغ(١٩) يقول : عمليات المقاومة والقوة الرئيسية تكملان بعضهما بعضا ، كالذراع الأيمن والذراع الايسر للانسان (..)

بامكان القوة النظامية بعد أن يشنتها العدو ان تقوم بحرب العصابات ، وعندما تعيد تجمعها تعود الى حرب الحركة (اي الحرب النظامية) كما فعل جيش الطريق الثامن (في حرب التحرير الصينية) . »

ويمكن علاوة على ذلك الاستشهاد بما حدث في روسيا في حزيران ١٩٤٤ عندما استطاع رجال العصابات السوفييت ــ الذين كانوا في الاساس جزءا من القوات النظامية ــ ان يشلوا مواصلات الالمان بعد اكثر من عشرة آلاف غارة شنوها على الطرق والسكك الحديدية ومحطات الراديو ومقرات القيادة وقوافل التموين، وكان هؤلاء الانصار يعملون في نطاق فرق كاملة كالجيوش النظامية .

اما في الاردن ، فالعقدة السائدة كانت عقدة الحدود ، مما يفسر تردد الملك حسين ثلاث مرات قبل ان يأمر جيشه بالانسحاب نهائيا من الضفة الغربية . وطبعا لم يتحول الجيش المنسحب الى القوة التي تحدث عنها صن تسو ، اذ لم يكن ذلك هو الدور المرسوم له . ولذلك فان انسحاب الجيش بالاضافة الى غياب أية قوة مقاومة اخرى ، وضع حركة المقاومة بالضفة الغربية في طريق مسدود ، وخسرت منظمات المقاومة المئات من رجالها وهي تحاول غرس جذور للمقاومة ضد الاحتلال في أرض كان النظام الاردني قد سبق القوات الاسرائيلية في كيلها حتى لا ينبت فيها رجال يحملون السلاح . يقول توم باري في كتابه عن المقاومة الارلندية ضد الاستعمار البريطاني في العشرينات(٢٠): « في مواجهة ١٢،٦٠٠ جندي بريطاني في منطقة كورك وقفت قوة ارلندية لم يتجاوز عدد أفرادها في اي وقت من الأوقات عن ٣١٠ مسلحين ، اي كان على كل ثائر ارلندي ان يواجه حوالي اربعين جنديا . فاذا برز التساؤل نتيجة لذلك لماذا لم يستطع البريطانيون بقوتهم الكبيرة ان يقضوا على الوحدات الارلندية الضئيلة العدد ، فالجواب على ذلك يجب ان يكون : النضال لم يكن بين الجيش البريطاني وبين قوة ارلندية صغيرة ، اذ لو كان الامر كذلك لابيدت القوة الارلندية في أيام ، **ولكن لأن النضال كان حربا شاملة بين الجيش البريطاني والشعب الارلندي ، فالمشكلة التي جابهها الجيش البريطاني لم تكن كيف يمكنه ان يحطم وحدات الثورة الارلندية ، وانما كيف يمكن تدمير مقاومة شعب .** »

ولكن لو افترضنا جدلا ان الاحتلال البريطاني لارلندا أتى في اعقاب نظام حكم ارلندي بذل كل جهوده لتحطيم ارادة الشعب، ومنعه عن المقاومة في حالة وقوعه تحت الاحتلال، فهل كان ممكنا عند ذلك ان يقاوم الشعب الارلندي بريطانيا المستعمرة بنفس القوة والعنف والجراة التي قاوم بها فعلا ؟ اذا كانت المقاومة الفلسطينية لم تنجح حتى اليوم في الضفة الغربية ، فذلك لانها ظلت مقاومة مناضلين معدودين لجيش محتل كبير ، وليس مقاومة شعب كامل له. فاذا تساءل أحدهم لماذا لم يدرس النظام الاردني التجارب التاريخية ، فسيجد الرد على تساؤله في كتاب المفكر الصيني المعاصر هو لنغ(٢١) عن التقاليد الديمقراطية في جيش التحرير الصيني الشعبي . فان هو لنغ سخر من محاولات امريكا المحمومة لدراسة اساليب حروب التحرير الشعبية والاقتباس منها من اجل التوصل الى افضل الطرق لمجابهتها وبالتالي اخمادها . فقد تساءل هو لنغ : كيف يمكن لجيش نظام استعماري غارق في المفاهيم الرجعية ان يفهم طبيعة قوة شعبية تناضل في سبيل التحرر ؟ كيف يمكن للمرتزقة او المجندين ارغاما ان يقاتلوا حسب اساليب الثوار الفيتناميين ؟ انه لتناقض ذاتي يثير السخرية ويجلب الرثاء . ولدينا مثال من التاريخ القريب على اخفاق الانظمة اليمينية في اعتناق أساليب الثورات الشعبية . فقد اصر اوجو كوو ، قائد الحركة الانفصالية في نيجيريا ، على اتباع استراتيجية الجبهات الثابتة ، اي الحرب النظامية ، ضد الحكومة المركزية ، لان مشاق حرب الانصار واهوالها تتطلب وجود حوافز لدى المقاتلين وقادتهم لم تكن لديه . ولذا فعندما انهارت

لجبهه في النهايه ، لم يبق اوجو كوو ليشن حرب الانصار ، وانما شحن سيارته المرسيدس معه في الطائره التي استقلها ليهرب من بيافرا .

يقول الملك حسين في « حربنا مع اسرائيل » (ص ٢٤) : « أما سكان الحدود فقد سلحناهم ودربناهم ، ولكن انى لهم ان **يواجهوا** هجوما مركزا تشنه قوات كبيره ؟ » معنى هذا القول ان النظام الاردني لم يسمع بحركات المقاومة الشعبية ابان الحرب العالمية الثانيه ، او بالهند الصينيه وقبرص والجزائر واليمن الجنوبي في جيلنا هذا . ان بامكان الولايات المتحدة ان تحتل فيتنام الشمالية كلها في خلال اسابيع معدودة ، وكوبا خلال ايام قليلة ، ولكن هل يمكن للبنتاغون ان يقوم بخطوة مثل هذه فيعرض جيشه لحرب استنزاف لا تعد خسائره الحالية في فييتنام شيئا بالمقارنة معها ؟ اذ بمقدور المقاومة الشعبية في كل من كوبا وفييتنام الشمالية ان تنزل عقابا بالجيش الامريكي لم يعرفه في تاريخه . اذن فليس المفروض ان **يواجه** سكان الحدود هجوما مركزا تشنه قوات نظاميه كبيرة مسلحة باحدث الاسلحة واثقلها ، فهذا معناه المذبحة ، وحمدا لله ان النظام الاردني لم يسلح ويدفع الى القتال سوى بضعة مئات من المدنيين فقط(٢٢) . فالدور الصحيح المناسب للمدنيين المسلحين هو ليس **مواجهة** الجيوش النظامية فوق جبهات ثابتة ، وانما شن الغارات الاستنزافية المنهكة خلف خطوطها وعلى طول جناحها، وليس بالضرورة اثناء الحرب النظامية نفسها ، وانما بعدها ايضا . كانت الخطوة الاولى في المسيرة نحو تحقيق تحرير فلسطين يمكن ان تتحقق لو ان النظام القائم كان جادا في المحافظة على اراضي البلاد جديته في الحفاظ على كيانه .

ولكن لنعد الى الحرب نفسها . القوات الاسرائيلية التي هاجمت الاردن لم تكن اكبر كثيرا من الجيش الاردني الذي تصدى لها ، وذلك لانشغال الجزء الاكبر من قوات العدو في سيناء . اما الطيران الاسرائيلي ، فان تفوقه الساحق كان سيضحى هزيمة ساحقة لو ان المدفعية الاردنية قصفت قواعده الجوية . ثم ان الضفة الغربية بمرتفعاتها وحقولها لا تجعل الجندي المدافع فيها مكشوفا تماما كالمقاتل في صحراء سيناء . وقد راينا ما حل بالطيران الامريكي في حملاته الشهيرة على لاوس ، عندما اسقط له الثوار حوالي ثلاثمئة طائرة في ايام قليلة ، علما ان هؤلاء الثوار لم تتوفر لديهم حتى الطائرات القليلة التي كانت متوفرة لدى النظام الاردني . ومع ذلك شلوا اقوى طيران في العالم ، واظهروا ضعفه امام الجميع .

باستثناء منطقة جنين حيث خاض اللواء الاربعون معارك ضارية حقا ، وبعض جيوب المقاومة في القدس ، فقد انسحب الجيش من الخليل وبيت لحم واللطرون دون مقاومة تقريبا ، وخسر الحرب كلها خلال ايام ثلاثة . وفي تقهقره المضطرب نسى حتى ان يزيل لافتات الطرق من اماكنها ، فبقيت هذه اللافتات ترشد القوات الاسرائيلية الزاحفة الى المواقع التي تبغي الوصول اليها ، مع ان ازالة اللافتات هو من الاجراءات البديهية التي يجب ان يقوم بها اي جيش منسحب ، ولكن الظاهر ان الضباط كانوا في عجلة من امرهم للوصول الى الضفة الشرقية . ثم هناك قضية محطة الرادار الوحيدة في الاردن، والواقعة في عجلون، اذ يقول الملك في «حربنا مع اسرائيل» (ص٦٣): «منذ صباح الاثنين ٥ حزيران ، وصلنا تقرير من مركز العمليات لسلاحنا الجوي يقول ان الرادار كشف وجود طائرات في منطقتين فوق المتوسط : ١ ــ على مسافة ٤٠ كيلو مترا الى الشمال من برديل . ٢ ــ الى الشمال الشرقي من بور سعيد . وذكر التقرير ان هذه الطائرات المجهولة تختفي عن شاشة الرادار ابتداء من منطقة تقع عند نقطة عمودية من مطار اللد في اسرائيل . ومن جهة اخرى اكتشف الرادار اشياء راسية في المتوسط . وشدد التقرير على ان هناك طائرات تحلق باتجاه اسرائيل ، على مستوى البحر ، في نقاط قريبة من هذه الاشياء الراسية . والنتيجة التي توصل اليها التقرير هي ان هذه

الطائرات تعمل انطلاقا من حاملة الطائرات . ونحن نعرف بطريقة لا تقبل الشك ان ليس لدى اسرائيل أية حاملة طائرات . والرادار لا يعطي جنسية الطائرة . وازداد ارتباكنا لاننا وفقا للمعلومات المصرية عن حصيلة الطائرات الاسرائيلية المدمرة ، يجب الا نواجه هذا العدد الضخم من طائرات العدو المستعدة للحرب استعدادا تاما . وحين قدرنا قوة الطيران الاسرائيلي ، حسب معلومات حلفائنا ، وجدنا ان هذا الضغط الجوي الكبير وغير الطبيعي لا يمكن ان يكون دون مساعدة اجنبية لاسرائيل . والذي زاد من اضطرابنا هو تناقض بعض طيارينا . فهؤلاء اكدوا انهم شاهدوا طائرات مطاردة اسرائيلية مشابهة لطائراتنا (هوكر هنتر) وبدا لنا ان هناك تفسيرا واحدا معقولا : هذه الطائرات هوكر هنتر ، وهي طائرات لا تملكها اسرائيل ، لا يمكن ان تأتي الا من قاعدة قريبة في الشرق الاوسط . وعلمنا فيما بعد ان هذه الطائرات ليست هوكر هنتر بل طائرات مستير اسرائيلية تشبه طائراتنا ويمكن الخلط بينها وبين الهوكر هنتر . وكمثل على الخلط الناتج عن تشابه هذين النوعين من الطائرات ، لن اذكر غير هذه الحادثة : قامت طائرات مطاردة اسرائيلية بمهاجمة احدى وحداتنا الآلية على الخطوط الامامية ، فلم تفعل هذه الوحدة شيئا . والسبب ان جنودنا حسبوا طائرات المستير طائرات هوكر هنتر التابعة لسلاح الجو الاردني (..) لقد اعتقدت في وقت حقا بوجود تدخل من الولايات المتحدة وبريطانيا وعندما اعلنت ذلك كنت مقتنعا به تماما » .

نجد اذن ان اسطورة التدخل الامريكي البريطاني لصالح اسرائيل لم تلد في مخيلة ناصر ، كما رددت الدعايات الغربية ، وانما مصدرها هو الرادار الاردني الذي حسب المسؤولون عن تشغيله ان الطائرات الاسرائيلية العائدة الى قواعدها من غاراتها على مصر هي طائرات امريكية او بريطانية قادمة من حاملات الطائرات في البحر المتوسط . اما خلط الطيارين الاردنيين بين المستير الفرنسية الصنع التي تستخدمها اسرائيل منذ منتصف الخمسينات ، والتي يشاهدها سكان الضفة الغربية وهي تحلق في تمارينها كل يوم ، وبين الهوكر هنتر البريطانية الصنع التي يستخدمها الاردنيون منذ نفس التاريخ تقريبا ، فهو أمر يرسم علامة استفهام وتعجب حول سلاح جوي يعد قائده الاعلى نفسه بين نسوره .

ويعترف الملك حسين في نفس الكتاب ايضا (ص ٥٤) بأن طياريه لم تكن لديهم فكرة واضحة عن المهام التي يجب عليهم انجازها ، فيقول : « اما الحديث القصير الذي دار بيني وبين الطيارين فقد عزز تشاؤمي بشأن العمليات التي سيدعى سلاحنا الجوي للقيام بها ، فطياروننا لا يعرفون بالضبط ما ينبغي لهم عمله . انهم طبعا ينفذون الاوامر بحرفيتها دون تردد ، ولكن الاوامر التي نصدرها اليهم مقتضبة جدا ويعوزها الوضوح ، ذلك ان افتقارنا الى المعلومات الصحيحة يجعلنا عاجزين عن اصدار تعليمات مفصلة ، فيضطر طياروننا والحالة هذه الى ارتجال المواقف لانهم لا يملكون ، شأن طياري اسرائيل ، معلومات واضحة تمكنهم من اتباع خط سير محدد وتنفيذ خطة واضحة المعالم والاهداف . فالطيارون الاسرائيليون يعرفون كل شيء عن الاهداف المحددة لهم » .

القارىء يستغرب لماذا لم يدر هذا الحديث القصير بين القائد الاعلى ونسوره **قبل** الحرب وليس اثناءها . كما انه يدهش لضعف الاستخبارات الاردنية الى هذا الحد . وهو اذ قد يغفر للاستخبارات المصرية فشلها باعتبار انه على الاقل تقع بين اسرائيل وقلب مصر رمال سيناء المترامية ، فانه يعجب لعقم الاستخبارات الاردنية في الوقت الذي تقع فيه عاصمة اسرائيل على بعد امتار من القدس العربية ، وفي الوقت الذي يمكن لاي ضابط اردني ان يراقب ما يجري في اجزاء كبيرة من اسرائيل الدقيقة الحجم بواسطة المنظار المقرب .

ماذا كانت خسائر الجيش الاردني في الارواح ؟ بعد الحرب مباشرة هول المعلقون

الغربيون من حجم خسائره قائلين ان عدة الاف من جنوده قد قتلوا . فكتب بيتر يونغ يقدر عدد قتلاه بأنه حوالي خمسة عشر الفا ، كما ان اربعة من الويته التسعة ابيدت . اما كتاب اللواء معن ابو نوار عن اللواء المدرع / ٤٠ الذي خاض اعنف المعارك ، فلم يتضمن معلومات يمكن ان يفيد منها الباحث ، وذلك لاكتفاء المؤلف بالتركيز على البطولات الفردية والجماعية لرجال هذا اللواء . ومع ذلك نفهم بطريقة غير مباشرة ان عدد قتلى اللواء بلغ ٩٥ رجلا ، منهم ثمانية ضباط : خمسة برتبة ملازم ، واثنان برتبة رئيس ، وواحد برتبة مقدم . اي ان نسبة القتلى من الضباط هي حوالي تسعة بالمئة ، وهذه نسبة ضئيلة اذا علمنا ان اسرائيل تفخر بان نسبة القتلى من ضباطها بلغت اكثر من ربع قائمة القتلى الشاملة . والنسبة الاخرى التي تسترعي انتباهنا في شهداء اللواء المذكور هي التي تشير الى ضآلة عدد الفلسطينيين المنتمين الى هذا اللواء ، فقد كان هناك حوالي عشرة قتلى من الفلسطينيين فقط ولا واحد منهم برتبة ضابط .

في الكتاب « حربنا مع اسرائيل » ذكر الملك حسين ان « حصيلة ايام المعركة الثلاثة التي عشناها حصيلة ثقيلة : ٦٠٩٤ قتيلا او مفقودا » . ولكن الذي حدث فعلا انه في نهاية شهر حزيران ، وجد المحاسبون في دائرة صرف الرواتب بالجيش الاردني ، انه باستثناء الجنود الذين وقعوا اسرى بيد العدو ، فان ١٩٣ رجلا فقط لم يظهروا لاستلام رواتبهم. اما شليفر ، فيقول في كتابه (ص ٨٠) : « من الصعب تقدير عدد الجنود الاردنيين الذين قتلوا في معركة القدس او في الضفة الغربية . اني اقدر على اساس سجلات قيد الاوقاف للمدفونين والتقارير التي وضعها شاهدو عيان ان ما يزيد قليلا على ٢٠٠ جندي اردني قتلوا في منطقة القدس **ومعظمهم من الاحتياطيين تحت التدريب** . ولما تم وقف اطلاق النار نقلت المصادر عن عمان ان الجيش قد « ابيد » على الضفة الغربية . وفي ايام قليلة انخفض العدد الى ٧٠٠٠ رجل بين قتيل ومفقود . والرقم غير الرسمي الذي امكن الحصول عليه الان من دوائر سياسية وعسكرية محترمة هو ١٩٣ قتيلا ، انما هذا لا يضم الاحتياطيين تحت التدريب . ولكون معركة المشاة الوحيدة بين الاردنيين والاسرائيليين وقعت في القدس ، اقدر ان الحقيقة لا تبعد عن الرقم الاخير » .

معنى ذلك ان الجيش فقد في حربه دفاعا عن القدس وبيت لحم ونابلس وطولكرم وجنين ورام الله واريحا وبيت جالا وقلقيلية والخليل لا اكثر من اربعمائة قتيل ، على ابعد تقدير . اي اقل من واحد بالمئة من مجموع قوته التي تبلغ حوالي ٥٦ الف رجل . ولا ريب ان هذا كان السبب الاول في عدم نشر الحكومة الاردنية لاحصاء رسمي عن عدد القتلى والجرحى والمأسورين في جيشها . ومع ذلك ، فعندما سأل الصحفيان الفرنسيان الملك حسين (ص ٨٩) : « هل حاولت ان تحاكم المسؤولين عن بعض الاخطاء التي ارتكبت ، كما حصل في القاهرة ؟ اجاب الملك : لا . كل واحد تصرف وفق مقدرته وامكاناته وطاقاته . البعض قام بعمل فوق طاقته . والبعض الاخر لم يكن بامكانه ان يفعل اكثر مما فعل . والاخرون كانت امكاناتهم المحدودة تجعلنا لا نأمل منهم ان يقوموا بأكثر مما قاموا به » . معنى ذلك ان التصرف وفق المقدرة والامكانات والطاقات يشمل الهرب من ساحة القتال والتخلي عن الجنود ، ولكن الظهور في اخر الشهر لقبض الراتب . ويعني ايضا انه اذا لم يكن باستطاعة جيش النظام ان يثبت مقدرته امام الجيش الاسرائيلي (فيما عدا معركة جنين ومعركة الكرامة) فلا بأس ان يثبت قوته على الشعب الفلسطيني . ومع ذلك ، فحتى ضد الفدائيين المسلحين بالاسلحة الخفيفة، وضد الميليشيا التي لم تسنح لها الفرصة لاستكمال تدريبها ، كان اداء جيش النظام ليس من الدرجة التي تجلب عليه ثناء الخبراء العسكريين . لنقارن بين فتح الاسرائيليين لمدينة عدوة هي القدس ، واقتحام جيش النظام لعاصمة بلاده ، عمان ، في ايلول ١٩٧٠ . في حرب حزيران تمكن الجيش الاسرائيلي من احتلال القدس في اقل من يومين ، مع احداث

اقل قدر ممكن من الاضرار في مباني المدينة المقدسة . اما جيش النظـــام الاردني الذي قطع الماء والكهرباء عن عاصمته ، وحاول اقتحام عمان وكأنه جيش غاز يريـــد تدمير المدينة فوق رؤوس اهلها بعد ان كاد الجوع والعطش يفتكا بهم ، فقد واصل قصفه لها بكل مدافعه الثقيلة والخفيفة حوالي اسبوعين دون جدوى . بعد هذه الحملة ، صرح الملك حسين لجريدة لوموند ان استخباراته كانت قد أكدت له في البداية ان بامكان جيشه تطهير العاصمة من الفدائيين والميليشيا خلال اربع وعشرين ساعة !

ثم ان محاولة الجيش اقتحام عمان برهنت في سياقها على ان تكتيكاته لم تتحسن كثيرا بعد حرب حزيران . فقد ابـــدى الجنود البدو ضعفا فاضحا في قتال الشوارع وذلـــك لاعتمادهم الكلي على المصفحات والدبابات ، مع ان هذه وحدها لا تكفي لتطهير مدينة كبيرة من عدة الاف من المسلحين . بل كان المفروض على وحدات المشاة ان ترافق الدروع للقضاء على جيوب المقاومة في كل بيت وحول كل منعطف بالطريق . ولكن الذي حصل ان البدو قبعوا طوال الوقت تقريبا داخل مصفحاتهم ودباباتهم . كتب المؤلفان البريطانيان بيترسنو وديفيد فيليبس(٢٣) : « ابدى الاردنيون ترددا في توريط مشاتهـــم لاستخراج الفدائيين من مخابئهم ، ولهذا صدرت الاوامر للدبابات والمصفحات باطلاق النيران من مدافعها الضخمة على اي بيت تنطلق منه رصاصة في اتجاههم . وكـــانت نتيجة هذه الاوامر دمارا فظيعا » . كما تحدث المؤلفان عن فشل العميد غاصب في محاولته قطع الطريق المؤدية الى سوريا بمنطقة الرمثا ، بالرغم من ان الفدائيين الذين جابهوا دباباته السنتوريون والباتون لم يكونوا مزودين بعدد كاف من المدافع المضادة للدروع .

ومع ان المقاومة كانت تعاني من عدم وحدة القيادات والضعف في التنسيق ، وبالاضافة الى ذلك ونقص الخبرة القتـــالية وعدم توفر الاسلحة المضادة للدروع والذخـــيرة بكمية كافية(٢٤)، وبالرغم من ان جيش النظام حاول اقتباس بعض اساليب الجيش الاسرائيلي كغزارة النيران لرفـــع معنويات من يستخدمه ، واسلـــوب القبضة الحديدية لخـــرق الخطوط ، فان اداءه في ايلول ١٩٧٠ لم يتفوق كثيرا على ادائه في حزيران ١٩٦٧ .

ويحق لنا هنا ان نتساءل عن سبب هذا التخاذل في جيش يفترض فيه ان يكون محترفا وحسن التدريب ، يتقاضى افراده الرواتب العالية ، ويستعملون الاسلحة الحديثة ولهم تقاليد حربية ارسختها فيهم عدة حروب خاضوها على مدى نصف قرن من الزمن . قبل حرب حزيران ، كلف الملك حسين استاذا في جامعة لندن يدعى فاتيكيوتس ليؤلف كتابا عن الجيش الاردني . وكان فاتيكيوتس اليوناني الاصل الـــذي ولد ونشأ في القـــدس العربية خبيرا في الشؤون العربية وسبق ان الف كتابـــا عن الجيش الاتحادي الـــذي أسسته بريطانيا في عدن وقاده ضباطها ليحمي الاتحاد الفدرالي في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وهو الاتحاد الذي تعهدته بريطانيا برعايتها الى ان اسقطته الثورة الوطنية عام ١٩٦٧ وشتت شمل سلاطينه . والبروفسور فاتيكيوتس هو رجـــل لا ينظر بعين العطف الى العرب ، وتشهد بذلك كتبه الاخرى التي الفها عنهم . الا انه عموما يقف الى جانب الانظمة العربية اليمينية ويدافع عنها قدر المستطاع . ولذلك جاء كتابه محـــاولة لتبييض صفحة النظام الاردني . ولكن حتى هـــذا المؤلف اليميني المتحيز ضد العـــرب عنصريا ودينيا ، والراغب في استثناء النظام الاردني من دائرة كراهيته ، حتى هو لم يملك الا ان يقر في خاتمة كتابه(٢٥) بأن الجيش الاردني هو جيش مرتزقة . وفي الطرف المضاد ، توصل خليل هندي الى استنتـــاج مماثل في بحثه المنشور كفصل في الكتـــاب « المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني » فكتب في الصفحة ١١١ : « تلخيصا نقول ان المهمة التي وقعت على عاتق الجيش الاردني منذ البداية كـــانت تأمين سلطة الامـــير عبدالله ومن ثم حفيده حسين على البلاد والوقوف في وجه اية محاولة لتحدي هـــذه السلطة وحماية العائلة المالكة من اي اخطار داخلية تتهددها . اي ان الجيش الاردني

انشىء كقوة قمعية ولا يزال يلعب هذا الدور حتى الان . وبينما حصل الاردن على « استقلاله » عام ١٩٤٦ ، كان الجيش قد شكل ونما وتطور منذ العام ١٩٢١ . اي ان الجيش قد سبق الدولة في نشوئه ويمكن القول ان الجيش بهذا المعنى ، هو الذي خلق الدولة » .

هذا الاستنتاج يكاد ينطبق ايضا على الجيش الاسرائيلي الذي كان يدعى الهاغاناه في عهد الانتداب . مع الفارق طبعا في دوري الجيشين : الاردني والاسرائيلي ، فاذا كان الجيش الاسرائيلي يعتمد على اليهود في مختلف ارجاء العالم ليتطوعوا في صفوفه ويدافعوا عن دولة اسرائيل ، فان « رجال القبائل من جنوب الاردن وصحاري سورية والعراق الشمالية الشرقية والمناطق الواقعة على الحدود الشرقية مع المملكة العربية السعودية يستمرون في التدفق على الفيلق للانخراط به »(٢٦) . ثم يلاحظ فاتيكيوتس ان هؤلاء يتركزون كباقي البدو في وحدات المشاة والمدرعات ، حتى ان نسبتهم في بعض الالوية فاقت النصف في عام ١٩٥٦ ، ويستخلص من ذلك ان « هؤلاء المجندين يشكلون اساسا مجموعة من المرتزقة ، **وهذا لا يعني ان الجنود البدو الذين ياتون من الاردن هم بالضرورة اقل ارتزاقا** » ويكتب فاتيكيوتس ايضا : « من الصعب اثارة اهتمام الجنود الذين يشكلون في الجوهر جماعة مرتزقة بأي حركة سياسية ضد النظام الا بالوعود المادية السخية جدا » . وفعلا كانت مجلة تايم الامريكية قد ذكرت في تقرير صحفي عن الاردن ، بان الملك حسين وهب ، بلا اي سبب معين ، كل جندي في القوات الخاصة (المعدة ضد المقاومة الفلسطينية) مبلغ خمسين دينارا ، هذا بالاضافة الى الزيادات المستمرة في الرواتب التي جعلت افراد الجيش يتقاضون رواتب تفوق ما يتقاضاه اي جيش عربي اخر باستثناء جيش الكويت .

ذكرنا في بداية البحث ان الجيش الاردني كان موضع انتقاد المعلقين العسكريين لان وحداته رفضت في اكثر الحالات ان تغادر استحكاماتها لتلتحم بالعدو . ولعل ذهنية البقاء في مواقع ثابتة هي متاصلة في الجنود المرتزقة دائما . ففي ١٩٦٧ ظهر كتاب(٢٧) الفه ضابط بريطاني من المرتزقة كان قد ساهم في انشاء جيش الليفي في سلطنة عمان وتحدث فيه عن المتاعب التي لاقاها اثناء تدريبه للجنود العرب والبلوش . كتب المؤلف : « بالنسبة للعربي او البلوشي ، لا يوجد هناك الا اسلوب واحد لخوض القتال . انه يتناول بندقيته ويختبىء خلف صخرة ، ثم يطلق النار على العدو . وعندما يرد العدو على اطلاق النار ، يحني راسه خلف الصخرة حتى لا يصيبه الرصاص . فاذا توقف العدو عن اطلاق النار ، رفع عينيه فوق الصخرة واستانف القتال ، وهكذا دواليك الى ان يحل المساء ، او تنفذ ذخيرته . اما ان يخرج من مخبئه ويهاجم العدو ، فهذه فكرة لا تخطر بباله » . وتحدث المؤلف بعد ذلك عن التمرين الحربي Drill الذي اعده لجنوده المرتزقة كي يجعلهم يتحركون اثناء المعركة ، فيهاجمون ويناورون ولا يكتفون بالاختباء خلف الموانع الطبيعية والمصطنعة طوال الوقت واطلاق النيران من خلفها . ويتضمن هذا التمرين سلسلة من الحركات التي يجب على الجندي ان يقوم بها اثناء المعركة لانماء الروح الهجومية فيه . ومن اجل أن يغرس الضابط البريطاني هذه الروح في نفوس جنوده المرتزقة ، وضع مدربا **خلف** الرجال ليطلق النار فوق رؤوسهم اثناء التمرين ، بينما هم يثبون من موقع احتماء الى اخر صوب مواقع العدو في حركات تكاد تكون اوتوماتيكية .

ان هذا الضابط البريطاني عندما اتهم العرب بانهم لا يقاتلون الا من وراء الاستحكامات، فان خبرته لم تتعد قيادة المرتزقة الذين لا يوجد لديهم اي دافع غير المال لان يجازفوا بحياتهم في سبيل دعوة لا تهمهم . ولكن لو انه اشترك في الحملة البريطانية ضد قبائل ردفان باليمن الجنوبي في منتصف الستينات ، لكان له راي اخر في الموضوع .

ومن الجدير بالذكر ان البريغادير يونغ ذكر في كتابه « الحملة الاسرائيلية ١٩٦٧ » (ص ١٣٩) انه كان قد اقترح على رؤسائه اثناء قيادته احدى الوية الجيش الاردني بالخمسينات ان تدرب وحدات مغاوير ليقوم افرادها بتدمير السلاح الجوي الاسرائيلي النامي ، على الارض ، في عمليات تشبه عمليات الكوماندو اثناء الحرب العالمية الثانية، باعتبار ان هذا السلاح الجوي سيصبح يوما ما خطرا كبيرا على الاردن الذي لن تسمح له موارده ابدا ببناء طيران يماثل طيران العدو قوة . ولذا لا مناص من تدمير الطائرات الاسرائيلية على مدارجها بواسطة المغاوير . ولكن هذا الاقتراح رفض ، كما بين يونغ. ولا ريب ان الذي رفض الاقتراح هو قائد الجيش العام نفسه ، الجنرال جون غلوب ، باعتبار ان الدور الذي ارتئاه يونغ للجيش الاردني لم يكن يتفق مع الدور الذي رسمته له قيادته العليا .

ويقول يونغ في كتابه ايضا ، ان الاسرائيليين عثروا على نص خطة اردنية ترمي الى القيام بهجوم انتقامي على مستعمرة موتزا ، وقتل جميع سكانها دون استثناء . وقال ان هذه الخطة هي مؤرخة في ٧ حزيران ١٩٦٦ وتحمل توقيع احمد شحاده الحوارثة . سأل الصحفيان الفرنسيان فانس ولوير الملك حسين عن هذه الخطة التي ادعت اسرائيل انها عثرت عليها اثناء حرب حزيران ، فاجاب الملك (ص ٤٦) : « ان اسرائيل قد نظمت القرى الواقعة في منطقة اللطرون تنظيما ذا طابع مزدوج : مدني وعسكري . وعلى اثر الاعتداء على السموع ، رسمنا خطة نرد بها على العدو ان هو ارتكب اعتداءات مماثلة . ولو انه فعل لكنا قد رددنا له التحية بمثلها . لاننا اعطينا الافضلية في الرد لاهداف ذات طابع شبه عسكري وقررنا ان يأتي ردنا فوريا . وهذه الخطة التي لا علاقة بها بحرب حزيران هي التي زعمت الاستخبارات الاسرائيلية انها عثرت عليها. وانها تشتمل على اوامر بالهجوم على قرى اللطرون . والواقع اننا ما فكرنا قط بشن هجوم على اسرائيل . وهل يعقل ان تجول هذه الفكرة في رؤوسنا وامكاناتنا المحدودة تقعدنا عن القيام بمغامرة من هذا العيار ؟ »

اقوال الملك هذه حافلة بالتناقضات . فهو اولا يقول : « رسمنا خطة وكنا على وشك ان نرد على العدو » . ثم ينهي الفقرة قائلا : « وهل يعقل ان تجول هذه الفكرة في رؤوسنا وامكاناتنا المحدودة تقعدنا عن القيام بمغامرة من هذا العيار ؟ » هل يعني بذلك يا ترى ان الهجوم العام على اسرائيل مجازفة كبرى ، بينما الغارة على مستعمرة اسرائيلية هي مغامرة محدودة العواقب وان اسرائيل ستسكت عنها ؟ ثم ما هو تفسير اعترافه بوجود هذه الخطة ، ثم قوله بعد ذلك « هذه الخطة هي التي زعمت الاستخبارات الاسرائيلية انها عثرت عليها » . ما معنى « زعمت » في هذه الحالة ؟

وعلى كل حال ، فانه لدليل على استعجال القادة الاردنيين لمغادرة الضفة الغربية ، تركهم الوثائق الخطيرة تسقط بيد العدو . ومع ذلك ، وقف الشريف ناصر بن جميل يتحدث الى مراسل ديرشبيغل الالمانية بعد ايام قليلة من الحرب ، ويخبره ، بصفته احد قادة الجيش الاردني ، بأن جيشه على الاقل لم يترك خمسة وثمانين الفا من افراده ليقعوا بيد العدو كما فعل الجيش المصري . فاذا ادركنا ان الاسرائيليين انفسهم لم يزعموا انهم اوقعوا هذا العدد الهائل في الاسر ، علمنا كم هي درجة تحامل هذا الشريف على المصريين . بل انه لم يتوقف عند هذا الحد ، اذ صرح ايضا للمراسل الالماني قائلا: نحن العرب نقف مع المانيا منذ عهد هتلر . فنشر الحديث في المجلة الالمانية الشديدة العداء للنازية تحت العنوان : نحن العرب نقف مع المانيا منذ عهد هتلر . والظاهر ان الجنرال ناصر لم يكن قد وصله علم بعد بالحساسيات البالغة التي تسود المانيا الغربية اليوم حيال اي مديح للنازية . ومن الطريف انه بعد اشهر معدودة من نشر هذا التصريح البليد لاحد كبار قادة الجيش ، نشرت مجلة دير شبيغل مقالا للملك حسين هاجم فيه

الاعلام العربي في الخارج واصفا اياه بالغباء !

في هذا البحث حاولنا ان نعقد مقارنة بين اداء جيش النظام الاردني في حربين ، اولهما ضد عدو خارجي ، وثانيهما ضد اغلبية شعبه . ولا مناص من القول ان القوات التي قادها حابس المجالي وناصر بن جميل وزيد بن شاكر أبدت حماسا ضد المقاومة الفلسطينية ومؤيديها اعظم من حماسها في مقاتلة العدو الاسرائيلي . فظهرت صحف العالم وهي حافلة بانباء الفضائح التي تعرض لها الشعب الفلسطيني على أيدي البدو الذين سودوا وجوههم بالفحم حتى لا يمكن التعرف عليهم اثناء ارتكابهم المخازي . فقصفت المخيمات بقنابل الفوسفور والنابالم ، ودفن الجرحى احياء ، وانتهكت الاعراض ، وذبح الاناس العزل بالجملة . حتى المستشفيات لم تسلم من الجنود البدو الذين بعد ان قصفوها بالقنابل ، هجموا عليها وذبحوا الجرحى وهم على أسرة العمليات في قاعات الجراحة ، حتى ان الفريق مشهور حديثه ، قائد الجيش السابق ، وصف هذه المذابح بانها كانت بينك فيل اردنية ، نسبة الى مجزرة ميلاي الشهيرة التي قتل فيها الامريكان عدة مئات من الفييتناميين الجنوبيين ، رجالا ونساء واطفالا . وقد اخبر الملك حسين مراسل احدى الصحف الاجنبية بأن الحادثة التي شجعته على ضرب المقاومة هي مشاهدته اثناء زيارة تفتيشية لاحدى الالوية المدرعة ، قطعة ملابس داخلية نسائية معلقة على انتين دبابة ، فلما سأل الضابط المسؤول عن تلك الدبابة عن مغزى ذلك ، اجابه الاخير : معناه اننا اصبحنا نسوان بعد ان اهاننا الفدائيون وتجاوزوا على كرامتنا ! والسؤال الان هو : الم يكن من الانسب لو علق هذا الضابط قطعة الملابس على دبابته في الثامن من حزيران ١٩٦٧ ؟

---

١ ــ فيك فانس وبيار لوير : **حربنا مع اسرائيل** (دار النهار للنشر ــ بيروت ١٩٦٨) . عنوان الكتاب في الاصل الفرنسي هو Hussein de Jordanie : *Ma Guerre avec* Israel.

٢ ــ اللواء معن أبو نوار : **اللواء المدرع/٤٠** .

٣ ــ سعد جمعه : **المؤامرة ومعركة المصير** الكاتب العربي ــ بيروت ١٩٦٨ .

٤ ــ سليمان عبدالله شليفر : **سقوط القدس** (دار النهار ــ بيروت ١٩٧١) .

٥ ــ Peter Young, *The Israeli Campaign 1967*, London: William Kimber, 1967.

٦ ــ كتب شليفر (ص ٦٨) : وبصفته (أي كمال الطاهر) أحد الضباط الاردنيين المقربين بصورة خاصة الى الشريف ناصر فقد أخمد الحركات الثورية في الضفة الغربية في وقت انتفاضة السموع قاطعا التيار الكهربائي والماء وفارضا منع التجول تحت خطر اطلاق النار على كل من يشاهد خارج بيته ، وذلك حين ثار سكان الضفة الغربية في شتاء ١٩٦٦ طالبين السلاح ليقاتلوا اسرائيل . وفي تحليل وضعه قائد الجبهة الشرقية الفريق عبد المنعم رياض اثار قضية اساسية هي كيف استطاع هذا اللواء الذي حشد لقتال الاسرائيليين في قطاع عبد العزيز ان ينسحب بكامله دون ان يمس بمثل تلك السرعة الى اريحا التي تبعد ٤٠ كيلو مترا . وقال (اي رياض) : كانت هذه بلا ريب اسرع حركة في التاريخ العسكري .

٧ ــ **المصدر نفسه** : ص ٥٣ .

٨ ــ **المصدر نفسه** : ص ٥٣ .

٩ ــ **المصدر نفسه** : ص ٥٣ .

١٠ ــ **المصدر نفسه** : ص ٦٧ . كتب شاهد العيان شليفر : « يظهر ان هذه كانت القاعدة التي فرضت على اللواء المدافع عن القدس بأكمله فكان الناس في الجوار يقدمون الطعام الى الجنود » .

١١ ــ يجب مقارنة ذلك مع قول الملك حسين في « **حربنا مع اسرائيل** » : « ارتأى الفريق عبد المنعم رياض ، رغبة منه في تكثيف النيران الموجهة الى قواعد العدو الجوية اشراك المدفعية الثقيلة ذات المدى البعيد في عملية القصف » .

١٢ ــ لما كان الاصل الانكليزي لكتاب شليفر كما ظهر منه فصل في *Journal of Palestine Studies* (العدد الاول) الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ــ بيروت : ١٩٧١ ،

يختلف في بعض المواقع عن الترجمة العربية كما نشرتها دار النهار ، فهذه الفقرة ترجمها الكاتب عن النص الانكليزي الاصلي .

١٣ ــ **المصدر نفسه** .

١٤ ــ David Kimche & Dan Bawly: *Sandstorm, The Arab-Israeli War of June 1967, Prelude and Aftermath*, London: Secker and Warburg, 1968, p. 197.

١٥ ــ Randolph & Winston Churchill: *The Six Day War*, London: Heinmann, 1967, p. 126.

١٦ ــ « **حربنا مع اسرائيل** » ــ ص ٧١ .

١٧ ــ Charles Foley: *The Memoirs of General Grivas*, Longmans, London, 1964, pp. 10-11.

١٨ ــ Michael Elliot-Bateman, editor: *The Fourth Dimension of Warfare* (Vol. I). Manchester University Press, 1970, p. 138.

١٩ ــ Mao Tse Tung: *Selected Military Writing*, Peking, p. 321.

٢٠ ــ Tom Barry: *Guerrilla Days in Ireland*, p. 192.

٢١ ــ Ho Lung: *Democratic Tradition in the Chinese People's Liberation Army*, Peking, 1965.

٢٢ ــ راجع حديث شليفر في كتابه عن دفع القيادة الاردنية بعض القرويين غير المدربين لمهاجمة جبل المكبر في مكان اخر من هذا البحث .

٢٣ ــ Peter Snow and David Philips: *Leila's Hijack War; The True Story of 25 Days in September 1970*. London: Pam Books Ltd., 1970.

٢٤ ــ خليل هندي وفؤاد بوارشي وشحاده موسى ، باشراف الدكتور نبيل علي شعث : **المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني ــ دراسات تحليلية لهجمة ايلول** ــ بيروت : مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف ١٩٧١ .

٢٥ ــ P. J. Vatikiotis: *Politics and the Military in Jordan: A Study of the Arab Legion: 1921-1957*, London, Frank Cass, 1967.

٢٦ ــ **المصدر نفسه** .

٢٧ ــ P. S. Alfee: *Warlords of Oman*, Curtis Books, New York 1967, pp. 135-136.

صدر عن مركز الابحاث

المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني

دراسة تحليلية لهجمة ايلول

بقلم

خليل هندي وفؤاد بوارشي وشحادة موسى

باشراف

الدكتور نبيل علي شعث

٥٠٢ صفحة ٥ ل.ل.

تضاف اجور البريد : ١٠٠ ق. ل. في البلاد العربية
٢٥٠ ق. ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر دول العالم

تقريران
عن الاوضاع في الضفة الغربية المحتلة
في السنتين الاوليين للاحتلال

مراسلة خاصة في الارض المحتلة

التقرير الاول : الاوضاع الامنية

اتبعت اسرائيل في الهيمنة على الضفة الغربية وتهدئتها سياسة برغماتية تعتمد على المرونة والقسوة في آن واحد وفقا لما تتطلبه الظروف . فمن ناحية سمحت سلطات الاحتلال بقدر كبير من الحرية للسلطات المحلية في ادارة شؤون مناطقها بدون تدخلات غير مبررة في كل صغيرة وكبيرة مما خلق جوا من الارتياح النفسي النسبي المفاجيء لدى السكان بالقياس الى القمع الذي كانت تعانيه جماهير الضفة الغربية من ارهاب الحكم الهاشمي، ومن ناحية اخرى كانت اسرائيل ترد على اعمال المقاومة والتمرد ضد الاحتلال بسرعة فائقة وبتدابير قوية وقاسية مما مكنها ، بعد فترة من الزمن ، من تحويل الضفة المحتلة الى منطقة هادئة نسبيا وخاصة اذا قورنت بالوضع المتفجر الذي يعيشه قطاع غزة من حيث مقاومة جماهيره المستمرة للاحتلال وسيطرته . ويرصد هذا التقرير السياسة « الامنية » التي اتبعتها سلطات الاحتلال في الضفة خلال اول سنتين من وجودها هناك بالاعتماد على مصادر المعلومات الاجنبية بما فيها المصادر الاسرائيلية .

بعد أن احتلت القوات الاسرائيلية مدن الضفة الغربية كان اول عمل قامت به هو فرض نظام حظر التجول واستدعاء المسؤولين المحليين للتوقيع على شروط الاستسلام ودعوة السكان الى تسليم ما لديهم من الاسلحة(١). هنا لجأت اسرائيل ، لتبرير اجراءاتها ، الى قانون الطوارىء الذي يسمح لوزارة الدفاع باعلان بعض اجزاء من البلاد « مناطق امنية » ، وطبق هذا الاجراء مباشرة على منطقة اللطرون حيث تقع القرى التالية : يالو وبيت نوبا وعمواس مما ادى الى تدميرها وطرد سكانها البالغ عددهم ٤٤،٠٠٠ نسمة ، كما واقيمت الحواجز لمنعهم من العودة اليها . أما الاراضي الزراعية التابعة لهذه القرى فقد اعطيت لبعض الكيبوتزات لتقوم بزراعتها . واتخذت السلطات العسكرية الاسرائيلية اجراءات مشابهة في قلقيلية وبعض القرى الاخرى الواقعة على خط اتفاقيات الهدنة والى غرب الخليل . ولم يسمح فيما بعد الا لسكان قلقيلية بالعودة الى قريتهم واعادة بناء منازلهم ، الا ان عددا كبيرا منهم كان قد نزح الى الضفة الشرقية(٢).

كذلك اعلنت سلطات الاحتلال المنطقة المحاذية للنهر على انها « منطقة امنية » علما بان ٨٠ بالمئة من سكان اريحا والمخيمات المحيطة بها قد نزحوا الى الضفة الشرقية اثناء الحرب ولم يبق في المنطقة الا حوالي ٩،٠٠٠ شخص . كان اكبر تجمع سكاني آخر في المنطقة موجودا في اراضي الجيفتلك على الطريق الرئيسية الى نابلس . كان تعداد سكان البلدة مع مخيم اللاجئين الموجود فيها حوالي ٦،٠٠٠ نسمة ، لم يبق منهم سوى ١،٠٠٠ شخص بعد وقف اطلاق النار . وقد قام الجيش الاسرائيلي بهدم ابنيتها ومنازلها لمنع الفدائيين من الاختباء فيها(٣). بعبارة اخرى ، جعلت السلطات الاسرائيلية من هذا الشريط من الضفة الغربية « منطقة امنية » مع انه اصبح خاليا من

السكان تقريبا بالاضافة الى حظر التجول المفروض على اريحا . ان اعلان اي قطعة من البلاد على انها « منطقة امنية » يعني قطع اخبارها عن العالم الخارجي مما يسمح لسلطات الاحتلال بالتصرف بها بحرية تامة وعلى هواها ووفقا لاهدافها التوسعية بدون اية رقابة خارجية وبعيدا عن اي احراج دولي .

خصصت الحكومة الاسرائيلية حوالي ٣٠،٠٠٠ جندي لضبط الضفة الغربية وضعتهم في ثكنات الجيش الاردني(٤). وهذه القوات مجهزة للتدخل الفوري حيث تدعو الحاجة ، ومن واجباتها القيام بأعمال الدوريات المنتظمة بمحاذاة النهر وعلى الطرقات الرئيسية خاصة في الليل وفي الساعات الاولى من الصباح . وبما أن دوريات العدو محمولة فباستطاعتها الحصول على النجدات بسرعة كبيرة مما مكنها من السيطرة على مدن الضفة الغربية بدون التواجد فيها بصورة مستمرة وظاهرة . اي أن السياسة التي طبقتها قوات الاحتلال هي السيطرة على المراكز الرئيسية في الضفة الغربية مع تجنب الاحتكاك اليومي بالسكان . وعندما تدخل هذه القوات في عمليات ضد الفدائيين في التلال او بالقرب من النهر فانها تستنجد بطائرات الهليوكبتر وطائرات المراقبة الخفيفة كما انها زرعت الالغام ووضعت الحواجز المكهربة بمحاذاة النهر للكشف عن الفدائيين الذين يعبرون الى المنطقة المحتلة . أما بالنسبة للسكان فقد سيطرت سلطات الاحتلال على تحركاتهم عن طريق اقامة الحواجز في الطرقات وفرض نظام حظر التجول واجبارهم على حمل بطاقاتهم الشخصية باستمرار . ويتم تخفيف هذه الاجراءات او تشديدها وفقا للظروف . على سبيل المثال أزيلت الحواجز ونقاط التفتيش في الضفة الغربية في ايار ١٩٦٨(٥) ولكن اعيد فرضها في كانون الاول من نفس السنة بعد احد الانفجارات الكبيرة التي وقعت في القدس . في خريف ١٩٦٧ اصبح التنقل من اسرائيل الى الضفة الغربية حرا ، كما سمحت السلطات لسكان الضفة بالسفر الى اسرائيل بموجب تصاريح خاصة(٦). ولكن بعد فترة قصيرة عادت السلطات الاسرائيلية الى التشدد مما أوقف كل الرحلات السياحية من الضفة الى اسرائيل . وفيما يلي تلخيص عام لاجراءات حظر التجول كما طبقتها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية .

في خريف عام ١٩٦٧ تم تخفيض حظر التجول في مدن الضفة الى ما بين التاسعة مساء والرابعة صباحا باستثناء القدس حيث الغي الاجراء كليا . وفي كانون الاول ١٩٦٧ اصبح نظام منع التجول ساري المفعول في مدن الضفة بين الساعة ١١ مساء و ٣ صباحا ، باستثناء بيت لحم وبلدتين مجاورتين حيث كان الحظر يبدأ في منتصف الليل . أما المناطق الزراعية والطرقات الريفية فقد طبق فيها منع التجول من الساعة السابعة مساء حتى الرابعة صباحا . في صيف ١٩٦٨ رفعت سلطات الاحتلال كافة اجراءات حظر التجول باستثناء « المناطق الامنية » والطرقات التي تستخدمها السيارات العسكرية(٧). هذا لا يعني ان سلطات الاحتلال لم تكن تلجأ الى فرض حظر التجول المؤقت اثناء عمليات التفتيش وحملات الاعتقال ، واثناء المظاهرات والاضرابات .

معروف ان وقوع الضفة الغربية تحت الاحتلال الاسرائيلي بهذه السرعة الفائقة ترك الجماهير العربية هناك في حالة ذهول تامة اول الامر . ولم تواجه القوات المحتلة في البداية اية مقاومة من السكان العرب بسبب اعتقادهم ان الاحتلال سينتهي بسرعة وبسبب التفوق الساحق للقوى الاسرائيلية الغازية . غير أن سلوك اسرائيل بدأ يثير الشكوك في اوساط عديدة من السكان العرب حول نواياها المستقبلة بالنسبة للمناطق العربية المحتلة ، وكان لقيام اسرائيل بضم القدس القديمة الى اراضيها وتعديل المناهج المدرسية في الضفة الغربية اثرهما الحاسم في اقناع السكان العرب بأن الاحتلال سيستمر لفترة طويلة . وفي اواخر تموز ١٩٦٧ ظهرت اول مجموعة من المناشير والبيانات المناوئة للاحتلال واخذت اعمال المقاومة تتراكم وتأخذ شكل الاضرابات التي بدأت في اب ، وتبعها الاضراب الطلابي العام في ايلول وموجة من أعمال العنف ضد المحتل . وقد ميزت السياسة الاسرائيلية القمعية بين نوعين من المقاومة : ١) هجمات الفدائيين التي استهدفت بصورة رئيسية أمن اسرائيل وغايتها منع اتفاقية وقف اطلاق النار من التحول الى وضع ثابت . ٢) الاضرابات والمظاهرات التي كان تأثيرها الاساسي ذا طابع سياسي مع ان المظاهرات العنيفة والكبيرة تؤثر سلبيا على قدرة اسرائيل في الاستمرار بالسيطرة على الضفة . وعالجت

سلطات الاحتلال كلا من هذين النوعين المختلفين من المقاومة باسلوب معين يختلف عن الاسلوب الاخر ساعية بذلك الى فصل تحركات السكان العفوية عن اعمال الفدائيين المنظمة وهجماتهم المسلحة .

حاولت منظمة فتح وغيرها من المنظمات الفدائية تكوين شبكات للمقاومة في الضفة الغربية في خريف ١٩٦٧ . غير ان طبيعة الارض الجرداء التي تفصل مناطق تمركز السكان عن نهر الاردن ودوريات الجيش الاسرائيلي الفعالة بين التلال وبمحاذاة النهر جعلا من المتعذر على الفدائيين تكوين شبكات فعالة للمقاومة في الضفة الغربية . كما ان الانتقام السريع الذي كان ينزله الجيش الاسرائيلي بأي عربي يشتبه بأنه ساعد احد الفدائيين قد اثر سلبيا على امكانات المقاومة هناك . نتيجة لذلك لجأت المنظمات الفدائية الى ارسال جماعات صغيرة من مقاتليها عبر النهر بحيث تقوم بهجمات سريعة ضد القرى والدوريات الاسرائيلية وتختبىء في الكهوف والتلال ثم تعود من حيث أتت . وتدعي الحكومة الاسرائيلية ان ٩٠ بالمئة من هذه المحاولات كان يتم التصدي لها قرب الحدود في غضون ٢٤ ساعة من عبورها مما كان يؤدي الى مقتل او جرح او اسر عدد من الفدائيين(٨). وقد ذكرت التقارير الصحفية مثلا ان الفدائيين قاموا بـ ٩٨ عملية من هذا النوع في تموز ١٩٦٨(٩). وفيما يلي نموذجان عن كيفية وصف العمليات الفدائية في الصحف الاسرائيلية نقتبسها عن الجيروساليم بوست . « اصطدمت دورية اسرائيلية بمجموعة من الفدائيين كانت مختبئة في شمال شرقي نابلس بعد ان عبرت من الضفة الشرقية . استمرت المواجهة ساعتين ونصف في جو حار جدا وارض وعرة الى اقصى الحدود ، وكانت نتيجة الاشتباك مصرع الفدائيين » . ولم تذكر الصحيفة عدد افراد الدورية الاسرائيلية . « اقامت مجموعة من الفدائيين قاعدة لها في المنطقة الجبلية في جنوب الخليل حيث كانت تهاجم آليات الجيش وحرس الحدود . وكان الفدائيون يتلقون المساعدة من القرى المجاورة »(١٠). الا ان هجمات المنظمات الفدائية لم تتمكن من تخطي مرحلة مجرد مضايقة اسرائيل وازعاجها لاسباب شتى لا سبيل الى ذكرها هنا . ويبدو ان معظم القتال الشديد بين الفدائيين والقوات الاسرائيلية كان يجري في القطاع الواقع على طرف النهر وخاصة في المنطقة الشمالية حيث تقع الكيبوتزات الاسرائيلية في وادي بيسان على مرمى من المدفعية الاردنية . اما في المدن فقد كانت اعمال الفدائيين موجهة بصورة رئيسية ضد المسؤولين العسكريين من العدو وضد المنشآت العسكرية الاسرائيلية . على سبيل المثال ذكرت الصحافة الدولية الهجمات العربية على حرس الحدود الاسرائيلي في نابلس والخليل وأبو غوش في شهري ايلول ١٩٦٧ واذار ١٩٦٨(١١). وبالنسبة للهجوم في الخليل فقد وصفته احدى الصحف الدولية بقولها « انه يمثل من حيث اسلوبه وتوقيته ومكانه نقطة تحول جريئة في عمل المخربين العرب ، اذ منذ اشهر لم يتعرض الجنود الاسرائيليون في الضفة الغربية الى هجوم في وضح النهار ومن مسافة قريبة بهذا الشكل »(١٢). وذكرت انباء اخرى ان رجال المقاومة القوا قنبلة يدوية على آليات مصفحة وهي تدخل الخليل في تشرين الثاني ١٩٦٨ ، وانهم هاجموا مقر الحاكم العسكري في جنين في ايار ١٩٦٨ بالقنابل اليدوية كما تعرض مركز الحكومة العسكرية في نابلس الى هجمات مماثلة في حزيران ١٩٦٩(١٣). كذلك تعرضت الاعمال التجارية الاسرائيلية الى هجمات مشابهة . على سبيل المثال نذكر ان كلا من فرعي بنك ليومي الاسرائيلي في رام الله ونابلس كان هدفا لهجمات المقاومة في ربيع ١٩٦٩ . وضربت المقاومة العربية مكاتب العمل الاسرائيلية في كل من نابلس والخليل في حزيران ١٩٦٩(١٤). كما هوجم السياح الاسرائيليون في الخليل في شهري تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٦٨ عندما انفجرت قنابل يدوية بالقرب من المزار اليهودي . وقد نتج عن الانفجار الاول جرح ٤٨ شخصا ، وادى الانفجار الثاني الى جرح ستة اشخاص . وفي تموز ١٩٦٩ أدى انفجار قنبلة يدوية في شاحنة مكشوفة في الخليل الى جرح ١٠ اسرائيليين(١٥). من ناحية اخرى اصدرت المنظمات الفدائية تهديدات ضد العرب المتعاونين مع الحكومة الاسرائيلية وشرعت في تنفيذها ، على سبيل المثال جرح شرطيان عربيان في نابلس في ايلول ١٩٦٧ على يد المقاومة العربية ، واطلقت قذيفة بازوكا على منزل طبيب في رام الله كان يدعو الى قيام كيان فلسطيني مستقل في الضفة الغربية ، كما قام الفدائيون باختطاف مختار قرية حلحول مع اربعة من اعيانها واعدامهم في اب ١٩٦٩ بسبب تواطئهم

مع السلطات الاسرائيلية(١٩).

اما بالنسبة لهجمات الفدائيين داخل « اسرائيل » فقد حظيت بدعاية دولية واسعة وكانت اهدافها المنشآت العسكرية واماكن التجمع المدنية وخطوط المواصلات والكيبوتزات باعتبارها مؤسسات شبه عسكرية(١٧). وعلى هذا الاساس قام الفدائيون بنسف الخط الحديدي بين تل ابيب وحيفا(١٨). وهاجموا مطار اللد في كانون الاول ١٩٦٧ ، ومركز انطلاق الباصات الرئيسي في تل ابيب في ايلول ١٩٦٨ ، وخط انابيب بترول حيفا في حزيران ١٩٦٩(١٩). كذلك وقع انفجار خارج فندق امباسادور الذي يضم مكاتب تابعة للحكومة الاسرائيلية وكان ذلك في حزيران ١٩٦٨ . وفي القدس ضربت المقاومة مكتب وزارة الداخلية الواقع في القطاع العربي وكلا من القنصلية الاميركية والبريطانية هناك بالقنابل اليدوية وكان ذلك في ربيع ١٩٦٩(٢٠). ومن هجمات المقاومة العربية على الاماكن المدنية في داخل اسرائيل الانفجار الذي وقع قرب مكاتب صحيفة **معاريف** في تل ابيب في نيسان ١٩٦٨ ، والانفجاران اللذان حدثا في شارعين رئيسيين في تل ابيب في حزيران وتموز ١٩٦٩(٢١). اما في القدس فقد دمر انفجار وقع في فندق قديم دارا صغيرة للطباعة وعددا من الدور وذلك في ايلول ١٩٦٧ . وبعد شهر اكتشفت قنبلة في احدى دور السينما(٢٢). وفي حزيران ١٩٦٨ وقعت انفجارات في ساحة صهيون وقرب محطة القطارات . وفي ١ آب ١٩٦٨ هوجم مقهى الشرق مما ادى الى اصابة ٢٠ شخصا(٢٣). كما اصيب تسعة اشخاص في ثلاثة انفجارات مختلفة وقعت في ١٨ اب ١٩٦٨ . كذلك انفجرت قنابل في اسواق القدس في تشرين الثاني ١٩٦٨ وشباط ١٩٦٩ . ادى الانفجار الاول الى مقتل ١٢ شخصا والثاني الى مقتل شخصين . ونسفت المقاومة العربية مطعم الجامعة العبرية في اذار ١٩٦٩ وكانت النتيجة ٢٢ اصابة(٢٤). وقامت بثلاث هجمات بالقنابل بالقرب من حائط المبكى في ٢٠ حزيران ١٩٦٩(٢٥). يضاف الى ذلك الانفجار الذي وقع في سوق محنيه يهودا في القدس حيث وضعت المتفجرات في سيارة تحمل لوحة اردنية . وتدل الوقائع الى ان عددا من أعمال المقاومة المذكورة قد قام به فدائيون تسللوا الى الارض المحتلة من الخارج ، الا أن العدد الاكبر منها قامت به عناصر من سكان المناطق المحتلة نفسها بالاضافة الى سكان « اسرائيل » من العرب كما في حادثة نسف مطعم الجامعة العبرية التي ساعد على انجاحها طالبان عربيان من سكان اسرائيل بالتعاون مع عناصر من نابلس . اما الاسلحة والمتفجرات والقنابل اليدوية فقد كان يتم تهريبها من الاردن الى الضفة الغربية لاستعمالها في ضرب السيطرة الاسرائيلية .

من جهة اخرى لم يقدم سكان الضفة الغربية ، بصورة عامة ، المساعدة النشيطة الكافية للعناصر الفدائية التي كانت تعبر الى الارض المحتلة ، وقد ذكر احد المتكلمين باسم فتح أن المنظمات الفدائية لا تنتظر الا « الصمود والمقاومة السلبية » من سكان الضفة الغربية بسبب الاجراءات الانتقامية الشديدة التي تتخذها سلطات الاحتلال ضد الشعب الاعزل . كما ذكر « أن الهدف من الهجمات الفدائية هو افهام اسرائيل بأنها لن تكون آمنة طالما أنها ترفض الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني»(٢٦). كان رد فعل السلطات الاسرائيلية حادا في مواجهة اعمال المقاومة العربية . ومع ان سلطات الاحتلال لم تحكم على اي من المعتقلين العرب بالاعدام الا أن احكاما بالسجن المؤبد قد صدرت على عدد من رجال المقاومة بما فيهم الاربعة الذين هاجموا مطار اللد والعنصرين اللذين فجرا القنبلة في مطعم الجامعة العبرية . كما صدرت احكام بالسجن تتراوح بين عشرين واربعين سنة على عدد من المتهمين بالتسلل وحمل السلاح والانتماء الى منظمة فتح و « أعمال التخريب » . أما العقوبات التي تفرضها سلطات الاحتلال فتصل الى حدود ٢٠ سنة في السجن لمجرد حيازة قنبلة او الانتماء الى منظمة غير مشروعة ، و ١٥ سنة من اجل تهمة التسلل . أما الاشخاص الذين يكون لديهم علم بعملية من عمليات المقاومة قبل تنفيذها ولا يخبر السلطات فيتعرض لثلاث سنوات في السجن باعتباره شريكا في الجرم (٢٨).

وفي ربيع ١٩٦٨ قدرت مصادر مطلعة عدد العرب في السجون الاسرائيلية بحوالي ١،٥٠٠ شخص ، وقد تضاعف هذا الرقم في السنة التالية . وكان نصف هؤلاء معتقلين اداريا او بانتظار محاكمتهم. على سبيل المثال تم اعتقال رئيس اتحاد طلبة فلسطين في كانون الاول ١٩٦٧ بتهمة التسلل وتزوير تذكرة هوية . غير ان الحكم لم يصدر عليه

حتى اواخر ايلول ١٩٦٨ . وقد اتهم سلطات الاحتلال بتعذيب المساجين نفسيا وجسديا ولكنه اعترف بانها كانت تتجنب وسائل التعذيب التي ينتج عنها عطل دائم(٢٩). بطبيعة الحال انكرت الحكومة الاسرائيلية تهمة التعذيب ، وفي معرض الدفاع عن النفس اشار قنصل اسرائيل العام في لندن في ايلول ١٩٦٩ الى التقرير الذي اصدرته لجنة العفو الدولية والذي جاء فيه ان اللجنة لم تلحظ اي سوء معاملة للمعتقلين في سجون اسرائيل . الا ان السكرتير العام للجنة رد على قنصل اسرائيل بقوله « أن تقرير اللجنة لا يتطرق الى موضوع سوء معاملة السجناء اثناء التحقيق». ثم اضاف « أن التقرير لم يذكر شيئا عن عدم وجود ادلة على استخدام التعذيب من قبل اسرائيل »(٣٠).

وفي اذار ١٩٦٩ تواردت انباء عن وفاة شاب عربي من القدس في احد السجون الاسرائيلية بعد اسبوع من اعتقاله(٣١). واعلنت السلطات الاسرائيلية المختصة ان اسباب وفاة الشاب هي « اضطراب في الكبد » الا ان المسؤولين العرب ردوا بقولهم ان كبده قد تاثر نتيجة لتعذيبه في السجن وطالبوا بتشريح الجثة من قبل اخصائيين محايدين بدلا من تشريحها من قبل المسؤولين في المستشفى الاسرائيلي . وبطبيعة الحال رفضت اسرائيل هذا الطلب المنصف . وفي مطلع ايلول ١٩٦٨ طالب المعتقلون العرب في سجن نابلس ، بعد اعلان الاضراب عن الطعام ، بمعاملتهم اسوة بالمعاملة السائدة في السجون الاسرائيلية . وبالرغم من أن المسؤول الاسرائيلي عن السجون كان قد صرح بأن سجون الضفة الغربية قد اصبحت بمستوى سجون اسرائيل(٣٢)، فقد اضطر لسحب تصريحه والاعتراف بالعكس فيما بعد(٣٣)، اذ تبين ان السجناء في نابلس كانوا لا يزودون الا بحصيرة وبطانية في الشتاء وبطانية فقط في فصل الصيف وان سلطات السجن كانت تحشر اكثر من خمسين سجينا في الزنزانة الواحدة(٣٤).

كي تتمكن السلطات الاسرائيلية من القبض على رجال المقاومة بعد نجاح مهمتهم كانت تفرض حظر التجول على القرى القريبة من المنطقة التي وقعت فيها العملية الفدائية ، او تفرضه على ذلك الجزء من المدينة حيث وقع الانفجار . بعد ذلك كانت تقوم بتجميع كل الذكور للتثبت من تذاكر هويتهم ومن ثم تقوم بتفتيش المنازل للكشف عن اية اسلحة او ذخائر قد تكون مخبأة فيها . فيما يلي بعض الامثلة : بعد الانفجار الذي وقع في سوق محنيه يهودا في القدس فرضت السلطات العسكرية حظرا عاما للتجول ، وقامت بتفتيش المنازل واحدا واحدا لمدة ٣٥ ساعة ، ولكنها لم تعثر على الفاعلين كما انها لم تعثر على اية اسلحة ، علما بأنها اعتقلت اكثر من ٥٠٠ شخص للاستجواب . وكانت هذه هي العملية الكبيرة الوحيدة التي قامت بها المقاومة العربية ولم تتمكن اسرائيل من كشف فاعليها(٣٥).

بعد الانفجار الذي وقع في محطة الباصات في تل ابيب تم توقيف ٤٠٠ عربي مباشرة واستبقي منهم حوالي ١٥٠ شخصا من أجل المزيد من التحقيق والاستجواب ، ومن اصل هؤلاء تم اعتقال ١٥ شخصا(٣٦). وبعد حادث القنبلة الذي وقع في الخليل في ٩ تشرين الاول ١٩٦٨ تم توقيف المئات من العرب قبل ان يعترف شاب عمره ١٧ سنة بمسؤوليته عن الحادث وورط معه ١٠ اشخاص اخرين كشركاء في الجرم وتسعة من الفدائيين(٣٧). وكانت سلطات الاحتلال تلجأ الى التوقيف على النحو المذكور لقمع المظاهرات والاضرابات كما حدث في نابلس في شباط ١٩٦٨ ، حيث تم توقيف ٧٤ رجلا لم يكن معظمهم يحمل بطاقته الشخصية وقد تمكنت السلطات من العثور على مخبأين للسلاح نتيجة للتفتيش الذي اجرته . وفيما يلي وصف للاسلوب الذي تتبعه السلطات الاسرائيلية في حملات التفتيش التي تجريها نقتبسه من **الجيروساليم بوست** : « قامت قوات الدفاع بتطويق البلدة القديمة في القدس في الليلة الماضية وبدات بحملة تفتيش منتظمة من بيت الى بيت ... كانت علامة اكس x توضع على باب المنزل للدلالة على ان تفتيشه قد بدأ . وعندئذ يقوم الجنود بتفتيش الغرف واحدة بعد الاخرى وبصورة منتظمة ، بعد ذلك يأخذون كافة الذكور الذين تتراوح اعمارهم بين ١٥ و ٦٠ سنة الى مناطق في الخارج مخصصة لتفتيشهم . بعد انتهاء العملية يرسم الجنود دائرة حول علامة الاكس على باب المنزل للدلالة على ان عملية التفتيش قد تمت»(٣٨).

وعندما كان يرفض اصحاب المنزل تسليم مفاتيح بيوتهم كان الجنود الاسرائيليون يدخلونها عنوة بعد تحطيم الاقفال باطلاق النار عليها . اما المنازل

التي لم يكن ساكنوها موجودين فيها اثناء حملة التفتيش فكانت تقتحم ايضا(٣٩).

بالاضافة الى اعتقال رجال المقاومة وشركائهم لجأت سلطات الاحتلال الى نسف بيوتهم متذرعة بقوانين الطوارىء البريطانية التي تم تشريعها عام ١٩٤٥ ، والتي اعتبرها الاسرائيليون اجراءات « انسانية » لانها موجهة ضد الممتلكات وليس ضد الاشخاص(٤٠). ومع حلول خريف ١٩٦٨ كانت سلطات الاحتلال قد نسفت حوالي ٢٠٠ بيت في الضفة الغربية ، وكانت اول حادثة نسف ذكرتها الصحافة الاسرائيلية قد وقعت في ١٩ حزيران ١٩٦٧ عندما تم تدمير منزل ادعى الاسرائيليون انهم وجدوا فيه اسلحة وذخائر(٤١). والجدير بالذكر هنا ان عددا كبيرا من البيوت قد نسف لمجرد ان احد افراد الاسرة قد اتهم بالتخريب من قبل سلطات الاحتلال . على سبيل المثال تم نسف منزل أحد التجار في نابلس بينما كان ابنه قيد المحاكمة بتهمة القيام بعملية « تخريبية » ضد مركز الحكومة العسكرية في المدينة(٤٢). وتقوم السلطات بنسف البيت بعد توقيف المشتبه به مباشرة وقبل استجوابه او محاكمته . ولا يوجد اي دليل على ان سلطات الاحتلال كانت تهتم باصلاح المنازل المجاورة التي كانت تتصدع من جراء الانفجارات، الا ان تيدي كوليك ، محافظ القدس ، احتج على أول عملية نسف للمنازل جرت في القدس في ٦ اذار ١٩٦٨ وطلب من الجيش اصلاح البيوت المتضررة من الانفجار(٤٣). وفي تشرين الاول ١٩٦٨ ذكرت الانباء ان السلطات الاسرائيلية صادرت اربعة منازل في القدس واغلقتها نهائيا بدلا من نسفها(٤٤). غير ان هذا التصرف لم يكن يعني عدول اسرائيل عن سياسة النسف لانه في اذار ١٩٦٩ تم تدمير ستة منازل في القدس بعد ان ادعت السلطات الاسرائيلية انها وجدت أسلحة فيها وان عددا من رجال المقاومة قد تدربوا فيها(٤٥). وواضح ان الدافع الكامن خلف احتجاج تيدي كوليك على سياسة النسف هو النظرة الاسرائيلية الى القدس على انها ليست جزءا من الاراضي المحتلة بل جزءا من دولة اسرائيل نفسها . بطبيعة الحال لقد اثارت سياسة نسف البيوت جدلا في اسرائيل وخارجها وقد دافع المسؤولون العسكريون عن سياستهم بقولهم ان السكان العرب لن يرتدعوا عن مساعدة الفدائيين اذا صودرت بيوتهم فحسب اذ يبقى لديهم أمل باستعادتها فيما بعد . ويشبه هذا المنطق ما تقوله السلطات الاسرائيلية في تفسيرها لعدم فرض عقوبة الاعدام على الفدائيين(٤٦) باعتبار ان عقوبة الاعدام ، كما تقول هذه السلطات ، تجعل الفدائي يقاتل حتى النهاية بدلا من تسليم نفسه ، كذلك اذا علم صاحب المنزل بأن منزله سيضيع الى الابد سيتردد في الالتزام الكلي بالمقاومة . وجدير بالذكر هنا ان لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم المتحدة قد اتخذت قرارين بادانة السياسة الاسرائيلية في تدمير المنازل باعتبارها تصيب الابرياء والمذنبين بالضرر وخاصة ان نسف المنزل يتم قبل استجواب المتهم والتأكد من كونه الفاعل حقا . كما ان ناطقا بلسان وزارة الخارجية الامريكية قد بين في ٨ اذار ١٩٦٨(٤٧) ان هذه السياسة الاسرائيلية تخرق بندين من بنود اتفاقيات جنيف (٣٣ و ٣٥) اللذين يحرمان العقوبات الجماعية وتدمير الممتلكات بجميع أنواعها في المناطق الواقعة تحت الاحتلال الاجنبي. بطبيعة الحال تحولت سياسة نسف البيوت الى قضية هامة في تجميع القوى العربية لمقاومة الاحتلال والاحتجاج عليه ، الا ان الرأي العام الاسرائيلي استمر في تأييدها باعتبارها رادعا فعالا في منع السكان العرب من التعامل مع المقاومة . وفي استفتاء للرأي العام نشر في حزيران ١٩٦٩ أيد ٨١ بالمئة من الاسرائيليين سياسة النسف ، وطالبت نسبة ٥،٩ بالمئة بتعديلها بحيث لا يدمر المنزل الا اذا كان مالكه هو المشتبه به ، وطالبت نسبة ١،٣ بالمئة بصدور قرار من المحكمة قبل تنفيذ عملية النسف . ولم يعارض هذه السياسة كليا سوى ٧،٢ بالمئة من الاسرائيليين لانهم اعتبروها غير فعالة(٤٨).

في السنتين الاوليين من الاحتلال شكلت الاضرابات التجارية والطلابية والمظاهرات التي رافقتها في مدن الضفة الغربية تحديا سياسيا اكثر منه عسكريا للسيطرة الاسرائيلية . في الواقع وجدت سلطات الاحتلال صعوبة اكبر في مواجهة هذا النوع من المقاومة مما وجدت في مواجهتها للمقاومة العسكرية المحض . ولكن من ناحية اخرى لم تؤثر الاضرابات والمظاهرات على اسرائيل نفسها بل اثرت بصورة رئيسية على المدارس والاعمال التجارية العربية . مع ذلك اعتبرت السلطات الاسرائيلية هذه الاحداث تهديدا لامنها لاعتقادها

بأن رجال المقاومة المحليين كانوا يتبعون من صفوف الجماهير العربيـــة التي كانت تنشط في اعمـــال الاحتجاج السياسية وتشارك فيها . لذلك تشددت سلطات الاحتلال في مواجهة المظاهرات مما ادى ، بطبيعة الحال ، الى اشتداد المقاومة العربية ورفع احتمالات وقوع اعمال العنـــف اثناء المظاهـــرات والاضرابات .

انطلقت المظاهرات في الضفة الغربيـــة بعد فترة قصيرة من وقوع الاحتلال ، اي في شهري تمـــوز وآب ١٩٦٧ بسبب قيام اسرائيل بضم مدينة القدس وادخال تعديلات معينة على الكتب المدرسية . وقد بدأت المظاهرات في الوقت الذي وصل فيـــه عدد من ممثلي هيئة الامم المتحدة الى المنطقة وبينمـــا كان الاعداد يجري لافتتاح الدورة المقبلة للجمعية العمومية . وقد اجتاحت الضفة المحتلة موجة من الاضرابات في شهري ايلول وتشرين الاول ١٩٦٧ احتجاجا على تبديل الكتب المدرسية وعلى اعتقال بعض القادة العرب وابعادهم من قبل سلطـــات الاحتلال لانهم رفعوا اصواتهم ضد ضم القـــدس وغيرها من اعمال الحكومة الاسرائيلية . وفي ربيع ١٩٦٨ قامت مظاهرات واضرابات بمناسبة الذكرى الاولى لحرب حزيران واحتجاجا على الاستعراض العسكري الذي اقامته اسرائيل في القدس بمناسبة عيد « استقلالها » . ونجح الاضراب كليا في كل من نابلس وجنين وطولكرم والقدس حيث اغلقت كافة المتاجر والمكاتب والمدارس ابوابها على الرغم من ان معظم المعلمين الذين يتقاضون رواتبهم من الحكومة الاسرائيلية حضروا الى مراكز عملهم . وتحولت مسيرة عربية صامتة متجهـــة الى المقبرة خارج القدس القديمة الى صدام عنيف عندما حاول البوليس الاسرائيلي ان يعرقل تقدمها ، وسقط على اثر ذلك ٢٥ جريحا وتم اعتقال ٢٠ شخصا(٤٩).

وفي ايلول ١٩٦٨ كانت نابلس على رأس المحتجين على سياسة نسف البيـــوت ، وازدادت حركـــة الاحتجاج قوة عندما دمرت السلطـــات الاسرائيلية خمسة منازل في الخليل بالاضافة الى سلم يوصل الى الحرم الابراهيمي وكان ذلك في تشرين الاول من نفس العام . ومما زاد الوضع توترا وجـــود المستوطنين الاسرائيليين في الخليل وتدنيس الحرم هناك . وانتشرت حركة الاحتجاج هذه في كافة مدن الضفة الغربية بسرعة كبـــيرة ولم تتمكن سلطـــات الاحتلال من قمعها الا بعد اتخاذ سلسلة واسعة من اجراءات حظر التجول والاعتقال . وفيما يلي وصف للحالة الجماهيرية المتفجرة في الضفة الغربية في تلك الفترة نقتبســه من صحيفة **النيويورك تايمس** « لقد وصل التوتر الذي حركته المظاهرات الطلابية الى ذروته في التصاعد هذا الاسبوع باندلاع العنف وحملات الاعتقال وفرض حظر التجول في رام‌الله . لقد اصدرت السلطات امرها الى اكثر من ٢٥،٠٠٠ شخص من سكان رام الله والبيرة باخلاء الشوارع في الساعة الثامنة صباحا ، وقامت قوات الاحتلال وحرس الحدود الاسرائيلية بالاشراف على ذلك . جاء هذا الاجراء نتيجة للمسيرة التي نظمتها ٤٠٠ فتاة يرتدين الزي المدرسي الاخضر باتجاه رام‌الله. وكانت المتظاهرات يحملن صور عبد الناصر ويهتفن بشعارات مضادة لاسرائيل ويهتفن كلنا فدائيات . لقد نقلت الفتيات الاحتجاج الذي كان يتم داخـــل باحة المدرسة الى قلب المدينة . وذكر المسؤولون الاسرائيليون انه عندما بدأت الفتيات برشق الجنود بالحجارة والتف عليهم اضطرت قوات الاحتلال الى مواجهتهـــن بخـــراطيم المياه واعـــلان حظـــر التجول »(٥٠).

وفي اوائل شباط ١٩٦٩ كانت المظاهرات العنيفة في غزة سببا في اشعال حركـــة احتجاج في صفـــوف الطلبة في الضفة الغربية . ورافقت هذه الحركة اضرابات في القطاع التجاري استمرت حتى شهـــر آذار بالرغم عن اجراءات حظر التجول العنيفة التي فرضتها سلطات الاحتلال . وذكر رئيس بلديـــة نابلس حمدي كنعان ان الاضرابات هي عمل مشروع وسلمي باعتبارها الطريقة الوحيدة المتوفرة للسكان للتعبير عن سخطهم على الاحتلال الاسرائيلي(٥١). الا ان المسؤولين العرب حاولوا هم ايضا تهدئـــة المتظاهرين خوفا مـــن تضرر الاعمال التجاريـــة العربية . ففي شتاء ١٩٦٩ قام حمدي كنعان بوضع افراد من شرطة البلدية امام ابواب المدارس مـــن اجل تهدئة الطلاب(٥٢). وفي السنة التـــي سبقتها قام رئيس دائرة التربية في نابلس بعقد اجتمـــاع لرؤساء المدارس والعاملين فيها للبحث في كيفيـــة التعاون مع اهل التلامذة لانهاء اضرابهم(٥٣). وكان السبب الكامن خلف سلوك رئيس البلدية هو ضغط سلطات الاحتلال عليه لكي يبقـــى ممسكا بزمـــام الوضع المحلي وتهديدها باغلاق كل مؤسسة تشارك بالاضراب وتبقى مغلقة . اي اعتبرت قوات الاحتلال السلطات العربية المحليـــة مسؤولـــة عن اوضاع الامن ، وقد عبر دايان عن ذلك بقوله « لا نريد

شن الحرب على الاطفال ولكننا نعتبر البلديات والمدن مسؤولة »(٥٤). على هذا الاساس امر دايان باعتقال رئيس بلدية رام‌الله في اواخر تشرين الاول ١٩٦٨ بسبب اعتراضه على سلوك الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يستفزون الطلاب العرب بارسال دورياتهم داخل مدارس البنات ، ولم يطلق سراحه الا بعد ان بعث برسالة ، هو واعضاء المجلس البلدي ، الى سلطات الاحتلال يتعهد فيها باتخاذ اجراءات تمنع قيام المظاهرات والاضرابات وتؤمن المحافظة على الامن في المدينة(٥٥).

كانت الاجراءات العسكرية الاسرائيلية ضد مظاهر المقاومة العربية ذات طابع مباشر وسريع ، مثل فرض حظر التجول الشامل لوقف المظاهرات وتفريقها عنوة باستخدام الغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه واعقاب البنادق . ومع ان النار اطلقت على المتظاهرين في غزة الا ان الاوضاع لم تصل الى هذا الحد في الضفة الغربية حيث تم اطلاق النار للارهاب فقط . ولجأت سلطات الاحتلال الى اعتقال القادة وابعادهم واغلاق المدارس والمتاجر ، كما فرضت غرامة ١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية (او سنتين في السجن) على كل شخص يثبت انه حرض الاخرين على الاضراب او قام بنشر دعاية معادية لدولة اسرائيل ، واصدرت تشريعا يقضي بتغريم كل صاحب متجر يغلق متجره في ايام العمل العادية مبلغ ١٤،٠٠٠ ليرة اسرائيلية (او السجن سنة) وبتغريمه ١٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية (او خمس سنوات في السجن) اذا اغلق متجره اثناء الاضرابات(٥٦).

وعلى اثر وقوع اضراب شامل استمر يوما واحدا في القدس العربية (آب ١٩٦٧) اغلقت السلطات الاسرائيلية خمسة متاجر وشركة باصات لمدة اسبوعين(٥٧). كما اعتقلت اداريا مواطنين عربيين لمدة ثلاثة اشهر بتهمة التحريض على الاضراب . اما في نابلس فقد اغلقت سلطات الاحتلال عشرين متجرا واوقفت عن العمل ٣٦ باصا لمدة اسبوعين في تشرين الاول ١٩٦٧ . وصادرت ١٥ متجرا في تشرين الثاني ١٩٦٨ اثناء الاضراب الذي اعلنه القطاع التجاري في المدينة ، بحجة ان موقع المتاجر مهم للحفاظ على النظام وتطبيق القانون ، الا ان احد المراسلين الصحفيين رد على مزاعم السلطات الاسرائيلية بقوله ان جميع المتاجر المصادرة تخص مواطنين معروفين بنشاطهم السياسي وان معظمها ليس له اية قيمة استراتيجية بالنسبة لحفظ الامن(٥٨). وفرضت سلطات الاحتلال حدودا على تنقلات السكان العرب في ايار ١٩٦٨ بعد اعلان الاضراب يوم عيد استقلال اسرائيل . وفي عام ١٩٦٩ لجأت سلطات الاحتلال الى فرض الغرامات على تجار نابلس الذين اغلقوا متاجرهم بمناسبة حلول الذكرى الثانية لحرب حزيران(٥٩)، كما تم اعتقال عدد من السكان العرب بتهمة توزيع المناشير اثناء الاضراب وتحريضهم الآخرين على المشاركة فيه وتوقيع العرائض احتجاجا على الاجراءات الاسرائيلية مثل احلال الكتب المدرسية الاسرائيلية محل الكتب العربية . وفي عام ١٩٦٨ تعرض سائق باص عربي للتوقيف وحكم عليه بالسجن اربعة اشهر وبغرامة قدرها ٥٠٠ ليرة اسرائيلية ، لانه شتم الجيش الاسرائيلي ودولته عندما تعرقل السير بسبب مرور طابور من جنود الاحتلال(٦٠). وقد وردت تقارير عن قيام سلطات الاحتلال بحملات واسعة من الاعتقالات اثناء المظاهرات واضرابات المدارس التي وقعت في تشرين الاول ١٩٦٨ . وابتداء بشهر شباط ١٩٦٩ اخذت سلطات الاحتلال بتحصيل الغرامات المالية مباشرة من المشتركين بالمظاهرات بدلا من اعتقالهم لان الاعتقال كان يؤدي الى تقوية حركة الاحتجاج والمعارضة . ففي رام‌الله مثلا فرضت السلطات كلا من اربع فتيات مبالغ تتراوح بين ٥٠٠ و ١٤،٠٠٠ ليرة اسرائيلية بالاضافة الى الحكم عليهن بالسجن من شهر الى ثلاثة اشهر مع وقف التنفيذ . وفي طول كرم فرضت غرامة ٣٠٠ ليرة اسرائيلية على ١٠ فتيات بالاضافة الى الحكم عليهن بالسجن تسعة اشهر مع وقف التنفيذ(٦١).

خالفت الحكومة الاسرائيلية البنود الصريحة لاتفاقيات جنيف بفرضها الاقامة الجبرية على بعض السكان العرب من اصحاب المكانة الوطنية ومن ثم ابعادهم الى الضفة الشرقية بدون اية محاكمة او حق في المراجعة . في ٣١ تموز ١٩٦٧ نفت سلطات الاحتلال اربعة من القادة العرب في القدس الى قرى داخل اسرائيل بسبب تحريضهم السكان على عدم التعاون مع قوى الاحتلال(٦٢) ، (انور الخطيب ، داوود الحسيني ، ابراهيم بكر ، وعبد المحسن ابو ميزر . وفي بادىء الامر سمحت السلطات للمنفيين بالتحرك بحرية في مكان اقامتهم شريطة ان يثبتوا وجودهم لدى البوليس عدة مرات في اليوم الواحد الا ان الاقامة الجبرية فرضت

عليهم في ايلول ١٩٦٧ لانهم تلقوا زيارات من اشخاص « غير مرغوب فيهم » . كذلك فرضت السلطات الاسرائيلية على احد القضاة في جنين عدم مغادرة البلدة بسبب تراجعه عن القبول بالتعاون مع سلطات الاحتلال لاعادة فتح المحاكم في الضفة الغربية(٦٣). ومع حلول اواسط حزيران ١٩٦٩ كانت السلطات الاسرائيلية قد ابعدت ٥٣ شخصا من سكان الضفة الى الاردن متذرعة بالبند رقم ١١٢ من قانون الطوارىء . وكان اول المبعدين هو الشيخ عبد الحميد السايح في ايلول ١٩٦٧ . وفي كانون الاول ١٩٦٧ تم ابعاد انطون عطاالله ، مدير احد المصارف العربية ، والذي كان مسؤولا عن المفاوضات الفاشلة مع الاردن لاعادة فتح البنوك في الضفة الغربية ، وقد اتهمته السلطات الاسرائيلية بتخريب المفاوضات وتفشيلها(٦٤). وفي ٧ اذار ١٩٦٨ ابعد روحي الخطيب رئيس بلدية القدس ووجهت اليه التهم التالية : التحريض على الاضراب ، تسهيل تهريب العملة من الاردن وتوزيعها في الضفة الغربية ، نشر معلومات خاطئة في الصحافة الاردنية عن معاملة السلطات الاسرائيلية للسكان العرب في الضفة الغربية والقدس(٦٥). ومع حلول خريف ١٩٦٨ شهدت الضفة الغربية موجة جديدة من الابعاد شملت سيدات مسؤولات عن تنظيم المعارضة النسائية ضد الاحتلال ، ورئيسة مدرسة العائشية في نابلس وبعض المعلمات فيها ، ومفتش التربية في رام الله وعددا من الاطباء والمحامين والمعلمين(٦٦). وبعد ابعاد تسعة اشخاص ممن قادوا احد الاضرابات وصل عدد المبعدين الى ٥٣ شخصا في شهر حزيران ١٩٦٨(٦٧). ومع حلول شهر تشرين الاول ارتفع العدد الى ٩٠ شخصا(٦٨). كان الابعاد يتم ، في معظم الاحيان ، في الساعات الاولى من الصباح حيث كان البوليس يرافق الشخص المنوي ابعاده الى الحدود بدون توجيه اية اتهامات اليه ولا يعلن عن اي شيء عن مصيره الا بعد عبوره النهر .

تعرضت سياسة الابعاد الى النقد خارج اسرائيل بسبب مخالفتها لاتفاقيات جنيف ومنعها المحاكمة عن المتهمين ، اما في اسرائيل فقد ارتفعت بعض الاصوات الفردية في نقدها ومعارضتها ايضا ، وعلى سبيل المثال كتب احد الاسرائيليين ما يلي حول هذا الموضوع : « لا تخرج هذه السياسة عن كونها تقليدا لممارسات حكومة الانتداب بفرضها نوعا من العقوبات الذي يصعب السكوت عليه . اذا اقترف احدهم جرما ينبغي تقديمه الى المحاكمة، وفي بعض الحالات الخاصة يجوز السماح له بالاختيار بين الابعاد والسجن . وضمن حدود معلوماتي ان بعض الشخصيات (العربية) التي ابعدت لم تشغل نفسها باعمال التخريب او الارهاب ، ولكنها عبرت عن معارضتها للحكم الاسرائيلي في الضفة الغربية ضمن حدود الوضع القائم . فاذا كان هذا التعبير يشكل جرما يستحق صاحبه الابعاد فاننا نكون قريبين من اليوم الذي سيعامل فيه الالاف من الناس بنفس الطريقة ، اذ ان سكان الضفة الغربية لا يريدون الحكم الاسرائيلي كما اعترف بذلك دايان نفسه اكثر من مرة »(٦٩).

مع ان هدف اسرائيل من عمليات الابعاد هو التخلص من القادة العرب الرئيسيين الا انه كان لهذه السياسة ردود فعل عكسية بمعنى انها زادت التوتر في المناطق المحتلة ورفعت من احتمالات قيام المظاهرات الشعبية ، كذلك بينت تهافت المزاعم الاسرائيلية بأن المحركات الكامنة خلف مظاهر المقاومة العربية آتية من الخارج وليست نابعة من سخط السكان على الاحتلال نفسه .

وزادت حدة التوتر في الضفة الغربية عندما قام بعض الرعاع من الاسرائيليين ، في اكثر من مناسبة ، بالهجوم على السكان العرب والحاق الاذى بهم وبممتلكاتهم ، كما حدث في القدس مثلا في ١٨ آب ١٩٦٨ ، وفي تل ابيب في ١٤ ايلول ١٩٦٨ ، وفي الخليل في ٩ تشرين الاول ١٩٦٨ ، مما طرح احتمالات قيام صراعات دامية بين المدنيين من العرب والاسرائيليين(٧٠).

يبدو ان الاجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال لعزل الفدائيين عن سكان الضفة الغربية والسماح لهم بتسيير شؤونهم الذاتية والتعبير المحدود عن عدم رضاهم بالوضع القائم قد خفف من احتمالات قيام انتفاضة شاملة ضد الاحتلال . ولكن يبقى العامل الحاسم هنا هو احتفاظ اسرائيل بقوة عسكرية ساحقة في تفوقها لمواجهة اية حركة مقاومة واسعة النطاق قد تقوم بها الجماهير العزلاء في الضفة الغربية .

الحواشي

١ — **جيروسالم بوست** ، ١٣ حزيران ١٩٦٧ .

٢ — **المرجع السابق** ، ٢٦ كانون الاول ١٩٦٧ **ونيويورك تايمس** ، ٢٢ و ٢٣ حزيران ١٩٦٧ .

٣ — **التايمس** (اللندنية) ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، و

Israel Government, Central Bureau of Statistics, Publication No. 1, *West Bank of the Jordan, Gaza Strip and Northern Sinai, Golan Heights*, Jerusalem, 1967, p. XIX.

٤ — *L'Aurore* ، تشرين الاول ١٩٦٨ .

٥ — **جيروسالم بوست** ، ٧ أيار ١٩٦٨ .

٦ — **المرجع السابق** ، ١ و ٧ تشرين الثاني ١٩٦٨ .

٧ — **المرجع السابق** ، ٢٥ و ٢٧ آب ١٩٦٧ ، ٧ كانون الثاني ١٩٦٨ ، ١٨ تموز ١٩٦٨ ، **ونيويورك تايمس** ، ٢٤ تموز ١٩٦٩ .

٨ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, Israel Ministry of Defence, 1968, p. 7.

٩ — **كريستيان ساينس مونيتر** ، ٦ آب ١٩٦٨ .

١٠ — **جيروسالم بوست** ، ١٣ و ٢٧ حزيران ١٩٦٩ .

١١ — **نيويورك تايمس** ، ٢٥ ايلول ١٩٦٧ ، و ٥ آذار ١٩٦٨ .

١٢ — **المرجع السابق** ، ١ نيسان ١٩٦٨ .

١٣ — Jerusalem International Service Broadcast (English), 22 November 1968.

وجيروسالم بوست ، ٨ أيار ١٩٦٨ و ٢٧ حزيران ١٩٦٩ .

١٤ — **جيروسالم بوست**، ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٩ و ٢٧ حزيران ١٩٦٩ ، و

Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 26 February 1969, and 28 June 1969; Jerusalem International Service Broadcast (English), 7 March 1969.

١٥ — **جيروسالم بوست** ، ١٠ تشرين الاول ١٩٦٨ ، **نيويورك تايمس** ، ٢٤ تموز ١٩٦٩ ، Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 4 November 1968.

١٦ — **جيروسالم بوست** ، ٢٢ ايلول ١٩٦٧ ، ٣١ كانون الاول ١٩٦٧ ، **نيويورك تايمس** ، ٢٦ آب ١٩٦٩ .

١٧ — **نيويورك تايمس** ، ٢٦ ايلول ١٩٦٧ ، ٣ تشرين الاول ١٩٦٧ .

١٨ — **نيويورك تايمس** ، ١٦ ايلول ١٩٦٧ ، و Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 27 January 1969, and 26 March 1969.

١٩ — **كريستشن ساينس مونيتر** ، ٧ حزيران ١٩٦٨ ، **وجيروسالم بوست** ، ٥ ايلول ١٩٦٨ ، و

Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 24 June 1969.

٢٠ — **جيروسالم بوست** ، ٢٣ حزيران ١٩٦٨ ، **ونيويورك تايمس** ٢٥ آب ١٩٦٨ ، و ٢٦ شباط ١٩٦٩ ، و

Jerusalem in Arabic to the Arab World Broadcast, 13 April 1969.

٢١ — **كريستشن ساينس مونيتر** ، ٧ حزيران ١٩٦٨ ، **ونيويورك تايمس**، ٢٤ تموز ١٩٦٩ ، و Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 20 June 1969.

٢٢ — **نيويورك تايمس** ، ٢٥ ايلول ١٩٦٧ ، و ١٣ تشرين الاول ١٩٦٧ .

٢٣ — **جيروسالم بوست** ، ٩ حزيران ١٩٦٨ ، و ٢ آب ١٩٦٨ .

٢٤ — **نيويورك تايمس** ، ١٩ آب ، و ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، و ٢ آذار ١٩٦٩ .

٢٥ — **المرجع السابق** ، ٢٦ حزيران ١٩٦٩ .

٢٦ — **ذي ميدل ايست نيوزلتر** ، نيسان ١٩٦٩ ، ص ٤ .

٢٧ — **نيويورك تايمس** ، ١١ كانون الاول ١٩٦٨ ، و ٢٤ و ٣١ كانون الثاني ١٩٦٩ ، **جيروسالم بوست** ، ١ تموز ١٩٦٩ .
Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 22 June 1969.

٢٨ — **جيروسالم بوست** ، ١ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

٢٩ — اسعد عبد الرحمن ، « **اوراق سجين** » ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩ .

٣٠ — **ذي لوس انجلوس تايمس** ، ١ ايلول ١٩٦٩ ، والرسائل التي تبادل القراء نشرها على صفحات **التايمس** (اللندنية) في ٣١ تشرين الاول ١٩٦٩ .

٣١ — **نيويورك تايمس** ، ٢٩ آذار ١٩٦٩ ، وذكرت رسائل نشرتها **التايمس** (اللندنية) في

١ و ٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ حوادث تعذيب اخرى .

٣٢ — **جيروساليم بوست** ، ٢٧ نيسان ١٩٦٨ .

٣٣ — **المرجع السابق** ، ٤ أيلول ١٩٦٨ .

٣٤ — **ذي لوس انجلوس تايمس** ، ١ أيلول ١٩٦٩ .

٣٥ — **نيويورك تايمس** ، ٢ آذار ١٩٦٩ .

٣٦ — **نيويورك تايمس والجيروساليم بوست** ، ٥ ايلول ١٩٦٨ .

٣٧ — **جيروساليم بوست** ، ١٠ تشرين الاول ١٩٦٨ .

٣٨ — **المرجع السابق** ، ١٣ شباط ١٩٦٨ .

٣٩ — **المرجع السابق** ، ١٣ كانون الاول ١٩٦٧ .

٤٠ — *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, p. 7.

٤١ — Amnon Kapeliuk, "Unrest on the West Bank," *New Outlook*, November -December 1968, p. 5; *The Jerusalem Post*, 19 June 1967.

٤٢ — **جيروساليم بوست** ، ١٢ ايلول ١٩٦٨ .

٤٣ — **نيويورك تايمس** ، ٨ آذار ١٩٦٨ .

٤٤ — **جيروساليم بوست** ، ٢٩ تشرين الاول ١٩٦٨ .

٤٥ — Jerusalem International Service Broadcast (English), 7 and 17 March 1969.

٤٦ — Brigadier Shlomo Gazit, "Israel's Occupation Policies," *New Outlook*, July-August 1968, p. 50.

٤٧ — United Nations ECOSOC Document E/CN. 4/L 1040, 13 March 1968.

ونيويورك تايمس ، ٤ آذار ١٩٦٨ ، **وذي ايكونومست** ، ١٦ آذار ١٩٦٨ .

٤٨ — **جيروساليم بوست** ، ٢٧ حزيران ١٩٦٩ .

٤٩ — **نيويورك تايمس** ، ٦ حزيران ١٩٦٨ .

٥٠ — **المرجع السابق** ، ٢٤ تشرين الاول ١٩٦٨ .

٥١ — **المرجع السابق** ، ٧ شباط ١٩٦٩ .

٥٢ — **هآرتس** ، ١٢ آذار ١٩٦٩ .

٥٣ — **جيروساليم بوست** ، ٣١ ايار ١٩٦٨ .

٥٤ — **المرجع السابق** ، ٢٧ تشرين الاول ١٩٦٨ .

٥٥ — **المرجع السابق** ، ٢٥ تشرين الاول ١٩٦٨ ، Jerusalem in Arabic to the Arab World Broadcast, 1 November 1968.

٥٦ — **جيروساليم بوست** ، ٢٠ ايلول ١٩٦٧ ، و Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 20 October 1967.

٥٧ — **جيروساليم بوست** ، ٩ و ٢٠ آب ١٩٦٧ .

٥٨ — **نيويورك تايمس** ، ٣ و ٥ تشرين الثاني ١٩٦٨ .

٥٩ — **القدس** ، ١٣ حزيران ١٩٦٩ .

٦٠ — **جيروساليم بوست** ، ١٧ تموز ١٩٦٨ .

٦١ — Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 4 February 1969.

٦٢ — **جيروساليم بوست** ، ١ آب ١٩٦٧ ، ٣ و٢٩ ايلول ١٩٦٧ .

٦٣ — **المرجع السابق** ، ٢ آب ١٩٦٧ .

٦٤ — مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، **اليوميات الفلسطينية** ؛ المجلد السادس ، حزيران ١٩٦٨ ، ص ٤٢٢ .

٦٥ — **المرجع السابق** ، ٨ آذار ١٩٦٩ .

٦٦ — **نيويورك تايمس** ، ٧ ايلول ١٩٦٨ ، و ٣١ تشرين الاول ١٩٦٨ ، و Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 6 January 1969.

٦٧ — **نيويورك تايمس** ، ٢ حزيران ١٩٦٩ .

٦٨ — **التايمس** (اللندنية) ، ٢٨ تشرين الاول ١٩٦٩ .

٦٩ — Amnon Kapeliuk, "Unrest on the West Bank," *New Outlook*, November -December, 1968, p. 5.

٧٠ — **جيروساليم بوست** ، ١٩ آب ١٩٦٨ ، و٥ ايلول ١٩٦٨ ، **نيويورك تايمس** ، ٢٠ آب ١٩٦٨ ، و ٥ أيلول ١٩٦٨ ، و Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 9 October 1968.

التقرير الثاني : الاجراءات الاقتصادية

بعد اجتياح القوات الاسرائيلية للضفة الغربية في مطلع حزيران ١٩٦٧ حاولت سلطات الاحتلال تحقيق هدف مزدوج يتلخص باحكام السيطرة العسكرية الكاملة على الضفة المحتلة من ناحية ، واتخاذ سلسلة من الاجراءات الاقتصادية والسياسية والمدنية التي من شأنها ان تجعل بصورة تدريجية حياة الضفة الغربية مجرد تابع لدولة اسرائيل وخادم لمصالحها الآنية والبعيدة ، من ناحية ثانية . ان الغاية من هذا التقرير هي رصد تحركات اسرائيل بالنسبة للشق الثاني من الهدف الذي تعمل على تحقيقه في الضفة المحتلة استنادا الى مصادر المعلومات الاسرائيلية والغربية عامة . وعلى اساس رصد هذه التحركات يمكننا القول ان اسرائيل اتبعت سياسة احتلال ذكية في التعامل مع الضفة الغربية بمعنى انها اولا عملت كل ما في وسعها لمنع الضفة من التعرض لاية ازمة اقتصادية حادة اذ ان مثل هذه الازمات تؤدي في النهاية الى انتفاضات شعبية ضد السلطات المسيطرة والمحتلة ، ثانيا ، عملت على تنشيط عجلة الاقتصاد في الضفة باتجاه معين يربط حياتها بدولة اسرائيل بصورة تدريجية وتصاعدية ويؤدي الى انفكاكها عن ارتباطها القديم بالضفة الشرقية وباقتصاديات الدول العربية عامة . ومن نافلة القول ان اساس هذه السياسة استغلالي محض يسخر الحياة الاقتصادية في الضفة لاهداف التنمية الاقتصادية لدولة اسرائيل نفسها باسم « التكامل والتنسيق الاقتصادي » بين المنطقة المحتلة ودولة الاحتلال نفسها ، ثالثا ، تنمية الشروط الموضوعية لاية خطوات محتملة من قبل اسرائيل لدمج الضفة الغربية كليا في دولة اسرائيل ، او اقامة كيان فلسطيني فيها ، مستقل شكلا وتابع فعلا ، وفقا لما قد تفرضه ظروف المنطقة في المستقبل وتطورات احداثها .

مما لا شك فيه ان نزوح خمس سكان الضفة الغربية اثناء القتال والقلق العميق الذي سببه الاحتلال العسكري المفاجيء قد تركا آثارهما السلبية على حياة الضفة الاقتصادية . القطاع الزراعي وحده بقي يعمل في مستوى فترة ما قبل الحرب خاصة وان الحرب اندلعت في ذروة موسم الفاكهة مما اضطر المزارعين لتسويقها قبل فسادها . وقد اتضحت طبيعة السياسة التي تنوي اسرائيل اتباعها في الضفة المحتلة من اول اجراء اتخذته بهذا الشأن وهو السماح للشاحنات المليئة بالفاكهة من عبور النهر الى الضفة الشرقية بحيث تصل الى اسواقها المعتادة .

من جهة اخرى كان على سلطات الاحتلال مواجهة الازمة المالية التي بدأت بالتفاقم بسبب اغلاق البنوك في الضفة الغربية (بأمر من سلطات الاحتلال) ونسرب العملة الاسرائيلية بصورة غير شرعية عن طريق الوافدين من اسرائيل الى المناطق المحتلة . لذلك شكلت الحكومة الاسرائيلية بسرعة لجنة وزارية مهمتها « تنسيق النشاطات الاقتصادية في الاراضي المحتلة » برئاسة وزير المال الاسرائيلي . وقد وضعت هذه اللجنة خططا للتطبيق الفوري واخرى يتم تنفيذها على المدى الطويل نسبيا[1]. وتشمل الاخيرة دراسات تتعلق بمستقبل الضفة الغربية والاحتمالات المطروحة على هذا الصعيد ، وتتراوح هذه الاحتمالات بين دمج الضفة الغربية كليا في الاقتصاد الاسرائيلي او اعادتها ، اما كليا او جزئيا ، الى الاردن مرورا بامكانية اقامة كيان فلسطيني « مستقل » فيما تحت الاشراف الاسرائيلي. وقد وضعت اللجنة المذكورة الدراسات اللازمة لتنفيذ كل احتمال من هذه الاحتمالات وفقا لما تمليه الظروف والاوضاع وتطورها على الصعيدين المحلي والعالمي . اما تنفيذ الخطط الفورية فقد ادى الى اعتماد العملة الاسرائيلية في القدس المحتلة وقطاع غزة والجولان باعتبارها العملة الوحيدة المعترف بها رسميا ، وادخال الليرة الاسرائيلية في الضفة الغربية للتعامل بها الى جانب الدينار الاردني ، والى التخفيف التدريجي من العوائق القائمة في وجه التجارة بين اسرائيل والضفة الغربية مع السماح للضفة بالاحتفاظ بسوقها الزراعية في الاردن لان ذلك يريح اسرائيل من مشكلة استيعاب الانتاج الزراعي للضفة (مثل الفاكهة والخضار) والتخلص من مضاربته للانتاج الاسرائيلي المماثل بسبب انخفاض اسعاره وتكاليفه . بعبارة اخرى لقد ساعد الدخل الآتي من مبيع انتاج الضفة الغربية الزراعي في شرقي الاردن على انجاح مخطط الاحتلال الاسرائيلي في منع تفاقم اية ازمة اقتصادية في الضفة من ناحية وتنشيط اقتصادها من ناحية ثانية ، بالاضافة الى تخفيف عبء نفقات الاحتلال على اسرائيل نفسها .

اما بالنسبة لتجارة اسرائيل مع الضفة الغربية خارج القطاع الزراعي فقد تزايدت بشكل ملحوظ ومتصاعد ، وابتداء بصيف ١٩٦٨ سمحت سلطات الاحتلال لسكان الضفة الغربية بالعمل كمياومين في اسرائيل ، بعبارة اخرى ، مع انقضاء العام الاول على الاحتلال نجحت السياسة الاسرائيلية الى حد كبير في اعادة الحياة في الضفة الغربية الى مجراها شبه الطبيعي .

اما القدس المحتلة فلها وضع خاص يميزها عن بقية الضفة الغربية بسبب اخضاعها الفوري لاحكام التشريعات الادارية والاقتصادية الاسرائيلية . على سبيل المثال قامت وزارة السياحة الاسرائيلية ، بعد الحرب مباشرة ، باصدار تصنيفها لكافة الفنادق الموجودة في القدس القديمة (وعددها ٣٤) وقد انضم نصفها الى جمعية فنادق القدس ومطاعمها . واعطت الوزارة الى كل وكلاء السياحة والسفر من العرب اجازات مدتها ثلاثة اشهر على ان تستبدل باجازات دائمة فيما بعد(٢). كذلك فرضت وزارة التجارة والصناعة على جميع المتاجر اعلان اسعارها وارسلت موظفيها للتأكد من سلامة الموازين والعيارات التي يستخدمونها . وحتى تاريخ كانون الثاني ١٩٦٨ كان قد تم تسجيل ٤٠٠ تاجر عربي بالمفرق في احد فروع « جمعية القدس لرجال الاعمال الصغار »(٣). وفي شهر آب ١٩٦٨ صدر أمر اداري يفرض على جميع رجال الاعمال واصحاب المهن الحرة التسجيل لدى الحكومة الاسرائيلية في تاريخ اقصاه شباط ١٩٦٩ . وكان هذا الاجراء بمثابة الخطوة الاخيرة في اتمام عملية دمج القدس المحتلة بدولة اسرائيل . غير ان السلطات الاسرائيلية اضطرت الى تأخير هذا التاريخ اكثر من مرة بسبب عدم اقبال السكان العرب على التقيد به . وفي النهاية لجأت اسرائيل الى اجراء من نوع آخر لتنفيذ هذا الامر الاداري حيث خولت كل وزارة من الوزارات اتخاذ الاجراءات اللازمة لتسجيل كل من يعنيهم الامر في سجلاتها ، مما رفع عن السكان العرب مسؤولية المبادرة في الخضوع للتشريع الاسرائيلي . وجدير بالذكر ان اسرائيل حاولت استخدام هذا الاسلوب مع المحامين العرب ولكنهم مع ذلك رفضوا ممارسة مهنتهم(٤). وقد ادعت الحكومة الاسرائيلية ان قانون آب ١٩٦٨ يدخل ضمن نطاق الاجراءات الادارية لا اكثر ، الا ان القادة العرب ردوا بقولهم انه طالما ان ضم القدس الى دولة اسرائيل هو عمل غير شرعي في الاساس يكون بذلك قانون آب غير شرعي ايضا وغير وارد اصلا . لقد ميز عرب القدس بصورة عامة بين التعاون السلبي والتعاون النشيط مع السلطات الاسرائيلية لذلك احجموا عن التعاون مع الاحتلال عندما كان ذلك ممكنا طواعية، وعليه لم يسجل في القدس المحتلة سوى الف عربي ، في صيف ١٩٦٧ ، من اصل ١٥٠٠٠٠ شخص كانوا يبحثون عن عمل في مكتب العمل الرسمي في القطاع العربي من المدينة(٥).

في باديء الامر كانت الحكومة الاسرائيلية تريد اصدار عملة خاصة للضفة الغربية يتم التعامل بها الى جانب الدينار الاردني . الا ان تسرب الليرة الاسرائيلية الى الضفة بصورة غير رسمية ، والذي بلغ حدود المليون ليرة اسرائيلية في الشهر الاول من الاحتلال ، حدا بسلطات الاحتلال الى العدول عن خطتها الاولى . وبما ان البنوك المحلية كانت قد اغلقت من قبل الحكومة الاسرائيلية بعد الحرب مباشرة اخذ الدينار يزداد ندرة واخذت الليرة الاسرائيلية تتسرب بسرعة اكبر . وانتهزت سلطات الاحتلال هذه الفرصة المؤاتية بسرعة فحددت في ٢٦ حزيران ١٩٦٧ سعرا جديدا للتبادل بين الدينار والليرة الاسرائيلية مما خفض قيمة الدينار بحوالي ٤٠ بالمئة ، وفي آب ١٩٦٧ تبعت ذلك باجراء ادخل الليرة الاسرائيلية كعملة شرعية الى جانب الدينار الاردني مما خفف لا شك من حدة الازمة المالية(٦). وهذا ما كانت تعمل على تحقيقه اسرائيل ، أي اعادة الامور الى مجراها الطبيعي بقدر الامكان . وبعد اغلاق البنوك العربية والبريطانية في الضفة الغربية قامت لجنة خاصة تابعة لسلطات الاحتلال بمراجعة حساباتها والعمل بصورة ما على استعادة القسم الكبير من الودائع التي نقلت الى مراكز البنوك الرئيسية في عمان اثناء الحرب . لذلك قررت هذه اللجنة عدم السماح باعادة فتح البنوك في الضفة قبل عودة الودائع اليها(٧). وعلى اثر ذلك اجرت سلطات الاحتلال مفاوضات مع مسؤولي البنك المركزي الاردني ، تحت اشراف صندوق النقد الدولي بغية اعادة فتح البنوك في الضفة الغربية ، الا ان اصحاب البنوك في عمان لم يكن بامكانهم الموافقة على الشروط الاسرائيلية التي كانت تدعو الى قطع كل اتصال بين الفروع الواقعة تحت الاحتلال والمراكز الرئيسية في عمان مما ادى الى فشل المفاوضات وبقاء البنوك مقفلة(٨). كذلك

رفضت فروع انينك البريطاني العثماني فتح ابوابها بالرغم عن الامر الصادر بهذا المعنى عن السلطات العسكرية في ايار ١٩٦٨(٩). في مقابل ذلك سمحت الحكومة الاسرائيلية للمودعين في الضفة الغربية بالسفر الى عمان لسحب مبالغ معينة بالدينار الاردني من حساباتهم شرط الا يزيد المبلغ عن ٢٠٠ دينار لكل سفرة ولمدة لا تتجاوز الشهر الواحد(١٠). وفي نفس الوقت قام بنك لئومي الاسرائيلي بفتح تسعة فروع له في الضفة الغربية والقدس المحتلة. وكان التعامل الرئيسي للعرب مع هذه الفروع هو تبديل العملة بالرغم عن توارد بعض الانباء التي تفيد بأن بعض المزارعين العرب حصلوا على قروض موسمية منها(١١). ونتيجة لتجميد الاموال السائلة في البنوك المغلقة تعطل كل من قطاعي البناء والتجارة في الضفة الغربية عن العمل اول الامر . ولم يحصل الا قلة قليلة من العرب على قروض من البنوك الاسرائيلية في تلك الفترة بسبب تردد رجال الاعمال العرب لدوافع سياسية ولارتفاع اسعار الفائدة الاسرائيلية التي تصل الى ٨ او ٩ بالمئة بينما اعتاد تجار الضفة اسعار الفائدة الاردنية التي لا تتعدى ٥ بالمئة على القروض الطويلة الاجل . ومن ناحية ثانية كان رجال المصارف الاسرائيليون يترددون ايضا في تقديم مثل هذه القروض بسبب الغموض الذي كان يحيط بالوضع السياسي عامة غير ان الحكومة الاسرائيلية تخطت هذه العقبة بسرعة عن طريق تقديم الضمانات التجارية والسياسية للبنوك الاسرائيلية بغية تشجيعهم على تقديم مثل هذه القروض(١٢) باعتبارها تساعد على ربط اقتصاد الضفة الغربية باسرائيل وجعله تابعا لها .

معروف ان النظام الضريبي في الضفة الغربية يختلف اختلافا جوهريا عن النظام المعمول به في اسرائيل ، اذ يقوم النظام الضريبي في الضفة على جباية الضرائب العالية على الاملاك وجعل ضرائب الدخل والضرائب غير المباشرة منخفضة نسبيا مع اعفاء المزارعين من ضرائب الدخل . ومع ان الحكومة الاسرائيلية قررت ابقاء النظام الضريبي على حاله في الضفة وباشرت جمع الضرائب على الاسس القديمة فقد فرضت رسوما جمركية على بعض البضائع المتجهة من الضفة الى اسرائيل كي تعوض عن الانخفاض النسبي في الضرائب غير المباشرة في الضفة نفسها . كذلك قامت اسرائيل بتبديل نهاية السنة المالية من ٣١ كانون الاول الى ٣١ آذار وهو التاريخ المعمول به في اسرائيل(١٣). وفي تموز ١٩٦٧ أعادت سلطات الاحتلال فتح المكاتب الاقليمية للضرائب كما اعادت توظيف جباة الضرائب العرب بعد تسريح الذين رفضوا التعاون معها(١٤). وفي اواخر ١٩٦٧ اكدت الحكومة الاسرائيلية للسكان العرب ان ٩٠ بالمئة من الضرائب المجموعة سوف تذهب الى السلطات المحلية و ١٠ بالمئة فقط الى الخزينة الاسرائيلية في محاولة من قبلها لجعل رؤساء البلديات والسكان عامة يتعاونون في جباية الضرائب ودفعها . من ناحية اخرى لجأت سلطات الاحتلال الى اجراء له دلالات بعيدة المدى لانه اعطى اسرائيل كافة المعلومات التي تريدها عن اوضاع الملكية في الضفة . قامت وزارة العدل الاسرائيلية بنقل جميع السجلات المتعلقة بملكية الارض الموضوعة في مكاتب اقليمية في الضفة الغربية الى مكتبها المركزي في القدس حيث استحصلت على نسخ منها قبل اعادتها الى مكانها الاصلي . بعد هذا الاجراء سمحت سلطات الاحتلال لهذه المكاتب بفتح ابوابها واعادت الموظفين العرب اليها(١٥). وفي اواسط حزيران ١٩٦٧ اصدرت السلطات العسكرية تشريعا يمنع كل المبادلات العقارية في الضفة الغربية بدون اذن سلطات الاحتلال . كما عينت قيما على املاك الغائبين واملاك الحكومة الاردنية بموجب قانون اسرائيلي صادر عام ١٩٥٠ . ولم تسمح السلطات للاقرباء بالاضطلاع بمسؤولية الحفاظ على ممتلكات النازحين . اي ان تصرفات اسرائيل ونواياها على هذا الصعيد لم تتغير منذ استيلائها الرسمي على ارض فلسطين عام ١٩٤٨. وهذا واضح من التقرير الذي رفعه السيد جوسنج الممثل الشخصي للامين العام لهيئة الامم المتحدة حيث اثار التساؤلات حول سياسة المصادرة التي أخذت تتبعها اسرائيل بعد الاحتلال . ذكر التقرير « ان القيم الاسرائيلي على املاك الغائبين استولى على بيوت لمجرد عدم كون اصحابها في داخلها ، ففي بعض الحالات كان اصحاب هذه البيوت غائبين بصورة مؤقتة بسبب زيارة كانوا يقومون بها الى عمان مثلا »(١٦).

تتلخص اوضاع الصناعة التي نمت في الضفة الغربية قبل الحرب بكونها بالدرجة الاولى صناعات يدوية وخفيفة . وتؤمن هذه الصناعات ، بالاضافة الى قطاع البناء ، حوالي ١٥ بالمئة من دخل الضفة . ونتيجة لتضافر عوامل عديدة ، مثل اغلاق البنوك ، نزوح السكان ، توقف حركة السياحة ،

صعوبة استيراد المواد الخام ، توقف الانتاج في الضفة ، تولدت حالة من البطالة الواسعة اول الامر . ولكن بما أن الانتاج الزراعي استمر على حاله بعد الحرب كانت الصناعات المرتبطة به هي السباقة في العودة الى العمل بسرعة مثل معامل توضيب البندورة والفاكهة ، بالاضافة الى معاصر الزيت في نابلس وشركة العازارية لصنع السجائر. من ناحية اخرى بقيت السياحة متوقفة في الضفة ، باستثناء القدس ، بسبب اوضاع الامن المضطربة وفرض حظر التجول وغياب السواح من البلدان العربية الاخرى ، بالاضافة الى الاوامر التي تمنع الاسرائيليين من البقاء في الضفة الغربية لمدة تتجاوز ٤٨ ساعة . مع ذلك تمكنت بعض الصناعات السياحية من العودة ببطء الى الانتاج مثل شركة الخليل للزجاج وشركة هدايا بيت لحم التي أخذت تتعامل مع السياح الاتين من اسرائيل . كذلك عادت المعامل التالية الى الانتاج : معمل نابلس للمياه الغازية ، معمل البلاستيك في بيت ساحور ، معمل رام الله للشوكولاتة ، وصناعة المفروشات في بيت لحم . ولم تتمكن هذه المعامل من العودة الى الانتاج الا بعد حصولها على المواد الخام اللازمة من التركات الاسرائيلية(١٧). غير ان اسعار هذه المواد الآتية من اسرائيل بالاضافة الى الرسوم الجمركية المفروضة عليها رفعا الى حد كبير نفقات الانتاج . اما قطاع البناء الذي كان يوظف قبل الحرب ١١ بالمئة من اليد العاملة وكان يستوعب ٨٠ بالمئة من كل التوظيفات المالية ، فقد بقي راكدا نسبيا لاسباب عديدة منها اغلاق البنوك والاوضاع غير المستقرة عامة .

وكما هو متوقع ارسلت وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية ممثليها الى الضفة الغربية لدراسة الاوضاع الاقتصادية السائدة فيها ، كما فتحت مكاتب فرعية لها في المدن الرئيسية (وسلمتها الى موظفين محليين) مهمتها تسهيل الربط بين عملية الانتاج في الضفة والاقتصاد الاسرائيلي . وقد كانت اول الخطوات بهذا الاتجاه جعل الانتاج في المنطقة المحتلة يعتمد من اساسه على الاقتصاد الاسرائيلي وعلى التسويق الاسرائيلي . لذلك انشأت حكومة الاحتلال صندوقا رأسماله مليون ليرة اسرائيلية لاحياء النشاط الاقتصادي في القدس كما منحت الضفة الغربية ٣،٥ مليون ليرة اسرائيلية لنفس الهدف(١٨) وفي حزيران ١٩٦٨ سمحت سلطات الاحتلال بتقديم قرض بمبلغ ٦٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية الى بيت لحم لاتمام مركز تجاري هناك ، وفي تشرين الاول ١٩٦٨ قدمت قرضا بمبلغ ٢٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية بفائدة ٦ بالمئة لمدة ٦ سنوات الى مدينة نابلس من اجل ادخال تحسينات على الكهرباء وشبكة مياه الشرب والمجارير والطرقات(١٩). كما اقامت هذه الوزارة معرضا تجاريا يمثل حوالي ١٠٠ شركة اسرائيلية وجعلته يطوف في مدن الضفة الغربية في ربيع ١٩٦٨ كجزء من حملتها للتسلل الى اقتصاديات الضفة من الداخل والهيمنة عليها ، كما دعت ٣٠٠ من السكان العرب الى زيارة معرض حزيران التجاري في تل ابيب . في الواقع ذهبت اسرائيل الى ابعد من ذلك في تثبيت وضعها في الضفة الغربية ضمن اطار خطتها العامة الرامية الى اخضاع الضفة اقتصاديا اخضاعا تدريجيا للمصالح الاسرائيلية حتى اذا جاءت المناسبة الملائمة لدمجها في اسرائيل يكون كل شيء قد أعد لذلك بصورة مسبقة . على سبيل المثال انفقت مديرية الاشغال العامة التابعة لوزارة العمل (في الفترة الواقعة بين حزيران ١٩٦٧ وآذار ١٩٦٨) مبلغ ١١ مليون ليرة اسرائيلية على تصليح الطرقات في الضفة الغربية ولا يشمل هذا المبلغ نفقات تحسين الطرقات الموجودة وتوسيعها فحسب بل يشمل ايضا شق طرق جديدة بما في ذلك الطرق الموصلة الى المستعمرات الاسرائيلية في منطقة عتسيون وعلى طرف نهر الاردن . وقد تم وضع الخطط اللازمة لانشاء طريق دولية طولها ٣٧٠ ميلا تمتد من جبل الشيخ في مرتفعات الجولان باتجاه الجنوب على الجانب الغربي من نهر الاردن والبحر الميت حتى تصل الى ايلات . ومع حلول عام ١٩٧٠ كانت السلطات الاسرائيلية قد قطعت شوطا بعيدا في شق الطريق الواقعة الى جنوب شرم الشيخ في صحراء سيناء(٢٠). ولا يخفى على القارىء ما لشبكة الطرقات الجيدة والحديثة من اهمية استراتيجية قصوى خاصة بالنسبة لاسرائيل التي تعتمد على الحرب الصاعقة والحركة السريعة في اسلوب قتالها . وقد استخدمت اسرائيل اليد العاملة العربية في انجاز هذه الاعمال(٢١).

في تموز ١٩٦٨ اخذت سلطات الاحتلال تستورد العمال العرب من الضفة الغربية الى اسرائيل كعمال مياومين بالرغم عن ان مؤسسة التخطيط الاقتصادي الاسرائيلي كانت قد اعترضت على مثل هذا الاجراء قبل سنة بحجة انه سيزيد من حدة مشكلة البطالة في اسرائيل(٢٢). لكن يبدو انه بعد

استتباب أمور الاحتلال اخذت السلطات الاسرائيلية تتطلع الى استغلال اليد العاملة العربية الرخيصة والتخفيف من حدة أزمة النقص في اليد العاملة الناشئة بسبب الخدمة العسكرية ، لذلك قامت السلطات بتبديل موقفها من مسألة استيراد العمال العرب الى اسرائيل(٢٣). اصبح على سكان الضفة الغربية الذين يرغبون في العمل في اسرائيل الحصول على تصريح خاص من السلطات العسكرية المحلية وعلى شهادة عمل من احد مكاتب التوظيف الاسرائيلية الموجودة في الضفة . وبطبيعة الحال ركزت سلطات الاحتلال على سكان القدس العربية في سياسة تشغيل العرب في اسرائيل . في تشرين الثاني ١٩٦٨ ذكرت وزارة العمل ان ٥،٠٠٠ عامل عربي ينتقلون يوميا الى اسرائيل حيث يعملون بصورة رئيسية في المزارع والاشغال العامة . ومع حلول أيار ١٩٦٩ ارتفع عدد العاملين الذين يأتون من كافة الاراضي المحتلة الى ١٥،٠٠٠ عامل(٢٤). وفي أيلول ١٩٦٧ سمحت الحكومة الاسرائيلية لتجار الضفة الغربية باستيراد البضائع من اسرائيل بدون الحصول على تصريح خاص على ان يدفعوا ضرائب الشراء الاسرائيلية كاملة . ومع حلول منتصف تشرين الاول عززت سلطات الاحتلال هذا الوضع المفيد لاسرائيل عن طريق السماح بنقل البضائع من الضفة الغربية الى اسرائيل بدون اي تصريح مع ابقائها خاضعة للرسوم الجمركية ، وطبق هذا الاجراء حتى بالنسبة للتجارة بين القدس المحتلة والضفة الغربية نفسها(٢٥) ومن الدلائل الواضحة على سياسة اسرائيل في اخضاع اقتصاديات الضفة الغربية تدريجيا للمصالح الاسرائيلية اعتراف سلطات الاحتلال انه مع بدء الاحتلال كانت اسرائيل تستورد من المناطق المحتلة اكثر بكثير مما كانت تصدر اليها خاصة عن طريق ما كان يشتريه السياح الاسرائيليون . ولكن مع حلول عام ١٩٦٨ انقلبت الاية اذ اخذت الشركات الاسرائيلية باستغلال الفرص الجديدة في توسيع أسواقها فاخذت ترسل صادراتها الى المناطق المحتلة وتقوم بتزويد الصناعات العربية الخفيفة في الضفة بالمواد الاولية اللازمة لها(٢٦).

وبالرغم من ان الحكومة الاسرائيلية اعلنت لفظيا معارضتها لقيام الشركات الاسرائيلية بانشاء فروع لها في الضفة الغربية الا ان الواقع هو ان عددا من هذه الشركات والمصالح التي تعنى بالخدمات قامت بنشاط مركز في الضفة بالتنسيق مع وزارة التجارة والصناعة . على سبيل المثال قامت شركة ميكوروت للمياه بالعمل على عدد من المشاريع المائية في الضفة الغربية ، وقام تجمع من ثلاث شركات اسرائيلية للمحروقات بتزويد الضفة بالمحروقات بواسطة ناقلات وصهاريج اسرائيلية مما ادى الى رفع اسعار هذه المواد الى مستوى الاسعار السائد في اسرائيل(٢٧). وسيرت شركة ايجيد للباصات ثلاثة خطوط بين اسرائيل والضفة الغربية (نابلس ــ الناصرة ، القدس ــ بئر السبع عن طريق الخليل ، القدس ــ عتسيون) ، كما عملت باصات اسرائيلية اخرى في منطقة القدس الموسعة . كذلك قام وكلاء السفر والسياحة الاسرائيليون بتنظيم رحلات سياحية الى الضفة الغربية والقدس منطلقة من اسرائيل ، مع العلم بأن وكلاء السفر والسياحة الاسرائيليين كانوا يتعمدون ارسال السياح الى ما يسمى « بالقطاع الاسرائيلي » من القدس والغاء الحجوز في فنادق القطاع العربي(٢٨). وقد اكدت الصحف هذه الشكوى وذكرت ان هذا التمييز يحدث بالرغم عن ان الفنادق العربية هي من الدرجة الممتازة ومسجلة في الدليل السياحي الذي تصدره حكومة اسرائيل(٢٩).

مع ان الانتاج الزراعي للضفة استمر بالاتجاه الى أسواقه القديمة ، شرقي الاردن ، الا ان الاحتلال عطل اول الامر التبادل التجاري بالنسبة للمنتجات الصناعية بين الضفتين . لكن سلطات الاحتلال عملت ما في وسعها للسيطرة على الموقف عن طريق محاولة ابقاء الامور في الضفة تسير باقرب ما يكون الى مجراها الطبيعي لذلك سمحت في اواخر ١٩٦٧ لما يزيد عن ٢٠٠ تاجر عربي بالسفر الى ميناء العقبة للحصول على بضائع كانت قد وصلت منذ انتهاء الحرب . الا ان الرسوم الجمركية الاسرائيلية المرتفعة جدا لم تسمح للتجار العرب ، باستثناء قلة منهم ، بالاستفادة من هذا الوضع بالرغم عن ان البضائع المعنية لم تكن متوجهة الى اسرائيل اصلا(٣٠). وفي شباط ١٩٦٨ قامت السلطات الاسرائيلية بتنظيم قضايا التبادل التجاري المرتبطة بالضفة الغربية عن طريق اصدار تشريع يصنف المنتجات الى ثلاثة اصناف : (١) منتجات الضفة الغربية التي يمكن تصديرها الى الاردن بدون اجازة وهي تشمل الصابون والحلويات ، المصنوعات البلاستيكية ، الخضروات المعلبة ، المفروشات ، أعواد الثقاب والمنسوجات .

(٢) المستوردات التي لا تخضع الى اية رسوم جمركية او اجازة استيراد وهي تشمل القمح والشعير من انتاج الضفة الشرقية ، التوابل ، الجوز وما شابهه مما هو مستورد من الدول العربية . (٣) البضائع التي تخضع للاجازة والرسوم الجمركية[٣١]. وفي نهاية ١٩٦٨ ذكرت الحكومة الاسرائيلية انها تلقت ٦٠٠ طلب للحصول على اجازات لهذا الغرض .

سمحت الحكومة الاردنية بالتجارة مع الضفة الغربية مع مقاطعة المنتجات الاسرائيلية . ولكن منذ ان بدأت اسرائيل بتزويد الضفة الغربية بالمواد الخام لصناعاتها اصبح من المتعذر على الحكومة الاردنية التأكد من منشأ البضائع الاتية الى منطقتها من الضفة ، خاصة فيما يتعلق بالمنتجات الزراعية المصنعة . وقد ذكرت سلطات الاحتلال في خريف ١٩٦٨ ان الاردن قد بدأ في الحد من استيراد البضائع التي قد تكون مواد خامها آتية من اسرائيل بما في ذلك المنسوجات والشوكولاته والمشروبات الروحية والاحذية والمفروشات[٣٢]. واضطرت الحكومة العسكرية في الضفة المحتلة الى الحد مؤقتا من التجارة عبر النهر في كانون الاول ١٩٦٨ بعد ان تبين لها ان الانفجار الذي وقع في القدس في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٨ سببه مواد متفجرة دخلت الارض المحتلة سيارة تحمل لوحة اردنية . لذلك منعت السلطات الاسرائيلية جميع العربات من المرور عبر النهر لمدة ثلاثة اسابيع ، وفي شهر كانون الاول اقامت نقاط التفتيش على الطرقات بين مدن الضفة الغربية نفسها وبين الضفة واسرائيل ، وتشددت في منح التصاريح ، واخذت تعطيها الى السائقين شرط ان يتبعوا طريقا معينة لا يحيدون عنها مع اعتبار كل سائق مسؤولا عن اي صلة قد يكشفها التحقيق بين شاحنته واعمال المقاومة العربية . كذلك تشددت سلطات الاحتلال في تفتيش البضائع المارة عبر النهر بحيث كان المسؤولون الاسرائيليون يكسرون قوالب الجبن ويفتحون السيجار بحثا عن المواد التي يمكن ان تستخدمها المقاومة العربية . كما منعت مرور المعلبات وكافة الاوعية المجوفة بسبب تعذر تفتيشها بدقة . وبما ان مثل هذه الاوضاع المتأزمة تفيد روح المقاومة والتمرد لدى الشعب المحتل كانت سلطات الاحتلال تعمل جهدها على تجنبها كلما سنحت الفرصة . لذلك قامت في كانون الثاني ١٩٦٩ بتخفيف القيود التي فرضتها على سفر الافراد الا انه بعد انفجار قنبلة اخرى في القدس في ٢١ شباط اضطرت هذه السلطات الى العودة للتشدد من جديد باستثناء الحالات الضرورية جدا[٣٣]. اما فيما يتعلق بالاضرابات في الضفة الغربية والقدس فقد كان رد فعل سلطات الاحتلال عليها حادا جدا خاصة بالنسبة للاوساط التجارية. على سبيل المثال ، بعد اضراب استمر يوما واحدا في القدس في آب١٩٦٧ اغلقت السلطات الاسرائيلية خمسة حوانيت وشركة باصات لمدة اسبوعين[٣٤]. وكان خوف العرب من ان تستولي الشركات الاسرائيلية على اعمالهم بالاضافة الى القمع الذي وجهته اليهم القوات المسلحة الاسرائيلية يفسران الفشل الجزئي لاضرابات اليوم الواحد التي جرت في القدس في ٢١ آب و١٩ ايلول ١٩٦٧ . اما في نابلس فقد نجح اضراب ١٩ ايلول نجاحا كليا مما اضطر السلطات الاسرائيلية الى فرض حظر التجول الكامل والتهديد بجعل مدينة جنين ، بدلا من نابلس ، المركز التجاري للقطاع الشمالي من الضفة الغربية[٣٥]. وفي ايار ١٩٦٨ ادت احتجاجات سكان رام الله على الاستعراض العسكري الذي جرى في القدس ، بمناسبة عيد استقلال اسرائيل ، الى اجراءات مشابهة استمرت ثلاثة ايام . ومن الاجراءات التي لجأت اليها سلطات الاحتلال تحميل الغرف التجارية المحلية والبلديات مسؤولية منع المظاهرات والاضرابات واعمال المقاومة . كما ضغطت على التجار كي لا يشاركوا في الاضرابات عن طريق فرض عقوبات قاسية (السجن لمدة سنة او غرامة تساوي الف ليرة اسرائيلية) لمجرد اغلاق المتجر في يوم عمل عادي . اما اغلاق المتجر اثناء اعلان الاضراب فيعني عقوبة خمس سنوات في السجن او غرامة تساوي عشرة آلاف ليرة اسرائيلية[٣٦].

لم يقتصر دخول المواد الخام من اسرائيل الى الضفة الغربية على رفع تكاليف الانتاج وفتح الباب امام احتمالات اغراق سوق الضفة بالمنتجات الاسرائيلية بل تعدى ذلك الى تسبيب ارتفاع كبير في غلاء المعيشة مما اضطر سلطات الاحتلال الى رفع رواتب موظفي الضفة المحليين بنسبة ٢٠ بالمئة في ايلول ١٩٦٧ ، اضيف اليها زيادة بلغت ٨ بالمئة في تشرين الاول ١٩٦٨[٣٧]. ومع حلول شباط ١٩٦٨ كانت اسعار المواد الغذائية الاساسية ، باستثناء القمح ، قد تضاعفت . وما ان حل صيف ذلك العام الا وكانت الاسعار في الضفة الغربية

مماثلة الى الأسعار السائدة في أسرائيل في حين بقيت الاجور أدنى من الاجور الاسرائيلية . بعبارة اخرى ، اكتسبت اقتصاديات الضفة الغربية ملامح جديدة تتناسب مع ارتباطها الجديد مع اسرائيل وتختلف الى حد بعيد عن ملامحها السابقة حين كانت جزءا من الاقتصاد الاردني . وبسبب تخلف الضفة الغربية الكامل عن اسرائيل في حقل التصنيع لا شك في ان الصناعات الصغيرة هناك هالكة لا محالة في المستقبل بسبب عجزها عن منافسة المصنوعات الاسرائيلية ، مما يعني ان ما تسميه سلطات الاحتلال « بالتنسيق بين اقتصاديات الضفة واسرائيل » لا يمكن ان يعني في المستقبل الا جعل الضفة مصدرا لليد العاملة الرخيصة وسوقا جديدة للمنتجات الاسرائيلية ، ولم يداور بعض الوزراء الاسرائيليين في التصريح عن هذه الحقيقة (٣٨).

قبل العدوان كانت الزراعة تشكل قاعدة رئيسية لاقتصاد الضفة الغربية ، وتؤمن ثلث انتاجها العام وتوفر العمل لنصف القوة العاملة فيها . وضمن مخططها للاستفادة من الانتاج الزراعي للضفة وتحويله بشكل يتناسب مع مصالح الاقتصاد الاسرائيلي ومتطلباته قامت سلطات الاحتلال اول الامر بتنشيط الدوائر الحكومية المرتبطة بالزراعة وشجعت تشكيل اللجان الزراعية المحلية ومؤسسات التسويق . كما استمرت في تقديم الخدمات البيطرية وتطعيم الماشية والدجاج ورش كافة مناطق زراعة الحمضيات في الضفة(٣٩). واعتبرت وزارة الزراعة الاسرائيلية وسائل التحريج التي كانت متبعة في الاردن غير صالحة ولا تفي بالمطلوب لذلك أرسلت عددا من المسؤولين العرب لدراسة الوسائل الاسرائيلية في هذا الميدان ، كما أرسلت خبراء من عندها كي يشرفوا على زراعة مليون غرسة في الضفة(٤٠). واستمرت الحكومة الاسرائيلية بمشروع المراكز الزراعية التجريبية الخمسة العاملة في الضفة الغربية وتشجيع التجارب في هذه المراكز على انواع جديدة من المحصولات تهم الاقتصاد الاسرائيلي بالدرجة الاولى(٤١). وفي نطاق تحويل الانتاج الزراعي في الضفة الى منتوجات تحتاجها اسرائيل قامت وزارة الزراعة الاسرائيلية بنشاط كبير مثل تنظيم دورات مدتها اسبوعين لتدريب بعض العمال الزراعيين العرب ، على استخدام الوسائل الزراعية الجديدة والاستفادة من الاسمدة الكيماوية . ولا بد من الاشارة الى ان سلطات الاحتلال قد نفذت مشاريعها على هذا الصعيد في مرحلتين : كانت الاولى تنشيط الزراعة مجددا في الضفة الغربية بعد الحرب مباشرة ، اما الثانية فتتلخص بتحويل الانتاج الزراعي للضفة تدريجيا لخدمة مصالح الاقتصاد الاسرائيلي . ولا شك ان اهم عامل في تحقيق المرحلة الاولى كان فتح اسواق الضفة الشرقية امام انتاج الضفة المحتلة بسماح الاردن استمرار التجارة بين المنطقتين مما رفع عن اسرائيل عبء استيعاب انتاج الضفة الغربية الذي كان سينافس الانتاج الاسرائيلي من الفاكهة والخضروات بأسعار تقل بحوالي ٢٠ — ٢٥ بالمئة عن الاسعار الاسرائيلية . في الواقع عملت سلطات الاحتلال اول الامر على عرقلة تصدير الانتاج الزراعي للضفة الى اسرائيل والقدس عن طريق فرض شروط يتعذر توفرها في الانتاج العربي ، مثل فحوص صحية خاصة للمنتجات الغذائية والاصرار على تأمين تصريح خاص لتصديرها وضمانات مسبقة بالا تؤدي المواد المصدرة الى فائض في اسرائيل(٤٢). بالاضافة الى ذلك تم توجيه المزارعين العرب نحو اسرائيل بحيث يشترون البذور والاسمدة والمبيدات الحشرية والالات وفي بعض الحالات الجرارات الزراعية من الشركات الاسرائيلية(٤٣). وفي هذه الاثناء كانت لجان حكومية اسرائيلية تضع خططها الفورية والبعيدة المدى لتبديل اقتصاد الضفة الغربية وخاصة في ميدان الزراعة . كان الاقتراح الفوري الذي خرجت به اللجان هو خفض حجم انتاج الحاصلات الزراعية الموجهة للاستهلاك المباشر مثل البطيخ والخضروات ورفع حجم انتاج الحاصلات التي تحتاج الى الصناعة مثل القطن والتبغ والسمسم باعتبار ان كل ما له علاقة بالصناعة يزيد من ارتباط الضفة المتخلفة صناعيا باقتصاديات اسرائيل التي تتوفر لديها الامكانيات الصناعية المتقدمة . كذلك اقترحت اللجان المعنية تشجيع انتاج الخضروات الشتوية على الفور لاجل تصديرها الى اوروبا عبر اسرائيل وتشجيع انتاج الحبوب والتين والزيتون بسبب انخفاض محصولها في اسرائيل(٤٤). اما الخطط الطويلة المدى فقد كانت تشمل تحسين وسائل الزراعة والري وتربية المواشي وتحديثها بما يتفق مع المخطط الاسرائيلي في وضع الانتاج الزراعي للضفة الغربية في خدمة المصالح الاقتصادية الاسرائيلية المباشرة وربطه بها ربطا عضويا . في النهاية علينا ان ندرك بوضوح

ان استمرار الاحتلال على حاله سيعني ، بحكم الضرورات الاقتصادية والحيوية ، ارتباط حياة الضفة الغربية بالدورة الاقتصادية الاسرائيلية بصورة محكمة مما يجعل فكرة العودة الى القطيعة العربية التقليدية مع اسرائيل شبه مستحيلة .

---

١ ــ **جيروسالم بوست** ، ١٢ و٢٢ حزيران ١٩٦٧ ، **واشنطن بوست** ، ٢١ تموز ١٩٦٧ ، Don Peretz, "Israel's New Arab Dilemma," *The Middle East Journal*, Winter 1968, p. 52.

٢ ــ *Israel Government Yearbook (1967/1968)*, Central Office of Information, The Prime Minister's Office, Jerusalem, 1968, p. 282.

٣ ــ **جيروسالم بوست** ، ٤ و١٣ أيلول ١٩٦٧ ، ١٠ كانون الثاني ١٩٦٨ .

٤ ــ **نيويورك تايمس** ، ١٠ شباط ١٩٦٩ ، ٢٨ نيسان ١٩٦٩ .

٥ ــ **واشنطن بوست** ، ٢٩ تموز ١٩٦٧ .

٦ ــ **التايمز** اللندنية ، ٢٨ حزيران ١٩٦٧ ، ٢ آب ١٩٦٧ .

٧ ــ Letter from the Israel Government to the United Nations, July 12, 1967, Security Council Document S/8055.

٨ ــ **جيروسالم بوست** ، ١١ أيلول ١٩٦٧ .

٩ ــ **المرجع السابق** ، ٢٩ أيار ١٩٦٨ ، ١١ حزيران ١٩٦٨ .

١٠ ــ **المرجع السابق** ، ١٢ حزيران ١٩٦٨ ، فيما بعد اصبح المبلغ المسموح به كل شهر ٥٠٠ دينار اردني .

١١ ــ **المرجع السابق** ، ٢٥ آب ١٩٦٧ .

١٢ ــ *The Military Government's Civil Administration*, Israel Ministry of Defence, 1968, p. 6.

١٣ ــ **جيروسالم بوست** ، ١٧ كانون الثاني ١٩٦٨ .

١٤ ــ *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, pp. 60-61.

١٥ ــ **المرجع السابق** ، ص ٦٣ ــ ٦٤ .

١٦ ــ **جيروسالم بوست** ، ١٠ آب ١٩٦٧ ، ٧ كانون الثاني ١٩٦٨ ، ١٠ و١١ نيسان ١٩٦٨ . Report to the Secretary-General under General Assembly Resolution 2252 (ES-V) and Security Council Resolution 237, A/6797, S/8158 (1967), Paragraph 85 (g).

١٧ ــ *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, pp. 54-57.

١٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ٥٦ ، و **جيروسالم بوست** ، ٦ كانون الاول ١٩٦٧ .

١٩ ــ **جيروسالم بوست** ، ٢٧ حزيران ١٩٦٨ ، و **هآرتس** ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٨ .

٢٠ ــ "Israel's Public Works Department in Judaea and Samaria," a two-page mimeographed paper issued by the Israel Government Press Office, August 1968; *The Military Government's Civil Administration*, p. 7; *The New York Times*, 5 February 1970.

٢١ ــ Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 12 November 1968; *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, p. 23.

٢٢ ــ **جيروسالم بوست** ، ٣١ تموز ١٩٦٧ .

٢٣ ــ **نيو اوتلوك**، تشرين الاول ١٩٦٨، ص ٥٤.

٢٤ ــ **جيروسالم بوست** ، ٢٠ ايلول ١٩٦٨ ، **دافار** ، ٢ ايار ١٩٦٩ ، **نيويورك تايمس** ، ١٩ نيسان ١٩٦٩ ، Jerusalem Domestic Service Broadcast, (Hebrew), 12 November 1968.

٢٥ ــ **جيروسالم بوست** ، ٢١ أيلول ١٩٦٧ ، ٢٢ تشرين الاول ١٩٦٧ ، ١٠ كانون الثاني ١٩٦٨ .

٢٦ ــ *The Military Government's Civil Administration*, p. 5.

٢٧ ــ *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, p. 51.

٢٨ ــ **جيروسالم بوست** ، ٢١ حزيران ١٩٦٨ .

٢٩ ــ **نيويورك تايمس** ، ٨ شباط ١٩٧٠ .

٣٠ ــ *The Israel Administration in Judaea, Samaria and Gaza*, p. 55.

٣١ ــ **المرجع السابق** .

٣٢ ــ **المرجع السابق** .

٣٣ ــ Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), December 12, 1968.

جيروسالم بوست ، ٢٧ كانون الاول ١٩٦٨ و٢٥ شباط ١٩٦٩ .

وذكرت صحيفة **النيويورك تايمس** ان السلطات الاسرائيلية كانت تصر على تفريغ حمولة الشاحنات وفحصها بالمعدات الالكترونية بحثا عن المتفجرات ، كما كانت تفتش ابوابها وبطارياتها وجوانبها بدقة . اما بالنسبة للمواطنين فقد كانت تخضع حقائبهم للتفتيش

الدقيق وتطلب منهم خلع ملابسهم بالاضافة الى استجوابهم . (٢١ آب ١٩٦٩ ، ١٦ و٢٣ ايلول ١٩٦٩) .

٣٤ — **جيروساليم بوست** ، ٨ و٢٠ آب ١٩٦٧ .

٣٥ — **المرجع السابق** ، ٢٢ آب ١٩٦٧ ، ٢٤ ايلول ١٩٦٧ .

٣٦ — Jerusalem Domestic Service Broadcast (Hebrew), 20 October 1967.

٣٧ — **جيروساليم بوست** ، ١٣ أيلول ١٩٦٧ ، ١٨ تشرين الاول ١٩٦٧ .

٣٨ — Aryeh Sheshin, "Post-War Economics of the West Bank," *New Outlook*, October 1968, p. 23.

وبنحاس سابير وجولدا مائير كما ورد كلامهما في **النيويورك تايمس** بتاريخي ١١ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، و١٩ نيسان ١٩٦٩ .

٣٩ — *The Israel Administration in Judea, Samaria and Gaza*, pp. 44-45.

و **جيروساليم بوست** ١٤ تموز ١٩٦٨ .

٤٠ — *The Israel Administration in Judea, Samaria and Gaza*, p. 45.

٤١ — **المرجع السابق** ، ص ٤٤ .

٤٢ — **جيروساليم بوست** ، ٢٢ تشرين الاول ١٩٦٧ ، دون بريتز ، ص ٥٤ .

٤٣ — *The Israel Administration in Judea, Samaria and Gaza*, p. 45.

٤٤ — **المرجع السابق** ، ص ٤١ و٤٤ و٤٧ ، **جيروساليم بوست** ٢٠ تموز ١٩٦٧ و٢٦ كانون الاول ١٩٦٧ ، دون بريتز ، ص ٥٤ .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

كتـــاب

العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨

بقلـــم

حبيب قهوجي

يقدم حبيب قهوجي المناضل الفلسطيني ومؤسس حركة الارض في فلسطين المحتلة ، يقدم في هذا الكتاب سجلا كاملا لحياة العرب تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ مدعوما بالوقائع والشواهد والاسماء التي لا يمكن لاي باحث أن يلم بها ما لم يكن قد عاشها بنفسه . والكتاب عمل ضخم يقع في احد عشر فصلا تتناول الوضع السكاني والجغرافي والطائفي والمهني والاجتماعي والتعليمي والثقافي لعرب الارض المحتلة ، كما تتناول السياسات الاسرائيلية تجاه الاراضي العربية ويقدم بالوقائع شواهد مذهلة عن صمود القرية العربية وعن تمسك العرب بهويتهم الوطنية رغم كل الوسائل الرامية الى تشويه هذه الهوية وطمسها.

٥٩٠ صفحة من الحجم الكبير **١٠ ل. ل.**

تضاف اجـور البريد : ١٠٠ ق. ل. في البـلاد العربيـة
٢٥٠ ق. ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر دول العالم

كتب اجنبية حول معركة الخامس من حزيران ١٩٦٧

الدكتور صادق جلال العظم

ما ان انتهت الحرب العربية الاسرائيلية في عام ١٩٦٧ الا وكانت دور النشر وأجهزة الاعلام في الغرب قد اصدرت الكتب والمنشورات حول احداث القتال المثيرة والازمة السياسية العارمة التي سبقتها مستفيدة في ذلك من الجو العام الذي كان قد حول الانتباه كله الى منطقة الشرق الاوسط . ومع مضي العام الاول على انتهاء القتال كان عدد كبير من الكتب والدراسات قد صدر في البلدان الاوروبية وفي اسرائيل حول الحرب وملابساتها ومقدماتها ونتائجها . ولا حاجة لنا هنا الى التشديد على ان الغالبية العظمى من هذه المنشورات كانت موالية ، بصورة من الصور ، للصهيونية واسرائيل ، وان قسما لا بأس به منها لم يكن يتعدى مستوى الدعاية المحض والاثارة الرخيصة . الا ان هذا لا يجب ان يمنعنا عن الاطلاع العام على هذا الانتاج واخذ العلم ببعض محتوياته وتسجيل الاتجاهات العامة التي سلكها ، بالاضافة الى الاستفادة منه في فهم منطق الجبهة المعادية وتحليلاتها ودعايتها وفهم الكثير من اوجه القصور في السلوك العربي قبل الحرب وبعدها . وبالامكان تصنيف معظم هذه الكتب على النحو التالي :

اولا ، الكتب التي صدر معظمها في الغرب (خاصة باللغة الانكليزية) بعد الحرب مباشرة وهي ذات طابع صحافي وسردي ودعائي سريع الا ان اهميتها تكمن في الانتشار الواسع الذي حققته والتأثير الكبير الذي مارسته على الرأي العام بسبب اللحظة المناسبة (سياسيا وتجاريا ودعائيا) التي ظهرت فيها(١).

ثانيا ، كتب مصورة من الحجم الكبير تعتمد في مادتها على مشاهد عديدة مصورة لحرب حزيران موضوعة كلها من وجهة نظر المنتصر ، صدر بعضها في الغرب والبعض الاخر في اسرائيل من اجل توجيهها الى الرأي العام الغربي وهي مرفقة بتعليقات وشروح تناسب الصور(٢). على سبيل المثال يحتوي كتاب « صاعقة اسرائيل » الذي حرره سول بيت على عدد كبير من الصور المنتقاة بعناية فائقة وذات المستوى الفني الجيد . يبدأ الكتاب بصورة لجنود اسرائيليين يرقصون احدى رقصاتهم الشعبية امام حائط المبكى وقد كتب تحتها « افرحوا يا ابنائي عند حائط سليمان » وينتهي بصورة كبيرة للاجئين العرب عند جسر اللنبي وقد كتب تحتها « ولكن ينبغي ان تكون هناك عدالة » ، في محاولة مفتعلة جدا لاظهار الكتاب بمظهر « الموضوعية » وعدم التحيز . وقد تم انتقاء الصور بحيث لا تعبر ، قدر الامكان ، عن القسوة والدمار والعنف التي طبعت الحرب ، وبحيث يبدو الانتصار الاسرائيلي وعليه مسحة من الانسانية خاصة من ناحية التعبير عن الاشفاق على العرب وضحاياهم . لذلك نجد في الكتاب صورة مؤثرة بالالوان لطفلة عربية لا تتجاوز الثالثة من العمر وحيدة تماما امام انقاض بيوت تهدمت كليا اثر غارة جوية ، وهي تبكي وتحتضن ما يشبه الدمية .

---

١ ــ مثلا الكتب التالية :

Randolph & Winston Churchill, *The Six Day War*, Heinemann, London 1967.

Alex Benson, (ed.) *The 48 Hours War*, New York, In. Publishing Corp. 1967.

Roderick Macleish, *The Sun Stood Still*, Macdonald, London, 1967.

M. D. Japheth and P. K Rajiv, *The Arab Israel Conflict*, Pearl Publications Ltd., Bombay, India.

٢ ــ مثلا الكتب التالية :

Saul Pett (ed.), *Lightning Out of Israel*, The Associated Press, 1967.

Zeev Anner & Joseph Alkoni, *The War 1967*, Otpaz Ltd., Tel Aviv, 1967.

R. Bashan, *The Victory*, Quadrangle Books, Chicago, 1967.

كتاب مصور آخر ذهب نفس المذهب تقريبا في استعراض الحرب وآثارها هو كتاب « الحرب ١٩٦٧ » الذي يركز على موضوع رئيسي هو الجيش الاسرائيلي فيعطينا عرضا لردود فعل الجنود المنتصرين : حياتهم اليومية في الميدان ، قطع من اسلحتهم ومدرعاتهم ، بالاضافة الى صور اهم القادة الاسرائيليين في الميدان . وهذه الصور كلها ذات طابع ايجابي متفائل لا تظهر جنود العدو وهم منهمكون في عمليات التدمير والضرب والقتال بل في وضع المطمئن والفرح بعد الانتصار . كذلك لا يعرض الكتاب اية صور تتعلق بالدمار او حطام الاسلحة العربية أو الاسرى العرب او انسحاب جنودنا في الصحراء . وتقتصر الصور المتعلقة بالعرب على بعض الرؤساء والزعماء العرب بعضها مأخوذ قبل المعركة وبعضها بعد الهزيمة مباشرة بغية تبيان الفارق الواضح على سحنة القادة وتقاطيع وجوههم بين وضعهم الاول والثاني. اما الكتاب المصور الذي يشذ عن هذه القاعدة فهو كتاب « النصر » الذي يركز على معركة سيناء وموضوع صوره الرئيسية الجيش الاسرائيلي في اوضاع متحركة قتالية وهجومية منتصرة . يضاف الى ذلك صور القادة الاسرائيليين وهم في ظروف العمل ايضا . يبدأ الكتاب بصورة جوية كبيرة واضحة للطائرات المصرية وهي تحترق على الارض ، تتبعها صورة كبيرة ايضا لاحد المطارات الرئيسية في مصر بعد ان قصفته الطائرات الاسرائيلية وعلامات الدمار والخراب بادية عليه بوضوح . بعبارة اخرى يشدد هذا الكتاب على عرض مناظر الدمار التي حلت بالعتاد العربي كما يحوي على صور للاسرى العرب وحراسهم من جنود العدو ، بالاضافة الى صور لطوابير المدرعات الاسرائيلية وهي في وضع متحرك ومسرعة عبر الصحراء . كذلك يضم الكتاب صورا لجنود العدو في اوضاع غير قتالية مثل ساعات الراحة او الاستماع الى ارشادات القادة او التمتع بنشوة الانتصار بعد انتهاء معركة من المعارك او بعد احتلال موقع من المواقع العربية . هناك عدد من الصور المخصصة لمدينة غزة والجنود الاسرائيليين فيها . اكثر من صورة تظهر جنود العدو منهمكين في عملية رفع العلم الاسرائيلي في المواقع التي احتلوها ، وصور اخرى تظهر سكان القرى العربية في الضفة الغربية وهم يرفعون الرايات البيضاء في طريقهم الى عمان اثناء عمليات النزوح . كما يضم الكتاب صورة لقاعدة صواريخ سام بالاضافة الى صور عدد من القطعات البحرية الاسرائيلية . وفي نهاية الكتاب بعض الصور التي تهدف الى اعطاء الطابع « الانساني » لسلوك الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة مثل الجنود الاسرائيليين وهم يساعدون اهل الضفة الغربية على قطع الجسور الى الضفة المقابلة ، وصورة لاحد المستشفيات حيث يقوم الاطباء والممرضات بالاعتناء بالجرحى والمرضى . مع ان الكتاب مركز على معركة سيناء لكنه يورد ايضا بعض الصور المتعلقة بالعمليات الاسرائيلية في الضفة الغربية وبالهجوم الاسرائيلي على هضبة الجولان واحتلالها .

ثالثا ، بعض الكتب ذات الطابع العسكري الفني (الصادرة في الغرب وفي اسرائيل) ان كان من حيث تحليل الاستراتيجية العامة التي اتبعت في المواجهة او من حيث سرد تفاصيل احداث الحرب وتحركات القطعات العسكرية والتكتيكات التي استخدمت وتسلسل الاحداث على الجبهات مع تقييمات للطرف العربي المقاتل(٣).

رابعا ، كتب ذات طابع وثائقي تهدف الى تدعيم الدعاية الصهيونية حول الحرب عن طريق تقديم وثائق من نوع معين لتصبغ هذه الدعاية بالصبغة الجدية والعلمية والموضوعية وتكسبها بعض الاحترام الذي يكنه الناس عادة للوثائق(٤). على سبيل المثال يضم كتاب Mission Survival كمية كبيرة من « الوثائق » غير الرسمية (٥٠٠ صفحة) ، أي غير الحكومية بالمعنى الدقيق للعبارة . تتألف هذه « الوثائق » من مقالات صحفية مهمة كانت قد نشرت اثناء الازمة ، مقتطفات من كتب لها علاقة بالصراع ، اجزاء من رسائل وصلت من الجبهة ، نصوص المؤتمرات الصحفية للقادة الاسرائيليين ، شهادات أدلى بها الجنود والصحفيون وغيرهم ممن

---

٣ — Brigadier General S.L.A. Marshall, *Swift Sword*, American Heritage, Publishing Co. Inc. 1967.
Brigadier General C. Herzog, *Israel's Finest Hour*, Maariv Book Guild, 1967.
David Dayan, Strike First, Pitman Publishing Co. N. Y. 1967.

٤ — Muriel Chesler, *A Shield About Me*, Nasionale Boekhandel Beperk, Cape Town, South Africa 1968.
Ruth Bondy, Ohad Zmora and R. Bashan (eqts.) *Mission Survival*, W. H. Allen, London, 1968.

شارك في الجهد الحربي الاسرائيلي ، هذا بالاضافة الى تعليقات عديدة وملاحظات عامة حول شتى الامور المتعلقة بموضوع الحرب ومقدماتها ونتائجها المباشرة .

هناك انموذج آخر من هذا النوع من الكتب « الوثائقية » يأخذ الطابع الرومنطيقي والعاطفي لانه يهدف الى التأثير الانفعالي على قطاعات معينة من الناس تستجيب لهذا النوع من المؤثرات . فكتاب A Shield About Me يضم مجموعة كبيرة من الرسائل التي بعث بها يهود من جمهورية جنوب افريقيا العنصرية كانوا موجودين في اسرائيل قبل الحرب واثناءها الى اقاربهم في جنوب افريقيا. كذلك يضم مجموعة من الرسائل التي بعث بها المتطوعون اليهود الذين جاءوا من جنوب افريقيا الى اسرائيل مع تازم الوضع قبل اندلاع القتال . والهدف من نشر هذه الرسائل هو التأثير عن طريق تسجيل انطباعات كاتبيها حول فضائل الحياة في اسرائيل وحسنات المجتمع الاسرائيلي واشادتهم بالتضامن والتعاون والاخوة التي سادت دولة اسرائيل قبل الحرب واثناءها مع التشديد على تضامن يهود جنوب افريقيا خاصة والاقلية البيضاء عامة مع اسرائيل وسياساتها . الا انه لا بد من الاشارة هنا الى ان الوصف الذي تقدمه الرسائل لنشاطات الاسرائيليين العاديين وردود فعلهم في حياتهم اليومية والاعتيادية في الاعداد للحرب تبين المستوى الرفيع جدا الذي خضع له مجتمعهم في الاستعداد للحرب والتنظيم الدقيق الذي شمل كافة الطاقات البشرية استعدادا لساعة الصفر .

خامسا ، بعض الكتب ذات الطابع الرصين والمنهج التحليلي (بغض النظر عن وجهات النظر التي تحتويها) الصادرة في الغرب واسرائيل ، وتتناول الجوانب السياسية للحرب وللازمة التي سبقت نشوب القتال والاحتمالات التي باتت مطروحة بعد انتهائه(٥).

اما نوعية الاشخاص الذين إضطلعوا بمهمة تأليف هذا العدد من الكتب و« المؤهلات » التي يتمتعون بها والظروف التي وجدوا انفسهم فيها مما دفعهم الى الكتابة فيمكن تلخيصها كما يلي : الفئة الاولى من الكتاب تتألف من الصحفيين المحترفين والمراسلين العسكريين الذين جاءوا الى الشرق الاوسط اثناء الازمة التي سبقت الحرب لتغطية الاخبار وتطور الاحداث وبقوا حتى ما بعد انتهاء المعارك . وكان معظم هؤلاء على الجانب الاسرائيلي من الحدود الا ان بعضهم كان قد زار البلدان العربية المعنية قبل اندلاع المعركة . واذكر على سبيل المثال وينستون تشرشل (حفيد رجل الدولة البريطاني المشهور) مؤلف كتاب « حرب الايام الستة » (مع راندولف تشرشل) الذي ذهب الى اسرائيل بعد ان قام بزيارة الاردن ولبنان وبقي هناك اثناء الحرب لاجل تغطية انباء القتال لحساب صحيفتين بريطانيتين . بعد ذلك أمضى ثلاثة اسابيع في اسرائيل حيث قام بزيارة ميادين القتال لملاحظتها عن كثب ، ومقابلة عدد كبير من الضباط الاسرائيليين من كافة الرتب بما في ذلك القادة الكبار ، بالاضافة الى عدد من رجال السياسة في البلد . وقد تعمدت المراجع الاسرائيلية المختصة الاهتمام بهذا الصحافي وبتزويده بكافة المعلومات التي تريد ان تنشرها فكانت النتيجة كتابا يعبر الى اقصى الحدود عن وجهة نظر المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في كل شيء . يصف تشرشل كل الوقائع والاحداث بلغة مشحونة بالثناء على منجزات اسرائيل والمفاخرة بما حققته من مستوى قتالي وعسكري رفيع ، وهو في تحيزه المطلق والاعمى الى جانب العدو لا يحاول حتى التظاهر بالموضوعية او بنزعة نحو الانصاف . اما الصحافي الذي يحاول ان يضفي على كتابته مظهر الموضوعية فنجد نموذجا له عند رودريك ماكليش الذي يعمل لحساب شركة واشنطن الاذاعية ، بالرغم عن ان محاولته تنفضح وتنهار عند اول مناسبة تضعها على محك حقيقي اي محك الوقائع التي يسردها بنفسه . عندما يواجه هذا الصحافي « الموضوعي » مثل هذا الوضع المحرج يلجأ بسرعة الى الغموض المتعمد والى تمييع التحليلات التي وضعها لتجنب طرح اية احتمالات او التوصل الى نتائج ليست في صالح اسرائيل . وربما كان أوضح مثل على ذلك مناقشة ماكليش لما ادعته اسرائيل حول المكالمة التليفونية المشهورة بين الرئيس عبدالناصر والملك حسين للاتفاق على اعلان اشتراك طائرات الاسطول السادس في الحرب . وكانت السلطات الاسرائيلية

---

٥ — Aubrey Hodes, *Dialogue With Ishmael*, Funk and Wagnalls, N. Y., 1968.
W. Byford-Jones, *The Lightning War*, Robert Hale, London, 1967.
Walter Laqueur, *The Road to Jerusalem*, Macmillan, N. Y., 1968.

قد زعمت يومها انها التقطت المكالمة على شريط تسجيل واذاعته في كل انحاء الدنيا . وجد هذا الصحافي نفسه ، كما يروي ، غير مقتنع بالرواية الاسرائيلية ، لان المكالمة المزعومة نفسها تفتقر الى التسلسل المنطقي في مجراها ، كما انه لا يوجد اي تفسير معقول للدافع الذي جعل الزعيمين العربيين ان يقوما « بفبركة » قصة من هذا النوع في مكالمة تمت على موجة يعلم كل منهما انها مراقبة من قبل العدو . الا انه عندما يصل هذا الصحافي البارع الى عتبة الاستنتاج المنطقي لكل ما يترتب على تحليله من نتائج : اي انه من الممكن ان تكون المخابرات الاسرائيلية قد تلاعبت بالتسجيل الصوتي (على اقل تعديل) فانه يميع الموقف ويمتنع عن تثبيت الاستنتاج الطبيعي للمقدمات التي انطلق منها . وجدير بالذكر هنا ان مسالة هذه المكالمة حظيت بتمحيص دقيق من قبل كاتب آخر هو بايفورد — جونز في كتابه « الحرب الصاعقة ». يرفض هذا المؤلف القصة الشائعة جملة وتفصيلا ويؤكد ان المخابرات الاسرائيلية حاولت تمرير خدعة المكالمة عليه وعلى بقية العالم . ويدعم حجته بالقول ان الظروف سمحت له في السابق بمحادثة الملك حسين والرئيس عبدالناصر مطولا وهو يعرف صوتيهما جيدا ، ولما اسمعته المخابرات الاسرائيلية التسجيل جزم بانه لم يتعرف ابدا على صوت الملك وظن في بعض اللحظات فقط بان الصوت الاخر هو صوت عبدالناصر . وعلى أثر ذلك طلب من ضابط المخابرات ادلة اخرى تؤيد صحة الزعم الاسرائيلي بالنسبة للمكالمة الا ان الضابط تهرب وأخذ يردد من جديد بانه متأكد من صحة المكالمة ، كما رفض السماح لبايفورد — جونز الاستماع الى الشريط بكامله ورفض اخباره عن المكان الذي تم فيه تسجيل المكالمة . على هذا الاساس وصل الكاتب الى استنتاج مدعم بان المكالمة لم تكن الا خدعة ركبتها مخابرات العدو ليس الا .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذه الفئة من الصحفيين ضمت شخصين من العالم الثالث ، وهما صحفيان هنديان (جانيت وراجيف) وضعا كتابا : « النزاع العربي الاسرائيلي » يفترض فيه ان يعبر عن وجهة النظر الهندية في موضوع الصراع في الشرق الاوسط . الا ان نتيجة جهودهما جاءت بمنتهى السطحية بالرغم عن زعمهما انهما يريدان التزام الموضوعية عن طريق وصف الاحداث بتجرد وتقديم كل من وجهتي النظر العربية والاسرائيلية بصورة منصفة . غير ان النتيجة كانت تحيزا تاما وفجا من قبلهما للجانب الاسرائيلي ، اذ يفترض كتابهما في وصفه للاحداث ومعالجته للمشكلة المقدمات الاسرائيلية كلية بدون اية مناقشة او ادنى محاولة للتأكد من مدى صحتها . وعلى سبيل المثال يرتكز كتابهما برمته على فرضية اساسية هي ان اسرائيل بدأت حرب الايام الستة ، دفاعا عن وجودها وكيانها فحسب ، ولا يوجد اي ذكر للمطامع التوسعية لدى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الحاكمة ، او للاستعمار العالمي ودوره في المنطقة . في الواقع الكتاب موضوع وكانه لا يوجد ثمة شيء اسمه الامبريالية في العالم ، وكان منطقة الشرق الاوسط في معزل عن القوى الاستعمارية العالمية ، وكان الصراع العربي الاسرائيلي ليس الا نزاعا اقليميا محضا يمكن تسويته بمجرد الجلوس على الطاولة المستديرة لا اكثر . كما ان الكتاب لا يرى في الشعب العربي الفلسطيني الا قضية لاجئين ينبغي معاملتهم معاملة انسانية وحسنة وايجاد حل عادل لمشكلتهم في سبيل توطيد السلام العالمي ، اما مشكلة الشعب الفلسطيني من حيث هي قضية شعب مضطهد مطرود من ارضه يحاول استعادة حقوقه الوطنية فلا ذكر لها في هذا الكتاب المدعي تمثيل وجهة نظر هندية . كذلك نجد ان الصحفيين مهووسان الى ابعد الحدود بفكرة السلام الذي يجب ان يتحقق كيف ما كان وكيف ما اتفق وحتى لو كان لا يختلف بشيء عن الاستسلام ويعلنان ان هدفهما هو تقديم الموقف في غرب آسيا بصورة يضطر معها القارىء من ادراك خطورة الوضع والحاجة الملحة الى الحل . ووفقا لهذا المنطق ، يصبح من الضروري، على حد زعم المؤلفين ، عدم التركيز على مسالة من من الطرفين على حق بل ينبغي التركيز على كيفية التوفيق بين عناصر ووجهات نظر متناقضة واقعة في حالة حرب . كل ذلك بغية التوصل الى نظرة مشتركة لمشاكل ظلت قائمة زهاء ربع قرن وأربكت حتى منظمة الامم المتحدة . أما « النظرة المشتركة » التي يقترحانها فتتلخص بالمواقف التالية للمؤلفين : ١) لقد حاربت الدولة اليهودية ، بدون اي ريب ، للحفاظ على بقائها ، ازاء تهديد بالابادة من جانب القدرة الموحدة للقوات العربية المتفوقة عدديا. ٢) ان حماسة الهند الزائدة لقضية العرب وادانتها الفورية لاسرائيل بالعدوان ، قد حرم الهند

من امكانية القيام بنفس الدور الفعال الذي نفذته في الهند الصينية وكوريا وعدة اماكن مضطربة اخرى . وهنا يعترف المؤلفان ان الامر الذي دعا الهند لادانة اسرائيل هو ارتباطاتها الوثيقة بمصر وبالمثل العليا المشتركة حول عدم الانحياز والاشتراكية . ٣) يرى المؤلفان ان حرب الايام الستة قدمت درسين بارزين على النطاق العالمي :

أ. بامكان شعب صغير عن طريق البراعة والمبادرة والحسم تأمين الانتصار على قوات اكثر تعدادا الى حد بعيد وان كانت مصممة على ابادته .

ب. ان الامور المشتركة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي هي اكثر مما هو ظاهر على المسرح الدولي . وواضح ان هذين الصحفيين يرددان بشكل فج ما تقوله الاوساط الغربية الموالية لاسرائيل بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط بدون ان يكون لديهما اي وجهة نظر مستقلة حقا نابعة من مصالح العالم الثالث ومواقفه بصورة عامة ومن مصالح الهند بصورة خاصة . على العكس من ذلك انهما يوجهان النقد واللوم للحكومة الهندية بسبب السياسة المتوازنة التي تتبعها حيال النزاع العربي الاسرائيلي .

وفيما يلي انموذج عن الاستنتاجات « العلمية » التي توصل اليها هذان الكاتبان : ليس هناك من صديق حقيقي للعرب لا يسلم بأن تحقيق معجزة السلام مرهونة باعتراف العرب بوجود اسرائيل في المقام الاول ، ومرهونة بقيام الاسرائيليين والعرب ، في المقام الثاني ، بحل مشاكلهم ليس في ميدان المعركة ، وانما حول طاولة المفاوضات وهم متحررون من الضغوط والمؤثرات الدولية . العرب انفسهم مسؤولون عن خلق مشكلة اللاجئين وهناك هدف مزدوج ، على حد قول الكاتبين الهنديين ، يكمن خلف الدعوة للنزوح الجماعي لعرب فلسطين: اولا ، اظهار انه ما من عربي لديه الاستعداد للبقاء في الدولة الحديثة ، وثانيا ، نقل عرب « اسرائيل » على حد تعبيرهما ، الى مناطق مأمونة، بعيدا عن طريق الجيوش العربية الغازية، التي كان يتوقع منها ان تعبر اسرائيل باحتفال كبير بالفتح والنصر . وبما ان الحرب قد اندلعت في غرب آسيا ، ليس مرة واحدة بل في ثلاث مناسبات ، فان ذلك يفرض على جميع الفرقاء المعنيين استنباط طرق ووسائل حل مشكلة اللاجئين، التي ينبغي الا يغيب عن بالنا ، انها النتيجة المباشرة ليس لخلق اسرائيل وانما للرد الفعلي العدائي من جانب العرب لقيامها . هذه هي النتيجة الاساسية التي توصلت اليها « موضوعية » هذين الصحافيين من العالم الثالث .

أما الفئة الثانية من الكتاب فتتألف من الخبراء العسكريين والضباط والعاملين في المخابرات (من الدول الغربية واسرائيل نفسها) الذين اهتموا ، لاسباب شتى ، بالحرب العربية ـ الاسرائيلية الاخيرة وكتبوا حولها . ومن اهم هؤلاء البريغادير جنرال س. ل. ا. مارشال واضع كتاب « السيف الخاطف » حيث يقدم تحليلا عسكريا فنيا محضا لاحداث الحرب وخططه واستراتيجيته . والجنرال اميركي الجنسية قاتل في الحرب العالمية الاولى واشترك في الحرب العالمية الثانية وفي الحرب الكورية وله كتاب عن حملة سيناء عام ١٩٥٦ . ويميل هذا النوع من الكتاب الى استخدام اللغة العسكرية الفنية الدقيقة والبعيدة عن الانفعال بالرغم عن وقوفهم بصورة واضحة الى جانب المنتصر . الا انهم كثيرا ما يبينون عن تفاهة وجهل عندما يخرجون ، ولو بصورة سريعة ، عن النطاق العسكري الخالص لمناقشة الجوانب الاخرى للحرب . هذا ما حصل مع مارشال الذي وقع في مغالطات وهفوات ساذجة جدا عندما حاول تقديم خلفية تاريخية وسياسية للنزاع العربي الاسرائيلي. ومثال على ذلك قوله بأن عرب فلسطين الذين بقوا في اسرائيل قد اصبحوا جماعيا في وضع اكثر ازدهارا من اي جماعة عربية اخرى في العالم . طبعا حتى اسرائيل نفسها لم تتجرأ على مثل هذا الزعم وهي تحاول ان تجد لنفسها شتى الاعذار والذرائع لتبرر معاملتها للاقلية العربية داخل حدودها وتفسير اوضاعها الاجتماعية الرديئة . كذلك قوله بأن الهجمات التي حصلت على اليهود في البلدان العربية اثناء حرب ١٩٤٨ وبعدها هي سبب نزوح هؤلاء الى دولة اسرائيل الجديدة ، وقوله بأن الغالبية العظمى من اللاجئين الفلسطينيين قد نزحوا لانهم في حال فشل الهجوم العربي سيبقون تحت رحمة اليهود ، وفي حال نجاحه سيكونون تحت رحمة زملائهم العرب !! هناك ايضا البريجادير جنرال حاييم هرتزوغ اول حاكم عسكري للضفة الغربية بعد الاحتلال والرئيس السابق للاستخبارات العسكرية والمعلق على الشؤون العسكرية في الاذاعة الاسرائيلية اثناء الازمة السياسية التي اوصلت الى الحرب عام ١٩٦٧ . ومن المفيد الاشارة هنا الى ان هرتزوغ ركز في

كتاباته على تقييم الوضع العسكري العام على كافة الجبهات قبل اندلاع القتال بفترة قصيرة . وهو يعطينا بذلك انموذجا عن التقدير الواقعي المتزن لتوازن القوى قبل وقوع المعركة بدون اي استهتار بالجانب العربي او المبالغة في الطاقات العسكرية الاسرائيلية . ان اول ما يفعله هرتزوغ في تقييمه لتوازن القوى قبل المعركة هو وضع نفسه في موضع القيادة العسكرية المضادة في سيناء ليتعرف على طبيعة المشكلات التي تواجهها في كافة الميادين . يبدأ نقاشه بالتقديرات العالمية التي نشرت حول القوة العربية في محاولة لتقدير فاعلية القوات المصرية التي تم حشدها في سيناء . على هذا الاساس يطرح السؤال التالي : ما هي المشاكل التي تواجه القيادة العسكرية المصرية في سيناء ؟ ويجيب بقوله ان القيادة تتحمل مسؤولية تغطية مساحة شاسعة نسبيا بواسطة آلة حربية تتألف من ٨٠،٠٠٠ جندي و٨٠٠ دبابة . يقول هرتزوغ ان حدود اسرائيل مع مصر ، بما في ذلك غزة ، طولها ٢٧٠ كيلومترا ، يضاف الى ذلك طول الساحل في خليج العقبة حتى شرم الشيخ الذي يبلغ ١٥٠ كيلومترا زائد ٢٠٠ كيلومتر هي عمق سيناء حتى القنال ، مما يعني ان القيادة العربية في سيناء تتحمل مسؤولية جسيمة وخطرة جدا في محاولتها السيطرة على هذه الرقعة الشاسعة بواسطة القوى المتوفرة لديها ، لان ذلك سيعطي الجيش الاسرائيلي قدرات واسعة على المناورة والحركة في حال نشوب القتال . اذا اضفنا الى ذلك مستوى الجيش الاسرائيلي الرفيع واستعداداته الكاملة يتضح لنا ، وفقا لما يقوله هرتزوغ ، ان القيادة العربية تواجه معضلة كبيرة ، اذ انها تعلم ان الاسلحة الحاسمة في الحروب الحديثة هي الطيران والمدرعات ، والقوات الاسرائيلية مزودة بعتاد ومدربة تدريبا هو في اقل تعديل بمستوى ما تملكه القيادة العربية ان لم يكن افضل . يقول الجنرال هرتزوغ نحن نرفض الاستخفاف بالقوة المصرية وقدراتها وفاعليتها ، ولكن امام القيادة العربية معضلات كبيرة بسبب اتساع الرقعة التي عليها تغطيتها بالقياس الى القوى العسكرية المتوفرة لها ، يضاف الى ذلك ان الجيش الذي تقوده لم يبرز في السابق في اية معارك عسكرية يتفوق فيها . انه جيش انهزم عام ١٩٤٨ وخسر معركة ١٩٥٦ . كما ان التشكيلة التي أرسلت الى الكونغو من الجيش المصري عام ١٩٦٠ لم تتمكن من القيام بأية اعمال عسكرية بارزة او انجازات خاصة تميزها كقوة مقاتلة ، يضاف الى ذلك ان الجيش المصري قاتل في اليمن منذ خمس سنوات بدون ان يحرز اية نجاحات باهرة . على اساس هذه التقديرات توصل الجنرال هرتزوغ الى استنتاج واضح : لو اتيحت له الفرصة في ان يختار بين قيادة طائرة عربية الى تل ابيب وبين ان يكون مقيما في تل ابيب نفسها سيختار الاحتمال الثاني وذلك لدوافع محض انانية هدفها السلامة الشخصية والفردية ، لان تل ابيب ستكون اكثر امانا من اية طائرة عربية متجهة نحو تل ابيب لضربها .

اما بالنسبة للحلف الدفاعي الذي عقد بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة قبل بدء القتال بأيام معدودة فلم ينظر اليه الجنرال هرتزوغ على انه يشكل اي خطر جديد على اسرائيل ، لان ميزان القوى قبل الحلف بقي على ما هو عليه بعد الحلف. ويشدد هرتزوغ على ان الدوافع الكامنة خلف عقد الحلف ذات طبيعة سياسية معينة ولا علاقة لها بالقضايا العسكرية والاستراتيجية . فهو يعتبر ان الملك حسين لم يكن مدفوعا في سعيه للحصول على الحلف الدفاعي بدوافع متعلقة باسرائيل بقدر ما كان مدفوعا بعوامل مرتبطة بانقاذ عرشه من المأزق الذي وجد الملك نفسه فيه . مع ذلك يقول هرتزوغ ان النتيجة الفعلية للتحرك الاردني كانت حلفا موجها ضد اسرائيل ولا يمكن لاسرائيل ان تنظر الى مثل هذه الخطوات بخفة مهما كانت الدوافع الكامنة خلفها . ومن ناحية اخرى ينبه هرتزوغ الى الاهمية الخاصة للحلف بقوله ان آخر مرة تم فيها عقد حلف دفاعي بين الاردن ومصر كان عام ١٩٥٦ اثناء وزارة سليمان النابلسي ووجود علي ابو نوار على راس الجيش الاردني . وقد لمحت اسرائيل الى ان هذا الحلف كان احد الاسباب الكامنة وراء قرارها الشروع في حملة سيناء عام ١٩٥٦ . كانت هذه اشارة واضحة قبل الحرب ومن قبل احد جنرالات العدو البارزين بأن اسرائيل تنوي القيام بحملة جديدة في الايام القليلة المقبلة .

ومن الطبيعي ان يعطي هرتزوغ اهمية لتقييم القوى الجوية في منطقتنا باعتبار ان كافة الاطراف متفقة على اهمية الطيران الحاسمة في المعركة ومقدرته في ظروف معينة على نقل الجبهة الى المناطق المأهولة بالسكان . يقول بهذا الصدد ان المواطن

العادي ما زال يحمل في ذهنه صورة عن حرب الطيران تعود الى الهجمات الجوية الخاطفة خلال الحرب العالمية الثانية حيث كانت مئات القاذفات الالمانية تقصف المدن البريطانية ، او حيث كانت آلاف القاذفات البريطانية والاميركية تقصف المدن الالمانية .

ويؤكد هرتزوغ استحالة تكرار ما حدث في الحرب العالميـــة الثانية على صعيـــد الصدام العـــربي الاسرائيلي ويعتقد بأنه من السخف التحدث عن احتمال تعرض اسرائيل لهجوم خاطف من هذا النوع ضمن اطار اوضاع الطيران العربي القائمة حاليا. يبرر هرتزوغ هذا الاستنتاج بقوله اولا ان القوى الجوية العربية خارج نطاق الطيران المصري لا تؤثر الا قليلا على الصورة الكلية للقدرة العربية الجوية، وتبقى المشكلة الرئيسية التي تواجهها اسرائيل هي الطيران المصري . واذا ما استطاعت اسرائيل ايجاد حل لهذه المشكلة فلن تعود للقوى الجوية الاخرى اهمية كبيرة . ثانيا لقد واجه السلاح الجوي الاسرائيلي الطيران العربي مرتين منذ دخول الميغ الى الشرق الاوسط . كانت المرة الاولى في حملة سيناء والمرة الثانية في عام ١٩٦٦ ابتداء بشهر تموز . ويركز هرتزوغ على المواجهة الثانية في استخلاص استنتاجاته لانها تحمل قدرا كبيرا من الاهمية والدلالات نظرا لتناولها مختلف انواع المعدات مما هو متوفر حاليا في المنطقة . كانت نتائج المواجهة كما يرويها هرتزوغ هي اسقاط ١١ طائرة عربية منذ بداية تحليق الطيران العربي فوق مناطق الحدود مقابل لا شيء على الجانب الاسرائيلي : ٨ طائرات سورية وطائرتـــين مصريتين وطائرة اردنية . ولم تصب اي من الطائرات الاسرائيلية بأذى . هذه النتائج ليست بحاجة الى تعليق على حد قول هرتزوغ لانهـــا تبين التفوق الاسرائيلي الجوي بكل وضوح . وعلى اساس تقديراته لعدد الطائرات العربية وانواعها يطرح هرتزوغ السؤال التالي : ما هي مقومات الدفاع الاسرائيلي في وجه هذه القوة الجوية العربية ؟ يجيب بقوله : خط الدفاع الاول هو شبكة رادار حديثة جدا ومصممة بحيث تكشف عن اية طائرة غير صديقة قبل وصولها الى حدود اسرائيل . ثانيا ، صواريخ « هوك » الاميركية الصنع والموجهة من الارض الى الجو والتي تعتبر من افضل القذائف في العالم ضـــد الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض . وفي هذا الصدد يشير هرتزوغ الى ان قاذفة التوبوليف لا تستطيع تأدية مهامها على ارتفاع يزيد عن ٣٠،٠٠٠ قدم في حين يصل مدى صاروخ « الهوك » الى ما يقارب ٥٠،٠٠٠ قدم . يضاف الى ذلك انه ينبغي على طائرة التوبوليف ، التي لا تزيد سرعتها القصوى عن ٥٠٠ كلم في الساعة، ان تناور لتتجنب المراج التي لا تقل سرعتها الدنيا عن ١٥٠٠ كلم في الساعة . بالاضافة الى ذلك ، باستطاعة اسرائيل استخدام المدفعية المضادة العاملة بالرادار للرد على اي هجوم جوي . ويتم التنسيق بين كل هذه الاسلحة ـــ الرادار والطائرات والصواريخ الموجهة والمدفعية المضادة ـــ بواسطة نظام الكتروني بالغ التعقيد يتيح امكانية الرد في غضون ثوان معدودة. ويشدد هرتزوغ على ان الاهم من ذلك كله هو تفوق الطيار الاسرائيلي الذي يمتلك القدرة على المبادرة في الرد السريع والمعرفة التكنولوجيـــة الحديثة والمتقدمة والسيطرة التامة على سلاح بالغ الفعالية والتعقيد .

من الكتاب العسكريين ايضا دافيد دايان الذي لا يدعي على الاطلاق « الحياد الموضوعي » (او ما شابه ذلك من المزاعم) في كتاباته بل يكتب من وجهة نظر اسرائيلية محض وهدفه اطلاع القارىء على مجرى احداث المعارك باكبر قدر ممكن مـــن التفصيل وذلك بأسلوب مشحون عاطفيا ومفاخرا بالانجازات العسكرية التي تحققت للعدو مما يخدم استمرار تعبئة المشاعر « القومية » في اسرائيل ضد العرب . ودافيد دايان هو كبير المراسلين في اذاعة الجيش الاسرائيلي . يعتمد في كتابه على الشهادات التي ادلى بهـــا القادة العسكريون وضباط الميدان والجنود الاسرائيليون حول التجارب التي مروا بها في المواجهة مع القـــوات العربية المدافعة . ودخلت في هذا المجال ايضا الكاتبة يائيل دايان ، ابنة الجنرال موشيه دايان ، في كتاب عنوانه « يوميات مجندة » وهو عبارة عن الملاحظات التي دونتها في سيناء ابتداء بالاسبوع الاول قبل الهجوم وانتهاء بوقف اطلاق النار على هضبة الجولان . تنزع الكاتبة نزعة رومانسية شبه قصصية في تسجيل انطباعاتها ، واعتقد ان لهذا الاسلوب اهمية لانه يتعمد ان ينزع عن الحرب كل ما يمت بصلة الـــى الحرب والصراع والتوسع والمآسي . تتم عملية النزع هذه بالتركيز على أتفه التفاصيل في حياة الجنود والضباط من ناحية ،

والغزل الرومانسي بالارض التي يتم التحضير لاحتلالها من ناحية ثانية ، وكأن الارض المعنية مجرد رمال وفراغ واتساع وسماء صافية مليئة بالنجوم يقع الانسان بحبها ليس الا . من هذه الناحية يعكس الكتاب سياسة اسرائيل الغامضة عن عمد حول طبيعة حرب ١٩٦٧ . من جهة تصور المؤلفة الهجوم الاسرائيلي على انه حرب دفاعية محض كان هدفها المحافظة على دولة اسرائيل من الدمار. ومن جهة اخرى تستند صورتها عن الحرب على « بدهية » بسيطة هي ان معظم الاراضي العربية المحتلة مجددا هي جزء من الدولة اليهودية اصلا ومن الطبيعي جدا ادخالها ضمن سيادة اسرائيل . بطبيعة الحال لا تعبر يائيل دايان عن هذا الموقف الاخير صراحة ولكنها تفترض صحته وسلامته من اول كتابها الى آخره ، كما تتعمد سلوك مسلك « تجاهل العارف » فيما يتعلق بالتعارض الكامن بين الموقفين : اي موقف الحرب الدفاعية المحض مقابل الحرب التوسعية . ومعروف ان هذا الموقف الغامض عمدا هو من صلب السياسة الاسرائيلية الحالية .

يسجل الكتاب بعض انطباعات للمؤلفة تجدر بنا الاشارة اليها لانها تؤكد ، عن طريق الامثلة المحسوسة والبسيطة ، بعض الحقائق الرئيسية والاستنتاجات المهمة حول جوانب اصبحت معروفة من الصراع العربي الاسرائيلي عامة وحول حرب حزيران ١٩٦٧ بالتحديد .

بعد هزيمة حزيران بدأت قيادة الجيش في مصر عملية اعادة بناء قواتها المسلحة على اسس جديدة ، فقامت بفصل اعداد كبيرة من ضباط الجيش بسبب مسؤوليتهم الجسيمة عن الهزيمة العسكرية وبسبب الاوضاع الفاسدة التي كانت سائدة في اوساطهم وفي ممارستهم للحياة العسكرية عامة . في الواقع هناك شبه اجماع لدى كافة المصادر التي اهتمت بالهزيمة العربية الاخيرة (بما فيها المصادر العربية نفسها) بأن اسوأ ما بلي به جيش مصر هو طبقة الضباط التي كان يفترض أن تقوده الى النصر ، ان افضل ما في جيش العدو هو ضباطه وقياداته . من هنا تأتي اهمية بعض الملاحظات التي تسجلها مؤلفة الكتاب حول ما بدا من تصرفات الضباط على الجانب العسكري العربي .

قبل الهجوم الاسرائيلي ببضعة ايام وقعت دورية مصرية مؤلفة من ثلاثة ضباط وجنديين اسيرة في يد العدو ، صعق الضابط الاسرائيلي الذي كان مسؤولا عن اسرها لما بدا وكأنه جهل كامل من قبل الضباط العرب الثلاثة بطبيعة الخطوط العسكرية القائمة على طرفي خط المواجهة ، حتى ان الضباط العرب دخلوا بسيارة « الجيب » مباشرة وسط التحصينات والخنادق الاسرائيلية . وكان اول ما لاحظه العدو واهتم به هو الفارق الكبير بين الضباط انفسهم والجنود المرافقين لهم . كانت مظاهر الاناقة والترتيب والملابس الفاخرة نسبيا بادية الى اقصى الحدود على الضباط ، بينما كانت المظاهر المعاكسة تماما واضحة على محيا الجنود العاديين وعلى مظهرهم العام . وكان استنتاج الضابط العدو ، الذي قاتل في سيناء عام ١٩٥٦ ، ان الجيش المصري على ما يبدو ما زال حيث كان عام ١٩٥٦ ، مما أعاد شيئا من الطمأنينة الى قلبه وقلب جنوده كما تروي يائيل دايان . وتؤكد المؤلفة ايضا انه عند تفتيش اماكن اقامة الضباط المصريين في مواقع انسحب منها الجيش كان العدو يعثر على اشياء غريبة مثل البزات العسكرية الرسمية المكوية والمعلقة في خزائن تخص الضباط في الميدان ، قمصان السبور المصنوعة من الداكرون ، بيجامات النوم والملابس الداخلية النظيفة . هذا بالاضافة الى دزينات من كلسات النايلون السوداء المصنوعة في المانيا الشرقية واقلام الكحل لتزيين العين من صنع شركة ريفلون والعطور وغيرها من أدوات التجميل (من المرجح انها بضائع مهربة من غزة). من الامور التي لفتت انتباه العدو كذلك قلة عدد الضباط العرب بين الاسرى وندرة العربات التابعة للقيادات العسكرية الغربية التي قابلها ضباط العدو .

بالنسبة للجيش الاسرائيلي نفسه يتضح من عدد من الملاحظات التي توردها المؤلفة انه في الواقع يتعذر على الجندي الاسرائيلي تحمل التعبئة العامة لفترة طويلة بسبب تكوين جيشه وطبيعة تدريبه وتقاليده العسكرية ونوعية المعارك التي خاضها في السابق . اي ان التعبئة العسكرية الشاملة تعني حتما الانتقال الى الهجوم بحكم قوة الاستمرار الكامنة في الالة العسكرية الاسرائيلية والا دب فيها التفسخ بسرعة . تقول المؤلفة انه بعد بضعة ايام من توزيع القوات الاسرائيلية الرئيسية على جبهة سيناء بدأت الشكوك تساور الجنود ، اثناء فترة

الانتظار التي سبقت الهجوم الاسرائيلي ، باعتبار انهم اعتادوا على العمل العسكري الخاطف والسريع ، وهم غير قادرين على تحمل اعباء نوع آخر من العمل العسكري . اخذ الجنود يدركون انه لو طالت فترة الانتظار والتعبئة لما كان بامكان الجيش الاسرائيلي « البقاء على قيد الحياة » ولما بقيت المعنويات عالية لاكثر من اسبوع ، هذا اذا لم نذكر اثر التعبئة العامة على وضع اسرائيل الاقتصادي . لذلك تشدد المؤلفة على ان اصعب الايام التي امضاها الجنود الاسرائيليون واقساها كانت ايام التردد والانتظار قبل بدء القتال ، حتى ان يائيل ذايان نفسها تقول ان ساعات الانتظار والتوتر جعلتها تريد بدء القتال لا لشيء الا لانه المخرج الوحيد من وضع نفسي لم يعد يحتمل بالنسبة للجندي الاسرائيلي . وبطبيعة الحال كان الارتياح كبيرا في الجبهة عندما تم تعيين موشيه دايان وزيرا للدفاع قبل الهجوم الاسرائيلي ببضعة ايام . وتعبر الكاتبة عن ذلك بقولها ان جميع العناصر في الجبهة شعرت ان الجيش قد استعاد روحه التي عرف بها (اي الروح الهجومية الصاعقة) والتي بدت انها كانت قد انكمشت بعض الشيء .

من هذه الفئة من الكتاب ايضا أوري باز الاسرائيلي وبايفورد — جونز البريطانيوكلاهما مرتبط بمخابرات بلاده . أمضى باز ست سنوات في احدى الوحدات العسكرية « الحساسة جدا » حيث استفاد الجيش الاسرائيلي من خبراته الواسعة باللغات ومن ضمنها العربية ، ومن كونه « خبيرا » في شؤون الدعاية وقضايا الشرق الاوسط . و« خبرات » المؤلف هذه بادية بشكل مفضوح لاي قارىء عنده حد ادنى من الالمام بالاساليب الدعائية ، اذ يصل التطرف في استعمال الاسلوب الدعائي ، في بعض الاحيان ، الى درجة لا يتمالك معها القارىء من الضحك . كيف بدأت الحرب الاسرائيلية / العربية الثالثة وفقا للمؤلف ؟ في الساعات الاولى من يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ ظهرت على شاشات الرادار الاسرائيلية الاشارات الاولى على تحرك القوات المصرية والطيران المصري باتجاه الارض الاسرائيلية !! وعليه صدرت الاوامر الى الجيش الاسرائيلي بالبدء في تنفيذ خططه الحربية . وما هي سوى لحظات حتى انطلقت اعداد كافية من الطائرات الاسرائيلية الى الجو . ولكن لسبب ما لم تقترب الطائرات المصرية من الحدود الاسرائيلية . غير ان البريجادير جنرال موردخاي هود لم يشأ المغامرة ، وفقا لرواية الكتاب المضحكة ، فانتظر حتى عادت الطائرات المصرية الى مطاراتها للتزود بالوقود فأصدر في الساعة الثامنة الاوامر التي جعلت منه بطلا في التاريخ الحربي الحديث ! وفي هذه الاثناء كانت القوات الاسرائيلية تشتبك مع القوات المصرية في قتال مرير منذ ساعات الصباحالاولى حين خرجت القوات الاسرائيلية لرد هجوم قامت به قوات مصرية متحركة في اتجاه اسرائيل ، ولا يذكر الكاتب اية تفاصيل عن هذا الاشتباك المزعوم .

وفي احيان اخرى يجد القارىء نفسه امام اشياء سمعها من بعض اجهزة الدعاية العربية عن الاسرائيليين ، وقبل ذلك قيلت عن الالمان ولكنها تقال هنا عن الجندي العربي . يذكر الكاتب مثلا دهشة بعض الجنود الاسرائيليين عندما احتلوا المواقع السورية فوجدوا الجنود السوريين مقيدين الى التحصينات التي اقاموها . اما الاسباب المباشرة التي أدت الى الحرب كما يرويها الكاتب فهي الاتية : أرادت اسرائيل ان تقوم باستعراض عسكري في القدس يوم ١٥ ايار ١٩٦٧ بمناسبة عيد استقلالها . فاحتجت الاردن وباقي الدول العربية وتبعتها الدول الكبرى بمقاطعة الاحتفالات مع انه لم يكن هناك اي مبرر لكل هذه الضجة حسب زعمه . لم تكن اسرائيل تنوي سوى القيام بعرض رمزي لقواتها ، لا دبابات ولا مدفعية ولا طائرات في الجو. وقبل موعد الاستعراض بيومين ، صدف ان اشار رئيس الوزراء ليفي اشكول اثناء مقابلة له مع راديو اسرائيل الى الوضع المتدهور على الحدود السورية الاسرائيلية وحمل سوريا مسؤولية اعمال « التخريب » العربية داخل حدود اسرائيل ، وانذر سوريا بأن عليها ان تتحمل عاقبة هذه الاعمال . كذلك كان قد فعل رابين ومسؤولون آخرون قبل ذلك بأيام . يستمر الكاتب في حكايته هذه حيث يقول : يظهر ان هذه التصريحات افزعت العرب فأخذوا يعدون العدة لمواجهة مثل هذا الاحتمال فسافر رئيس اركان الجيش المصري الى دمشق ثم ذهب الملك حسين الى مصر (الدفاع المشترك ٣٠ أيار ١٩٦٧) . ويعبر الكاتب عن تعجبه الشديد من تصرفات الرئيس عبدالناصر في تلك الفترة . حيث يقول انه لم يستطع احد ان يفهم لماذا اتخذ الرئيس عبدالناصر تلك الخطوات (تحريك الجيش المصري وطلب سحب القوات

الدولية من غزة ثم اقفال مضائق تيران) في هذه المناسبة بالذات .

هذه امثلة عن مدى السطحية والاسفاف والتشويه الذي يمكن ان يصل اليه بعض « الخبراء » في معالجتهم لموضوع الحرب . ويزداد الامر رداءة عندما يحاول الكاتب تدعيم زعمه عن طريق سرد الاحداث اليومية منذ ١٥ ايار حتى يوم ٣ حزيران ١٩٦٧ كما وردت في الصحف . والغاية من هذا السرد اظهار العرب بمظهر البادىء بالعدوان ، ولكن القارىء لا يسعه الا ان يلاحظ ان المختارات التي يقدمها من الصحف لا تحمل المعاني التي يريد لها الكاتب ان تحمل . على سبيل المثال يتضح من هذه المقتطفات ان الرئيس عبدالناصر لم يكن ينوي الهجوم على اسرائيل الا اذا كانت هي البادئة بالعدوان ، وان اسرائيل مصممة على عدم الرضوخ للضغط العربي او تحمل اية مضايقات وانها تنوي اللجوء الى القوة لوضع حد نهائي للضغط العربي المتزايد .

اما بالنسبة لبايفورد — جونز فمن الواضح من كتابه انه مرتبط بالاستخبارات البريطانية وانه عمل في منطقة الشرق الاوسط لحسابها من قبل وهو على صلات وثيقة بالمخابرات الاسرائيلية . وانطلاقا من هذا الموقف يبدي عداء شديدا لسياسة كل من امريكا والاتحاد السوفياتي وفرنسا في الشرق الاوسط ويشكو بمرارة من الوضع المتردي الذي وصل اليه النفوذ البريطاني في المنطقة ، كما يوجه النقد لحكومة بلاده بسبب عدم نجاحها في ادخال بريطانيا في أزمة الشرق الاوسط بصورة فعالة مما جعل ما يسمى بسياسة شرقي قناة السويس ، على حد قوله ، بغير اي معنى اذ ان الوجود البريطاني في عدن وقبرص والخليج وحتى في البحرين لم يستطع ان يمنع العرب من قطع البترول (بعد الحرب مباشرة) . ويتساءل المؤلف عن جدوى النفقات التي تهدر على الحاميات البريطانية شرقي قناة السويس . وبسبب ولائه البريطاني هذا وعدائه لسياسات الدول الاخرى في المنطقة تمكن بايفورد — جونز من معالجة موضوع المعارك الحربية ومسالة من هو البادىء بالعدوان بصورة موضوعية وجادة على العموم ، ولكن من ناحية اخرى نجده يعالج قضية اللاجئين الفلسطينيين بروح معادية تماما وعلى اساس الافتراء والتجني ليس الا . في الواقع يصل هذا الكاتب الى حدود العداء والحقد الشخصيين تجاه اللاجئين باعتبارهم جسدوا اكثر القوى معاداة لدولة التي يخدم مصالحها .

اما الفئة الثالثة من الكتاب فانها تتالف من الاختصاصيين الاكاديميين وشبه الاكاديميين في سياسة الشرق الاوسط والعلاقات الدولية عامة من امثال ولتر لاكور واضع كتاب « الطريق الى القدس » والكاتب الاسرائيلي اوبري هودز في كتابه « حوار مع اسماعيل » . ولاكور مؤلف معروف في الاوساط الغربية المطلعة بدراساته المتعددة عن قضايا الشرق الاوسط السياسية وعلاقات الدول الكبرى بها وخاصة علاقات الاتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية عامة بالدول العربية. وهدف لاكور من وضع كتابه « الطريق الى القدس » ليس الدخول في تفاصيل المعارك بين الجيش الاسرائيلي والجيوش العربية وانما دراسة العوامل العديدة التي تضافرت وادت الى اندلاع الحرب في ٥ حزيران ١٩٦٧ بعد التصعيد السريع الذي طرأ على التحركات العربية السياسية والدبلوماسية في مواجهة التحركات الاسرائيلية المقابلة والمتصاعدة بدورها . اي ان الكتاب يركز على الاحداث والتحركات التي تشكل الخلفية المباشرة للهجوم الاسرائيلي الصاعق في اول يوم من ايام الحرب . ولا داعي هنا للاسترسال في الاشارة الى ان الكتاب موضوع من وجهة نظر المصالح الغربية الاستعمارية في المنطقة وموجه الى القارىء الغربي الواعي لهذه المصالح وليس فيه الكثير مما قد يغضب اسرائيل والدعاية الصهيونية . مع ذلك فان هذا لا يعني ان الكتاب عديم الفائدة بالنسبة لنا اذ انه يحتوي على معلومات وتحليلات ووجهات نظر من الافضل ان نكون مطلعين عليها ومستفيدين منها حيث يمكن الاستفادة ، خاصة انه حتى الان لم تصدر اية مراجعة عربية دقيقة وجادة لجملة الاحداث والتحركات التي سبقت اعلان الحرب في ١٩٦٧ ، علما بأن مثل هذه الوقفة العربية امام الموضوع اصبحت مطلوبة بالحاح في الوقت الحاضر . يبدأ لاكور كتابه بعرض تاريخي موجز للنزاع العربي الاسرائيلي ثم يتناول بتفصيل اكبر التطورات التي مرت بالشرق الاوسط خلال السنة التي سبقت نشوب الحرب . الا ان الكتاب يتركز في معظمه على احداث الاسابيع الثلاثة الواقعة بين ١٥ ايار و٥ حزيران ١٩٦٧ . ويعتبر لاكور هذه الفترة اكثر اهمية من الحرب نفسها بالنسبة للاختصاصيين

في العلوم السياسية . يتناول الكتاب كذلك انعكاسات النزاع العربي الاسرائيلي في مختلف انحاء العالم واثره في الراي العام وفي سياسات الدول الكبرى . ويعترف المؤلف منذ البداية — ليعطي كتابه طابعا موضوعيا — بوجود قضية عربية تماما كوجود قضية يهودية مماثلة ويؤكد على ان العالم العربي يمر في مخاض ازمة كبرى اذ ان احداث ١٩٦٧ كشفت عن امراض اعمق بكثير من مجرد « النكسة العسكرية » في نسيج المجتمع العربي وحياته . ولكن المثال الذي يضربه عن هذه الامراض سطحي جدا ويتعلق بالدعاية العربية ومستواها المتدني ويستشهد على ذلك بقول لسيسيل حوراني جاء فيه ان العرب وضعوا ميداني الدعاية والتعبير في ايدي ديماغوجيين محترفين وايدي مهووسين من اشباه المثقفين مما ادى بالعالم العربي ليس الى الكارثة فقط بل الى حافة التفكك . ولا لزوم للتعليق على هذا النوع من التفكير السطحي الذي يرد الكارثة والتفكك الى السياسات العربية الاعلامية الرديئة فحسب. اما اوبري هودز فهو من الحمائم في اسرائيل اي من الذين ياخذون موقفا ليبراليا في الظاهر من الصراع العربي الاسرائيلي الحالي ومشكلة الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة وذلك بدعوته للتنازل عن بعض متطلبات الامن الاسرائيلي بالمعنى الضيق والعسكري للعبارة (اي كما يفهمه الجنرالات) لصالح تسوية سلمية شاملة مع الدول العربية مع ترضية الشعب الفلسطيني بصورة ما ، لان مثل هذا الوضع سيفتح امام اسرائيل مجالات اقتصادية واسعة في العالم العربي . اي ان الكتاب يمثل اتجاها خطيرا جدا لانه يعبر عن موقف عقلاني مستعد للتضحية ببعض المطالب الآنية الاسرائيلية في سبيل مكاسب اقتصادية وسياسية مهمة جدا على المدى البعيد ستجنيها اسرائيل في المستقبل . ويغلف الكاتب مشاريعه هذه بالدعوة للتعاون الاقتصادي والاجتماعي بين اسرائيل والعالم العربي بغية تنمية موارد المنطقة وحل معضلاتها وهذا يعني على الصعيد العملي سيطرة الاقتصاد الاسرائيلي على المنطقة .

بالرغم عن تنوع وتعدد الموضوعات التي عالجتها الكتب الاجنبية التي نحن بصددها حول حرب ١٩٦٧ بامكاننا حصر عدد معين من القضايا الرئيسية التي تشكل قاسما مشتركا بين كافة هذه الكتب تقريبا ، وسيكون من المفيد الاطلاع على وجهات النظر الرئيسية التي تم تقديمها حول كل قضية منها . تتالف القضية الاولى من المناقشات التي جرت حول السبب المباشر الذي ادى الى الحرب ، وتراوحت الاراء المعروضة بهذا الخصوص بين نظرية « الاكذوبة السوفياتية » من جهة واعتبار « التطرف السوري » هو سبب الحرب من جهة اخرى مرورا بالقاء اللوم على العمل الفدائي ممثلا بفتح وعملياتها ضد اسرائيل . ومن الواضح ان هذه الآراء ، بغض النظر عن جزئيتها وتبسيطيتها ، لا تتعارض بالضرورة مع بعضها بل تتكامل في كثير من الاحيان مع ان كل كاتب من الكتاب الذين نحن بصددهم يشدد على واحد منها ويعتبره اساسا اكثر من غيره في تفسيره للسبب الكامن خلف الحرب . وعلى سبيل المثال يعتبر مؤلفا كتاب « حرب الايام الستة » (ونستون وراندولف تشرشل) ان الاحداث التي ادت في النهاية الى اندلاع الحرب ترجع الى «اكذوبة» روسية تفصيلها هو ان الحكومة السوفياتية نبهت المراجع المختصة في القاهرة ، في اوائل شهر ايار ١٩٦٧ ، الى وجود تحشدات عسكرية اسرائيلية كبيرة على الحدود السورية . ثم يضيف المؤلفان انه في خلال الاسبوعين التاليين وصلت الى القاهرة اخبار اضافية مفصلة تشير الى ان قوة اسرائيلية تقدر بـ ١١ لواء كانت تحتشد على حدود سوريا .

ويعترف الكتاب انه في اليوم العاشر من شهر ايار ١٩٦٧ لمح الجنرال اسحق رابين الى ان قواته قد تهاجم سوريا وتسقط نظام الحكم فيها ، كما يورد تصريح ليفي اشكول (رئيس الوزراء وقتئذ) في تل ابيب يوم ١٤ ايار الذي قال فيه انه نظرا للحوادث المتكررة التي بلغ عددها اربع عشرة حادثة في مدة شهر واحد فقط قد نضطر الى اتخاذ اجراءات جذرية لا تقل في صراحتها عن تلك التي اتخذناها في ٧ نيسان الماضي .

بالرغم عن اعتراف الكتاب بكل هذه المعلومات وايراده لها بصراحة فاننا نجد ان المؤلفين يؤكدان من ناحيتهما انه لم يكن يوجد على الحدود السورية الا ما يقارب من ١٢٠ جنديا اسرائيليا كما يرفضان بصورة محض تعسفية صدق الاخبار الواردة حول الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية لمجرد ان نقطة من نقاط المراقبة التابعة لهيئة الامم المتحدة افادت انها لم تلحظ اية تحشدات او تحركات عسكرية في الفترة الاخيرة في تلك المنطقة .

بطبيعة الحال لا يناقش الكتاب مغزى تصريحات رابين واشكول التي اثبت نصوصها لانه يريد ان يترك انطباعا عند القارىء بأن التهديدين المذكورين لم يكونا جادين ، علما بأن الاسرائيليين لا يطلقون التهديدات جزافا كما علمت التجارب كل من لهم علاقة بالقضية الفلسطينية ، ولا شك ان مثل هذه التهديدات لا تنطلق على لسان رئيس الاركان ورئيس الوزراء الاسرائيليين بدون حد ادنى من الاستعداد العسكري (الحشود على حدود سوريا) لتحويلها الى فعل وتنفيذ فيما لو دعت الحاجة الى ذلك ، والا بدا لاسرائيل انها ستكون في موقف حرج لو ظهر ان تهديداتها ستبقى كلاما لا اكثر .

وعند كلام بايفورد — جونز عن تعقيدات الوضع الدبلوماسي عشية اندلاع الحرب يقدم وجهة نظر مشابهة عن دور الاتحاد السوفياتي مع ادخال سوريا والعمل الفدائي في الصورة ، اذ يعتبر ان اللوم يقع على السوفيات لانهم لم يحاولوا ردع سوريا عن مد العون الى منظمة فتح . في الواقع يدعي المؤلف ان الاتحاد السوفياتي قد شجع سوريا في سياستها هذه عن طريق منع مجلس الامن من اتخاذ اي قرار حاسم بشأن الشكاوى الاسرائيلية حول العمل الفدائي ، كما يتبنى نظرية غلوب باشا القائلة بأن الاتحاد السوفياتي هو الذي ورط الرئيس عبدالناصر في النزاع السوري الاسرائيلي ، اي ينظر المؤلف الى ما يزعم بانها خطوات السوفيات في الشرق الاوسط على انها جزء من سياسة الاتحاد السوفياتي الدولية التي تبغي تثبيت وجوده في المنطقة وخاصة في البحر الابيض المتوسط الذي ظل لمدة طويلة « بحيرة امريكية » . وتقول هذه النظرية ان السوفيات انتهزوا فرصة ضعف بريطانيا وانشغال امريكا في فيتنام فقاموا بعرض صداقاتهم على الدول العربية وبتشجيعها على طرد المستعمر كي يملأوا الفراغ الناتج في المنطقة . ومع ان شحنات الاسلحة السوفياتية كانت ترضي عبدالناصر الا ان المؤلف يقول ان كوسيغين في زيارته لمصر في ايار ١٩٦٦ نصح الرئيس المصري بأن يحصر نشاطه في اذكاء الثورات في المنطقة بدون التعرض لاسرائيل وان يهتم مع سوريا في تنمية اقتصاديات بلديهما بدون التورط في محاولة لتحقيق مكاسب للفلسطينيين من خلال عرض عضلات جيشه في سيناء . ولكن من ناحية اخرى ارسل السوفيات في ايار ١٩٦٧ الى كل من سوريا وعبدالناصر (بواسطة عضو في وفد من الاتحاد الاشتراكي كان يزور موسكو) نسخا عن تقرير للاستخبارات السوفياتية مفاده ان الاسرائيليين يبيتون عدوانا على سوريا بمساعدة وكالة الاستخبارات الامريكية . فاتصل الرئيس المصري مستوضحا لان استخباراته لم تحصل على مثل هذه المعلومات . ويقول الكاتب ان السفير السوفياتي لدى اسرائيل دعي لزيارة شمال البلاد للتأكد بنفسه من عدم وجود حشود اسرائيلية على الحدود السورية الا ان السفير رفض الدعوة وبقيت الادعاءات الروسية بلا اثبات .

نلاحظ هنا ان النظرية القائلة بأن التورط العربي في حرب حزيران ١٩٦٧ قد جاء نتيجة لخديعة سوفياتية لاقت انتشارا واسعا نوعا ما في الاوساط الغربية ولدى عدد من المعلقين على الحرب واحداثها ومقدماتها . ان الدافع الكامن وراء نشر مثل هذه الافكار هو المرارة التي يشعر بها اصحاب النظرية بسبب انحسار السيطرة الاستعمارية التقليدية في المنطقة ودخول الاتحاد السوفياتي كصديق للعرب منذ صعود حركة التحرر العربي في الخمسينات . واقل ما يقال في هذه النظرية هي انها مغرقة في التبسيط والسذاجة اذ تعتبر سياسات الدول العربية ناتجة عن مجرد ردود فعل لتحركات الدول الكبرى او حتى همساتها وتحذيراتها بدون ان يتمتع العرب بأي حرية في الحركة او استقلال في اتخاذ القرارات المصيرية ، كما تهمل تماما الالتزام العربي الاصيل بقضية فلسطين وحقوق الشعب الفلسطيني وضرورة احقاقها عن طريق القوة والحرب اذا دعت الحاجة لذلك. وقد كان هذا الالتزام من صلب حركة التحرر العربي ، بالرغم من كل نواقصها واوجه قصورها، التي عقدت الصداقة مع الاتحاد السوفياتي في معركتها ضد الاستعمار في المنطقة . لكن بالرغم من كل ذلك يعترف المؤلف بوجود « بعض » التحركات العسكرية لوحدات « صغيرة » ارسلت لتعزز الحاميات في الشمال بسبب التهديدات السورية وهجمات الفدائيين .

ومن ناحية اخرى يقدم والتر لاكور عرضا اقل فجاجة لدور الاتحاد السوفياتي في قضية اندلاع الحرب الا ان هذا لا يمنعه من التخبط في التحايل بسبب فساد المنطلق الاساسي الذي يبدأ منه — كغيره من الكتاب الغربيين الرجعيين — وهو البحث عن المفتاح المطلوب لفهم احداث الحرب

وخلفيتها من خلال عامل واحد هو الاتحاد السوفياتي وعلاقته بمنطقة الشرق الاوسط ومكانتها في استراتيجيته العالمية ليخلص بشكل من الاشكال الى القاء التبعة واللوم على الدولة الكبرى صديقة العرب . يقول الكاتب ان الموقف السوفياتي من الولايات المتحدة (والغرب اجمالا ، باستثناء ديغول) كان آخذا بالتصلب مما اثار التساؤلات حول امكانية خلق « جبهة ثانية » في مكان ما من العالم للتعويض عن عدم قدرة السوفيات على تحقيق نجاح اكبر في فيتنام ، ولمواجهة الضغط المتنامي على موسكو لاستعادة زمام المبادرة على الصعيد الدولي ، باعتبار ان هذه هي الطريقة الاكثر ملاءمة للضغط على اميركا ودفعها لانهاء الحرب في فيتنام . وللتدليل على نظريته يذكر المؤلف انه في نهاية شهر آذار ١٩٦٧ قام غروميكو بزيارة غير متوقعة الى القاهرة ، ويرجح المؤلف ان مواضيع سياسية هامة طرحت على بساط البحث . ويشير الى ان بريجينيف دعا في الوقت نفسه الى انسحاب الاسطول السادس من المتوسط وذلك في المؤتمر الذي عقدته الاحزاب الشيوعية الاوروبية في شهر نيسان من نفس العام . ويستنتج لاكور بأن طرح قضية الاسطول السادس مجددا ربما كان يشير الى انشغال السوفيات بالمنطقة وخاصة بعد الاهتمام الذي اظهروه بالانقلاب اليميني في اليونان ، ويرجح ان السوفيات كانوا يحسبون انهم سيجنون مكاسب كثيرة من قيام ازمة في المنطقة او انهم لن يخسروا الكثير من حرب يخوضها العرب بالوكالة عنهم على حد تعبيره . ويؤكد لاكور هذه النقطة بقوله ان القرار السوفياتي بارسال الاسلحة الى مصر والدول العربية الاخرى في اواخر الخمسينات لم تترتب عليه اية مخاطر كبيرة بالنسبة لهذه الدولة الكبرى لانه اذا خسرت مصر حربها فانها ستصبح مرتبطة بالاتحاد السوفياتي لاعادة بناء قواتها المسلحة واذا ربحت الحرب ستتحسن سمعة الاتحاد السوفياتي في العالم العربي بشكل ملحوظ . ولكن يعود المؤلف ليستدرك من جديد بقوله ان هذا لا يعني ان الاتحاد السوفياتي كان يريد حربا في الشرق الاوسط . ويضيف قائلا انه اذا كان التخلص من الاسطول السادس في المتوسط هو احد الاهداف الرئيسية للاتحاد السوفياتي فان نشوب حرب بين مصر واسرائيل لا يشكل الطريقة الفضلى لتحقيق هذا الهدف ، لان حربا كهذه سوف تورط الاتحاد السوفياتي عاجلا او آجلا ، ولو بصورة غير مباشرة ، في مواجهة لا يريدها . الا انه يعود الى الاستدراك مرة اخرى ليقول ان الدول كالافراد لا تتصرف دوما بصورة عقلانية تماما ، وحتى عندما تفعل ذلك يبقى هناك دوما مجال واسع لسوء التقدير . لذلك لا يستبعد ان يكون الاتحاد السوفياتي قد أراد بالفعل امتحانا محدودا للقوى في المنطقة بحيث يفيد منه حلفاؤه ويتضاءل بنتيجته خطر الحرب الى اقصى حد . الواقع هو ان لاكور يتأرجح في تقديراته وتخميناته حول نوايا الاتحاد السوفياتي وليس لديه ما يقوله مما هو ثابت بالدليل والحجة . ويذكر المؤلف هنا ان الاتحاد السوفياتي لم يكن مرتاحا لتزايد الحماسة الثورية من جانب سوريا ضد اسرائيل وخاصة على الصعيد الاعلامي. ويطرح لاكور نظرية تقول ان السوفيات وجدوا ان افضل طريقة لكبح الاندفاع السوري تكمن في ايجاد تقارب بين مصر وسوريا مما جعل كوسيغين نفسه يقوم باقناع الرئيس عبدالناصر ، اثناء زيارته الى القاهرة في ايار ١٩٦٦ ، بعقد معاهدة دفاع مشترك (تضمنها موسكو) لتأمين مصالح جميع الفرقاء . على هذا الاساس تم توقيع اتفاقية الدفاع بين مصر وسوريا في تشرين الثاني ١٩٦٦ . ويعتقد لاكور ان عبدالناصر اعتبر هذا التحرك بمثابة استراتيجية ماهرة ستمكنه من اعادة تثبيت سلطته في العالم العربي ، الا ان الخطوة كانت خطأ قاتلا بالنسبة لمصر على حد تقدير المؤلف . اذ بدلا من ان تلجم الاتفاقية السوريين اعطتهم مزيدا من الثقة بالنفس فاصبحوا اكثر اندفاعا في خطبهم واعمالهم بعد ان شعروا بالامان لمعرفتهم انهم مهما استفزوا اسرائيل فانهم سيجدون في القوة المصرية ضمانة فعالة الى جانبهم ضد الردود الانتقامية .

اما بالنسبة لدور العمل الفدائي في تفجير الازمة التي ادت الى الحرب ، وفقا لهذه الكتب ، فان مجمل الرأي هو ان فتح — والى حد اقل المنظمات الفدائية الاخرى — بتشديدها على ان حرب العصابات ضد اسرائيل ليست سوى المرحلة الاولى من النضال الذي يهدف الى استفزاز اسرائيل كي تقوم بردود فعل عنيفة ضد الدول العربية مما يجعل تدخل الجيوش النظامية وحتى الحرب الشاملة أمرا محتما . اي ان الرأي الذي تروج له هذه الكتب هو ان فتح كانت تخطط ليس لتحرير فلسطين عن طريق حرب شعبية حقيقية وانما عن طريق توريط الدول العربية في حرب ضد

اسرائيل يتم فيها تحرير فلسطين لحساب العمل الفدائي على يد الجيوش العربية . على هذا الاساس يرى اصحاب هذا الاتجاه ان خطط الفدائيين لم تكن موجهة ضد الملك حسين فقط بل ضد الرئيس عبدالناصر ايضا بسبب اعلانه ان الجيوش العربية لم تكن مستعدة بعد للمعركة وانها لن تكون مستعدة لوقت طويل . بعبارة اخرى سبب الحرب وفقا لهذا التأويل هو نفاذ صبر المنظمات الفلسطينية وقصر نفسها ليس الا .

اما القضية الثانية التي عنيت بها الكتب الاجنبية هذه فهي مسألة طلب مصر سحب القوات الدولية من سيناء وملابساتها والجدل الذي ثار حولها بالاضافة الى النقد الذي تم توجيهه الى يو ثانت بسبب السلوك الذي سلكه يومئذ . كان طلب الجمهورية العربية ذا طبيعة محددة ومدروسة اذ دعا الى سحب قوات هيئة الامم من مواقع معينة مرشحة لان تكون مسرحا لمعارك عسكرية ، حرصا على سلامة القوة الدولية . لذلك كان الطلب العربي ينص على سحب القوة الدولية من الحدود وتجميعها في قطاع غزة لضمان سلامتها علما بان الطلب لم يذكر شيئا بالنسبة للقوة الدولية في شرم الشيخ . غير ان رد فعل يو ثانت كان رفض هذا النوع من الانسحاب الجزئي للقوة الدولية مما وضع القيادة العربية في القاهرة امام اختيار حاسم : اما طلب سحبها نهائيا وكليا او ابقاؤها على وضعها السابق . وفي الجو المحموم الذي سبق المعركة لم يكن امام القيادة العربية من خيار في الموضوع الا الاصرار على سحب القوة نهائيا ، اي ان ما بدا يومها تساهلا من يو ثانت واحتراما من قبله للسيادة المصرية كان في الحقيقة مناورة بارعة لاحراج السياسة المصرية ودفعها الى المأزق الذي وقعت فيه .

اي يتضح من مراجعة مجرى الاحداث قبل نشوب القتال ان القيادة السياسية في القاهرة لم تكن تنوي بالفعل اقتحام اسرائيل عسكريا، بالرغم عن بعض التجريحات العربية الديماغوجية حول الموضوع ، بل كانت تريد مجرد اعادة سيطرتها التامة وسيادتها الكاملة على مناطق من ارضها الوطنية التي كانت قد اضطرت الى المساومة حولها نتيجة للعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . غير ان موقف يو ثانت المتصلب حول سحب القوة الدولية نهائيا او ابقاؤها حيث هي دفع الاحراج المصري الى اقصاه وساعد بكل تأكيد على دفع الاحداث نحو الصدام المباشر بازالته لاحد العوائق امام تنفيذ اسرائيل لخطتها الحربية المعدة لضرب مصر والجيوش العربية الاخرى بالاضافة الى التوسع الاقليمي .

وبهذا الصدد يعترف الكتاب ان موقف مصر المعلن رسميا وصراحة في عام ١٩٥٦ ينص على انه ينبغي سحب القوة الدولية من على الارض المصرية حالما تطلب الحكومة المصرية ذلك من هيئة الامم المتحدة. لكن اكثر من كتاب يذكر ، بالاضافة ، ان هامرشولد وضع مذكرة سرية في ٥ آب (اغسطس) ١٩٥٧ قال فيها بأن اتفاقا تم بينه وبين الرئيس جمال عبدالناصر حول الظروف التي يجوز فيها سحب قوة الطوارىء الدولية من مصر . ويبدو ان طبيعة هذا الاتفاق بقيت غامضة نوعا ما ، اذ انه ينص على الا تسحب القوة الدولية الا بعد ان تكون قد انهت مهمتها ... وفي حال طلب مصر سحبها فان الموضوع يحال مباشرة الى الجمعية العامة لهيئة الامم لتقرر فيما اذا كانت مهمة القوة قد تمت فعلا ام لا . وحين جوبه يو ثانت ببنود هذه المذكرة ولفت نظره الى عدم تقيده بها ، اجاب بما معناه ان مذكرة هامرشولد ليست من الوثائق الرسمية لهيئة الامم . اي ان يو ثانت بتجاهله لهذا الاتفاق السري وعدم احالته المسألة مباشرة الى هيئة الامم سهل الى حد ما عمل اسرائيل في تنفيذ خطتها الهجومية على الدول العربية . وكان من نتائج هذا السلوك من قبل يو ثانت اظهار العرب بمظهر القوى المصرة على البدء بالهجوم العسكري في حين ان مصر لم تكن تهدف ، في تلك المرحلة ، الى اكثر من استعادة سيادتها الوطنية الكاملة على جزء من اراضيها كما اعلن ذلك يو ثانت نفسه في ٢٧ مايو ١٩٦٧ حين قال في تقريره الى مجلس الامن بعد عودته من القاهرة ان الرئيس عبدالناصر والدكتور رياض اكدا له بانهما لن يكونا البادئين بأي عمل هجومي ضد اسرائيل ، وان هدف مصر بصورة عامة هو العودة الى الاوضاع كما كانت قبل عام ١٩٥٦ والى تطبيق نصوص اتفاقيات الهدنة بحذافيرها من قبل الطرفين . ومع ان الكتب التي نحن بصددها تثبت نص هذا التصريح بوضوح فانها لا تهتم بمغزاه الموضوعي لان ذلك سيضطرها للابتعاد ولو قليلا عن تحيزها للجانب الاسرائيلي . وقد تعرض يو ثانت الى الكثير من النقد الحاد في الغرب بسبب اصداره الاوامر الى القوات الدولية

بالانسحاب واعتبر تصرفه غير مسؤول اذ كان باستطاعته ان يماطل قليلا قبل اعطاء جوابه او ان يحيل الموضوع برمته الى مجلس الامن . الا ان الواقع ، من ناحية اخرى ، هو انه حتى لو فعل يو ثانت ذلك ما كان الاجراء ليؤثر كثيرا على مجرى الاحداث اللاحقة وتصاعدها لانه كان باستطاعة الجيوش الاسرائيلية المهاجمة تخطي القوات الدولية بكل بساطة ، كما انه كان بامكان مصر اغلاق مضائق تيران بدون احتلال مركز المراقبة في شرم الشيخ . ومع ان البعض يعتقد انه لو أجل يو ثانت البت في الموضوع لاعطى الدول الكبرى المزيد من الوقت لحل الازمة بالطرق الدبلوماسية ، الا ان الحقيقة هي ان عنصر الوقت كان متوفرا للدول الكبرى التي ظلت في جو المفاوضات لمدة ثلاثة اسابيع بعد ان اتخذ يو ثانت قراره وبالرغم عن ذلك بقيت المحادثات الدولية والزيارات الدبلوماسية عديمة الفائدة ولم تؤد الى نتيجة ، ولا يوجد اي دليل يشير الى ان بضعة ايام اضافية كانت ستعطي اية نتائج مختلفة . لذلك يستنتج بعض الكتاب انه بالرغم من ان يو ثانت لم يتصرف بروية الا انه لا يمكن اعتباره المسؤول الاساسي عما حدث في الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

اما القضية الرئيسية الثالثة التي تناولتها هذه الكتب فتتركز على وصف الاستعدادات العسكرية وشبه العسكرية لاسرائيل ومن ثم مجرى المعارك الحربية بعد ضربة الطيران الاولى صباح الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ومن المفيد هنا تتبع عمليات التمويه والمخادعة في التكتيك التي استخدمتها اسرائيل ببراعة وذكاء على الصعيدين السياسي والعسكري لتنفيذ استراتيجيتها العامة والوصول الى اهدافها .

بعد اغلاق مضائق تيران ، عملت اسرائيل على التأكد نهائيا من رضى الولايات المتحدة الاميركية على مشاريعها ومخططاتها العدوانية ضد العرب ، وتشيرمعظم الكتب الى ذلك مداورة بقولها ان اسرائيل اصبحت متأكدة من شيئين تأكدا تاما وواضحا : اولا ان رئيس الولايات المتحدة لن يغضب عليها كما حدث مع ايزنهاور في عام ١٩٥٦ ، وان الاتحاد السوفياتي لا يمكن ان يتدخل عسكريا وبصورة مباشرة في الحرب . عندئذ اتخذت القيادة الاسرائيلية قرارها النهائي بتنفيذ خطتها الهجومية. في الواقع يتبين من التعليقات الاسرائيلية التي توردها الكتب بكثرة ان اسرائيل اعلنت الحرب عمليا على العرب يوم الاثنين ٢٣ ايار (مايو) ، حين اعلن اشكول في الكنيست (بعد اغلاق مضائق تيران في وجه السفن الاسرائيلية) ان اسرائيل ستعتبر اي تدخل في عمليات النقل البحري الاسرائيلي في المضائق عملا حربيا .

وبعد ذلك مباشرة بدأت عمليات التمويه والمخادعة، اعدادا للهجوم في صباح الخامس من حزيران ١٩٦٧ . على سبيل المثال ظهر دايان في يوم ٣ حزيران ، لاول مرة بعد دخوله الوزارة ، في مؤتمر صحفي ليعلن بأن الوقت قد فات للقيام بأي رد فعل مباشر من قبل اسرائيل ضد الحصار الذي فرضته مصر على مضائق تيران . واضاف دايان ان الحكومة الاسرائيلية قد بدأت خطواتها على الطريق الدبلوماسي لتسوية الازمة ، قبل ان اصبح وزيرا للدفاع فيها ، وعلينا ان نترك لها الفرصة لتتابع مسيرتها . وكان هدف هذا التصريح ، كما يقول اكثر من كتاب ، تحويل الانظار عن حقيقة العمل العسكري الذي كانت اسرائيل تعد لتنفيذه خلال ٢٤ ساعة . وفي اليوم التالي ، اي ٤ حزيران ، تسلمت مكاتب الصحف في كافة انحاء العالم صورا فوتوغرافية للجنود الاسرائيليين في طريقهم للتمتع باجازاتهم على شواطىء البحر . ولتنفيذ عملية التمويه هذه ، تم بالفعل ارسال بضعة آلاف من الجنود في اجازات عطلة نهاية الاسبوع لخلق انطباع عام في العالم (وخاصة عند القيادات العربية) ان اسرائيل قد خففت من تعبئتها العسكرية وانها خفضت من حمى الحرب مما يعني انها لا تنوي القيام بأي عمل عسكري سريع ومباشر . واستمرت الخدعة الذكية على أرفع المستويات اذ اجتمعت الوزارة الاسرائيلية في ذلك اليوم واصدرت بيانات وتصريحات تبين ان مجلس الوزراء ناقش أمورا عادية وروتينية لا اكثر . ويبين عدد من الكتب ان هذه الخطة التمويهية الاسرائيلية قد حققت غاياتها تماما بالنسبة للجانب العربي اذ شوهد عدد من القادة العسكريين المصريين مجددا في ملاعب التنس في القاهرة ، ولم يكن هناك ما يشير الى انه كانت لديهم اية فكرة عن الضربة التي كانت تنتظرهم في اليوم التالي . يضاف الى كل ذلك ان دايان كان قد أدلى بتصريح تمويهي آخر الى احد مراسلي الصحف الانكليزية ، حول دور السيطرة الجوية في حسم المعركة ، قال فيه

ان الامور نادرا ما تكون سوداء كليا او بيضاء كليا ، انها دوما بين بين ، لذلك من غير المرجح التأكد من اي من الطرفين المتقاتلين سيتمكن من تحقيق سيطرة جوية كاملة . كان دايان يطفح ، في هذين اليومين ، بالتعقل والاتزان والاعتدال ، الى ان جاء صباح ٥ حزيران حيث اتضح الوضع على حقيقته . مثال آخر يذكره احد الكتب من التمويه التكتيكي الاسرائيلي الذكي (مما يجدر بالعرب الاطلاع عليه) يكمن في نجاح الاسرائيليين باقناع القوات المصرية بنقل ٢٠ طائرة من طائرات الخطوط الامامية (١٢ طائرة من طـراز ميغ ٢١ ، و٨ طائرات من طراز ميغ ١٩) من المنطقة المحيطة بالقاهرة وبقناة السويس ، حيث تتركز القواعد الجوية المصرية الرئيسية ، الى منطقة اخرى في الجنوب حيث اصبحت هـذه الطائرات العشرين خارج المعركة عمليا . وقد نجح الاسرائيليون في تحقيق خطتهم هذه عن طريق ارسال اسراب قوية من طائرات الاستطلاع باتجاه الجنوب فوق خليج العقبة ، الامر الذي اقنع المصريين بأن الاسرائيليين يخططون لهجوم يتم بالتفافة الـى اليسار اي بالدوران حول الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء عوضا عن الهجوم بواسطة التفافة الى اليمين فوق البحر الابيض المتوسط كما حدث فعلا . ووجود الطائرات المذكورة في المنطقة الجنوبية جعلهـا بعيدة عن المنطقة الرئيسية للتحرك الاسرائيلي . وبعد الهجوم الاسرائيلي الجوي الناجح اتجهت هذه الطائرات العشرون الى الشمال نحو القواعد المحيطة بقناة السويس لتجد المطارات مدمرة الامر الذي مكن الطيران الاسرائيلي من القضاء عليها وكان بالامكان انقاذها لو انها توجهت نحو الجنوب الى قواعد الاقصر ، او سواها مـن القواعد الموجودة في مصر العليا حيث كان بالامكان توفير بعض الحماية لها .

بالرغم عن ان القوات البرية المعدوة والطيران الاسرائيلي كانا قد لجآ الى أسلوب الخداع لتضليل القوى العربية الا ان استخدام هذا الاسلوب من قبل العدو كان اكثر اهمية بالنسبة للبحرية ، وذلك بالنظر الى تفوق البحرية المصرية تفوقا كبيرا من حيث الحجم على اقل تعديل . لذلك كان الهم الاسرائيلي الاول على هذه الجبهة اضعاف القوة البحرية المصرية الموجودة في المتوسط الى ابعد حد ممكن لانها قادرة على ضرب تل ابيب والمناطق الساحلية المزدحمة بالسكان ضربا شديدا . لذلك عمل الاسرائيليون على مخادعة القوة المصرية لتحرك بعض قطاعاتها الموجودة في المتوسط باتجاه البحر الاحمر . وقد تم لهم ذلك بارسال ازبعة قوارب انزال بالطريق البرية وعبر صحراء النقب الى ايلات . وقد تعمدوا ابراز هذه القوارب وهي تصل الى ايلات في وضح النهار. ولكن اعاد الاسرائيليون القوارب نفسها الى الصحراء في نفس الليلة وتحت ستار الظلام ، ثم نقلوها مرة اخرى الى ايلات في وضح النهار . كرر الاسرائيليون هذه المناورة عدة مرات ، ثم ارسلـوا قوارب الـ MTB الثلاثة الوحيدة التي كانت موجودة في ايلات في دوريات باتجاه البحر الاحمر ، مما جعل القيادة المصرية تظن بأن الاسرائيليين كانوا يعدون لهجوم يستهدف شرم الشيخ ، كما حدث في عام ١٩٥٦ . (لم يكن مدى القوارب الاسرائيلية يسمح لها بالذهاب الى ايلات والعودة منها الا اذا كانت الريح تهب باتجاه الشمال على طريق الذهاب وباتجاه الجنوب اثناء العودة .)

وعند وقوع الهجوم الاسرائيلي كانت ٣٠ ٪ من القوة البحرية المصرية محجوزة في البحر الاحمر حيث لم تكن لتشكل اي خطـر حقيقي بالنسبة لاسرائيل . (عبرت مدمرتان مصريتان قناة السويس الى البحر الاحمر في ٣ حزيران ، اي قبل يومين من نشوب الحرب) .

وكما سبق لطيران العدو وبحريته ان نفذا بنجاح مثل هذه الخدع الحربية ، كذلك تمكنت القوات البرية المعادية من تنفيذ عمليات مماثلة بنجاح . فلو قام الطيران المصري بعمليات استطلاعية في الايام التي سبقت الحرب مباشرة لكانت الصور الجوية قد اظهرت وجود قوة اسرائيلية مكونة من لوائين او ثلاثة الوية متمركزة في نقطة الحدود الاسرائيلية — المصرية المقابلة للـ «كونتيلا». بينما الواقع هو انه لم يكن هنالك سوى لواء واحد معزز بدبابات خشبية كانت قد وضعت تحت شباك تمويهية بحيث تبدو القوة وكأنها اقوى بكثير مما هي بالفعل . ويبين الكتاب انه كان لدى الاسرائيليين خطـة تمويهية اجمالية تهدف الى اقناع القوات المصرية بأنهم كانوا ينوون الاندفاع جنوبا عبر الساحل باتجاه شرم الشيخ ، تماما كما كانوا قد فعلوا في عام ١٩٥٦ . ويبدو ان خطتهم هذه كانت ناجحة . واستأثرت ضربة الطيران الاولـى التي حطمت

الاسطول الجوي المصري على الارض باهتمام كل من كتب عن حرب ١٩٦٧. وبامكاننا هنا الاشارة الى التفاصيل التالية بالنسبة لهذه العملية الاسرائيلية الخاطئة . لقد تم توقيت اقلاع طائرات العدو على فترات متلاحقة محددة بدقة ، بحيث تصل جميعها الى اهدافها في نفس الوقت ، مما يضمن اكبر قدر ممكن من المفاجأة . وبالفعل فقد وصلت جميع الطائرات المعدوة الى اهدافها ونفذت مهماتها وفقا لما كان مقررا بالتحديد . اما الاسباب الكامنة وراء اختيار اسرائيل الساعة ٧،٤٥ (بتوقيت اسرائيل) موعدا للهجوم صباح ٥ حزيران فهي :

١) في تلك الساعة تكون حالة الاستنفار في القوات العربية قد تجاوزت حدها الاقصى . اذ افترض العدو ان القيادة العربية ، منذ بدء الحشد العسكري في سيناء ، قد وضعت عدة اسراب من طائرات الميغ ٢١ في حالة استعداد بحيث تكون جاهزة للاقلاع فجر كل يوم في فترة لا تزيد عن ٥ دقائق ، هذا بالاضافة الى دوريات الطيران العربية باعتبار ان ساعات الفجر هي اكثر الاوقات ملاءمة لهجوم يقوم به العدو . وعملت القيادة الاسرائيلية على اساس ان حالة الاستعداد القصوى المذكورة سوف تنحسر بعض الشيء اذا لم يحدث اي هجوم في الساعتين او الثلاث التي تلي الفجر وعندئذ تكون القوات العربية قد خففت من درجة يقظتها في الساعة ٧،٣٠ (أي الساعة ٨،٣٠ بتوقيت القاهرة) واقفلت بعضا من راداراتها. ٢) بصورة عامة، ان افضل الاوقات لمثل هذه الهجمات الجوية هو وقت الفجر . غير ان الاسرائيليين اخذوا بعين الاعتبار انه كان على طياريهم أن يكونوا جاهزين قبل موعد التحليق بثلاث ساعات مما يعني انه كان عليهم النهوض من النوم عند منتصف الليل ، او ألا يناموا مطلقا في تلك الليلة . وهذا يعني انه مع حلول مساء اول ايام الحرب فان الطيارين سيكونون قد حرموا من النوم لمدة ٣٦ ساعة . بالاضافة الى ايام عمل اخرى كانت بانتظارهم بعد الهجوم الاول. اي كان توقيت الضربة الاولى في الساعة ٧،٤٥ يتيح للطيارين فرصة النوم حتى حوالي الساعة الرابعة صباحا. ٣) معروف ان الضباب في فصل الربيع يتجمع في الصباح الباكر فوق معظم النيل ، اي في منطقة الدلتا وقناة السويس. كما انه معروف ان الضباب يكون قد تبدد حوالي الساعة ٧،٣٠ بحيث يكون الجو في افضل احواله عند الساعة ٨،٠٠ . كما تكون الرؤية ممتازة بسبب زاوية الشمس ، ويكون الهواء ساكنا تماما وهذه أمور مهمة جدا بالنسبة لاصابة المدرجات بدقة . ٤) لقد اختارت اسرائيل الساعة ٧،٤٥ (او ٨،٤٥ بتوقيت القاهرة) بدلا من الساعة ٨ او ٨،١٥ مثلا لاسباب تعود الى ان المسؤولين المصريين يصلون الى مكاتبهم في الساعة ٩،٠٠ . مما يعني انه اذا تمت الضربة المفاجئة قبل ذلك الوقت بربع ساعة سيكون هؤلاء ، بما في ذلك القيادات الجوية ، في طريقهم الى مكاتبهم ، كما سيكون الطيارون وعناصر سلاح الطيران في طريقهم الى اعمال التدريب او سواها من النشاطات ، مما يوفر للعدو افضل الظروف لتحقيق اهدافه من الضربة الاولى .

وكما اصبح معروفا كانت الاهداف الرئيسية للضربة الاسرائيلية الاولى جعل المطارات المصرية غير صالحة للاستعمال وتدمير اكبر عدد من طائرات ميغ ٢١ باعتبارها الوحيدة التي بامكانها ان تعترض بفعالية سلاح الطيران الاسرائيلي ، بالاضافة الى تدمير القاذفات المصرية ذات المدى الطويل التي كانت تشكل خطرا كبيرا على السكان المدنيين في اسرائيل .

وفيما كانت الموجة الاولى من الطائرات الاسرائيلية تضرب اهدافها كانت الموجة الثانية قد اصبحت في طريقها الى اهدافها . كذلك كانت الموجة الثالثة قد ارتفعت لتوها في الجو . وكان الفاصل الزمني بين الموجة والموجة التي تليها مدة ١٠ دقائق . وكان باستطاعة كل تشكيلة من اربع طائرات ان تبقى لمدة ٧ دقائق فوق اهدافها ، الامر الذي يمكنها من القيام بثلاث او اربع تحليقات فوق الهدف ، تخصص احدها للضرب بالقنابل فيما تخصص التحليقات الاخرى للرش . كذلك اعطي الطيارون ٣ دقائق اضافية تحسبا لاي خطأ ملاحي او للقيام بتحليق اضافي فوق الهدف . كان الاسرائيليون يعملون بدقة فائقة . وفيما يلي بيان بالتوقيت المطلوب لضرب القواعد الجوية الاساسية المحيطة بقناة السويس كما يقدمه كتاب « حرب الايام الستة » : الوقت الضروري للوصول الى الهدف : ٢٢١/٢ دقيقة تقريبا. الوقت المحدد للتحليق فوق الهدف : ٧١/٢ دقيقة تقريبا . الوقت اللازم للعودة الى القاعدة : ٢٠ دقيقة تقريبا يضاف الى ذلك ٧١/٢ دقيقة على الارض فيكون المجموع : ٥٧١/٢ دقيقة تقريبا .

وذلك يعني ان الطائرات الاسرائيلية كان بامكانها

الانطلاق لمهاجمة اهدافها للمرة الثانية بعد مرور ساعة واحدة على هجومها الاول وهذا ما حدث فعلا. علما بأنه لم يبق في اسرائيل سوى ١٢ طائرة اثناء الهجمة الاولى كان عليها تأمين حماية الاجواء والمطارات . وقد شكلت ثمان من هذه الطائرات مظلة جوية فيما كانت الاربع الاخرى تنتظر دورها على المدرجات .

من المعلومات التي يؤكدها الكتاب ان التدمير شبه الكلي للطيران العربي وهو على الارض لم يكن عائدا الى عامل المفاجأة وحده بل الى مفعول قنبلة جديدة كان الاسرائيليون قد اخترعوها وطوروها لهدف محدد هو تدمير مدرجات المطارات بأكبر درجة ممكنة من الفعالية . عند سقوط هذه القنبلة من الطائرة يتكيف سلوكها وفقا لصواريخ صغيرة مثبتة عليها مما يجعلها تندفع بقوة تجعلها تخترق ارض المدرج الصلبة ومن ثم تنفجر في وقت لاحق . ان اصلاح المدارج في الحالات العادية يعتبر عملا سهلا نسبيا . غير ان اصلاحها يغدو صعبا ما دامت القنابل الموقوتة مستمرة بالانفجار .

لا شك ان القيادة العربية في القاهرة كانت تعلم جيدا ان الاسرائيليين لم يكونوا يملكون قوة جوية كبيرة نسبيا اذ لا تزيد قوتهم عن ٣٠٠ طائرة ، من بينها ٥٠ — ٦٠ طائرة تدريب من طراز فوغا ماجستر زودها الاسرائيليون بالصواريخ لهدف محدد هو ضرب الدبابات . غير ان القيادة العربية فوجئت بالطائرات الاسرائيلية تهاجم نحو ١٩ قاعدة جوية مصرية لمدة ساعتين و ٥٠ دقيقة دونما انقطاع وهذا ما يفسر قول الرئيس عبد الناصر في خطاب الاستقالة في ٩ حزيران بان الضربة الاسرائيلية كانت اقوى مما توقعنا ، كما كانت ايضا اقوى مما تسمح به امكانيات العدو اذ انه هاجم بقدرة جوية توازي ثلاثة اضعاف قوته العددية . والتفسير الذي تم تقديمه لتحليل الرئيس عبد الناصر يتلخص في ان سلاح الطيران العربي قد وضع خططه على اساس ان تصل طائراته الى اهدافها مرة كل ٣ ساعات، ذلك بمقابل ساعة واحدة لا اكثر كان يستغرقها الطيار الاسرائيلي ليعود الى ضرب اهدافه من جديد مما جعل الطيران الاسرائيلي يبدو وكأنه على ثلاثة اضعاف قوته العددية . ويبدو ان هذه التقديرات تستند الى الوثائق العربية العسكرية التي استولى عليها العدو في قاعدة العريش ، التي بينت ايضا انه بينما كانت الخطط العربية مبنية على اساس ان باستطاعة الطائرة ان تقوم بطلعتين في اليوم ، فقد سجل العديد من الطيارين الاسرائيليين ثماني طلعات او اكثر في اول ايام الحرب .

وهناك شبه اجماع بين الذين اهتموا بهذه الناحية من الحرب على ان الاسباب التالية كانت وراء النجاح الاسرائيلي السريع : ١) التخطيط المركز منذ البداية بانتظار ساعة الصفر المناسبة للهجوم على القوى العربية . لقد اوجز الجنرال هود هذا الامر بقوله لقد تجسدت ستة عشر عاما من التخطيط في الدقائق الثمانين الاولى . « لقد عشنا حياتنا مع الخطة ، ونمنا مع الخطة ، واكلنا مع الخطة. كنا نحسنها باستمرار » . ٢) المخابرات التي تمكنت من رصد التحركات العربية كلها وكشف مواقع القواعد العربية الجوية وتفاصيل اعدادها مثل كيفية انتشار طائراتنا فيها ، ومعرفة اماكن وجود الرادار ومواقع القذائف الخ . ٣) التحكم في العمليات — لعبت القدرة الاسرائيلية على استيعاب المعلومات الجديدة وادخالها ضمن الخطة القائمة ، دورا هاما في التفوق الاسرائيلي . كما كان للسرعة التي تمكن بها الاسرائيليون من ابلاغ الطيارين ، وهم في الجو ، المعلومات الضرورية والاهداف الجديدة دورا حاسما في نجاح العملية . ٤) كان نجاح الطيارين (الذين يبلغ معدل اعمارهم ٢٣ سنة) في تنفيذ الحلقة الاساسية التالية في سلسلة النجاحات الاسرائيلية . وقد عكس هذا النجاح سنوات من التدريب على الطيران والملاحة الجوية والدقة في التصويب والضرب . وقد دأب الاسرائيليون على التدرب على هذا النمط من الهجوم لسنوات عديدة . القوا آلاف القنابل في النقب الجنوبي اثناء غاراتهم التدريبية على اهداف وهمية . وكانوا يقومون بغارة شاملة على هذه الاهداف مرة كل عام على اقل تقدير مما جعل كافة الطيارين بدون استثناء ينجحون في الوصول الى اهدافهم المحددة في الوقت المناسب عند بدء العدوان .

بطبيعة الحال لم يقتصر المستوى العالي للتدريب على الجو فحسب ، بل كان له اهمية موازية على الارض ايضا اذ ان تجهيز طائرة مقاتلة حديثة لمدة ٧ — ١٠ دقائق مع تقديم الصيانة اللازمة لسلاح طيران قام بأكثر من ٥٠٠ طلعة في اليوم هما أمران يتطلبان مهارة فائقة ومستوى رفيعا جدا من

التنسيق . وقد ذكر الجنرال هود : « في الساعة ٧،٤٥ من صباح الاثنين كانت الخدمات المقدمة لطائراتنا كاملة بنسبة ٩٩ ٪ ، وقد حافظنا على مستوى الصيانة هذا طوال اسبوع الحرب . ولم نعجز في اي وقت عن صيانة اي من طائراتنا ، اذا استثنينا الخسائر . ولم نصل ابدا الى وضع يزيد فيه عدد الطيارين على عدد الطائرات » .

بالنسبة للمعارك الارضية ان اهم ما يلفت انتباهنا هو ان الكتاب العسكريين (وخاصة الاسرائيلي دافيد دايان في كتابه « اضرب اولا ») قد قدموا في الحقيقة صورة واقعية عن الجنود العرب بمعنى انهم لم ينساقوا مع الدعاية الصهيونية التي ملأت العالم يوما عن الجندي العربي الذي فر بسرعة امام الهجوم الاسرائيلي ، بل يتكلمون عن القتال العنيف والشرس الذي قاتلته القوات العربية دفاعا عن مواقعها في وجه الجيش الاسرائيلي الذي كان يريد اقتحامها وتدميرها . اي ان الكتاب المعادين للقضية العربية وحتى الاسرائيليين منهم قد وضعوا بانفسهم حدا للاسطورة التي شاعت عالميا ونشرتها اسرائيل والاجهزة الصهيونية في كل مكان بانه ما ان شن الجيش الاسرائيلي هجومه على الجبهات العربية حتى ترك الجنود العرب مواقعهم وفروا عائدين الى قراهم واهلهم وما كان على جنود العدو الا الاحتلال والتطهير . يبين اكثر من كتاب ، بوضوح لا لبس فيه ؛ ان الجيش الاسرائيلي واجه مقاومة عنيفة على كافة الجبهات وفي كل موقع هام احتله. وان الجنود العرب دافعوا بكل شراسة عن تحصيناتهم ومواقعهم . غير ان الهجوم الاسرائيلي كان دوما يتغلب في النهاية على المقاومة العسكرية العربية بسبب فقدان القيادة العسكرية الجدية على الجانب العربي وجبن طبقة الضباط ، لذلك كان الانسحاب يأخذ ، في معظم الاحيان ، الطابع الفوضوي والكيفي مما ساعد العدو على نشر حكاياته حول فرار الجنود العرب . بعبارة اخرى يتضح من اقوال القوى المعادية نفسها ان الجيش الاسرائيلي لم يدخل موقعا مهما ، ولم يحتل نقطة استراتيجية ذات قيمة الا بعد مقاومة عربية قوية وضارية (باستثناء اليوم الاخير من الحرب) .

لكن المقاومة العربية كانت دوما قصيرة النفس ، غير قادرة على الاستمرار الى المدى الكبير الذي كانت تسمح به طاقاتها المادية المتوفرة بكثرة .

وللتمثيل عما قلناه حول القتال الدفاعي العربي الشرس اقدم التلخيص التالي لمعركة رفح كما وصفها دافيد دايان . يقول انه بينما كان المظليون الاسرائيليون يقاتلون عند تحصينات رفح الجنوبية كنت الدبابات الآتية من خان يونس من اختراق المواقع المصرية بهجوم مباشر ، ثم جاء المظليون من الخلف ليهاجموا التحصينات المصرية التي كانت على شكل سلسلة من الخنادق المحصنة . شن المظليون هجومهم على الخنادق بصورة مباشرة حيث جرى القتال وجها لوجه ويدا بيد . « وكانت النار التي وجهها المصريون ضدنا مخيفة ، لقد فتحوا النار من كافة اسلحتهم ، البنادق والرشاشات والبازوكا ومدافع الدبابات الخ ... واضطر المظليون للقتال من خندق الى خندق » .

وهناك اجماع تام على البسالة التي ابدتها القوات الفلسطينية في القتال وفي الاستماتة في الدفاع عن مواقعها كما حدث في معركة خان يونس . يقول دافيد دايان في وصفه لهذه المعركة انه عندما اقتحمت الدبابات الاسرائيلية التحصينات عاد الفلسطينيون رأسا الى الخنادق بعد مرور الدبابات وزرعوا الالغام من جديد على الطرقات وعلى جوانب التحصينات ، كل ذلك قبل مجيء طابور المشاة في عرباته نصف المجنزرة لاحتلال المنطقة التي اخترقت الدبابات دفاعاتها ومرت عبرها . كان المشاة الاسرائيليون يتوقعون المرور في خان يونس بدون متاعب لان الدبابات كانت قد سبقتهم ، غير انهم واجهوا وابلا من الرصاص والنار انطلق من خلف كل ما هو قائم في المدينة . يضيف الكاتب قائلا : « لقد قاوم الفلسطينيون بعناد ، وبالرغم عن النواقص العسكرية التي كانوا يعانون منها في صفوفهم ، كان سلوكهم خلال المعركة نموذجيا » . ووصف الكولونيل يهودا ذلك بقوله : « ينبغي علينا الا نستهين بهم (اي الفلسطينيين) قبل المعركة او بعدها . لقد قاتلت الوحدات الفلسطينية بصورة تفرض الاحترام . كل موقع دفاعي اخترقناه كانت تعاد تعبئته وتزرع الالغام حوله ويتم الدفاع عنه بصورة افضل من السابق . حدث هذا الشيء في المدن وفي كل مكان واجهنا فيه المقاتلين الفلسطينيين . لم يلقوا باسلحتهم ابدا ، ولم يتوقفوا عن القتال الى ان ابيدوا بالمعنى الحرفي للعبارة » . ويستمر الكاتب في وصف معركة خان يونس بقوله ان الدبابات الاسرائيلية انضمت الى وحدات المشاة في القتال العنيف الذي كان يدور

في ضواحي البلدة . واجه المشاة الاسرائيليون معركة دفاعية شرسة تخللها القتال وجها لوجه وبدا بيد ضد المقاومة العربية في الخنادق والتحصينات ولم يخرج حيا ممن دخلوا هذه المعركة سوى ثمانية ضباط تابعين لقوات هيئة الامم المتحدة . كما ان احتلال خان يونس نفسها كان عملية صعبة للغاية وفقا لما يرويه الكاتب ، اذ ان التحصينات المصرية كانت في مناطق مرتفعة (عند الشيخ محمد ومقبرة البلدة) واخذت تصب نيرانها وحممها على المشاة الاسرائيليين . تمكن المدافعون العرب ، حسب وصف المؤلف ، من ابراز مقاومة شرسة ضد القوة الاسرائيلية (التي دخلت لاحتلال مدينة خان يونس) التي كانت تنهمر عليها النيران من كافة الجهات ، كما كانت القناصة في كل مكان ، ونصبت الاسلحة المضادة للدبابات على زوايا الشوارع واسطحة المنازل . ولكن اضطرت خان يونس للاستسلام في نهاية الامر ، امام القوى المتفوقة التي غزتها واعتدت عليها كما نعرف جميعا . وتكررت الدراما نفسها في مدينة غزة عندما جاءت القوات الاسرائيلية لاحتلالها . يصنف مؤلف الكتاب الوضع في مدينة غزة على النحو التالي : فتحت كافة المواقع الدفاعية نيرانها المميتة على القوة الاسرائيلية وانهمرت النيران على العربات نصف المجنزرة مما اضطر الجنود الى اخفاء انفسهم في الرمال . كان خبراء الهندسة يزحفون تحت هذا البحر من النار ليعطلوا الالغام وينتحوا الطريق امام الدروع ، غير ان الفلسطينيين لم يتركوا مجالا لاحد كي يرفع راسه . كانوا يزرعون الغاما جديدة مكان الالغام التي يتم تعطيلها بواسطة جرها بالحبال حيث تستقر على طريق الدروع الاسرائيلية من جديد . حتى بعد ان تمكنت القوات الاسرائيلية من شق طريقها بعد قتال مرير واقتحام المواقع العربية استمر الفلسطينيون في مقاومتهم الشرسة . لذلك اضطر قائد الوحدة الاسرائيلية (يهودا) الى تغيير خططه لانه على حد قوله : تبين لي بعد بضع دقائق ان الخسائر كبيرة جدا مما جعلني ادرك انه حتى لو نجحنا في الاندفاع الى الامام سوف يكون ثمن الاقتحام مرتفعا جدا مما سيمنعني من اتمام مهمتي فيما بعد . لذلك قررت التراجع والعودة الى الهجوم عن طريق آخر دخله المظليون ، وكان ذلك يعني دخول البلدة من الشرق . ولكننا اكتشفنا ان الطريق التي سار عليها المظليون صعبة ايضا لان القوات العربية كانت قد اعادت تشكيل نفسها واعدت كمائن شاركت فيها الدبابات والبنادق التي لا ترتد ، وتمكنوا من الحاق خسائر كبيرة بعرباتنا نصف المجنزرة وبارواح المظليين من جنودنا . ويستمر الكولونيل يهودا في وصف الاوضاع التي وصلت اليها وحدته قبل احتلال غزة نهائيا بقوله : في الصباح كانت كل قوتنا قد تجمعت ، ولكنها لم تعد القوة نفسها التي بدانا بها المعركة . كانت الخسائر في الارواح كبيرة وكل عرباتنا قد اصيبت. ثم يصف الكولونيل احتلال غزة بقوله : لم يكن الدخول سهلا ، كانت هناك مجموعات من المقاومة قرب المدينة . دخلت الدبابات المدينة بسرعة وهي تطلق النار بدون توقف مقتحمة كل ما في طريقها . مع ذلك استقبل السكان طابور الدبابات والعربات نصف المجنزرة بنيران المدافع الرشاشة . هنا تقدم المظليون لضرب طوق كامل حول المدينة ، ولمسح الابنية الى مستوى الارض بهدف قصم ظهر المقاومة نهائيا . يتضح بما لا يقبل الجدل من هذا الوصف لسير بعض المعارك (وهو وصف من وجهة نظر العدو الخالصة) ان ما قيل ونشر على نطاق واسع حول فرار القوات العربية امام الهجوم الاسرائيلي عار عن الصحة في معظم الاحيان ومبالغ فيه كثيرا في احيان اخرى ، ومعلوم ان اسرائيل والاجهزة الصهيونية قد بذلت جهودا ضخمة لتغذية هذه الصورة المشوهة عن الجندي العربي .

وفيما يلي الملاحظة التي ابداها الجنرال غافيتش حول القوات العربية في سيناء : « كان الجيش المصري مزودا باعتدة حديثة وراقية وكانت لوائحه التنظيمية كاملة كما قاتل جيدا في مواقع الدفاع ، لكنه قاتل بكفاءة متدنية جدا عندما كان عليه ان يكون في اوضاع متحركة ، وتشتت عندما اضطر لان يقاتل وفقا للايقاع الذي فرضته عليه عملياتنا . كان الجيش الاسرائيلي يعتمد على سرعة النار واتجاهها ، وسرعة الحركة واتجاهها كي يفقد الدفاعات المصرية توازنها » .

ولم تكن الامور مختلفة جدا على جبهة الجولان بالنسبة للمقاومة العربية الشرسة وذلك باعتراف الكتاب الاسرائيليين او المنحازين كليا لاسرائيل . فقد وجد المشاة من العدو صعوبات فائقة في اختراق الخنادق المحصنة ومواجهة الاسلحة المتنوعة التي استخدمت في الدفاع عنها بالاضافة الى المدفعية السورية التي كانت تضرب باستمرار . وجرى في التحصينات والخنادق السورية الرئيسية قتال مرير

وعنيف عندما التحمت القوات الغازية بالقـــوات المدافعة على حسب وصف اكثر من كتاب . ولا تترك الكتب التي تطرقت الى وصف مجرى المعارك اي شك من ان الاسرائيليين قد استعدوا استعدادا كاملا وعلى مدة سنوات لعمليـــة غزو الجولان واحتلالها عندما تحين الفرصة المناسبة . علـى سبيل المثال كانت الوحدات العسكرية الاسرائيلية المعنية تصنع نماذج مصغرة عن التلال التي كـان عليها احتلالها اثناء المعركة . نمـــاذج تبين كـل ممرات التل وتعرجاته وممراته كما ان التصويـر الجوي كان يمكنها من متابعة التعديلات التي كانت تطرا على التل وتحصيناته . تم تخطيط تفاصيـل الهجوم على هـذا الاساس حيث حفظ الجنـود والضباط كافة ممرات التل عن ظهر قلب ، كذلك بالنسبة لاماكن التجمع ومراكز الانسحاب الخ ... كل جندي في القوة المهاجمة كان يعرف الاهـداف وممرات التقدم والانسحاب على التل، كما كان على علم بالتحركات الهامة في المنطقة كلها وكان كـل قائد سرية عدوة يعرف هو ورجاله تماما وبالتحديد ما ينبغي عليهم ان يفعلـوه ضمن اطار الخطـة العامة . كما اطلع المسؤولون عن شؤون التموين على خطط الهجوم كي يعدوا انفسهم وتجهيزاتهم على اساسها . وبسبب هذا الاعداد المحكم كانت بطاريات المدفعية الاسرائيلية مزودة مسبقا ببرنامج مفصل لتحركات القوات المهاجمة كي تنسق القصف على اساسه . هذا اذا لم نذكر التنسيق المسبق والدقيق في تحديد طبيعة العمليات المشتركة التي تدخل فيها اسلحة الجيش المتعددة . اي ان الآلة الحربية الاسرائيلية كانت معدة اعدادا كاملا ومسبقا لخوض اقسى المعارك واشدها في اكثر القطاعات صعوبة : هضبة الجولان . هذا ما يعترفون به صراحة وبدون اية تورية .

ملحـــق

مذكرة همرشولد حول قوة السلام في الشرق الاوسط

فيما يلي نص المذكرة التوضيحيـــة التي اعـــدها الامين العام للامم المتحدة ، داغ همرشولد ، في الخامس من اب ١٩٥٧ ، ليضمهـــا الى ملفاتـــه الخاصة بالمفاوضات حول وجود قوات الامم المتحدة في الجمهورية العربية المتحدة . وقبل وفاته ، اعطى السيد همرشولد نسخة عـــن المذكرة الى صديقـــه ارنست غروس الممثل السابق للولايات المتحدة في الامم المتحدة :

بما ان القرار المتعلق بقوات الطوارىء الدولية قد اتخذ وفق المادة السادسة من الميثاق ، فقد كان واضحا منذ البداية ان القرار لم يحد باي حال من الاحوال من سيادة الدولة المضيفة . وقد اتضح هذا من خلال قرار الجمعية العامة ومن التقريـــر الثاني والنهائي حـــول قوة الطوارىء . وبالتالي فان الجمعية العامة او الامين العام بتصرفه باسم الجمعية العامة ، لم يخلقوا او يمنحوا مصر حقا بموافقتهما على ان قبولها هو شرط لوجود قوات الطوارىء الدولية وعملها على الاراضي المصرية . لقد كانت مصر متمتعة بهذا الحق والمشكلة الوحيدة هي ما اذا كان من الممكن واللازم في هذا السياق الحد من هذا الحق بصورة ما .

برقية من بيرنز

كانت نقطة انطلاقي في معالجة هذه المشكلة التي اوضحتها ــ الحد من حق مصر في السيادة من اجل مصلحة التوازن السياسي والاستقرار في مسالـــة قوات الطوارىء الدولية هـــي ان مصر قد وافقت تلقائيا على قرار الجمعية العامة في الخامس مـــن تشرين الثاني (الذي قضى بانشاء قوة الطوارىء) ، وبموافقتها على هذا القرار قبلت بوجود قـــوات الطوارىء الدولية للقيام بمهمات معينة ، وبالتالي

فانها لا تستطيع الطلب من قوات الطوارىء الدولية ان تنسحب قبل اتمام المهمات المعينة لها ، دون ان تناقض بذلك قبولها بالقرار المتعلق بانشاء هذه القوات ومهماتها .

اثيرت هذه المشكلة بالنسبة لمصر لاول مرة في برقية وصلت في التاسع من تشرين الثاني بشان مقابلة جرت صباح ذلك اليوم بين بيرنز وفوزي . (ا. ل. م. بيرنز ، الجنرال الكندي الذي كان مسؤولا عن هيئة الرقابة الدولية على خطوط الهدنة في فلسطين، والذي اصبح في تشرين الثاني ١٩٥٦ قائد قوات الطوارىء الدولية . وهو الآن مستشار شؤون نزع السلاح لدى الحكومة الكندية . ومحمود فوزي (كان وزير خارجية مصر عام ١٩٥٦) . في تلك المقابلة طلبت مصر توضيح قضية الفترة الزمنية التي يعتقد بان قوات الطوارىء ستمضيها في منطقة خطوط الهدنة . وعلى هذا السؤال اجبت في اليوم ذاته بما يلي : « من المستحيل تقديم اجابة محددة الآن ، لكن كون هذه القوات قوات طوارىء يربطها بالازمة المباشرة التي اوجدتها كما هو وارد في القرار الصادر في الثاني من تشرين الثاني (المطالب بانشاء القوة) ، وفي حال اختلاف الاراء حول الزمن الذي لا تعود فيه هذه الازمة تستدعي وجود القوات ، يجب التفاوض حول هذه القضية مع الاطراف المعنية » . وفي برقية اخرى الى بيرنز في اليوم ذاته قلت كذلك « ان قوات الامم المتحدة ستوجد بموافقة مصر ولا يمكنها البقاء او العمل ما لم تستمر مصر في موافقتها » .

في العاشر من تشرين الثاني سالني السفير لطفي (عمر لطفي ، رئيس وفد مصر الى الامم المتحدة عام ١٩٥٦ ثم مساعد الامين العام للامم المتحدة . توفي عام ١٩٦٣) بناء على تعليمات من حكومته « ما اذا كان واضحا ومعترفا به انه من الضروري الوصول الى اتفاقية بشان بقاء قوات الطوارىء الدولية في منطقة القناة بمجرد انتهاء مهمتها هناك » . فاجبته بان هذه الاتفاقية ستكون ضرورية من وجهة نظري .

في الحادي عشر من تشرين الثاني قابلني السفير لطفي ثانية . وقال لي حينذاك انه يجب الاتفاق على انه بمجرد زوال موافقة مصر على وجود قوات الامم المتحدة عليها ان تنسحب ، وقد اجبت على ذلك بانني لا اعتقد ان سحب الموافقة يمكن ان يتم قبل انجاز المهمات التي بررت دخولها ، واذا حدث اختلاف في وجهات النظر حول مدى اتمام هذه المهمات ، كما قد يحدث ، فان الامر يجب ان يخضع للتفاوض .

وتم تضمين وجهة نظر لطفي في مذكرة توضيحية بتاريخ اليوم ذاته حيث جاء : « تاخذ الحكومة المصرية علما بما يلي : تم الاتفاق على ان موافقة مصر لا يستغنى عنها لدخول قوات الامم المتحدة وبقائها على اي جزء من اراضيها . واذا لم تعد هذه الموافقة موجودة فعلى هذه القوات ان تنسحب » .

واجبت على ذلك بمذكرة مؤرخة في الثاني عشر من تشرين الثاني ، قلت فيها : « استلمت مذكرتكم التوضيحية التي تحدد الاساس الذي بموجبه تقبل الحكومة المصرية اعلاني اليوم الوصول الى اتفاق حول ارسال قوات الامم المتحدة الى مصر . انني اريد ان اسجل تفسيري لنقطتين من هذه النقاط » . وبشان النقطة التي اوردتها سابقا من المذكرة التوضيحية المصرية استطردت قائلا : « اريد ان اسجل ان الشروط التي دفعت الى الموافقة على دخول القوات ووجودها هي ذاتها الشروط التي تعين المهمات المحددة لهذه القوات في قرار الجمعية العامة (الذي طلب الاعداد لانشاء القوات) في الرابع من تشرين الثاني ، ولهذا اعتقد انه من المعترف به ، انه طالما ان هذه المهمة ، كما تم تحديدها ، لم تنجز فان اسباب موافقة الحكومة تظل قائمة ، وان سحب هذه الموافقة قبل انهاء المهمة لا يتعارض مع قبول مصر لقرار الجمعية العامة . وانني افهم الاعلان الذي اوردته سابقا على ضوء هذه الاعتبارات ، واذا وقع خلاف ، سواء كانت الاسباب الداعية لهذه الترتيبات ما زالت قائمة ام لا ، يجب التفاوض حول هذا الامر مع الامم المتحدة » .

رسالة من فوزي

ارسل توضيحي هذا الى البعثة المصرية بعد حديث تلفوني صباح الثاني عشر من تشرين الثاني مع الدكتور فوزي ، اتفقنا خلاله على اعلان اتفاقنا حول ارسال قوات الطوارىء الدولية الى مصر . وفي ضوء المشاورات السابقة لم يكن هناك من سبب يدفعني للاعتقاد بان اعلاني هذا قد يخلق مشاكل جديدة . واعتمدت كذلك على كون مصر قد اصبحت على الاغلب ملتزمة لدرجة تجعلها متشوقة لعدم فتح باب المناقشات من جديد . مع ذلك ،

اعترفت لنفسي بوجود عنصر من المقامرة لم يكن امامي الا تقبله بسبب الخطر الماثل في المزيد من التاخير الذي قد يدفع مصر الى تغيير رايها وقبول المتطوعين للقتال والقاء مبادراتنا بعيدا .

مع ذلك ، استلمت صباح اليوم التالي ، الثالث والعشرين من تشرين الثاني ، رسالة من الدكتور فوزي تقول ان الحكومة المصرية لا يمكنها الخضوع لتفسيري لقضية الموافقة على الوجود والانسحاب كما ذكرتها في الثاني عشر من تشرين الثاني ، ولهذا ، وعلى ضوء اتصالاتي في ذلك اليوم « شعرت بضرورة عدم اذاعة الاتفاق لحين ايضاح جميع جوانب سوء التفاهم الواقع » . واعادت الحكومة ذكر وجهة نظرها في ان زوال الموافقة يعني وجوب انسحاب قوات الطوارىء الدولية .

اجبت على هذا الاتصال — الذي ادى الى تاخير جديد في نقل القوات الى مصر لمدة ٢٤ ساعة على الاقل — ببرقية ارسلتها فور تسلمي للرسالة . واثناء كتابتي لمسودة الرد شعرت انه من الضروري ارسال القوات الآن ، وانني في موقع يمكنني من ايجاد صيغة تحفظ ماء الوجه لمصر وتحمي موقف الامم المتحدة ، بمجرد ان اناقش القضية شخصيا مع الرئيس عبد الناصر .

في الرد الرسمي بتاريخ الثالث عشر من تشرين الثاني قلت ان اعلاني السابق قد اوضح رايي الشخصي في ان « اسباب » الموافقة تظل قائمة طالما ان المهمة لم تنجز . وقلت كذلك انه لهذا السبب فان سحب الموافقة الذي يؤدي الى سحب القوات قبل انجاز مهمتها تشكل من وجهة نظري ، كما قلت سابقا ، « خرقا للقبول بالقرار الاساسي للجمعية العامة على الرغم من انه ضمن حقوق الحكومة المصرية » . واستطردت الى القول ان اشارتي للمفاوضات كانت لايضاح ان قضية الانسحاب يجب ان تكون موضع مناقشة حول النقطة التي تختلف وجهات النظر بشانها وهي المدى الذي يحدد ما اذا كانت مهمة الجمعية العامة قد انجزت ام لا . واشرت هنا الى موقفي الذي شرحته سابقا في رسالتي بتاريخ التاسع من تشرين الثاني والتي اوردتها فيما سبق .

حرية التصرف

علقت على الرد الرسمي برسالة شخصية خاصة لفوزي ارسلتها في الوقت ذاته قلت فيها انه « على كلينا ان نحتفظ بحرية التصرف لكن بامكاننا في الوقت ذاته المضي قدما ، آملين في الا تقع ظروف مثيرة للجدال . واذا كانت الترتيبات ستنهار بسبب هذه القضية (الانسحاب عند انجاز المهمات فقط) فانني لا استطيع تفادي احالة الموضوع (الخلاف بيننا على هذه القضية المبدأية) الى الجمعية العامة واترك لها ان تقرر ما يمكن وما لا يمكن ان يكون مقبولا كتفاهم (بيننا) . سيكون هذا الوضع محرجا للجميع لكنني اخشى نتائجه السياسية ، اذ انه من الواضح ان اقلية قليلة جدا ستقتنع بان الاعتراف بحريتكم في التصرف يجب ان تعني انكم بعد سماحكم للقوات بالمجيء قد تطلبون انسحابها في الوقت الذي تكون الاسباب التي دفعتكم للقبول بها ما زالت قائمة بوضوح » . وانهيت رسالتي بالقول انني واثق من ان فوزي يستطيع مساعدتي، على اساس هذه الرسالة الشخصية ، « في وضع الموقف الذي كان علي ان اتخذه بالنسبة لحقوقي في منظوره الصحيح ». عليه اوضحت هذه الرسالة لفوزي انه ما لم تقبل الحكومة بموقفي من الانسحاب كشرط للقيام بمزيد من الخطوات ، فان القضية ستثار امام الجمعية العامة .

وعلى اساس هذين الاتصالين الاخيرين الصادرين عني اعطت مصر اشارة الضوء الاخضر لوصول القوات ، اي انها وافقت في الواقع على موقفي وتركته يتغلب على موقفها الذي جاء في مذكرتها في الثالث عشر من تشرين الثاني .

في جهودي لمتابعة الظرف الذي ساد بعد تبادل وجهات النظر التي اوضحت اختلاف المواقف بين مصر وبيني ، كنت اسير على اعتبار ان مصر تتمتع دستوريا بحق لا شك فيه بطلب انسحاب القوات حتى ولو كانت قد اعطت موافقة مسبقة. لكن من جهة اخرى يجب ان يكون ممكنا ، على اساس الموقف الذي تبنيته والذي قبل في النهاية ضمنيا ، ان نجبرها على اتفاقية تحد بها حرية تصرفها بالنسبة للانسحاب بجعل طلب الانسحاب معتمدا على انجاز المهمة — ومن الواضح ان هذه القضية ، في هيئة الامم ، لا يمكن الا اخضاعها الى التفسير من قبل الجمعية العامة .

عقبات امام الحل

بالطبع كان افضل الاشياء هو ربط مصر باتفاقية تعلن فيها ان الانسحاب لا يتم الا بقرار من الجمعية العامة . لكن لم يكن بالامكان حل المشكلة ابدا على هذه الصورة المكشوفة . وشعرت بان الشيء

ذاته ينطبق على اتفاقية تنص على ان الانسحاب يتم على اساس « اتفاق على الانسحاب بين الامم المتحدة والحكومة المصرية » . ومع هذا وجدت انه من المفيد محاولة السير في هذا الخط القريب جدا من الاحتمال الثاني بحيث تعلن مصر بموجبه للامم المتحدة انها ستمارس كافة حقوق السيادة بالنسبة للقوات على اساس حسن النية في تفسير مهمة القوات . وتقوم الامم المتحدة بتعهد مقابل المحافظة على القوات طالما ان مهمتها لم تنته . فاذا تم الوصول الى مثل هذا الاعلان الثنائي في اتفاقية بين الطرفين سيكون واضحا ان الاجراءات المتخذة في حال طلب مصر انسحاب قوات الطوارىء الدولية ستكون كما يلي : يعرض الامر بسرعة على الجمعية ــ واذا وجدت الجمعية العامة ان المهمة قد انتهت سار كل شيء على ما يرام ، اما اذا وجدت ان المهمة لم تنته واصرت مصر على موقفها على الرغم من ذلك وفرضت الانسحاب فانها بذلك تخرق اتفاقها مع الامم المتحدة . بالطبع لم يكن بالامكان الحد من حرية مصر في العمل في اي حال من الاحوال الا باتفاق ما . والوسيلة التي استخدمتها كانت تعني فقط انه بدلا من الحد من حقوق مصر على اساس تفاهم اساسي يطالب باتفاقية « تتعلق بالانسحاب مباشرة » ، خلقنا التزاما من اجل الوصول الى اتفاقية حول واقع انجاز المهمات وبالتالي « تكون شروط الانسحاب قد وضعت » .

اعددت مسودة نص الاتفاقية وفق الخطوط التي كانت في ذهني ليل ١٥ ــ ١٦ تشرين الثاني في كابوديشينو (ايطاليا) . اطلعت فوزي على النص في اول محادثات بيننا في السادس عشر من تشرين الثاني ، وناقشت هذه القضية عمليا مع عبدالناصر طيلة سبع ساعات مساء وليل السابع عشر من تشرين الثاني . خلال المناقشات النهائية التي تمت على اساسها الموافقة على النص الذي اقترحته مع بعض التعديلات ، اظهر عبدالناصر بانه كان يدرك جيدا بانه بموافقته على تحديد حرية مصر في العمل بالطريقة التي اقترحتها انهم (في مصر) يقدمون على خطوة خطرة اذ انها تعني ان قضية مدى انجاز المهمة ستصبح حاسمة بالنسبة لعلاقات مصر مع الامم المتحدة ، وستقرر حرية مصر السياسية في العمل . لقد شعر ، وليس بدون مبرر ، ان التحديد المعطى للمهمة في نصوص الامم المتحدة مطاط جدا ، وان ربط حرية تصرف مصر بمفهوم المهمة ــ الذي يجب ان تفسره الجمعية العامة ايضا ــ وفي اتفاقية مكتوبة ، يعني انه قد قبل بتحديد ذي آثار بعيدة وذي نتائج لا يمكن التكهن بها . ومن اجل ان ادفع بنص الاتفاقية على الرغم من رغبة عبدالناصر القوية في تفادي ذلك وشكوكه القوية ببنيانها القانوني وخاصة بالنسبة للنتائج المحتملة لاختلاف وجهات النظر حول مهمة القوات ــ شعرت بانني مضطر خلال سير المناقشات ان اهدد ثلاث مرات انه ما لم يتم الوصول الى اتفاقية من هذا النوع فان علي اقتراح الانسحاب الفوري للقوات . واذا كان هناك من داع لسرد دليل على نوعية نظرة الرئيس عبدالناصر الى النص المقترح فان هذه الحقيقة الاخيرة التي اوردتها تحكي كل شيء .

من الواضح انه بموافقة مصر على نص بهذا المضمون الذي ذكرته تكون جميع وجهات النظر المتبادلة سابقا قد تم تخطيها باعتراف رسمي وواضح من قبل مصر بالموقف الذي اتخذته طوال الوقت وخاصة في التاسع والثاني عشر من تشرين الثاني . ان التبادل السابق للبرقيات لم يعد له اية قيمة تفسيرية اذ انه لم يعرض على الجمعية العامة سوى نص الاتفاقية الذي تمت الموافقة عليه بمشاركة مصر ، وقد كان نصها متكاملا وحاسما . ولهذا فان اية مناقشات مقبلة يجب ان تنطلق من نص الاتفاقية الموجودة في المستند رقم ا/٣٣٧٥ . وتفسير النص يجب ان يكون هذا المذكور اعلاه .

حرب حزيران بين كتابين

المقدم الهيثم الايوبي

« ان العقيدة المبنية على القتال والخطر والبطولة والتضحية تعطي لانصارها احساسا بالرضى اعنف مما يعطيه البحث عن النظام والامـن والسعادة » (لويس ليبريش) .

ما ان انتهت حرب حزيران ١٩٦٧ حتى غمرت الاسواق العالمية وبمختلف اللغات كتب وتحليلات ومذكرات كتبها صحفيون اسرائيليون او اجانب كلفتهـم اسرائيل بالكتابة والتحليل كجزء من مخططها الدعائي لاكتساب الرأي العام العالمي قبل الضربة وبعدها . فاذا استثنينا كتابات مكسيم رودنسون وبيير دموروون وعدد من الكتاب السوفييت مثل بيليايف وبريماكوف وكوليسنيتشنكو وجدنا ان اكثر ما كتب عـن حرب ١٩٦٧ أشبه بمقالات صحفية ، ووصف مشاهدات تفتقر لتحليل كامل يشمل او يلامس على الاقل كل وجوه المعركة السياسية والعسكرية . ومن المؤكد أن ظهورها بسرعة (ظهر بعضها في عام ١٩٦٧ نفسه والبعض الآخر في عام ١٩٦٨) ، وقبل مرور الزمن الكافي للحكم على الاحداث من وجهة نظر تاريخية صحيحة ، وعدم امتلاك كتابها لكافة وثائق المعسكرين ، والاعتماد الكلي على مصادر غربية واسرائيلية بصورة خاصة ، جعـل هذه الكتابات مفعمة بالاخطاء ، ومتناقضة مع ابسط معطيات العلم العسكري والمنطق السليم ، وتنتهي باستنتاجات سياسية متسرعة أثبتت السنوات الخمس التي تلت الحرب سطحيتها وعدم انطباقها على الواقع .

ومن الصعب أن تحظى هذه الكتب في المستقبل باهتمام المؤرخين او الباحثين العسكريين الجادين ، الذين سيكتشفون بكل يسر انها مؤلفات وحيدة الجانب ، ذاتيـة ، لا تتسم بالتجرد او الحياد العلمي لدرجة تهبط بمعظمها الى مستوى الكتب المغرضة . ولكن هذا سيجعلها تجذب دون أدنى شك اهتمام علماء الاجتماع والمختصين بقضايـا الدعاية والحرب النفسية ، وستقدم لهم أمثلة حية عن الدعاية الديماغوجية ، ومـادة غزيرة لتحليل نفسية المجتمع الاسرائيلي واكتشاف العقد التي تحكمه وتقود تصرفاته على سبل الانتصارات المؤقتة الحالية وهزائم المستقبل .

ومن الامور التي لها دلالاتها الهامة ندرة الكتب والدراسات العربية حول هذه الحرب مع انها حدث من أهم الاحداث التي شهدها التاريخ العربي المعاصر ، ونكسة خطيرة لا تكمن خطورتها بالفشل على الصعيدين السياسي والعسكري ، بل بما يمكن ان يؤدي اليه هذا الفشل من انعكاسات على قضية فلسطين برمتها، وقضية الصراع العربي ـ الاسرائيلي بل وعلى قضية سيادة العرب واستقلالهم الحقيقي اقتصاديا وسياسيا . من هنا تأتي أهمية كتابين ظهرا في عام ١٩٧١ . كتب أولهما « **حرب الايام الستة** » عسكري محترف هو العميد الركن عزيز الاحدب قائد المدرسة الحربية اللبنانية، وكتب الثاني «**٥ حزيران**» مناضل تقدمي يعمل في خدمة قضايا الفكر الثوري والحركة الثورية العربية داخـل مجموعة من المثقفين الثوريين العرب في أوروبا ، ويحمل اسما حركيا هو صابر أبو نضال .

ومن الطبيعي ان يتناول الكاتبان المسالة من زاويتين متباينتين ، وان يكـون تحليلهما لاسباب الحرب ونتائجها ، واقتراحاتهما حول الحلول والتوقعـات انعكاسا لواقعين اجتماعيين (طبقيين) متباينين ، ومدرستين فكريتين مختلفتين كل الاختلاف . واذا كان « الاسلوب هو الانسان » (بوفون) فالانسان هو الطبقة التي يعيش فيها ويتفاعل معها ويحمل ايديولوجيتها ويلتزم بالنضال في سبيل سيادتها وسلطتها .

وقبل أن نبدأ الخوض في مضمون الكتابين واسلوب طرحهما لاهم قضايا حرب حزيران ١٩٦٧ لا بد لنا من ذكر ملاحظتين : اولاهما ان القارىء يشعر في كل صفحة من صفحات الكتابين أن المؤلفين العربيين العميد الاحدب وصابر أبو نضال يتمتعان ــ رغم تباينهما الاجتماعي والفكري ــ بحس وطني اصيل ، وارتباط قومي لا يرقى اليه الشك بقضايا الامة العربية، وايمان مطلق بعدالة صراعها وحتمية انتصارها فينضالها العادل المصيري ضد عدوها الصهيوني . بالاضافة الى الم دفين عاجز ، ورغبة صادقة برؤية تغيير الواقع نحو واقع افضل يقود الى النصر .

اما الملاحظة الثانية فهي أن الكتابين لم يتضمنا رغم صدورهما في عام ١٩٧١ وبعد خمس سنوات من اندلاع الحرب وثائق دبلوماسية او سياسية او عسكرية جديدة لم تنشرها الكتب الاجنبية والاسرائيلية الصادرة في أواخر ١٩٦٧ ومطلع عام ١٩٦٨ . لذا فهما لا يشكلان ــ من الناحية التاريخية ــ اضافة تساعد على القاء الضوء علـى كثير من الاسرار ، وكشف عدد من المواقف التي لا تزال غامضة مثـل : هدف الملك حسين الحقيقي من توقيع اتفاقية الدفاع المشترك قبيل الحرب رغم معارضته لدخـول القوات العراقية الى الاردن قبل ذلك ــ حقيقة القرار الذي اخذته القيـادة السياسيـة في الجمهورية العربية المتحدة وهل هو قرار هجومي ام دفاعي والمهمات التي اعطيت للفرق المتحركـة الى سيناء ــ ظـروف احتـلال القنيطـرة ــ الاسبـاب السياسيـة والعسكرية لبطء رد الفعـل السوري والاردني في يومي ٥ و ٦ ــ مكان وتحركـات ومهمات اللوائين المدرعين السوريين السبعين والخامس خلال فترة ٥ ــ ١٠ حزيران ودورهما الفعلي في القتال ــ حدود الاستنزاف البشري والمادي (اللوجيستيكي) الذي وصلت اليه القطاعـات الاسرائيلية عنـد وصولها الى قناة السويس ونهـر الاردن والقنيطرة ، والمدة التي كان بوسعها القتال بعدها في حالة وجود قوات احتياطية طازجة في العمق العربي ــ سر توقف القوات الاسرائيلية عند الحدود التي وصلت اليها وهل هو ناجم عن الوصول الى « نقطة الذروة » أم الوصول الى الحـدود التي رسمتهـا السياسة الاستراتيجية الامبريالية لهـا ، أم لاقتناعها بتحقيق المهمة العسكرية (تدمير القوة المقاتلة) وايمانها بأن المهمة السياسية (قهر ارادة العرب واجبـارهم على قبول الحلول الاستسلامية) ستتحقق بعد ذلك تلقائيا ، أم لعدم رغبتهـا بالتورط في مناطق آهلة بالسكان بشكل يزيد الاحساس بالاحتـلال ويصعد المقاومة ويضاعف صعوبات وجود القوات العسكرية المنتشرة ــ سر عدم اجتياز القوات الاسرائيلية لقناة السويس (رغم قدرتها العسكرية آنذاك على ذلك) وهل هو رغبتها في اسناد قواتها الى حاجز مائي طبيعي منيع لزيادة قدرتها الدفاعية خلال مرحلة الضغط السياسي التي تلي النصر العسكري ، أم عدم رغبتها باستنزاف جزء من قواتها بمعارك داخل مدن القناة في الوقت الذي تحتاج به لهذه القوات في معركتي الضفة الغربية والجولان ، أم عدم رغبتها باحتلال الضفتين واضطرارها عند ذلك الى فتح القناة مع ان حليفتها أمريكـا غير راغبة بفتح القناة المغلقة أمام الامدادات السوفييتية المتجهة نحو جنوب شرق آسيا . وغير ذلك من الاسئلة الهامة في المجال السياسي والاستراتيجي والعملياتي والتكتيكي ، والتي لا يمكن لاية دراسة جديدة تود تقديم اسهام فعلي في شرح وتحليل حرب حزيران ١٩٦٧ الا أن تجيب عليها أجابة مقرونة بوثائق ومعلومات ، أو على الاقل بتحليلات مبنية على اسس

العلم السياسي ــ العسكري والمنطق السليم ، ووفق مبادىء الاستقراء التاريخي .

١ ــ **الخلفية الاجتماعية للحرب** : الحرب صراع بين مجتمعين تتناقض مصالحهما الى حد يتعذر حله بمختلف الوسائل الدبلوماسية والسياسية ، ويدفع المجتمعين نحو الاحتكام الى السلاح . لذا فان من المتعذر فهم الحرب ، اية حرب ، الا بعد فهم المعطيات الاقتصادية والاجتماعية التي تنبثق عنها سياسة المجتمعين التي تؤدي عند تصاعد الازمة الى الصدام .

ولقد اسقط العميد الاحدب التحليل الاجتماعي والديموغرافي للمعسكرين المتجابهين . وبدأ كتابه بالحديث عن « الاسباب الحقيقية للحرب » وكان الحرب بأسبابها المختلفة تنبثق من الفراغ ، وليست عملا محددا في الزمان والمكان والاساليب يستهدف تحقيق هدف محدد لخدمة سياسة معينة تكرس جهودها لخدمة مجتمع معين واهداف اقتصادية محددة . ولعل الكاتب أراد أن يحصر نفسه ضمن اطار عسكري بحت تاركا المجالات الاخرى لاصحاب الاختصاص ، متناسيا أن دراسة الحرب في المستويات العليا (الاستراتيجية والاستراتيجية العليا وادارة الحرب) تتلامس الى حد بعيد مع دراسة السياسة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية . وان هذه المواضيع تتشابك في كتابات الباحثين العسكريين الكبار (كلاوزفيتز ، ديغول ، ليدل هارت ، بوفر ، سوكولوفسكي ، تايلور، ميكشه) وفي كتابات أعظم السياسيين ــ العسكريين (ماركس ، انجلز ، لينين ، ماوتسي تونغ ، جياب ، كيم ايل سونغ ، جيفارا) . وانها لا تنفصل مطلقا الا في مجال التكتيك والعمليات ولا يمكن أن يقبل انفصالها تحت ريشة عميد ركن .

ولكن كتاب صابر ابو نضال لجأ الى تحليل المعطيات الاقتصادية والاجتماعية للقوتين المتجابهتين (المعسكر العربي والمعسكر الصهيوني) ومن الملاحظ أن الجزء الاكبر من تحليله انصب على المعسكر الصهيوني . وان نسبة الجهد المعطى لتحليل المعسكر العربي واوضاعه الاقتصادية والاقليمية والعشائرية والطائفية وانعكاسات هذه الاوضاع على السياسة والحرب عند العرب اقل بكثير من الجهد المبذول لتحليل المعسكر الصهيوني وعقيدته وتأثيرها على العقيدة العسكرية الاسرائيلية .

والشيء الجديد في دراسة صابر ابو نضال لمعسكر العدو ومقارنته مع المعسكر العربي هو تبني مقارنة القوى البشرية والمادية والتقنية التي تملكها البلدان العربية مع قوى الصهيونية كلها سواء اكانت في اسرائيل ام في أوروبا وأمريكا . وهذه مقارنة اكثر صحة من مقارنة قوة اسرائيل وحدها مع قوى البلدان العربية . والاصح منهما مقارنة القوة الصهيونية مع قوة دول المجابهة . لانه اذا كانت الصهيونية العالمية تمثل عمقا بشريا واقتصاديا لاسرائيل ومؤخرة **فعالة ديناميكية** تعمل في خدمة الصهيونيين الاسرائيليين ، فان الدول العربية التي لا تملك حدودا مباشرة مع العدو كانت تشكل عند الصدام عمقا هاما يضم امكانات بشرية واقتصادية واستراتيجية هائلة ، ولكنها بقيت خلال الصراع امكانات **سلبية** غير فاعلة . ولا يزال القسم الاكبر من هذه الدول **حتى الان** عبارة عن قوة احتياطية غير معبأة وغير فاعلة في اي صراع قريب مقبل .

٢ ــ **ميزان القوى العام** : ليست المعركة سوى صدام القوى التي يعبئها الخصمان ويعدانها خلال فترة طويلة . ويأتي فهم طبيعة الصدام من فهم طبيعة القوى المشتركة فيه (حجمها ، اعدادها المادي والمعنوي ، تسليحها) ومعرفة ميزان القوى الحقيقي للقوات المعبأة والقوات المشتبكة .

ولقد كان بوسع العميد احدب بحكم ثقافته العسكرية أن يقدم تحليلا عدديا ونوعيا لقوات البلدان المعنية خلال الصراع ، وأن يكشف من خلال ذلك :

أ ــ فاعلية نظام الاحتياط والتعبئة في جيش هذا البلد أو ذاك لان ذلك يكشف مدى ديناميكية نظام البلد وقدرته على تطبيق أحدث الاساليب العلمية في جمع الاحتياط واعداده وتدريبه وتسريحه بشكل يوفر نفقات الاحتفاظ بجيوش محترفة نظامية كبيرة مدة طويلة .

ب ــ نسبة القوى الاحتياطية الفعلية التي يمكن جمعها وتأطيرها وتسليحها بسرعة ، الى مجموع الرجال لان في هذا دليل على مدى قدرة هذا البلد أو ذاك على فهم طبيعة الحرب الشاملة وتطبيق مبدأ الامة المسلحة .

ج ــ النسبة بين مجموع القوى العامة (النظامية والاحتياطية) والقوى الموجودة فعلا على خطوط القتال . لان هذا يكشف تصميم القيادات العليا الاستراتيجية لكل بلد على القتال واستخدام الحد الاقصى من القوة في الاشتباك . ويحدد مستوى هذه القيادات ومدى قدرتها على تنفيذ مبدأ الحشد في الزمان والمكان المناسبين واستخدام القسط الاكبر من القوة خاصة **وان عدد القوات العامة لا يعني في القتال شيئا ، والمهم هو عدد القوات المشتبكة أو القادرة على الاشتباك في المعركة** . وتعتبر هذه النسبة فضلا على ذلك مؤشرا يحدد بشكل أبلغ من الالفاظ والدعايات مدى الاعتماد الحقيقي على القوى الشعبية ، وقوى الدفاع الذاتي ، والجماهير المسلحة ، والقوات شبه النظامية لحماية المؤسسات والمنشآت الاستراتيجية الهامة . وحقيقة تلاحم النظام مع الجماهير .

د ــ النسبة بين مختلف صنوف الاسلحة في المعسكرين المتجابهين وعدد فوهات المدافع بالنسبة لكل الف رجل ، ووزن العتاد بالطن بالنسبة لكل رجل ، وقيمة القوة المحركة بالاحصنة البخارية لكل رجل . لان هذه النسب وحدها ــ لا عدد الجيوش والفرق والالوية ــ هي التي تعطي الصورة الحقيقية لطبيعة القوتين المتجابهتين . وتحدد ميزان القوى المادية في الحرب التقليدية . ثم تأتي بعد ذلك اضافة العوامل المعنوية والعوامل الخاصة بالتدريب والمهارة التقنية واهلية القيادة ليتحدد ميزان القوى ــ كل القوى ــ بشكل قريب من الواقع ، وليتحدد بشكل مسبق الجهة التي يحتمل انتصارها ، ونسبة احتمالات هذا الانتصار في كل لحظة مع تبدل موازين القوى المحتمل خلال سير المعركة.

هـ ــ النسبة بين حجم القوات المقاتلة وحجم المؤخرات والقيادات الخلفية ففي هذا دليل على خفة الذيول الادارية او ثقلها ، وبالتالي خفة المناورة أو ثقلها ، كما أن فيه دليلا على تضخم أجهزة القيادة ، وما يسببه هذا التضخم من أساليب عمل بيروقراطية تعرقل اتخاذ القرارات ونقلها في اللحظات المناسبة .

و ــ وزن المؤونة والذخائر والمحروقات بالكيلوغرام لكل شخص يوميا . لان هذا الوزن يحدد مدى ارتباط القطعات بقواعدها الادارية ، ومدى اهمية ضرب المؤخرات ، وقطع طرق المواصلات بالنسبة لهذا الجيش أو ذاك ، ومدى قدرة القطعات على الصمود بعد التطويق أو بعد اصطدامها بسد استراتيجي خلفي .

لقد كان بوسع العميد الاحدب أن يصول في هذا المجال ويكشف الكثير من الحقائق ، ويحدد العديد من العيوب ، ويصل الى استنتاجات ودروس . ولكنه لم يعمد الى ذلك . وعزا الهزيمة الى مفاجأة وخدعة وضربة جوية وسوء اعداد . ولم يقدم للقارىء اية ارقام تدل على موازين القوى العامة سوى جدول في الصفحة الاخيرة بلا تعليق أو استنتاجات بالاضافة الى الملحق رقم ٢ ص ١٥٩ ــ ١٦١ الذي حدد فيه عدد القوات المشتركة في القتال . ولكنه لم يخلص من هذه الارقام بأية استنتاجات . ولم يلفت انتباهه حتى عدم التناسب بين القوى البرية المصرية العامة ٢٨٠ الف رجل ــ حسب جدوله ــ والقوات البرية المشتبكة في سيناء ٨٠ الف مقاتل ــ حسب الملحق المذكور ــ ولم يحدثنا أين ذهب ٢٠٠ الف مقاتل . أو أين ذهب على الاقل ١٦٠ الف رجل اذا كان ٤٠ الفا

موجودين في اليمن ، او عادوا منذ مدة قريبة ولم يستكملوا استعدادهم لخوض القتال . وعندما ذكر قوات الجمهورية العربية المتحدة في سيناء والقوات الاسرائيلية المجابهة لها في الملحق رقم ٢ ص ١٥٩ أورد القوات بالفرق والالوية دون أن يحدد هنا ميزان القوى الحقيقية المشتبكة . فمن المعروف أن الالوية والفرق المصرية كانت مشكلة على الطريقة الشرقية ، وأن الالوية الاسرائيلية مشكلة على الطريقة الغربية . ويختلف حجم اللواء المصري عن حجم اللواء الاسرائيلي ، كما يختلف عدد المدافع والدبابات ومدافع الهاون والمدافع عديمة التراجع والرشاشات الثقيلة ... الخ في كل قطعة حسب تشكيلها . ولقد كان على العميد الاحدب — وهو بحكم مركزه مطلع على تشكيل القطعات العربية والاسرائيلية آنذاك ولو بصورة تقريبية — أن يضع ميزان القوى ليكشف الى أية جهة كانت تميل كفة ميزان التفوق البري . وما هي نسبة هذا الميل ؟ وهل كان هناك تفوق بري اسرائيلي يكفي لتحقيق الخرق في سيناء حتى في حالة فشل الضربة الجوية ؟ وهل كان الخرق الاسرائيلي في العريش وأبو عجيله معجزة عسكرية ؟ وهل كان ميزان القوى مائلا لصالح جيش الجمهورية العربية المتحدة بشكل يسمح لقيادة سيناء العسكرية أن تنسخ خطة هجومية وأن الضربة الجوية هي التي اجهضت هذه الخطة ؟

لقد اتيحت الفرصة في هذا المجال للعميد أحدب ليرمي سهمه كعسكري محترف مؤهل ، وليكشف في هذا المجال الحقائق التي أراد ذكرها ، وليعطي كتابه وزنا تحليليا كبيرا ، وليعيد الى كل ذي حق حقه ، وليبين حجم الخطأ التكتيكي والعملياتي بالنسبة للخطأ الاستراتيجي ، وحجم الخطأ العسكري (في مجال الاستراتيجية والعمليات والتكتيك) بالنسبة للخطأ السياسي . ولكنه لم يفعل ذلك . ولا يمكن ارجاع ذلك الى الرغبة بالحفاظ على السرية ، خاصة بعد خمس سنوات من المعركة ، وبعد أن حصلت اسرائيل من الاسرى والوثائق والعتاد المادي المتروك في حقل المعركة على صورة كاملة عن تشكيل القطعات العربية التي كانت في سيناء .

وكان كتاب صابر أبو نضال أكثر دقة واتساعا في هذا المجال . اذ قام بتحليل عددي ودراسة نوعية للجيوش المتصارعة . وتطرق الى مسألة النفقات العسكرية وتناقضها مع برامج التنمية . وأكد أن « طريقنا الى النمو ملزمة بالمرور عبر الحرب » وقدم مثال الاتحاد السوفييتي والصين ليؤكد امكانية هذا النمو . ويمكننا أن نضيف الى مثاليه مثال شعوب أصغر هي : كوريا وفيتنام الشمالية وكوبا فلقد استطاعت هذه الشعوب رغم صغرها وفقرها وتخلفها الموروث من مئات سنين القهر والاستعمار ان تنمو وتقاتل وتصمد أمام أخطر التحديات بفضل جهودها الذاتية الخلاقة ، ودعم الدول الاشتراكية الكبرى المتقدمة التي قلبت ميزان القوى العالمية ، وحرمت الامبريالية من سيطرتها المطلقة في عصرنا « عصر الثورات الاشتراكية والتحررية الوطنية ، وعصر انهيار الامبريالية وتصفية النظام الاستعماري ، عصر انتقال مزيد من الشعوب الى طريق الاشتراكية ، عصر انتصار الاشتراكية والشيوعية على المستوى العالمي » .

ولقد استخدم صابر أبو نضال خلال الدراسة العددية والنوعية للقوات المسلحة عددا من الجداول . ووصل الى عدد من الاستنتاجات ، ورد على العديد من الاسئلة التي كان على كتاب « حرب الايام الستة » أن يرد عليها . وتحدث منطلقا من ايمانه بالجماهير وضرورة تسليحها . وحدد شروط هذا التسليح لشن حرب شعب في بلد نام بوجود تلاحم بين الشعب والحكام ووجود « حزب طليعي صادق بثوريته ، أو على الاقل بوجود ادراك وطني ثابت » . ولكنه لم يصل بالتحليل الى نهايته ، ولم يصل الى جميع الاستنتاجات المطلوبة . ولم يرد على كافة الاسئلة . وليس هناك سبب لهذا النقص باعتقادي سوى نقص الاعداد التقني للمؤلف . فهو مناضل ثوري يحمل حسا عسكريا سليما ، ولكنه لا يمتلك جميع جوانب القاعدة التقنية العلمية اللازمة لمثل هذا البحث الدقيق الذي يبتعد

ـــ في الاسلوب ـــ عن التكتيك والاستراتيجية والاستراتيجية العليا التي ينبغي على المناضلين الثوريين امتلاك نواصيها ، ولكنه يبقى مع ذلك قاعدة لها ووسيلة لتحليلها .

ويقدم صابر أبو نضال تحليلا للجدول رقم ٤ المذكور في ص ٣١ من كتابه ويتحدث عن النفقات العسكرية للجندي بالدولار . ويشير الى أن نفقات الجندي الاسرائيلي للتثقيف والتدريب تعادل ١٢٤ دولارا سنويا مقابل ٢١ دولارا للجندي المصري . ويعني هذا الامر أن الجيش الاسرائيلي يحاول تعويض النقص العددي (المحتوم) برفع المستوى النوعي التقني . ولكنه لا يصل هنا الى النتيجة المنطقية المنسجمة مع تسلسل افكاره السابقة ، بل يقع في نفس خطأ الرغبة بالتسابق التقني مع المعسكر المعادي . ولقد كان عليه هنا أن يؤكد أن هذا التفوق التقني لا أهمية له الا في حالة المجابهة التقليدية في مكان وزمان يختارهما العدو (الامبريالي الصهيوني) وبالاسلوب الذي يحدده ويلائمه . ولكن الاستراتيجية السليمة هي حرمانه من هذه الميزة التي تمتع بها في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ **ومجابهته في مكان وزمان نختارهما ، وباسلوب يقلل قيمة التفوق التقني الذي لا نملكه ويزيد قيمة التفوق العددي الذي نمتلكه ، والتفوق المعنوي الذي بوسعنا امتلاكه اذا** ما توفرت لنا عقيدة ثورية تعبىء الشعب للحرب الشعبية .

ولا يعني هذا تجاهل التقنية والاستخفاف بها . ولكنه يعني السعي الحثيث للوصول اليها ورفع مستوى القوات التقني الى أبعد حد ممكن ـــ بمساعدة الدول الاشتراكية المتقدمة ـــ مع معرفة حدود امكانات الشعوب المتخلفة في هذا السباق ، وحدود دعم الدول الصديقة خلاله . والاستفادة الى الحد الاقصى من التقنية التي يمكننا اكتسابها كعامل فعال لرفع مستوى حربنا الشعبية التي نختار زمانها ومكانها واسلوبها لنحرم العدو من المبادهة ، ونجرده من قسم كبير من تفوقه ، ونزيد حدة سلبياته ، ونقلل ايجابياته في الوقت الذي نرفع فيه مستوى ايجابياتنا ونخفف من حجم سلبياتنا .

ان العدو يعرف هذه القاعدة ويطبقها . فهو يقلل مدة المعركة ، ويجبرنا على المجابهة التقليدية القصيرة ، ويجرنا الى حقول المعارك التي يستطيع تفوقه فيها تقديم مردوده الاقصى ، فيقلل بذلك تأثير سلبياته ، ويستغل تأثيرات ايجابياته . ولا يكون الرد على ذلك بالسباق التقني [هذا لا يعني عدم التقدم التقني بأكبر سرعة ممكنة] . ولكن الرد كامن في استخدام الاسلوب الذي يطيل مدة المعركة ، ويزج فيها أكبر قسط من القوى المادية المسلحة بقوة معنوية متفوقة في زمان ومكان ملائمين .

ان نظرة واحدة على الجدول رقم ٥ الذي أورده المؤلف في الصفحة ٣٢ تساعدنا على اجراء مقارنتين هامتين هما :

المقارنة الاولى : الولايات المتحدة ونفقات الجندي السنوية فيها ٣٦٨ دولارا . والاتحاد السوفييتي ونفقات الجندي السنوية فيه ١٤٧ دولارا . فمن أين جاء هذا الفرق ؟ وهل هذا يعني أن الجندي الامريكي متفوق تقنيا على الجندي السوفييتي وأن أية مجابهة تقليدية بينهما ستكون لصالح الجندي الامريكي ؟ كلا . ولكن هذا يعني أن طبيعة الحياة الامريكية الاستهلاكية وما تحمله من تبديد وتبذير وانعدام الوعي الجماعي الاجتماعي ، وضعف الرقابة ، وتهالك الروابط بين الفرد والمؤسسة العسكرية تنعكس كلها على التدريب داخل الجيش بشكل يرفع المصروفات ، على حين أن طبيعة المجتمع السوفييتي المتقشفة ، ووعي الشعب وارتباطه بالنظام تمنع هذا التبديد وتقلل المصروفات . بالاضافة الى اعتماد الاتحاد السوفييتي على العامل المعنوي الايديولوجي لتعويض جزء كبير من النقص المادي (في حالة وجوده) .

المقارنة الثانية : الولايات المتحدة (٣٦٨ دولارا) وفيتنام الشمالية (٢٧ دولارا) . ان الفرق هنا يعادل ١٣ ضعفا ولكن هل أثر ذلك على نتائج المعارك التي تجابه فيها جنود

وطيارو فيتنام الشمالية مع جنود وطياري اغنى دول العالم ؟ ان نتائج المعارك البرية والجوية لا تؤكد ذلك . وهل كان على الفيتناميين الشماليين أن يتسابقوا تقنيا مع الولايات المتحدة ؟ وهل كان بوسعهم ذلك لو ارادوا وهم يصرفون ٢٥ ٪ من الانتاج القومي على القوات المسلحة في الوقت الذي لا يصرف فيه الامريكيون غير ٩،٨ من الانتاج القومي ؟ (جدول رقم ٥ ص ٣٢) .

لقد رد الفيتناميون الشماليون على التحدي الامريكي باختيار الطريقة الملائمة للصراع . فليست الاستراتيجية الصحيحة هي التي **تتسابق** مع العدو في المجال الذي **يختاره** ولكنها « **اختيار الوسائل المتوفرة على افضل شكل للوصول الى تحقيق الهدف** » . لهذا كان رد الفيتناميين عبارة عن توسيع القاعدة المسلحة لتشمل الشعب كله ، وربط الشعب بالكفاح ضد القصف البحري والجوي ، ودعم المعنويات بعقيدة راسخة ووطنية صادقة، وقيادة الشعب رغم الصعاب بقيادة واعية منبثقة من الشعب وتعمل **معه وله وبه** . بالاضافة الى السعي الحثيث لرفع المستوى التقني **ضمن حدود الامكانات المتوفرة الذاتية والخارجية** .

٣ ــ **الاستراتيجية العسكرية** : لعل اهم ما في دراسة صابر أبو نضال للخلفية الاجتماعية والاقتصادية هو انه انتقل بعدها من المبادىء والمعطيات الى التطبيق العملي على العلم العسكري . ودرس انعكاسات هذه الخلفية على الاستراتيجية عند الطرفين المتحاربين . وبين سبب تبني اسرائيل للحرب الصاعقة ، ونقل الحرب الى أرض العدو ، وتوجيه الضربة نحو مركز الثقل ... الخ في سبيل تحقيق اهداف السياسة الاسرائيلية الديناميكية ، كما بين الاسباب الكامنة وراء تبني الجيوش العربية لاستراتيجيات دفاعية سلبية ما هي في الواقع سوى صورة للاستراتيجية السياسية الدفاعية .

ولقد كان المؤلف خلال هذا البحث دقيقا واسع الافق ، اعتمد على مبادىء العلم العسكري العالمي ، واستشهد بكلاوزفيتز اكبر الكتاب العسكريين الاستراتيجيين التقليديين ، وبكتابات مجلة « الاستراتيجية » الفرنسية ، ووصل الى استنتاجات على غاية من الاهمية تتعلق بتشابه المجتمع الصهيوني الاسرائيلي مع المجتمع النازي والاستراتيجية التي تبناها هذا المجتمع « الاسبارطي » وسخرها لخدمة العدوان . ونادى بضرورة الرد على ذلك باستراتيجية عربية واضحة مبنية على « الوحدة العسكرية العربية ، واستعمال الامكانات العربية من اجل حرب طويلة الامد ، واخذ زمام المبادرة في المعارك (روح هجومية) » .

ولقد القى صابر أبو نضال وزر الخطأ كله على القيادة السياسية . واكد ان الموقف الدفاعي والروح الدفاعية كانتا نتاج العقلية السياسية الدفاعية التي تسعى لدرء الخطر بدلا من مجابهته . ومحاولة حل الامور سياسيا أمام خصم مصمم على القتال بكل عنف .

والحقيقة ان هناك جدلية وتأثيرا متبادلا في عمل السياسي والعسكري . فعلى حين **يعد** السياسي الظرف الملائم للعمل العسكري ، يقوم العسكري **بالعمل** ليقدم للسياسي **افضل** الظروف للوصول الى هدف سياسة الدولة ... ولا شك في أن عقلية « تشامبرلان » التي سيطرت على السياسة العربية والتي نجم عنها عقلية «خط ماجينو» العسكرية هي اسوأ وضع يمكن به مجابهة عدو مصمم على اللجوء الى القانون الاعلى وهو **الحل الحاسم بقوة السلاح** « وعندما يستخدم العدو هذا السبيل فاننا نجد انفسنا مضطرين للسير على منواله . وعلى الطرف الذي يود استخدام طريقة اخرى أن يتأكد من أن خصمه لن يستخدم الحل الحاسم بقوة السلاح ، والا خسرت قضيته أمام هذه المحكمة العليا » (كلاوزفيتز) .

لقد عانت اوروبا الغربية من عقلية « تشامبرلان » عندما حاولت هذه العقلية حل التناقض مع المجتمع النازي الديناميكي الراغب بالتوسع . ودفعت بلدان اوروبا الغربية وشعوبها ثمن هذه العقلية احتلالا ودمارا واذلالا . وانتقلت هذه العقلية الى السياسة العربية ، وشهدنا بداية آثارها المدمرة عند مجابهة المجتمع الصهيوني الديناميكي التوسعي العدواني منذ حرب ١٩٤٨ ، وفي فترة التحرشات الاسرائيلية على الحدود المصرية والسورية والاردنية في الفترة بين حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ ، وفي الفترة التي فصلت العدوان الثلاثي عن حرب ١٩٦٧ ، وفي حرب ١٩٦٧ نفسها ، ولا نزال نعيش هذه الآثار المدمرة حتى الان .

فمن أين جاءت هذه العقلية التي تشل القوة المسلحة العربية وتضعها دائما في معركة غير متكافئة وفي ظروف سيئة لا تحمل اي أمل بالنصر ؟ وهل حكم على العقل السياسي العربي أن يكون سلبيا **دائما** ، وأن يعكس سلبيته على العقل العسكري ، ويجعله عرضة **دائما** للمفاجأة ؟ ان شلل العقل السياسي العربي ناجم ولا شك عن أسباب متعددة تختلف باختلاف الفترات الزمنية وهي :

آ ــ الردع الامبريالي ، سواء أجاء هذا الردع من ارتباط هذا السياسي العربي أو ذاك بسياسة المعسكر الامبريالي ارتباطا مصيريا وعضويا ، أم جاء من الخضوع للغزو الفكري الامبريالي الذي يقنع هذا السياسي باستحالة مجابهة القوة الامبريالية التي لا تقهر ، أم نجم عن الرهبة أمام فكرة مجابهة عسكرية مباشرة مع الدول الامبريالية التي ضمنت أمن اسرائيل منذ عام ١٩٥٢ ، وتعهدت بأن لا تسمح للعرب بتغيير حدودها ، والتي كانت تملك من قبل قواعد وقوات على أرض العرب ، وهي تملك الان قوات قريبة من المنطقة العربية ، وأساطيل تجوب شرقي البحر الابيض المتوسط ، مهددة بالتدخل عند الضرورة لتنفيذ تعهداتها ازاء الدولة الاسرائيلية . وينعكس هذا الردع على شكل **واقعية** ابو رقيبة وحسين او على شكل محاولة للحفاظ على « **الوضع الراهن** » وعدم التحرش بالعدو أو الرد على تحرشاته بضربات انتقامية . الامر الذي يخلق لدى المواطن والجندي احساسا دائما بالعجز ، يترسخ مع الزمن ليصبح قناعة بتفوق العدو الاسرائيلي ، ويكون مدخلا نفسيا لقبول مصالحته . وأخطر ما في هذا الامر أن السياسي يرفض الاعتراف بأنه خاضع للردع ، ويلجأ الى خداع الجماهير ، ويظهر التناقض بين قوله وفعله ، وبين آمال الجماهير التي يغذيها وقدرته على تحقيق هذه الآمال وقلبها الى حقائق . الامر الذي يؤدي الى الانقلابات والانتفاضات التي يشنها **من لا يعلمون** ضد من **يعملون** . وما ان ينتقل من **لا يعلمون** الى صفوف **العالمين** حتى يتعرضوا للردع نفسه . الا اذا كانوا يمثلون **طبقة ثورية** مقررة على شن المعركة وعدم الخضوع **للردع** رغم التحديات ، اعتمادا على قوى الشعب الزاخرة الواعية .

ب ــ العجز في مجال رؤية حقيقة الصراع . لقد كان الصراع العربي ــ الاسرائيلي منذ بدايته صراعا بين العرب والامبريالية . وسواء اكانت هذه الامبريالية متمثلة في المنطقة بفرنسا وبريطانيا (حتى عام ١٩٥٦) أو متمثلة بالولايات المتحدة (حتى يومنا هذا) فقد جابه العرب عدوهم في حروبهم الثلاث وحيدين ، على حين كان عدوهم الاسرائيلي ــ الامبريالي مشتركا بالمعركة في معسكر واحد **متلاحم عضويا** . وكانت الخسارة في كل مرة ناجمة عن عدم تكافؤ القوى .

ولم يع الكثير من السياسيين حتى الان انه لم يعد في عصرنا « عصر الصراع بين نظامين اجتماعيين سياسيين متعارضين » أي مجال للحروب بين بلدين دون أن يكون لذلك انعكاس على الصراع الاكبر البارد بين العملاقين الكبيرين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اللذين أصبحا اليوم ثلاثة عمالقة بعد خلاف الصين الشعبية مع الاتحاد السوفييتي ، وبعد انضمامها الى « النادي الذري » . كما لم يع هؤلاء السياسيون أن

« الحروب المحدودة » [بكل معنى الكلمة] أمر اختفى في هذا العصر ، وان « الحـــروب المحدودة » الحالية جزء من « الحـــرب الباردة » الكبرى ، وأسلوب من أساليب صراع الكبار عن طريق شخص ثالث لمنع المجابهة الذرية .

وينعكس هذا العجز في مجال رؤية حقيقة الصراع بمحاولة حصره داخل اطاره الاقليمي، في الوقت الذي يحاول العدو نقله الى المجال العالمي . وينجم عن ذلك **مجابهة كل القوة بجزء من القوة** . وينتصر **الكل** على **الجزء** في كل مرة . وتتحمل القوات المسلحة العربية والشعب العربي نتائج هذا العمى السياسي الذي لم يعد له ما يبرره بعد ثلاث حروب. لقد كانت الحرب الكورية ، والحرب الهندية ــ الباكستانية والحرب الاهلية في اليونان (بعد الحرب العالمية الثانية) والحرب الاهلية في الكونغو مجابهة « محدودة » **ومحسوبة بدقة** بين الكبار ، وتحمل الحرب الفيتنامية الصفة نفسها . وسواء أردنا أم لم نرد فان الصراع العربي ــ الاسرائيلي جزء من صراع الدول النامية المتحررة التي تدعمها الدول الاشتراكية ضد الدول العنصرية المدعومة من قبـــل الامبريالية العالمية . ولكن القصور الذاتي السياسي ، ونقص الاعداد الايديولوجي ، والتردد في مجال الارتباط والتعاون مع الدول الاشتراكية (وهو تردد ناجم عن واقع طبقي ، أو أفكار مسبقة غرسها الاستعمار في نفوسنا منذ أمد طويل) يجعلنا ندخل المعركة مع **نصف** حليف ضد عدو يعمل مع حليف **كامل** .

جـ ــ عدم تناسب « هدف النزاع » لدى السياسيين العرب والسياسيين الاسرائيليين . ففي الوقت الـــذي يعمل فيه الاسرائيليون وكلهم ايمان بأن « هـــدف النزاع » يتمثـــل بوجودهم أو عدم وجودهـــم ، فان الساسة العرب الذين يرددون كـــل يوم بأن الخطر الاسرائيلي كبير يشمل الوطن العربي كله ، لم يكونوا مقتنعين بأن هذا الخطر يشملهم فعلا . أو أنهم اعتقدوا بأنه لن يشملهم في المدى القريب على الاقل اذا ما لزموا السكون. ولقد زال هذا الوهم جزئيا الان . ولكن الدبلوماسية الامبريالية تحاول تغذيته من جديد. ومن المعروف ان اختلاف أهمية « هدف النزاع » في أي صراع يجعل الطرف الـــذي لا يعتبر هذا الهدف « حيويا » يتردد أمام تصرفات الطرف الاخر الذي يرى في هذا الهدف « وجوده » . ويؤدي التردد دائما الى مفاجأة **المتردد** أمام حزم **المصمم** على السير الى اخر الشوط .

د ــ عدم تلاحم السياسيين مع جماهيرهم ، وعدم استعدادهم النفسي لرؤية دمار البلاد خلال القتال ، وعدم قناعتهم بالامكانيـــات الكامنة في الشعب وقدراتـــه على البناء بعد النصر . وايمانهم الاكيد بأن الشعب لا يثق بهم ولن يبقى سائـــرا وراءهم مهما كـــانت المشقات . وهذا ما يجعلهم يحجمون ويترددون ويقولون : « لا نريد أن تنقلب بلادنا الى فيتنام » ولا نريد دمار ما بناه شعبنا بدمه وعرقه . ولكـــن الامبريالية المسيطرة علـــى مقدرات ثرواتنا متمسكة بهذه الثروات ومصممة للقتـــال مباشرة أو عن طريق اسرائيل للحفاظ على مواقعها ومكاسبها . ولا يمكن أن تتخلى عن هذه المواقع والمكاسب بمحض ارادتها . ولا يطردها من المنطقة سوى القوة . وهـــذا يعني اننا مضطرون لمجابهتهـــا مجابهة مسلحة اليوم أو غدا . ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الصدام الى دمار جزء كبير من مدننا وقرانا ومصانعنا . ولكنه قدرنا التاريخي ، وضريبة لا بد لنا من أن ندفعها كما دفعتها الشعوب التي شاء القدر التاريخي أن تكون متخلفة ومستعمرة ، ثم هبت وجابهت قوى الامبريالية الجوية والبحرية والبرية في سبيل حريتها السياسية والاقتصادية . ان امامنا سبيلين فاما أن نثور ونكون فيتنام ، أو نخضع ونكون ايران ، وليس في عصرنـــا سبيل ثالث .

هـ ــ النظرة الاقليمية للامور ، وتقديم المصالح الاقليمية المحدودة على المصالح القومية،

الامر الذي يضخم صورة العدو بالمقارنة مع صورة القوة الاقليمية . مع أن صورة العدو تبدو هزيلة أمام صورة القوة العربية المجتمعة تحت **لواء الوحدة** .

لقد أشار كتاب « ٥ حزيران » الى هذا القصور السياسي وان لم يبحث اسبابه التاريخية والاجتماعية ، ولكنه حلل بشكل جيد انعكاسه على شكل قصور عسكري تجسد في هزيمة حرب ١٩٦٧ . فلنر الان ماذا يقول كتاب « حرب الايام الستة » عن هذه النقطة الجوهرية الحساسة . انه لم يتطرق الى بحث الاستراتيجيتين الاسرائيلية والعربية الا بشكل سريع . فلقد ذكر في ص ١٩ وبسطور محدودة غير تحليلية شيئا عن الاستراتيجية الاسرائيلية ، ثم عاد في الصفحة ١٣٩ وكرس سطورا معدودة لهذا الموضوع الهام . ثم توقف بشكل مفاجىء دون أن يربط الاستراتيجية العسكرية بالسياسة ، ودون أن يحدد انعكاسات احداهما على الاخرى . ثم وقع في خطأ اكبر عندما أخذ يبحث عوامل الاخطاء ، فتحدث عن جميع الاخطاء العسكرية من وجهة نظر تقنية بحتة — خطأ في التحركات ، خطأ في الحسابات ، اخفاء المعلومات عن القيادة السياسية ، خطأ في تقدير الموقف ... الخ — دون أن يربط ذلك بالخطأ الاساسي الذي جلب القيادات الضعيفة الى مواقع لا تستحقها ، ولم يحسن اعداد القوى العسكرية اللازمة لتنفيذ هدف السياسة ، وعمد الى استخدام قوة صغيرة لتحقيق هدف كبير ، او اختيار هدف كبير مع عدم وجود قوة كافية ... الخ وهو ولا شك خطأ في مجال السياسة والاستراتيجية العليا ، التي وضعت القوات المسلحة في موقع تصرفت فيه بشكل خاطىء . وهكذا كانت الاخطاء العسكرية عبارة عن نتائج . وليس من المعقول البحث في **النتائج** دون العودة الى **الاسباب** التي لم يتعرض المؤلف لها الا في اماكن متفرقة من الكتاب ، وخاصة في معرض الحديث عن الاخطاء التي ارتكبت على الجبهة السورية ص ١٣٢ .

ويتطرق كتاب « ٥ حزيران » الى القتال على الخطوط الداخلية والخطوط الخارجية . وهما شكلان من اشكال القتال يستخدم العدو الاسرائيلي اولهما في قتاله البري والجوي. على حين تستخدم القوات العربية الثاني . ولقد طرح المؤلف ولاول مرة في كتاب عربي القانون القديم الخاص بحساب القوى في حالة قوات تقاتل على خطوط داخلية واخرى خارجية . وهو أن قوة الجيش المقاتل على خطوط داخلية تعادل مربع افراده على حين تساوي قوة الجيوش المقاتلة على خطوط خارجية مجموع مربعات مركباتها لا مربع مجموع هذه المركبات . وهذا يعني ان القوة المقاتلة على خطوط داخلية تتمتع من البداية بميزة تفوقها على القوات المعادلة لها والمقاتلة على الخطوط الخارجية .

والحقيقة ان هذا المبدأ الحسابي المبسط لا يعطي صورة كاملة لمسألة القتال على الخطوط الداخلية والخارجية التي تتأثر بعوامل عديدة متداخلة سنتعرض لذكرها لان كتاب « ٥ حزيران » لم يشرحها بشكل واف ، كما لم يتعرض كتاب « حرب الايام الستة » لها الا بصورة عرضية تطبيقية شغلت حيزا يقل عن ربع الحيز الذي شغلته مسألة رصاصات الطائرة الاسرائيلية التي مزقت مقعد الملك حسين في قصره [!] رغم الاهمية البالغة التي تتمتع بها هذه المناورات في الصراع العربي — الاسرائيلي ، وفي حرب حزيران ١٩٦٧ أو أية حرب مقبلة بين العرب واسرائيل بصورة خاصة .

تحيط الارض العربية باسرائيل من ثلاث جهات . وهذا واقع جغرافي يفرض على العرب استخدام القتال على خطوط خارجية . كما يفرض على اسرائيل القتال على خطوط داخلية . ويحمل كل وضع من هذين الوضعين امكانات سلبية واخرى ايجابية ويتطلب اسلوبا معينا في اعداد المعركة وتنفيذها . ولا يمكن اعتبار احدهما نعمة والاخر نقمة . ولا بد من النظر اليهما بموضوعية ، والاستفادة من هذا الوضع او ذاك **بناء على حجم القوى المستخدمة من قبل الطرفين المتنازعين وفاعليتها وقدرتها على المناورة والخرق ، لا بناء على عدد الجبهات ووضعها** ، لان خطوط الحركة الاستراتيجية لا تملك قيمة ذاتية

مؤثرة اذا لم نر معها **مجموع** القوى المتحركة عليها ، ولان قانـــون « الزمان والمكـــان والقوى » لا يعطى **للحركة** معناها الفعلي الا بناء على **وزن** الجسم المتحرك .

وتقدم المناورة على الخطوط الداخلية للجيش الواقـــع في مركز الحركة الميزات التالية : وحدة قيادة القوى الضاربة ، تزايد القوة في حالة الاضطرار الى الانسحاب نحو الداخل، قصر خطوط مواصلات القوات المشتبكة ، تحقيق مبدأ حشد القوى عن طريق جمع كبد القوات في زمان ومكـــان معينين لضرب أحد الخصوم وتحقيـــق التفوق عليه بعد تثبيت الجبهات الاخرى ، والاتجاه بعد ذلك لضرب الجبهات الاخرى بصورة متعاقبة .

ويحتاج استخدام الخطوط الداخلية ضد عدة خصوم لجيش جيد التدريب ، قادر علـــى القيام بحركات سريعة ، وتحقيق صدمة قوية تكفل حسم المعركة مع الخصم الاول بسرعة للانتقال بعد ذلك الى بقية الخصوم ، بالاضافـــة الى أرض تسهل الحركة بين مختلـــف الجبهات . وتستند الى حدود ومواقع طبيعية قوية تساعـــد على الدفاع بأقل عدد من القوات ريثما يتسنى تحقيق الحشد ضد الخصم الاول . فاذا ما تحققت كل هذه الشروط كانت الخطوط الداخلية نعمة والا اثر ذلك تأثيرا سلبيا على سير الحرب .

وللمناورة على الخطوط الخارجية ميزاتهـــا ايضا وهي : القـــدرة على ضرب العدو من الجانب والخلف بأحد مراكز القوى عندما يكون مشغولا بالقتال ضد مركز آخر ، نقـــل المعركة والتدمير الى بلاد العدو ، الشعور المعنوي الذي يتمتع به المهاجم خاصة وأن التقدم يتم نحو العدو من كل جانب . وتفقد هذه المزايا أهميتها اذا انفرد الخصم بالقوى متفرقة ، وتمكن من ايقاف واحدة وضرب الاخرى . أو اذا كان التقدم غير متناسق لعدم وجود قيادة موحدة فعالة .

وتكمن اهمية هذا الشرح النظري في رؤية مدى **انطباق** العمليات الاسرائيلية في حـــرب حزيران ١٩٦٧ على الاسس المحددة . أي مـــدى فهم القيادة الاسرائيلية للواقع الذي فرض عليها ، ومدى استعدادها لتأمين متطلباته والافادة من ايجابياته وانقاص سلبياته الى الحد الاقصى (قوات آلية محمولة ـــ سرعة في الحركـــة ـــ الدفاع أمـــام الجبهة السورية والاردنية خـــلال ضرب القوة المصرية ، الاستنـــاد الى مستعمرات دفاعية ، تحقيق الحسم مـــع القوة الرئيسية بسرعة ... الخ) . كمـــا انها تكمن في رؤية مدى **عدم انطباق** العمليات العربية على الاسس المعروفة (عـــدم ضرب العدو عند انشغاله على الجبهة المصرية ، عدم وجود وحدة قيادة او تنسيق في العمليات البرية والجوية ، عدم وجود قوة مدرعة ومحمولة جوا قادرة على الخرق بسرعة قبل انتهاء الحسم) .

والاخطر من ذلك ، أن الوضع الجديد الذي ظهر بعد حرب حزيران ١٩٦٧ والذي زاد اتساع الارض المحتلة وباعد بين الجبهات (وهذه سلبيـــات بالنسبة لقوات العدو) قد منح هذه القوات عوامل ايجابية تتمثل في الاستناد الى حاجزين كبيرين هما قناة السويس ونهر الاردن بشكل يؤمن الدفاع بقوة محدودة لتحقيق الحشد عـــلى الجبهة السورية مثلا . بالاضافة الى أن اسرائيل تمكنت من اخراج الاردن من المعركة بأسلوب سياسي ـــ دبلوماسي ، وعززت قدرتها الحركية برفع كفاءة قواتها الجوية ، وزيادة حجم القوات المحمولة بالهليكوبتر والآليات .

فهل فعل العرب ما في وسعهم لتقليل سلبيات الوضع الجديد ، وزيادة ايجابياته ، (قيادة موحدة ، زيادة وحدات العبور ، رفع كفاءة القوات الضاربة الجويـــة والمدرعة) ؟ ان هذا ما ستثبته الحرب العربية ـــ الاسرائيلية الرابعة .

ويظن البعض أن الجيش المقاتل على الخطوط الداخلية يسعى دائما وقبل كل شيء الى ضرب أقوى خصومه ثم يلتفت الى الخصوم الاخرين . ولكن هذا أمر لا يتسم بالصحة ، اذ قد يلجأ هذا الجيش الى ضرب أقوى خصومه متبعا اسلوب « قصـــم الظهر » وذلك

عندما يكون **متاكدا** من قدرته على حسم المعركة معه بسرعة بفضل المفاجأة بتكتيك معين او سلاح معين او لاي سبب آخر . وعندها يصبح سقوط الخصوم الباقين امرا منتظرا وآليا (حرب ١٩٦٧) ولكن اذا احس هذا الجيش بأنه **عاجز** عن مفاجأة الخصم الاقوى وحسم المعركة معه **بسرعة** قبل تدخل الخصوم الآخرين لجأ الى الدفاع امام الجبهة الرئيسية ، وضرب الخصم الاضعف بأسلوب « ضرب البطن الرخو » ويحسم بذلك المعركة بسرعة على الجبهة الثانوية وتكون ضربته هذه ضربة مباشرة للخصم الاضعف مع انها ضربة « غير مباشرة » للخصم الاقوى يتبعها بضربة مباشرة لهذا الخصم ، أو يكتفي بحشد القوى أمامه ومساومته على ارض أو اسرى او اية مكاسب اخرى كسبها من حليفه ليفرض عليه شروطه السياسية دون أن يكون قد اشتبك معه (وهذا احتمال هام في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، واعتبار الجيش العربي السوري جزءا عضويا من جيش دولة الاتحاد لا مجرد حليف لجيش جمهورية مصر العربية) .

٤ ــ **سير المعركة البرية** : بالرغم من أن مؤلف « ٥ حزيران » مناضل مدني ، وبالرغم من ان مؤلف « حرب الايام الستة » كاتب عسكري محترف فقد جاء وصف الحركات العسكرية في الكتاب الاول اشمل وادق مما جاء في الكتاب الثاني . والادهى من ذلك أن العميد الاحدب لم يتضمن ــ على عكس كتاب صابر أبو نضال ــ شرح التشكيلات القتالية التي أخذتها الجيوش العربية قبل المعركة . واذا كان من المبرر أن لا يقدم صابر ابو نضال تحليلا لمهمات هذه القوات ، وملاءمة حجمها مع عرض الجبهات المكلفة بالدفاع عنها (اذا كان يرى أن الخطة دفاعية) أو الهجوم عليها (في حالة وجود خطة هجومية) ، ونسبة قوات النسق الثاني الى قوات النسق الاول ، وكفاية هذه النسبة للحصول على دفاع ديناميكي قادر على شن الهجمات المعاكسة على مستوى التكتيك والعمليات ، وميزان القوى العددي في المشاة والمدرعات والمدفعية والمدافع المضادة للدبابات ، وانتشار هذه المدافع على الجبهة وفي العمق وكفايتها أو عدم كفايتها لايقاف الهجمات المدرعة المحتملة ، وقدرة مدفعية الميدان وامكانياتها على عمل السدود الثابتة أو المتحركة ، ومفارز السدود المتحركة الهندسية ومواقع تمركزها ودورها مع القوات الاحتياطية المضادة للدبابات خلال المعركة (وهذا أمر على غاية الاهمية في حرب الصحراء) فان من غير المبرر أن يتجاهل العميد مؤلف « حرب الايام الستة » هذه النقاط التي تدخل في صلب اختصاصه العسكري ، ما دام لا يود التطرق الى اعماق المسائل السياسية . أما الخطة التي يقترحها والخاصة بالعمليات البرية ، والقائلة بعدم دفع القوات الى الحدود المصرية ــ الاسرائيلية و « تكليف هذه القوات بمسك المرتفعات التي تحيط بقناة السويس من الشرق ووضع دوريات آلية خفيفة للاستطلاع على الحدود الاسرائيلية العربية » (ص ١٤٩) فهي خطة عسكرية بحتة ، قد تكون صالحة لغرضية عسكرية ــ سياسية اخرى ولكنها تتجاهل الوضع الملموس في حزيران ١٩٦٧ ، وتتجاهل الهدف السياسي الاستراتيجي (الخنق الاستراتيجي واغلاق مضيق تيران) اذ كيف تستطيع القوات المنتشرة على القناة اغلاق المضيق ومنع الملاحة في خليج العقبة الا اذا كان هذا المنع سيتم بحرا ؟ وهل كانت هناك خطة للخنق البحري ؟ ان خطط العمليات لا تنفصل عن الخطة العامة ولا تخدم الا هدفا واحدا هو الهدف السياسي .

ولقد تجاهل الكتابان ــ بنسبة متفاوتة ــ قطاع غزة الذي كان يشكل بروزا عميقا في الجبهة العربية ــ الاسرائيلية والاحتمالات التي كان من الممكن أن يقدمها هذا القطاع في حالة الاستفادة منه كمنطلق للهجوم نحو اسرائيل . والدور الذي كان على الجيش الفلسطيني المتمركز في داخله أن يلعبه في حالة الدفاع ، ومدى اعداد القطاع ليلعب دور (طبرق) في حالة انسحاب الجيش المصري بشكل جزئي .

وبالرغم من الجهد الواضح في شرح المعارك البرية فقد نقل مؤلف كتاب « ٥ حزيران »

بعض الاخطاء التي شاعت في فترة ما بعد الحرب . ومنها :

ا) ــ «ومنذ بدء الاشتباكات كان بوسع المصريين اشراك المدرعات في المعركة وفوق ارض العدو ، وبالتالي تحاشي التدمير الكامل . وعندما يقترب الجيشان عند الاشتباك يجد طيران العدو صعوبة في التدخل ، فيبطل دعمه » (الصفحة ٨٢) . وقد يصح هذا القول بالنسبة للمشاة التي يتعذر على الطيران دعمها عندما تشتبك مع مشاة العدو . كما انه كان يصح بالنسبة لأساليب « **الدعم المباشر** » الذي كانت تمارسه الطائرات قبل حرب كوريا (١٩٥٠ ــ ١٩٥٣) ولكن القوات الامريكية ابتدعت في نهاية الحرب الكورية اسلوبا حديثا « **للدعم القريب** » قادرا على تقديم الدعم للقوات المتلاحمة مع العدو . وزاد من اهمية هذا الاسلوب وفاعليته زيادة كفاءة الاتصالات بين القوات البرية والجوية . وبالاضافة الى ذلك فان من المعروف ان الطائرات الاسرائيلية كانت تنقض على الدبابات العربية في سيناء وتقصفها بالصواريخ من مسافة قريبة جدا وبدقة متناهية . ومهما يكن من امر ، وحتى لو صح هذا القول فانه يصح بالنسبة للانساق الاولى ، أما الانساق الثانية فيمكن ضربها لبعدها عن خط الاشتباك ، كما يمكن تدمير الانساق الاولى عن طريق تدمير قوافل مواصلاتها وتموينها ، او عن طريق قطع التماس معها والانسحاب امامها وجذبها الى حيث يمكن ضربها من الجو .

ب) ــ « أضف الى ذلك ، انه لو تم تدمير عدد كبير من المدرعات المعادية لتمكنت بقية الجبهات العربية من شن هجومها » (الصفحة ٨٢) . ولكن عن أي هجوم يتحدث الكاتب ؟ وهل كانت الجبهات العربية تنوي الهجوم ؟ ان تحليله لا يشير الى ذلك بل يناقضه .

ج) ــ « ان هذا المخطط يبرهن على وجود تطور حقيقي في التكتيك الصهيوني : لبناء مجموعات تكتيكية تتوافق مع كل مهمة ، وتعم فيها الآلة ، متمرسة بالمناورات السريعة بمؤازرة الطيران . ولن نصبح أبدا يوما من الايام قادرين على الحاق الهزيمة بالعدو ، ما لم نطبق نفس هذا المبدأ وبأساليب اقوى » (الصفحة ٩١) . ولكن « المجموعات التكتيكية التي تعم فيها الآلة ... الخ » أمر معروف منذ الحرب العالمية الثانية . وليست تكتيكا صهيونيا كما يقول المؤلف . ولقد عمد الغربيون الى استخدام هذا الاسلوب لخلق «مجموعات مؤقتة» تضم قوات مختلف الصنوف التي تؤخذ من قطعات المشاة والمدرعات والمدفعية والمهندسين بحجوم متباينة ونسب تختلف باختلاف المهمة ، وتقاتل حتى تحقيق المهمة المحددة ، ثم يعود كل صنف الى قطعاته الاصلية . وتستخدم الجيوش العربية ذات العقيدة الشرقية ، والعاملة وفق نظام الاولوية بهذا الشكل منذ بداية الستينات . فاللواء السوري مثلا : وحدة من مختلف الصنوف (مشاة ، مدرعات ، مدفعية ، مهندسين ... الخ) وهو يمتاز عن المجموعة القتالية بأن مختلف الصنوف موجودة فيه بصورة عضوية بشكل يؤمن التفاهم والتلاؤم خلال التدريب والقتال .

د) ــ يذكر المؤلف أن القوات الاسرائيلية التفت حول تحصينات الجولان عبر الاراضي اللبنانية والاراضي الاردنية (الصفحتان ١١١ و ١١٣ والمخطط في الصفحة ١٠٨) ولكن هذه الحركة لم تتم اطلاقا . وليس هناك وثيقة واحدة تثبت وقوعها . وان كانت قد خططت من قبل فان خرق الجبهة السورية جعلها غير ضرورية . كما ان اتجاه الخرق المذكور على المخطط (ص ١٠٨) والذي يجتاز الاراضي الاردنية يمر عبر منطقة وعرة ، ويجتاز وادي اليرموك السحيق [!]

٥ ــ **العمليات الجوية** : عرفت القوات الجوية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها تطورا كبيرا . وبدأ الكثيرون يفكرون بانها لم تعد سلاح دعم للقوات البرية بل غدت سلاحا مستقلا قادرا على تنفيذ مهماته الاستراتيجية بكل فاعلية . وعاد المنظرون

العسكريون الى دراسة نظرية الجنرال الايطالي دوهي التي أكدت السيطرة الجوية . وقدرة الطيران وحده على حسم المعركة ، والتي كانت قد اختفت منذ الحرب العالمية الثانية .

ومن المؤكد ان الطيران لم يثبت في الحرب العالمية الثانية والحروب التي تلتها (الحرب الكورية ، والحرب الفيتنامية ، والحرب الجزائرية ، وحرب السويس ١٩٥٦) قدرته على الحسم الكامل .

وبالرغم من تطور السلاح الجوي في الستينات ، وظهور طائرات سريعة بعيدة المدى تحمل كميات كبيرة من القذائف والصواريخ فقد بقيت الجيوش كلها تعتبره قوة اساسية ولكنها غير كافية للحسم . حتى جاءت حرب حزيران ١٩٦٧ فكانت أول تطبيق ناجح تماما لنظرية دوهي . وكان من أسباب هذا النجاح الامور التالية :

١ ــ استخدام الطيران بكثافة وبكل قوة منذ الضربة المفاجأة الاولى دون ترك طيران لحماية المطارات . ولم يكن بوسع الاسرائيليين اللجوء الى هذا التدبير لولا تأكدهم من بطء رد فعل الطيران العربي (في مصر وسوريا والاردن والعراق) واطمئنانهم لوجود ٥٨ قاعدة جوية في اسرائيل منها عدد من القواعد واراضي الهبوط السرية ، ووجود طيران الاسطول السابع (٢٠٠ طائرة) كمظلة احتياطية عند اللزوم .

٢ ــ الافادة من المعلومات الدقيقة الى ابعد مدى .

٣ ــ الافادة من اخطاء حرب ١٩٥٦ ، وعدم اجراء القصف من ارتفاعات عالية . فلقد استخدمت قوات العدوان الثلاثي طائرات « فاليانت » و « كامبيرا » في قصف مطارات القاهرة في ليل ٣١ تشرين الاول ــ ١ تشرين الثاني ١٩٥٦ من ارتفاع ١٤ الف متر . ثم كررت القصف في يوم ١ تشرين الثاني وليلة ١ ــ ٢ ونهار ٢ فتأكد لها عدم فاعلية القصف الليلي والقصف من ارتفاعات عالية . وارتفاع فاعلية الهجمات النهارية بالقاذفات المطاردة . لهذا استخدمت اسرائيل طيرانها في عام ١٩٦٧ نهارا لقصف المطارات والمدارج من ارتفاعات منخفضة ، مع استخدام قنابل واجهزة فنية حديثة زادت فاعلية القصف .

٤ ــ الافادة من تجربة الحرب الكورية لضرب الطائرات وهي جاثمة في المطارات نظرا لانها ارخص الاساليب واسهلها واكثرها فاعلية في تدمير سلاح الطيران المعادي . ونظرا لان تدمير الطائرات خلال القتال الجوي محدود جدا . وتقول الاحصائيات الأمريكية ان القوات الجوية الامريكية خسرت خلال سنتين من الحرب الكورية (وهي أحدث حرب تقليدية بعد الحرب العالمية الثانية) ٥٥٩ طائرة ، سقط منها ٦٩ طائرة فقط خلال الاشتباكات الجوية مقابل ٤٣٤ طائرة اسقطتها المدفعية المضادة و ٥٦ طائرة سقطت لاسباب اخرى . لهذا ركزت اسرائيل خطتها على ضرب الطائرات في المطارات .

٥ ــ استخدام الطائرات في عملية « قصف القوى » لا في عملية « قصف المدن » او « قصف الاهداف الاستراتيجية » كطرق المواصلات والجسور والمصانع ... الخ .

فلقد كان الراي السائد خلال الحرب العالمية الثانية ان القصف الاستراتيجي وقصف المدن قادر على شل العدو وتحطيم معنوياته وقواه المادية . ولكن فشل قصف المدن الالمانية ، والمدن الكورية ، والمدن الفيتنامية في اخضاع الشعوب المقاتلة ، وفشل القصف الاستراتيجي الذي قام به الامريكيون في المانيا وكوريا وفيتنام الشمالية قلب المفاهيم السابقة ، وجعل الطيران يحدد لنفسه مهمة اولى هي تدمير القوى . ولقد لجأ الاسرائيليون لهذا الاسلوب فدمروا القوة الجوية والمدفعية المضادة والمطارات والقوات المدرعة وقوات المشاة حسب تسلسل الافضليات ، فوضعوا القوة المسلحة خارج

القتال ، وجردوا العرب من درعهم المسلح ، وحققوا هدف الحرب وهو « نزع سلاح الخصم » (كلاوزفيتز) . واعتقدوا بأنه لم يبق عليهم سوى اقتطاف ثمرة النصر .

٦ ـ التدريب المتواصل الدؤوب .

٧ ـ الافادة من تطبيق نظرية دوهي على افضل أرض لتطبيق هذه النظرية (الصحراء) وفي افضل ظروف الرؤيا (الصيف) .

٦ ـ **اغلاق مضيق تيران** : لم نتطرق لهذا الموضوع الهام في هـذه الدراسة ، لاننـا سنفرد له ولموضوعة « الخنق الاستراتيجي » دراسة خاصة لاحقة .

هذه مقارنة لاهم الافكار الواردة في كتابين عربيين ظهرا حول حرب حزيران ١٩٦٧ . ولا تعتبر هذه المقارنة دراسة كاملة للكتابين وتحليلا أو نقدا لكل ما جاء فيهما من افكار . ولا اعتقد أن ما جاء في هذين الكتابين من نواقص يفقدهما قيمتهما كمحاولتين عربيتين لاستخلاص الدروس والعبر وسط جو القهر الفكري الذي ما زال سائدا. ولكن حبذا لو حللت فيهما ارقام الخسائر العربية. وحبذا لو درست مدة مقاومة القطعات الكبرى (الفرق والالوية) على جميع الجبهات وتطبيق قوانين خسائر الطرفين وحجم القطعات المشتبكة ومدة الاشتباك قبل استخلاص دروس حقيقية حول عنف القتال البري . وحبذا لو كان فيهما مزيد من الحقائق المجهولة . وحبذا لو قلل مؤلف كتاب « حـرب الايـام الستة » من تعابير مثل « يقال » (ص ١٨) ، و « قيل » (ص ٢٨) ، و « زعم » (ص ٢٨)، و « احتمالا » (ص ٤٤) ، و « لعل » (ص ١٤٠) ... الخ خاصـة وانه قد وضع على غلاف كتابه عنوانا صغيرا هو **حقائق وعبر** .

ابراهيم العابـد

مدخل الى الاستراتيجية الاسرائيلية

منشورات مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. (بيروت)

١١٥ صفحة ٢ ل. ل.

السينما والقضية الفلسطينية

ندوة
ادارها وحررها : هاني حوراني

عقدت الندوة في جلستين منفصلتين .

اشترك في الجلسة الاولى :

وليد شميط ، ناقد وصحافي سينمائي ، مساعد مخرج ومدير انتاج .
قاسم حول ، اخرج فيلمين فلسطينيين ومثل في فيلم ثالث .
مصطفى ابو علي ، اخرج فيلمين فلسطينيين ويخرج حاليا فيلما ثالثا .
ابراهيم زاير ، مساعد مخرج ، رسام وناقد ومحرر ثقافي .

اشترك في الجلسة الثانية :

كريستيان غازي ، اخرج ثلاثة افلام فلسطينية .
قيس الزبيدي ، اخرج فيلمين ويخرج حاليا فيلمين ، واسهم في كتابة وتصوير ومونتاج عدة افلام.
فيصل الياسري ، مخرج سينمائي وتلفزيوني ومسرحي ، وصحافي وناقد ومؤلف سينمائي .
عمر اميرالاي ، مخرج انتج فيلما وثائقيا وينتج حاليا فيلما وثائقيا آخر .

(١) الجلسة الاولى : نحو سينما فلسطينية

نرغب في بداية هذه الندوة ان نتطرق الى مسألة « السينما الفلسطينية » ، هل يمكن لنا ان نقول ان هناك سينما فلسطينية في الوقت الراهن . واذا لم يكن هناك ، ما هي طبيعة الافلام التي انتجت حاليا حول القضية ، وهل يمكن اعتبارها مدخلا لسينما فلسطينية .

وليد شميط : السينما الفلسطينية لم توجد حتى الان فعلا وعلى نطاق ملموس ، والمطلوب ان نوجد هذه السينما الفلسطينية . ومن باب اولي ان نطرح لماذا ينبغي خلق هذه السينما وما هي هيئتها العامة ؟ ومن وجهة نظري الشخصية ، لا يمكن الحديث عن سينما فلسطينية بدون الحديث عن السينما السياسية . والتي اراها مندرجة تحت اربعة اقسام أساسية . اولها سينما الموقف الاجتماعي ، والتي تطرح من وجهة سياسية ، وثانيا السينما التي تأخذ موضوعا سياسيا وتتحدث عنه ، والشكل الثالث للسينما السياسية هو الفيلم النضالي ، الذي من غاياته المشاركة في الثورة والتحريض والتعرية . اما الشكل الرابع فهو الفيلم الثوري ، الذي هو ثوري شكلا ومضمونا . من هذه الاشكال الاربعة نريد ان نتعرف على الشكل المناسب للسينما الفلسطينية ،

وانا ارى ان اول ما ينبغي البدء به هو الفيلم النضالي ، الذي يعتمد اساسا على الشكل التسجيلي . فاذا ما حدث تحرك نضالي تقوم السينما بتسجيله والتعريف به والاعلام عنه كخطوة اولى لسينما فلسطينية على طريق الولادة في المستقبل . فالهدف الان هو خلق سينما فلسطينية ليست موجودة عمليا وواقعيا ، ان تحقيق هذا الهدف يتطلب البدء بما اسميته السينما النضالية التي لها شروطها ، ومنها ان يكون العاملون فيها ذوي خلفية ايديولوجية تمكنهم من تسجيل انشطة الثورة وفعالياتها، وحتى بأن يمارسوا مواقف نقدية لجوانبها المتعددة ، بالاضافة الى لعب دور دعائي واعلامي ازاءها . ويقول جودار بهذا الصدد : اذا كان الثوار هم صانعو الثورة ، فهم ايضا من يصنعون الاشرطة السينمائية ويتحدثون عن الثورة بواسطة الكاميرا ، التي يرى فيها سلاحا يوازي البندقية . بالاضافة الى ما مر ، تعتمد السينما النضالية على تكوينات وتجمعات صغيرة من السينمائيين وتتوجه الى جمهور شعبي ، وجمهور من المناضلين انفسهم .

قاسم حول : اريد ان اعود الى السؤال الذي طرح ، ما هي السينما الفلسطينية . حتى الان لا يوجد ما يمكن ان نسميه سينما فلسطينية ، كل ما هناك ملامح عامة وبضعة اعمال سينمائية متناثرة لا تملك الديمومة ولا تملك المميزات الخاصة . هناك نوعان من الافلام التي انتجت حول القضية ، الاول انتجته الدول العربية الرسمية عن القضية . وهذه هل يمكن اعتبارها افلاما فلسطينية ؟ من وجهة نظري لا اعتقد ذلك ، لا سيما وانها تنتج ضمن مؤسسات انظمة برجوازية ، والتي اذا ارادت ان تتناول القضية ، فهي تتناولها من وجهة نظر مجاملة وخجلة او كتغطية لقصورها في دعم القضية بالشكل الكافي . فالسينما الفلسطينية كما اراها ينبغي ان تنطلق من ارضية الثورة الفلسطينية نفسها ، من منطلق تسجيلي . لهذا من الصعب ان نستفيد من تجارب الشعوب الاخرى والاقطار المتخلفة ، لانها غالبا لها تشكيلات من الانظمة — مهما كانت — ولديها استديوهات وامكانات فنية بالاضافة الى ما لديها من مؤسسات رسمية . ان غالبية الشعب الفلسطيني خارج ارضه ويقاتل عبر مناطق متناثرة. لذلك ارى ان تبدأ السينما الفلسطينية من الشباب الفلسطينيين السينمائيين، ومن اولئك الذين يؤمنون بالثورة الفلسطينية حقا وفعلا ويناضلون داخلها عبر تجمع سينمائي ينطلق من سينما تسجيلية .

ابراهيم زاير : ارى ان طرح موضوع خلق سينما فلسطينية تحمل ملامح وطنية كالسينما الجزائرية او السينما الفرنسية مثلا هو طرح خاطىء . ان القضية الفلسطينية ليست محددة في نطاق موضوع وطني معين ، بل هي تبحث من خلال الثورة المسلحة ، ومن خلال قضية شعب مارس الكفاح المسلح لتحقيق وجوده وللرد على التحدي الاسرائيلي بشريا وحضاريا ، لهذا فان السينما ينبغي ان تأخذ هذه المسائل باعتبارها وتلك التي ترتبت عليها من نزوح جماهير الشعب الفلسطيني الى اقطار عربية اخرى ، وعلاقته بالشعوب العربية نفسها وعلاقة قطاعات هذا الشعب بالقطاعات المماثلة في المجتمعات العربية الاخرى (علاقة البرجوازية الفلسطينية بالبرجوازية العربية، علاقة البروليتاريا الفلسطينية بالبروليتاريا العربية) ، وذلك اذا صح ان نتوصل الى مثل هذا التقسيم . والسينما يجب ان تنطلق من واقع الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني وواقع النضال الفلسطيني . فلا يمكن ان نفصل واقع نضال عمال فلسطين عن واقع العمال العرب ، ولا يمكن الفصل بين الفكر السياسي في الثورة الفلسطينية والفكر السياسي السائد في المنطقة العربية والممثل في الاحزاب والتجمعات السياسية العربية .

وهناك مسألة اخرى هي نظرتنا للكفاح المسلح كحل لهذا التحدي وللعدوان الامبريالي ضد شعب فلسطين ، وضد شعوب وحركات التحرر الوطني . كيف ننظر لاثر الكفاح المسلح على الشعب الفلسطيني وعلى الشعب العربي ، واثره على التطورات السياسية وغيرها مما يكون الحركة الجدلية للواقع الموجود . هذه المسائل هي ما ينبغي ان تعنى بها السينما الفلسطينية ، والسينما العربية الثورية عبر تجمعات سينمائية ، تعمل عبر طاقم يصور الافلام ويعمل مونتاجها ويقوم بكافة المسائل التكنيكية . والمهم ان يعتمد على الواقع وحركة الواقع اساسا ، وان ينتقد الواقع ويكشفه ، ويظهر النواحي السلبية فيه ، ويوضح الامكانات الايجابية المنتظرة منه في تطوير النضال ووسائله ، ويرصد حركة المجتمع في المخيمات ،

او في القواعد العسكريـــة او في مستوى حركة العمال الفلسطينيين والعمال العرب ، وفي توضيح العلاقـــة الايديولوجيـــة المترابطـــة بين الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربي .

تبقى مسألة اخرى هي البحث عن امكانيات العمل التكنيكية والفنية . ومـــن المنتظر ان تواجهنـــا صعوبات منها عدم توفر امكانات تكنيكية تساند العمل الجماهي الذي يمكن ان تقوم به الطواقم السينمائية الشـابة ، وبنفس الوقت ينبغي ان نبحث في ان امكانيات العمل التقنية تستغرق الكثير من الاموال والجهد . وهي حسابات صناعة السينما التي يجب ان نأخذها باعتبارنا ولها مصاعب ينبغي تذليلها ، ويجب على هذه التجمعات ، مهمـــا اختلفت داخلها الاراء ان تتفق وتتضامن لتذليل هذه المصاعب .

مصطفى ابو علي : ردد الزميلان قاسم ووليد ان السينما الفلسطينية غير موجودة . انا لا اتفق معهما في ذلك . لانها موجودة فعلا . واذكر العديد من الافلام منها « النهر البارد » و« بالروح والدم » وفيلم جودار الذي هو في نطاق التنفيذ . وهناك افلام كثيرة اخرى . اي ان السينما الفلسطينية موجودة لكن ربما لا تكون معروفة بعد . وهناك فرق بين ان تكون غير موجودة ، وموجودة لكنها غير معروفة . هذه تثير نقطة اخرى طرحها الاخ قاسم. هل السينمـــا الفلسطينيـــة هي التي يصنعهـــا فلسطينيون بالضرورة ، ام هي السينما الملتزمة بالقضية الفلسطينية، ورايي ان السينما الفلسطينية هي تلك التي تلتزم بالقضية الفلسطينية ، وليست تلك التي يصنعها فلسطيني المولد . المسألة هي انتماء ايديولوجـــي ، وليست انتماء وطنيـــا او بالجنسية .

قاسم هول : ارغب في توضيح نقطة . انا لم اقل انها غير موجودة اطلاقا . اوضحت انها موجودة في بدايتها . ولكن من خلال انتاج الكثير من الافلام الفلسطينية ، لا بد ان تتوضح بالضرورة ملامح هـــذه السينما . بعـــض الاعمال السينمائيـــة الفلسطينية التي انتجت والتي اشرت اليها لم تتناول بعد جوانب القضية الفلسطينية المختلفة . فمثلا لا توجد افلام يمكن ان نقول انها تمثل الكفاح المسلـــح ومشروعيـــة الكفاح المسلـــح للشعب الفلسطيني ، هناك الجوانب الطبقية ، والانسانية، والتاريخية لم تتناولها الافلام الفلسطينية . هناك بداية للسينما الفلسطينية ، لكن حتى الان غير واضحة الملامح وقد اوردت ان السينما الفلسطينية لا تمثلها الافلام التي انتجت في نطـــاق الانظمة العربية، وانما يمثلها الشباب الملتزمون ايديولوجيا بالقضية الفلسطينية .

ارى ان هناك اقتناعا بان السينما الفلسطينية غير موجودة بعد وانما هناك بدايات . لكن القناعة واردة بضرورة وجود سينما فلسطينية . هل يمكننا ان نحدد الاهداف المرجوة من السينما الفلسطينية؟

وليد شميط : ارى شخصيا ان هناك ثلاثة جوانب يجب ان يتوجه لها السينمائيون في تناولهم للقضية الفلسطينية ، في الجانب الاول مخاطبة الفلسطينيين انفسهم ، وثانيا مخاطبة العرب عموما ، وثالثا مخاطبة العالم سينمائيا . وبالنسبة للتوجه الاول ، الفلسطينيون هم الاقدر على طرح مشكلتهم ، وهذا واقع لا تمليه العواطف . من الممكن ان يطرح اي سينمائي فلسطيني القضيـــة بشكل افضل مـــن « جودار » مثلا ، و« جودار » يقول نفس الشيء . ان يحكي السينمائي الفلسطيني عن قضيته ، يعني ان يواجه كل التحديات التي تواجهها قضيته . اما من ناحية ثانيـــة ، فان مخاطبـــة السينمـــا الفلسطينية للعرب تعني انه مطالب بتعرية المواقف الرسمية لعدد كبير من الانظمة العربية ، والتي تضمنت تنازلات قدمتها على صعيد القضية ، وثانيا تهيىء الجماهير العربية بطريقة علمية ومدروسة لفهم الواقع الفلسطيني ضمن الواقع العربي ، وعلاقة القضية الفلسطينيـــة بالانسان العربـــي وبالعالم العربي والشعب العربي ككل . كذلك تناقضات الساحة العربية والتي تؤثر على القضية بشكل مباشر او غير مباشر . وبصدد التوجه نحو العالم ، فانها بنظري من اصعب المهمات. فمخاطبة العالم تتطلب لغة غير التي تستعمل على المستوى الفلسطيني والعربي ، اذ يسعى السينمائي الى تحقيق عدد من الاهداف ، اولها اقناع العالم ان الثورة الفلسطينية هي من ضمن ثورات التحرر العالمية ، واقناع العالم بحق الشعب الفلسطيني بأرضه ، وثانيا ايصال كلمة الشعب الفلسطيني الى هذا العالم . وطبيعة هذه الاهداف الثلاثة تتطلب تحديد كيفية تحقيقها بشكل مدروس ، وكيف يمكن ان تصل السينما الفلسطينية الى تحقيق هذه الاهداف . واريد أن أستطرد وأقول ان السينما لا تصنع ثورة . وينبغي ان لا نحملها اكثر ممـــا

تحتمل . السينما نستعملها كوسيلة تعليمية وتحريضية وكوسيلة نضح وكوسيلة ترفيه وفن . فالثورة ايضا بحاجة الى سينما الترفيه والى سينما الفن .

ابراهيم زاير : ذكرنا الاخ وليد بكلمة مشهورة للينين وخطيرة جدا. ففي سنة ١٩١٧ كانت السينما في العالم في اول خطواتها . قال لينين : ان السينما من بين كل الفنون ، هي الاهم ، فالسينما فعلا اهم وسيلة يمكن ان يستخدمها الانسان للتأثير على الاخرين ، بالاضافة الى الوسائل الاخرى مثل الاحزاب والتنظيمات والفرق العسكرية، ولكن السينما كفن وكصناعة وكأسلوب جديد يفتح آفاقا جديدة ويؤثر بطبيعته على الجماهير ، فاستخدام السينما في الثورة هي مسألة مساعدة ، فهي لا تخلق الثورة من فراغ ، لكن السينما تضبط خطواتها مع خطوات الثورة. كما تعكس للجماهير، سواء كانت جماهيرها ، او للرأي العام سواء كان متعاطفا معها ام لا ، تعكس عددا من المسائل من الضروري توضيحها وكشفها واضافة شيء جديد اليها ، او هناك ضرورة لربط علاقة بين الثورة التي تتحدث عنها السينما وبين الجماهير الاخرى التي تتعاطف أو لا تتعاطف معها . لذلك ارى هناك توجهين : توجه للخارج ، للجماهير عامة ولاولئك البعيدين والذين لم يحددوا لهم موقفا ابدا . وهناك توجه للفلسطينيين وللعرب . على ضوء هذين التوجهين يجب ان تعمل السينما المنشودة ، ولا اسميها السينما الفلسطينية فقط . فهناك العديد من الافلام التي انتجت في اقطار عربية او افلام اخرى انتجت على ايدي اصدقاء للثورة الفلسطينية في اليابان والمانيا وايطاليا ، عن القضية الفلسطينية وعن فلسطين ، وعن كل ما يتصل بالصراع العربي — الاسرائيلي وهي معروضة على صعيد العالم . فهل يمكن ان نعتبر هذه الافلام سينما فلسطينية ؟ انها تتعلق بالقضية الفلسطينية وبالثورة الفلسطينية وما نتج عن عدوان ١٩٦٧ . هناك افلام اجنبية منتجة من القضية الفلسطينية ، ومنطلق هذه الافلام هو ايديولوجي ، لذلك نرى ان الافلام المنتجة في الدول الاشتراكية وعلى ايدي اصدقاء يساريين في اوروبا، ذات منحى ايديولوجي يساري ومعادية للامبريالية والصهيونية ، وتعبر عن دعمها وتضامنها مع المقاومة ومع الشعب الفلسطيني . وهناك افلام اخرى تنظر للقضية من ناحية انسانية : « شعب مشرد ، يعيش في الخيام ، وهناك بؤس يقع على الشعب الفلسطيني .. الخ » . ورغم الطابع الانساني لهذه الافلام فانها تتضمن اتجاهات خبيثة تؤمن الى هذا الحد او ذاك بالذعاية الاسرائيلية والاستعمارية في كثير من المسائل ، وفي مسيرة تطور القضية الفلسطينية التاريخية . لقد اردت ان ادلل على اهمية السينما وعلى الشكل واللغة التي يمكن ان تعبر عن قضية ما بصورة من الصور. فكما قال الاخ وليد ، انه لا يمكن ان يتحدث عن قضية الفلسطينيين افضل من الفلسطينيين ، فهو عموما صحيح، ولكن ليس معنى هذا ان الفلسطينيين هم وحدهم المطالبون بعرض القضية والدفاع عنها. ان الضرورات تتطلب من كل الملتزمين والواعين لقضايا الثورة الفلسطينية ولديهم الاستعداد لانتاج افلام ان يساهموا منذ الان بذلك ، ويتحركوا ضمن الواقع القائم ، ويجب ان توضع امامهم كافة الامكانات التي تسمح لهم من الناحية الفنية والتقنية ومن الناحية الايديولوجية ، لكي يتمكنوا من التعبير بشمول عن الثورة والقضية الفلسطينية. اننا نعاني من نقص في فهم القضية ، ويدور داخل الثورة الفلسطينية نفسها صراع ايديولوجي حول الاسلوب المتبع والذي يجب ان يتبع لانتشال الثورة من مأزقها ، عوضا عن الاعتراف او عدم الاعتراف بوجود المأزق ومن المسؤول ..؟ وضمن الواقع المعقد امام السينمائي العربي يجب ان ننطلق من هذا الواقع ، وان نفهمه وان نتحرك على ضوئه . ما هي النقاط التي يجب ان نلمسها برفق او نحيد عنها ، وما هي النقاط التي يجب ان نضع اصبعنا عليها ، واية نقطة يجب ان نتحدث عنها بشكل موضوعي ، واية نقطة يجب ان نتكلم عنها بشكل منحاز . فمثلا لا يمكن ان نتحدث عن مسألة الكفاح المسلح بصورة موارية او بلهجة معتدلة ، خوفا من استفزاز الانظمة الرجعية وانما نتحدث عنه كأرقى اشكال النضال والممارسة النضالية ، فيما الرجعية تفكر بأسلوب المفاوضات والحلول التصفوية . فنحن يمكن ان نقول ان الكفاح الفلسطيني هو احد الادوات لمواجهة اسرائيل ، بينما الكفاح المسلح هو شكل راق من اشكال النضال التي لا يمكن الا ان يؤثر ويزيد من فعالية النضال ويؤججها ويدفع بالشعب الفلسطيني الى مقاومة الاحتلال وتحقيق الاهداف التي يسعى اليها الشعب الفلسطيني من خلال منظماته .

هناك التوجه الى الجماهير العربية والفلسطينية ، ومثلما نصدر صحفا وكتبا ونعزز وعي الجماهير بكل الاساليب الممكنة ، يجب ان نرفع وعي الجماهير عن طريق السينما ، ونوعية السينما ترتكز على ذات المنطلقات ولكن هناك نقطة اساسية هي ان الجماهير الفلسطينية والعربية تعي العديد من المسائل التاريخية والراهنة ، وهي في ذاكرة المواطنين السياسية . لكن ما يجب ان تضيفه السينما هنا هو تأجيج حماس المواطن ، وتركز على قضايا عملية متصلة بالثورة الفلسطينية، كأن تقول ان الكفاح المسلح مرتبط بالتنظيم السياسي ، وان التنظيم السياسي مرتبط بالعمل الاجتماعي ، والاخير مرتبط بالعديد من المسائل الاخرى ، مثل كيفية تحرك تنظيم سياسي في مخيم لمسألة سياسية راهنة ويعمل بين الجماهير . ان السينما الموجهة للجماهير الفلسطينية ــ العربية ليست بحاجة الى العودة الى النقاط التاريخية مثل وعد بلفور وقرار التقسيم .. الخ . هذه يمكن ان نتوجه بها للخارج مثلا . ان تحديد كيفية التوجه للخارج وللداخل معقود على اي تجمع سينمائي فلسطيني ينشأ في المستقبل كذلك تحديد اي من هذه التوجهات ضرورة الان واية منها غير راهنة .

على ضوء تحديد التوجهات المفترضة للسينما الفلسطينية ، ارجو ان نتناول الاساليب التي ترونها قادرة على تلبية هذه التوجهات سينمائيا ، اي ما هي اللغة التي ينبغي ان يعتمدها الانتاج السينمائي في تعاطيه مع قضايا النضال الفلسطيني؟ وما هي الصعوبات التي تواجه السينمائيين في هذه المرحلة ؟

مصطفى ابو علي : السينما بطبيعتها فن جماهيري الى ابعد حد ، بمعنى انها قادرة على الاتصال بالجماهير ، قادرة ان تتحدث بلغتهم ، قادرة على ان تنقل اليهم الواقع . السينما ايضا محصلة الفنون جميعها ، بعناصرها من صورة وصوت ، من الكلمة والموسيقى ، قادرة ايضا على تبسيط الامور . ولان الثورة الفلسطينية شأنها شأن الثورات الشعبية عموما، ثورة تعتمد على الجماهير، فهي بحاجة الى صلة مع الجماهير ، ومن المفهوم ان الثورة اذا ما ارادت ان تجند الاشكال الفنية (الفنون) فان السينما يجب ان تكون في قمتها . هذه بشكل عام اهمية السينما للثورة . السينما ايضا وسيلة قادرة على جمهرة البشر ، ومن تجاربنا نلاحظ انه اذا ما اعلنا عن عرض شريط سينمائي في مخيم مثلا ، يتجمهر سكان المخيم ويتزاحمون من كل مكان ، مهما كانت خلفياتهم الثقافية والاجتماعية . هذا الاجتماع ليس فقط مهما من وجهة النظر السينمائية ، وانما يمكن الاستفادة منه لتوزيع نشرة سياسية ويمكن ان تنقل اليهم الفكر السياسي ، ويمكن ان توجه الجماهير . فالشريط السينمائي كما هو وسيلة لنقل المعلومات والواقع ، فهو وسيلة فعالة لاحداث تجمع بشري ايضا . والفيلم بسبب من قدرته على التصوير الحي مثل معركة او تحرك جماهيري (وعلى سبيل المثال ، صورنا في الفترة الاخيرة معارك الجنوب ، وهي في الواقع وثائق حية لمعارك الجنوب . صورنا عملية نقل الجرحى الاسرائيليين بواسطة الهليوكبتر بشكل واضح ، صورنا تفجر دبابات العدو وهذه وثائق حية ايضا . بالامس ايضا صورنا في جنازة تشييع الشهداء في بيروت ، مشاهد جماهيرية عظيمة وهي ايضا وثيقة) بسبب من هذه الصفات، ولكونه قادرا على نقل الصورة الحية ، فهو قادر على التأثير بنفس قدرته على نقل الصورة الحية ، ومن هنا امكانية تاثيره اكثر من اللوحة الفنية واكثر من القصيدة ، واكثر من النشرة ، ومن الجريدة اليومية ، وللاسف لم يستفد من هذه الوسيلة بالشكل الممكن . وهذا يقودنا الى الصعوبات التي منعت من استخدام السينما كوسيلة اتصال بالجماهير . ومن هذه الصعوبات ان هذه السينما قد جاءت عبر الغرب ومن هوليود . وجاءت ايضا من عالم مستعمر وكانت تحمل معالم الاستعمار . وحتى عندما بدأنا بصناعة السينما. سارت السينما العربية على نفس النهج . ففي الوقت الذي كان الفلاح مسحوقا امام الاقطاع وعندما كان الانسان العربي مسحوقا امام الاستعمار لم نجد السينما تنتصر لهذا الانسان العربي . كانت السينما منصرفة الى تكرار عشرات النسخ عن قصة الحب التي تمضي بين الصد والقبول . لا يزال ينظر الى السينما على انها سينما التسلية ، في الوقت الذي لها دور فعال جدا وخطير جدا لا يدركه الكثيرون بعد .

هناك ايضا صعوبات عملية هامة ، هناك المعدات، الخبرة والجهد الانساني التي هي متوفرة ولكن تقف امامها عقبة التمويل . ومثلما ان السينما من اكثر وسائل الاتصال تأثيرا ، فهي ايضا على

عكس باقي الفنون والوسائط تحتاج الى اموال والى جهد جماعي . وهناك صعوبات اخرى لمستها من تجربتي، لقد سمعت كلاما من نوع « بلا سينما بلا غم » ماذا يدل مثل هذا القول ؟ يدل على عدم فهم حقيقي للسينما ، وعدم وجود قناعة بدورها . وهي مشكلة تاتي في المرتبة الاولى ، وقبل حل مشكلة القناعة من الصعوبة بمكان حل مشاكل التمويل والجهد الانساني والمشاكل التقنية الاخرى . وهي صعوبات ناتجة عن واقعنا المتخلف، وهي بحاجة الى بحث مستفيض ومفصل .

على ضوء تجربتك ما هي القضايا التي يمكن ان تثيرها السينما لجماهيرها العربية والفلسطينية ؟

مصطفى ابو علي : السينما قادرة عموما على تناول القضايا ، ما يحدد الموضوع هو الظرف السياسي العام في فترة من الفترات . في هذه المرحلة مثلا ، فان معالجة العزلة والوحدة التي يعاني منها المقاتل الفلسطيني ، هي موضوع هام برايي — فالاحساس بالوحدة — التي تنتاب مقاتلينا يمكن تبديده باشعاره ان الجماهير العربية معه . وانه ليس وحيدا في مواجهة العدو . وبالفعل جماهيرنا العربية معه، بالامس القريب اثناء تشييع الشهداء في الجامع العمري في بيروت، كان هناك مشهد جماهيري لا ينسى . فاذا نقلنا لمقاتلي الثورة الفلسطينية مشاهد هذا التضامن العربي ، فانها لا شك تشعره رغم الصمت العربي أن الجماهير العربية معه .

وليد شميط : عندما اتحدث عن سينما فلسطينية ، اتحدث عن سينما ثورية لها هدف معين والتزام سياسي قد لا يكون متوفرا في اية سينما اخرى . كما اذكر ، انه قبل صناعة السينما كانت هناك ثورات ، وهذه الثورات كانت تنجح ، فالسينما ليست عاملا اساسيا في قيام ثورة او استمرار ثورة . ولكن بما ان السينما موجودة فلا بد من استعمال هذه الاداة كاي سلاح اخر يمكن ان يوجد بين ايدي الثورة . الهدف من السينما هو ان تكون احدى وسائل الثورة الفلسطينية . ومن دراستنا للواقع الفلسطيني يتحدد هدف السينما من خلال قيام الثورة الفلسطينية ، ماذا تحتاج الثورة الفلسطينية من السينما ؟ في رايي انها فلسطينيا تحتاج من السينما ان تكون وسيلة تسجيلية للثورة ، وان تكون وسيلة تعليمية للجماهير الفلسطينية والعربية ، وان تكون وسيلة تحريضية للشعب وخصوصا داخل الانظمة العربية. الهدف التسجيلي مزدوج الاهمية ، اولا لخلق سينما ثورية حقيقية ، لا بد من الفيلم التسجيلي من اجل ديمومتها . والثاني هو تسجيل وقائع الثورة وتطوراتها بالصورة والصوت . حتى يكون لاستعمال الوسائل السمعية مفعول حسي اكثر تأثيرا من مفعول المنشور او اللوحة او المقال السياسي . كذلك فان التوجه التعليمي هو ايضا واجب السينما الفلسطينية كاداة اتصال جماهيرية ذات خصوصية في الواقع الفلسطيني . ان معاناة الشعب الفلسطيني من الاضطهاد القومي والانساني والتشرد وضغوط الفقر وقلة مؤسسات التعليم ، عوامل حدت من توفر الامكانات الطبيعية للشعب الفلسطيني اسوة بالشعوب الاخرى ، لذلك ارى ان على السينما ان تشارك تعليميا في اعداد وتحضير الشعب الفلسطيني ، ليس فقط في المستويات السياسية والاجتماعية ، وانما ايضا في نقل المعارف الحديثة والتجارب التي توصلت اليها الانسانية على صعيد العلوم والفنون والمعرفة عموما . اما التوجه التحريضي ، فهو هدف سياسي مباشر ، وينبغي ان ينطلق من اهداف النضال الوطني سياسيا ، وانا اعني بالتحريض هنا ليس ذاك الغوغائي او اعتماد الشعارات اللفظية وانما التحريض الذي يقوم على ادراك علمي بالتناقضات التي يعيش داخلها الشعب الفلسطيني على المستوى الداخلي والعربي والعالمي .

وانا افهم التوجه الاعلامي للسينما الفلسطينية على مستويين : عربي وعالمي ، اذ ليس صحيحا الاعتقاد السائد الذي يقول بأن الشعوب العربية تدرك أبعاد القضية الفلسطينية ادراكا واعيا وعميقا . اذ غالبا ما تكون العلاقة فقط علاقة انتماء قومي وعاطفي بسيط . وهذا ليس كافيا . لذلك ارى ان تخدم السينما في توعية الجماهير العربية مضامين متقدمة من العلاقة بين الجماهير العربية والفلسطينية . هناك جوانب مثل تناقضات الانظمة العربية مع ارادة التحرير عند الشعب الفلسطيني وتجليات هذه التناقضات في الوقت الراهن ، وهناك ضرورة تنوير طبيعة الثورة الفلسطينية نفسها امام الجماهير العربية كي يفهم علاقته به وواجباته نحوها على اساس ان هناك اهدافا مشتركة ومصالح مشتركة للنضال . وعالميا

فان التوجه الاعلامي للسينما الفلسطينية يتجه نحو شرح وايصال اكبر كمية اعلامية من القضية، بهدف التأكيد على عدالة نضال الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الامبريالي ــ الصهيوني لارضه وضد الاضطهاد القومي .

قاسم حول : ارغب في التعليق على التقسيم الثلاثي الذي اورده الزميل وليد (فلسطيني ، عربي ، عالمي) وكذلك حول ما اورده من توجيهات تعليمية وتحريضية واعلامية .. الخ . اني ارى ان تلخص المهمات المنتظرة من السينما الفلسطينية بمهمتين ، فاذا افترضنا اننا استطعنا ان نكون الكادر السينمائي او نحقق الامكانات بهذا الشكل او ذاك ، فانا ارى ان نأخذ موضوعيا بمهمتين هما : مهمة آنية ومهمة اساسية . وفي ذهني عدد من المسائل المتصلة بكل من المهمتين ، المسائل الآنية تتضمن أ ــ الجانب الوثائقي ويشمل تسجيل الاحداث السياسية التي تمر بها القضية الفلسطينية في الوقت الراهن على المستوى المحلي والعربي والدولي . وهذا التسجيل السينمائي للاحداث اما ان يعرض او يحتفظ به في ارشيفات خاصة . ب ــ الجوانب الاجتماعية والاعلامية ، والوسائل التوضيحية . اذ يحتاج الشعب الفلسطيني الى الكثير من الوسائل التوضيحية . وعلى سبيل المثال لا يعرف كثير من المقاتلين الاسلحة التي بحوزة العدو ، نوع الدبابات ، كيفية استعمال الاسلحة الفتاكة وكيفية تحقيق خسائر واصابات محققة بها . اني اعرف ان المقاتلين يدرسونها نظريا ، ولكن هذا لا يكفي ، وبواسطة السينما الايضاحية ، بواسطة التصوير والرسم يمكن ان تعطي صورة افضل ، يمكن ان نحدد نوع السلاح والسلاح المضاد له ويمكن ايصال الكثير من المعلومات التقنية الى المقاتلين وهذه خدمة كبيرة لهم . ومن جهة اخرى هناك مهمات آنية اخرى مثل تصوير تراث الشعب الفلسطيني وعاداته وتقاليده وازيائه وذلك للتأكيد على شخصيته التي تتعرض لضغوط خارجية كثيرة. اما المهمات الاساسية فانا احددها على النحو التالي ، ضرورة وجود اشرطة سينمائية تطرح تاريخ القضية الفلسطينية والتناقضات السياسية والطبقية التي حكمتها والتغلغل الاسرائيلي ، والطبيعة العدوانية للامبريالية الصهيونية تاريخيا، وهذه المسائل ليست لها علاقة مباشرة بالاحداث اليومية ويجري انتاجها على المدى الطويل . ان هذه المهمات المقترحة للسينما الفلسطينية لا تطرح تقسيما للتوجه الى هذه الجهة او تلك . فانا أرى ان تعرض هذه الاشرطة على الجماهير الفلسطينية والعربية وعلى الشعوب الاخرى .

وليد شميط : عندما طرحت التقسيم السابق كان بذهني نوعية الجمهور ،فعندما نصنع شريطا سينمائيا يجب ان نعرف اولا من سيرى الفيلم ، وماذا نريد منه ، وهل له جمهور معين ومن هو هذا الجمهور . فالفيلم التعليمي خاص بالثورة الفلسطينية ، هذا الفيلم ستكون له طبيعة خاصة، وتدخل فيه العناصر التي تشدد على شخصية الشعب الفلسطيني . وهذه بدهية . وعندما قسمت الجمهور الى ثلاثة اقسام كان بذهني الهدف العام من الفيلم كأداة تستخدمها الثورة الفلسطينية اليوم . فانا لا ارى سينما فلسطينية خارجة عن اطار الثورة الفلسطينية ، وفي الوقت الحاضر الثورة هي اساس كل اشكال التعبير عن القضية الفلسطينية بما فيها السينما . فتحديد اهداف الفيلم على اساس ثلاثة توجهات فلسطينيا وعربيا وعالميا لا ينفي ضرورة عمل افلام آنية وافلام بعيدة المدى . ويمكن على اساس هذا التقسيم ان تكون هناك اهداف آنية واخرى بعيدة المدى .

مصطفى ابو علي : اريد ان اسجل ملاحظة حول التقسيم الذي يطرحه الاخ وليد ، اي التوجه الفلسطيني والعربي والعالمي . وحول اللغة المناسبة للتوجه بها الى كل جهة . انا ارى ان الفيلم البسيط الذي يتناول الحقيقة ، بلغة بسيطة ، سيصل الى كل الناس سواء كانوا فلسطينيين او عربا او كانوا من شعوب اخرى . واعتقد ان هذه نقطة هامة يجب ان تعالج . ومن خلال احلال لغة بسيطة مفهومة من الجميع ،يمكن للسينما الفلسطينية او السينما الثورية في عالمنا العربي ان تنطلق . واذا ما خضعنا للتقسيم السابق كاتجاهات فلسطينية وعربية وعالمية اخشى ان نقع في تقسيمات ليست من طبيعتنا الانسانية . وهذه مسألة خطيرة . فانا مثلا لا استطيع ان اخاطب الفرنسي مثلا بلغة خاصة ، بل من خلال لغتي واذا كانت بسيطة وواضحة ، فان الفرنسي سوف يفهمني . ان منطلق البساطة والوضوح ، هو افضل معيار لكي نصل الى الجميع من كافة الجنسيات والثقافات .

ابراهيم زاير : رد صغير على الاخ مصطفى حول

التكلم بلغة سينمائية بسيطة لكي يفهم الاخرون . لست ضد هذه المسألة انما هنـاك اعتبـارات اخـرى ، مثـلا هناك سينمائي الماني يساري صنع فيلما قصيرا اسمه « أين تقع فلسطين » . وهـو فيلم موجه للجمهـور الغربي ومـن وجهة نظـر يسارية ، هناك الكثير في انحاء مختلفة من العالم لا يعرفون اين تقع فلسطين . وهذه من ابسـط القضايا التي نستطيع التحدث عنها بالسينما . مثل آخر : انتجنا (في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) فيلما عن مشكلة الماء في مخيـم النهر البارد بلبنان ، لقد رآه الكثير من الاجانب وقالوا انهم رأوا الناس في الفيلم يعانـون ويتعذبـون ليحصلوا على الماء ولكن لماذا ؟ ما هي القصة ؟ رغم ان الفيلم يحتوي في مقدمته على كلام يتحدث عن ١٩٤٨ ، النزوح الى لبنان ، مشكلة الماء . هناك اسلوب ضروري للتخاطب مع اجنبي لا يعرف شيئا عن القضية الفلسطينية (رغم وجود آخرين يعرفون القضية بشكل جيد) . هنـاك ضرورات لمخاطبة الجمهور الاجنبي تختلـف عـن ضرورات مخاطبة الجمهور العربي والفلسطيني ، وفي ذهني الان فيلمان منتجان عن القضية الفلسطينية احدهما انتجه يساريون يابانيون وفيلم هولنـدي انتجتـه جماعة ليبرالية راينا فيه لقطات متشابهة ، رغـم ان الجهتـين اللتين انتجتـا الفيلم متعارضتـان ايديولوجيا . ذلك ان التصور المسبـق في اذهان الطرفين كان واحدا ، بينما نحن ننظر الى القضية بشكل اخر ، نحن لا نصور في افلامنا مثلا الحيطان المتآكلة للمخيمات او الملابس المنشورة فـوق السطـوح او الاطفـال الذيـن يلعبون في الازقة الترابية ، ان هذا هو الواقع الذي نعيشه ، اما بالنسبة للاجنبي فانه يفكـر في استعمال هـذه اللقطات ضمن تصور رمزي للقضية الفلسطينية او هو ينظر اليها جماليا .

بالنسبة لما طرحه الاخ وليد حول كيفية العمـل ارى ان الافلام التي ممكـن ان تنتج في الوقـت الحاضر وحتى على المدى الابعد اقسمها الى ستة اقسام . ١ ــ افلام دورية اخبارية تتعلق بالقضية الفلسطينية تنتج حول احداث معينة لها اهميتهـا الخاصة في طرحها للداخل والخارج على شكـل جريدة مصورة يباشر باخراجها عند الضرورة ولا بد ان تكون ناطقة بلغات اجنبية . ٢ ــ افلام تنتج عن قضايا معينة ومحددة وتكون اطول من الافلام الاخبارية وهي تتناول الموضوعات التالية : واقع الشعب الفلسطيني في الـوقت الحاضر . افلام تتعلق بارتباط الثورة الفلسطينية بالثورة العربية. افلام عن العمال الفلسطينيين (اين يعملون ، اي مجال عمل مهم بالنسبة لهم) . افلام عن الفنون الشعبية الفلسطينية . ٣ ــ افلام عن احداث لها اهمية تاريخية آنية (ايلول مثلا ، مثلما صـدر كتابان عن مركز الابحاث عن ايلول لا بد من انتاج فيلم عن احداث ايلول) . افلام تتناول التاريـخ الفلسطيني (١٩١٧ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٦) . ٤ ــ افلام عن ٥ حزيران . ٥ ــ افلام روائية قصيرة تنتج عن قصص قصـيرة جاهـزة لكتاب فلسطينيين وعرب . ٦ ــ افلام سينمائيـة بحتة لها علاقة بالقضية الفلسطينية . من الممكن ان تعكس هذه الافلام تفكيرنا الثقافي وتوجهنا الى جمهور نريد ان نؤثر عليه فنيا .

قاسم حول : اريد ان اوضح مسألتين حول مـا طرحه الاخ ابراهيم ، فأنا مع الاخ مصطفى فيما طرحه حول كون اللغة السينمائية واحدة والتوجه واحدا ، اذا كانت لغة المخرج بسيطـة ورؤياه واضحة ، فقد اعطى الاخ ابراهيم ملاحظة حول فيلم النهر البارد « الـذي لم يفهم الجمهـور الاوروبي لماذا نشأت مشكلة الماء وخلافه ، وانا اعتقد ان عدم الفهم ربما كان ناتجا عن عجزد اللغة السينمائيـة عـن التعبير عن المشكلة ، المفروض ان نعبر بشكل افضل بحيـث يفهمـه الشعـب الفلسطيني والانسان العربي والانسان بالخارج ، وانا اوافق الاخ مصطفى في ان اللغة السينمائية واحدة ويجب ان يكون هنـاك وضوح في الرؤيـا ينعكـس في الشريـط السينمائي وتصل المـادة السينمائية الى المتفرج . اما الامثلة التي طرحها الاخ ابراهيـم حـول التقسيمات فهي واردة ، والمبادرة واردة ايضا ، فمثلا احداث ايلول كانت موضوع فيلم نفذه الاخ مصطفى ووضح ما حـدث في ايلـول وتضمن وثائق عديدة . لكـن في ظـل الامكانات البسيطة ، وعدم الفهم من قبل العديد من المسؤولين في المنظمات للسينما واهميتها ، يضع السينمائي في حصار ، فلا يستطيع ان يخرقـه . وكل هذه النماذج والاقتراحات مطروحة لدينـا ولكننا محاصرون . وهناك العديد من الصعوبات تتعلق بمشكلـة الكادر ، فكيـف نكون الكـادر السينمائي وما هي متطلباته وهي مشكلة اظن اننا سنتناولها بعد قليل .

وليد شميط : اود ان اعقب بشكل مختصر . المشكلة ليست مشكلة لغة سينمائية ، فالفيلم يستطيع ان يتوجه الى اي جهة في العالم اذا كان ناجحا من الناحية الفنية . المشكلة في الغاية او الهدف من الفيلم . فمثلا قد تحتاج الثورة الفلسطينية الى مخاطبة جماهير لبنانية تحديدا، فالضرورة الاعلامية التي تفرضها مهمة الثورة تحدد طبيعة الفيلم . انما اللغة السينمائية هي شاملة وعالمية وتصل الى الجميع .

مصطفى ابو علي : اريد ان اضيف الى ما مر نقطتين : اولا ان تلتزم السينما الفلسطينية بالثورة الفلسطينية ، بحاجاتها ومهماتها الراهنة والاستراتيجية وهذا يشمل التقسيمات التي طرحها الاخ ابراهيم . وقد يشمل اغراضا اخرى . ومن مهمات السينما ثانيا نقل تجارب الشعوب الاخرى للجمهور الفلسطيني والعربي .

ابراهيم زاير : الشعوب الاخرى انتجت افلامها الخاصة بها .

مصطفى ابو علي : اقصد نقل هذه التجارب عن طريق سينما الشعوب الاخرى وتقديمها الى جماهيرنا .

اعتقد ان الزملاء متفقون حول الاسلوب الذي ينبغي ان تتبعه السينما الفلسطينية المنشودة ، ليس المطلوب من السينما ان تقدم القضية الى الجمهور الاجنبي بشكل مختلف عما تقدمه للجمهور الفلسطيني والعربي . فما دامت السينما التي تتعامل مع القضية تنشد الحقيقة وتقدمها ، من المهم نقل السينمائي للحقيقة بلغته وبمنطقه الى الجميع . فما نقوله لجمهورنا هو ما نقوله للرأي العام العالمي . وهذا هو السبب الذي يدفع الاخ مصطفى لان يقول ان لديه لغة واحدة فقط ، هي التي يخاطب بها شعبه وبالتالي اذا ما كانت هذه اللغة مستوفية لشروطها الفنية سينمائيا وبسيطة ومفهومة فان الشعوب الاخرى ستفهمها. تبقى هناك حاجات عملية وملحة طرح بعضها الاخ ابراهيم . فمن الضروري مثلا ان نضيف جملة من الحقائق في شريط سينمائي مقدم للجمهور الاوروبي، (كالحقائق التاريخية) ، بينما نحن لسنا مضطرين لذلك مع الجمهور العربي الذي بحكم اتصاله بالقضية ومعايشته لها يعتبر مثل هذه الحقائق التاريخية بدهية . بعد كل هذا ، هل نستطيع ان نطرح بشيء من التحديد والتفصيل المهمات التي تقع على عاتق السينمائيين الملتزمين والمتصلين بالثورة الفلسطينية على طريق بناء سينما فلسطينية ثورية وبناء كادرات سينمائية قادرة على انتاج اشرطة سينمائية متقدمة ؟

وليد شميط : اعتقد ان الخطوة الاساسية امامنا الان والتي تتقدم كافة الخطوات الاخرى ، هي ان نتوصل الى اقناع كافة منظمات الثورة الفلسطينية بالسينما وبدور السينما . وهذا يقع على عاتق السينمائيين العاملين في صفوف الثورة الفلسطينية اكثر مما يقع على عاتق المسؤولين الذين يتصدون لمسؤوليات اخرى . واذا ما توفرت القناعة بدور السينما يكون من مسؤولية الفصائل الفلسطينية ان تعمل على بناء الكادرات السينمائية لتتوجه لخدمة اهداف الثورة القريبة والبعيدة حسبما طرحناه سابقا . والحال كما نلاحظ ان هناك العديد من الشبان من كافة الفصائل من يفكرون بعمل تجمع سينمائي لهم ، وهذا ما هو منجز في عدد من البلدان الاوروبية . هناك تجمعات سينمائية ، تضم عددا من السينمائيين والمناضلين الذين ينتمون الى فصائل سياسية متقدمة . هذه التجمعات تمارس السينما بهدف نضالي . وهي تقوم بانتاج الافلام واخراجها وتوزيعها وعرضها وتقوم اخيرا بشرحها . هناك مجموعة (دزيكا مزتوف) في فرنسا او مجموعة (نيوز ريل) في امريكا . كل مجموعة سينمائية يتراوح عددها حسب الامكانات فهي قد تبلغ ١٥٠ شخصا او عشرة او خمسة عشر شخصا . منهم المخرجون ، ومنهم واضعو افكار ، ومنهم كتاب سيناريو ومنهم المحرضون ومنهم السياسيون . ويتفقون جميعا حول هدف معين هو انتاج افلام سينمائية لاغراض نضالية .

اذا ما تحقق وجود تجمعات سينمائية في اطار الثورة الفلسطينية تقوم بكل عمليات الانتاج السينمائي وعرض الفيلم وشرحه للجمهور ، واذا ما تكونت هذه الكادرات فان الخطوة الاولى في طريق سينما فلسطينية تكون قد تحققت . طبعا لا بد من تجهيز هذه التجمعات بآلات ومعدات سينمائية ، ولا بد من ايجاد المنشطين والمحرضين السينمائيين . ولا بد من مساهمة السياسيين في تحديد الاهداف ، وفي تسهيل العلاقات المباشرة مع الجماهير وعرض الافلام . وتتكفل هذه الكادرات حسبما ذكرنا بوضع الاولويات في انتاج الافلام والى

اين تتوجه .

مصطفى ابو علي : لقد ذكرت سابقا ان هناك بعض الاراء التي تعبر عن قلة اقتناع باهمية السينما ودورها . ولكن ليس من الدقة ان نقول انه لا توجد قناعة اطلاقا . ففي الجانب الاخر هناك عدد من الاخوان القياديين المؤمنين بضرورة العمل السينمائي وباهميته ودوره . واذا كان من الضروري اقناع من ليس مقتنعا بعد ، فانه من الضروري ايضا اقناع السينمائيين العرب والفلسطينيين للتخلي عن واقعهم وانتاجهم غير الثوري . الثورة بمعنى من المعاني هي تضحية . ليضع السينمائيون بالامتيازات والرواتب التي يوفرها لهم عملهم في مؤسسات غير ثورية ويقبلوا بمخصصات ورواتب اقل . ليضحوا قليلا . فضرورة اقناع السينمائيين هي واجب ايضا مثلما هو مطلوب منا اقناع المسؤولين . هناك ايضا ظروف تفرض هذا التقصير . فقد تتوفر القناعة لدى عدد من المنظمات، لكن الظروف هي التي تعرقل المساهمة العملية في الانتاج . لذلك فنحن مطالبون باقناع السينمائيين بمراعاة هذه الظروف . وبضرورة العمل في اقسى الظروف واقلها مؤاتاة .

ابراهيم زاير : هذا يجرنا الى حديث اخر حول اقناع السينمائيين ، اذا اردنا ان نقنع السينمائيين فالشباب هم الاولى بالاقناع ، وهم سيقتنعون عندما يرون ان هناك نتيجة ملموسة بعد عملهم ضمن ظروف طبيعية ودون اشكالات بيروقراطية كالتي تواجهنا الان . ثم رد فعل عرض افلامهم على الجماهير ومناقشتها ، كيف نستطيع ان نقنع السينمائيين الشبان بالعمل في الثورة الفلسطينية اذا كانت مشاكلهم حتى الان شخصية . ان السينمائيين الشبان بؤساء امام امكانيات وظروف العمل التي يطمحون الى تجاوزها . انهم بحاجة الى ان تنقذهم الثورة الفلسطينية من واقعهم ، اذا وفرت لهم كل المستلزمات التي تمكنهم من العمل ، واذا احسوا انهم عن طريق الثورة الفلسطينية سيحققون وجودهم ومبادءهم . ان السينما الحقيقية الخالصة في البلدان العربية لا تزال في بدايتها (رغم التاريخ الطويل للسينما المصرية) ، ان هنا ظرفا خاصا يجب ان نأخذه بعين الاعتبار اذا بحثنا اية قضية وهو ظرف الثورة الفلسطينية الموضوعي .

قاسم حول : يمكن القول انه لم تتوفر قناعة كاملة بأهمية السينما ولكن هناك قناعة اولية ، وهناك مبررات مثل الحصول على السلاح اهم من الحصول على معدات للسينما وهي اعتبارات لها وجاهتها . وبالمقابل فان السينمائيين مطالبون بالعمل ضمن هذه الظروف القاسية التي تعيشها الثورة في هذه المرحلة عربيا وعالميا . لتوفير بداية ملموسة من السينمائيين يجب ان تعزز وتؤكد القناعة الاولية لدى فصائل المقاومة . وهذا يدعونا الى تجميع الشباب السينمائيين العرب المتناثرين في هذه المؤسسة او تلك والذين يعملون في ظروف سياسية وانتاجية غير مواتية وفقا لسياسيات الانظمة التي يعملون في ظلها . وهذه كما هو معروف تستنزف طاقاتهم وتستنزف همهم الثوري ، وتستنزف مبادءاتهم وطموحاتهم . يجب ان نستقطب هؤلاء الشبان عبر تجمع سينمائي يكون النواة ويكون المنفذ لاستجماع الطاقات ، ولتكن من السينمائيين تنازلات صغيرة وشخصية وليعملوا من خلال تجمع واحد .

ابراهيم زاير : حول السينمائيين الشباب الذين يعملون في الانظمة البرجوازية ، ان هناك الكثير من المخرجين الشباب الذين يعملون في المؤسسات الرسمية التي تؤمم كل نشاطهم ، وليس بالامكان استدعاء اي واحد منهم ليخرج في اسبوع او اسبوعين فيلما عن القضية الفلسطينية لانه مرتبط بالدولة كموظف يوقع على سجل الحضور والانصراف ، ان هناك صعوبة في دعوة زملائنا المخرجين الشباب لاخراج افلام تتطلب منهم تفرغا كاملا لمدة معينة .

قاسم حول : ان الحل الذي تكلمت عنه هو فكرة التجمع السينمائي العربي ، عندما يحس السينمائي العربي بوجود مؤسسة سينمائية جديدة يمكن ان يمارس نشاطاته من خلالها ، عند ذاك من الممكن ان تحل المشكلة .

هناك مشكلة تعاني منها كل سينما ناشئة ، وهي التوزيع ، خاصة وان السوق لا يكون مفتوحا امام السينما الثورية ويعاني من هيمنة شركات التوزيع الكبرى ، كيف يتمكن الفيلم الفلسطيني ان يصل الى الجمهور في هذه الاوضاع ؟

وليد شميط : سبق ان اشرت مرارا الى علاقة السينما الفلسطينية بالثورة الفلسطينية . وهنا اعود الى التاكيد على دور الثورة الفلسطينية

ومؤسساتها في توزيع وعرض هذه الافلام وايصالها الى اوسع قطاعات الجماهير العربية والعالمية . فمن المفهوم ان هذه الافلام تعبر عن واقع الثورة وعن تطورات القضية الفلسطينية وتتصل اتصالا مباشرا بمهمات الثورة الدعاوية والاعلامية والتحريضية . لذلك فالثورة معنية بالدرجة الاولى بايصال الاشرطة السينمائية الى الجماهير . فالجهود الفردية لا يمكن ان تجدي ، كما ان المؤسسات السينمائية الراسمالية لن تقبل بعرض هذه الافلام ، لطبيعتها النضالية . ومن هنا من الضروري مواجهة مشكلة التوزيع والعرض ،وهي التي تواجه كل التجمعات السينمائية الثورية في العالم . وربما كان تجمع « النيوز ريل » الامريكي وحده هو الذي حل هذا الاشكال عن طريق انتاج افلام اخبارية تقف في مواجهة الافلام الاخبارية التي تنطق باسم الشركات الرأسمالية الامريكية . وهذه المجموعة لديها امكانيات معينة للعرض في حالات معينة . وفي اوروبا يحاولون حل هذه المشكلة عن طريق التنظيمات السياسية التي تعرض الافلام في الجامعات والمدارس والمعامل والنوادي وتعرض هذه الافلام بصورة سرية احيانا وعلنية في احيان اخرى . وتعرض في صالات الفن والتجربة ... الخ . وبالنسبة لظروفنا الموضوعية، ليس لدينا هذه الامكانات ، فيما عدا امكانية مساهمة الثورة الفلسطينية بمؤسساتها الجماهيرية المختلفة . وانا ارى ان المهمة ليست فقط انتاج الافلام واخراجها ، وانما المهمة ايضا في توزيعها. فهذه المادة ينبغي عرضها على جمهور ، واستهلاكها .

قاسم حول : من الممكن ان يلجا التجمع السينمائي عندما يشرع في انتاجه ، الى بناء علاقات مع التجمعات السينمائية الثورية في العالم ويوثق صلاته بها وهي تجمعات كثيرة جدا ، وقد اوجدت لنفسها ظروفا مواتية وتعرض افلامها في صالات الفن والتجربة وفي اوساط التجمعات العمالية والطلابية . بالاضافة الى وجود العديد من الاقطار الاشتراكية والصديقة التي تبدي استعدادا تاما لعرض الاشرطة السينمائية الفلسطينية في صالات السينما وفي التلفزيون ، وعبر المهرجانات السينمائية الدولية . فهناك ما يقارب عشرة مهرجانات سينمائية في العالم وغالبيتها تهتم بالافلام النضالية والثورية . وهي عبارة عن تظاهرات سينمائية يمكن ان تلتقي عبرها كل الوفود وكل المؤسسات السينمائية وحتى التجارية منها ، وعن طريقها يمكن ان يتم تسويق الافلام عبر العالم . وعلى المستوى الفلسطيني والعربي يمكننا الاستفادة من التجارب المماثلة في عدد من الاقطار، فمثلا هناك افلام مؤسسات ثورية محظورة العرض في الصالات السينمائية العامة ، ولكنها تنتج افلاما بدون علم الدولة وموافقتها الرسمية ، وهي تقوم بعروض سينمائية في المعامل وفي النوادي وفي اماكن سرية متعددة . واعتقد ان الظروف لدينا مواتية اكثر . ونظرا لتواجد تجمعات فلسطينية في عدد من الاقطار العربية فانه يمكن عمل عروض سينمائية وايصال المادة السينمائية الى قطاعات واسعة من الشعب .

ابراهيم زاير : افكر في طاقم العمل ، او المجموعات التي تعمل على اساس التعاون الجماعي : انني اقترح ، كتسهيل للصعوبات العملية التي من الممكن ان تنشأ ، ان يتعاون كتاب ومخرجون وصحفيون في مساهمة جماعية غير ميكانيكية او بيروقراطية ، واقترح ايضا وجود طاقم جاهز للعمل في اية لحظة . اشبه بدورية سينمائية مسلحة تقوم بعمل آني ، ولدي اقتراح اخر ، على ضوء الواقع ، هو ضرورة تجميع الطاقات السينمائية الموجودة حاليا (في فتح والجبهة الشعبية والديمقراطية ورابطة ٥ حزيران) كخطوة اولية والاتفاق على خطوات عملية للبدء ، وباستطاعتنا في تصوري ان نتجاوز الفجوات الموجودة بين المنظمات وان نعمل بشكل جماعي وايضا نستطيع ان نساعد بعضنا بعضا على انتاج افلام تعبر عن طموحات منظماتنا من خلال هذا التعاون ايضا . (على الاقل لنحقق الوحدة الفلسطينية سينمائيا) . وفيما يخص تسويق وتوزيع الافلام يمكن ان نتفق مع سينمائيين عرب واجانب ومؤسسات حتى بورجوازية على توزيع افلامنا تجاريا . اضافة الى ان ضرورة وجود مؤسسة ادارية ملحقة بالمجموعة الفنية لا ينبغي ان تقف عقبة امام العمل السينمائي .

مصطفى ابو علي : هذا يقودنا الى موضوع طرح مع بعض الزملاء السينمائيين ، وهو مؤسسة السينما الفلسطينية . وانشاء مؤسسة سينما فلسطينية تقوم بكل اعباء انتاج الفيلم ، وتضع نظام التوزيع وتتكفل بتحديد طبيعة الفريق السينمائي العامل في الثورة ، وبحث مضمون الفيلم

وشكله ، اي مؤسسة قادرة على العناية بكل شؤون السينما وقضاياها . ولعل طرح مثل هذه المؤسسة قد يكون مناسبا الآن .

وليد شميط : في الحقيقة انا صدمت بكلمة مؤسسة سينما كذا ، لانها تعني بالنسبة لي كلمة تجارة . نحن نتكلم عن نوع معين من الشريط السينمائي ، وهو الفيلم النضالي ، كخطوة اولى في السينما الفلسطينية . عندما نبدأ بمؤسسة باداريبها وفي علاقاتها التجارية وفي بيع وشراء افلام ما شابه ، اخشى ان يضيع الهدف الاساسي من السينما المنشودة وهو الفيلم النضالي . وانشاء مؤسسة سينمائية في الظروف الموضوعية الراهنة لا يمكن ان يخدم السينمائيين الفلسطينيين ، بما تعنى مؤسسات السينما من علاقات ومن طبيعة معينة ، وهو قد يكون هدفا بعيدا .

مصطفى ابو علي : هناك مؤسسة ثورية وهناك مؤسسة بيروقراطية . وفي حالة انشاء مؤسسة ما نحن الذين نحدد طبيعتها ونعطيها الصفات المطلوبة . الهدف هو ان تتاح للعاملين بالسينما القدرة على العمل معا والتخطيط معا وبحث مشاريعهم وطموحاتهم بصورة مشتركة . لنسمها مؤسسة ، جماعة ، تجمع ، لا يهم .

قاسم حول : يبدو ان التسمية تثير حساسية معينة ، المقصود من المؤسسة او التجمع ،مواجهة الاشكالات العملية التي تعترض السينمائيين في عملهم مثل التسويق والحفظ ، فمثلا بعد انتاج الاخ مصطفى لفيلمه عن ايلول ، وضع على الرف لفترة طويلة وواجه مشاكل من اجل عرضه في هذا المخيم او ذاك وفي هذا القطر او ذاك . لو كان التجمع السينمائي قائما ووجدت علاقات انتاجية واضحة ، فان كل سينمائي يستطيع ان يأخذ دوره في العمل بالمستوى الثوري المطلوب .

ابراهيم زاير : ان طبيعة المؤسسة اضافة الى كونها تجارية ، فانها تعني شيئا من البيروقراطية بينما لا ينبغي ان يجد السينمائي العامل في مجال الثورة الفلسطينية نفسه اسيرا للوائح البيروقراطية واشكالاتها . ان التجمع يجب ان يقوم على اساس الحافز الذاتي والجماعي وعلى التعاون والعمل الحي والخلاق .

قاسم حول : لنتفق على ان المقصود من التجمع السينمائي المطلوب هو ان يملك تخطيطا ثوريا على كافة المستويات .

ان جميع ما طرح الان من محاذير تدور في اذهاننا ومستقاة من التجارب الماثلة في هذا القطر او ذاك . نحن لا نفترض سلفا ان ما ذكر سوف يقع حتما ، فالمسالة برمتها مرهونة بقدرة السينمائيين المتصلين بالقضية الفلسطينية على اعطاء التجمع السينمائي طبيعة ثورية وعلاقات ثورية . ان بعض ما طرح الان يذكرني بعدد من المؤسسات المتصلة بالثورة الفلسطينية. ففي احد مؤتمرات اتحاد الكتاب الفلسطينيين في عمان اخذ المؤتمرون موقف المطالبة من منظمة التحرير ، طالبوا بدار نشر خاصة بهم وبوضع مطبعة بتصرفهم وباصدار مجلة خاصة بهم ..الخ، اي انهم طالبوا بكل شيء . وبالطبع لم يتم تنفيذ اي من هذه المطالب الكبيرة . ما ارجوه هو ان يحدث العكس ، اي ان يكون التجمع السينمائي كائنا ما كان اسمه قائما على مبادرة عناصره السينمائية المتصلة بالثورة الفلسطينية . وان يحافظوا على حيز من الاستقلالية ، بحيث تقرر سياسة وتوجهات وبرامج التجمع من داخل هذا التجمع ، ما دمنا قد سلمنا ان اي تجمع سينمائي فلسطيني يعمل في اطار الثورة الفلسطينية . ومن جهة اخرى ارى ان مسالة التوزيع يمكن ان تعتمد على فعالية التجمع السينمائي في المنطقة . فكما نجحت تجمعات سينمائية اخرى في العالم في توزيع انتاجها رغم ان ظروف التوزيع في الاقطار الراسمالية اصعب مما هي عندنا ، يمكننا ان ننجح في خلق فرص مناسبة لتوزيع وعرض الافلام بدون ان نلجا الى المطالبة والمناشدة والاعتماد على مؤسسات اخرى . هذا يقودنا الى بحث الجوانب العملية التي تدخل في نطاق الانتاج السينمائي . واقترح ان نبدا بالتمويل . اي كيف يتمكن التجمع السينمائي من توفير مصادر مالية كافية لتغطية نفقات الانتاج ؟

ابراهيم زاير : السينما كصناعة تحتاج الى الكثير من الاموال ، كل مرحلة من مراحل انتاج الفيلم تتطلب انفاقا : التصوير ، الطبع ، التحميض ، المونتاج ، الترجمة ، الفريق العامل ، بالاضافة الى نفقات اخرى لا تخفى عن احد . كلما كان الفيلم اطول كلما زادت النفقات . كذلك عدد النسخ التي نحتاجها من الفيلم ، نوع الخامة ، هل الفيلم ابيض واسود ام ملون . نوع الكاميرا

والعدسة ، هل نمتلك التجهيزات ام هي مستأجرة . ناهيك عن مسائل العرض . اي ان كل خطوة نخطوها تحتاج الى انفاق .

كيف نمول العمل السينمائي ؟ اولا يجب ان نخلق قناعة لدى اولئك الذين لديهم ايمان ، ولو جزئي ، بأهمية السينما، انها تحتاج لتتحقق اموالا، ثم يجب ان تسهل عملية انتاج الفيلم تسهيلا تاما ، ثم يجب ان يأخذ طاقم انتاج الفيلم بعين الاعتبار ضرورة انتاج فيلم جيد بتكاليف قليلة دون ان يؤثر ذلك على طبيعة الفيلم وتركيبه السينمائي ، ان السينمائيين الشباب ادركوا ووجدوا حلولا لمشاكل التمويل من خلال اختصار الطاقم الفني والتكنيكي. [واستطيع ان اذكر هنا تجربتنا انا وقاسم حول في اخراج فيلم النهر البارد حيث ساهم معنا مصور سينمائي جيد (وليم نعمه) ، لقد عملنا نحن الثلاثة على اخراج هذا الفيلم ونستطيع ويستطيع اي ثلاثي اخر او رباعي ، ان يخرج حتى فيلما تسجيليا طويلا دون الحاجة الى زيادة طاقم العمل]

ان البحث عن مصادر تمويل خارج نطاق الثورة الفلسطينية ، يحمل الكثير من المخاطرة والمغامرة ، فاذا طلبنا مساعدة احدى الدول في انتاج الافلام فانها ستساعدنا لفيلم او فيلمين (هذا اذا حدث) ولكنها تتوقف عن مساعدتنا اذ تجد ان هذه الافلام التي تساعد في تمويلها تتعرض بشكل مباشر او غير مباشر لنظامها السياسي والاجتماعي وعلاقته بالقضية الفلسطينية او لعبة الحل السلمي . المطلوب ان نبحث مسالة التمويل بشكل دقيق ونجد الحل المناسب والمنطقي لها .

قاسم هول : مسائل التمويل تتخللها صعوبات كالتي ذكرها الاخ ابراهيم . بعض الدول تعطي مساعدات تبقى مشروطة وهذا غير وارد بالنسبة للسينما الفلسطينية الثورية . فهذه الدول تفرض ان لا يتعرض الفيلم لطبيعة النظام الاجتماعي ، او لسياستها ازاء القضية الفلسطينية . ازاء هذا الشح المالي الموجود ينبغي ان لا نكون طموحين اكثر من اللازم في توسيع الانتاج وتوزيعه وتعميمه. بل ينبغي ان نبدأ بداية بسيطة جدا وعملية ، اي ندخل من باب الفيلم الوثائقي البسيط التكاليف . ونأخذ بالاعتبار امكانات العرض بالداخل وامكانات التسويق بالخارج والعلاقات مع التجمعات السينمائية الثورية بالخارج ، يمكن ان نخلق نواة مادية يجري تطويرها ومضاعفة امكاناتها . فليس من الضروري ان نبدأ بمشاريع ضخمة تتطلب الكثير من الاجهزة والاموال . فالبداية الوثائقية البسيطة والتي لا تحتاج الى تجهيزات تقنية كبيرة يمكن ان تشكل الخطوة الاولى على الطريق .

مصطفى ابو علي : يمكن ان اضيف بعض الملاحظات الخاصة بالتمويل ، اولا يجب ان يكون هناك تمويل اساسي بحجم يكفي لانتاج بضعة افلام . اي فيلم ننتجه يمكن ان نطبع منه بضعة نسخ ، بوسعنا ان نبيع النسخة بما يزيد عن تكاليف هذه النسخة قليلا ، ومع تمتين علاقاتنا وصلاتنا بالتجمعات السينمائية الثورية يمكن ان يزيد عدد النسخ المباعة ، بحيث نتمكن من تمويض النفقات وثانيا ، على المستوى المحلي ، اقترح ان تجمع مقابل عرض الافلام محليا تبرعات او مبلغ رمزي من جماهير الفيلم ، فكما نصنع الثورة للجماهير فاننا نصنع ايضا سينما الجماهير ، الكثيرون يدفعون مقابل مشاهدة فيلم من هوليود يخدر وعيهم ، الجماهير مطالبة انترى نفسها وهي تخلق مستقبلها وتاريخها . من خلال هذين المصدرين يمكن تغطية نفقات الفيلم ونحصل على مبلغ اضافي يساعد على الاستمرار بانتاج افلام اخرى . وطبعا ، نحن نفترض سلفا اننا لن نصنع افلاما ذات تكلفة مرتفعة ، ونفترض انه ليس هناك كادر سينمائي متخصص جدا مرتفع التكاليف ، مقاييس الجودة الفنية يجب ان تخضع لواقعنا ، يجب ان نتجاوز عقد السينما العربية التي تضع معايير سينما هوليود التقنية والتي تحبط نتيجة الواقع المعاكس لكل هذه الطموحات غير الواقعية. لذلك ينبغي ان نأخذ بالدرجة الاولى واقع التخلف وواقع المعاناة والاهم من ذلك واقع النضال ، عند التفكير بانتاج شريط سينمائي .

الا يمكن الاستفادة من النوادي والمراكز الثقافية والاجتماعية في المخيمات ، في تنظيم عروض سينمائية توفر بعض الدخل للتجمع السينمائي ، والتعاون مع هذه المؤسسات الاجتماعية لتكون قاعاتها كمراكز سينمائية ايضا تعرض الافلام التي ينتجها التجمع مع الافلام التي يحصل عليها من تجمعات سينمائية عالمية اخرى ومن دول صديقة ؟

وليد شميط : هذا احد المصادر التمويلية التي يمكن ان يعتمد عليها التجمع ، وربما كان اهمها .

ابراهيم زاير : يمكن استخدام سيارة معدة بتجهيزات معينة لتتحرك بين المخيمات ، وان تجري عروضا سينمائية من خلال النوادي الاجتماعية القائمة والمدارس .

مصطفى ابو علي : لقد استخدم هذا الاسلوب جزئيا ولاقى نجاحا جيدا واحيانا كانت العروض تنظم في الهواء الطلق نظرا لضيق القاعات المتوافرة .

اريد ان انتقل الى مسالة اخرى لها حساسية خاصة ، وهي علاقة السينما العربية بالقضية الفلسطينية . اي كيف قدمت السينما العربية القضية الفلسطينية الى الجمهور وخاصة تلك الاشرطة التي ظهرت في السنوات الاخيرة مع اتساع فعالية المقاومة الفلسطينية ؟

وليد شميط : ما من شك ان عددا كبيرا من الافلام التي انتجت في عدد من الاقطار العربية ، قد لعبت دورا سلبيا جدا ونقلت صورة سطحية عن فعاليات الثورة الفلسطينية . وهذه الافلام لا تحتاج الى تقييم لسلبياتها فقط وانما وضعها ايضا في اطارها الطبيعي ، نظرا للدور الذي لعبته ، ونظرا لما يمكن ان تلعبه مثل هذه الافلام التجارية في المستقبل . لقد كان القسم الاعظم من هذه الافلام كاذبا وغير مخلص اولا ، ويستهدف الربح التجاري الرخيص ثانيا . وكانت غايات معظم المنتجين استغلال الثورة الفلسطينية وركوب مدها لتحقيق ارباح مادية ، وكانت النتائج سيئة جدا . ولا اريد ان اقول ان هذه الاشرطة السينمائية قد شوهت الثورة الفلسطينية ، انما نقلت صورة مغلوطة وكاريكاتورية عنها ، لم يكن لهذه الافلام اية خلفية سياسية سليمة ، لم تكن تتضمن اي تحليل سياسي واقعي . بل كانت غوغائية ، ومتجاهلة للواقع الثوري القائم .

ابراهيم زاير : بالاضافة الى ما اورده الاخ وليد ، يمكن القول ان هذه الافلام مرتبطة فكريا بالقوى المؤثرة في المجتمعات العربية والتي تهيمن على صناعة السينما . كل هذه الافلام عرضت بصورة علنية في البلاد العربية ، وبمعنى آخر ان الموافقة على مثل هذا النمط من الافلام كان لها دلالات سياسية . وان الافكار التي تتضمنها الاشرطة السينمائية لا تتعارض مع طبيعة الفهم السائد في هذا النظام ، او ذاك للثورة الفلسطينية . ولو كانت هناك انظمة ثورية حقا لما قبلت بعرض مثل هذه الافلام المشينة ، لما تحمل من تأثيرات سيئة على وعي الجماهير . فهذه الافلام كنسج الاوهام حول الفدائي وحول العدو ، وحول الانتصار والبطولة وهي الاوهام التي يريد الفكر البورجوازي ان ينشرها لغايات معينة . وهذا الفكر لا يريد اطلاقا ان يظهر الفدائي بصورة حقيقية وفعالة وبأسلوب ولغة سينمائية متقدمة تؤثر وتحرض الجماهير على الاندفاع للمشاركة بل ومن المتوقع ان مثل هذا الفهم لو عبر عنه شريط سينمائي ثوري ، لما سمح له اطلاقا بالعرض . انهم يريدون ان يقدموا الفدائي الذي يقتل العشرات ويدمر العديد من الآليات ، تماما كما تقدم سينما هوليود والسينما الراسمالية عموما البطل الفردي الخارق الطاقات. ونحن هنا يهمنا المتفرج العادي من شعبنا الذي خضع لسنوات لتأثيرات السينما التجارية ، والذي قدمت اليه مؤخرا القضية الفلسطينية بابتذال صارخ ، هذا المتفرج بحاجة الى افلام نقيضة لما عرف وشاهد من قبل . وهو بحاجة الى افلام تحفزه للعمل وليس لاخذ موقف « المتفرج » الذي ينتظر .

قاسم حول : اريد ان اقترح على ضوء فهمنا لطبيعة هذه الافلام التي تصدت بفهم رديء للقضية الفلسطينية ، ان يلعب التجمع السينمائي المنتظر مهمة اساسية وهامة في فضح هذه الافلام ودراستها والكتابة عنها وتوضيح خلفياتها للجماهير ، لا سيما وان هذا التجمع سيضم الكتاب والنقاد والمعنيين بقضايا السينما ايضا . ان هذه المهمة لم يوفها احد حقها وهي مطروحة على النقاد والكتاب التقدميين منذ الان .

وليد شميط : من الملاحظ ايضا ان هذه الافلام التي ظهرت في فترة معينة من عمر الثورة الفلسطينية ، والتي كانت موضع استغلال السينمائيين التقليديين والاكثر تخلفا في السينما العربية ، قد وجدت استجابة عند العديد من اطراف الثورة الفلسطينية. لقد منحوا هؤلاء السينمائيين فرصة استغلال القضية الفلسطينية ، فقد اعطتهم تسهيلات تمويلية ومنحتهم معدات وآليات ووضعت تحت تصرفهم مقاتلين ايضا . وهذا خطأ يجب تلافيه . وكما ذكر الاخ قاسم ينبغي دحض هذه الافلام وتعريتها ، اولا كي تتنبه الفصائل الفلسطينية الى خطورتها وترفضها وتوقف وضع اية تسهيلات امامها ،

وثانيا حتى لا تسقط الجماهير في حبال الاوهام التي يشيعها هذا النمط من الافلام . وعلى سبيل المثال شاهدت في بيروت فيلما سنجلا فعلا لا اذكر اسمه، فبعد عرض حوالي منتصف الفيلم يوقف العرض ويظهر على حلبة المسرح الممثلان الرئيسيان (شاب وفتاة) بثياب فدائية مموهة ، ويلقيان خطبا عصماء تظهر بوضوح انه ليس لهما علاقة — لا من قريب ولا من بعيد — بما تطرحه الثورة الفلسطينية . على اية حال ، لم نعد نشاهد في هذه الايام مثل هذه الاشرطة . الا انه من الضروري ان يكون للتجمع السينمائي دور اساسي في معالجة مثل هذه الظواهر . فكما هناك مركز للابحاث واخر للتخطيط فان هناك حاجة الى جهة مختصة بالسينما يكون لها حق تقرير صلاحية اي فيلم ينتج عن الثورة . فالتجمع السينمائي مثلا يدرس الفيلم من كافة النواحي ويقدم للثورة الفلسطينية وجهة نظره بصلاحيته او بالعكس . فمثلا ينبغي منع استغلال القضية الفلسطينية بافلام تجارية رخيصة ، فيما توضع كل التسهيلات الممكنة امام اي منتج يرغب في انتاج فيلم روائي يمتلك مقومات فنية وسياسية عالية .

مصطفى ابو علي : لا اعتقد ان من مهمات الثورة مراقبة الافلام او منعها . ولكن من الممكن اذا ما اساء اي فيلم لها ان تنقده وتفضحه . وهذا هو دورها . ومن مهماتها ايضا ان تنتج فيلما افضل منه او تساعد على انتاج افلام احسن نوعية . ولكن ان نقف رقباء على الافلام السيئة فهذه ليست من مهمات الثورة الفلسطينية .

وليد شميط : انا افهم الثورة عملية كاملة متعددة الادوار . وهي عادة تتعرض للعديد من المخاطر والمزالق . وانا لا اقول ان تقوم الثورة بدور الرقيب . ولكن اعتقد انه من واجبها ان تمنع استغلالها والعديد من الافلام التي تتحدث عن القضية تشكل استغلالا تجاريا مبتذلا للمقاومة والقضية . وقد علمت انه في فترة من الفترات قدم ما يزيد على مئة سيناريو في بضعة اشهر الى العديد من الفصائل الفلسطينية رفضت جميعها حتى بدون وجود الجهة السينمائية . لماذا ؟ لان هذه الافلام — وهي على الورق بعد — موضوعة لاغراض تجارية محضة ولا تمتلك اية مقومات سياسية وفنية مناسبة . لذلك ارى انه مثلما تطالب المقاومة بالحفاظ على كيانها وعلى صحتها من اي عدو ، فانها مطالبة بأن تنظر الى الفيلم الرديء على انه عدو لها . ومن واجب العمل الثوري ، ان لم يستطع ان يصيب من عدوه مقتلا ، فعلى الاقل ان يبعده عنه ولا يضع بين يديه فرص الاساءة اليه وضربه .

مصطفى ابو علي : ما زلت ارى انه اذا ما كان الفيلم تجاريا وحتى رديئا ، فليس من مهمة الثورة ان تمنع هذا الفيلم . هذه مهمة الجماهير بأن تقاطعه . مهمة الثورة هنا ان توضح ان الفيلم يسيء اليها .

قاسم حول : ارى ان المنع لا يكون بعد عرض الفيلم وانما منذ البداية ، اي من لحظة وضع السيناريو ، فالافلام التي انتجت سابقا حصلت على موافقة بعض المنظمات وقدمت اليها معونات بشرية ومادية . واستطيع ان اورد قائمة بهذه الافلام . ومن جهة اخرى هناك قرار من الجامعة العربية يقول بأنه قبل انتاج اي فيلم عن القضية الفلسطينية يحق لمنظمة التحرير الفلسطينية ان تطلع على السيناريو وان تتدخل لمنعه . وعلى ضوء هذا الحق يبقى ان تتحدد جهة الاختصاص في المنظمةوطرحنا فكرة التجمعهو اقتراح بهذا الصدد.

ابراهيم زاير : ان اهمية فكرة التجمع السينمائي الثوري ، في هذا المجال ، ستكون فعالة ، ذلك انها ستكون مخولة ان تنتج ، وحدها ، وبلا تحفظات ، افلاما جادة ونظيفة عن القضية الفلسطينية ، والذي يشجع في هذا الصدد ان هناك تأثيرا داخل منظمة التحرير الفلسطينية ضد الافلام التجارية الرخيصة المزمع انتاجها عن القضية الفلسطينية .

اقتصرنا حتى الان على تناول الجانب السلبي القائم بين السينما العربية والقضية الفلسطينية والثورة ، وقدم الاخوة اقتراحات لمعالجة هذه السلبيات ، هل يمكن تناول المسألة من جانبها الاخر وهو كيف يمكن للسينما الفلسطينية المرتبطة بالنضال الوطني الممثل في المقاومة ان تؤثر ايجابيا على السينما العربية مستقبلا ؟

وليد شميط: لسوء الحظ ان السينما العربية حملت بذور عجزها مع ولادتها ، رغم انها ما زالت فتية . والسينما اللبنانية مثال واضح . لقد كررنا مرارا ان ولادة السينما الفلسطينية مرهونة بولادتها كسينما نضالية ، وبحكم ظروف الثورة الفلسطينية

والشكل النضالي المسلح الذي يسمها ، فانه من الممكن رؤية علاقة السينما الفلسطينية بالسينما العربية بنفس القانون الذي نفهم فيه علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية . بحكم هذه الظروف فان السينما النضالية الفلسطينية مطالبة ان تكون طليعة للسينما الثورية في البلدان العربية ، اذا ما ولدت كحركة سينمائية نضالية حقيقية متصلة جدليا بالتطورات اليومية للقضية الفلسطينية . وانا اختصر هذا الدور الطليعي الذي يمكن ان تلعبه السينما الفلسطينية بالنقاط التالية : اولا : يمكن ان تطرح مضامين جدية ومن طبيعة مختلفة عما تطرحه السينما العربية التقليدية مما يؤثر في السينمائيين العرب الشباب . ويحول في مدى تاريخي بعيد نسبيا كل فيلم الى فعل سياسي واضح وعميق . وثانيا : من حيث الشكل ، فان السينما الفلسطينية مضطرة الى اعتماد الفيلم التسجيلي الذي يتعامل مع الواقع في البداية ، ثم ستعالج هذا الواقع بشكل سينمائي جديد مما سيعطي اثارا منتظرة في السينما العربية ، تعاكس الاتجاهات والتيارات التقليدية الموجودة الان . وطبعا لا نراهن على ان مثل هذا الدور سيعطي نتائج مباشرة وقريبة على السينما العربية .

قاسم حول : اريد ان انبه الى ان التركيز على النمط السائد من السينما العربية وهو النمط التقليدي لا ينبغي ان يحجب عنا ملاحظة المحاولات الشابة والجريئة التي تظهر في سينما هذا البلد او ذاك من وطننا العربي . ففي بعض الاحيان نلاحظ ان بعض السينمائيين الشبان والمتقدمين يتوصلون حتى عبر المؤسسات السينمائية الرسمية الى التماعات سينمائية هامة رغم بدايتها . مثل هؤلاء السينمائيين العرب ينبغي ان نوطد علاقاتنا بهم على طريق ترسيخ شكل جديد في السينما العربية وبديلا للنمط السائد المألوف .

ابراهيم زاير : حول هذه المسألة ينبغي ان يتركز اهتمامنا العملي لخلق نوع من التعاون مع هؤلاء الشباب الذين يشير اليهم قاسم ، على ان لا يخرج هذا التعاون عن النطاق الذي يخدم بشكل فعال ، وفي قالب فني اساسا ، المنطلقات والوقائع التي تعيشها الثورة الفلسطينية . ان الطليعة السياسية الصدامية يجب ان توظف الى جانبها كل الخبرات القادرة على فهم الظرف السياسي والاجتماعي ، الآني ، وافاقه الستراتيجية ، لا ان تعود لتتلقى دروسا في النضال العملي والتحليل النظري لمسائل بديهية . من هذه النقطة اشدد على ضرورة وجود فنيين سينمائيين يتفاعلون مع الثورة ويتعلمون منها ويقدمون للاخرين صوتها واسلوب عملها ، ينقدونه او يعرضونه ، بمعنى آخر ان يمارسوا دورهم الحقيقي كفنانين .

وليد شميط : يقول جودار كلمة مشهورة « لا يمكن صنع سينما ثورية في بلد غير ثوري » ، وهو يعني انه اذا كان المناخ الشائع هو مناخ برجوازي غير ثوري ، يستحيل على السينمائي حتى ولو كان ثوريا وملتزما ان يصنع فيلما ثوريا بالمعنى السليم. وهنا نلمس علاقة بين هذا المفهوم وبين تأثير السينما الفلسطينية على السينما في البلدان العربية . بمعنى انه اذا ما كان المناخ العام في السينما العربية هو مناخ تجاري ، واذا كانت طبيعة الفيلم الفلسطيني طبيعة نضالية ، فان الفيلم الفلسطيني سيؤثر خلال فترة معينة على هذا المناخ السائد .

اذا ما نجح التجمع السينمائي الفلسطيني في انتاج افلام من طبيعة متقدمة ، ستكون هذه بمثابة امثولة على نجاح تجربة سينمائية ثورية بعيدة عن الضغوطات الرسمية الكابتة ، فان هذا سيشجع السينمائيين العرب التقدميين بان يخطوا خطوة اخرى الى الامام على نفس الطريق . وهذا يستدعي مزيدا من العلاقات مع السينمائيين الشبان في البلدان العربية ، كما يستدعي ان يقدم التجمع السينمائي فرصا لهؤلاء السينمائيين بانتاج افلام حول القضية وحول قضايا الثورة العربية والجماهير العربية ، ما دام السينمائيون العرب يتعرضون لضغوط رسمية تمنعهم من تحقيق مثل هذه الافلام. واجد الان من المناسب ان اطرح السؤال التالي : هل تشارك السينما في صنع الثورة ؟ ما يدفعني الى مثل هذا السؤال هو تكرار الاخ وليد بان السينما لا تصنع ثورة ، لكن ما يحدث في مناطق اخرى من العالم (وعلى سبيل المثال امريكا اللاتينية) يجعلني اقول بعكس راي الاخ وليد ، فالسينما هناك تصنع الثورة مع غيرها من ادوات واشكال العمل النضالي الثوري ، السينما في عدد من بلدان العالم شأنها شأن النشرة الحزبية السياسية واكثر . وحضور عرض سينمائي سري لشريط ثوري مثل حضور اجتماع حزبي سري ، يتضمن عملية « تواطؤ » ضد النظام . وعلى سبيل المثال

ايضا كان العديد من الافلام التي تعرض تنتهي بمظاهرة وحتى باقامة متاريس كما حصل في مونتيفيديو . وقد تنبهت العديد من الحكومات الى خطورة هذه الافلام فوضعت مزيدا من القيود المشددة على العروض العلنية (الارجنتين والبرازيل) لذلك ارجو ان نناقش باختصار هذه النقطة .

وليد شميط : قلت من قبل انه قد قامت ثورات عديدة في العالم قبل ان تخلق السينما . فالسينما ليست من مقومات الثورة ، والسينما كفن وكوسيلة تعبير وكوسيلة اتصال يمكن ان تستعمل في الثورة، وبشكل عام كل الفنون لا تصنع الثورة ، فالانسان هو الذي يصنعها فقط . والثورة تستعمل السينما مثلها مثل اية عناصر اخرى ، تستعمل لاقناع الجماهير ولتحريض الناس ولنقل معلومات وللترفيه عنهم . ولكن ليس من المطلوب من السينما ان تصنع ثورة .

قاسم حول : السينما ببساطة انعكاس للواقع ، تأخذ الواقع ثم تشارك به وتدفعه وتؤثر به . واحيانا عندما يكون هناك واقع مهيىء ، ولكن غير متفجر ، فمن الممكن للسينما بحكم امكاناتها الصورية والسمعية ان تسهم في تفجير الحس الثوري عند الجماهير وتسهم في الثورة . وان لم يكن هناك اسبقيات حتى الآن .

مصطفى ابو علي : السينما وسيلة للتعبير الانساني كأي فن اخر ، وهي ايضا اذا استخدمت من وجهة نظر ثورية فهي سلاح بيد الثوار . والعكس صحيح . السينما كأداة قائمة ، جاءتنا من الغرب واستخدمت كغيرها من الادوات في الهجمة الثقافية الامبريالية على بلادنا ، فالسينما اذن سلاح يمكن ان تستخدمه الثورة كما يمكن ان تستخدمه الثورة المضادة .

بسبب كون السينما احدث الفنون المعروفة ، وبسبب كونها نتاج تطور صناعي وتقني في الغرب، فان دخول هذه الاداة الفنية التقنية الى عالمنا العربي شأن البلدان الفقيرة الاخرى كان مترافقا مع نماذج فنية معينة ومقاييس راكمتها صناعة السينما الراسمالية اساسا . وهذا يدفعني الى السؤال عن اللغة النموذجية التي يمكن ان تأخذ بها السينما الطليعية على ضوء تجربتنا الخاصة .

وليد شميط : هذا يقودني الى الشكل والمضمون في الفيلم الثوري . عموما السينما الثورية هي تلك التي تحمل مضمونا ثوريا في شكل ثوري . بمعنى ان الفيلم الذي يحمل مضمونا ثوريا ويكون تقليديا في شكله ، فهو ليس بالضرورة فيلما ثوريا . فاذن الفيلم الثوري يعمل بجناحين معا : الشكل يتضمن خلقا وابداعا في اللغة السينمائية ، ويكون المضمون من طبيعة ثورية بالطبع . ولكن هل نحن بحاجة حقا الى سينما ثورية ؟ انا لا ارى ذلك ، وهذا يعود الى اعتبارات موضوعية واعتبارات الحاجات المباشرة لسينما اليوم . ويمكن تلخيص الاعتبارات الموضوعية بأن المرحلة التي نعيشها ، بمعالمها الفكرية والفنية والحضارية والسياسية ، لا تؤهل السينمائي بأن يكون ثوريا في صناعته للشريط السينمائي . اي ان يكون طليعيا في الشكل والمضمون . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، ليس مطلوبا من السينمائيين العرب في هذه الظروف ان يقدموا اشكالا ثورية ، المطلوب بالحاح ان يقدموا سينما نضالية اي ثورية مضمونا بغض النظر عن شكلها ، على الرغم من ان المضمون احيانا كثيرة يفرض على السينمائي ان يبحث في مسالة الشكل ، هذا اذا كنا نتحدث عن سينما ثورية . وعلينا ان نلاحظ ان الفيلم حتى يكون مقبولا من حيث المضامين ، فانه من الشكل يجب ان يقدم بحثا وتحليلا جيدا . وفيه محاولة خلق في الشكل . ان الفيلم الذي يقدم مضمونا جيدا عبر شكل رديء يؤدي الى مفعول عكسي ، اي بدون فعالية ، ولا يصل الى الناس كما هو مطلوب ان لم يسيء الى المضمون . وهناك حالات يؤدي فيها الشكل الرديء لمحاولة طرح ثوري الى ضرر سياسي ، طبعا اضطررت الى هذا التقسيم (مضمون وشكل) لغايات النقاش ، وهذا التقسيم غير وارد بشكل جامد .

مصطفى ابو علي : اني افهم الفيلم الثوري كتعبير عن تجربة ثورية ، وفي ظروف كظروفنا ، التجربة الثورية هي تجربة الكفاح المسلح ، والفيلم هنا يتجه اساسا الى الجماهير المعنية بالقضية وبالكفاح المسلح . هذه الجماهير ، كي نخاطبها عبر فيلم سينمائي ، يجب ان تكون لدينا لغة مفهومة ، بمعنى ان اساليب المخاطبة التي تستخدمها سينما « هوليود » قد لا تصلح دائما لمخاطبة جماهيرنا في المخيمات ومقاتلينا في قواعدهم ، نحن نريد ان نتحدث اليهم عن تجربة ثورية وعن مضامين ثورية

وعن واقع تطوره ثوريا وعن مشاكله . هذا المضمون الثوري من الصعب وضعه في الشكل السينمائي الذي تعارفنا اصطلاحا على تسميته « بسينما هوليود » . من هنا يجب ان نبحث عن شكل مناسب لهذا الواقع الثوري الذي يجري خلقه . ومن هنا لا اتفق مع التقسيم الذي يقول : هناك شكل جيد وهناك شكل سيء . هناك شكل يتفق مع الواقع والمضمون الذي نتعامل معه او شكل لا يتفق معه . اذا استسلمنا للتقسيم السابق : شكل جيد ، شكل سيء ، اخشى ان نقع في تقييمات خارجية وجاهزة . المشكلة هي البحث عن هوية سينمائية تتناسب مع واقعنا الثوري . نحن ما زلنا في بداية الطريق للبحث عن هوية للسينما الفلسطينية . ولا يكفي ان نردد انه لا يجوز ان نضع المضامين الجديدة في قوالب جاهزة . يجب ان نبحث عن شكل جديد يتوافق مع المضامين الجديدة ويتوافق مع طبيعة جماهيرنا البسيطة ، بحيث يستطيع الشكل ان يقدم هذه المضامين بسهولة ويسر ولا يكون عقبة في طريقها . ويمكننا ان نورد امثلة عديدة لاشكالات ناتجة عن الغربة بين الشكل والمضمون وبين الجماهير .

قاسم حول : انا افهم الشكل الثوري ، هو فهم سينمائي ثوري ، بمعنى ان الفنان عندما يتناول قضية من قضايا الثورة يهمه بالدرجة الاولى ، ان يوصل قضيته الى الجمهور بشكل سهل ، ولا يرغب في التعقيد في مثل هذا الاتصال . وهو من البداية مهما لان يقدم العمل السينمائي بشكل واضح ومفهوم . اما البحث عن الوسائل التعبيرية واسلوبية العمل السينمائي ، فهي تدخل ضمن القناعات الشخصية ، فأي فنان عنده رؤية واضحة للقضية الثورية التي يطرحها ، فهو ان اختار اي شكل سينمائي سيصل الى الجمهور .

ابراهيم زاير : اريد فيما يخص مسألة الشكل والمضمون ان اطرح مثالا بسيطا ، فنحن نعرف نجيب محفوظ وكتاباته وتأثيراته على التيار الثقافي وعلى جيل كامل من الجماهير القارئة . مع ذلك فاننا حتى الان لم نجد فيلما واحدا تعرض لرواية من رواياته واستطاع ان يوصل نسبة عشرة بالمئة من مضامين عمل من اعماله . ان المضمون يتحكم ، كاساس ، بالشكل الذي يخرج به ، لكن الحاصل ان فوضى العمل السينمائي لا تسمح لاي منطق ان يتحكم بها سوى الاعتبارات الآنية غير الاصيلة ، وفي هذا المجال فان مهمة النقد هي الكشف ، بموضوعية ، عن النقاط الاساسية التي يريد اي فيلم التدليل عليها ، بطرق مختلفة ، ثم اتخاذ موقف ، هو تحريضي بشكل ما ، ازاء الفيلم المعروض ، بمعنى اخر ، ينبغي ان يكون هناك نقد ثوري جذري لا تتحكم به اعتبارات غير اصيلة هي نفس الاعتبارات التي لا ينبغي ان تتحكم بالفيلم .

وليد شميط : نلاحظ بهذا الصدد اننا في ثقافتنا بشكل عام ما زلنا خاضعين لانماط معينة من التأثيرات الايديولوجية ـ البرجوازية بفعل خضوعنا لفترة طويلة من الاستعمار الغربي . هذه التأثيرات نلمسها في فهمنا للعمل الفني وفي التقييمات النقدية ، فنلاحظ مثلا ان جمهورنا في لبنان وهو البلد الآسيوي ، لا يستسيغ الفيلم الياباني مثلما يستسيغ الفيلم الامريكي او الفرنسي . مع انه من المفروض ان يكون الفيلم الياباني اقرب الينا من اي فيلم غربي عموما . والنقد ايضا ما زال متأثرا بمقاييس الثقافة الغربية ، اكثر مما يأخذ بمعايير تنطلق من واقعنا .

عندما تحدثت عن السينما النضالية ، تحدثت عن نوع معين من السينما التي توظف لاهداف محددة . فمثلا في فيلم « زد » او « الاعتراف » غاية كوستا غافرس من الفيلم هي التي فرضت عليه الشكل السينمائي ، وليست القضية او موضوع الفيلم هو الذي فرض ان يأخذ هذا الشكل الجماهيري العام. الغاية تحدد اي جمهور يريد السينمائي ان يصل. وكوستا غافرس اراد في فيلمي «زد» و «الاعتراف» ان يصل الى اكبر جمهور ممكن في العالم . وقد استطاع ان يصل الى هذا الجمهور بهذا الشكل ، لماذا ؟ لانه خضع لتنازلات ، قبلها الجمهور ، اي لجأ الى الشكل التقليدي في السينما الذي اعتاده الجمهور . بينما لو اراد كوستا غافرس ان يصنع فيلما نضاليا فعلا لاستخدم شكلا اخر من السينما ، اي التي تعتمد على التحليل العلمي السياسي العميق .

مصطفى ابو علي : يخشى في محاولة تطوير السينما النضالية ، ان يحكم عليه بمقاييس السينما الرأسمالية . اي واحد منا بامكانه ان يصنع فيلما بامكاناته المحدودة ، التي يمكن ان تقارن بامكانات المقاتل الفلسطيني الذي يحمل البندقية الصينية والكلاشينكوف امام آلة الحرب الاسرائيلية . فكما

لا يمكن مقارنة سلاح المقاتل الفيتنامي بادوات الحرب الامريكية ، فان السينما النضالية تستخدم ادوات بسيطة لا يمكن مقارنتها بتجهيزات السينما الراسمالية الضخمة . لذلك لا يمكن الحكم على هذه السينما بنفس المقاييس الجاهزة . ان تجارب السينما النضالية في بلادنا ما تزال محدودة ولم تصل بعد الى جماهيرنا ولا احدثت تأثيراتها بعد ، لذلك فان الكثير من الاحكام وخاصة من قبل المثقفين تعتمد على تجربتهم مع السينما الوافدة من الغرب. بالنسبة للناقد ايضا،فان النقد يكون تجليا للخلفيات الثقافية والطبقية ، وهي التي تعبر عن نمط من الفهم ونمط من الممارسة والعمل .

ابراهيم زاير : ان وعي الانسان البدائي لا ينبغي ان يتحكم في تنفيذ فيلم (والسينما فن معقد يعتمد على الايحاء البصري بالدرجة الاولى) لكن لا بد من التحكم بذلك الوعي بفهمه ومعرفة سبل التاثير عليه وتوجيهه وتطويره . ان جماهيرنا لا تعرف ما هي « السينما » حتى الان واستخدامنا للسينما في التوعية الجماهية وفي التحريض يفرض علينا ان نعرف كيف نستخدم هذا السلاح في العمل السياسي ــ الفني .

قاسم حول : هناك ملاحظة حول عرض الافلام وامكانات المخرج السينمائي ، ففي السينما في فيتنام الجنوبية والتابعة لجبهة التحرير ، بعد ان تجري عملية تحميض الافلام ، لا تجري عمليات المونتاج النهائية على الفيلم ، انهم يرسلونه الى المقاتلين اولا ، ليروا العمل الذي قاموا به ، وتعرض هذه الافلام بدون صوت ودون ان تجري عليها عمليات المونتاج ، بعد ان يشاهدوها ، يذهب بهذه الافلام فريق سينمائي ــ وهو ايضا من المقاتلين ــ الى القرى المجاورة وتعرض على السكان وتجري حولها مناقشات لاستكشاف مدى تاثيرها على الجمهور. اي يجري نوع من الدراسة الميدانية والمباشرة لمدى تاثير عملهم السينمائي وهل استطاعوا ان يوصلوا الفكرة التي يريدونها الى الجمهور ام لا وذلك للاستفادة منها في تجارب اخرى . بعد ذلك تجري العمليات التقنية الاخرى مثل الصوت والمؤثرات وتجري عملية المونتاج وترفق المناقشات بالفيلم . من هذه التجربة يمكن ان نستفيد نحن ايضا ، لا سيما ان السينما الثورية هي جديدة على ابناء المخيمات ، فيمكن ان يكون عرض الافلام قبل ان تاخذ شكلها النهائي كجزء من حملة ثقافية تشمل المحاضرات والكتابات حول اهمية السينما ، هذه يمكن ان تسهم في تنمية الحس السينمائي لدى ابناء المخيمات .

اعتقد انه من الضروري ان نتحدث في ختام هذه الندوة عن الفريق السينمائي الثوري . اي ما هي مميزات هذا الفريق عن الطاقم السينمائي التقليدي، وكيف يمارس عمله ؟

وليد شميط : اي تجمع سينمائي ينبغي ان يضم اشخاصا قادرين على انتاج الافلام ، واخرين قادرين على كتابة هذه الافلام ، واخرين قادرين على تصويرها وتمثيلها اذا اقتضى الامر ، تركيبها واخراجها ، كتابة تعليقاتها ، عرضها ، توزيعها ، وتنشيط العروض السينمائية . بمعنى ان طبيعة الفريق المنتج متناسقة وشاملة ، بحيث ان فريقا من خمسة عشر شخصا او عشرين شخصا يستطيع ان يكتب السيناريو ، ويصور ، ويطبع ، ويعمل المونتاج ، ويقوم بكافة الاعباء التقنية في الفيلم . اي ان الفريق ينبغي ان يتالف من عناصر قادرة على تلبية هذه العمليات الانتاجية بنفسها . فمثلا بالنسبة لمجموعة من السينمائيين البرازيليين التقدميين قاموا بتجميع انفسهم (مخرجين ، مصورين ، مساعدين ، نقاد ، ممولين .. الخ) وبدأوا بانتاج افلام بصورة مشتركة،فقد قام ثلاثة او اربعة مخرجين كمساعدين لمخرج رئيسي ، والمخرج الرئيسي في هذا الفيلم قام بدور مساعد المخرج في فيلم آخر او كتب السيناريو ، او قام بالتصوير ، بمعنى ان التناسق والتعاون كان قائما وكانت الحصيلة جملة من الافلام التي انتجوها بانفسهم. واخيرا قاموا بتاسيس شركة لتوزيع الافلام ، وخلقوا طريقة جديدة للعرض في البرازيل ، لقد وجدوا ان دور العرض قليلة جدا في البلاد ، كما وجدوا ان امكانيات فتح دور عرض جديدة بشاشات عريضة او ٣٥ ملم هي مستحيلة ، فأوجدوا دورا للعرض لافلام ١٦ ملم ، وجهزوا آلات عرض ١٦ ملم وعملوا قوافل سينمائية متحركة، فالسينمائيون ينقلون افلامهم بانفسهم الى كافة مناطق البلاد ويعرضونها على السكان وعلى الريفيين الذين قلما شاهدوا فيلما سينمائيا. هذه التجمعات والمحاولات تحصل في اماكن متعددة من العالم . ففي السنغال ايضا ، التي تفتقر لعدد كبير من صالات العرض ، هناك مجموعة صغيرة من الشباب المتعاونين والمتفاهمين فكريا وسياسيا ، تنتج افلامها وتوزعها

وتعرضها على السكان بنفسها ودون اللجوء الى صالات العرض التجارية . اي ان التجمع السينمائي الفلسطيني مطالب بأن يتعلم من تجارب الاخرين وان يأخذ بعين الاعتبار الامكانات المتواضعة لديه وان يأخذ بخط الاعتماد على الذات في كافة مراحل انتاج الفيلم .

مصطفى ابو علي : ارغب في ان اضيف بعض النقاط . نحن نعرف ان الفريق السينمائي التقليدي يتميز بوجود تخصص صارم في عمله ، فكاتب السيناريو هو المسؤول عنه ولا احد يتدخل في عمله ، المخرج هو صاحب السلطة المطلقة . المصور يقوم فقط بعمليات التصوير ، المونتير يقوم بالمونتاج ، وهناك ايضا المساعدون والفنيون الاخرون . هذا الطاقم السينمائي يتكون من اثني عشر شخصا على الاقل . بينما الفريق الثوري يختلف عن الفريق التقليدي بالضرورة لاختلاف طبيعة العمل الثوري نفسه ، فلا وجود لكاتب السيناريو المتخصص ، ولا وجود للمخرج المتخصص ، وكذلك الحال بالنسبة للمصور المتخصص وهكذا . لماذا يلغى التخصص الصارم في الفريق الثوري ؟ لان الفريق معرض لان يفقد احد اعضائه اثناء العمل الثوري نفسه ، وبالتالي يتهدد العمل السينمائي بالتأخير او التوقف ، اذا لم يقم آخر بعمله . لذلك لا بد للتخصص ان يلغي وان يتقن الجميع كافة الاعمال الفنية وان يقوموا بأعمال بعضهم بعضا اذا ما غاب او اعتقل او فقد احد عناصر الفريق . بالنسبة للفريق السينمائي الثوري ليس بالضرورة ان يكون عدده كالطاقم السينمائي التقليدي ، ربما يكون اثنان او ثلاثة او اربعة في افضل الحالات قادرين على تحقيق العمل ، فطبيعة العمل نفسه تفترض ان يكون الفريق صغيرا ، مثلا حتى تصور عملية عسكرية يكفي واحد او اثنين ، وهنا حتى تستطيع ان تصنع سينما غوارية ، فالفريق السينمائي كالفريق الغواري ينبغي ان يكون صغيرا .

وهناك اختلافات اخرى : الفريق التقليدي بعد ان ينتج الفيلم يسلمه للموزع ولا تعود له علاقة به بعد الانتاج . الفريق الثوري يختلف بأنه قادر على القيام بكل العمليات المتصلة بانتاج الفيلم وعرضه والترويج له ، وايضا مطالب بأن يناقش الفيلم مع جمهوره وان يرى الى اي مدى نجح الفيلم في الوصول اليهم . وربما اتهم بالتطرف اذا قلت انه ليس هناك حاجة للتخصص على الاطلاق يكفي في افراد الفريق السينمائي الثوري ان يمتلكوا وعيا سياسيا وقليلا من التدريب على الالات واستعمالاتها . ليس من حاجة الى الدراسة في المعاهد او الحصول على شهادة .

قاسم حول : في مهرجان لايبزج الاخير تحدثت الى شبان في جبهة التحرير في الفيتنام ، وقالوا لي انه يجري تدريب المقاتلين على التصوير السينمائي الى جانب التدريب العسكري ، حيث يقومون بتصوير لقطات حية للمعارك او للعمليات التي يقومون بها . وهناك تجربة اخرى في كوبا يمكن ان تفيد في تحديد طبيعة الفريق السينمائي الثوري والاستفادة منها ، اذ قام فريق سينمائي كوبي بتجربة ناجحة ، اذ بعد عرض الفيلم يجمع نماذج من المجتمع (عامل ، فلاح ، طالب ، طفل ..الخ) تدور بينهم مناقشة وتصور « صوت وصورة » ثم يجري عمل مونتاج للفيلم وللمناقشة وتعرض معا .

وليد شميط : الفريق السينمائي الذي تحدث عنه الاخ مصطفى ، يقتصر على ناحية واحدة وهي مرافقة المقاتلين في العمليات القتالية ، ولكن السينمائيين العاملين في اي تجمع سينمائي لا يقتصروا على هذا النوع من العمليات . يمكن ان يكون هناك شخص او اثنان مرافقين للثوار لتسجيل العمليات . لكن التجمع يتضمن حاجات اخرى ، هناك افلام تحتاج الى حد معين من التخصص ، فليس كل فرد في الفريق قادرا على ان يخرج فيلما ، اذ لكل منهم طبيعة عمل معين ، الاختصاص ليس ضرورة قصوى ، لكنه ضروري لمصلحة العمل في حدوده الدنيا ، وهذا لا يلغي الحاجة الى تبادل الاختصاصات بين افراد الفريق. اي لا يمكن ان يقتصر عمل الفريق على نمط معين من الاعمال ، كتصوير العمليات العسكرية ، فهذه واحدة من جملة من التوجهات التي تفترض مستوى معينا من الاختصاصات .

مصطفى ابو علي : انا لم احدد عمل الفريق بتصوير العمليات القتالية، لكن ما اريد ان اوضحه هو ان الفريق السينمائي الذي يصور عملية ، ليس هو المصور المتخصص ، انه هو نفسه الذي يقوم بعمل سينمائي بين الجماهير ، ففي الفريق السينمائي ليس هناك فرد متخصص في التفكير وآخر في التنفيذ ، عندئذ يفقد الفريق صفته الثورية .

(٢) الجلسة الثانية : القضية الفلسطينية والسينما العربية

كيف قدمت السينما العربية القضية الفلسطينية من واقع تجربتكم ومتابعتكم الشخصية لها ؟

كريستيان غازي : طرحت السينما العربية القضية الفلسطينية اساسا عبر خطين : التجاري ، والوثائقي الذي نقل بعض الجوانب من القضية فوتوغرافيا وبدون منهجية محددة ، وذلك كما فعلت العديد من المؤسسات السينمائية التي ترغب فقط في نقل صورة تحرك العواطف السطحية بدون ان تقدم مادة الفيلم في اطار سياسي واضح . ولست انوي ان اتناول السينما التجارية لانها بنظري مرفوضة اصلا ، فهي قائمة على استغلال عاطفة الجماهير وعفويتها. لهذا سأتناول السينما الجديدة فقط ، وهي التي تحاول ان تعالج القضية الفلسطينية من منظار محدد . اني ارى في هذه السينما الجديدة طبيعة مزدوجة . انها السينما الروائية التي تأخذ بذات الوقت شكلا تسجيليا ، وهناك ايضا السينما التي تعتمد الخط التسجيلي الذي ينطلق من ذهنية ومن خلفية فكرية متقدمة . وبصدد السينما الروائية ــ التسجيلية ، كنت اول من قدم هذا النمط من الافلام ، ففي عام ١٩٦٧ اخرجت فيلما عن القضية معتمدا على اقتباس روائي من برخت ، وكان يحمل اسم «الفدائيون» ، ورغم اني عالجت الجانب الوطني وتناولت ضرورة التحام الجماهير العربية بالمقاومة ضد الاحتلال ، اي اعتمادا على تحريك الحس الوطني بشكل مباشر، ولم يطرح الفيلم اية مدلولات طبقية واضحة فانه قد منع في معظم البلدان العربية ، ولم تقبله سوى سوريه واليمن الديمقراطية .

بعد ذلك ، ومع تطور مفاهيم المقاومة والكفاح ضد الصهيونية والامبريالية ، تطرقت في تجربتي الثانية الى مشاكل داخلية تمس بنية المجتمع العربي نفسه . لقد كان طموحي ان انطلق من الخلفية التاريخية للقضية انتهاء بالواقع ، غير ان الامكانات المادية والضغوطات الرقابية لم تسمح لي بالتطرق للمشكلة على هذا النحو . لذلك اقتصرت تجربتي الثانية على جانب واحد هو الواقع الراهن ، اي تناول المجتمع العربي الذي تهيمن عليه ايديولوجية الاستهلاك وبشكله المتخلف ، وليس بشكله النامي كما في البلدان المصنعة . كما تناولت التناقضات داخل الوضع الفلسطيني ، اي بين التيارات السائدة والطموحات التي تطرح مشروعا جديدا لبناء الثورة الفلسطينية ، ومسالة قدرة هذه الطموحات على الترجمة الى ممارسة . لذلك رفضت ان العب اللعبة التجارية التي تضع النصر جاهزا على طبق امام الجماهير ، اي تكريس الاوهام والتعامي عن الواقع .

ان هدفي من هذا النمط من المعالجة السينمائية للوضع العربي الداخلي ان اتوصل الى صيغ من الممارسة التي تترجم التحليل بالعمل . وحاولت ان اعبر ان هذه الممارسة لا تنبت بشكلها السليم والواضح الا بين الطبقات المسحوقة في عالمنا العربي ، التي تسند النضال الفلسطيني وتمده بمزيد من الطاقات القادرة على التصدي للقتال . ان المسالة التي شغلتني باستمرار ، وما تزال تشغلني ، هو ان اجد الصيغة السينمائية الجديدة والملائمة لهذا النمط من العمل .

فيصل ياسري : لا نزيد عن تكرار بدهية ، عندما نقول ان القضية الفلسطينية تشغل الحيز الاساسي من اهتمام الجماهير . وبعيد حرب ١٩٦٧ غدت القضية الفلسطينية بتطوراتها المختلفة قضية آنية وملحة عند كل الجماهير ، ولكونها الشاغل الاساسي للجماهير منذ ذلك الحين ، فانه من المتوقع جدا ان يلجأ المنتج التاجر الى استغلال القضية للربح. انها غدت بنظر هذا المنتج البضاعة الرائجة التي ينطبق عليها الشعار السينمائي التقليدي « هكذا تريد الجماهير » ، ان هذا النمط من المنتجين يهتم بقوانين السوق ويتعامل وفقها ، انه يلبي حاجات السوق مثل الجنس او العنف او العواطف المصبوغة بالمواقف الدرامية ذات الاطار الاجتماعي المبتذل والمزيف . هكذا فهم المنتجون اتجاهات السوق الرائجة ، وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ وبروز المقاومة ، كان السباق على اشده ، كل منتج يريد ان يسبق الاخرين في طرح فيلم جديد عن القضية ، وكان هؤلاء المنتجون يدركون ان انتاجهم سيىء ، مع ذلك كانوا متعجلين لانتاج المزيد قبل ان يكتشف الجمهور فسادها، او لادراكهم ان الجماهير يمكن ان تتقبل هذه الافلام لحماستها وحبها للنضال المسلح . وهكذا كانت دفعة الافلام الاولى التي تصدت للقضية من أسوأ الافلام واكثرها تزويرا وبنفس الوقت كانت أنجحها تجاريا.

لم يطل الامر بالجماهير ان اكتشفت ان هذه الافلام لا تمس القضية الفلسطينية، وانما هي استعراضات لمغامرات « كاوبوي » عربي ، او نسخ سيئة عن مغامرات العسكرية الامريكية في كوريا وغيرها وان طرحت باطار عربي مزيف . لقد كان هناك فارق واحد بين هذه النسخ العربية والاصل الامريكي والطلياني ، وهو ان النسخ العربية كانت تفتقد الى اية براعة في التصوير او الاخراج او التمثيل. لهذا من المتوقع جدا ، من المنتج — الذي يشكل الربح مبرر دخوله الميدان السينمائي — ان يلجأ الى انتاج افلام تتصدى للبضاعة الرائجة في السوق ، وقد كانت الافلام التي تتناول القضية الفلسطينية لفترة من الزمن مجرد سلع ، وهكذا شهدنا هذا الفيض من الافلام التي تناوب عليها المنتجون بين لبنان وسوريا .

على ان هذا الواقع لا ينفي وجود محاولات جدية وواعية لطرح القضية الفلسطينية ، هذه المحاولات عانت وما تزال من غياب البرمجة الاعلامية والوضوح في المعالجة ، والتي تنعكس على الافلام الملتزمة بالقضية والتي تتصدى لها بجدية ، لذلك أرى ان هناك عددا من المداخل لمعالجة القضية الفلسطينية سينمائيا . وهذا يعتمد على توجهاتنا للمخاطبة السينمائية ، فمن الممكن ان ننتج فيلما للمشاهد العربي وآخر لغير العربي. وهناك امكانية لصنع فيلم يشاهده الجميع، اضافة الى هذا كله نلاحظ الحاجة الى الفيلم التلفزيوني الذي يخاطب الاسرائيلي بالذات ، فمن المؤسف ان لا يكون بوسعنا ان ننفذ الى قلب المجتمع الاسرائيلي ونحاربه في مكمنه بواسطة الافلام التسجيلية والوثائقية التي تفضح الادعاءات الاسرائيلية عبر التلفزيونات العربية المجاورة ، لكن شيئا من هذا لم يحصل . واخيرا اسجل ان الفيلم الوثائقي القصير كان ابرز المحاولات السينمائية الجادة .

قيس الزبيدي : سأحاول ان اضيف الى ما أورده كريستيان وفيصل بعض الملاحظات ، اذ ان مسألة انصراف الفيلم العربي عن المواضيع التقليدية التي كان يعالجها دائما ، الى القضية الفلسطينية كان دافعها هو شباك التذاكر ايضا . كذلك هناك ظاهرة اخرى يمكن رصدها اذ بالاضافة الى تحول المنتج التقليدي الى هذا الاتجاه ، فقد استدعت حاجات السوق دخول منتجين تجار جدد ، وبشكل خاص في سوريه ولبنان . وهذا يمكن ان يفسر الرداءة في النوعية ، ان خبرة هؤلاء في المعالجة السينمائية — اذا سلمنا بوجودها — لم تستمد من الواقع الفلسطيني ، والصراع الدائر على ارض الواقع ، وانما استمدت من مشاهدة الافلام الامريكية و« الوسترن » الايطالي التي استعيرت بأسوأ شكل والصقت على المواضيع الفلسطينية . كما اننا لا يمكن عزل السمة الاساسية التي ميزت الفيلم العربي في تناوله لمواضيع فلسطينية عن طبيعة هذا الفيلم تاريخيا ، وهي الطبيعة الناشئة عن صلة السينما العربية بشباك التذاكر وليس بالواقع . ان شباك التذاكر هو القانون المحرك للسينما ، وهو الذي يحدد نوعيتها . وقد حافظ الفيلم العربي على هذا القانون وعلى هذه التقاليد حتى في تناوله لقضية مقدسة عند الجماهير وعند المتعاملين بالفن وهي قضية فلسطين .

في مجال السينما الروائية جرت محاولات غير مبرمجة ، وبشكل خاص في سورية ، وربما كانت المؤسسة العامة للسينما في سوريه لعدد من الاعتبارات ، اكثر المؤسسات انتباها لانتاج افلام متصلة بالقضية الفلسطينية . وكانت اول محاولة جادة في هذا النطاق، فيلم « رجال تحت الشمس » ويمكن تقييم هذا الفيلم بأشكال عديدة ، بيد ان القيمة الاساسية للفيلم انه اهم الافلام تناولا للقضية الفلسطينية بطموح فني وسياسي . هناك محاولات اخرى اعتمدت على اعمال روائية وقصصية مثل فيلم « السكين » لخالد حمادة ، و« المخدوعون » لتوفيق صالح .. الخ هذه المحاولات رغم كل التقييمات الصارمة التي تمت وسوف تتم ، تبقى الاكثر جدية في معالجة القضية الفلسطينية من هذا الجانب او ذاك .

لكن في رايي ان الفرصة الذهبية للقضية الفلسطينية كانت وما تزال في الفيلم الوثائقي وليس في الفيلم الروائي ، وذلك على مختلف المستويات السياسية والنضالية والاعلامية ، اذ ان الفيلم الروائي ، حتى في حالاته الجيدة ، يبقى أسير تقاليد درامية يمكن ان لا تكون في هذه المرحلة كافية لطرح القضية بالمستوى المطلوب . من هنا ارى ان محاولة كريستيان غازي مهمة ، بالرغم من قصورها ، الذي يعود الى الاوضاع التي واكبت انتاجه ، وهي محاولة مهمة لانه ابتعد عن الاطار السينمائي الدرامي القاصر ، وحاول ان يجد

صيغة في المزج بين الاساليب التسجيلية وشبه التسجيلية ، والتسجيلية الممثلة . مع ان الربط يبدو عفويا وغير معتمد على قصة يتعرف عليها المتفرج ، كأي قصة اخرى ذات بناء درامي (بداية — وسط — نهاية) تتعرض لمشكلة تشد المتفرج وفي النهاية تنحل سلبا او ايجابا . حتى هذه المحاولة الجادة تميل اكثر في رأيي الشخصي الى الوثائقية والتسجيلية . ومن هنا ارى ان الفرصة الذهبية امام القضية الفلسطينية سياسيا واعلاميا هي في الفيلم الوثائقي . وفي هذا القبيل ظهرت مبادرات فردية جادة من قبل سينمائيين عرب عديدين للاهتمام بالواقع الفلسطيني عن طريق تسجيله واعطاء الوثيقة فرصة الانتشار ونقلها الى الرأي العام العربي والعالم . وعلى عاتق السينما فرصة كسر الحصار عن القضية ورفع الضغوط عنها . فالسينما كوسيلة حضارية فعالة وديناميكية لنقل المادة الاعلامية الى الرأي العام العالمي ، تستطيع بحكم طبيعتها الحركية وبوصفها ذات لغة عالمية شرح حقائق القضية الفلسطينية بأبسط الطرق وأكثرها قدرة على التأثير. عوضا عن ذلك فان الفيلم الوثائقي كمتنفس اساسي للقضية في هذه المرحلة يخلق تقاليد انتاج للسينما الروائية على المدى الطويل ، وعند ذلك يمكن معالجة القضية الفلسطينية بالفيلم الروائي . ان الفيلم الوثائقي الذي يعرض بسهولة اينما كان ، يكتسب صفة موضوعية ، فيما الفيلم الروائي ينقل وجهة نظر ، ويعكس واقعا مركبا ومقولبا وتتشكل فيه الحقيقة كما يراها الطاقم السينمائي وخاصة المخرج . وهنا ثمة احتمالات في ان تشوه الحقيقة عند السينمائي ، اذ يمكن ان يكذب ، ويمكن ان يكون مندفعا او متحمسا ويصور الاشياء من خلال حماسته ، كما يمكن ان تكون خبرة السينمائي ناقصة رغم كل الرغبات المخلصة لقول الحقيقة . النتيجة هي ان الفيلم الروائي يخرج قاصرا . اما في الفيلم التسجيلي فهناك وجهتا نظر : وجهه نظر الطاقم السينمائي ووجهة نظر الواقع كما تقدمه الصورة . وعندي مثال لفيلم وثائقي اخرجه فيصل ياسري ، وهو « نحن بخير » فقد اخذ فيصل عنصرين اساسيين لتركيب الفيلم ، الاول صوتي معتمد على مادة اذاعية مقدمة من اذاعة اسرائيل بالعربية وهو يتضمن رسائل المواطنين الى ذويهم وفيه يؤكد مرسلو الرسائل الصوتية على انهم بخير ، والثاني عنصر بصري استمد مادته مما سجلته وكالات الانباء الاجنبية وبخاصة الامريكية والبريطانية من اشرطة سينمائية عن الاحتلال وظروف معيشة المواطنين .. الخ ، لقد كان موقف المخرج هو الجمع بين عنصرين يقدمان مادتين متناقضتين ، وبمجرد هذا الجمع بين العنصرين يقود الى حقيقة لا يشوبها الشك ، لقد تحول الفيلم الى وثيقة اعلامية دامغة ضد الاحتلال .

عمر اميرالاي : لا استطيع ان اتحدث عن معالجة السينما العربية للقضية الفلسطينية انطلاقا من النتائج دون ان اضع جملة هذا الانتاج السينمائي في الجو العام . اذ ان العودة باختصار الى الظروف التي عاشتها القضية الفلسطينية وانطلاق المقاومة الفلسطينية تقدم صورة عن النوعية والمضامين التي حملها الفيلم الذي تصدى للقضية ، ان حزيران وهزيمة الانظمة العربية وظهور المقاومة قدمت الى الحركة الثقافية والفنية موضوعا جاهزا ، كما كان الجو العام يقدم ضمانات استثنائية بأن يلقى اي انتاج فني صدى بين الجماهير سواء كان بوجهه الجاد ام بوجهه التجاري . اي بكلمة اخرى كانت الضمانة الجماهيرية متوفرة ، وقد كان طبيعيا ان تتصدى المحاولات الجادة للتفاعل مع الاحداث وخاصة مع نتائج حرب ١٩٦٧ ، وبنفس الوقت كان الميدان مفتوحا للمتكسبين والتجار . وانطلاقا من واقع نشوء المقاومة ومن وضع الجماهير امام انظمتها، اندفعت العديد من القوى المهزومة الى المراهنة على المقاومة — التي افسحت لها المجال لذلك — واخذت تبالغ في اعطاء المقاومة حجمها ومنحتها تسهيلات غير طبيعية وقد التقت هذه القوى وهذه الاتجاهات مع المنتجين التجار على المستوى السينمائي في دفع صورة « السوبر كوماندوز » الى الشاشة ، الذي غدا — بقبول المقاومة وبتشجيعها احيانا — البضاعة الرائجة في فترة ما بعد حزيران لوجود الضمانة الجماهيرية التي تعبر عن التفاف الجماهير حول هذا النهج من النضال .

لا ارغب في الاستطراد بالحديث عن الفيلم التجاري، لخلوه من اية مسؤولية فكرية ، ولكونه سلعة تتكيف حسب ظروف العرض والطلب في السوق ، فكما اننا لم نر هذا الفيلم الا نادرا قبيل ١٩٦٧ فاننا نلاحظ تراجعه الان لذات القانون ، اي قانون العرض والطلب . ما يمكن ان نقف امامه هو

الفيلم الجاد ، نظرا لدوره الفعال والمسؤول . ومن مشاهداتي استطيع ان اصنف هذه الافلام على النحو التالي : الافلام الروائيـــة الطويلة التي انتجتهـــا مؤسسات القطاع العـــام وبخاصة في سوريه ، الافلام الوثائقية التي انتجتهـــا ذات المؤسسات في عدد من الاقطار العربية ، بالاضافة الى التلفزيون ، وهناك الافلام الوثائقية التي انتجتها المقاومة الفلسطينيـــة واخرى انتجتهـــا المنظمات اليسارية المؤيدة للمقاومة الفلسطينية في الخارج .

ان الافلام الروائية المنتجة ضمن القطاع العام لم تخل من محاولة الجدية ، بيد ان قلة هذه التجارب لا تعطينا اية نتائج مبلورة . اما الافلام الوثائقية ، فقد كانت ظاهرة ملموسة على صعيد السينما الناشئة ، ففي سوريه مثلا ، كانت هناك محاولات وثائقية شابة عموما ، وجدت فرصتها التعبيرية في ملاحقة تطورات القضية الفلسطينية سينمائيا ، وكان للقضية فضل اعطاء هؤلاء الشباب ظروفا مناسبة لتبلورهم والوصـــول الـــى نتائج جدية .

ان ما استطعت ان أراه مـــن أفلام المقاومة ، يتسم بطابع اعلامي، ولاحظت انها تخاطب الجمهور الاوروبي بكثير من المراعاة ، فعلى سبيل المثال لاحظت ان منظمة فتح كانت معنية بانشاء جبهة اعلامية في اوروبا ، ومن ثم جاءت افلامها تلبي هذه الرغبة ، وموجهة اساسا للجمهور الاوروبي وقد انعكس ذلك بأن كانت افلامها تتجنب اثارة مشاعر الاوروبي بالحديث عن القتال والبندقية . وقد كان للمنظمات الاخرى افلامها لكنها لا تقـــاس بنتاج المنظمة الرئيسية .

واخيرا هناك الافلام التي انتجتها منظمات يسارية في اوروبا الغربية ، ويهمني ان اتحدث عن تجربة بالذات ، اعتبرهـــا رائدة في الفيلم الوثائقي . « فلسطين ستنتصر » هـــو عنوان فيلم انتجته مجموعة من السينمائيين الشبان اليساريين في فرنسا (تكونت اثناء انتفاضة الطلاب والعمال في ١٩٦٨) لصالح منظمة « فتح » ، ورغم ان مدة الفيلم لا تزيد عن عشريـــن دقيقة ، الا انـــه استخدم كافـــة الوثائق الممكنـــة ، الرســـم ، اللوحات المكتوبة ، الصـــور ، واعطى سردا بانوراميا لتطورات القضية منذ نشوء الصهيونية وعبر دخولها لفلسطين وما نتج عـــن ذلك مـــن ثورات وقتال ثم نزوح ، واخيرا بنشوء المقاومة واوضاعها وصولا الى المرحلة الراهنة . ما يلفت النظر ، انه خلال هذه المدة القصيرة ، استطاع هذا الفريق السينمائي الشاب ان ينسق جملة كبيرة من الحقائق في فيلم قصير بذهن صاف ، ووضعت خلفية تاريخية واعية انتهت بهـــا الى النتائج . وبالطبع لم يكن من المنتظر ان يتحدث الفيلم عن كل شيء ، لكنه بنظري نموذج لتجربة لم اجد مثيلا لها في الافلام الوثائقية العربية او الفلسطينية او بين اصدقاء المقاومة من الاوروبيين .

على ضوء هذا الكشف المكثف لتجـــربة السينما العربية في طرح القضية الفلسطينيـــة ، خلص معظمكم الى ان الفيلم الوثائقي هو الاكثر استجابة لحاجات المرحلة الحالية ، ما هي الاشكالات التي تواجه الفيلم الوثائقي وما هو دور المؤسسات الفلسطينية في تذليل هذه المصاعب والاشكالات ؟

فيصل ياسري : اود في البداية ان اتناول تجربة المقاومة مع السينما في الاقطار العربية ، فقد كان هناك تحبيذ عام لدى المقاومة الفلسطينية وعدد من المؤسسات الاخرى لظهور اي فيلم عن القضية الفلسطينية . وكان هناك تصور ان هذا هو نوع من الدعاية ومن الاهتمام بالقضية ، ويبدو ان المقاومة لم تدرك ابعاد هـــذه القضية واعطت المنتجين من الثقة الزائدة اكثر مما يجب ، كما لم تملك اي تقدير حقيقي لمستوى الكوادر والطواقم الفنية التي تقف وراء هذه الاعمال التجارية . لقد منحتها ثقتها ، وقدمت اكثر من ذلك ، المساعدة لهذه الافلام ، من الشباب ومن الاسلحة والملابس وآليات النقل ، وكانت النتيجة ان هذه الافلام خرجت بشكل سيىء ومشين . لقد كنت اسمع من اصدقاء في المقاومة كلمات مثل « المهم ان يخرج فيلم عن القضية » النتيجة هو ظهـــور نموذج « السوبر فدائي » الذي كان يبدو وكأن ليس له ادنى ارتبـــاط بالواقـــع وبالارض وبالظـــروف التاريخية ، من المهم الان ان تأخذ المقاومة مواقف صريحة من هذه الافلام السيئة ، وكنت اتمنى ان تستدرك المقاومة بعد ان ظهرت بوادر هذه الافلام باتخاذ موقف سياسي وفكـــري منها وان توضح للجماهير بأي شكل ان هذه الاشرطة السينمائية لا تعبر عن فهمها للقضية .

اما بالنسبة للاشكالات التي تواجه السينما في تصديها للقضية ، فسنتناولها على مستوى الفيلم

الروائي والفيلم التسجيلي . نحن نعرف ان الفيلم الروائي يكلف مبالغ كبيرة ، لا يمكن لمنتج او مجموعة من المنتجين ان يقامروا بانتاج فيلم روائي اذا لم يضمنوا تقبل السوق لـــه ، او يضمنوا مردودا معينا . لهذا ارى ان امكانية انتاج فيلم روائي عن القضية صعبة بسبب عقبتين اساسيتين هما : فكرة الجمهور السلبية عموما عن اي فيلم روائي يتصدى للقضية الفلسطينية من واقع تجربته مع هذه الافلام ، اذ حتى مع توفر سيناريو وعناصر فنية جيدة للفيلم فان اي منتج يرفض المغامرة . وثانيا لان انتاج فيلم جيد عن القضية يستدعي انفاق مبالغ كبيرة ، هي فوق طاقة اي منتج يفكر بعقلية السوق وينتظر ربحا وافرا من وراء مغامرة محدودة . ان اي جهة فلسطينية تفكر في انتاج فيلم روائي ذي طابع جماهيري ، لا بد ان تبحث عن ضمانات مالية كبيرة ، او ضمان توزيعه في عدد من الاقطار او مساهمة عدد من المؤسسات في تمويله . مع ذلك اضع تجربة مؤسسة السينما في سوريه ، فقد انتجت عددا من الافلام الروائية عن القضية لكنها لم تجـد النجاح الجماهـيري المنتظر ، خصوصا ان المؤسسة لا تملك صالات العرض التي تتحدد عادة مواقفها من هذه الافلام على اساس تجاري .

اما بصدد الفيلم الوثائقي الذي هو اقل تكاليف وابعد كثيرا ، فانه يواجه مشكلتين اولهما : ان عرض الفيلم الوثائقي القصير يحتاج الى نوع من التبني من الجهات الرسمية . كأن يفرض الفيلم الوثائقي من قبل الحكومات على دور السينما في بلداننا اذ ما فائدة صنع فيلم ذي مستوى جيد فنيا لا يجد فرصة لعرضه . وثانيا ان يعرض في محطات التلفزيون العربية ، وغـير العربية اذا امكن . ثالثا : توفير الوثائق والمعلومات الممكنة الى السينمائيين المتحمسين لانتاج فيلم ليس وراءه مردود مالي شخصي .

فعلى الاقل ينبغي ان يتحقق للسينما مردود معنوي، وعندي مثال شخصي ، فانا انتجت عام ١٩٦٩ فيلم « نحن بخير » وقد حاز على جائزة دولية واثار اهتمام الصحافة ، لكن هذا الفيلم لم يعرض في اكثر من بلدين عربيين حتى الان . ولم يعرض في اوروبا الا ضمن مبادرات شخصية . ان قلة الاهتمام العام يهبط من عزيمة السينمائيين العرب وحماستهم لتكرار التجربة .

كريستيان غازي : هناك نقطة يركز الزملاء عليها كثيرا ، وهي الفصل ما بين الروائي والوثائقي . انا ارى ان ليس هناك ما هو فيلم روائي وما هو وثائقي بحد ذاته . في طريق تأدية غرض خدمة القضية الفلسطينية علميا ، وطرح المشكلة امام الجمهور . ولا شك ان الافلام الوثائقية التي انتجت من قبل قيس او فيصل ومن قبل عدد من الزملاء ذات قيمة جدية ، بيد انها لا تتخطى الهدف التحريضي . هناك ضرورات اخرى غير التحريض وهي ضرورات التحليل العلمي والنظري . ان الافلام الوثائقية تعتمد على التحريض المباشر الذي يمكن ان يمت الى الحماسة العاطفية وليس الى التزام علمي وسياسي .

ان الاشكالات التي تتعلق بالانتاج والنوعية وضرورة ايجاد فرص للعرض ، صحيحة ، ولكني ارفض ان يحصر الفيلم الروائي في الفهم الكلاسيكي له « وجود عقدة ووسط وانفراج » وهذا مرفوض . ان القضية التي نعيشها ونعانيها ليست سهلة والحديث عنها لا يمكن ان يتم بالتحريض ، من الضروري ان نلجأ الى التحليل ووضع الجماهير امام مسؤولياتها التاريخية . في فيلم « مئة وجه ليوم واحد » لم تكن طموحاتي طموحات صنع فيلم روائي بقدر ما كانت طموحات وضع المتفرج امام مسؤولياته وحل الاشكالات التي يعاني منها سواء اكانت داخلية ام خارجية ، وذلك بسبيل اتخاذ موقف واضح .

اما الافلام المسماة روائيـة والتي تطرح نموذج السوبر كوماندوز فهي مرفوضة ، ليس لي علاقة بها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان طموحي هو ان نصل الى أسلوب سينمائي ملتزم بالقاعدة الجماهيرية الواسعة ، ونريد ان نجد الاسلوب الذي لم نتمكن منه بعد ، نريد ان نصنع نوعا من التركيب ما بين التحريض وبين التحليل العلمي الذي نحن بحاجة اليه .

في « مئة وجه ... » لم استطع ان احقق لوحة كاملة للقضية ، واقتصرت على الوضع الراهن ، مع ذلك فقد تعرض الفيلم لتعقيدات وعراقيل كثيرة، ولم يخرج الى النور الا بعد ان بترت منه عشرين دقيقة كاملة . رغم ذلك ما يمكن ان اقوله عن تجربتي الشخصية هو انها تجربة جديدة بمعنى الكلمة ، وليست استمرارا للمفاهيـم التقليدية للفيلم الروائي .

قيس الزبيدي : عندما نوهنا باهمية الفيلم التسجيلي ، لم يكن غرضنا ، ابداء موقف من الفيلم الروائي ، او المفاضلة بين الروائي والوثائقي . ولكني ذكرت مثالين ، الاول وثائقي صرف هو « نحن بخير » واخر تركيبي لاكثر من اسلوب ومنهج سينمائي هو « مئة وجه .. » وقد ذكرت ذلك واعيا لاهمية كل أسلوب . واكرر ما نوهت اليه من ان الفيلم العربي يعاني من مرض مزمن وهو صلة هذا الفيلم بالواقع . في الفترة الراهنة ، نلاحظ ان مجابهتنا للواقع تأخذ شكلا حاسما ، بحيث لا يمكن الهروب من معالجة الواقع ، وهذا ينعكس على السينما العربية ، لقد بدأت السينما العربية ، وان كان بشكل سطحي ومهزوز ، بتناول مشاكل واقعية ، بعد ان كانت تتهرب منها ، ان فرص الفيلم العربي ستبقى قائمة ما دامت صلة السينما بالواقع واهية وسطحية .

وعندي مثال هو فيلم « الارض » الذي اخذه المخرج يوسف شاهين عن رواية عبد الرحمن الشرقاوي . فنحن نعرف ان « الارض » عندما خرجت لاول مرة كانت رواية نضالية ، اما في الوقت الذي انتجت فيه ، اصبحت ذات قيمة كلاسيكية من التراث . لقد جاء يوسف شاهين وعالج « الارض » ورغم وجود نوع من التعارض بين موقف الكاتب من العالم وموقف المخرج من العالم ، فقد تم اللقاء بينهما بسبب اهمية طرح الواقع من جديد . لا يكفي ان يستعيد السينمائي الموقف من الادب ، ويأخذ هذا الموقف الى استديو من اربعة جدران ويحدثنا — كجماهير — عن تجربة عميقة من التعامل مع الواقع . لانه في الاساس ، يفتقد السينمائي لهذه التجربة ، هذا شيء جاهز في الادب ولم يفعل سوى ان ادخله على الاستديو ، تماما كما يفعل اي شاعر ينظم قصيدة داخل حجرة مغلقة، اللهم الا ان السينمائي يمنحنا الوهم بأن ما نشاهده على الشاشة هو الواقع .

الفيلم التسجيلي مهما كان نوعه ، سواء كان وثائقيا صرفا ، او كانت مساهمة المخرج اكبر في صنع الوثيقة ، فانه يبقى في مواجهة مباشرة مع الواقع وفي تعامل مباشر معه . واشير هنا الى تجربتي في فيلم قصير عن الاطفال الفلسطينيين في المخيمات وهي تجربة اعتبرها الاهم عندي كسينمائي ، لماذا ؟ لاني بمجرد ان عشت في المخيم فترة من الزمن للتحضير للفيلم والتصوير والتهيئة له ، جعلتني في موقع حساس من المشكلة التي اعالجها في الفيلم . هذا ما اريد ان اصل اليه ، ان الفيلم التسجيلي يفرض نوعية جديدة من الفنانين ، ومواجهة معينة من الواقع ، فاذا انتقلنا الى الفيلم الروائي بهذه التقاليد ، فاننا سنبتعد عن التزييف وسنبتعد عن الاستعارة وعن السطحية في معالجة الواقع .

تجربة كريستيان غازي ، ربما تشكل حالة استثنائية في الفيلم العربي ، لكونه على صلة ومعرفة بالواقع الفلسطيني والمقاومة . فهو من تجربته هذه يحاول ان يصل الى اسلوب . ومع هذا يقرر ان المشكلة بالنسبة اليه ، ليست في تعامله مع الواقع ولكن في الوصول الى اسلوب سينمائي . هذه المشكلة يمكن الانتصار عليها بطبيعة الحال عن طريق الفيلم التسجيلي في المدى الطويل ، عن طريق طرح اشكال سينمائية جديدة تغني بايجاد صيغة سينمائية جديدة قادرة على استيعاب الواقع ، بدون مواربة او سطحية . وهناك ظاهرة معروفة عالميا ، هي ظاهرة التآلف العميق بين المنهج التمثيلي الروائي والمنهج التسجيلي فهناك الكثير من الافلام التي يطغى المنهج التسجيلي عليها او العكس ، ويبدو ان طريق السينما السياسية النضالية في العالم هي بالمزج بين الاثنين ، الروائي والتسجيلي ، فلا يستطيع احدهما ان يستغني عن الاخر ، وتبقى المسألة الاساسية هي صيغة اللقاء الذي يقود الى استيعاب الواقع .

وبصدد طرح كريستيان لاهمية وجود منهج تحليلي في السينما ، انا لا ارى ان النهج التحليلي يتناقض مع الفيلم التسجيلي ، على العكس من ذلك ، ارى انه من الممكن ان يأخذ التحليل العلمي فرصته في الفيلم التسجيلي اكثر مما هو ممكن في الفيلم الروائي ، فالاخير يكتسب نوعية درامية وطبيعة مختلفة .

كريستيان غازي : لدي اعتراض صغير ، ان الطبيعة المباشرة في السينما التي قدمت للجماهير ، حولت المشاهدين الى جمهور استهلاكي ، توضع امامه مادة جاهزة تغنيه عن التفكير وعن البحث في المشكلة . ما اسعى نحوه ، ليس فقط صيغة ، لكن ايضا الممارسة مع الواقع وتناقضاته وخلالها. ووضع الجمهور تجاه تساؤلات ومسؤوليات ينبغي

ان نتمكن تعبيرا من ان نقوده الى تحليلها والاجابة عليها . ولكن بما ان القضية مركبة وليست بالبساطة التي يظنها البعض ، فلا بد من استخدام صيغة سينمائية مركبة لحلها .

فيصل ياسري : كملاحظة ختامية ، لهذه النقطة بالذات ، ارغب ان اقول ان لكل من الفيلم الوثائقي والفيلم الروائي دورا معينا وهدفا معينا، المهم في هذين النوعين هو قدرتنا على استخدام اي منهما في ايصال مادة معينة الى الجمهور ، مع الاخذ بعين الاعتبار الفروقات بين الطريقتين . ومن المهم دوما لكي نتوصل الى احداث التأثير المطلوب على الجمهور ، ان يكون هناك وضوح في الرؤيا عند السينمائي ، وان يكون صادقا في معالجته . لم يعد اليوم سهلا ان يقدم السينمائي صورة مزورة ومغشوشة عن الواقع وعن قضايا تعيشها الجماهير وتتحسسها يوميا . اما الوسائل او توفر الامكانات التقنية ، فتبقى مسألة ثانوية ، لان في مراحل معينة يتناقل الناس مناشير سياسية، مطبوعة بشكل سيء ، لكنهم يلاحقون محتواها اكثر مما يلاحقون مسائل اخرى ، مثل كيف طبعت وما هي مادة الورق .. الخ المهم هو ما نقدمه للجمهور وهل يهمه ان يراه .

عمر اميرالاي : اريد ان اعقب على كلمة لفيصل، فقد قال ان الفيلم التجاري انتهى برفض الجمهور له من واقع تصديه للقضية الفلسطينية ..

فيصل ياسري : (مقاطعا) قلت ان الجمهور رفض واقع معالجة الفيلم التجاري للقضية الفلسطينية اي انعدمت ثقة الجمهور بالفيلم التجاري ..

عمر اميرالاي : المشكلة مطروحة عندي بصورة اخرى ، هذه الافلام مرتبطة بالجو العام جذريا ، ان عزوف المشاهد العربي عن الفيلم الذي يتناول القضية هو ايضا نتيجة لسلبيات المقاومة الفلسطينية في الفترة الاخيرة .

فيصل ياسري (موضحا) : اعتقد ان عزوف المواطن العربي هو عن اساليب معالجة القضية الفلسطينية ، وليس عن القضية نفسها ،فالقضية لا تعاني من قلة اهتمام الجمهور بها ، بقدر ما مل الجمهور بعض الاساليب في المعالجة على هذا المستوى او ذاك .

عمر اميرالاي : نلاحظ ان الافلام التي تصدت للقضية الفلسطينية عالجت المقاومة الفلسطينية نفسها ، لانها رأت فيها ظاهرة مقبولة جماهيريا ، ونجد ان المنتجين قد توقفوا عن الانتاج لمعرفتهم ان هذه الافلام لم تعد تجد تجاوبا عند الجمهور . اما الان ، فأنا أرى ان مستقبل الفيلم الفلسطيني رهن بتطورات القضية الفلسطينية نفسها ، وبمستقبل وظروف النضال الوطني الفلسطيني . هذه السينما ينبغي ان تشرع بالابتعاد عن الوضع السابق ، وان تكون هناك بداية جديدة ، لا بد ان تكون هناك محاولات دراسية على غرار ما يفعله مركز الابحاث ، لتطورات القضية الفلسطينية بلغة سينمائية علمية ، كما هناك حاجة للقيام بافلام تعليمية .

واخيرا ، لا اتفق مع ما ذكره الاخ فيصل من ضرورة التزام الحكومات بعرض الافلام الوثائقية في دور السينما والتلفزيونات التابعة لها ، او ان تساعد وتمول انتاج الافلام الفلسطينية . ينبغي ان لا نكرر نفس التجربة ونفس السلبيات . لا بد من انفصال تام عن هذه المؤسسات الحكومية ، لا بد من الانفصال عن تأثير او توجيه هذه المؤسسات ، التي لا بد ان تفرض توجيهاتها وخطها السياسي . هذا اذا كنا نريد فيلما فلسطينيا جديدا .

قيس الزبيدي : نحن ندرك انه ليس لدى المؤسسات الجماهيرية العربية والفلسطينية بعد فهما عميقا للدور الذي يمكن ان تلعبه السينما في تشكيل الوعي الاجتماعي للجماهير . فحتى في الدول التي تشرف على انتاجها السينمائي او يخضع الانتاج لمؤسسات القطاع العام ، ما زالت التسلية هي المقولة الاساسية ، ربما كنا نتصور ان هذه التسلية ستكون اكثر تهذيبا ومعقولية ، لكنا اكتشفنا مؤخرا ان لا فرق ما بين قطاع عام، وقطاع خاص .

ان المنظمات الفلسطينية واعية لوسائل الاتصال الجماهيرية الاخرى ، لكن السينما ليست بعد معتمدة كبقية الفنون واشكال الاتصال ، وقد كانت هناك فرصة لنشوء سينما عربية ثورية مع نشوء المقاومة وتطورها ، لكن الحدود التي وقفت عندها السينما المتعاملة بالقضية كانت اولية واحيانا كثيرة كانت سلبية ، اذا اخذنا مثال فيتنام خصوصا في السنوات الاخيرة ، نلاحظ ان السينما في العالم استطاعت ان تقدم للشعب الفيتنامي مساعدات

لا يمكن تثمينها . لقد استطاعت ان تلعب دورا مهما في دعم الفيتنام وفي الحصول على مكاسب دعاوية وسياسية في نضالها ضد التدخل العسكري الامريكي . طبعا لم تقتصر المساهمة السينمائية على جهود السينمائيين الفيتناميين ، وانما منحت فرصا واسعة للسينمائيين التقدميين في العالم في انتاج الافلام التي تحولت الى اسلحة دعاوية فعالة على امتداد البسيطة . المهم هو توظيف السينما كفن عالمي من اجل قضية مقدسة .

هناك مسالة المساعدة الحكومية ، يحتاج الفيلم الوثائقي الى أموال وتسهيلات ، اكثر مما يحتاجه الفيلم الروائي . احيانا لقطة قصيرة جدا تعطي الفيلم قيمة تاريخية وقيمة موضوعية لا يمكن الحصول عليها بدون تسهيلات رسمية ...

فيصل ياسري : كذلك بالامكان ان تبيع الفيلم الروائي ، اما الفيلم الوثائقي ، فمهما بلغت تكاليفه ، لا يجد من يشتريه في الاوضاع العربية القائمة .

قيس الزبيدي : واذا ما رغبنا في انتاج فيلم وثائقي تاريخي عن القضية الفلسطينية من منشأها حتى الان ، نحتاج الى وثائق ليست متوفرة في الوطن العربي ولا بد من شرائها من الاراشيف العالمية ولا يمكن الوصول الى هذه الوثائق بجهود فردية . الشيء الذي اريد ان انتهي اليه ، هو اذا ما التفتت المنظمات الفلسطينية الى اهمية السينما وشكلت وحدة افلام ووضعت صيغة ونظاما داخليا مرنا وفعالا ، بوسع هذه الوحدة ان تقدم للثورة الفلسطينية وللسينمائيين العرب خدمة لا تثمن ، عندها يمكن ان تطلق مبادرات السينمائيين الشباب للتعبير عن مواقفهم السياسية والفكرية بشتى الاشكال ويمكن ان تعالج القضية الفلسطينية وقضية نضال الشعب الفلسطيني بدون ان نسقط في الدعاوة الذاتية لهذه المنظمة او تلك .

بصدد اجاباتكم السابقة ارغب في ان اسجل صحة العديد من الملاحظات والانتقادات ولكني لاحظت انكم اقتصرتم على الجوانب السلبية التي تقع على عاتق المؤسسات الفلسطينية ولم تتناولوا مسؤولياتكم كسينمائيين شبان ، كما لاحظت انكم قللتم من الدور الذاتي والمبادرة الذاتية التي يمكن ان يقوم بها السينمائيون العرب الشبان ، بصدد القضية الفلسطينية وقضايا النضال العربي الراهنة ، اذ اني سمعت الكثير من المطالب من الحكومات والجهات الرسمية ، ولم اسمع مثلا رايا بضرورة تجمع السينمائيين العرب في هيئة واحدة تاخذ على عاتقها مهمات انتاج الافلام باستقلال عن المؤسسات الرسمية ، كما هو الحال مع العديد من التجمعات السينمائية في نواح مختلفة من العالم . هل يمكننا الان الانتقال الى ما يمكن ان يفعله السينمائيون العرب الشبان بهذا الصدد ؟

قيس الزبيدي : حاولنا ان نتحدث عن ما هو قائم ، واذا كنا نفهم عدم وجود وعي لدور السينما من قبل المؤسسات الرسمية العربية لاوضاع ولاسباب معروفة ، فاننا لا نفهم هذا من قبل المقاومة ، التي يعتبر حملها للسلاح قضية حياتية ، والتي اذا ما حققت اية مكسب صغير عن طريق البندقية ، فانه يقربها خطوة الى الامام. ان اية عملية عسكرية تتم ، كانت تطبع بها منشورة وتوزع على الصحف ووسائط الاعلام المختلفة ، ولاننا نرى في السينما اكثر الاساليب واسرعها تاثيرا في الدفع للقضية والنضال المسلح، لذلك يكون احساسنا بالالم والدهشة لقلة الاهتمام هذا .

وبصدد ما يمكن ان يقوم به السينمائيون العرب الشباب ، فقد سبق ان التقى بعض السينمائيين العرب في مهرجان لايبزج وبحثوا مشاكلهم ، وبشكل خاص بصدد غياب السينما في قضية النضال الفلسطيني ، وطرحوا عدم امكانية الجهود الفردية على حل هذا الاشكال ، ثم اصدروا بيانا ودعوا لاجتماع في عمان للدعوة للفيلم التسجيلي الفلسطيني . لكن اتحاد الاذاعات العربية اخذ المبادرة من السينمائيين وعقد الاجتماع بدون حضور سينمائي واحد من الموقعين على البيان . وقد عرض قسم من الافلام ونوقشت وتم تحديد مؤتمر ثان للفيلم الفلسطيني في القاهرة . وقيل ان اتحاد الاذاعات العربية على استعداد لتمويل كل من يرغب في عمل فيلم تسجيلي عن فلسطين . وقد دفن المؤتمر المنتظر على اثر مشروع روجرز والازمة التي ترتبت عليه .

مع ذلك ، ما زالت عندي قناعة كاملة ان هذه المحاولة التي فشلت ، لا بد ان تتكرر وان تتعزز من جديد لان السينمائيين الشبان لا يرون في السينما حرفة او مصدرا للتكسب بقدر ما هي

موقف تجاه الحياة والقضايا الاجتماعية . ولا بد ان يسعى السينمائيون العرب للبحث عن فرصة لتنفيذ اعمال تعبر عن فهمهم وعن موقفهم من القضايا الراهنة .

فيصل ياسري : ردا على ملاحظتك بصدد ما هو قائم من تجمعات سينمائية في الخارج ، أرى انه لا يمكن ان نعقد مقارنة ميكانيكية بين الامكانات الفردية في الدول الرأسمالية وتلك الموجودة هنا، من الناحية التكنيكية البحتة ، فمن السهل جدا على اي انسان يملك امكانات مادية متوسطة في البلدان الرأسمالية ان يستحصل على كاميرا ، ان يحصل على الخامة ، ان يجد المكان الذي يطبع فيه الفيلم وغير ذلك من العمليات ، ففي بلدان عربية عديدة ، لو كنت امتلك الامكانات المادية للعمل ، فاني لا استطيع ان اجد الفيلم الخام في السوق ، هناك شروط معينة للاستيراد والحصول على المادة الخام . لا استطيع ان احصل على كاميرا تصوير ، اين احمض الفيلم ، كيف يمكن ان اطبع نسخة منه ، فالمبادرة الفردية في مستوى الهواة لا يمكن ان تتم الا في حدود ضيقة ، ربما لفيلم ٨ ملم ، وهذا لا تستطيع ان تستفيد منه في شيء ، ربما تعرضه في البيت ، ولكن لا يمكن ان تستخدمه اعلاميا وعلى نطاق واسع .

لا بد من توافر المواد الاولية للصناعة السينمائية بأبسط اشكالها ، بكل تواضع التجربة تحتاج الى تسهيلات ، وهذه تحتاج الى مساعدات ان توفرت عن طريق مركز سينمائي للمنظمات المقاتلة بمجموعها ، فمن الممكن ان تضم متفرغين لهذا العمل يتعاونون مع اناس اخرين غير متفرغين ، يقدمون افكارا ويساهمون بتقديم دراسات ، ويساهمون بتنفيذ الافلام كل بجهده وامكانياته . عند ذلك اي سينمائي لديه قناعة بتقديم خدماته للمقاومة سوف يلجأ الى هذا المركز حتما . وما دامت المقاومة تسعى لتوحيد قيادتها واعمالها ، فأن من المهم ان تسعى نحو توفير وحدة سينمائية.

كريستيان غازي : عندي بعض المحاذير من فكرة ايجاد مركز سينمائي موحد ، اذ ليس ممكنا بمجرد موقف مثالي ان نطالب من المنظمات ، التي يمكن ان تتحد سياسيا وعسكريا ، وليس ايديولوجيا ، بأن تؤسس مركزا سينمائيا يستطيع ان يستوعب العديد من وجهات النظر وطرق معالجة وجهات النظر هذه سينمائيا . انا حذر جدا في هذه المسألة ، اريد ان يفسح مجال من الحرية يتيح لنظرة كل منظمة في العمل ان يأخذ حقه ، من الممكن للسينمائيين الشباب ان يلتقوا على ارضية ذات حد ادنى من الذهنية المشتركة ، وحد ادنى من الادراك للامور وللمعالجة .

هناك ملاحظة اخرى بصدد السؤال وهي انه هناك تفاوت في الظروف والامكانات ما بين البلدان المصنعة وبلداننا ، وحدود قدرة السينمائي على التعبير بحرية هنا اقل بكثير من طموحاتنا . لكن هذا لا يعني انه من غير الممكن توحيد الشباب السينمائي للخروج من الحصار والعمل معا . وهذه ليست مشكلة المقاومة ومؤسساتها ، هذه مشكلة السينمائيين العرب ، وليس من المطلوب ان تتبنى انشاء مركز للسينمائيين ونحن نلاحظ ان مجموعة كريس ماركر عندما ذهبت الى الفيتنام وانتجت فيلمها « بعيدا عن الفيتنام » فقد ساعدتهم الحكومة الفيتنامية وقدمت لهم التسهيلات ، لكن المبادرة جاءت من هذه المجموعة.

قيس الزبيدي : اريد ان اضيف نقطة اخرى ، ان قضية توحيد جهود السينمائيين ذوي الاتجاهات الفكرية المتجانسة لا تنفي ضرورة حصول هذا التكتل السينمائي على المساعدات الممكنة التي لا تتنافى مع المنطلقات التي يحملها .

عمر اميرالاي : في محاولة لطرح حلول للفيلم الذي يتحدث عن القضية الفلسطينية ، برأيي ان **المشاريع قد طرحت بمعزل عن طبيعة القضية** بالذات . هناك اكثر من نقطة تساؤل حول مستقبل القضية الفلسطينية ، فهي تمر بازمة ، هذه الازمة تتجسد في ان الموقف السياسي الرسمي العام يستهدف تصفية القضية او تعليقها بما يتناسب واوضاع المنطقة السياسية . وبرأيي ان هذا ينعكس في الحصار الاعلامي المفروض على القضية الان . والمقاومة الفلسطينية بوصفها جزءا من حركة التحرر الوطني ترفع شعار حرب التحرير الشعبية ولكونها من الجبهة التقدمية بشكل عام ، لا يمكن عزلها عن جو المنطقة العام . نلاحظ الان وجود ردة رجعية ومحاولة لضرب الجبهة التقدمية والسؤال الذي يطرح نفسه : ما هو الشكل الذي يمكن ان تكون عليه السينما ، التي تريد ان تكون ناطقة باسم المقاومة والقضية الفلسطينية ؟ كيف يمكن ايجاد شكل سينمائي يتحدث عن هذه الاوضاع بصراحة وينقد هذه الاوضاع. ان الحديث،

الان عن القضية الفلسطينية كالحديث عن اي مشكلة جماهيرية ، تمس استقرار او استتباب نظام معين ، هذه تتحول الى موضوع غير شرعي تماما . لانه يزعج استقرار هذه الانظمة . كما ان هنالك سينما عربية تحاول ان تبحث عن حلول لنقد هذا الواقع وان تكون سينما تقدمية وبديلة . ان السينما الفلسطينية يمكن ان تكون جزءا من هذا البديل . ان تصفية العمل الفدائي ، وان تصبح القضية الفلسطينية غير شرعية والحلول المطروحة على صعيد السياسي والاستراتيجي حول مستقبل المقاومة واحتمالات ان تكون مقاومة غير مكشوفة وسرية هذا ينعكس على هوية السينما . هل يمكن ان تكون مكشوفة ورسمية ام سرية او نضالية ؟ السؤال بالنسبة لمستقبل السينما العربية والسينما الفلسطينية رهن بالمستقبل وبتطور الحركة الجماهيرية في المنطقة .

قيس الزبيدي : يمكننا الان ان نقوم بنوع من البلورة والتصفية ، ماذا يبقى من السينما كي تكون كما نريد ؟ ان الظاهرة التي نراها على المستوى العالمي ، ان الفن السينمائي الذي يرتبط بالنضالات السياسية الجارية ويتحول الى السرية هو الفيلم الوثائقي . وفي كل مهرجان سينمائي ، الافلام الوثائقية والتسجيلية تكتسب قيمتها ، ليس فقط من كونها قطعة فنية جيدة وانما من حصولها على وثيقة في ظروف عمل تمعية سرية وتسرية قاسية . ومن الضروري هنا ان ترتبط السينما بالقضية وبالاوضاع الجماهيرية ، ومن هنا فان السينما تكتسب نوعية من ذات النوعية التي تكتسبها الحركة الجماهيرية ، مع هذا ارى انه في دول عربية كثيرة بسبب عدم وعي الجهات المسؤولة ، ما تزال امامنا كسينمائيين فرص كثيرة لانجاز اعمال سينمائية تكتسب صفة الجدية وتسجل حياة الناس او تكتسب صفة الوثيقة . هذه الامكانية لم تستنفذ بعد حتى يتحول الفيلم بين يوم وليلة الى فيلم سري . السرية ينبغي ان تكون تعبيرا عن حاجة وليست ناتجة عن رغبة رومانطيقية وذاتية . هناك شيء اخر اذا ما حصل تجمع للسينمائيين العرب ليس كحرفيين فقط وانما كشباب لهم مواقف سياسية تجاه الواقع والظروف القائمة ، فان هذا التجمع لا يمكن ان يكتسب صفة علنية في عدد من البلدان العربية . لا بد من دراسة ظروف كل مجموعة سينمائية في بلد من البلدان وهذا الشيء يقرره الواقع .

يسرى جوهرية عرنيطة

الفنون الشعبية في فلسطين

من منشورات مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف.

٢٥٦ صفحة ٨ ل.ل.

تقارير

زيارة نيكسون لموسكو

لدى كتابة هذا التقرير لم تكن زيارة الرئيس الامريكي ريتشارد نكسون لموسكو قد تمت بعد ، وانما كانت هناك فقط اجراءات الاعداد لتلك الزيارة ، فقد طار الى موسكو فريق طليعي امريكي بقيادة الجنرال برنت سكوكروفت للاشتراك مع سلطات الامن ودوائر البروتوكول السوفييتية في اعداد الترتيبات الخاصة بزيارة الرئيس الامريكي بما في ذلك عمليات الاتصال وتسهيلات التغطية الاعلامية للزيارة . كذلك كان هنري كيسنجر مستشار الرئيس الامريكي قد قام بزيارة سرية لمدة اربعة ايام اجرى خلالها محادثات مع ليونيد بريجينيف الامين الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي حول المواضيع التي سيتناولها نكسون بالبحث مع القادة السوفييت .

ان الهدف من هذا التقرير هو استقراء الوضع العالمي واتجاهات سياسة كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في محاولة للتعرف على القضايا التي يمكن ان يتناولها كل من الجانبين ، ولتحسس مكونات موقف كل منهما من هذه القضايا ، دوافعه واهدافه ، وبالتالي التنبؤ بمناطق الاتفاق او الاختلاف بينهما ، وحدود الاتفاق او الخلاف ، وبشكل خاص فيما يتعلق بالوضع في الشرق الاوسط .

اننا نرى لزاما علينا في بداية التقرير تسجيل عدد من الملاحظات على الاستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة على النحو التالي :

١ — ان السياسة الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية لا تزال كما هي : اي تحاول ان تعيد ترتيب ميزان القوى الدولي بشكل مؤات لها حتى تفرض سيطرتها الدولية على العالم (والحرب الشاملة النووية غير مستبعدة كوسيلة اخيرة لذلك) . وقد اتبعت الولايات المتحدة خطوطا مختلفة ولكنها كلها تصب في هذه الاستراتيجية : أ) مشروع مارشال للسيطرة على غرب اوروبا . ب) سباق التسلح وسياسة حافة الحرب والتكتلات العسكرية والاقتصادية (ايزنهاور — دالاس) . ج) محاربة حركات التحرر الوطني **بالحروب الخاصة** (اي بقوات غير امريكية ولكن بدعم عسكري ومادي وسياسي وفني امريكي) مثل حرب فيتنام في بدايتها وحرب لاوس حتى الان والعدوان الصهيوني ضد العرب ، او بالحروب المحدودة (اي بقوات امريكية مباشرة) مثل حرب فيتنام في مرحلتها الثانية ابتداء من ١٩٦٥ . وتخريب الاستقلال السياسي في البلدان الوطنية بالانقلابات (كنيدي — جونسون) . د) تصدير الثورة المضادة في بعض بلدان المعسكر الاشتراكي (المجر ١٩٥٦ ، بولندا ١٩٦٧ ، تشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨) وتغذية التناقضات في الحركة الثورية العالمية .

٢ — برغم بعض النجاحات الجزئية التي حققتها الامبريالية الامريكية الا ان التقييم العام يبين ان الوضع العالمي يتطور لغير صالح الاستراتيجية الامريكية ، ولصالح الحركة الثورية العالمية ويمكن ان نوجز ذلك على النحو التالي :

أ) **في الهند الصينية** : هزمت حرب التدمير الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية . كما هزمت الحرب الخاصة في جنوب فيتنام في ٦٤ — ٦٥ ، وهزمت الحرب المحدودة في ٦٨ — ١٩٦٩ ، وتشهد سياسة الفتنة هزيمة قاسية هذه الايام ، كذلك هزمت الحرب الخاصة في لاوس ، وسيأتي انقلاب لون نول في كمبوديا هزائم قاسية متلاحقة ، وفي نفس الوقت تشكلت في جميع انحاء العالم جبهة عالمية امتدت الى داخل الولايات المتحدة لتصيب السياسة الامريكية بعزلة خانقة . ب) نتيجة لنفقات حرب

---

* اعد هذا التقرير في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية في اوائل مايو ١٩٧٢ .

فيتنام والانفاق العسكري الامريكي في الخارج ، اصيب الاقتصاد الامريكي بضربات قوية ابرزها : انخفاض احتياطي الذهب الامريكي بنسبة حوالي ٤٠ في المائة ، وانخفاض القيمة الشرائية للدولار في الولايات المتحدة بنسبة ٦٠٪ بالمقارنة مع عام ١٩٤٦، مع ما ترتب عليه ارتفاع تكاليف المعيشة من تضخم نقدي غير عادي، واصبحت الولايات المتحدة التي كانت دائنة لمعظم بلاد العالم ، مدينة للعالم بحوالي ٣٠ بليون دولار (وهي تأخذ في الغالب شكل ودائع اجنبية بالدولار الامريكي نتجت عن العجز المستمر في ميزان المدفوعات الامريكي) . وبرزت هذه الازمة بشكل واضح في انهيار قيمة الدولار في الاسواق النقدية العالمية واضطرار الولايات المتحدة لتخفيضه رسميا والتوقف عن دعمه وذلك بمنع تحويله الى الذهب . ج) ان النمو السريع في اقتصاد بلدان اوروبا ، فرنسا ، المانيا الغربية اساسا ، واليابان ادى الى بروز تناقضات حادة بين الولايات المتحدة وحلفائها (ابرز امثلة له هي الاتجاه المستقل في اوروبا عن الولايات المتحدة الذي تتزعمه فرنسا ، واتجاه المانيا الغربية للانفتاح على اوروبا الشرقية وضغوط اليابان من اجل دور اكبر في اسيا) . وقد ترتب على ذلك سقوط سياسة السور الحديدي الذي اقامته امريكا بين اوروبا الغربية والشرقية بواسطة مشروع مارشال ثم حلف الاطلنطي . كما انهارت سياسة محاصرة واحتواء الصين الشعبية . د) **في الشرق الاوسط** : برغم انتصار العدوان الصهيوني ، وبرغم بروز قوى عربية ضاغطة في اتجاه التفاهم مع امريكا ثمنا لتسوية سلمية ، فان الوجه الاخر من الصورة ، وهو الوجه الاصيل النامي معاكس تماما للمخطط الامريكي : اتساع وتعاظم تأثير الثورة الفلسطينية كحركة شعبية مسلحة على سياسات المنطقة ، رسمية او شعبية ، وتعمق الرفض الجماهيري لخط التسوية السلمية والتفاهم مع امريكا ، وتعاظم الوعي بضرورة تشكيل جبهة وطنية عربية واتساع النشاط من أجلها ، وازدياد الروابط بين المنطقة ، رسميا بدرجة لا بأس بها ، وشعبيا بدرجة كبيرة مع قوى الثورة العالمية وخاصة المعسكر الاشتراكي . كل هذه عوامل مواتية لنمو حركة ثورية شاملة ضد الوجود الامبريالي الامريكي في اهم منطقة في العالم من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية . هـ) في امريكا اللاتينية فشلت كل محاولات تحطيم النظام الثوري في كوبا ، كما نشطت الحركة الثورية ، وبرزت شيلي كدولة وطنية ديموقراطية معادية للامبريالية الامريكية ، وازداد نشاط الحركات الثورية المسلحة .

٣ ــ في مواجهة هذا الموقف ، وجد نكسون نفسه مضطرا الى تعديل هذه المرحلة من الاستراتيجية الامريكية (مع بقاء الخط العام والهدف الاستراتيجي النهائي وهو السيطرة على العالم) ويتمثل هذا التعديل في تخفيف الولايات المتحدة من بعض التزاماتها الدولية (دون التراجع عن مواقعها) وذلك حتى تعكف على الوضع الداخلي لاصلاحه (حيث ان الاقتصاد الامريكي يظل هو القاعدة الاساسية للسياسات الامريكية العالمية) ولاعادة صياغة العلاقات مع الحلفاء في اوروبا واسيا (اليابان اساسا) وفي امريكا (كندا حيث هناك اتجاهات قوية ضد السيطرة الاقتصادية الامريكية) ولتثبيت مواقع الولايات المتحدة في بعض اماكن من العالم حيث اهتزت بسبب تركيز الولايات المتحدة على الهند الصينية (مثل الشرق الاوسط ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية) . كل ذلك تمهيدا لانطلاقة عدوانية جديدة في اطار الخط الاستراتيجي العام . وقد لجأ نكسون في هذا التعديل للاساليب التالية : ا) التهدئة الداخلية في الولايات المتحدة بتخفيف التورط الامريكي في فيتنام واستبداله بسياسة الفتنة ، وكذلك تخفيف الالتزامات الامريكية في اسيا عن طريق زيادة القدرة العسكرية للدول التابعة وفقا لمبدأ «محاربة الاسيويين بالاسيويين». ب) التهدئة مع الحلفاء الغربيين ومع اليابان بتخفيض الدولار اساسا . ج) التهدئة مع الصين الشعبية وعدم مقاومة دخولها الامم المتحدة او الاعتراف المتزايد من جانب كثير من الدول بها وبالاضافة الى ذلك خلق علاقات اقتصادية وثقافية وسياسية نشطة معها وذلك ضمن اهداف اخرى سياسية واقتصادية ، بهدف ان يؤدي النزاع الصيني ــ السوفييتي الذي سيمتد ، في تقدير نكسون ، الى الامم المتحدة ، والى مجالات عالمية اخرى ، الى امتصاص جانب غير هين من الجهد السوفييتي الموظف في المواجهة السوفياتية ــ الامريكية . د) تمييع الموقف في الشرق الاوسط ، بتحريك القوى العربية الموالية لامريكا ضد القوى المعادية لها وللصهيونية حتى يمكن تصفية الحركة العربية المعادية للامبريالية والصهيونية على ايد

عربية ، مع الاستمرار في نفس الوقت في دعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا ، ودعم القوى العربية الموالية لامريكا بمنحها المزيد من عائدات البترول او بمساعدات اقتصادية وعسكرية (حصلت الاردن مثلا على ٨٥ مليون دولار اعانة سنوية كما زادت عائدات البترول للسعودية بمقدار الضعف) . وكانت الفتنة ، والتهدئة والتقارب مع الصين الشعبية هما الركنان الرئيسيان في هذا التعديل الذي ادخله نكسون على الاستراتيجية الامريكية، كما انهما من ناحية اخرى كانا الورقتين الرئيسيتين اللتين يأمل نكسون بهما ان يكسب انتخابات الرئاسة في نوفمبر القادم . واحاط نكسون واجهزته سياسته الجديدة ازاء الصين الشعبية وزيارته لها بجو اثارة هائل قصد به ان يعطي انطباعا بأن مفاتيح السياسة العالمية موجودة في واشنطن ، كما حرص نكسون في تصريحاته ، وحرصت اجهزته على خلق انطباع بأن السوفييت منزعجون للسياسة الامريكية الجديدة ازاء الصين، ودأب نكسون على الادلاء بتصريحات بهدف «طمأنة» السوفيات الى انه لا يقصد ايقاعهم في عزلة ، ولا يقصد استغلال الخلافات بينهم وبين الصين . ولكن مناورة نكسون كانت من موقف ضعف ملىء بالثغرات ، ومن هنا امكن للسوفيات ان يردوها عليه . فمنذ بداية الربع الاخير من العام الماضي نشطت الدبلوماسية السوفييتية على نطاق عالمي فيما يمكن وصفه بانه دراسة على الطبيعة لمراجعة الاستراتيجية السوفييتية بهدف تعديلها . فقام بدجورني بزيارة هانوي واعلن عن اتفاقات واسعة للدعم العسكري والاقتصادي (المساعدات السوفييتية للثوار في جنوب فييتنام تذهب عن طريق فييتنام الشمالية) وزار كوسيجين كلا من كندا وكوبا ، والمغرب والجزائر ، وزار بريجينيف باريس ، ودعي برانت مستشار المانيا الغربية لزيارة موسكو ، وعقدت معاهدة هندية سوفييتية بان اثرها في اقامة دولة بنجلادش . وكذلك دعي وفد من الثورة الفلسطينية الى موسكو حيث اجرى محادثات وصفها الاخ ابو عمار بانها كانت ناجحة جدا . وقبيل زيارة نكسون ، اي في الاسابيع القليلة الماضية ، دعي وفد من ليبيا برئاسة عبد السلام جلود لزيارة موسكو حيث تم اتفاق على التعاون في مجالي البترول والتسليح ، وزار كوسيجين العراق ووقع معها معاهدة للتعاون الاقتصادي والدفاعي ، وزار بودجورني تركيا حيث — برغم عدم النجاح في احياء المعاهدة التركية — السوفييتية — اعلن الطرفان عن اتفاق على عدم سماح اي منهما باستخدام اراضيهما لاغراض العدوان او التخريب ضد الاخر . وهناك انباء من موسكو بأن فيديل كاسترو سيزور الاتحاد السوفييتي في ١٥ ايار ، اي قبل زيارة نكسون بأسبوع . وفيما يتعلق بالصين ، توقفت الدعايات السوفييتية المضادة للصين تماما تقريبا في الشهر الماضي ، وارسلت موسكو ليونيد ايليشيف كبير مفاوضيها حول مشاكل الحدود مع الصين ومعه عروض جادة لحسم هذه المشاكل ، ومن المحتمل ان يتم التوصل الى اتفاق بشأنها قبيل زيارة نكسون مما يضعف من آثار تقاربه مع الصين على محادثاته مع موسكو .

ويمكن القول بشكل عام ان تعديلا طرا على الاستراتيجية السوفييتية يتمثل في انها اصبحت اكثر هجومية . وهناك ثلاث مناطق برز فيها الطابع الهجومي بشكل واضح :

١ — في شبه القارة الهندية :

ا) بعد توقيع المعاهدة الهندية — السوفييتية شجع السوفييت ودعموا عسكريا وسياسيا العمليات العسكرية التي قامت بها الهند لمساندة حركة بنجلادش لاقامة دولتها ، وما ترتب على ذلك من اسقاط النظام العسكري في باكستان الغربية . ب) دعي مجيب الرحمن لزيارة موسكو . ج) دعي ذو الفقار علي بوتو رئيس باكستان لزيارة موسكو. هـ) بدأت المفاوضات بين الهند وباكستان . وبذلك تكون العلاقات بين الدول الثلاث في شبه القارة والاتحاد السوفييتي هي العامل الاساسي (من الناحية الدولية) في سياسات هذه البلدان . كذلك تكون الاستراتيجية الامريكية في المحيط الهندي وخليج البنغال قد اصيبت بضربة كبيرة .

٢ — في الشرق الاوسط :

حيث بدا الجناح الشرقي والجنوبي الشرقي من العالم العربي مكشوفا حتى ان ايران احتلت لحساب الاستراتيجية الامريكية ثلاث جزر استراتيجية دون ادنى معارضة فعلية ، وحيث بدأت تهدد العراق ، كما بدأت امريكا تعد قاعدة لها في البحرين ، وتبسط نفوذها على دولة اتحاد الامارات . ان توقيع المعاهدة العراقية — السوفييتية قدم ضمانات للعراق ضد اي اعتداء

عليها من ايران — او من الاردن — وذلك سيساعد العراق بعد ان كانت تلك الضغوط تشلها ، على ان تعاود الانفتاح عربيا — محاولة تحقيق الوحدة مع سوريا ومصر — اعطاء مصر ٥ ملايين دينار — دعم المقاومة الفلسطينية — لتكسب مزيدا من القوة في مواجهة المناورات الامريكية لتطويق العالم العربي من منطقة الخليج — هذا اذا استطاع البعث العراقي ان يستفيد من تلك الظروف المواتية لمعالجة المشكلات العراقية الداخلية التي تثقل حركته الخارجية كثيرا — . ويلاحظ انه في نهاية زيارة كوسيجين للعراق ابحرت اول ناقلة بترول تحمل شحنة من حقل الرميلة وهو من اغنى حقول البترول في العالم الى الاتحاد السوفييتي ، كما زارت وحدات من الاسطول السوفييتي ميناء ام القصر عقب انتهاء زيارة كوسيجين . ان ارتباط دولة هي واحدة من الدول الرئيسية المصدرة للبترول بمثل هذه المعاهدة ، كما انها تقع في جوار كل المناطق البترولية الاساسية في المنطقة ، واشتراك السوفييت بمقتضى المعاهدة في تطوير صناعة البترول الوطنية ، مما يمكن ان يحقق الاساس المادي والفني لتأميم كل صناعة البترول في المستقبل ، كل ذلك يمثل هجرة من منطقة من اكثر المناطق حساسية بالنسبة للاستراتيجية الامريكية .

٣ — في الهند الصينية :

ان المساعدات السوفييتية الشاملة لفييتنام الديموقراطية ولقوات الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فييتنام ، هي من العوامل الاساسية لنجاح الهجوم الحالي الذي تشنه قوات الجبهة في الجنوب . ويقول خبراء البيت الابيض والبنتاجون ان موسكو كانت تعرف مقدما ولا شك كيف ستستخدم تلك الكميات غير العادية من الاسلحة والمعدات والمواد الاستراتيجية التي تزود بها الفييتناميين وهو استنتاج سليم . ان التعاون السوفييتي الفييتنامي ، والهجوم الشامل في الجنوب ، وتحطيم سياسة الفتنة قد عكس تماما الصورة التي كان نكسون يريد لمحادثات موسكو ان تسير في اطارها . لم تعد الصورة صورة الولايات المتحدة المنتصرة ديبلوماسيا والتي تمسك بمفاتيح السياسة الدولية ، او المنتصرة عسكريا كما كان نكسون يدعي بتفاخره المستمر بسياسة الفتنة . ولكن هذا الهجوم في جنوب فييتنام اعاد الولايات المتحدة الى الوضع التعس الذي كانت عليه حتى منتصف العام الماضي : مهزومة عسكريا ، ووجهها اسود في العالم كله ، والاضطرابات الداخلية تنفجر من جديد ضد الحرب . ومع اقتراب موعد الانتخابات فان اوراق نكسون الرابحة تحترق في جنوب فييتنام ، ويجد نفسه مضطرا الى اعادة ترتيب اوراقه من جديد . لكل ذلك يمكن القول بشكل عام ان نكسون سيفاوض في موسكو من موقع الضعف ، وسيكون عليه ان يقدم تنازلات كثيرة حتى يتمكن من استعادة وضع انتخابي قوى نسبيا .

وهناك العديد من القضايا التي يمكن التوصل الى تفاهم بشأنها في محادثات موسكو دون جهد كبير ، وربما تكفي في حد ذاتها لوصف المحادثات بالنجاح، على الاقل من وجهة نظر نكسون ، ومن وجهة النظر الانتخابية :

١ — اتفاق بشأن الحد من الاسلحة الاستراتيجية، وهو اتفاق يوفر على الدولتين مبالغ طائلة في صنع اسلحة ربما تبدو عديمة القيمة بعد سنوات قليلة نظرا لتطوير اسلحة اكثر كفاءة ، او اسلحة مضادة ، ونكسون يحتاج ذلك لاصلاح الوضع الداخلي ، ولمقاومة التضخم والعجز في ميزان المدفوعات . ولو تحقق له ذلك فستكون هذه ورقة رئيسية في الانتخابات القادمة . ٢ — اتفاق لتسوية ديون الاتحاد السوفييتي لامريكا منذ الحرب العالمية الثانية بمقتضى قانون الاعارة والتأجير . وعدم الاتفاق حول هذه الديون كان يشكل عقبة كبيرة في وجه نمو التجارة بين البلدين . هذه ايضا هدية يمكن ان يقدمها نكسون للاقتصاد الامريكي الذي يعاني قدرا غير هين من الكساد ويفتح له سوقا كبيرة جديدة ، وان كان ذلك ايضا يشكل مطلبا سوفييتيا ملحا . ٣ — مسائل ثانوية ولكن يمكن ان تكون لها قيمة دعائية مثل اتفاق بشأن تجارب مشتركة في الفضاء ، والتعاون لمنع انتشار تلوث الهواء ، وابحاث طبية مشتركة ، واتفاقيات ثقافية .

تبقى ثلاث مناطق اساسية : فيتنام ، والامن الاوروبي ، والشرق الاوسط . فما هي امكانيات الاتفاق بشأنها ؟

حينما رسم نكسون استراتيجية الولايات المتحدة في رسالته الى الكونجرس عن « حالة العالم » في شباط الماضي فان تقديراته كانت قائمة على

اساس نجاح سياسة الفتنة ، ونجاح سياسته الاسيوية الجديدة الخاصة بالصين . ولذلك فانه حدد امكانيات المساومة (من زاوية الاستراتيجية العالمية) في مسالتي الشرق الاوسط والامن الاوروبي . وقد ركز في موضوع الشرق الاوسط على ما سماه بالوجود السوفييتي في مصر الذي قال انه يمثل تهديدا لاوروبا الغربية ، وبدا واضحا ان مجال المساومة الذي يحدده هو انهاء ، او تخفيض الوجود السوفييتي في مصر مقابل اعطاء الضوء الاخضر لعقد مؤتمر الامن الاوروبي ، وكخطوة اولى هامة مسالة اقرار المعاهدتين المعقودتين بين المانيا الغربية وكل من الاتحاد السوفييتي وبولندا . ونظرا لاهمية كل من موضوع الامن الاوروبي ، والشرق الاوسط للاستراتيجية السوفييتية ، حيث اي تراجع في الشرق الاوسط بوجه خاص يمثل كسبا كبيرا للاستراتيجية الامريكية ، فان السوفييت بفضل الوضع الجديد في فييتنام يمكنهم ان يحولوا منطقة المساومة من الشرق الاوسط — الامن الاوروبي الى فييتنام — الامن الاوروبي . ويلاحظ هنا ان محادثات باريس الخاصة بفييتنام استؤنفت عقب رحلة كيسنجر السرية الى موسكو ما بين ٢٠ — ٢٣ نيسان ، وفي اعقاب ذلك فاز برانت مستشار المانيا الغربية بالثقة في البرلمان بصوتين فقط ، كان يمكن لامريكا شراءهما (وكانت المناقشة اثناء الاقتراع بحجب الثقة عن برانت مركزة حول المعاهدتين) . وهكذا فان اي نقاش حول الشرق الاوسط سيكون على اساس الوضع القائم فيه وليس كما كان يريد نكسون (اي ان تكون مساومة بين الوجود السوفييتي والامن الاوروبي) . فما هي الحقائق الاساسية بالنسبة للطرفين ؟

بالنسبة للولايات المتحدة : في مدى خمس سنوات منذ العدوان استطاعت ان تغير ميزان القوى في المنطقة لصالحها الى حد كبير : فقد نشطت وغذت القوى التي تنادى بالمصالحة مع امريكا حتى اصبح السعي لحل بالتفاهم معها نقطة اساسية في جدول اعمال الدبلوماسية العربية ، وترتب على ذلك صراعات ادت الى تصفية قوى معارضة للتفاهم مع امريكا وازدياد نفوذ القوى الموالية لها ، ونشطت النظام الاردني ضد المقاومة الفلسطينية، ثم جرته خارج اطار المعركة العربية نهائيا في اتجاه الصلح المنفرد مع اسرائيل ، كذلك نشطت الانظمة العربية المرتبطة بها ، وخاصة السعودية ، لطمب دورا ضاغطا رئيسيا في توجيه سياسات المنطقة ، وابعدت السودان عن مجموعة الدول العربية التي كانت سياساتها تعتمد اساسا على علاقاتها بالسوفييت ، واخيرا نجحت في ان تطرح العلاقات المصرية السوفييتية للنقاش العلني ، وان يتشكل في مصر تيار له نفوذه القوى في السلطة مضاد لهذه العلاقات . ومع استمرار الاحتلال الصهيوني دون تحد له ، ومع مواصلة السلطات الصهيونية لسياساتها في الاستيطان والضم ، **فان السياسة الامريكية التي تركز على ان تجعل مسالة الوجود السوفييتي في مصر مسالة لها الاولوية على المشكلة الاساسية ، من مصلحتها الا تقترب من الموضوع الرئيسي ، وان تكسب وقتا تامل من خلاله ان تتغير الاوضاع في المنطقة بشكل جذري لصالحها وخاصة في مصر .**

لذلك فانه من المعتقد ان نكسون سيقتصر فيما يتعلق بالشرق الاوسط على محاولة التوصل الى اتفاق بشأن : ١ — تحديد نوع وكمية السلاح الذي يدخل الى المنطقة من الجانبين . ٢ — محاولة الحصول على ضمانات بالا تهدد النشاطات السوفييتية في المنطقة موارد البترول للغرب . ٣ — صيغة لاستمرار وقف اطلاق النار مع مواصلة السعي لحل سلمي (حتى يظل الباب مفتوحا للمبادرات الامريكية) . ٤ — صيغة لضمان عدم المواجهة المسلحة بين البلدين في حالة تجدد القتال.

وبالنسبة للسوفييت : فانه برغم ما بدا على الاستراتيجية السوفييتية مؤخرا من طابع هجومي، وبرغم انه ظهر في شبه القارة الهندية وفي فييتنام ما يدل على ان السوفييت اصبحوا يشجعون ويدعمون العمل العسكري**طالما هم واثقون من الانتصار**، فانه لا يبدو انهم فيما يتعلق بالمواجهة العربية — الصهيونية يشجعون العمل العسكري — على الاقل في المرحلة الراهنة — لسببين جوهريين : ١ — ان القوى التي تميل لحل بالتفاهم مع امريكا قد اكتسبت نفوذا متزايدا في السياسة المصرية وخاصة منذ مبادرة روجرز ، واصبح وجهها الاخر هو معارضة العلاقات المصرية السوفييتية . ان اي حرب مع وجود هذه القوى ، وبمثل هذا القدر من النفوذ ، لا يمكن ان تحقق نصرا . ٢ — ان اي حرب جديدة ، وخاصة مع احتمالات الهزيمة ، تنطوي على خطر تدخل مباشر بين القوتين الكبيرتين وهي مخاطرة يبدو ان الاتحاد

السوفييتي ليس على استعداد لتحمل تبعاتها . لذلك فالمعتقد ان السوفييت من جانبهم لن يحاولوا الوصول الى اتفاق بشأن جوهر المشكلة . من ناحية لان امريكا ليس من مصلحتها ذلك وسترفضه ، ومن ناحية لانهم لا يملكون وسائل ضغط كافية لاجبار نكسون على قبول اتفاق ، ومن ناحية ثالثة لانهم يريدون وقتا تتطور فيه اوضاع المنطقة بشكل اكثر مواتاة وخاصة في مصر . ويلاحظ ان مسالة القوى المعادية للعلاقات المصرية السوفييتية قد طرحت نفسها بشكل قوى في كل من القاهرة وموسكو قبيل الزيارة التي قام بها الرئيس السادات الى موسكو يوم ٢٧ نيسان .

ففي الاجتماع الاخير للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي تحدث الرئيس السادات عن « اليمين الذي يتستر تحت دعوى حماية الاستقلال الوطني بما يسميه النفوذ السوفييتي » ، وقبيل ايام من سفر الرئيس المصري الى موسكو نحى اللواء علي بغدادي قائد السلاح الجوي المصري من منصبه لخلاف بينه وبين المستشارين السوفييت في الطيران ، ولكن يبدو ان « كلام » الرئيس المصري في الاتحاد الاشتراكي ، وتنحية اللواء البغدادي لا يمكن تجاهلها في العاصمة السوفييتية ، كذلك الرئيس المصري بيوم ، قالت ازفستيا الناطقة بأسم الحكومة السوفييتية ان المقاومة التي تبديها بعض القوى في مصر للعلاقات المصرية السوفييتية لا يمكن تجاهلها في العاصمة السوفييتية ، كذلك قال مراسل الصحيفة في القاهرة في برقية له ان المخططات الامبريالية والصهيونية تلتقي مع القوى الرجعية المحلية في محاولة اضعاف العلاقات المصرية السوفييتية . وما قالته ازفستيا يشير الى ان هذا الموضوع سيكون موضوعا رئيسيا في مناقشات الرئيس المصري في موسكو . ويبدو ان الرئيس المصري ، الذي يستشعر الخواطر على نظامه من هذه القوى ، قد التقى مع السوفييت في تقييم هذه القوى ، وفي القلق بشأن نشاطها حتى أن البيان المشترك عن زيارته لموسكو اشار في اولى فقراته للمؤامرات الهادفة لابعاد البلاد العربية عن حليفها الاول وهو الاتحاد السوفييتي واسرة البلدان الاشتراكية ، كما جاء في البيان . كذلك شن الرئيس المصري حملة عنيفة على هذه القوى في خطابه بمناسبة اول ايار في الاسكندرية، وبينما دافع عن العلاقات المصرية السوفييتية عاب على هذه القوى انها لا « تتشنج » ضد الولايات المتحدة برغم ما تقدمه لاسرائيل من دعم وبرغم ان الامريكيين اثبتوا في مساعيهم لحل الازمة انهم « كذابون، وغشاشون وخداعون » كما وصفهم السادات في خطابه .

وزيارة السادات لموسكو قبيل زيارة نكسون ، وهذا التفاهم الذي يعكسه البيان المشترك بين السادات والقادة السوفييت ، بشأن القوى المعادية للسوفييت ، وشحنات الاسلحة الجديدة لمصر ، وعدم اشارة البيان الى التسوية السلمية او الى مهمة يارنغ ، وانما الى حق الدول العربية « لاستخدام كافة الوسائل » لتحرير اراضيها ، كل ذلك ولا شك من شأنه ان يجعل مركز نكسون في التفاوض بشأن الشرق الاوسط اقل قوة ، ويجعله اكثر حرصا على الابتعاد عن الموضوع الرئيسي في قضية الشرق الاوسط ، وهو موضوع الانسحاب والتسوية .

وفي التقييم النهائي ، فان القادة السوفييت ونكسون لن يحاولا التوصل الى اتفاق جوهري بشأن الشرق الاوسط ، وانهما سيعلنان عن موقف يسمح لكل منهما بحرية الحركة وبحرية الاختيار .

ومن المرجح ان يأخذ هذا الموقف شكل تنشيط مهمة المبعوث الدولي مرة اخرى ، وربما بجهود شخصية من جانب السكرتير العام فالدهايم ، مع كل ما يتضمنه ذلك من مخاطر الفشل ، واتاحة الفرصة مرة اخرى للقوى التي تضغط في اتجاه الحل بالتفاهم مع امريكا ، وفتح الباب لمناورات امريكية جديدة . كما ان ذلك يتيح لاسرائيل فرصة استكمال استيطانها للوطن المحتل وتهويد ارضه وافراغه من سكانه .

وبشكل عام فانه نظرا لسلبيات الموقف العربي ، فان سياسات الاتحاد السوفييتي في المنطقة ستظل محكومة باعتبارات استراتيجيته العالمية التي تسعى الى تحقيق اهدافه وازاحة النفوذ الامريكي حيثما امكن ذلك دون مخاطرة بصدام مباشر مع الولايات المتحدة . وما لم ينشأ موقف ثوري في المنطقة ، يرسم ويضع في التطبيق خطا نضاليا ضد الامبريالية والصهيونية ، ويتحمل هو مسؤولية هذا الخط بشكل رئيسي ، فستظل السياسة السوفييتية في المنطقة هي المحافظة على الاشكال التي اتخذتها علاقات الاتحاد السوفييتي بدول المنطقة ، وستظل سياسات الولايات المتحدة هي محاولة القضاء على هذه العلاقات السوفييتية العربية ، وسيظل

العنوان المعلن لهذه المواجهة السياسية هو السعي لتسوية سلمية بين الاطراف المتنازعة ، اما على اساس قرار مجلس الامن من الجانب السوفييتي ، دون وجود امكانيات عملية وواقعية لمثل هذا الحل، او من خلال تسويات جزئية كما تحاول الولايات المتحدة ، ولان هذه التسويات الجزئية مشروطة باخراج السوفييت فان احتمالاتها ضعيفة . ان المواجهة بين السياستين السوفييتية والامريكية هي من الناحية الفعلية حول الوجود السوفييتي ، والسياستان تحيدان بعضهما بعضا الى درجة كبيرة . انما يمكن الاستفادة من الموقف السوفييتي كحليف مباشر فقط حينما يتشكل موقف نضالي عربي قادر على ان يتحمل مسؤولية حسم المشكلة بالقتال، وطبقا للاهداف الاستراتيجية العربية ، اي تحرير فلسطين ضمن مهام الثورة الوطنية الديموقراطية العربية . والمواجهة السوفييتية الامريكية الحالية هي عامل مؤات للقوى الثورية العربية ، من حيث انه لا يبدو معها اي احتمال لفرض حل ما على المنطقة على الاقل لفترة تسمح للقوى الثورية بفرصة تجميع صفوفها وتحديد خطها النضالي واساليبها لانضاج موقف ثوري عربي قادر على ان يتصدى لمهام النضال ضد الامبريالية والصهيونية. لذلك فان الفرصة مؤاتية لقوى الثورة الفلسطينية ان تعمل بشكل جاد من اجل وضع البرنامج السياسي والتنظيمي للوحدة الوطنية موضع التطبيق ، حتى تنطلق الثورة الفلسطينية الموحدة بثقل اكبر نحو تشكيل الجبهة الوطنية العربية المناهضة للامبريالية والصهيونية .

ومع العمل على هذا الخط الاستراتيجي ، فان هناك مهاما نضالية جزئية تسهم في انضاجه :
١ — تنشيط النضال الجماهيري على النطاق العربي ضد القوى التي تسعى لحل بالتفاهم مع امريكا ، وضد مشاريع الحل السلمي ، وضد السياسات المناوئة للثورة الفلسطينية .
٢ — الضغط جماهيريا من اجل حرية الحركة القتالية للثورة الفلسطينية لما لهذه الحركة من اثر حيوي في خلق مناخ نضالي على الصعيد العربي يساعد على تشكيل الجبهة الوطنية العربية ، ويوجه نضالاتها ضد العدو الرئيسي : الامبريالية والصهيونية ودعاة التفاهم معها . ٣ — الضغط جماهيريا من اجل تنشيط الجبهات العربية او على الاقل السماح بفتح جبهات للعمل الفدائي عبر الخطوط بالاشتراك مع المناضلين العرب مصريين او سوريين او من اي وطن عربي آخر .
٤ — مواصلة العمل عربيا لمحاصرة النظام الملكي في الاردن .

ليلى قاضي

عرض للعلاقات الامريكية الاسرائيلية

منشورات مركز الابحاث في م. ت. ق. (بيروت)

بالانجليزية ٢٧٨ صفحة ٢ ل. ل.

علاقات رومانيا مع اسرائيل : خلفيتها وابعادها

كان من جملة ما اثارته زيارة جولدا مئير الاخيرة لرومانيا ، انها اعادت الى الاذهان قصة العلاقات المتميزة بين رومانيا واسرائيل خصوصا بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ . فقد اتخذت رومانيا آنذاك موقفا منفردا عن دول الكتلة الشرقية ، وذلك برفضها ادانة العدوان وقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . وفي حين كانت علاقات اسرائيل مع دول الكتلة تتدهور — ومن ثم تتكس جهودها التي كانت تبذلها للتقرب من هذه الدول — نمت علاقاتها مع رومانيا وتوطدت في مختلف الميادين . اما التفسير الذي حرصت رومانيا على تكراره لموقفها هذا فهو انها تسير وفق سياستها « الاستقلالية » التي تنتهجها في علاقاتها الدولية . ونعتقد ان هذه السياسة هي المدخل الحقيقي لفهم العلاقات الرومانية — الاسرائيلية وتطوراتها. ولذا سنتناول هذه العلاقات من خلال العناوين التالية : (١) اتجاه رومانيا « الاستقلالي » في علاقاتها الدولية — الخلفية الاساسية لعلاقاتها مع اسرائيل . (٢) موقف رومانيا تجاه النزاع العربي — الاسرائيلي . و(٣) العلاقات الثنائية بين البلدين ، كامتداد لهذا الاتجاه .

١ — اتجاه رومانيا « الاستقلالي » : بدأت رومانيا منذ اواسط الستينات ترفع شعار الاستقلال في انتهاج سياستها الخاصة ، التي تقضي بالتعاون مع مختلف الدول بغض النظر عن نظمها الاجتماعية . ولم يكن هذا الشعار سوى ترجمة لابتعاد رومانيا عن مجموعة الدول الاشتراكية ، وانفتاحها على المعسكر الامبريالي ، بما يترتب على ذلك من تخل عن التزاماتها المبدئية لمناهضة الامبريالية ، الى مهادنة هذه الامبريالية واقامة علاقات ودية معها . وتعود جذور هذا الاتجاه الى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ، والذي كان بداية الخلاف بين السوفييت وكل من الصين والبانيا . ففي ذلك المؤتمر وافق الوفد الحزبي الروماني على خط التحول السلمي للاشتراكية ، ابرز شعارات المؤتمر ، ولكنه تحفظ حول موضوع ستالين . ومع تطور الخلاف الصيني السوفييتي اتخذت رومانيا موقفا محايدا وان كانت ايدت الصين في لقاء عام ٥٧ في الاصرار على ضرورة عدم تدخل اي بلد في شؤون البلد الاخر ، وعدم اللجوء الى الضغوط الاقتصادية لتسوية الخلافات العقائدية ، وحق كل بلد اشتراكي في اختيار الاسلوب الذي يلائم ظروفه الموضوعية(١).

كانت رومانيا تخطو بذلك ، خطوتها الاولى في سياستها الجديدة ، اما الخطوة التالية فجاءت في بداية الستينات باعتراض رومانيا على السياسة الاقتصادية للكوميكون « مجلس التكامل الاقتصادي للدول الشيوعية » والتي كانت تقوم على استمرار الطابع الزراعي للاقتصاد الروماني . كان ذلك حين عرضت موسكو عام ٥٩ مخططا اقتصاديا يحدد مهمة كل من دول الكتلة ، ويقضي بأن تستمر رومانيا والبانيا وبلغاريا في تأمين الحاجات الزراعية لباقي دول الكتلة. ولكن رومانيا — وكذلك البانيا — رفضت هذا النوع من التخصص واعلنت ان على كل دولة ان تبني اقتصادها الخاص بها عن طريق تنمية الصناعة لا الزراعة فحسب . وفي عام ٦٤ حدث الانعطاف الكبير في الموقف الروماني متمثلا بخروج رومانيا رسميا على سياسة الكوميكون الاقتصادية. فكتب جيورجي ديج ، الامين العام للحزب آنذاك،مقالا في جريدة الحزب الرسمية انتقد فيه سياسة الكوميكون وطالب فيه صراحة برفع القيود عن رومانيا لتطور اقتصادها وترضي حاجاتها الاقليمية ومطالب شعبها اولا . وعقد الكوميكون اجتماعا طارئا في بوخارست اصر فيه السوفييت على ضرورة تقيد رومانيا ببنود الخطة العامة للكوميكون وتفاصيلها ، الا ان رومانيا باشرت في تطبيق مشروعاتها لتصنيع البلاد مخالفة المخطط الزراعي المقترح(٢). واستمرت رومانيا في اتخاذ خطوات متلاحقة كانت تزيدها ابتعادا عن مجموعة الدول الاشتراكية ، والتصاقا بدول المعسكر الغربي ، وبشكل يتخطى الجانب الاقتصادي ليكشف الابعاد السياسية الحقيقية للاتجاه الروماني . فبدأت منذ ذلك العام ، ٦٤ ، يعقد عدد من الاتفاقات الاقتصادية خاصة مع فرنسا والولايات المتحدة ، واخذ حجم التبادل التجاري لرومانيا يتضاءل مع الكتلة الاشتراكية ويزداد مع الدول الغربية . وعلى سبيل المثال انخفض حجم تجارتها مع الاتحاد السوفييتي في سنة واحدة ، ٦٧ — ٦٨ ، من النصف الى الثلث(٣). وبين عامي ٦٤ و٦٦ انخفض حجم تبادلها التجاري مع مجموعة الدول الاشتراكية من ٦٧٪ الى ٦٠٪ ، كما انخفضت صادراتها الى الاتحاد السوفييتي من

٨٠٪ في بداية الستينات الى ٥٠٪ عام ٦٨(٤). ويمكن ان يتضح انفتاح رومانيا على المعسكر الغربي من خلال استعراض بعض الامثلة لعلاقاتها مع دوله الرئيسية . في كانون الثاني ٦٧ اتخذت رومانيا خطوة سياسية خطيرة اذ قررت اقامة علاقات دبلوماسية مع المانيا الغربية ، برغم اعتراض الاتحاد السوفييتي وباقي دول الكتلة. وكانت بذلك تلغي عمليا معاهدة فرسوفيا التي وقعتها رومانيا عام ٤٨ وتقضي بانه « في حال تعرض رومانيا لاي عدوان مباشر من المانيا الغربية ، او من اية دولة حليفة لها بطريقة مباشرة او غير مباشرة فان القوات السوفييتية تتدخل للدفاع عن السيادة الرومانية »(٥). وفي مقابل ذلك قامت المانيا بتقديم قروض طويلة الاجل لرومانيا بلغت قيمتها مليارين و٢٠٠ مليون مارك(٦). وفي شهر آب ٦٧ وقع البلدان اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني تتضمن اقامة مصانع مشتركة في رومانيا ، وتلى ذلك عدة اتفاقات اخرى تتوجت في شهر تشرين الثاني ٦٩ باتفاقية اقتصادية وتجارية طويلة الاجل شكلت اساس التوسع في العلاقات الاقتصادية بين البلدين . ورغم الاجراءات التي اتخذت لتعديل الميزان التجاري بين البلدين الا انه كان يسجل باستمرار ميلا واضحا لصالح المانيا ، اذ بلغت قيمة صادرات المانيا الى رومانيا عام ٧٠ مثلا ٨٢ مليون جنيه استرليني مقابل ٦٦ مليونا للصادرات الرومانية ، اي بعجز قيمته ١٦ مليون جنيه استرليني . وفي شهر ايار ٧١ قام رئيس المانيا الغربية ووزير خارجيتها بزيارة لرومانيا كانت اول زيارة لرئيس المانى لاحدى دول اوروبا الشرقية ، وعقد الرئيسان الروماني والالماني مؤتمرا صحفيا قال فيه تشاوشسكو ان سبب اقامة علاقات مع المانيا نابع من وجوب الاعتراف بحقائق العالم .وضرورة اقامة علاقات تعاونية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة . وجاء في البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة ان المحادثات تناولت مسائل ثنائية ودولية كثيرة ، كما عبر الطرفان عن ارتياحهما لتطور العلاقات الحسنة بينهما منذ اقامة العلاقات الدبلوماسية ، وعن رغبتهما في توسيع التجارة وتطوير التعاون في المجالات العلمية والفنية والثقافية فيما بينهما(٧).

وفي عامي ٦٨ و٦٩ تم تبادل الزيارات وتوثيق العلاقات بين رومانيا وبريطانيا . فزار وفد حكومي روماني لندن عام ٦٨ كما قام وزير خارجية بريطانيا بزيارة لبوخارست . وفي ذلك العام قامت رومانيا بخطوة لم يسبق لها مثيل حيث وقعت عقدا بـ ٢٤ مليون دولار مع مؤسسة بريطانية للطيران . وفي ذلك العام وقعت رومانيا وبريطانيا اتفاقية تجارية لخمس سنوات ، وقفزت قيمة التبادل التجاري بين البلدين من ٧ ملايين جنيه استرليني عام ١٩٦٠ الى حوالي ٦٧ مليونا عام ١٩٦٨(٨). وقام رئيس وزراء رومانيا بزيارة الى لندن عام ٦٩ التقى خلالها بممثلي قطاعات الصناعة والعلم والثقافة ، وجاء في البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة ان الجانبين قد عبرا عن ارتياحهما الخاص لزيادة التبادل التجاري ، وللتعاون المطرد في المجالات الاقتصادية والتقنية والثقافية والعلمية بين البلدين(٩).

وفيما يتعلق بفرنسا ، قام ديجول عام ٦٨ بزيارة لرومانيا حيث استقبل كبطل . وعلقت مجلة التايم الاميركية على الزيارة بقولها ان الرئيس الفرنسي قد اسمع الرومانيين ما كانوا يودون سماعه فعلا. فقد حث تشاوشسكو — الذي يتشابه في انتقاده لحلف وارسو مع ديجول في انتقاده لحلف الاطلسي— ان يعمل معه لتحطيم نظام الكتل الذي يجزىء اوروبا . ودعا رومانيا ان تسير جنبا الى جنب مع فرنسا نحو اوروبا موحدة متحررة من سيطرة الدول الكبرى . واتفق الزعيمان على تشكيل لجنة لتنسيق جهودهما من اجل هذه الغاية(١٠). وقام تشاوشسكو في اواسط ١٩٧٠ بزيارة لفرنسا واتفق الجانبان على اقامة مشاريع مشتركة في دول اخرى فكانت رومانيا بذلك ، الدولة الاشتراكية الوحيدة التي تعقد معها فرنسا اتفاقيات من هذا النوع(١١).

اما مع الولايات المتحدة فقد وقعت رومانيا عام ٦٨ اتفاقية ثقافية كانت اكبر اتفاقية عقدتها الولايات المتحدة مع دولة اشتراكية . وقام نيكسون عام ٦٩ بزيارة لرومانيا صدر في نهايتها بيان مشترك جاء فيه ان الطرفين عبرا عن قناعتهما بانه لا توجد بينهما مسائل مباشرة يختلفان عليها ، واكد نيكسون احترام بلاده لسيادة جميع الدول وحقها في الحفاظ على شخصيتها الوطنية . واتفق الجانبان على انشاء مكتبة اميركية في رومانيا ومكتبة رومانية في اميركه ، وكذلك على تطوير وتنوع الروابط الاقتصادية بينهما(١٢).

وفي الوقت الذي كانت رومانيا تشرع ابوابها في وجه الاستثمارات الرأسمالية والثقافية الغربية

كانت تحاول حجب كل النماذج الثقافية والاجتماعية السوفييتية باسم العمل على استعادة التقاليد القومية . ففي شباط ٦٨ انتهت معاهدة الصداقة الرومانية ــ السوفييتية ، بمرور عشرين عاما عليها . ولقد درجت الدول الاشتراكية في مثل هذه الحالة على تجديد المعاهدة بصورة تلقائية ، الا ان رومانيا تلكأت عدة شهور قبل ان تعيد توقيعها ولمدة خمس سنوات فقط(١٣). وقامت رومانيا في العام التالي باغلاق جمعية الصداقة الرومانية ــ السوفييتية(١٤). ومن جهة اخرى امتنعت رومانيا عن حضور مؤتمر القمة الشيوعي عام ٦٨ لبحث تطورات الوضع في تشيكوسلوفاكيا وايدت نظام دوبتشيك ، واعادت تشكيل فرق المقاومة الشعبية واعلنت ان اي تدخل في رومانيا سيقابل بالقوة .

وهكذا نرى ان الموقف الروماني المنفتح على الغرب لم يتوقف على الجانب الاقتصادي ، على خطورته ، بل تعداه الى المسائل الثقافية والسياسية المؤدية بالطبع الى مهادنة الامبريالية العالمية والسكوت عن جرائمها ثم التحالف معها . واذا كنا نلاحظ انتقادات الصحافة الغربية لرومانيا، خاصة في المسائل الداخلية ، فما ذلك الا مظهرا للضغط الذي يمارسه الغرب تجاه رومانيا لكي تمد اتجاهها « التحرري » على حياتها الداخلية ، ويسحبها نهائيا خارج المجموعة الاشتراكية .

٢ ــ رومانيا والنزاع العربي ــ الاسرائيلي : خضع موقف رومانيا تجاه النزاع العربي ــ الاسرائيلي منذ أواسط الستينات الى عاملين اساسيين : الاول هو الاتجاه الروماني الاستقلالي المنفتح على الغرب ، وامتداده الى المنطقة . والثاني ، يتمثل بالعلاقات الثنائية الخاصة التي بدأت تنمو بين رومانيا واسرائيل ، وهو عامل متفرع عن العامل الاول وذو ابعاد دولية ، كما سنرى في القسم الثالث من هذا البحث . وقبل ذلك كانت رومانيا في مواقفها من المنطقة منسجمة مع باقي دول الكتلة الشرقية . فهي مثلا قد سحبت ممثلها السياسي من اسرائيل على اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ٥٦ ولم تعده الا عام ٦٦ . وعلى الصعيد الاقتصادي والتجاري كانت علاقتها باسرائيل حتى عام ٦٦ محدودة للغاية . وربما كانت هجرة اليهود من رومانيا لاسرائيل هي الشذوذ الوحيد عن موقف الكتلة ، ومع ذلك كانت الهجرة تتم بحذر وسرية .

مع بداية انفتاحها على الغرب بدأت رومانيا تنظر الى الصراع في المنطقة نظرة محايدة في الظاهر ، مؤيدة لاسرائيل في نتائجها العملية . وحاولت قبل عدوان حزيران تنشيط علاقاتها مع طرفي النزاع ، واستمرت بهذه السياسة الى الان . فقبل عدوان حزيران كانت مثلا تبني قوارب لمصر ، وتصنع الملابس لليبيا والكويت وتفكر في اقامة مصنع للفوسفات في سوريا ، ومصنع للمعادن في السودان(١٥). وفي الوقت ذاته عقدت اتفاقية ضخمة للتعاون الاقتصادي والفني مع اسرائيل . وبرغم موقف رومانيا من عدوان اسرائيل عام ٦٧ ، والمتمثل برفضها ادانة العدوان وقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، اسوة بباقي دول الكتلة الاشتراكية ، فقد شهد النصف الاول من عام ٦٨ نشاطا رومانيا اقتصاديا ملحوظا في عدة بلدان عربية . فعقدت اتفاقية مقايضة مع السعودية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار تستورد بموجبها النفط السعودي(١٦)، ووقعت اتفاقية للتعاون العلمي والفني مع الجمهورية المتحدة(١٧)، واتفقت مع الكويت على مقايضة النفط الكويتي ببضائع رومانية(١٨)، ووقعت اتفاقية للتبادل الثقافي مع تونس(١٩)، واتفاقية تجارية مع الجزائر ، وبروتوكولا للتعاون الاقتصادي والفني مع اليمن الجنوبية(٢٠). تعثرت العلاقات العربية الرومانية عام ٦٩ على اثر رفع رومانيا لعلاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل الى مستوى سفارة . فأعلنت مصر سحب سفيرها من بوخارست وقطعت كل من سوريا والعراق والسودان علاقاتها الدبلوماسية معها . ولكن رومانيا كانت منسجمة مع اتجاهها العام في علاقاتها الدولية ، ونظرتها « المحايدة » تجاه الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، فردت على الموقف العربي بمقالات رئيسية في المجلة الاسبوعية للشؤون الخارجية ، لوميه ، اتهمت فيها الدول العربية بالتدخل في شؤونها الداخلية . ويعلق الكتاب الاميركي اليهودي على ذلك بقوله : لم تتدهور علاقات رومانيا مع مصر حيث استمرت اتفاقية لمدها بالمواد الغذائية سارية المفعول ، ولم يمنع قطع العلاقات مع السودان توقيع البلدين لاتفاقية تجارية جديدة(٢١). وفي صيف ١٩٧١ ترددت انباء عن عزم رومانيا على شراء ١٢ طائرة بوينج جرى تعديلها في المصانع الجوية الاسرائيلية حسب المواصفات الرومانية ، ودرس مؤتمر ضباط المقاطعة العربية صفقة البوينج والعلاقات التجارية

الرومانية ـ الاسرائيلية ، واصدر توصية بمقاطعة بعض المنتوجات الرومانية التي يحتمل ان تكون اسرائيلية ، او صنعت في رومانيا من مواد اسرائيلية ، وتتسرب الى الاسواق العربية حيث تقضي احدى الاتفاقات بين رومانيا واسرائيل ان تقوم كل منهما ببيع منتوجات الاخرى لطرف ثالث(٢٢). ولكن الدول العربية كانت في هذه الفترة تنتهج سياسة « الانفتاح » وعدم المقاطعة ، ربما لقناعتها بضرورة فصل التعامل الاقتصادي عن الموقف السياسي على اعتبار ان القضية العربية تتطلب في هذه المرحلة تأييدا معنويا ، ورومانيا عموما تؤيد انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة !. وهكذا بدأت العلاقات الرومانية ـ العربية تتحسن مع نهاية عام ٧١ ، فقررت مصر والسودان اعادة علاقتهما الدبلوماسية مع رومانيا على مستوى السفارة(٢٣). ووقعت مصر معها اتفاقيتين للتعاون الفني والتجاري قيمتهما ١٣٠ مليون دولار(٢٤)، ووقعت الجزائر معها اتفاقية تجارية جديدة . ثم جاءت زيارة تشاوشسكو الاخيرة لبعض الدول العربية ، تلتها دعوة مثير لزيارة رومانيا ، التي حققت على الاقل ، توازنا لزيارة تشاوشسكو للدول العربية ، انسجاما مع سياسة رومانيا باقامة علاقات متساوية مع العرب واسرائيل ، وانطلاقا من مصلحتها الوطنية الخاصة والتي يبدو انها اقتنعت منذ فترة طويلة بأن خدمة هذه المصلحة مرتبطة بتوثيق علاقاتها مع اسرائيل. ولعل استعراض موقف رومانيا من عدوان اسرائيل عام ٦٧ يوضح هذه الحقيقة .

يتلخص موقف رومانيا من العدوان ونتائجه بما يلي : رفضها ادانة العدوان ورفضها مقاطعة اسرائيل ، ثم اعتبارها قرار مجلس الامن الحل السليم للمشكلة ، ودعوتها للمفاوضات المباشرة كوسيلة عملية لتنفيذه . فمع تصاعد التهديدات الاسرائيلية للدول العربية في ايار ٦٧ وتدهور الوضع الى حافة الحرب في المنطقة ، ظهرت بوادر عطف روماني رسمي على اسرائيل ، اتخذت في هذه المرحلة طابع الحياد الظاهري بين الجانبين المتنازعين . وخلافا لدول الكتلة الشرقية امتنعت في اذاعتها عن مهاجمة دور اسرائيل في تصعيد التوتر ، واكتفت باذاعة « الوقائع » فقط(٢٥). وعند وقوع العدوان وقفت الدول الاشتراكية في طليعة الدول الصديقة التي أدانت العدوان واعلنت تضامنها مع الشعوب العربية ضد الغزو الاسرائيلي . وفي حين قرب الموقف من العدوان يوجسلافيا من دول الكتلة الشرقية ، ابتعدت رومانيا عنها وتفردت في موقفها . ففي التاسع من حزيران ٦٧ عقدت دول الكتلة ومعها يوجسلافيا اجتماعا سريا في موسكو واصدرت بيانا مشتركا امتنعت رومانيا عن توقيعه لانه شجب العدوان ودعا اسرائيل الى سحب قواتها من جميع الاراضي التي احتلتها نتيجة لذلك(٢٦). ورفضت رومانيا حضور المؤتمر الشيوعي الذي عقد بعد ذلك بشهر واحد ، اي في ١٠ تموز ، في بودابست (هنجاريه) خصيصا لبحث موضوع العدوان الاسرائيلي ، ومساندة الدول العربية . الا ان رومانيا حضرت اجتماعا لدول أوروبه الشرقية في بلجراد في الرابع من شهر أيلول ٦٧ ، ويبدو انها لم توافق على حضور هذا الاجتماع الا بعد ان تلقت تأكيدا بأن المؤتمر سينحصر في مسألة المساعدات الاقتصادية للدول العربية ، ولن يتعداها الى القضايا السياسية والعسكرية . وذكرت صحيفة نيويورك تايمز آنذاك ان رفض رومانيا الموافقة على لوم اسرائيل ووصمها بالعدوان قد ادى الى تأجيل اذاعة البيان المشترك للمؤتمر مدة ١٨ ساعة ، وانه بسبب ذلك الرفض لم يتضمن البيان عبارات تصم اسرائيل بالعدوان ، بل تحدث عن مناهضة الاستعمار دون ذكر اسم اسرائيل . وكان رئيس وفد الاتحاد السوفييتي قد قام قبل انعقاد ذلك المؤتمر بشهر واحد بزيارة خاطفة وسرية الى رومانيا يبدو انها كانت من اجل اقناع رومانيا بحضوره لكي تظهر دول الكتلة الشرقية بموقف واحد في مساندة الدول العربية . وتكرر الموقف الروماني في المؤتمر الذي عقدته الدول الاشتراكية بعد صدور قرار مجلس الامن ، لمناقشة الوضع في الشرق الاوسط على ضوء القرار . فذكرت وكالة اليونايتدبرس ان البيان الذي صدر عن المؤتمر في ٢٢ كانون الاول ووقعته رومانيا ، قد تحاشى وصم اسرائيل بالعدوان ، وذلك تنازلا من دول الكتلة الشرقية لرومانيا لقاء توقيعها البيان الذي اظهر دول الكتلة متفقة في نظرتها لازمة الشرق الاوسط . وبدلا من دمغ اسرائيل بالعدوان قال البيان « ان خططا بعيدة المدى من اعداد اوساط استعمارية في مقدمتها الولايات المتحدة » تكمن وراء حالة التوتر المصطنع وتهدف هذه الخطط الى اعادة النظام الاستعماري الجديد الى منطقة الشرق الاوسط(٢٧).

وعلى كل حال فقد ظلت رومانيا حتى الان متمسكة بموقفها الذي يرفض وصف اسرائيل بالمعتدية . وكانت مجموعة الدول الاشتراكية قد قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل كتعبير عن موقف هذه الدول من العدوان ، الا ان رومانيا امتنعت عن ذلك بل وزادت من توثيق علاقاتها مع اسرائيل .

لم تكتف رومانيا بهذا الموقف السلبي، والمؤيد بالنتيجة لاسرائيل ، بل ذهبت الى حد الدعوة للمفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل كوسيلة لحل الازمة، وبذلك كانت تتبنى تماما الموقف الاسرائيلي — الاميركي . ففي ١٠ حزيران ٦٧ اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني بيانا دعت فيه الجانبين المتنازعين الى التفاوض المباشر لتامين السلام في الشرق الاوسط وتدعيمه . واضافت صحيفة جيروزاليم بوست التي اوردت النبأ ، ان اذاعة بوخارست تتبع خطا مستقلا كما ظهر من خلال اذاعتها لتصريحات بيجال آلون والتي قال فيها « ان الحرب التي شنت على اسرائيل جعلت اتفاقيات الهدنة لاغية وفارغة »(٢٨). وبعد يومين من اصدار البيان قامت رومانيا بابلاغ سفيري الجمهورية المتحدة واسرائيل ، انها تعتبر انه يمكن حل مشاكل الشرق الاوسط بواسطة المفاوضات بين الاطراف المعنية ، كما القى تشاوشسكو ، الامين العام للحزب ، خطابا دعا فيه العرب واسرائيل الى الامتناع عن محاربة بعضهما والى حل مشاكلهما بواسطة التفاهم والمباحثات ، ودعا الاسرائيليين الى التخلي عن الاراضي التي احتلوها(٢٩). وفي الجلسة الطارئة للامم المتحدة ، دعا رئيس وزراء رومانيا الى الانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة ولكنه لم يعتبر هذا الانسحاب غير مشروط فدعا اسرائيل والعرب الى اجراء مفاوضات بينهما . وفي ٧ تموز ٦٩ عقد ممثل رومانيا في اسرائيل مؤتمرا صحفيا في تل ابيب دعا فيه من جديد الى المفاوضات المباشرة فقال ان النزاع العربي — الاسرائيلي يجب ان يحل عن طريق المحادثات ، وعلى الدول ذات المصلحة المباشرة ان تحدد شكل هذه المحادثات ، ولكنه اضاف ان كل اتفاق يجب ان يرتكز على قرار مجلس الامن وعلى بنوده الاساسية : انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، واحترام سيادة اراضي كل دول المنطقة ، ووضع حل لمشكلة اللاجئين يعترف بمصالحهم الوطنية(٣٠). ومن الواضح ان رومانيا لا زالت تعتقد بأن المحادثات المباشرة ضرورية للتسوية السلمية ، وظهر ذلك من خلال ما عرضه تشاوشسكو اثناء زيارته الاخيرة للقاهرة ، على الرئيس السادات . فقد طرح الرئيس الروماني ان التعقيدات الدولية لن تسمح بحل عسكري يؤدي الى هزيمة احد الطرفين، وان المسألة من ثم ستتجمد لفترة طويلة ، « ... ولماذا اذن لا تأخذون الامر مباشرة في ايديكم ، وتقومون باتصال مباشر — ولو سري — مع اسرائيل »(٣١).

ان الموقف الاخير الذي اتخذته رومانيا بعد زيارة تشاوشسكو لمصر بفترة وجيزة ، وذلك بدعوتها جولدا مئير لزيارة رومانيا واجراء محادثات مطولة معها حول ازمة الشرق الاوسط ، يأتي منسجما مع الاتجاه الروماني بكليته . ومن الواضح ان رومانيا مهتمة بتسوية الازمة وانها لذلك تحاول التوسط لحل النزاع . فقد صرح تشاوشسكو بعد محادثاته مع مئير ان لبلاده مصلحة حيوية في التوصل الى حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط(٣٢). وبغض النظر عن حيثيات المحاولة الرومانية ، فانها لم تكن الاولى بل ان رومانيا حاولت ذلك في الفترة التي رفعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل عام ٦٩ ، كما فتح الرئيس الروماني ، اثناء زيارته الاخيرة للجزائر ، الموضوع مع الرئيس بومدين ، ثم عرضه على الرئيس السادات بعد ذلك في القاهرة(٣٣). تنطلق رومانيا في محاولتها من قرار مجلس الامن ، وتحديدا : انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة ، وحل مشكلة اللاجئين بما يتناسب مع المطامح الوطنية للشعب الفلسطيني — رأتها احيانا في دولة وطنية مستقلة — وان يقوم الطرفان المعنيان بالتفاوض للوصول الى ذلك . ورد ذلك مثلا في البيان المشترك عن زيارة تشاوشسكو لفرنسا في شهر حزيران عام ٧٠ ، وكرر تشاوشسكو هذا الكلام اثناء زيارته الاخيرة للجزائر والسودان . ولكن هذا هو ما يجعل المحاولة محكومة بالفشل ما دامت الدول العربية ترفض المحادثات المباشرة مع اسرائيل ، وما دامت العودة الى حدود ما قبل حرب حزيران امرا غير وارد بالنسبة لاسرائيل . وعند وصولها الى بوخارست طلبت مئير من رومانيا ان تسعى الى اقناع الدول العربية باجراء مفاوضات مع اسرائيل دون شروط مسبقة ، في حين اكد رئيس وزراء رومانيا تأييد بلاده لقرار مجلس الامن وقال : « لا

نزال نؤيد القرار الذي وافق عليه مجلس الامن في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ والذي يدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ، والاعتراف باستقلال وسيادة جميع الدول في المنطقة، وايجاد حل لقضية الشعب الفلسطيني، وذلك عن طريق خلق ظروف تمكنه من العيش حياة مناسبة وفقا لرغباته ومطامحه »(٣٤). ويبدو ان اسرائيل ذاتها لم تعلق آمالا كبيرة على المحاولة الرومانية وان كانت زيارة مئير لبوخارست تحقق لها اكثر من مكسب . فقد كتبت مجلة اكسبرس الفرنسية تعليقا على الزيارة جاء فيه « ان الناس في القدس ، التي دهشت اول الامر ثم سرت ثم اصبحت قلقة حاليا ، يتساءلون عما اذا كانت هذه الرحلة قد كتب عليها منذ البداية ان تبقى دون تكملة . لقد ألغت مئير زيارة مقررة الى سنغافورة، لتلبية الدعوة التي حملها مساعد وزير الخارجية الروماني الذي كان في عجلة من امره جعلته ينسى ابلاغ السفير الاسرائيلي امر الدعوة » . وتساءلت المجلة عما اذا كانت هذه الدعوة « فخا أعده السوفييت والسادات لاظهار ان اسرائيل لا تريد التحرك قيد أنملة في طريق السلام » ؟ لقد اعلن الرئيس المصري : « قلت لتشاوشسكو ان الاسرائيليين نهمون . لم يرد ان يصدقني . عندئذ قلت له : قابل جولدا مئير اذن » . واضافت المجلة ان الصحافة الاسرائيلية اكتشفت في هذا الكلام مناورة وتمهيدا لحملة تشهير مجلجلة . ونسبت الى شخصية اسرائيلية قولها : « كنا تخلينا عن هذه الدعوة المزعجة . ولكن كيف يمكن ان نقول لا للرئيس « الاشتراكي » الوحيد الذي نستطيع ان نقول له شيئا ما حتى الان »(٣٥). ومن ناحية مصر ، فقد نفت ان تكون وافقت على الفكرة الرومانية ، او انه كان لها علم بأن رومانيا ستمضي في محاولتها ، واعتبرت دعوة مئير لزيارة بوخارست بعد ايام قليلة من زيارة تشاوشسكو للقاهرة ، وما رافق ذلك من كلام في الصحف العالمية مفاجأة لها مما جعلها تبعث برسالة الى بوخارست مؤداها ان القاهرة لا تفهم ماذا يجري ، وانها تشعر بالقلق ازاءه وتطلب تفسيرا محددا ، صدر بعدها بيان روماني مقتضب يقول ان زيارة مئير سوف تقتصر على العلاقات الرومانية الاسرائيلية فقط(٣٦). لقد اكدت الاخبار التي رافقت زيارة مئير على ان مشكلة الشرق الاوسط كانت في مقدمة المواضيع التي نوقشت في الجلسات المطولة مع تشاوشسكو خاصة . واذا كان البيان المشترك الذي صدر عن زيارة مئير لم يشر الى نتائج محددة ، فلا يعني ذلك ان المحاولة الرومانية قد انتهت حتما بانتهاء الزيارة ، وانما تعزز الاعتقاد لدى المراقبين بأن رومانيا اكتفت في هذه المرحلة بنقل وجهتي نظر الطرفين ، المصري والاسرائيلي ، الى بعضهما . ففي البيان المشترك ان الجانبين ، الروماني والاسرائيلي ، اتفقا على مواصلة الجهود من اجل تسوية سلمية للنزاع ، وصرحت مئير بعد انتهاء الزيارة بأنه ليست لدى رومانيا النية لان تلعب دور الوسيط بين البلدان العربية واسرائيل ، ولم تكن لديها هذه النية يوما ، وقالت ايضا انها عائدة من زيارة ودية جدا ومهمة ومفيدة(٣٧).

لقد اكتسبت زيارة مئير لرومانيا اهمية خاصة واثارت ضجة كبرى ، لعدة اعتبارات . فالطريقة التي وجهت بها الدعوة كانت غير اعتيادية،ورومانيا لها علاقات جيدة مع كل من العرب واسرائيل ، وبالتالي يمكنها وضعها ان تلعب دورا ايجابيا في الوصول الى حل للازمة ، وتأتي الزيارة قبل فترة وجيزة من زيارة نيكسون لموسكو ، واذا ما اسفرت زيارة مئير عن شيء فقد يكون مدار بحث بين نيكسون والسوفييت . ووضع رومانيا بالنسبة للاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة يساعد على ذلك على اعتبار انه من الانسب للسوفييت ان يأتي حل الازمة عن طريق طرف ثالث من ان يأتي عن طريق الولايات المتحدة ، والولايات المتحدة من جهة اخرى ترحب ببروز رومانيا دوليا مما يعزز موقفها « الاستقلالي » عله يكون مثالا يحتذى من دول اخرى في الكتلة الشرقية . وعلى اي حال فان الزيارة تحقق لكل من رومانيا واسرائيل مكاسب على الصعيد الذاتي . فرومانيا يهمها ان تظهر على المسرح الدولي مدعمة لاتجاهها « الاستقلالي » مما يقوي من مكانتها وعلاقاتها الدولية . وبالنسبة لاسرائيل ، فانه لم يسبق ان قام رئيس وزراء اسرائيلي بزيارة لاحدى دول الكتلة الاشتراكية ، وكانت ولا زالت تهدف الى تغيير واقع علاقاتها المحصورة مع الغرب بينما تتوجه الدول الاشتراكية في علاقاتها نحو العرب ، ولا شك ان اسرائيل تأمل ان تحقق لها الزيارة شيئا من ذلك ولو على الصعيد الاعلامي فقط . ومن جهة اخرى فان الزيارة جاءت لتوازن زيارة تشاوسسكو للقاهرة ، ولان تظل رومانيا محافظة على خطها « الحيادي » تجاه

الصراع في المنطقة ، ولتؤكد لاسرائيل ان علاقاتها مع الدول العربية لن تؤثر على علاقاتها الجيدة مع اسرائيل .

٣ ــ العلاقات الثنائية بين رومانيا واسرائيل : يمكن ان تكتمل صورة الموقف الروماني من النزاع العربي ــ الاسرائيلي بعرضنا لتطور العلاقات الثنائية بين رومانيا واسرائيل . غير ان الفهم الحقيقي لهذه العلاقات يجب ان يقفز من مجرد استعراضها ، الى وضعها في اطارها الطبيعي والمتمثل بالطائفة اليهودية في رومانيا وباليهودية العالمية واسرائيل . فاسرائيل واليهودية العالمية تبني موقفها من دول الكتلة الاشتراكية على ضوء موقف هذه الدول من رعاياها اليهود بالدرجة الاولى ، وكما عبر عن ذلك ناحوم جولدمان في اواخر عام ١٩٦٤ بقوله « يجب ان نأخذ كل دولة من دول الكتلة الشرقية على حدة نظرا لان سياستها تجاه القضايا اليهودية مختلفة عن بعضها بعضا »(٣٨).

انعكس موقف رومانيا المنفتح على الغرب منذ عام ٦٤ بانفتاح داخلي على الطائفة اليهودية . فقامت رومانيا خلال ذلك العام باطلاق سراح عدد من المعتقلين السياسيين كان من بينهم عدد من الصهيونيين . وعلقت الجويش كرونيكل يومها على تلك البادرة بقولها: يبدو ان الافراج عن هؤلاء هو جزء من الجهود المبذولة لخلق جو مناسب لاجراء المحادثات المالية والاقتصادية مع الولايات المتحدة(٣٩). وتبع هذا التدبير الذي سبق التقارب الروماني ــ الاميركي ــ وربما كان شرطا اساسيا له ــ تدبير اخر يتعلق بالهجرة اليهودية . فقد ذكرت مجلة الطائفة اليهودية الرومانية في حزيران ٦٤ ، اي بعد توقيع الاتفاق الاقتصادي الروماني الاميركي ، ان الحكومة الرومانية بدأت تنظر بشعور انساني عميق لقضية اليهود الرومانيين الراغبين بالهجرة الى اسرائيل . وعلق الكتاب الاميركي اليهودي السنوي على ملاحظة المجلة بقوله « لم يسبق ان صدر تعليق من هذا النوع في مجلة رومانية »(٤٠)، واكد الكتاب ان السلطات الرومانية سمحت فعلا لعدد من اليهود بالهجرة الى اسرائيل خلال ذلك العام . واستمرت رومانيا بعد ذلك في اطلاق سراح المعتقلين ومن بينهم عناصر مرموقة بنشاطها الصهيوني ، كما استمرت الهجرة اليهودية من رومانيا قبل عدوان حزيران وبعده ، حيث يذكر تقرير لجامعة الدول العربية ، منتصف حزيران ٦٨ ، ان الهجرة مستمرة من رومانيا الى اسرائيل عن طريق موانىء ايطالية يخرج منها اسبوعيا ما يقرب من ٢٠٠ مهاجر . وعندما زار الرئيس الاميركي ، نيكسون ، رومانيا عام ٦٩ طلب من السلطات الرومانيا ان تسهل هجرة ٤٠ الف يهودي آخرين الى اسرائيل(٤١). ومن جهة اخرى ، تمثل الانفتاح الروماني الرسمي على الطائفة اليهودية ، بالاعتراف بها كئنة دينية واقلية قومية معا، وبمنحها حرية كاملة في المجالين الداخلي والخارجي . يبلغ عدد اليهود في رومانيا حوالي ١٠٠ الف ويشرف على شؤونهم « اتحاد الجاليات اليهودية » الذي يترأسه الحاخام روزين ، ويعتبر هذا الاتحاد رسميا الممثل الشرعي ليهود رومانيا تجاه السلطات . ويقيم هذا الاتحاد علاقات اخوية مع الجاليات اليهودية خارج رومانيا ، ويشارك في المؤتمر اليهودي العالمي ، وهو المنظمة التوأم للمنظمة الصهيونية العالمية . فقد جاء في الكتاب الاميركي اليهودي السنوي لعام ٦٤ ان السلطات الرومانية لم تبد اي اعتراض خلال ذلك العام على محاولات اتحاد الجاليات انشاء علاقات اخوية مع اليهودية العالمية ، كما اكد روزين في مقابلة له مع صحيفة جويش كرونيكل في ٣ اذار ٦٦ ان وضع اليهود في رومانيا تحسن جدا . واقامت الجالية اليهودية عام ٦٦ احتفالا ضخما بمناسبة مرور ٢٥ عاما على وقوع اول الضحايا اليهود للاضطهاد النازي اشتركت فيه الدولة رسميا وقدمت للحكومة الاسرائيلية هدية من ٣ آلاف مخطوطة من التوراة طلبت ان توزع ــ اذا امكن ــ في الكنائس التي يرتادها المهاجرون الرومانيون الى اسرائيل* . وفتحت زيارة ناحوم جولدمان ، رئيس المنظمة الصهيونية والمؤتمر اليهودي العالمي ، انذاك ، لرومانيا في اوائل عام ٦٧ ، ابواب رومانيا لغزو صهيوني منظم . فبعد زيارته باسبوعين قام نائب رئيس منظمة الجباية اليهودية الاميركية بزيارة لرومانيا صرح على اثرها انه توصل الى اتفاق مع اتحاد الجاليات اليهودية في رومانيا ، وبموافقة الحكومة ، ستقدم منظمته بموجبه مساعدات دائمة ليهود رومانيا(٤٢). وفي حزيران ٦٩ اقامت الجالية

---

* يبلغ عدد اليهود الذين هاجروا من رومانيا الى اسرائيل حوالي ٤٠٠ الف (راجع ديرشبيجل ٢٤ نيسان ٧٢) .

اليهودية احتفالات استمرت خمسة ايام بمناسبة الذكرى العشرين لتنصيب روزين حاخاما ليهود رومانيا ، حضرها ممثلون عن المؤتمر اليهودي العالمي ومنظمة الجباية اليهودية الاميركية واتحاد الكنائس الاسرائيلية وهيئات دينية وغير دينية في اوروبه الشرقية والغربية والولايات المتحدة وكندا ، واصدرت المجلة الاسبوعية للجالية عددا خاصا حملت رسالة مطولة من الاعيان اليهود في اسرائيل واوروبه الغربيةوالشرقية والاتحاد السوفييتي(٤٣). وتصدر هذه المجلة بثلاث لغات هي الرومانية والعبرية واليديش ، وتتناول الاحداث اليهودية داخل رومانيا وخارجها . وفي رومانيا نشاط ادبي ملحوظ بلغة اليديش ، وكانت الحكومة قد ادخلت منذ عام ٦٥ برنامجا اذاعيا بلغة اليديش على برامج الاذاعة الرسمية في بوخارست . وفي اوائل عام ١٩٧٠ عقد ممثلو ٩٨ جالية يهودية رومانية ، عددها ١٠٠ الف ، اجتماعات قومية في مدينة بوخارست برعاية الحاخام روزين الذي اكد ان ١٨٣ معبدا ومؤسسة يهودية في رومانيا تقوم بعملها القومي على اكمل وجه وان اكثر من عشرة آلاف معظمهم من الشباب والطلاب يدرسون اللغة والتاريخ العبريين في رومانيا(٤٤).

ومع انه من غير المعروف تماما عدد اليهود ومراكزهم في المؤسسات الرسمية ، الا ان خمسين الفا من يهود رومانيا يتركزون في العاصمة بوخارست . ومن المعروف تاريخيا ان اليهود في مختلف الدول كانوا ولا زالوا يقيمون بصورة اجمالية في المدن ، مما مكنهم بحكم وضعهم المالي ، ان يكونوا طبقة وسطى متعلمة في تلك المدن ، وفي بوخارست بشكل خاص . ومع بداية التطور الراسمالي تعرض اليهود ، كجزء من الطبقات الوسطى ، في المجتمعات الاوروبية الى نقمة الفئات الاخرى وخاصة في الطبقات الوسطى التي رات فيهم خطرا يتمثل في منافستها على رزقها . وشجعت الطبقات الراسمالية المالكة هذا الاتجاه لكي تظهر للطبقات الاخرى ان عدوها الحقيقي هم اليهود . وفي اوائل القرن التاسع عشر اصدر ملك بروسيا قانونا بحرمان اليهود من ممارسة اية مهنة ، طبق في مختلف بلدان اوروبا الشرقية باستثناء رومانيا ، فاصبحت بذلك محط هجرة للفئات اليهودية من الاقطار الاخرى . وادى ذلك بالطبع الى ان يشكل اليهود في رومانيا فئة مثقفة ونافذة في المجتمع . وعبر روزين عن هذا الواقع حديثا بكلمة امام مؤتمر الجاليات اليهودية الأورثوذكسية في اميركه عام ٦٦ قال فيها ان يهود رومانيا يحتلون مراكز هامة في جميع مستويات الحكم والصناعة والعلم والفنون(٤٥). وما تجدر الاشارة له هنا هو ان طبقة الانتلجنسيا هذه ، النافذة في جهاز الدولة تجد في الانفتاح على الغرب ارضاء لنزعاتها الليبرالية ، ومن ثم تكتسب قيادة الحزب والدولة تأييد ودعم هذه الطبقة لسياستها العامة . يعطي الكتاب الاميركي اليهودي اشارات الى وضع اليهود في الدولة والحزب فيذكر ان هناك ثلاثة يهود في « الوزارة المصغرة » Inner Cabinet (وهذه تتالف من الوزراء الرئيسيين في الحكومة ، وتكون جلساتهم في العادة سرية لا يحضرها الوزراء الاخرون) ، منهم جيورجي جاستون مارتن المعروف بأفكاره الاقتصادية الليبرالية ، والذي كان مسؤولا عن التطورات الاقتصادية في الستينات ، وكان رئيس الوفد الروماني الذي ارسل للولايات المتحدة في منتصف ايار ١٩٦٤ لعقد الاتفاق الاقتصادي . وفي المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الروماني ، في شهر آب ٦٩ ، انتخب تسعة يهود في اللجنة المركزية واثنان في اللجنة التنفيذية للحزب . ومع ذلك يشير الكتاب الى ان نفوذ القادة الحزبيين من اصل يهودي قد انخفض لبعض الوقت نتيجة اجراءات تشاوشسكو باستبدال القادة القدامى بقادة من الجيل الجديد(٤٦).

لم يكن الانفتاح الروماني الرسمي على الطائفة اليهودية مجرد انعكاس مبسط للانفتاح الخارجي بل ان له ابعادا اخرى تتعلق باسرائيل واليهودية العالمية . فاسرائيل هي الحلقة المركزية التي تمر بها العلاقات مع الطائفة اليهودية داخليا ومع اليهودية العالمية على صعيد دولي . ولذا فان اقامة علاقات جيدة مع اسرائيل تتطلب سياسة داخلية ترضي الطائفة اليهودية وتمنحها الحرية كاملة على الصعيدين الداخلي والخارجي . ومنذ انفتاحها على الغرب ، كانت رومانيا تعي اهمية اسرائيل ، ومن ثم اليهودية العالمية في تأمين دعم اقتصادي راسمالي غربي . كما كانت ترى ، من جهة اخرى، ان تقوية علاقاتها الثنائية مع اسرائيل تفتح امامها متنفسا اقتصاديا اخر عن طريق فتح اسواق جديدة لمنتجاتها . وفي معرض شرحها للابعاد العميقة لتقرب رومانيا من اسرائيل ، والذي بدأ منذ عام ٦٥ ، قالت الجويش اوبزرفر ان رومانيا كانت ، كما يبدو ، تنظر ، عبر اسرائيل ،

الى اليهودية العالمية لان ادراك رومانيا للاسماء اليهودية العديدة في سجل زعماء الاقتصاد في دول عدة ، جعلها تقدم على اظهار حسن نيتها تجاه اسرائيل . ومن خلال اسرائيل ، يبدو ان رومانيا سعت الى دخول جميع الدول الغربية مرة واحدة وعبر التشتت اليهودي (الدياسبورا). وكان على يهود اسرائيل ان يلعبوا دور جسرها الى الغرب — اي ان الصداقة الرومانية — الاسرائيلية هي في الاساس صفقة سياسية واقتصادية ذات ابعاد عالمية . واعطت المجلة امثلة عن تبادل المنافع اليهودية — الرومانية فقالت ان شراء رومانيا سيارات ليلاند — اشدود كان واسطة رومانيا للتعرف على شركة ليلاند البريطانية التي تعاقدت معها لاقامة معمل تجميع في رومانيا . كما ان الفاكهة الرومانية تعلب في اسرائيل وتجد طريقها الى اسواق اوروبا الغربية(٤٧). وكما لعبت اسرائيل دور الوسيط المالي لرومانيا مع الدول الغربية لتأمين القروض والمساعدات ، فقد لعبت ايضا دور الوسيط التجاري لترويج البضائع الرومانية في الاسواق التي لاسرائيل نفوذ فيها خاصة في افريقيا واميركه اللاتينية(٤٨). اما اسرائيل فتأمل بالمقابل ان تساعدها علاقاتها مع رومانيا في الاطلال على باقي الدول الاشتراكية وان تصل في الوقت ذاته ، المنتوجات الاسرائيلية الى اسواق اوروبا الشرقية . وكانت اسرائيل بدات تسعى جاهدة في اواسط الستينات لتقوية علاقاتها مع دول الكتلة الاشتراكية لان هذه الدول قد اصبحت بعد عام ٤٨ في وضع المنتقد ان لم تكن معادية لاسرائيل ، وفي وضع الصديق للدول العربية ، بينما اسرائيل ملتصقة بالمعسكر الامبريالي . ويهم اسرائيل جدا ان تبعد عنها وصمة التبعية للامبريالية ، بالاضافة الى المكاسب الاستراتيجية والاقتصادية التي تأمل في تحقيقها اذا ما نجحت في توطيد علاقاتها مع الدول الاشتراكية ، مثل : اضعاف الموقف العربي ، هجرة اليهود من تلك الدول ، وزيادة التعامل الاقتصادي والتجاري معها . ورات اسرائيل آنذاك في الخلاف داخل المعسكر الاشتراكي من جهة ، والتقارب السوفييتي الاميركي من جهة اخرى ، عاملا يساعدها على تحقيق هدفها . ولذلك قامت اسرائيل عام ٦٦ بعقد مؤتمر لسفرائها في دول الكتلة الشرقية ، في بولنده ، صرح ايبان بعده ان المؤتمر قد وسع الافق السياسي لاسرائيل ، كما علقت الجيروزاليم بوست بقولها ان الدول الغربية ستكون سعيدة ان تشهد مجالا اوسع للاتصال بدول الكتلة الشرقية ، التي لم تعد كتلة متراصة ، بل بدأت دولها تستعيد بروزها الذاتي بعد ان خفت حدة التوتر الاميركي السوفييتي وخفت قبضة السوفييت عليها(٤٩). وعبر ايبان بعد ذلك عن هدف اسرائيل صراحة بقوله ان قصدنا الاكيد هو ان نفعل اي شيء في حدود قدرتنا لنقوي ارتباطاتنا مع دول اوروبه الشرقية(٥٠). ثم قام ناحوم جولدمان ، بعد ذلك بقليل ، بزيارة لدول اوروبه الشرقية ومنها رومانيا ، كخطوة اخرى في سبيل تقوية علاقات اسرائيل مع تلك الدول ، وقد رأينا سابقا ، كيف ان رومانيا خضعت بعد ذلك لغزو صهيوني منظم . ولم يستطع وزير مالية اسرائيل ، بنحاس سابير ، لدى عودته من توقيع عدة اتفاقيات طويلة الاجل للتعاون التجاري والتقني مع رومانيا في اواسط ايار ٦٧ ، من اخفاء شعوره ، حيث قال « منذ شهر واحد كان كل هذا يبدو خيالا »(٥١).

سارت العلاقات الرومانية — الاسرائيلية في خطوات بطيئة اول الامر ، ثم اخذت تزداد توثقا ومتانة حتى الان . قبل عدوان حزيران ٦٧ تمثلت ابرز العلاقات بين رومانيا واسرائيل بتعيين رومانيا لاول وزير مفوض لها في اسرائيل ، وامتناعها في ذلك العام ، ٦٦ ، عن التصويت في الامم المتحدة على اقتراح تقدمت به الدول العربية لتعيين حارس على الاملاك العربية في اسرائيل ثم بتوقيع البلدين اتفاقية كبيرة للتعاون الاقتصادي والفني في اوائل عام ٦٧ . بعد ذلك استقرت هذه العلاقات في مؤسسات ، على حد تعبير صحيفة معاريف ، التي كتبت ، بمناسبة زيارة نائب وزارة الخارجية الروماني لاسرائيل في العام الماضي ، تقول ان هناك اطارا دائما للاتصالات بين البلدين هو عبارة عن لجنة مشتركة بين ممثلي الحكومتين على مستوى وزراء تجتمع لبحث العلاقات القائمة وخصوصا في مجالي الاقتصاد والتجارة ، وتعقد كل ستة اشهر اجتماعات ذات طابع سياسي واضح . لقد سبقت زيارة نائب وزير الخارجية الروماني لاسرائيل زيارة المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، جدعون رفائيل ، لبوخارست ، وجرى اجتماع خارج حدود رومانيا (في روما) . ان الظاهرة الاكثر وضوحا في العامين الماضيين في علاقات رومانيا باسرائيل كانت كما هو معروف ، القرار الذي اتخذته حكومة بوخارست لرفع تمثيلها

الدبلوماسي في اسرائيل الى درجة سفارة . لم يكن ذلك أمرا سهلا بالنسبة لبوخارست لتعرضها لضغوط كبيرة من جانبا موسكو والدول العربية . ولقد توثقت اخيرا علاقات السياحة والتبادل الثقافي والرياضي كما اتفق على تعميق التعاون في المجال العلمي والتقني . وفي المجال السياسي استجابت رومانيا للتوقعات الاسرائيلية ، اذ من المعروف ان شخصيات بارزة في الحكومة السوفييتية تنتقد باستمرار الصحافة في رومانيا التي ترفض باصرار نشر اوصاف منحازة في مجال النزاع العربي — الاسرائيلي(٥٢). ويمكن ايراد بعض الامثلة لتطور العلاقات الرومانية — الاسرائيلية منذ عدوان حزيران وفي مختلف المجالات*.

في المجال السياسي كان بالفعل قرار رومانيا في ١٦ آب ٦٩ برفع تمثيلها الدبلوماسي مع اسرائيل ، هو ابرز ما في هذه العلاقات . وعلقت الجويش كرونيكل يومها على الخطوة فقالت ان انفراد رومانيا بعدم قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل بعد حرب الايام الستة قد اظهر استقلالا فكريا لرومانيا تحسد عليه . وجاءت خطوتها الاخ كمثال آخر على هذا الاستقلال . ان اصدقاء اسرائيل في العالم سيقدرون هذه الاعمال التي تطلبت اتخاذ قرارات جريئة(٥٣). وجاءت زيارة مئير الاخيرة لبوخارست خطوة كبيرة جديدة في هذه العلاقات . على صعيد حزبي تقيم رومانيا علاقات مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) الصهيوني ، خلافا للدول الاشتراكية الاخرى التي تتعامل مع حزب راكح .

في المجال العسكري ، نقلت صحيفة معاريف بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٧٠ عن مجلة المانية ان رومانيا قد أبدت اهتماما بشراء طائرة الميراج التي تنتجها اسرائيل بقوتها الذاتية . كما ترددت انباء هذا العام عن ان رومانيا تقوم بتزويد اسرائيل بقطع الغيار والذخيرة للاسلحة السوفييتية التي اصبحت بحوزتها بعد عدوان حزيران ، غير ان رومانيا نفت ذلك(٥٤). وفي مجال التعاون العلمي والفني تقدم اسرائيل خبرتها في المجالين الزراعي والصناعي . ففي شهر آب ١٩٧٠ جرى تخريج ٢٠ خبيرا رومانيا بعد أن اتموا تدريبهم على اعمال الري في اسرائيل(٥٥). وكانت رومانيا واسرائيل قد وقعتا اتفاقا في شهر شباط ٦٩ تعهدت اسرائيل بموجبه القيام بمشروع لري ٤٠٠ الف دونم في رومانيا ويكلف حوالي ٢٠ مليون دولار ، وكذلك بانشاء مزرعة نموذجية للدواجن ، وتأسيس مصنعين لذبح الابقار وتعليب اللحوم ، واقامة مبان لتوضيب الفاكهة والخضار ، وتشييد مصنع لانتاج القهوة الاميركية(٥٦). وشكل البلدان عام ٧١ لجنة مشتركة بهدف تعميق التعاون في المجالين العلمي والتقني على اثر زيارة الى بوخارست قام بها وفد من المجلس الوطني للبحث العلمي والتنمية في اسرائيل(٥٧). من جهة اخرى تقوم الفرق الفنية والموسيقية في البلدين بتبادل الزيارات واحياء الحفلات الشعبية . وكان البلدان قد اتفقا في نهاية عام ٦٨ على الغاء سمات الدخول بينهما بهدف تنمية السياحة والنقل بينهما . ويتبادل البلدان اقامة المعارض الصناعية فأقيم عام ٦٨ معرض صناعي اسرائيلي ضخم في بوخارست اشتركت فيه ١٤٢ شركة اسرائيلية ، كما اقيم معرض صناعي روماني في تل ابيب ، واشتركت اسرائيل عام ٧٠ في المعرض التجاري الذي اقيم في بوخارست لاول مرة منذ الحرب الثانية(٥٨). ومن مظاهر الصداقة بين البلدين تقديم اسرائيل قرضا لرومانيا عام ٧٠ قدره ٧ ملايين دولار ، على اثر الفيضانات في رومانيا ، كما قدم التجار الاسرائيليون الذين يتعاملون مع رومانيا مساعدة نقدية وعينية قيمتها ٥٠ الف دولار(٥٩). على صعيد التبادل التجاري ، حدث التطور الاساسي في آذار ٦٧ حين وقع البلدان اتفاقية طويلة الاجل للتعاون الاقتصادي والتجاري. قبل ذلك كان التبادل التجاري بينهما محدودا لا يكاد يصل حجمه الى خمسة ملايين دولار ، ويجري على اساس التصفية Clearing ، اي دفع القيمة ببضائع مقابلة . اما الاتفاقية الجديدة فحددت العملة الصعبة كأساس للتبادل . وفي نهاية ذلك العام اتفق الجانبان على تشكيل لجنة مشتركة لمتابعة الاتفاقية ، حددت هدفا ان تصل قيمة التبادل الى ٢٠ مليون دولار في كل اتجاه. واعتبرت الصحف الاسرائيلية تلك الاتفاقية اوسع اتفاقية وقعتها اسرائيل مع اية دولة في العالم لان اهمية الاتفاقية لا تنحصر في المجال الاقتصادي بل تتعداه الى المجال السياسي . واتفق الجانبان عام ٧١ على تجديد الاتفاقية لمدة خمس سنوات اخرى ، يتوقع المسؤولون الاسرائيليون ان تزداد قيمة

* لمزيد من التفاصيل حول هذه العلاقات يمكن الرجوع الى كتاب « علاقات اسرائيل مع دول العالم » منشورات مركز الابحاث ، ١٩٧٠ .

التبادل التجاري ، بموجبها بنسبة ١٥ ٪ سنويا على الاقل ، بالاضافة الى انها « تمكن اسرائيل من الحفاظ على موطىء قدم لها في اوروبه الشرقية »(٦٠). ويبين الجدول الاتي تطور التبادل التجاري بين البلدين بين عامي ٦٦ و٧١ .

التبادل التجاري بين رومانيا واسرائيل
(بالاف الدولارات)

السنة	الصادرات الاسرائيلية	الواردات الاسرائيلية
١٩٦٦	٢٤،٢٤	٩٦٩(١)
١٩٦٧	٥،٥٢٣	٥،٨٦٤
١٩٦٨	١٠،٠٩٥	١٠،٧٣١ (٢)
١٩٦٩	١٤،٨٩٦	١٧،٦١٣
١٩٧٠	١١،٠٣٠	٢٥،٠٨٢(٣)
١٩٧١	٨،٣٩٦	١٨،٧٦٩(٤)

مصادر الجدول

١ — Statistical Abstract of Israel. 1967. p. 219.

٢ — المصدر السابق ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٩ .

٣ — Central Bureau of Statistics, Foreign Trade Statistics, Quarterly, No. 4, (2 issues) Jan-December, 1970, p. 514.

٤ — لتسعة اشهر فقط Monthly Foreign Trade Statistics, September, 1971, p. 32.

خلاصة : لم يكن الاتجاه « الاستقلالي » الروماني سوى ردة فعل قومية ضيقة ، تهدف الى الانفكاك من التزامها تجاه مجموعة الدول الاشتراكية ، وقوى الثورة المناهضة للامبريالية . لقد رفعت رومانيا شعار حرية كل دولة في انتهاج سياستها الخاصة بها في الداخل والخارج ، دون ان يكون لهذا الاتجاه انعكاسه الداخلي ، على غرار ما حدث في تشيكوسلوفاكيا مثلا . فالبيروقراطية الحزبية ، ومراقبة وسائل الاعلام، وتقييد الحريات ظلت على ما هي عليه . ومع ذلك فقد مكنت هذه السياسة زعماء رومانيا من متابعة خطهم . فهي من جهة ترضي نزعة جماهيرية عامة ، والحفاظ على المكاسب الاشتراكية والاوضاع الحزبية القديمة لا يولد ردة فعل لدى السوفييت وباقي دول الكتلة كما حدث تجاه تشيكوسلوفاكيا ، في حين يرضي الانفتاح على الثقافة الغربية النزعة الليبرالية في اوساط البيروقراطية . ولكن توطيد هذا الاتجاه وتوفير الراسمال الغربي له ، لا يمكن ان يتم بدون ثمن ، فكان شعار التعايش والتعاون مع كافة الدول بغض النظر عن نظمها الاجتماعية ، والذي لم يكن سوى تغطية لمهادنة المعسكر الامبريالي وتوثيق العلاقات معه ، وفتح أسواق رومانيا للاستثمارات الراسمالية .

ولم يكن توطيد رومانيا لعلاقاتها مع اسرائيل سوى حلقة في هذا الاتجاه . فاسرائيل هي الجسر الطبيعي للوصول الى اليهودية العالمية التي تشكل بدورها مدخلا للحصول على الدعم المالي والاقتصادي الغربي . كما تشكل اسرائيل ، من جهة ، جسرا للمنتوجات الرومانية لاسواق العالم الثالث ، حيث لا تستطيع هذه المنتوجات على المنافسة الكنوءة في أسواق الدول الغربية المتقدمة . اما اسرائيل فقد واجهت منذ قيامها عزلة نسبية عن مجموعة الدول الاشتراكية ، وهي لا تريد ، انطلاقا من اعتباراتها الوطنية الذاتية ، ان تظهر امام دول العالم الثالث على انها حليف للمعسكر الامبريالي المكروه من شعوب هذا العالم . وبالتالي فان اقامة علاقات جيدة مع الدول الاشتراكية تشكل لاسرائيل متنفسا استراتيجيا هاما . ولذا فان توطيد علاقاتها مع رومانيا يظل يشكل املا لاسرائيل على امكان خرق الحاجز الاشتراكي سياسيا ، ووصول منتوجاتها الى اسواقه . ولهذا نقول ان العلاقات الرومانية الاسرائيلية صفقة سياسية — اقتصادية ذات ابعاد استراتيجية وعالمية .

سعادة موسى

الحواشي :

١ ــ جريدة النهار البيروتية ، ٦٧/١٢/٢٠ .
٢ ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤ ، ص ٣١٣ .
٣ ــ الكتاب الاميركي اليهودي السنوي، ١٩٦٩، ص ٤١٤ .
٤ ــ مجلة التايم الاميركية ، ٦٨/٥/٢٤ .
٥ ــ جريدة النهار ، ٦٧/١٢/٢٠ .
٦ ــ المصدر السابق ، ٦٨/٦/٢٧ .
٧ ــ ملفات كيسنجز لعام ٧١ ــ ٧٢ ، ص ٢٤٧٠٨ .
٨ ــ ملفات كيسنجز لعام ٦٩ ــ ٧٠ ، ص ٢٣٨٠١ .
٩ ــ المصدر نفسه .
١٠ ــ مجلة التايم الاميركية ، المصدر السابق .
١١ ــ النهار ٧٠/٦/١٨ .
١٢ ــ ملفات كيسنجز ، ٦٩ ــ ٧٠، ص ٢٣٥١٠ .
١٣ ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي لعام ٦٨ ، ص ٨٧٧ .
١٤ ــ مجلة الهدف البيروتية ، ٦٩/٩/٦ .
١٥ ــ جويش اوبزرفر ٦٧/٤/٢٨ .
١٦ ــ النهار ٦٨/٥/١ .
١٧ ــ الاهرام ٦٨/٣/٢١ .
١٨ ــ النهار ٦٨/٢/١٩ .
١٩ ــ العمل التونسية ٦٨/٣/١٢ .
٢٠ ــ النهار ٦٨/٦/١٩ .
٢١ ــ الكتاب الاميركي اليهودي السنوي ، ١٩٧٠ ، ص ٤٨٧ .
٢٢ ــ جريدة بيروت اللبنانية ، ٧١/٨/٢٤ .
٢٣ ــ النهار ٧١/١٢/٢٥ .
٢٤ ــ الاهرام ٧٢/١/١٩ .
٢٥ ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي لعام ٦٧ ، ص ٩١٢ .
٢٦ ــ مركز الابحاث ، اليوميات الفلسطينية ، المجلد الخامس ، ص ٦٠٢ .
٢٧ ــ المصدر السابق ، المجلد السادس ، ص ٤١٧ .
٢٨ ــ جيروزاليم بوست ٦٧/٦/١١ .
٢٩ ــ المصدر السابق ، ٦٧/٦/١٧ .
٣٠ ــ النهار ٦٩/٧/٨ .
٣١ ــ الاهرام ٧٢/٤/٢٨ .
٣٢ ــ الاذاعة الاسرائيلية (عربي) ، ٧٢/٥/٦ .
٣٣ ــ الاهرام ، المصدر السابق .
٣٤ ــ النهار ، ٧٢/٥/٦ .
٣٥ ــ النهار ٧٢/٥/٥ .
٣٦ ــ الاهرام ، المصدر السابق .
٣٧ ــ النهار ٧٢/٥/٨ .
٣٨ ــ جيروزاليم بوست ، ٦٤/١٢/٢٧ .
٣٩ ــ جويش كرونيكل ، ٦٤/٥/٥ .
٤٠ ــ مؤسسة الدراسات ، الكتاب السنوي لعام ٦٤ ، ص ٣١٤ .
٤١ ــ الجمهورية القاهرية ، ٦٩/٨/٢٦ .
٤٢ ــ مؤسسة الدراسات ، الكتاب السنوي لعام ٦٧ ، ص ٩١٢ .
٤٣ ــ الكتاب الاميركي اليهودي السنوي ، ١٩٦٩ ، ص ٤١٨ .
٤٤ ــ لانفورماسيون ، ٧٠/٣/٢٥ .
٤٥ ــ جيروزاليم بوست ، ٦٦/١١/٢٤ .
٤٦ ــ الكتاب الاميركي اليهودي السنوي ، ١٩٧٠، ص ٤٨٥ .
٤٧ ــ مؤسسة الدراسات ، الكتاب السنوي لعام ٦٨ ، ص ٨٨٠ .
٤٨ ــ دير شبيجل ، ٧٢/٤/٢٤ .
٤٩ ــ جيروزاليم بوست ، ٦٦/٥/٢٠ .
٥٠ ــ جيروزاليم بوست ، ٦٦/٦/٥ .
٥١ ــ جويش اوبزرفر ، ٦٧/٤/٢٨ .
٥٢ ــ راجع نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، السنة الاولى ، عدد ٩ ، ١ آب ٧١ ، ص ١٥٨ .
٥٣ ــ جويش كرونيكل ، ٦٩/٨/٢٢ .
٥٤ ــ الدستور الاردنية ، ٧٢/٣/١٧ .
٥٥ ــ دافار ، ٧٠/٨/٢٥ .
٥٦ ــ جيروزاليم بوست ، ٦٩/٢/١٠ .
٥٧ ــ المحرر اللبنانية ، ٧١/٦/٢٥ .
٥٨ ــ جيروزاليم بوست ، ٧٠/١٠/١٤ .
٥٩ ــ لانفورماسيون ، ٧٠/٧/١٣ .
٦٠ ــ هيرالد تريبون ، ٧١/٢/١٥ .

فلسفة التربية للشعب العـــربي الفلسطيني

فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني هي محاولة من قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط لوضع اطار فكري وتربوي موحد للشعب الفلسطيني المشتت . وهذه الفلسفة هي حجر الاساس لعمل القسم الذي يهدف الى وضع مناهج تعليمية وطنية وبرامج تثقيفية تهدف الى خلق جيل فلسطيني ثوري يملك الارادة والتصميم والفكر والعلم اللازم لتحمل اعباء مسيرة التحرير الطويلة . ويتوجـــه مركز التخطيط بالشكر للمستشارين التربويين على مساهمتهم الكبيرة في هذا العمل .

تنبثق فلسفة التربيـــة والتعليم للشعب العـــربي الفلسطيني من المنطلقات التالية :

أولا : ان العالم واقع موضوعي يجب ان يدرس موضوعيا وان لا يحكم عليه ذاتيـــا ، وان هذا العالم في حالة حركة مستمرة ولا يمكن ان يدوم واقع ما الى الابد ، وان بامكان الانسان معرفة العالم وتغييره . وبناء على هذه النظرة ، فان فلسفة التربية والتعليم تتجـــه الى رفض كـــل المفاهيم التي تشكك بقدرة الانسان والجماهير على معرفة العالم وتغييره وترفض مواقف الخضوع للامر الواقع والاستسلام له .

ثانيا : ان التاريخ ليس تراكما عبثيا للاحداث او دورة تعيد نفسها بلا انقطاع ، بل هو تطور من الادنى الى الارقى وتلعب الثورات دورا اساسيا في هذا التطور .

ثالثا : ان الانسان جزء من الشعب الذي ينتمي اليه ، وان مصلحته تكمن في تحقيق مصلحة هذا الشعب وان قيمته تحدد بما يقوم به في سبيل انتصار القضايا العادلة لشعبه وبلاده والانسانية.

رابعا : ان معيار الخير والشر والصحيح والخطأ لا يقوم على اساس الحكم الذاتي وانما هو معيار موضوعي ، فالذي يقرر عدالة قضيـــة او عـــدم عدالتها ، وعدالة موقف او عدم عدالته هو الدور الذي تلعبه تلك القضية وذلك الموقف من تطوير المجتمع ومدى مطابقتهـــا او مطابقته لمصلحـــة الجماهير العريضة وخلق المجتمع الانساني الذي ينتفي فيه الاستغلال والظلم والفقر .

وترتبط فلسفة التربية والتعليم للشعب العربي الفلسطيني بشخصية هـــذا الشعب ومقومـــاته باعتباره جزءا من الامة العربية ، وبمبادىء الثورة الفلسطينية التي تحدد آماله وتطلعاته وتصميمه على التحرير والتقدم ، وبحاجاته القائمة والمنتظرة في ظل الاوضاع التي يعيشها والصعوبات التي يواجهها والنضال الذي يخوضه ضد الصهيونية والامبريالية .

وتواجه فلسفة التربية والتعليم للشعب العربي الفلسطيني واقع هذا الشعب ووجوده مشتتا في مجتمعات وبلدان متعددة مما يستلزم ان يتم التعليم في ظروف فريدة واستثنائية حيث لا توجد الاسس العادية لذلك وحيث هناك ضرورة لمعايشة ثقافات سائدة تمتلك الاسبقية والخبرة والسيادة .

وتهدف فلسفة التربية والتعليم من خلال تحقيق الاسس التي تقوم عليها الى خلق الانسان الثوري قوميا واجتماعيا، الذي سيكون اساس حرب الشعب الطويلة التي يخوضها الشعب الفلسطيني وضمان استمرارها واداة نجاحها والذي سيكـــون ايضـــا مواطنا في فلسطين الجديدة المحررة .

وتتمثل هذه الفلسفة في الاسس التالية :

أولا : الايمان بالاهداف والمبادىء التالية والعمل على تعزيزها وتجسيدها سلوكا وعملا : أ) الثورة الفلسطينية المسلحة هي الطريق الوحيد لتحرير الارض والانسان مما يحتـــم العمل علـــى تلبية حاجاتها وضمان ثباتها ونموهـــا ونجاحهـــا . ب) الشعب العربي الفلسطيني صاحب الحق في تقرير مصيره وصنع مستقبله ومستقبـــل وطنه . ج) فلسطين ، بعد التحرير الكامل ، دولة عربية ديمقراطية يتساوى فيها جميع المواطنين في الفرص والحقوق والواجبات دون تمييز على اساس الجنس او اللون او الدين . د) الايمان بوحدة الامة العربية وحريتها وشخصيتها في الوطن العربي الموحـــد المتكامل . هـ) التساند والتجاوب مع حركات التحرر الوطني في العالم ودعم نضالها في سبيل الحرية وحق تقرير المصير وتحقيق العدل والمساواة .

ثانيا : غرس وتنمية القيم التالية في نفوس النشء:

ا) حب واحترام الوالديـن والزملاء والمسنين . ب) حب الشعب والثقة به . ج) حب الوطـن والثورة والثقة بالنصر . د) الـروح الجمـاعيـة وتعميقها والاعتماد عليها والكفاح مـن اجلها . هـ) حب العمل والانتاج لخدمة الثورة والشعب . و) المبادىء والقيم الوطنية والثورية والتحرر من العصبية ومن القيـم الفردية والقيـم التقليدية السلبية . ز) الاحساس بالمسؤولية والانضباط وتقوية الصلابة والمناعة في الخلق ضد الازمات والقوى المضادة للثورة والتهيئة للمشاركة الفعلية في قضايا المجتمع . ح) الثقة في مواجهة المستقبل والاعتماد على النفس لدى الافراد والجماعات وتنمية القدرة على مجابهة التحدي بمختلف اشكاله ومستوياته . ط) روح التفاؤل الثوري وروح حب المستقبل في النفوس . ي) الجراة وروح التحدي والمخاطرة المسؤولة في اطار العمل الجماعي .

ثالثا : تنمية الروح النضالية لدى الشعب العربي الفلسطيني وذلك عن طريق ما يلي : ا) وضوح الغاية والالتزام بها وتربية الارادة اللازمة لتحقيقها والاستعداد للبذل والتضحية في سبيل ذلك . ب) ضرورة التحلي بالصفات الثوريـة مثل الصدق والاخلاص والمواظبة والشجاعة والحزم والتواضع والكتمان ومقاومة الانتهازية والوصولية والاغتياب والدس والنفاق والكذب . ج) تعزيـز الارتباط العضوي بالارض والوطن في النشء الذي لم يعش في فلسطين ولم يرها والهاب الخيال في تصورها وحبها والحنين اليها . د) ابراز صورة الهوية النضالية للثورة الفلسطينية كجزء مـن الثورة العربية وارتبـاط الشعب الفلسطيني بالمجتمـع العربي وبالنضـال العربـي تاريخا وحـاضرا ومستقبلا . هـ) ابراز الدور البطولـي للشهداء ومدى التضحية التي قدموها وتعزيز روح الامانة لهم والاستعداد لمواصلة الطـريق الذي سقطوا عليه . و) تنمية القدرات والاتجاهات والمهارات اللازمة لتحقيق التعبئة الشعبية والمشاركة فيها على اساس التخطيط وفي اطار تنظيـم محـدد الاهداف والادوار . ز) الممارسة النضالية عن طريق تحويل هذه المبادىء الى الوان من النشـاط المنهجي والنشاط المصاحب لـه لتنمية قيـادات مسؤولة واعية .

رابعا : النظر الى التربية على انها بعد من ابعاد الحياة يتعدى ان يكون اعدادا لها ويترتب على هذه النظرة ما يلي : ا) اعتبار التربية عمليـة دينامية ومتطورة ترتبط ارتباطا وثيقـا بالتطـور العلمي والتكنولوجي والاجتماعي وتتطلب استمرار معاودة النظر في افكارنا وممارساتنـا واعتبار المناهج وتطبيقاتها في تطور مستمر يخضع للتقويم المنتظم ، وتشجيع التجارب والابحاث التربوية من اجل العمل والتحسين على جميـع المستويات واتاحة حرية التصرف في ضـوء نتائج التجارب والابحاث التي تساعد في تنمية جيـل الثورة . ب) تكييف التربيـة لتتلاءم والحاجات القائمـة والمنتظرة للشعب العربي الفلسطيني فـي ظروف التجزئة التي يعيشها والنضـال الطويل الذي يخوضه وتمشيا مع هدف الثورة في التحرير الكامل. ج) عدم فصل التعليم المدرسي عن التعليم البيتي والتعليم الاجتماعي ، وتهيئة الظروف والوسائل المناسبة للتعلم الذاتي وتنمية الاتجاهات والعادات الدراسية والتعليمية التي تمكن الفرد من مواصلة التعلم والتثقف بعـد تخرجه مـن المدرسة . د) الاهتمام بمحو الامية وبتعليم الكبار وتثقيفهم . هـ) اعتماد مبدأ المساواة بين الذكور والانـاث بالنسبة للتعليم .

خامسا : العناية بتفجير الطاقات العقلية لابنـاء الشعب العربي الفلسطيني وتنميتها الـى اقصى الحدود الممكنة ، وتنميـة القدرة على التعبيـر والتفكير المستقل والنقد والابداع .

سادسا : تنمية المسؤولية الخلقية واتباع المنهج الديمقراطي في العلاقات الانسانية على ان يتمثل كل هذا في انماط من السلوك الفردي والجماعي وفي ممارسات عملية .

سابعا : مساعدة الفرد على النمو السوي جسميا وعقليا واجتماعيا وعاطفيا وتنمية نواحي الابداع عند الموهوبين ، واتاحة الفرص لسائر المتخلفين كي ينموا ضمن حدود امكاناتهم بحيث يستطيع كل فرد ان يساهم في النضال حسب امكانياته .

ثامنا : الاهتمام بتربية الروح الرياضية وبالتربية البدنية وتدريب الشباب خدمة لاغراض الجماعة.

تاسعا : الاهتمام بالجوانـب الصحيـة الفرديـة والجماعية عن طريق نشر المعلومات الصحية وتنمية العادات الصحية سلوكا وعملا .

عاشرا : الاهتمام بالتراث الشعبي الفلسطيني

والعربي وتطوير مختلف أوجهه وتنمية المواهب الفنية عند النشء والافادة منها في التعبئة والاعلام.

توجيهات عامة

١ — تترجم المبادىء والاسس التي تقوم عليها فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني الى اهداف عامة يسترشد بها على جميع المستويات : المناهج المدرسية ، ومقررات المواد الدراسية والمواد التعليمية ، وطرق التعليم والتعلم ، والممارسات الاخرى ، وتدريب المعلمين قبل الخدمة وفي اثنائها .

٢ — توضع المناهج والمقررات الدراسية بحيث تراعى فيها القواعد الاساسية التالية : ا) فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني وحاجاته القائمة والمنتظرة ، كما هي مبينة في صدر هذه الوثيقة . ب) الاسس النفسية للتعلم التي تراعي مدى نضج الطفل ونموه جسديا وعقليا وعاطفيا واجتماعيا ، والمبادىء التي تقوم عليها نظريات التعلم ، مع ضرورة الارتفاع الى غاية طاقات الطلاب العقلية وقدراتهم الحركية . ج) طبيعة العلوم والمبادىء التي تشكل مقررات المواد المختلفة ، وطرق البحث فيها ، وتطبيقاتها التكنولوجية والعلمية حيث يصح ذلك .

٣ — تراعى في وضع المناهج والمقررات الدراسية الحاجة الى تنمية المهارات الاساسية التالية عند الطلاب ، وهي : ا) ان ينقلوا الافكار بسهولة عن طريق التعبير الشفوي بلغة عربية سليمة . ب) ان ينقلوا الافكار بسهولة عن طريق التعبير الكتابي بلغة عربية سليمة . ج) ان يستعملوا الارقام بيسر في شؤون الحياة العامة . د) ان يتعودوا الاصغاء المركز لكلام المتحدثين والملاحظة الدقيقة لما يجري في البيئة للاستيعاب والتحليل والاستفادة . هـ) ان تتكون فيهم عادة القراءة والمطالعة وتنمو باستمرار بقصد المتعة والاستزادة من المعرفة والتثقف الذاتي. و) ان يتبعوا الاسلوب العلمي في البحث والتفكير والاستنتاج وفي تمييز المعلومات الصحيحة من الخاطئة . ز) ان يلتزموا الموضوعية في النقد بقصد التقييم والتغيير والبناء والتقدم المستمر .

٤ — رغبة في تنشئة جيل متكامل ، خلقا وقدرة ، مع محيطه يراعى ان تنمّي في الطلاب في جميع المراحل المهارات اليدوية والتمرس بالالات والادوات الاساسية للحرف والصناعات ، وذلك لخلق الالفة والتحكم فيها ولتنمية احترام العمل اليدوي بجميع انواعه لخدمة متطلبات الثورة .

٥ — زيادة على ما سبق ذكره في الفقرات ١ — ٤ وتجب مراعاته في جميع المراحل تفرد المرحلة الثانوية بالتوجيهات التالية ، تحقيقا للتنويع والتشعيب فيها على نحو يلائم استعدادات الطلاب وميولهم ويفي في الوقت نفسه ، بالحاجات المتطورة للشعب العربي الفلسطيني :

يوضع برنامج مرن شامل للمرحلة الثانوية بحيث تقدم المدرسة الثانوية ، بالاضافة الى المنهج الاساسي المشترك وضمن برنامجها المرن الشامل، مواد ونشاطات لتحقيق كل من الاغراض التالية ، وذلك حسب ما تدعو الحاجة وعلى قدر المستطاع: ا) ادخال مواد اضافية او بديلة ذات مستوى اعلى لذوي الاستعدادات الخاصة مما يوفر على الطلبة المشتركين بعض المواد الجامعية او يؤهلهم لدخول الحياة العملية من نقطة ابتداء اعلى او يكسبهم مهارات ذات صفة مستعجلة . ويغلب ان تكون هذه المواد لغات حديثة او رياضيات وعلوم طبيعية . ب) ادخال مواد فنية او مهنية او تكنولوجية ذات محتوى اكاديمي وعملي يفوق مثيلاتها في المدارس الصناعية مما ينوع مؤهلات المتخرجين ويجعلها اكثر تجاوبا مع متطلبات الحياة المعاصرة . ج) تشجيع النشاطات في مجال الرياضة والجمعيات مما ينمي روح التعاون ويشيع مفهوم الديمقراطية ويربي الكفاءات القيادية والادارية .

رسالة من موفد خاص الى الارض المحتلة

أ . ت .

« ان مما هو في غاية الاهمية نشر كتاب مفصل امين لتاريخ فلسطين وتوزيعه على اوسع نطاق لكي يدرك احفاد احفادنا أن فلسطين كانت عربية»، هذا ما قاله لي بصورة مؤثرة مؤخرا كاتب معروف في الضفة الغربية .

« أن فلسطين كانت عربية !! » هذه العبارة التي وردت على لسان الكاتب المشهور في الضفة الغربية ، هل تراها زلة لسان ؟ ام تراها امارة من امارات اليأس والقنوط ؟ لم استطرد بعيدا في التمعن بمدلول هذه العبارة وابعادها ، وآثرت الوقوف عند هذا الحد ! ان فلسطين ، بعد انقضاء خمس سنوات على « نكسة » حزيران ١٩٦٧ لم تعد ، في واقع الامر ، عربية . وهي لم تصبح يهودية تماما بعد ، بيد أن عملية لاتعريبها ومحو عروبتها وتهويدها ماضية على قدم وساق وتتسارع بصورة خطرة . وقد قطعت سياسة التهويد هذه شوطا بعيدا من المتعذر الرجوع عنه في اطار تسوية سياسية او ما يدعى تلطيفا « بالحل السلمي » .

وتعبر العبارة التي وردت على لسان الكاتب المعروف في الضفة الغربية عن مشاعر العجز والقنوط والخوف التي تؤرق خواطر الفلسطينيين الذين يعيشون منذ خمس سنوات في ظل الحكم الصهيوني . ومما يثير الاستغراب ان هذه ليست بين الانطباعات التي تنطوي عليها الكميات الكبيرة من التقارير والتحليلات حول الحياة في اسرائيل والمناطق المحتلة التي يكتبها العدد الوافر من مراسلي الصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون والسياح والحجاج ووفود المسؤولين من الحكومات الاجنبية « وبعثات التعرف على الحقائق » الخ ... الذين يزورون المنطقة . فلم ينشر خلال الشهور القليلة الماضية ، خاصة منذ ان جرى الاجهاز « النهائي » على الفدائيين في الاردن في تموز ١٩٧١ ، ولم يذع الا القليل حول وضع الفلسطينيين في الضفة الغربية ، وحول مشاعرهم ووضعهم النفسي ومخاوفهم وآمالهم . اذ يتركز الانتباه الآن، بصورة كلية تقريبا ، على تسوية « النزاع العربي الاسرائيلي » وفتح قناة السويس للملاحة كخطوة أولية وما الى ذلك من سيل الاقتراحات ، والمبادرات والخطط التي تتجاهل أساس المشكلة وهو قضية فلسطين والشعب الفلسطيني وان أتت على ذلك فلماما وبشكل عرضي . ولعمري كان العالم قد نسي أو يتناسى واقع أن فلسطين والقدس كانتا دائما عربيتين ، وأن منشأ النزاع هو حول فلسطين واهلها وارضهم وبيوتهم .

وتصل الى المناطق المحتلة شذرات من التقارير الوافرة التي يكتبها العدد الكبير من المراسلين والزوار الخ ... حول حياة سكان هذه المناطق في ظل الحكم الاسرائيلي بانها « اعتيادية وهادئة » ، وأن العرب في ظل الاحتلال الصهيوني هم اسعد حالا مما كانوا عليه تحت حكم الهاشميين ، وان معظم سكان المناطق المحتلة « يتعاونون » ، وان احوالهم الاقتصادية هي افضل مما كانت عليه قبل عام ١٩٦٧ ، اذ يكسبون نقودا اكثر بعملهم في خدمة الاسرائيليين . وكذلك تصل هذه الصورة المطمئنة المريحة عن الحياة في ظل احتلال العدو الى البلدان العربية حيث يتم تداولها ونشرها على نطاق واسع . فمن التعليقات الشائعة بين العرب هذه الايام « ولكنني سمعت أو قرأت بأن الفلسطينيين في ظل الحكم الاسرائيلي راضون قانعون وان احوالهم طيبة » وما الى ذلك مما يبدو انه يبرر في نظرهم تجاهل القضية الفلسطينية .

صحيح ان الكثيرين من العرب الفلسطينيين يعملون في اسرائيل ، وليس في خدمة اسرائيل ، وانهم يكسبون اكثر مما كانوا يكسبون قبل عام ١٩٦٧ ،

ولكن من الصحيح كذلك ان الايجارات والاسعار والضرائب والرسوم قد قفزت هي الاخرى قفزات فاقت بكثير الزيادات في الرواتب والاجور . وصحيح بان الحوانيت العربية مفتوحة وتزخر ، بصورة رئيسية ، بالبضائع والمنتوجات الاسرائيلية ، وان الفنادق والمطاعم العربية مزدهرة ، وأن مئات الالوف من العرب يستفيدون من الاتفاق القائم بين الملك حسين واسرائيل على سياسة « الجسور المفتوحة » بزيارة اسرهم وذويهم في المناطق المحتلة، ولكن ان يستخلص المرء من كل ما سبق قوله ان العرب في فلسطين قد قبلوا الوضع وانهم « يتعاونون مع العدو » وانهم تخاذلوا أو استسلموا ، فلا ينم هذا الا عن تفاؤل غر او تطرف اعمى كما لا يصدر الا عن جاهل او هروبي .

وتنطوي هذه الاحكام التي تلقى جزافا بان « اهوال الفلسطينيين هي على ما يرام » على نقد مبطن للفلسطينيين لانهم لم يقدموا على الانتحار الجماعي بتجويع انفسهم حتى الموت احتجاجا على الاحتلال. بيد انه لم يسجل التاريخ في اي مكان من دنيا العرب ان السكان العرب قد فضلوا لانفسهم ولاطفالهم الموت البطيء المؤلم « المشرف » على العيش في ظل الحكم البريطاني او الفرنسي او الايطالي ، مكتفين ، هنا ، بذكر موجات الاحتلال الاجنبي القريبة الى الذاكرة . والفلسطينيون هم ايضا ، كالآخرين ، لديهم غريزة طبيعية قوية للحفاظ على النوع والجنس ، وهم متشبثون حتى آخر رمق بالبقاء في فلسطين الى ان تتحرر .

ان الوضع في المناطق المحتلة كما يستبين من الداخل لناظري اولئك الذين بوسعهم النفاذ ببصيرتهم الى ما وراء الواجهة الخادعة التي تبدو اعتيادية رتيبة هو وضع محزن غاية الحزن . ان خمس سنوات من الاحتلال في ظل نظام عسكري بطاش حديدي التنظيم متوجه بجنون الى تطبيق سياسة تهويد فلسطين والى افراغها من سكانها العرب ان تيسر له ذلك ، كان لها نتائج مدمرة . ان ما يتراءى انه « قبول » ما هو في واقع الامر الا غلالة رقيقة من المظاهر لذر الرماد في العيون ، انه قناع وقاية ودرع حماية من حرب استنزاف يشنها الاسرائيليون عليهم طوال سنوات خمس مستخدمين اسلحة الارهاب والبطش والتنكيل لتحطيم كافة مقومات هويتهم القومية والاجتماعية والثقافية . ان مظاهر « القبول » هذه هي وقاء دفاعي ضد التأثيرات المدمرة جسميا وذهنيا لتعاقب موجات انفلات الآمال العارمة ونكسات اليأس القاتلة . انها وقاء دفاعي ضد الذوبان البطيء للثقة والايمان في كل شيء تراءى لهم في يوم ما أنه رمز للعدالة والقيم والانسانية . انها وقاء دفاعي ضد الايقان المبرح بأنهم غدروا وطعنوا في ظهورهم. ان مظاهر « القبول » هذه هي ملجأ وحمى مما يعانونه من مشاعر العزلة والخسران .

ان يسلك سكان المناطق المحتلة ويعيشوا بصورة « اعتيادية » لا يعدو كونه وسيلة لاغراق صراخ الصمت الرهيب طوال سنتين من وقف اطلاق النار الذي اطلق عوامل الاضطراب من عنانها فتردد رجع صداها عاليا في انحاء العالم العربي ، وما هو الا هروب من اغراءات تعليل النفس بآمال جديدة ووعود جديدة وقرارات جديدة ومراجعات جديدة للمواقف والامور وهي اغراءات تؤدي بصاحبها الى الجنون، وما هو الا هروب من الشوق الى استعجال الاحداث ومشاعر العجز والخذلان التي تفدو لا تطاق وهم يرون الصهيونيين يغيرون واقع الارض والبلاد ويبنون شيئا فشيئا الصرح الذي « سيؤكد واقعيا » ان فلسطين لم تكن عربية في يوم من الايام ، هذا بينما العرب من حولهم يتخبطون في عمه « ضباب » من صنع أيديهم .

بعد انقضاء خمس سنوات من الاحتلال لم تصبح المدينة المقدسة ، بعد ، يهودية بصورة تامة ، وان كانت لم تعد عربية . لقد سن قانون ضم القدس في حزيران ١٩٦٧ بغطرسة وصلف وقوة على جميع أجزاء المدينة العربية وما جاورها من مناطق الحقها الاسرائيليون بما دعوه « القدس الكبرى » . وفي المدينة القديمة داخل السور حل حي يهودي جديد وبنايات جديدة وساحة خالية عارية تواجه الحرم الشريف محل مئات البيوت والحوانيت والبنايات والمدارس والمساجد العربية. وطراز العمران عند المستعمرين الجدد مغاير وغريب في روحه وأسلوبه يعلن ، بصورة صارخة، عن الهوية اليهودية للمكان . وقد حولت على عجل ، القدس الشرقية ومناطق واسعة من التلال المتفتحة حولها بأبهة ، وما جاورها من وديان الى « احياء يهودية من طراز راق » ، اذ انشئت عليها غابات من العمارات السكنية الشاهقة تؤجر شققها أو تباع بأسعار باهظة الى المهاجرين اليهود من « الدرجة العليا » الذين مهمتهم الاولى هي دمغ « عاصمة اسرائيل »

المتوسعة ابدا بالطابع اليهودي والصهيوني .

وفي القدس وفي كثير من انحاء الضفة الغربية أصبحت اشارات السير ، والتوجيهات ، ولوحات الاعلانات ، والاعلانات، والدعايات التجارية باللغة العبرية ، وفي مدينة القدس القديمة قام اليهود المتعصبون بمسح كثير من اسماء الشوارع العربية . فلقد غدا الان لزاما على عرب القدس وفلسطين ، بعد انقضاء ما يزيد على الف سنة من الوجود المتواصل فيها ، ان يتعلموا اللغة العبرية حتى لا يضلوا سبيلهم داخل مدنهم .

ويتمتع عرب القدس منذ عام ١٩٦٧ بامتياز مريب وهو كونهم « مواطنين اسرائيليين » وهم تابعون ، مثل اليهود الاسرائيليين ، للقانون الاسرائيلي ، ويترتب عليهم بمقتضى ذلك دفع الضرائب والرسوم الاسرائيلية ، وأن يساهموا في التبرع لقروض « الدفاع » الاسرائيلية . ولكن « المواطنين الاسرائيليين » في القدس من العرب المسلمين والمسيحيين « يتمتعون » بحقوق معينة وعليهم واجبات معينة لا تترتب على الاسرائيليين اليهود . فلعرب القدس الحق بل عليهم الواجب في المساعدة على توسيع مدينتهم وتحسينها و« تجميلها » « بقبول » الطرد من بيوتهم ومصادرة اراضيهم وممتلكاتهم (فقد استولت السلطات الاسرائيلية على ١٧٠٠٠ دونم من اراضي القدس) . كذلك لهم الحق في الاعتراض على هذه « الحقوق » — فاسرائيل دولة ديموقراطية — ولهم الحق كذلك في مغادرة بلدهم وان يذهبوا ليعيشوا في المنفى في شرق الاردن او في اي مكان آخر اذا ما احتجوا بقوة وباصرار .

ويقوم علماء الاثار الصهاينة في مدينة القدس القديمة بمحاولة يائسة للعثور ، بالنبش والحفر، على اي شيء يهودي في هذه المدينة التي تم قطع وبناء كل حجر فيها بأيد فلسطينية ، فيعمدون الى هدم البنايات وحفر الخنادق والانفاق ، بصورة محمومة ، حول اسوار الحرم الشريف وتحتها ، موقعين الضرر ومعرضين للخطر البيوت العربية التاريخية التي يجبرون ملاكيها ومستأجريها على اخلائها . ويدعو الاسرائيليون الان في كتبهم وفي البطاقات البريدية والصور التي يطبعونها منطقة الاماكن المقدسة الاسلامية « منطقة جبل المعبد » ... مما ينبيء بمستقبل مخططاتهم .

ولم يكتف الحكام الجدد « بتحسين » المدينة المقدسة و« تجميلها » ماديا فحسب ، بل اسبغوا عليها ثمار ثقافتهم « الاسمى » ، وحضارتهم « الارقى » ، اذ اصبحت المدينة المقدسة تعج بأصناف الوجوديين والخنافس والهيبيين ومستوطني الكيبوتزات ومهربي المخدرات ومدمنيها وعلب الليل والمومسات والمواخير مما رفع مكانة المدينة المقدسة الى مستوى الحواضر الغربية العصرية المزدهرة. وقد غدت الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية بمثابة متاحف ، وأضحت الاحتفالات الدينية مجرد عادات اجتماعية هي من بقايا وآثار ماض «أجنبي» غريب في « اسرائيل » .

ويقينا أنه أيا كانت بنود التسوية السياسية التي يتفق عليها في مفاوضات ، وسواء قضت بأن تكون القدس مدينة دولية او مدينة ذات « حكم مشترك » فان القدس ستبقى بفعل التغييرات الشاملة التي ادخلت عليها قلعة يهودية صهيونية تشتمل على اقلية من مواطني الدرجة الثانية المسيحيين والمسلمين . ويصح هذا القول كذلك على جميع انحاء فلسطين . وقد أغدق الاسرائيليون بكرم على جميع انحاء البلاد بشبكة طويلة من الطرق الواسعة المتينة العارية الجوانب ذات قيمة استراتيجية عسكرية لا تقدر بثمن . وفي شق هذه الطرق يمزقون أديم الارض بقسوة غير عابئين بأي شيء يقع في خط هذه الطرق فيستأصلونه دون مبالاة اذ يتلفون الاراضي الزراعية ويجرفون القرى والخرب ، ويمسحون من على وجه الارض البيوت والبساتين كما لو كانت حشرات مزعجة . فلقد مسحت عن وجه الارض كثير من القرى العربية « لدواعي الامن » ، وتمت ، « لدواعي الامن » كذلك مصادرة آلاف الدونمات من أراضي العرب الزراعية الغنية ، وأجبر الفلاحون على الانتقال من قراهم للعيش في اماكن منبسطة مكشوفة ليتيسر امر مراقبتهم وملاحظة تحركاتهم .

ويستولي المستوطنون اليهود على الاراضي الخصبة الخضراء ليدعوا ، فيما بعد ، أن بساتينها ومحاصيلها هي بعض من نتاج «المعجزة» الصهيونية في « صحراء » فلسطين . وتقام المستوطنات والمدن اليهودية في المناطق المحتلة الزراعية منها او الصناعية والعسكرية وشبه العسكرية في مواقع استراتيجية لضمان تقطيع أوصال السكان العرب وتأمين الوجود اليهودي في كل الانحاء . وقد امتدت سياسة الاستيطان

وانشاء المستعمرات ، خلال الشهور القليلة الماضية ، الى قطاع غزه الذي قال المسؤولون الاسرائيليون انه « يجب ان يظل جزءا من اسرائيل » . فقد جرى في هذا القطاع الاستيلاء على أراضي حتى اولئك الفلسطينيين الذين لجأوا اليه من القرى المجاورة ومن السهل الساحلي الفلسطيني خلال حرب عام ١٩٤٨ ، وقد تمت حتى الان مصادرة ... ١٠٠ دونم من الاراضي وجرى تسييجها ، وبدأ العمل على انشاء المستوطنات اليهودية فيها ، اما الفلاحون والبدو الذين تم الاستيلاء على اراضيهم فقد طردوا منها وطلب منهم ان يبحثوا لهم عن مكان آخر يقيمون فيه .

لقد اصبحت مدينة غزه والقطاع اليوم هادئة نسبيا ، وقد استغرق العدو اربع سنوات من حكم الارهاب والبطش والتنكيل ليفلح في تقليص المقاومة المسلحة الى مستواها الراهن من « الحوادث المتفرقة » . وتجهد السلطات في المحافظة على الهدوء الحالي غير المعتاد في القطاع بواسطة اجراءات أمن شديدة وقاسية ، اذ تطوف انحاء القطاع ، ليلا ونهارا ، دوريات قوية من قوات الامن المسلحة باسلحة ثقيلة ، وجرى تقليص حجم مخيمات اللاجئين وتم تقطيع اوصالها بشبكة من « الطرق » داخلها بحيث اصبحت هذه المخيمات « تفاخر » باحتوائها على أوسع الطرق في العالم التي شقت بين المساكن وجرفت من مسلكها البيوت والعشش والدساكر وتحولت ، في واقع الامر ، الى معسكرات اعتقال وابادة . وتطبق اساليب الارهاب على السكان دون تمييز ، فهنالك فحص دائم لبطاقات الهوية ، كما تجري عمليات تفتيش عشوائية مباغتة للسيارات والشاحنات ومداهمة البيوت والحقول والبساتين ، وغالبا ما تصاحب عمليات التفتيش هذه معاملة فظة ، وكذلك كثيرا ما يتعرض السكان للاستجواب والاعتقال الاداري دون تهمة او محاكمة ، وايضا الطرد الى الضفة الشرقية . فمنطقة قطاع غزه تعيش في ظل منع التجول منذ حزيران ١٩٦٧ .

ويكاد لا يوجد اي فلسطيني في المناطق المحتلة لم يجرب شخصيا او من خلال واحد او اكثر من افراد أسرته اساليب الارهاب والبطش والتنكيل الاسرائيلية . فسجون البلاد تغص بالمعتقلين ، ويوجد حاليا ما يزيد على ٥٠٠٠ عربي فلسطيني في السجون الاسرائيلية منهم ١٥٠٠ معتقل اداريا (أرقام شهر نيسان ١٩٧٢) . وان عدة اضعاف هذا الرقم قد صدرت عليهم احكام بالسجن أو تم احتجازهم في المعتقلات منذ أن استولى الاسرائيليون على المنطقة في حزيران ١٩٦٧ ، كما جرى نفي ما يزيد على ١٠٠٠ فلسطيني (بلغوا في نيسان الماضي ١٠٣١) الى الضفة الشرقية . وكذلك هاجر من المناطق المحتلة آلاف أخرى كثيرة من المسيحيين والمسلمين يأسا من مستقبل الاوضاع في فلسطين. ولا يعرف ، على وجه الدقة ، كم من الشبان والرجال استشهدوا خلال عملياتهم الفدائية في المناطق المحتلة ، وكم من الرجال والنساء والاطفال قضوا خلال ما يدعوه الاسرائيليون «عمليات الامن» في مداهمتهم للقرى والمدن والاحياء ، وكم من السجناء سقطوا صرعى التعذيب وسوء المعاملة في السجون الاسرائيلية ، ولكنهم ، على اي حال، يعدون بالالاف .

فاولئك المتفائلون الذين لا يرون ، عندما يزورون المناطق المحتلة ، سوى الجانب الهادىء الاعتيادي من الحياة في ظل الاسرائيليين ، حبذا لو كلفوا انفسهم عناء استشفاف الحقيقة الكامنة وراء المظاهر الخادعة . اما أولئك الاغرار من العرب الذين يقبلون ، دون تحر للحقيقة أو استجلاء للواقع ، التأكيدات بأن اخوانهم العرب في المناطق المحتلة هم « على ما يرام » ، وأنهم « راضون بالوضع قانعون » فحبذا لو كلفوا انفسهم عناء تحري واستجلاء الوقائع . **واما اولئك الكتاب والمعلقون العرب الذين لا ينفكون يحضون ، من نعيم مكاتبهم الوثيرة ، المقاومة الفلسطينية على ان « تثبت وجودها في المناطق المحتلة » ، فربما كان عليهم ان يكلفوا انفسهم عناء اجراء دراسة مقارنة للمقاومة التي ابداها الفلسطينيون بتلك التي بدت من العرب الاخرين الذين احتلت اراضيهم ، وان يتوقفوا لحظة ليسألوا انفسهم لماذا ينبغي ان يقع عبء المقاومة بكامله على اكتاف الفلسطينيين وحدهم .** فخلال السنوات الخمس المنصرمة كانت فلسطين باكملها بمثابة سجن كبير محروس باشد انواع الحراسة . وخلال السنوات الثلاث الاولى من سجنهم ثار نزلاء السجن وتمردوا وتظاهروا واعلنوا العصيان وهاجموا حراسهم وضربوهم وابقوا سجانيهم في شغل شاغل ، وكانت تؤجج أوار ثورتهم الوعود بالمساعدة التي كانوا يتلقونها من الخارج والتزامهم الذاتي بأن يكونوا بمثابة رأس حربة تدمي جسم

العدو بانتظار معركة التحرير الموعودة . ولكن كلمات التشجيع انقلبت الى خصومات ومشاحنات بين المحررين المنتظرين ، كما أن المدافع التي كان يؤمل ان تدك أسوار حصون السجن اما صمتت أو وجهت فوهاتها نحو ذوي نزلاء السجن . وفي بداية الامر توقفت اعداد قليلة من السجناء عن مواصلة العصيان الانتحاري ، ثم تلتهم اعداد اكبر ، فعادوا الى العمل طلبا لرزق عيالهم ، ولاعداد أنفسهم للمستقبل ، لليوم الذي يعود فيه العقل ومنطق الاشياء ليسودا البلدان المضطربة من حولهم . وبينما هؤلاء السجناء يقومون بقلع الحجارة وتشذيبها وبنـاء البيوت لسجانيهم ، والعمل في مصانع عدوهم وورشه وحقوله يصغون بلهفة ويراقبون بشوق اية بارقة امل في استيقاظ من هم وراء أسوار سجنهم ، ولكن مع مضي كل عام تعلو أسوار السجن من حولهم وتغدو أسمك واكثف ، ويزداد عدد الحراس ويتضاعف، وتتعاظم قوة معدات الامن والتعذيب وتغدو أشد تعقيدا — ومع كل هذه وتلك تنحسر الامال في التحرير وتذوي .

ان القنوط والاضطراب والمرارة ومخاوف الحاضر وهواجس المستقبل املت على الفلسطينيين تضميد جراحهم وتوخي التئامها وقاية لطاقاتهم من النزف المتواصل ولكنهم لم يسحقوا ، وروحهم المعنوية لم تتحطم ، فعيونهم يقظة ، وحواسهم مشدودة بانتظار بارقة الامل .

أرليت تسيير

غـزة

مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

١ ل.ل. + أجرة البريد

باللغة الانجليزية

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

الوحدة الوطنية

التطورات الفلسطينية الاساسية طوال الفترة الممتدة من اول نيسان وحتى العاشر من ايار ١٩٧٢ ، كانت كلها تدور حول محورين اساسيين: انجاز الوحدة الوطنية ، والقيام بنشاط سياسي واسع لمواجهة مشروع الملك حسين ، ونتائج الانتخابات البلدية في الضفة الغربية . كانت ذروة هذه التطورات انعقاد المؤتمر الشعبي في السادس من نيسان ، ثم انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني التاسع في دورة استثنائية ، بعد انتهاء المؤتمر الشعبي من اعماله مباشرة في ١١ نيسان .

ابرز ما انجزه المؤتمر الشعبي اقرار البرنامج السياسي المرحلي الذي اعده مركز التخطيط الفلسطيني وعرض على المؤتمر باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، كذلك ، اقرار البرنامج التنظيمي **بخطوطه الاساسية فقط** واحالة التفاصيل الى اللجنة التنفيذية ، مع اضافة ثلاث نقاط جديدة عليه : ١ ــ توسيع المجلس الوطني الفلسطيني ، على ان تكون نصف الزيادة للاتحادات الشعبية . ٢ ــ تحقيق وحدة وطنية اندماجية خلال ثلاثة اشهر تبدأ من اول ايار . ٣ ــ تشكيل لجنة متابعة من اعضاء المؤتمر الشعبي للاشراف على الاجراءات التنفيذية للوحدة الوطنية .

وقد اجتمع المجلس الوطني الفلسطيني للبحث في توصيات المؤتمر الشعبي ، والبت فيها **بقرارات** تأخذ الصفة الرسمية ،باعتباره السلطة التشريعية العليا . وعكس المؤتمر الشعبي ، لم يقر المجلس الوطني البرنامج السياسي ، بل اعلن الموافقة على الخطوط الاساسية فيه فقط ، واحال التفاصيل الى اللجنة التنفيذية لتنظر فيها . اما البرنامج التنظيمي فقد اقر كما حول اليه من المؤتمر الشعبي .

وعلى ضوء قرارات المجلس الوطني تحددت ثلاث مهمات عملية : مهمة اللجنة التنفيذية : بالبت نهائيا في تفاصيل البرنامج السياسي ، وفي تفاصيل البرنامج التنظيمي ، والانتقال بعد ذلك مباشرة الى وضع كل ما يتفق عليه موضع التنفيذ . مهمة لجنة المتابعة : بالاشراف على مدى انسجام قرارات اللجنة التنفيذية مع قرارات المجلس الوطني ، وتحديد مدى التزام كل فصيل فدائي بتنفيذ هذه القرارات . مهمة لجنة الاتصال بالاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية العربية : للبحث في تشكيل لجنة تحضيرية ، تهيء لعقد مؤتمر شعبي عربي ، يكون اساسا لبناء الجبهة الوطنية التقدمية العربية ، التي تشارك في النضال الفلسطيني وتساعده .

وقد سارت كافة النشاطات في الفترة المذكورة في هذه المجاري الثلاثة . وسنقوم هنا باستعراض موجز لابرز ما تم من خلالها .

١ ــ **اعمال اللجنة التنفيذية** : عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعها الاول بعد المجلس الوطني في ٢٢ نيسان ، وبدأت فورا في دراسة موضوع الوحدة الاعلامية ، واتفقت على توحيد الاعلام الفلسطيني في موعد اقصاه الخامس من حزيران. وتنفيذا لذلك اقرت اللجنة التنفيذية تشكيل مجلس اعلى للاعلام من (رئيس دائرة الاعلام ــ مندوب عن كل تنظيم فدائي ممثل في اللجنة التنفيذية ــ ممثل عن جيش التحرير ــ ٣ كفاءات اعلامية فلسطينية مستقلة) . واوكلت لهذا المجلس الاعلامي مهمة اصدار صحيفة اسبوعية باسم « الثورة الفلسطينية » ، تتوقف عند صدورها كافة النشرات والصحف العلنية الصادرة عن المنظمات الفدائية ، كما اوكلت له مهمة انشاء وكالة فلسطينية للانباء .

ثم عقدت اللجنة التنفيذيـــة في ٣ ايار اجتماعهـــا الثاني ، وبحثت فيه موضوع الوحدة العسكرية ، انطلاقا من مشروع جديد قدمه الاخ ياسر عرفات يقوم على اساس جبهوية القيـــادة ، واندمـــاج قواعد المنظمات في كافة الواجبات العملية مـــع احتفاظها بتكوينها الموحد داخـــل هذا الاندمـــاج مرحليا ، وقد اقرت اللجنة التنفيذية هذا البرنامج. أما على الصعيد المالي ، فقد شكلت لجنة خاصة لدراسة الوحدة المالية ، ولاعادة صياغة قوانين وصلاحيات الصندوق القومي بما يتلاءم مع التوجه الجديد ، واوكلت للدكتور يوسف صايغ رئيـــس الصنـــدوق القومي مهمة التحضير لاعمال هـــذه اللجنة .

ولكن هذا السير المتفائل لاعمال التوحيد ، توقـــف مؤقتا ، بسبب نقطة جوهرية ومركزية . ذلك ان هذا البحث العملي في قضايا التوحيد الاعلامـــي والعسكري والمالي ، قفز منذ البداية عن البحث التفصيلـــي في البرنامـــج السياسي والبرنامـــج التنظيمي حسب قرارات المجلس الوطني ، وكـــان لا بد من عودة الى هذه البرامج لمناقشتها والبت فيها ، حتى يستقيم البحث في الاجراءات العملية الاخرى . وانسجاما مع ذلك تقرر تشكيل لجنـــة سياسية من المسؤولين الاوائل في منظمات اللجنة التنفيذية الخمس ، على ان تكون هناك عـــودة لتنفيذ القضايا الاخرى على ضوء النتائج التـــي تتوصل اليها في مناقشاتها . وقد عقدت اللجنـــة السياسية اكثر من اجتماع ، اقرت في الاجتمـــاع الاول القضايا الفلسطينية السياسية الداخلية ، واقرت في الاجتمـــاع الثانـــي قضايـــا الجبهـــة الفلسطينية ـــ الاردنية الموحدة ، بعد ان برز في النقاش تياران ، يرى الاول ان الجماهير في ضفتي الاردن هي عماد هذه الجبهة ، بينما يرى التيار الثاني ان الجبهة بهـــذا المفهوم تفقد محتواهـــا النضالي ، وان الذي يعطيها هـــذا المفهوم هـــو التحام فصائل المقاومة داخل الجبهة كجزء عضوي منها . ثم انتقلت اللجنـــة بعد ذلك الى بحـــث تفاصيل البرنامج التنظيمي ، فاقرت الاسس العامة المتفق عليها ، على ان تتابع مناقشة التفاصيـــل في اجتماعات قادمة .

٢ ـــ **اعمال لجنـــة المتابعة** : لـــم تحدد توصيات المؤتمر الشعبي ولا قرارات المجلس الوطني مهمات لجنة المتابعة بشكل واضح ، واكتفي بالقول بـــأن مهمتها « متابعة تنفيذ قرارات الوحدة الوطنية » ، ولذلك فقد وقفت اللجنة طويلا امـــام هذه النقطة في اجتماعها الاول الذي عقـــد في ٢٢ نيسان في بيروت ، بحضور القسم الاكبر من اعضائها ، ورات في حصيلة النقاش ان مهمتها تنحصر في مراقبـــة قرارات اللجنة التنفيذية وتقرير مدى اقترابها او ابتعادها عن قرارات المجلس الوطني ، وفي مراقبة مواقف المنظمات الفدائية وتقرير مدى التزامهـــا بتنفيذ ما يتفق عليه ، واخيرا تقديم تقرير بذلك الى المجلس الوطني في دورة انعقاده القادمة ليتخـــذ بنفسه ما يراه مناسبا من اجراءات . وبعـــد ان حددت اللجنة مهمتها على هذا الشكل ، عـــرض عليها الاخ ياسر عرفات مناقشات اللجنة التنفيذية، والقرارات التي خرجت بها ، وقررت في النهايـــة انتخاب أمانة سر لها ، تستطيع ان تكون متواجدة باستمرار قرب اللجنة التنفيذية ، حتى تستطيع ان تواصل انجاز مهمة لجنة المتابعة بشكل يومي ، على ان يكون هناك اجتماع شهري للجنة المتابعة بكامل اعضائها . وبناء على ذلك تقرر عقدالاجتماع الثاني للجنة يوم الخامس من حزيران . اما امانة السر التي انتخبت فقد تشكلت من (خالـــد الفاهوم رئيسا ، وعضوية كـــل من : جميل شحـــاده ، عبد الله حوراني ، نبيل شعبث ، صلاح دباغ) .

٣ ـــ **اعمال لجنة الاتصال** : كلفت القوى والاحزاب العربيـــة التي شاركـــت في المؤتمـــر الشعبـــي الفلسطيني ، منظمة التحريـــر الفلسطينية ، ان تتولى هي اختيار لجنة تحضيرية تتولى الاعـــداد لمؤتمر شعبي عربي . وقد قامت اللجنة التنفيذية بمهمتها هذه ، وشكلت لجنة تحضيرية مـــن ١٧ منظمة عربية ضمت (٩ منظمات من لبنـــان ـــ ٥ احزاب حاكمة ـــ الكتلة الوطنيـــة المغربية ـــ الجبهة الوطنية الاردنيـــة ـــ منظمـــة التحريـــر الفلسطينية) . وقد عقدت اللجنة التحضيرية اول اجتماع لها يوم ٧ ايار في بيروت ، حيث ناقشت ورقة عمل اعدتها منظمة التحريـــر انطلاقا مـــن قرارات المؤتمر الشعبي الفلسطيني . وبعـــد ان ناقشت اللجنة ورقة العمل ، قررت ادخال تعديلات عليها ، وكلفـــت بذلك لجنـــة خاصة للصياغة ، أنجزت مهمتهـــا في اليوم التالي (٨ ايار) ثـــم عادت اللجنة التحضيرية في اليوم الثالث (٩ ايار) للاجتماع بكامل اعضائها حيث اقرت ورقة العمل الجديدة التي تحدد الاسس المتفق عليها للدعـــوة للمؤتمر ، مع نظرة اولية في مهماته ، تركـــز على

حماية القضية الفلسطينية ، ومقاومة كل مشاريع التصفية الصهيونية والاستعمارية والرجعية التي تستهدف وجود الثورة الفلسطينية ، كما تركز على مقاومة وفضح كل المحاولات الرامية الى عزل المقاومة عن الحركة الشعبية العربية ، وعلى الدعم الايجابي للجبهة الوطنية الاردنية — الفلسطينية في نضالها الوطني الديمقراطي لاسقاط نظام الحكم العميل في الاردن ، على ان تناضل الجبهة العربية المشاركة بالاضافة الى ذلك في سبيل محاصرة هذا النظام وتضييق الخناق عليه من الخارج .

وفي مساء ١٠ ايار اختتمت اللجنة اعمالها ، واصدرت بيانا قالت فيه « تنفيذا لقرار المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة بين ٦ — ١٠ نيسان ١٩٧٢ ، حول تنظيم مشاركة القوى الوطنية والتقدمية العربية في الثورة الفلسطينية ومساندتها بمختلف الوسائل ، عقد في بيروت اجتماع تحضيري ... قرر الدعوة لعقد مؤتمر شعبي عربي لنصرة الثورة الفلسطينية في النصف الثاني من ايلول من العام الجاري في بيروت . تتمثل فيه كافة القوى الوطنية التقدمية العربية ، ويدعى اليه بصفة مراقبين عدد من الشخصيات العربية ، بالاضافة الى عدد من الاحزاب والمنظمات الصديقة في العالم . كما قرر الاجتماع التحضيري مبدأ تكوين الجبهة العربية المشاركة في كفاح الشعب الفلسطيني على الصعيد القومي ، وفي مختلف الاقطار العربية ، وتشكيل امانة دائمة للجبهة ، على ان يقر المؤتمر ذلك بصورة نهائية . وقد شكلت اللجنة التحضيرية، امانة تحضيرية للمؤتمر » .

هذا وقد اصدرت اللجنة التحضيرية اثناء اجتماعها في بيروت ثلاثة بيانات سياسية ، عالج البيان الاول مسألة الطائرة التي انزلها الفدائيون في مطار اللد ، محييا العملية ، ومسلطا الاضواء على وحشية التصرف الاسرائيلي . وعالج البيان الثاني القرار الامريكي بلغم مداخل موانىء فيتنام الشمالية ، معتبرا ذلك عمل قرصنة « ضد شعب فيتنام المكافح البطل » . اما البيان الثالث فقد شجب العدوان البريطاني الذي ينطلق من دولة عمان ضد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

المقاومة والنظام الاردني

في الوقت الذي كانت فيه منظمة التحرير الفلسطينية منهمكة في الاعداد للمؤتمر الشعبي الفلسطيني ردا على مشروع الملك حسين بالدرجة الاولى ، عرف في عمان ان السلطات الاردنيةقررت الدعوة لعقد مؤتمر فلسطيني مضاد ، ولكنها لم تحدد موعد انعقاده . وفي السابع من نيسان كتبت جريدة « اخبار الاسبوع » الاردنية تقول « ان عددا من الوجهاء الفلسطينيين يزمعون انشاء حزب سياسي للفلسطينيين في الضفتين ، بعد المؤتمر الفلسطيني الذي ينوي الملك عقده» . وبذلك يكون مؤتمر عمان بديلا عن مؤتمر القاهرة ، ويكون الحزب السياسي بديلا عن منظمة التحرير الفلسطينية ، ويشكل كل ذلك خطوة على طريق استقطاب الرأي العام الفلسطيني حول مشروع الملك ، وخطوة ايضا على طريق عزل منظمة التحرير وحركة المقاومة الفلسطينية ، وقد مضى شهر نيسان باكمله دون ان تقدم السلطات الاردنية على اي اجراء من هذه الاجراءات ، وفي ٨ أيار اعلن في عمان أنه قد الغيت ترتيبات عقد مؤتمر فلسطيني « بسبب عدم توفر التأييد » . وذكرت المصادر المطلعة ان الملك حسين سيلقي بدلا من ذلك خطابا امام ٢٠٠ شخصية من كبار الفلسطينيين والاردنيين . والقى الملك خطابه هذا في ١٠ أيار امام وفود ذكر رسميا « انها تمثل قطاعات الضفة الغربية باكملها !! » ، وكرر الملك في هذا اللقاء تمسكه بمشروعه الداعي لانشاء المملكة العربية المتحدة ، واعلن ان اللجنة التي شكلت (٨ ايار) لدرس اوضاع الذين غادروا الاردن بعد حوادث ايلول ١٩٧٠ ، تتابع اعمالها بقصد تهيئة الفرصة لعودة الجميع ، وان اعمالها ستشمل المحكوم عليهم غيابيا ، والمغرر بهم ، والفارين (جنود وضباط الجيش) . كما ذكر الملك انه اوعز بوضع قواعد وأسس لدرس اوضاع المعتقلين والافراج عن غالبيتهم ، وفق هذه القواعد ، كما قال ايضا انه اوعز بدرس موضوع رواتب المتقاعدين في الضفة الغربية ، وان الاجراءات ستتخذ لتذليل كل الصعاب .

ويلاحظ على هذا الموقف الاردني أنه يشكل اعترافا عمليا بالعجز عن عقد مؤتمر فلسطيني يحظى بتأييد الجماهير ردا على مؤتمر منظمة التحرير . وقد حاول الملك تغطية هذا العجز بتقديم الرشاوى ، لسكان الضفة الغربية ، وللمعتقلين ، وبشكل خاص لجنود وضباط الجيش الذين التحقوا بالعمل الفدائي بعد ان رفضوا الاوامر التي وجهت لهم

اثناء مجازر ايلول . وقد ردت نشرة فتح اليومية على ذلك قائلة « هذا العفو الملكي يثير السخرية حقا ، لانه يستهين بعقول الناس الى درجة مذهلة ... ويعرف ثوارنا الى ماذا يهدف الملك من (عفوه السياسي) ، وكيف أنه يحلم بتقويض الثورة من الداخل » .

والى جانب هذا التصادم السياسي بين المقاومة والنظام الاردني ، كانت هناك تصادمات عسكرية عديدة بينهما ، لوحظ ان الصحف العربية نادرا ما تنشر انباءها ، ويمكن تقسيم هذه التصادمات العسكرية الى اربعة انواع :

١ — عمليات ضد رجال النظام : وفي هذا النطاق، قالت وكالة الانباء العراقية يوم ٩ نيسان ، انه وقع انفجاران في عمان اسفرا عن تدمير سيارتي عبدالله التل وموسى ابو الراغب من اعضاء مجلس الامة ، كما وقع انفجار آخر عند منزل المشير حابس المجالي في الزرقاء . وقالت نشرة فتح اليومية انه تم في ١٠ نيسان تفجير سيارة الشريف ناصر بن جميل ، وادى الحادث الى مقتل سائقها ، كما تم في ١٣ نيسان الهجوم على موكب ولي العهد الامير حسن حيث دمرت سيارتان ، واستشهد مناضلان هما توفيق سعيد وغسان هاشم ملحم . (أعلن الخبر في ١٩ نيسان) .

٢ — اغتيال رجال المخابرات : وفي هذا النطاق نشرت صحيفة اللواء البيروتية في ١١ نيسان ان سلسلة من احكام الاعدام ضد رجال المخابرات نفذت في الاردن على أيدي الفدائيين خلال شهر آذار الماضي . ففي ٣/١٩ اعدم ضابط المخابرات محمد يوسف الرفاعي في قريته بمنطقة السلط . كما أعدم ضابط المخابرات شفيق جميل رميا بالرصاص بين عمان والزرقاء . وفي ٣/٢٤ اعدم ضابط المخابرات يوسف محمد علي الصرايرة رميا بالرصاص في بلدة الحصن قرب اربد ، كما أعدم في نفس الاسبوع ضابط المخابرات هاني الضمور ، والقيت متفجرة على دكان العميل محمد ابو خديجة في مخيم اربد .

٣ — اشتباكات مع الجيش الاردني : لقد ذكرت نشرة فتح اليومية أن اكثر من اشتباك حصل بين مجموعات فدائية والجيش الاردني ، اثناء توجه هذه المجموعات الى الاراضي المحتلة عبر الاراضي الاردنية ، في منطقة الاغوار الشمالية ، منها اشتباك حصل قرب قرية الشجرة في ٢٠ نيسان ، وآخر قرب قرية الطرة في ٢٢ نيسان ، واشتباك ثالث في نفس المنطقة يوم ٢٣ نيسان ، وفي يوم ٢٤ نيسان اشتبكت القوات الاردنية مع مجموعتين فدائيتين . وردا على هذه الاشتباكات قام الفدائيون بقصف مقر قيادة احدى الكتائب الاردنية في منطقة الشمال صباح ٢٧ نيسان . وبالاضافة الى ذلك ذكرت نشرة فتح في ٢٠ نيسان انباء ثلاث هجمات تمت ضد مواقع الجيش الاردني في منطقة القريتين، ومنطقة حرتا .

٤ — نشاط في اوساط الجيش : وزع مكتب فتح في بيروت بيانا جاء فيه ان فئة اطلقت على نفسها اسم (التنظيم الثوري في القوات المسلحة الاردنية) وزعت مناشير في الاردن دعت فيها الجيش الى الاطاحة بنظام الملك . وقال بيان فتح ان المناشير وزعت يوم ٢ أيار في اربد والاغوار الشمالية ، تلتها حملة من الاعتقالات ، وخاصة في كتيبة مدفعية الهاوزر ١٧ المحمولة . وجاء في احد هذه المناشير « اتفقت مجموعة وفية من اخوانكم في الجيش العربي الاردني ... وتعاهدت على ان تعمل بكل الوسائل للاطاحة بالنظام الملكي الخائن ... واقامة نظام يقضي على الرشوة والفساد في الجيش والمؤسسات المدنية ، وتطهير الجيش وتحريره من الخونة ورجال المخابرات الاسرائيلية والاميركية من قيادة جيشكم » .

النشاط السياسي للمقاومة

قامت حركة المقاومة في الفترة الماضية بنشاط سياسي ملحوظ ، على الصعيد العربي والدولي . فعلى الصعيد الدولي قام الاخ ياسر عرفات بالاجتماع الى الرئيس الروماني تشاوتشسكو يوم ٥ نيسان في القاهرة ، حيث تلقى منه دعوة لزيارة رومانيا ، اتفق على ان يحدد موعدها في وقت لاحق . وتأتي اهمية هذا اللقاء من الدور السياسي الجديد الذي تلعبه رومانيا باتجاه وساطة جديدة بين مصر واسرائيل ، عبرت عن نفسها في زيارة تشاوتشسكو لمصر ، وفي استقباله لغولدا مئير في رومانيا .

وفي ٥ نيسان ايضا وصل الى كوريا الشمالية وفد من فتح برئاسة الاخ (ابو نضال) حيث قابل الرئيس كيم ايل سونغ . واكد الزعيم الكوري في هذا اللقاء تأييد كوريا ودعمها الكاملين للقضية الفلسطينية . وقال في حديثه ان الثورة الفلسطينية تواجه ظروفا اصعب مما واجهت اية ثورة أخرى .

ثم تابع الوفد الفلسطيني نفسه زيارة الصين ، حاملا رسالة من ياسر عرفات الى شو آن لاي حول مشروع الملك حسين . وقد قابل الوفد شو آن لاي يوم ١٠ نيسان ، وبلغه رسالة عرفات ، واجرى معه محادثات حول الاوضاع الفلسطينية والدولية، وحمل الوفد معه بعد عودته رسالة من شو آن لاي ردا على رسالة عرفات ، أعلن عنها في ١٨ نيسان وجاء فيها « ان الصين معجبة برفضكم مشروع الملك حسين مما يؤكد تصميمكم على خوض الكفاح المسلح حتى النهاية » . وفي ٢٧ نيسان استقبل الاخ ياسر عرفات سفير الصين في بيروت وأجرى معه محادثات حول الموقف الفلسطيني من التطورات السياسية في المنطقة .

هذا وسيسافر وفد من منظمة التحرير برئاسة الاخ ياسر عرفات الى الاتحاد السوفياتي في موعد قريب لم يحدد نهائيا بعد .

اما على الصعيد العربي فقد قام مسؤولون في حركة المقاومة باتصالات سياسية كثيفة ، مماثلة للاتصالات التي جرت على الصعيد الدولي . ففي ١٣ نيسان قام الاخ ياسر عرفات على رأس وفد من فتح ضم (ابو اياد — ابو اللطف — ابو السعيد — هايل عبد الحميد) بالاجتماع مطولا الى الرئيس انور السادات ، وذلك بعد انتهاء جلسات المؤتمر الشعبي . ولم تعلن طبيعة البحث الذي دار في هذا اللقاء ، وان كان قد لفت انظار المراقبين فيه ، انه اقتصر على قيادة فتح ، ولم يشمل اي عضو من اعضاء اللجنة التنفيذية ، خاصة بعد قرارات التوحيد التي خرجت عن المؤتمر .

وفي ٢٥ نيسان قام الاخ ياسر عرفات بالاجتماع الى الرئيس السوري حافظ الاسد ، حيث اجريا مباحثات حول « الموقف العربي وعلاقته بحركة المقاومة » . وقد جاء هذا الاجتماع بعد سلسلة من الهجمات الاعلامية بين جريدة فتح ومجلة الطلائع التي تصدرها الصاعقة بدمشق ، كان آخرها مقال في مجلة الطلائع (العدد ١٢٥) هاجم بالاسم بعض اعضاء فتح في المؤتمر الشعبي حول الاراء التي ابدوها . وقد لوحظ ان نشرة فتح نقلت بعد اجتماع عرفات — الاسد « تعقيبا » للسيد زهير محسن ممثل الصاعقة في اللجنة التنفيذية جاء فيه « نعرب عن خالص وأشد الاسف عن خطأ التعرض لاسماء بعض الاخوة المناضلين » (عدد ١ ايار) .

وكانت آخر حلقة في هذا النشاط السياسي قيام وفد من فتح برئاسة الاخ ابو جهاد وعضوية كل من (ابو يوسف — ابو السعيد — هاني الحسن — ابو معن) زيارة للجزائر بدأت يوم٢٦ نيسان، قيل انها ازالت نوعا من الجفاء كان قائما بين الجزائر وفتح ، برز بشكل خاص بعد معركة جرش في تموز ١٩٧١ . والجدير بالذكر ان الجزائر اعلنت خلال هذه الفترة أكثر من مرة انها ستتعامل مع كافة المنظمات الفدائية الفاعلة ، بينما كانت لفترة طويلة سابقة ترفض ان تتعامل مع غير حركة فتح . وقد عاد وفد فتح من الجزائر يوم ٥ ايار ، وقالت مصادر مطلعة ان مباحثاته كانت ناجحة ، وان « هناك ورقة عمل مشتركة بين حركة فتح وبين حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية » .

طائرة مطار اللد

دعم نشاط المقاومة السياسي بنشاط عسكري كانت طائرة مطار اللد أبرز ما فيه . ففي الساعة السادسة من مساء يوم الثامن من أيار استولى اربعة من الفدائيين (الملازم اول علي طه قائد العملية — الملازم اول عبد العزيز الاطرش — ريما عيسى — تيريز اسحق هلسا) على طائرة بلجيكية من نوع بوينغ ٧٠٧ بعد اقلاعها من فيينا باتجاه اسرائيل ، ونزلت الطائرة في مطار اللد في تمام الساعة السابعة والنصف ، حيث أعلن الفدائيون بمكبرات الصوت انهم سينسفون الطائرة بمن فيها اذا لم تفرج السلطات الإسرائيلية عن ١٠٠ من الفدائيين المعتقلين في سجونها ، يمثلون اكثر من تنظيم فدائي .

قامت بالعملية منظمة ايلول الاسود ، واستمرت ٢١ ساعة ، وانتهت بهجوم اسرائيلي على الطائرة، تلاه اشتباك بين المهاجمين والفدائيين ، استشهد فيه قائد العملية علي طه ، والملازم الاول عبد العزيز الاطرش ، وجرحت الفدائية تيريز هلسا جروحا خطرة ، واسرت الفدائية الرابعة ريما عيسى ، بينما جرح بعض جنود العدو وثلاثة من الركاب . وقد اثارت هذه العملية اهتماما واسعا، محليا وعالميا .

وركز المراقبون والمعلقون السياسيون على اهميتها من الزوايا التالية :

١ — اهمية التوقيت الذي تمت به العملية ، اذ جاءت بعد الانتخابات البلدية في الضفة الغربية ،

وبعد الاعلان عن مشروع الملك حسين . هذان الحدثان اللذان ترافقا مع حملة اعلامية اسرائيلية ـ اردنية واسعة تحدثت طويلا عن انتهاء حركة المقاومة الفلسطينية . وبرز خلال الشهر الماضي بالذات تركيز خاص على هذه النقطة بقصد التأثير على محادثات نيكسون في موسكو (٢٢ ايار) لصالح الموقف الاسرائيلي والمشروع الاردني . وقد شكلت العملية من هذه الزاوية حدثا يكذب كل هذه الانماط من الادعاءات .

٢ ـ الجرأة التي تميزت بها العملية بالتوجه نحو مطار اسرائيلي ، فكانت بذلك العملية الاولى من نوعها . ويحمل هذا التوجه بالطائرة نحو مطار اسرائيلي معنى خاصا وصفه بيان منظمة ايلول الاسود قائلا « عندما اخترنا مطار اللد لهبوط الطائرة اردنا أن يكون التحدي في ارض الصراع ، ارض فلسطين ، وكان أسهل لنا ان نوجه الطائرة الى أي مطار في المنطقة » .

٣ ـ التضامن النضالي الذي عبرت عنه ٥ بين مقاتلين يدفعون ثمن التضحية في السجون ، وبين رفاق لهم يضحون بأنفسهم للافراج عنهم ، ليشعر كل مقاتل انه غير منسي على الاطلاق ، وأن هناك دائما من يفكر به ، تفكيرا يصل الى مستوى التضحية بالنفس .

٤ ـ المغزى الواضح في نوعية الفدائيين الذين اختارتهم المنظمة لانجاز المهمة ، اذ تشكلت المجموعة من تيريز هلسا المولودة في عكا عام ١٩٥٣ والتي تشكل رمزا للجيل الفلسطيني الذي ولد وتربى في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، وتعرض لكافة محاولات تذويب شخصيته القومية ، ثم واجه كل هذه المحاولات بالانتماء للثورة الفلسطينية ، والعودة باسمها الى قلب اسرائيل . وضمت المجموعة ريما عيسى الاردنية الاصل ، والتي يشكل اسهامها تخطيا لكل النزعات الاقليمية التي عمل النظام الاردني على زرعها وتعبيرا عن وحدة النضال بين شعبي الضفتين يجد تجسيده في حركة المقاومة. كما ضمت ايضا عبد العزيز الاطرش ، والذي يشكل اشتراكه في العملية رمزا للاسهام العربي في معركة التحرير ، بمقدار ما يمثل ردا على محاولات اسرائيل الدؤوبة لتشويه موقف الدروز فيها . اما علي طه قائد العملية فهو من ابناء منطقة الخليل التي احتلت بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وهو بهذا الرمز يكمل صورة رفاقه .

اما بالنسبة للموقف الاسرائيلي فقد ركز المراقبون والمعلقون السياسيون على نقاط من نوع مختلف ابرزهـا :

١ ـ ان معالجة مسألة الطائرة من قبل اسرائيل تمت على مستوى الوزارة الاسرائيلية باكملها . اما تنفيذ الموقف الاسرائيلي ، فقد تم على مستوى كبار القادة العسكريين الذين تقدمهم وزير الدفاع موشي دايان ، ورئيس الاركان دافيد اليعازر .

٢ ـ استغلت اسرائيل السمعة والثقة التي يتمتع بها الصليب الاحمر الدولي ، ورتبت الهجوم على الطائرة ، محتمية به ، أو متواطئة مع بعض عناصره . وقد اثارت هذه النقطة بالذات جدلا واستنكارا واسعين . فقد قالت منظمة ايلول الاسود في بيانها ان الصليب الاحمر شارك في الخدعة « ففي الوقت الذي كان يجب ان يقوم بالاشراف كليا على ادخال الطعام والتأكد من شخصية العمال لمنع دخول الجنود والاسلحة الى الطائرة ، تواطأ وتآمر ، وتم ادخال الجنود في ملابس العمال الى الطائرة ... لهذا نعتبر مندوبي الصليب الاحمر الدولي في القدس شركاء أصلا في هذه الجريمة» . ثم اصدر الهلال الاحمر الفلسطيني بيانا آخر اكد فيه نفس التهمة وقال ان « سماح ممثلي الصليب الاحمر للمسلحين الاسرائيليين بالصعود الى طائرة اصبحوا مسؤولين عن سلامتها مسؤولية كاملة تحت مظلة تزويدها بالطعام ، يدل على تواطؤ مع السلطات الاسرائيلية، وهذا يتنافى مع رسالة الصليب الاحمر والتزاماته » . وقد تفاعلت قضية الصليب الاحمر هذه بسرعة ، فاصدر مركزه الرئيسي في جنيف مساء ١٠ ايار بيانا اكد فيه أنه استغل من قبل اسرائيل، ونفى تهمة التواطؤ ، اذ ورد في البيان قوله « فوجيء مندوبو الصليب الاحمر الدولي بالعمل الاسرائيلي . فالصليب الاحمر الدولي لا يقبل ان يحاول أي كان استخدام عمله الانساني لاهداف عسكرية او سياسية . ولذا فانه يرفض رفضا باتا محاولة التستر به للقيام بمناورة ، كما يرفض ان يتهم بالمشاركة طوعا في مناورة » . ثم قدم الصليب الاحمر على اثر ذلك احتجاجا شفويا الى حكومة اسرائيل حول الحادث الذي اعتبره « نكثا لعهد قطع لنا » ، قائلا انه سيقدم ايضا احتجاجا خطيا. وقد قام الصليب الاحمر بكل هذه الاجراءات ادراكا منه ان هذا الحادث كاف ليفقده الثقة التي يتمتع

بها ، ويجعله بالتالي عاجزا عن انجاز اية مهمة يتصدى لها ، وهو لذلك كان معنيا بشكل خاص ، أن يبذل كل ما هو ممكن لاستعادة هذه الثقة ، وتنفيذا لذلك أرسل مبعوثا خاصا الى بيروت ، عقد في مقر الصليب الاحمر اللبناني مؤتمرا صحفيا مساء ١٢ ايار قال فيه « ان الصليب الاحمر يمر في فترة صعبة على الصعيدين الوطني والعالمي » وشرح تفاصيل الهجوم على الطائرة في مطار اللد محاولا ان يثبت بالوثائق ، استغلال اسرائيل لمندوبيه ، وعدم مشاركتهم في اي تواطؤ . ثم شدد في نهاية كلمته على ان عمل منظمته يقوم على الثقة ، وانها لا يمكن ان تقوم بواجباتها الانسانية اذا فقدت ثقة الآخرين فيها . وفي اليوم التالي (١٣ ايار) أعلن الصليب الاحمر « انه سيعيد النظر في موقفه من حوادث خطف الطائرات » وربما يقرر « سياسة جديدة للتدخل » لم يعلن عنها .

٣ — صورت اسرائيل هجومها على الطائرة بأنها كانت عملية شجاعة وحكيمة ، فقال شمعون بيريز وزير النقل الاسرائيلي « ان العملية خططت بدقة ، وبحثت فيها الحكومة الاسرائيلية ، ونفذها دايان الذي كان على اتصال مستمر بغولدا مئير » ، وقال رئيس الاركان ان العملية نفذها « جنود مدربون تدريبا حسنا في معركة قصيرة » . وقد اثار هذا الموقف الاسرائيلي استياء واضحا في اوساط الصحافة العالمية ، التي رأت ان الهجوم الاسرائيلي على الطائرة نجح بالصدفة ، لان احتمالات النجاح والفشل كانت متساوية امامه . وكان من الممكن ان يسفر عن مقتل عدد كبير من الركاب . بينما اعلنت منظمة ايلول بالمقابل انه كانت لدى الفدائيين الاربعة تعليمات واضحة بعدم نسف الطائرة وركابها ، ونقل الطائرة اذا فشلت المفاوضات الى مطار عربي ومتابعة التفاوض من هناك . ويثبت ذلك موافقتهم على ادخال الماء والطعام للركاب ، الامر الذي لا لزوم له لو انهم كانوا ينوون نسفها بمن فيها .

هذا وقد أبلغت منظمة ايلول الاسود الصليب الاحمر الدولي انه ما دام يعترف بأنه استغل من اسرائيل ، فيصبح من واجبه تبني قضية الفدائيتين ريما عيسى وتريز هلسا والعمل للافراج عنهما . وقد توجه وفد من الهلال الاحمر الفلسطيني الى جنيف لهذا الغرض ، مزودا بقرارات الامم المتحدة التي تتضمن نوعا من الاعتراف بشرعية المقاومة للاحتلال الاسرائيلي .

والجدير بالذكر ان جنازة رمزية ضمت آلافا من المشيعين ، نظمت يوم ١٣ ايار في بيروت تحولت الى تظاهرة شاركت بها الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، والاتحادات الطالبية ، والتنظيمات السياسية للمقاومة الفلسطينية . وانهت التظاهرة سيرها في مقبرة شهداء فلسطين، حيث اقيم مهرجان خطابي .

بلال الحسن

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

١ ــ **مصر والاتحاد السوفياتي** : قام الرئيس السادات بزيارة الى موسكو في أواخر نيسان . وتعود أهمية الزيارة الى عاملين : اولهما : كون السادات قد أشار اليها مرارا في خطاباته ، وكان الحديث المستمر عنها يوحي بأنها ستكون زيارة حاسمة . ثانيهما : الظروف التي تتم فيها هذه الزيارة ، خاصة بعد ان أعلن الملك حسين مشروعه ، وبعد ان تطورت الامور في فيتنام الى ما كانت عليه في اواخر نيسان . ثم اعلان الولايات المتحدة عن استعدادها لشحن مزيد من الاسلحة والمعدات الى دولة الاحتلال .

وهذه الزيارة ليست زيارة مجاملة عادية ، فهي ، كما قال السادات في خطابه بالكرملين (الانوار ٧٢/٤/٢٩) ، الزيارة الخامسة خلال ثلاثة عشر شهرا . انها اذن زيارة عمل ، ومع هذا فهي لم تطل ، واختصرت يوما واحدا . ولقد كشفت الاخبار التي اذاعتها الوكالات الرسمية في الاتحاد السوفياتي طبيعة الزيارة ، وطبيعة الجو الذي رافقها . فقد ذكرت تاس ان جوا « من الود والصراحة والتفاهم الكامل المتبادل المنسجم مع روح معاهدة الصداقة والتعاون » قد ساد المباحثات . كما ذكرت الوكالة ان المباحثات تناولت المسائل المتعلقة « بتوسيع وتعميق التعاون المصري ــ السوفياتي » . ولم يفت الوكالة ان تشير الى ان « عناية خاصة اوليت لدرس الوضع في الشرق الاوسط » . اما نوفوستي فقد اعتبرت الزيارة « استمرارا للاتصالات الدائمة التي اصبحت تقليدا متبعا في العلاقات بين الاتحاد السوفياتي ومصر اللذين تربط بينهما علاقات الصداقة الوثيقة والتعاون المتعدد الجوانب » . وكان أهم ما فيتعليق الوكالة أنها اعتبرت المحادثات المصرية ــ السوفياتية « مرحلة جديدة في النمو المستمر للصداقة والتعاون الشامل بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية » (النهار ٧٢/٤/٢٩) .

ولا بد لنا هنا من أن نذكر اشارات وردت في خطابي كوسيغين والسادات في المأدبة التي اقامتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي عقب انتهاء الجلسة الاولى من المباحثات . فلقد اكد كوسيغين على ان محادثاته مع السادات قد أكدت « وحدة العمل التي لا تتزعزع مهما كانت الظروف » كما اشار الى ان : « وحدة الهدف للشعبين تؤكد دائما على انجاح الوسائل المؤدية الى ذلك » . وكان مما أشار له كوسيغين قصر مدة المباحثات . فالسبب الحقيقي لقصر المباحثات : « هو الفهم المشترك ووحدة الهدف ، الامر الذي مكننا من الوصول الى الغاية المرجوة في اقصر وقت ممكن». وهو يؤكد ان الاتفاق الذي تم ما كان لتم لولا وحدة الهدف في ثلاثة اشهر من المباحثات .

أما السادات فقد أكد على مسؤولية الاتحاد السوفياتي ، قال السادات : « ... انني لم اكن استطيع الحضور الى موسكو هذه المرات العديدة، كما لم تكن حركات التحرير في العالم تتمكن من النمو والنجاح لولا المسؤولية الكبرى التي يتحملها الاتحاد السوفياتي تجاه حركة التحرير العالمي » . وبعد ان اشار السادات الى دور الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية « في مواجهة القوى الاستعمارية والامبريالية واثر ذلك في قدرة الشعوب على « ان تشق طريقها تحت الشمس وتبني مكانتها اللائقة بين الدول » . « ومن هذا المنطلق » في رأي السادات « تتضاعف مسؤوليات الاتحاد السوفياتي » ويضيف : « ومن أجل ذلك ايضا سوف تتكرر لقاءاتنا معكم نحن وغيرنا من قادة الدول التي تكافح من اجل التحرر » (الانوار ٧٢/٤/٢٩) .

وكانت « نوفوستي » قد نشرت تعليقا في هذه الآونة اكدت فيه ان « ... حالة اللاحرب واللاسلم لا يمكن ان تستمر ، كما أنه من الواضح لكل سياسي سليم التفكير ان الدول العربية لا يمكن ان تقبل الى ما لا نهاية باحتلال اراضيها » (الانوار٧٢/٤/٢٩).

وكانت الصحف الرجعية ، اجنبية وعربية ، تتناقل في هذا الوقت اخبار الخلافات المصرية ــ السوفياتية (الحياة ٧٢/٤/٢٩) . ولكن الذي حدث هو أن البيان كان مفاجأة ولقد أكد البيان مجموعة من الحقائق وهي . **اولا** : ان هناك مؤامرات من الامبريالية وعملائها « تستهدف تقويض الحركة التقدمية في بلدان العالم العربي ، وفصل هذه الحركة عن حليفها الطبيعي والامين ، وهو الاتحاد

السوفياتي وسائر بلدان الاسرة الاشتراكية » . وهذا ما تثبته « التطورات التي حدثت في الشهور الاخيرة » والتي « تظهر بجلاء ان الاوساط المعادية لحركة التقدم في العالم العربي وعملائها لم تتوقف عن ممارسة مخططاتها الرامية الى قهر ارادة الشعوب العربية واجبار هذه الشعوب على الاستسلام امام مطالب الامبريالية » . **ثانيا** : «ان الدول العربية التي تعرضت للعدوان لها كل الحق في استخدام مختلف الوسائل لاسترداد الاراضي العربية التي اغتصبتها اسرائيل » . **ثالثا** : « ان اهم شرط لتصفية آثار العدوان الاسرائيلي الامبريالي والوصول الى التسوية العادلة للنزاع العربي هو دعم القدرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية للدول العربية التي تسير في طريق التقدم ، وتقوية وحدة كل الشعوب العربية على الاسس المعادية للامبريالية والمواجهة الحاسمة للمحاولات الرامية الى بث الشقاق في صفوفها » .

ان هذه القضايا الثلاث ترد لاول مرة في بيان مصري ــ سوفياتي مشترك ، وهي قضايا هامة بالفعل . وقد خلا البيان من الاشارة الى التسوية السلمية او السياسية واكتفى بالاشارة الى « النضال من اجل تسوية عادلة » اساسها الضروري « الانسحاب الكامل من جميع الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل ، وتأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي » . كما ان البيان برر حق العرب في استخدام كل الوسائل بالسياسة التوسعية المكشوفة التي تنتهجها اسرائيل مؤيدة من الولايات المتحدة وباستمرار اسرائيل في تجاهل قرار مجلس الامن واستمرار عملية الاستيطان . ويشير تحليل لرويتر من موسكو الى ان المراقبين يرون في موافقة الاتحاد السوفياتي على استخدام الوسائل الاخرى « تشددا في الموقف السوفياتي قد يكون بضغط من السادات » . ويقول مراقبون ديبلوماسيون : « ان لهجة البيان المشترك تحمل في طياتها تهديدا بعمل عسكري لتحرير الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل » . اما في الارض المحتلة فقد احدث البيان قلقا لدى سلطات الاحتلال . وقد ذكر معلق الشؤون العربية في الاذاعة الى ان ورود جملة استخدام الوسائل الاخرى في البيان « تشكل تطورا خطيرا لا يمكن التقليل من مغزاه ». اما بيجال آلون فقد اعرب عن اسفه «لان العناصر المتطرفة في مصر حصلت على تشجيع من البيان » (النهار ٧٢/٥/١) . واذا كان البيان المصري ــ السوفياتي قد أثار قلقا لدى سلطات الاحتلال ، فانه أثار ، ولا شك ، مخاوف اوساط عربية لا يرضيها توثيق العلاقات العربية ــ السوفياتية ، لانها تعمل جاهدة لاضعاف هذه العلاقات لمصلحة الامبريالية العالمية .

لقد سجل البيان المصري ــ السوفياتي التطورات التي المحنا اليها ، وهي تطورات ذات شأن على صعيد السياسة الدولية . ان تزكية الاتحاد السوفياتي حق العرب في استخدام « مختلف الوسائل » لها مدلولاتها . وهي لا تعني الحرب حتما ، ولكنها تلوح بالحرب في حالة فشل المساعي الاخرى . وما دامت المساعي الاخرى فاشلة حتما بسبب التعنت الاميركي ــ الصهيوني فان لهذا التلويح معناه . ثم ان الاشارة الى حق العرب في استخدام الوسائل الاخرى يمكن ان تكون جزءا من حملة لاقناع الرأي العام الدولي ان الحرب قادمة ، ما دام الاحتلال قائما ، وان الحرص على السلام لا يكون بتجاهل حقوق العرب والسكوت على الاحتلال الاسرائيلي . على كل حال ، فان البيان المصري ــ السوفياتي هو خطوة على طريق المساعي المبذولة من اجل منع تدهور الموقف في المنطقة لمصلحة الاميركان والاحتلال الصهيوني . وهي لذلك خطوة يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عندما تقيم الاحتمالات في المنطقة .

٢ ــ **السادات في عيد العمال** : جاء خطاب السادات في عيد العمال ، بعد عودته من الاتحاد السوفياتي مباشرة . وكان ابرز ما في خطابه :

اولا : انه حدد مرتكزات السياسة المصرية بما يلي : أ ــ « الوحدة الوطنية لقوى الشعب العاملة » وهي « ليست وحدة الانتهازية ولا الاستغلال » . ب ــ « عمل عربي موحد ايا اختلفت الانظمة فنحن جميعا امام معركة مصير » . ج ــ «العداء للاستعمار والصداقة مع كل الذين يؤازرون حقنا ونضالنا من اجل السلام وفي مقدمتهم الاتحاد السوفياتي». واضاف: «الاتحاد السوفياتي الذي يعتبر دعمه تأكيدا حقيقيا ، لاننا سنحصل في وقت معقول على القوة اللازمة للتحرير » .

ثانيا : انتقد بشدة الذين يحلمون بالعودة الى الامتيازات ، كما انتقد الذين يتصورون ان الحرية نقيض الاشتراكية مشيرا الى ان « التحول الاشتراكي يمضي في طريقه » .

ثالثا : انتقد « السلام الاميركي » كما يمارس في فيتنام ، وانتقد السلام الاميركي « كما تنطبق به اسرائيل » ، فهذا السلام ، كما يقول السادات : « ضد مبادئنا بل هو ضد حياتنا كلها » .

رابعا : ذكر ان المعركة قادمة ، وذكر الى انه في هذه المعركة : « ما بيكنيش تحرير الارض لا بد غرور اسرائيل الي بتاله ٢٣ سنة ، والعربدة... ده كلام لازم يقف ويكون له حد ونهاية » واضاف : « زي ما قلتلهم انا مستعد بمليون ومستعد ادفع ثمن هذه المعركة بس عليهم هم كمان يجهزوا انفسهم بمليون جوه عندهم واكثر كمان » (النهار ٧٢/٥/٣) .

وكان خطاب السادات يوحي بأن الذين يعادون « الاشتراكية » في مصر ، ويحلمون بعودة الامتيازات ، هم الذين يعملون ضد توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ، وهم الذين يريدون سلاما اميركيا . وبهذا الخطاب بدأ السادات حربه المعلنة ضد خطوط أخرى ، داخل مصر وخارجها ، وبلور في رده أسس سياسته الداخلية والعربية والدولية. ففي الداخل : وحدة قوى الشعب العامل ، وعربيا : عمل عربي موحد ، وخارجيا : تحالف مع الاتحاد السوفياتي . وهو في ذلك يرد على الخطوط المضادة : في الداخل ديمقراطية،برلمانية ، عربيا : انكفاء وانكماش ، ودوليا : الاتجاه نحو الولايات المتحدة . ان استمرار هذا الخلاف بين الخطين ، سيدفع الى عملية استقطاب للقوى المختلفة ، وسيقود الى « صراعات » ليس من السهل تحديد نتيجتها الآن ، وان كانت نتيجتها ستترك بصماتها على مستقبل المنطقة ومستقبل الحرب والسلام فيها .

٣ — السادات وزياراته العربية : منذ تولى السادات رئاسة الجمهورية ، وهو يحاول أن يعيد بناء علاقاته العربية على أسس جديدة . ولقد استطاع أن يقيم اتحادا مع سورية وليبيا ، كما انه استطاع ان « يحسن » العلاقات مع المملكة العربية السعودية وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من جولاته الاخرى (زيارة السودان اكثر من مرة ، زيارة الكويت ... الخ) ، وعلى الرغم من الاتصالات التي قامت بها مصر ، مع الدول العربية ، فقد كانت هنالك مشكلة العلاقات مع الجزائر والعراق . والجزائر والعراق من الدول العربية الكبيرة الهامة ، ذات الوزن السياسي الكبير نسبيا ، وذات الامكانيات المادية الهائلة .

ولقد كان مألوفا ان تنجح مصر في توطيد علاقاتها مع قسم من الدول العربية على حساب العلاقات مع القسم الآخر ، الا ان مصر الآن تحاول ان تقيم علاقات « حسنة » مع الكل . ولهذا اجرت مصر اتصالاتها ، وسعت الى تحسين علاقاتها مع الدول العربية عموما ، ومن بينها الجزائر والعراق . ولقد كانت مبادرة العراق ، بعد اعلان مشروع الملك حسين مباشرة ، خطوة كبيرة على طريق تحسين العلاقات . اما العلاقات مع الجزائر فقد تحسنت عبر الاتصالات والزيارات التي تتوجت بزيارة السادات . وكانت زيارة السادات للجزائر اكثر من زيارة مجاملة وحرصت الجزائر على ان تستقبله فيها ، هو وزميله القذافي ، استقبالا حارا .

ولقد اكد البيان المشترك الذي صدر في نهاية الزيارة مجموعة من الحقائق الهامة فيما يتعلق بالموقف من الاحتلال الصهيوني . ومن هذه الحقائق :

١ — « ضرورة اتخاذ تدابير عملية ووسائل فعالة في نطاق خطة للتحرير محددة الاهداف ، تكون اساسا لعمل عربي منسق يضمن استعادة الاراضي العربية ويكفل للثورة الفلسطينية مواصلة نضالها المظفر ويحقق مطامح شعبها في حياة حرة كريمة » .

٢ — على الامة العربية ان تخوض حتما : « معركة قومية طويلة بكل اشكالها المختلفة تطرح فيها امكاناتها الذاتية وتجند فيها الطاقات وتسخر فيها الامكانات ، وتستحق فيها تعبئة شعبية شاملة ، الامر الذي يؤدي الى تحقيق الاهداف السامية للشعوب العربية في مسيرتها نحو التحرر والتقدم ونحو الوحدة العربية الشاملة ... » .

٣ — وبسبب استمرار العدوان الصهيوني « ... فان معركة تحرير الارض تصبح حتمية وواجبا مقدسا يستلزم التضحيات وتضافر القوة العربية بكل ما لديها من امكانات ووسائل » .

٤ — « وفي هذا الصدد فان الرؤساء الثلاثة يقررون تعبئة كل الطاقات والامكانات لخوض المعركة الحتمية المصيرية ، ويعلنون عن يقينهم بأن القوة الذاتية للامة العربية عندما تلقي بكل ثقلها في المعركة لقادرة على مواجهة اعدائها والتغلب على مخططاتهم العدوانية وتحقيق النصر لشعوبها » .

٥ — « واذ يرى الرؤساء الثلاثة ان كفاح الشعب الفلسطيني يمثل عاملا اساسيا في كفاح الامة العربية يعتقدون ان دعم المقاومة الفلسطينية ممثلة

في منظمة التحرير واجب قومي ومسؤولية تقع على عاتق الجميع . واتفقوا في هذا الشأن على تمكينها بكل ما من شأنه ان يعزز كفاحها التحريري ، كما يؤكدون اقتناعهم بأن توحيد صفوف المقاومة الفلسطينية هو الضمان الاساسي لحماية مسيرتها».

ان البيان المصري ــ الجزائري ، لا يخرج عن خط خطاب السادات في عيد العمال ، وهو منسجم مع الخط الذي انتهجته الجزائر منذ حرب حزيران . ولهذا فالبيان لا يذكر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٦٧/١١/٢٢ . ومع ذلك فالبيان يعتبر أن المعركة أصبحت حتمية بسبب استمرار الاحتلال وفشل كل المساعي لايجاد حل . وقد لا يكون صحيحا أن نتوقع ان تكون هذه الزيارة حلا سحريا لمشاكل تراكمت ، ليست ناتجة عن سوء التفاهم وحسب ، ولا ناتجة عن خلافات فحسب ، بل هي ناتجة ايضا عن مجمل الاوضاع العربية ، ولكن هذه الزيارة تبشر بانفراج العلاقات وانفراج العلاقات هو المدخل . فاذا ما انفرجت العلاقات مع العراق ايضا ، واتحدت ارادة مصر وسورية والعراق والجزائر ، كان ممكنا ان توحد الامكانيات العربية . الا ان ما هو متوقع ، هو ان يقود اي تحالف مصري ــ جزائري ــ سوري ــ عراقي ، على أساس التحالف مع الاتحاد السوفياتي ومعارضة النشاط الاميركي الى نشوء محور معارض بقيادة المملكة العربية السعودية . لقد نشأ التفاهم بين مصر والمملكة العربية السعودية في ظل اعتقاد اوساط عربية وعالمية بأن مصر أخذت تميل نحو تحديد علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي ، وترغب في علاقات امتن مع الولايات المتحدة الاميركية . وما دام هذا الاتجاه قد أخذ في التبدل ، وما دامت العلاقات العربية السوفياتية (مصر ، العراق ، الجزائر) آخذة في التحسن ، فامكانية قيام جبهة عربية موحدة ، كما يريد السادات ، معرضة للفشل . ان القوى الامبريالية والعميلة ستعمل من اجل احباط العمل العربي الموحد ، بشق الجبهة الموحدة ، او التي تبدو موحدة ، وبالعمل لاسقاط الانظمة المتجهة نحو تقوية علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي . ولهذا يبقى الخط الذي طرحه السادات صحيحا : ان يكون هنالك عمل عربي موحد ، يضم كل الطاقات والامكانيات . ومن اجل هذا يجب ان يجري النضال . ولكن الهدف يجب ان يكون واضحا : وهو حشد القوى للمعركة المقبلة ، مقاومة الحلول التصفوية والاستسلامية ، حماية الثورة الفلسطينية ومساندتها . ومثل هذا الحشد لا بد من ان تدعى الى المشاركة فيه كل الدول والانظمة ، فاذا ما تراخت او تقاعست ، او خرجت عن هذا الخط وهذه الاهداف ، يجري النضال لفضحها وتوضح الخطط لمواجهتها .

ولقد كانت تطرح وحدة الصف في الماضي بديلا لوحدة الهدف ، او وحدة الهدف بديلا لوحدة الصف ، فلماذا لا تطرح اليوم وحدة الصف في خدمة وحدة الهدف ؟ ولماذا لا يجري النضال من اجل وحدة الهدف ، ومن اجل وحدة الصف معا . ولماذا لا نناضل من اجل وحدة المتحدين في الهدف، ونناضل في الوقت عينه من اجل وحدة الصف العربي ، لتكون وحدة الهدف نواة وحدة الصف ومركز استقطابها وموجه فعاليتها ؟ ان معركة المصير التي تخوضها الامة العربية واوضاع الامة العربية ، تستلزم ان تقوم اشكال من التحالف ، مختلفة ومتدرجة ، محددة ولكن مرنة ، تستفيد من كل القوى وتضع كل قوة في مكانها الصحيح من التحالف . ومن هذه الزاوية يجب ان ينظر الى محاولات السادات .

ان زيارة السادات للعراق والتجاوب الذي ابداه العراق سلفا قد يقودان الى تطورات جزئية في المشرق العربي ، لا سيما بعد زيارة غريشكو لدمشق والقاهرة ، وبعد الاتفاق العراقي ــ السوفياتي . وأهم ما يمكن يقود اليه هذا اللقاء هو : أ ــ زيادة الفرص لتقريب وجهات النظر بين سورية والعراق ، ركني الجبهة الشرقية . ب ــ تدعيم الجبهة الشرقية وزيادة فعاليتها . ج ــ تطويق محاولات النظام الاردني لاسقاط نظامي الحكم في العراق وسورية . د ــ اعطاء الثورة الفلسطينية مزيدا من الوقت للتنفس وتوفير قدر اكبر من الحماية لها .

ولكن من يعرف ماذا سيحدث في مصر او سورية او العراق قبل ان تتم الزيارة ، أو بعد أن تتم . ان ما سيحدث هو الذي سيقرر مصير المرحلة .

٤ ــ **الملك حسين ومشروع عفوه** : اعلن الحسين مشروعه عن المملكة العربية المتحدة ، آملا ان ينهي عزلة النظام عن الجماهير الفلسطينية ، ومتوخيا ان يحدث صدعا في الصف الفلسطيني يقود الى تصفية الثورة . ولكن المشروع سقط منذ اعلانه ولم يستطع ان يحدث اي اثر فعلي : الا زيادة عزلة الاردن فلسطينيا وعربيا.ويبدو ان الملك حسين

احس بأن النقمة تحتاج الى الكثير من الجهود لتزول آثارها . ولذلك حاول ان يخفف من آثار الجريمة باعلان العفو عن المحكومين غيابيا والفارين والمغرر بهم . ويقول الملك في هذا المجال : « اننا نهيء الفرصة لاخواننا وابنائنا خارج وطننا ليعودوا جميعا الى ارضهم طالما أنهم يؤمنون بأنهم جزء منها . وسيجدون الابواب مفتوحة امامهم ليساهموا مع اخوانهم هنا في معركة البناء والمستقبل والمصير » (النهار ٧٢/٥/١١) . ويطمح الملك في ان يؤدي مثل هذا القرار الى تراجع كثيرين ممن انضموا الى صفوف الثورة ، من افراد الجيش خاصة ، والى تراجع بعض العناصر المنتمية الى صفوف الثورة . ولكن الملك اخطأ هذه المرة ايضا . لقد خدعه وزراؤه ومستشاروه ، حينما صوروا له ان عناصر الثورة وكوادرها متعبة ويائسة ، وانها تبحث عن مخرج ، وان العفو سيكون مخرجها . قد يكون هنالك قلة مستعدة للتراجع ، وهذا ليس غريبا ، ولكن هذه القلة هي ليست الثورة الفلسطينية . والمقاتلون يريدون العودة الى الاردن لينطلقوا منه الى الارض المحتلة ، لا ليصبحوا عملاء عند النظام الذي يعتبرونه نظاما عميلا ، معاديا للتحرير .

٥ ــ التحضير لمؤتمر شعبي عربي : انعقد في بيروت ما بين ٧ و١١ ايار اجتماع تحضيري ، تنفيذا لقرار المؤتمر الشعبي الفلسطيني المنعقد في القاهرة ٦ ــ ١٠ نيسان ١٩٧٢ بعقد مؤتمر شعبي عربي لتنظيم مشاركة القوى الوطنية والتقدمية العربية في الثورة الفلسطينية ومساندتها. وقد قرر المجتمعون عقد مؤتمر شعبي في النصف الثاني من ايلول ، هذا العام ، « تتمثل فيه كافة القوى الوطنية والتقدمية العربية وتدعى اليه بصفة مراقبين عدد من الشخصيات العربية بالاضافة الى عدد من الاحزاب والمنظمات الصديقة في العالم ». كما قرروا : « مبدأ تكوين الجبهة العربية المشاركة في كفاح الشعب الفلسطيني على الصعيد القومي ، وفي مختلف الاقطار العربية وتشكيل امانة دائمة للجبهة ، على ان يقر المؤتمر ذلك بصورة نهائية » (بيان صادر عن الامانة العامة التحضيرية للمؤتمر الشعبي العربي لنصرة الثورة الفلسطينية) .

وقد ساهم في اعمال هذا الاجتماع : الاتحاد الاشتراكي العربي ــ مصر ، الاتحاد الاشتراكي العربي ــ ليبيا ، الجبهة القومية ــ جمهورية اليمن الديمقراطية ، الكتلة الوطنية المغربية ، حزب البعث العربي الاشتراكي ــ العراق ، الجبهة الوطنية الاردنية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، الحزب التقدمي الاشتراكي ــ لبنان، الحزب الشيوعي اللبناني ، حزب البعث العربي الاشتراكي ــ لبنان ، منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي ــ لبنان ، حزب العمل الاشتراكي العربي ، منظمة العمل الشيوعي في لبنان ، الحركة اللبنانية المساندة لفتح ، الحزب الديمقراطي ــ لبنان ، اتحاد الشيوعيين اللبنانيين . ومع ان القوى المشاركة في الاجتماع قوى هامة واساسية في ميدان العمل السياسي العربي فقد لوحظ غياب احزاب وقوى هامة مثل جبهة التحرير الوطني الجزائري ، الحزب الشيوعي العراقي ، الحزب الشيوعي السوري الخ ... وعلى الرغم من ذلك فان هذا الاجتماع يبقى هاما : لانه يعقد استجابة لقرار من مؤتمر شعبي فلسطيني أولا ، ولانه ينعقد في مثل هذه الظروف، وبمثل هذه السرعة ثانيا.

صحيح ان هذه المبادرة قد تأخرت كثيرا ، اذ كان مثل هذا المؤتمر يجب ان يعقد سنة ١٩٦٩ مثلا ، ولكن المبادرة تبقى هامة. وعلى كل القوى الوطنية العربية ان تشارك في المؤتمر المقبل ، لانها بمثل هذه المشاركة ستثبت جديتها وشعورها بالمسؤولية وبخطورة المعركة . وسيكون مدى نجاح هذا المؤتمر ، بما يلي : اولا : بالقوى المشاركة فيه مشاركة حقيقية . ثانيا : بقدرته على بلورة برنامج للحركة الوطنية العربية ، يحدد مكان القضية الفلسطينية من القضية القومية ودور القوى والاحزاب العربية في معركة التحرير . ثالثا : بقدرته على تجاوز الحساسيات والرواسب المتراكمة بين اطراف قوى الحركة الوطنية العربية، وعلى وضع أسس جديدة للتعاون والتفاعل . رابعا : بقدرته على ان يلزم الانظمة المشاركة في المؤتمر الشعبي بأحزابها ومنظماتها بهذا الخط . خامسا : بقدرته على ان يكون أداة تعبئة وتجنيد للجماهير العربية .

هل يستطيع المؤتمر ان يفعل ذلك كله ؟

علينا ان نناضل .

ان المؤتمر حلقة اخرى من حلقات العمل العربي الموحد . وستبقى كل حلقات العمل العربي الموحد ضعيفة اذا ظلت بدون الجماهير .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

ما زال الجمود يطبع مجرى الاحداث الدولية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي ، اذ لم يطرا اي تطور دولي هام في الاشهر الماضية من شانه تحريك الوضع الراكد منذ انتهاء الدورة الاخيرة للجمعية العامة لهيئة الامم . وقد زاد في تثبيت هذا الركود عاملان هما : اولا انشغال الاوساط الدولية كلها بالانتصارات التي حققتها القوات الفيتنامية ضد الفرق العسكرية التابعة لحكومة سايغون المدعومة من قبل سلاحي الطيران والبحرية الامريكية ، وثانيا جو الترقب والانتظار الذي خلقته زيارة نيكسون المرتقبة الى الاتحاد السوفياتي (٢٢ ايار) حيث ستكون قضية الشرق الاوسط من البنود الرئيسية على جدول اعمال المفاوضات بين البلدين . ومع انه يبدو بحكم المؤكد ان محادثات نيكسون في موسكو لن تتفق عن اية نتائج دراماتيكية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي فان الاوساط الحكومية الامريكية تعمل في الوقت الحاضر على كسب المزيد من الوقت في منطقتنا لابقاء كل شيء على حاله بحجة ارتباط كل نشاط دبلوماسي بالنسبة للشرق الاوسط باجتماع القمة القادم في موسكو . لذلك لم يصدر الا تعليق امريكي مهم واحد في الشهرين الاخيرين حول النزاع العربي الاسرائيلي ادلى به جوزيف سيسكو في اوائل شهر ايار ، حيث اشار الى النشاط الدبلوماسي الامريكي المعلق بالنسبة للشرق الاوسط بسبب ارتباطه بمؤتمر القمة في موسكو ونتائجه . وشدد سيسكو في كلامه على اهمية استمرار وقف اطلاق النار باعتباره يخدم مصلحة جميع الفرقاء لان الدول العربية تدرك بكل واقعية وبالرغم عن خيبة املها فيما يتعلق بتحقيق التسوية الشاملة للنزاع ، ان اللجوء الى القوة العسكرية لن يكون في صالحها ، على حد قول سيسكو . وعاد هذا المسؤول الامريكي الى اثارة موضوع المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ومسالة التوصل الى اتفاق بشان اعادة فتح قناة السويس . اي عادت الدبلوماسية الامريكية الى تدوير النزاع في حلقة مفرغة لا مخرج منها ولا مكسب الا ابقاء الامور على ما هي عليه لاطول فترة ممكنة . فقد اعترف سيسكو بان الخلافات العربية الاسرائيلية كبيرة جدا مما يجعل التقدم نحو تسوية سلمية شاملة احتمالا بعيد المنال ، وانزل اللائمة على العرب واعتبرهم مسؤولين عن هذا الفشل بسبب عجز السياسة الامريكية عن « حمل اصحاب العلاقة الجلوس حول طاولة المفاوضات » ثم عاد ليطرح امكانية العودة الى مفاوضات التسوية الجزئية من جديد التي كانت قد قتلتها امريكا بنفسها في السابق عندما جمدت وساطتها في هذا الموضوع عشية المناقشة العامة التي جرت في هيئة الامم حول قضية الشرق الاوسط اثناء انعقاد دورتها الاخيرة .

وعلى صعيد اخر كان نشاط الاتحاد السوفياتي المتعلق بالوضع في منطقتنا بارزا اذ قام رئيس الحكومة السوفياتية الكسي كوسيغن بزيارة العراق في اوائل شهر نيسان على رأس وفد حكومي وحزبي للمشاركة في احتفالات العراق لمناسبة بدء الانتاج المباشر للنفط في حقل الرميلة الشمالي الذي ساعد الاتحاد السوفياتي في اعداده وتجهيزه . ولا شك ان هذه الزيارة ترمز الى الاتجاه في تزايد سيطرة بعض البلدان العربية على مواردها الطبيعية وخاصة البترولية منها مما سيكون له تاثير ايجابي هام جدا ، في المدى البعيد ، على الحركة الوطنية التحررية العربية عامة بما في ذلك حركة التحرر الفلسطينية . كذلك لا ريب في ان الاحتكارات الامبريالية تشعر بانزعاج شديد وهي تشاهد الرئيس كوسيغن في العراق بمناسبة نفطية هامة تعطي بلدا عربيا القدرة على انتاج نفطه بنفسه والتصرف به وفقا لمصالحه الوطنية . واكد الرئيس كوسيغين على المغزى السياسي الهام للتعاون العراقي السوفياتي في ميدان النفط كما عاد الى تاكيد موقف بلاده المعروف من النزاع في الشرق الاوسط ودعم بلاده للكفاح العربي ضد الامبريالية والاحتلال الاسرائيلي . واسفرت الزيارة عن توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين الشبيهة بالمعاهدة التي كان قد وقعها الاتحاد السوفياتي مع مصر سابقا . ونصت المعاهدة على قيام تعاون شامل بين البلدين في الحقول السياسية والاقتصادية والتجارية والفنية والعلمية والثقافية وتبادل الخبرات الصناعية والزراعية في ميادين الري والثروات المائية والنفط وغيرها من فروع

الاقتصاد . كذلك نصت على تنسيق اعمال الطرفين والتشاور بينهما على مختلف المستويات في كل القضايا الدولية المهمة ، وعلى ضرورة اجراء الاتصالات الفورية لتنسيق المواقف في حال نشوء اوضاع تهدد السلام او تخرقه . نصت المعاهدة ايضا على « تنمية التعاون في مجال تعزيز القدرات الدفاعية لكل من البلدين » . ويلاحظ هنا ان هذا النص من المعاهدة المتعلق بالمساعدات العسكرية هو اضعف مما جاء في المعاهدة مع مصر باعتبار ان التسليح بالنسبة لمصر محور اهم في علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي مما هو بالنسبة للعراق . وعقب الزيارة صدر بيان مشترك أشاد بالعلاقات السوفياتية العراقية المتطورة باستمرار وبالكفاح المشترك ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية، كما اشار الى انه لا يمكن احلال سلام عادل وراسخ في الشرق الاوسط الا بتحرير كل الاراضي العربية المحتلة وبضمان الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . واعرب البيان عن دعم كل من البلدين لكفاح شعب فلسطين من اجل استعادة حقوقه الشرعية .

وكان هناك ايضا نشاط ملحوظ لزعيم احدى دول اوروبا الشرقية المعروفة بعلاقاتها الوثيقة مع اسرائيل : زار الرئيس الروماني نيكولاي تشاوشسكو كلا من الجزائر ومصر كجزء من جولة افريقية قام بها في شهر اذار . واثناء وجوده في الجزائر اعلن الضيف الروماني عن دعم بلاده للقضية الفلسطينية على اساس انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة وتأييدها لكفاح الشعب الفلسطيني لتأمين استقلاله على اساس مبدأ حق تقرير المصير .

وصدر بيان مشترك عن الزيارة اعلن عن وقوف رومانيا الى جانب الجهود التي تبذلها بلدان حوض البحر الابيض المتوسط لازالة الوجود العسكري الاجنبي في المنطقة . ويبدو من هذه الصيغة ان رومانيا متفقة مع الموقف الجزائري الداعي الى اخراج الاساطيل الاجنبية من المتوسط بما في ذلك الاسطول السوفياتي . في مصر اجرى الرئيس تشاوتشسكو محادثات مع الرئيس انور السادات ومع ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . وكرر الرئيس الضيف موقف بلاده من النزاع في الشرق الاوسط كما اعلنه في الجزائر حيث قال ان رومانيا تعتبر انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة اساسا للسلام في الشرق الاوسط يتبعه حل عادل لقضية الشعب الفلسطيني يتفق مع مصالحه القومية .

وكانت الخطوة الهامة الاخرى على صعيد النشاط السوفياتي هي قيام الرئيس السادات بزيارة موسكو في اواخر شهر نيسان . وكان واضحا ان لهذه الزيارة صلة وثيقة بمؤتمر القمة الامريكي السوفياتي المرتقب في موسكو اذ انه لا بد من التشاور والتنسيق بين مصر وحليفها الاكبر فيما يتعلق بطرح موضوع النزاع العربي الاسرائيلي في محادثات القمة . وتشير كافة الدلائل الى ان زيارة الرئيس السادات كانت ناجحة الى اقصى الحدود بدليل عودته الى القاهرة قبل يوم واحد من الموعد المقرر لاختتام الزيارة بسبب السرعة التي تم فيها التفاهم بين الحليفين ، وصدور بيان مشترك يختلف في لهجته وبعض محتوياته عن كل البيانات المشابهة التي صدرت في السابق . واثار البيان اهتماما عالميا واسعا لانه لم يكتف بالتنديد باسرائيل بسبب تجاهلها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وبالتشديد على سعي مصر والجانب العربي الوصول الى تسوية سلمية شاملة تؤدي الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة ، بل تخطى البيان كل ذلك بتجاهله مهمة يارينغ تجاهلا تاما وباشارته الواضحة الى شرعية لجوء الدول العربية الى وسائل اخرى غير الوسائل السياسية (أي الوسائل العسكرية) لاستعادة اراضيها المحتلة .

ويبدو واضحا ان المماطلة اللامتناهية التي فرضتها الديبلوماسية الامريكية على مساعي التسوية السلمية في المنطقة ونتائجها على الصعيد العربي قد عكست نفسها على الموقف السوفياتي الرسمي باتجاه تشدد اكبر فيما يتعلق بموضوع تصفية آثار العدوان بالاساليب العنيفة . وقد شدد البيان ، بهذا الصدد ، على استمرار الاتحاد السوفياتي دعم القدرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية للدول العربية . وترددت انباء صحفية مفادها ان الاتحاد السوفياتي وافق على تزويد مصر باسلحة هجومية متطورة جدا بينها طائرات ميغ ٢٣ (الفوكسبات) وقاذفات قنابل توبوليف وصواريخ مضادة للطائرات . هذا بالاضافة الى بقاء الفريق حسني مبارك قائد القوات الجوية المصرية الجديد في موسكو بعد مغادرة الرئيس السادات للبحث في قضايا الدفاع الجوي المصري وتعزيزه .

لا بد من الاشارة هنا الى ان المراقبين قد لاحظوا ان العبارة التي اثارت الاهتمام في البيان المشترك قد جاءت بصورة مختلفة قليلا في النص العربي عما هي في النص الروسي للبيان . وفقا للنص الذي وزعته وكالة انباء الشرق الاوسط المصرية تقول العبارة المعنية : « وفي ظل تلك الظروف فان الدول العربية التي تعرضت للعدوان لها كل الحق في استخدام **مختلف الوسائل** لاسترداد الاراضي العربية التي اغتصبتها اسرائيل » . أما في النص الروسي فقد وردت العبارة نفسها على النحو التالي : « وفي ظل تلك الظروف فان الدول العربية التي تعرضت للعدوان لها كل الحق في استخدام **الوسائل الاخرى غير الوسائل السياسية** لتحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل ». (الهيرالد تريبيون ، ٢ ايار ١٩٧٢) . ولم يتوفر اي تفسير لهذا الفارق في نص البيان في اللغتين مع ان العبارة التي تم تناقلها عالميا واثارت الاهتمام نقلت من نص البيان باللغة الروسية .

وبمناسبة تكاثر مزاعم النظام الاردني حول كونه الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني ومحاولات سلطات الاحتلال اعطاء هذه الصفة التمثيلية الى مجموعة من المتعاونين معها في الضفة الغربية من المفيد الاشارة هنا الى الزيارة التي قام بها ياسر عرفات الى يوغسلافيا والتأكيد الذي صدر عن السلطات هناك بأنها تعتبر حركة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني . وقد جاء هذا التأكيد في البيان المشترك الذي صدر عقب الزيارة ، والذي شدد على تأييد الجانب اليوغسلافي للجهود التي تبذل من اجل تحقيق وحدة كل قوى الثورة الفلسطينية .

في النصف الثاني من شهر اذار قام مستشار الرئيس السادات للشؤون الخارجية — محمود رياض — بزيارة الصين على رأس وفد حاملا رسالة من الرئيس المصري الى رئيس الوزراء الصيني شو ان لاي . وذكرت مصادر مطلعة ان الاستقبال الذي قوبل به رياض في بكين كان باردا نسبيا ، ويبدو ان مرجع ذلك هو عدم موافقة السلطات الصينية على الفهم المصري — السوفياتي لطبيعة الصراع في الشرق الاوسط وطرق تسويته. ومعروف ان الحكومة الصينية تعطي الاولوية في دعمها الى كفاح الشعب الفلسطيني المسلح حتى النهاية ولا تعترف بقرار مجلس الامن ٢٤٢ ، في حين يتركز الاهتمام المصري — السوفياتي على تحقيق تسوية سياسية شاملة للنزاع تتضمن اتفاق سلام مع اسرائيل . وقد اجرى رياض محادثات مع المسؤولين في بكين حول ازمة الشرق الاوسط وتطوراتها كما حمل معه رسالة جوابية مكتوبة من رئيس الوزراء الصيني الى الرئيس السادات.

على صعيد دول اوروبا الغربية لم تطرأ اية تطورات هامة بالنسبة لموقفها المعروف من ازمة الشرق الاوسط كما تم التعبير عنه اخيرا في تأييدها للقرار الذي اتخذته الجمعية العامة لهيئة الامم في دورتها الاخيرة . وكان الموضوع الاكثر لفتا للانتباه في المجال الاوروبي هو عزم بريطانيا على تزويد اسرائيل بثلاث غواصات ومحاولات الدول العربية احباط هذه الصفقة . وبالرغم من الاتصالات التي قام بها بعض السفراء العرب (خاصة السفير المصري) بالمسؤولين البريطانيين والمناشدة التي وجهها مجلس الشعب المصري الى مجلس العموم البريطاني لجهة عدم اتمام الصفقة حرصا على العلاقات العربية — البريطانية المتطورة ، يبدو ان السلطات البريطانية تعتبر ان الصفقة مع اسرائيل قد اصبحت في حكم المنتهية باعتبار ان الغواصات هي اسلحة « دفاعية » ولن يكون لها تأثير على ميزان القوى في المنطقة وفقا لزعم المصادر البريطانية وتبريراتها . وبهذا الصدد اكد وزير الخارجية البريطاني من جديد انه لم تطرأ اية تغييرات على سياسة حكومته في شأن النزاع العربي الاسرائيلي وبما يتعلق ببيع الاسلحة الى دول الشرق الاوسط . واضاف بأنه لا يوجد اي حظر عام على بيع الاسلحة الا ان حكومته تنظر في كل طلب لشراء السلاح على حدة . ومن المعروف ان بريطانيا كانت قد رفضت تزويد كل من ليبيا واسرائيل بالدبابة المتطورة المعروفة باسم شيفتن. كذلك ذكر الوزير ان بلاده ليس لديها اية مقترحات جديدة بالنسبة لتسوية النزاع في الشرق الاوسط خاصة وان تقديم المقترحات البديلة في هذه الفترة سيعرقل استمرار جهود الولايات المتحدة والدكتور يارينغ للوصول الى السلام في المنطقة .

اما بالنسبة لفرنسا فقد عاد وزير خارجيتها الى تأكيد السياسة المعروفة لبلاده حيال النزاع في منطقتنا وهي السياسة القائمة على تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واشراك الاعضاء الدائمين في مجلس الامن الدولي في حل الازمة بالاضافة

الى المطالبة بالعودة الى اجتماعات الدول الاربع الكبرى وتوفير الضمانات الدولية للحدود بعد احلال التسوية ، وهو موقف ترفضه اسرائيل ولا يبعد كثيرا عن وجهة النظر العربية الرسمية في تسوية النزاع . ومن ناحية اخرى طرأ تحسن محسوس على العلاقات العربية مع المانيا الغربية. وعكس هذا التطور نفسه في التوصية التي وضعتها اللجنة السياسية الدائمة للجامعة العربية بترك حرية تقرير اعادة العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الى كل دولة على حدة .

وبمناسبة تحسن العلاقات صرح براندت بان بلاده تسعى الى اقامة علاقات طبيعية مع كل الدول الراغبة في ذلك بما فيها الدول العربية . واكد ان حكومته تؤيد ، بالاتفاق مع كل دول السوق الاوروبية المشتركة ، مهمة الدكتور يارينغ في الشرق الاوسط . كما اشار براندت الى مساهمة بلاده في تمويل وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين ورغبتها في المشاركة في التوصل الى حل سياسي للنزاع في منطقتنا . وعلى هذا الاساس صرح وزير الخارجية الالماني بانه يتوقع استئناف علاقات بلاده الدبلوماسية مع الدول العربية بما فيها مصر . وفي هذا الاثناء كانت بعثة المانية غربية تمثل الحزب الحاكم تقوم بجولة في العواصم العربية الرئيسية بدعوة من الجامعة العربية . وتباحثت البعثة مع المسؤولين في موقف المانيا من القضايا العربية الراهنة عامة والقضية الفلسطينية على وجه التخصيص .

وبالنسبة لهيئة الامم فقد تبنت لجنة حقوق الانسان قرارا جديدا في النصف الثاني من شهر اذار يتعلق بحقوق المواطنين العرب الواقعين تحت الاحتلال الاسرائيلي . وصوتت ١٥ دولة الى جانب القرار و ٤ دول ضده هي امريكا وهولندا وغواتيمالا وزائيري (وجدير بالذكر هنا ان رئيس جمهورية زائيري ـ الكونغو كينشاسا سابقا ـ كان احد اعضاء البعثة الافريقية التي زارت مصر واسرائيل من اجل التوسط بينهما للوصول الى تسوية سياسية للنزاع) كما امتنعت ١١ دولة عن التصويت . واشترك في تقديم القرار كل من الدول التالية : مصر ، لبنان ، تانزانيا ، الهند والباكستان . وقد دعا القرار اسرائيل دعوة مشددة الى ١) « الغاء كل الاجراءات والامتناع عن كل السياسات والاعمال التي تؤثر في التكوين الجغرافي او في طبيعة الاراضي العربية المحتلة وفي حقوق الانسان هناك » . ٢) السماح لجميع الذين خرجوا من الاراضي المحتلة او الذين طردوا من ديارهم بالعودة اليها من دون اية شروط . ٣) اكد القرار على ان كل الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لضم المناطق المحتلة او استيطانها هي اجراءات باطلة ولاغية . ٤) طالب جميع الدول الاعضاء في هيئة الامم بان تبذل قصارى جهدها لتأمين احترام اسرائيل لمبادىء حقوق الانسان وتحقيق التزاماتها بموجب ميثاق جنيف الخاص بحماية المدنيين في زمن الحرب . ٥) نظرت اللجنة الى عمليات الخرق الخطيرة لميثاق جنيف من قبل اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة على انها تشكل جرائم حرب واساءة الى البشرية .

اما التحرك الآخر الذي لفت الانتباه بالنسبة لهيئة الامم فهو طلب لبنان رفع عدد المراقبين الدوليين على حدوده مع اسرائيل (على اثر الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة) وقد وافق مجلس الامن على الطلب اللبناني وسيصل عدد المراقبين الى حوالي ٢٥ او ٣٠ شخصا . كذلك قام روبير غوبير مساعد الامين العام للامم المتحدة بجولة تفقدية واستطلاعية على مراكز مراقبي الامم المتحدة ومكاتبها في الشرق الاوسط فزار كلا من مصر وسوريا والاردن ولبنان واسرائيل ضمن نطاق جولته باعتباره المسؤول الاول عن اجهزة المراقبة التابعة للمنظمة الدولية .

اما بالنسبة ليارينغ واسفاره فقد اجتمع مؤخرا الى الامين العام لهيئة الامم لمناقشة جدوى الاستمرار في مهمته ضمن الظروف الحالية المسيطرة على النزاع العربي الاسرائيلي . وكانت نتيجة الاجتماع الاعلان عن تجميد نشاط الوسيط الدولي في الوقت الحاضر « بسبب عدم توفر الاسس التي تبرر استمراره بعمله » . وعلى اثر ذلك اعلنت المراجع المسؤولة في المنظمة الدولية ان يارينغ سيعود الى منصبه في موسكو حيث يعمل كسفير لبلاده . وترددت انباء صحفية غير مؤكدة بان فالدهايم قد يهتم بنفسه بأزمة الشرق الاوسط الى درجة الحلول محل يارينغ في عملية التوسط .

ص. ج. ع.

(٤) السياسة الاسرائيلية

احتلت ثلاثة احداث رئيسية ، اضافة لحدث مشروع الملك حسين الذي لخصنا رد الفعل الاسرائيلي تجاهه في العدد الماضي ، مركز الاهتمام السياسي في اسرائيل في شهري آذار ونيسان الماضيين . وكان ابرز هذه الاحداث انهيار النفوذ الاسرائيلي في أوغندا بعد حوالي عشر سنوات من العمل الاسرائيلي الشاق لتثبيته ، وتلاه في الاهمية صراع سياسي حاد دار في الاوساط الاسرائيلية حول تسييج وبدء استيطان مداخل رفح . ثم أتت زيارة غولدا مئير لرومانيا ، وهي أول زيارة يقوم بها رئيس حكومة اسرائيلي لدولة من دول المعسكر الاشتراكي .

انهيار اسرائيل في اوغندا : خلال اقل من عشرة اسابيع ، بين شباط ونيسان ١٩٧٢ ، انهار النفوذ الاسرائيلي في اوغندا انهيارا كاملا ، وانقلبت اسرائيل من الدولة الاكثر نفوذا في اوغندا الى دولة ارغم كل رعاياها ، بمن فيهم السفير والمستشارون العسكريون ، على مغادرة البلاد خلال أيام معدودة . وقد احتلت التحليلات المتعلقة بسياسة اسرائيل في اوغندا بشكل خاص ، والدول النامية بشكل عام ، مساحات واسعة في الصحف الاسرائيلية . ولكن كان واضحا من خلال ما صدر انه ما زالت هناك رقابة (ذاتية او من قبل السلطة) مفروضة بعد على الكتابات حول موضوع المساعدات الاسرائيلية للدول النامية . فباستثناء حالة اوغندا ، حيث اوردت الصحف تفصيلات عن النشاطات الاقتصادية الاسرائيلية فيها ، حفلت الكتابات بالعموميات والحديث عن المبادىء الموجهة اكثر مما حفلت بالاحصاءات والتصوير الدقيق لبرامج المساعدات وابعادها الحقيقية . وقد كان هناك تركيز في الصحافة الاسرائيلية ، من الصعب ان يعزوه المرء الى الصدفة ، على ان طابع النشاطات في اوغندا كان مختلفا جدا عن طابع نشاطات اسرائيل وبرامج مساعداتها في بقية الدول ، وان نموذج المساعدات لاوغندا لا يمكن اعتباره الممثل لمساعدات اسرائيل للدول النامية الاخرى . وادعى زئيف شيف ، احد المحللين العسكريين — السياسيين البارزين في اسرائيل ، في مقالة نشرها في هآرتس (٧٢/٤/٧ ص ٩) ، ان اسرائيل مارست في اوغندا سياسة مناقضة لكل القواعد المقرة من قبل الحكومة الاسرائيلية بالنسبة لبرامج المساعدات الخارجية . اما السبب الذي يمكن ان يكون دفع المعلقين السياسيين للتركيز على هذا الادعاء فليس من الصعب تصوره — ان الطبيعة الكولونيالية للنشاطات الاسرائيلية في اوغندا كانت مفضوحة هذه المرة بشكل لا يمكن تمييعه ، ولذلك كان لا بد من الهروب الى الادعاء بأن اوغندا هي الاستثناء وليست القاعدة ، حتى لا تتعرض اسرائيل لهزات مشابهة في دول أخرى . ويظل وصف مجلة هعولام هزه (٧٢/٣/٢٨ ص ٩) لما جرى في اوغندا بانه « نهاية المغامرة الكولونيالية الكبرى لاسرائيل في القارة الافريقية » هو اصدق وصف ظهر في الصحف الاسرائيلية حول الموضوع . ما هي ابعاد هذه « المغامرة » وماذا جرى ؟

بدأ التسلل الاسرائيلي لاوغندا في عام ١٩٦٣ ، أي في العام التالي لنيلها الاستقلال ، وكان يحكمها آنذاك ملتون اوبوتي ، الذي ظل رئيسا لها حتى يناير من عام ١٩٧١ ، عندما قام عيدي أمين بانقلاب عسكري استولى فيه على السلطة . لقد وقعت في ذلك العام (١٩٦٣) اتفاقيات التعاون بين اوغندا واسرائيل ، وشملت معظم مرافق الدولة الحساسة : الجيش والبوليس ، الادارة، التعليم، الشباب ، الزراعة ، الصحة . وفي اطار اتفاقيات التعاون هذه ساهمت اسرائيل في تدريب الجيش الاوغندي والشرطة وتسليحهما ، واقامت كلية للمظليين ، ولعبت الدور الاساسي في بناء سلاح الطيران الذي تشكل طائرات فوغا ماجستر النفاثة الاسرائيلية الصنع العمود الفقري فيه . وكان التدريب يتم بشكل متواز في اوغندا (بواسطة بعثات قليلة العدد نسبيا) وفي اسرائيل (عن طريق تدريب اعداد اكبر في الكليات الحربية والفنية الاسرائيلية) . وفي النطاق المدني ، اضافة للخبراء الزراعيين والاداريين الذين ارسلتهم اسرائيل لاوغندا ، استقبلت اسرائيل في معاهدها وجامعاتها ومدارسها الفنية مئات الطلاب والخبراء ، حيث كان يتم تعليمهم وتدريبهم ، ليعودوا فيما بعد ويندمجوا في المؤسسات الادارية والاقتصادية والتعليمية والصحية الناشئة التي كانت بمثابة اطارات اساسية في بناء الدولة

الحديثة . وقد بلغ عدد الذين تدربوا في اسرائيل حتى نهاية عام ١٩٧١ ، كما ذكر آبا ايبن في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ٧٢/٤/١١ ، اكثر من الف طالب وخبير . وكان من الطبيعي ان تؤدي هذه المساعدات المصبوبة في البنى الهيكلية القاعدية للدولة الاوغندية الطرية العود ، الى تنامي النفوذ الاسرائيلي في اوغندا وتجذره . ولكن خطر هذا النفوذ لم يظهر بشكل واضح الا عندما بدا اوبوتي في نهايات حكمه يجنح نحو سياسات ذات طابع يساري في الداخل ، وراديكالي على صعيد القارة الافريقية . وقد بلغت السياسات الداخلية ذات المنحى اليساري ذروتها في اجراءات التأميم التي اقدم عليها اوبوتي في عام ١٩٦٩ ، والتي وصفها ج. د. جونز محرر الشؤون الخارجية في الفايننشال تايمز (٧٢/١/٢٤) بانها كانت بداية النهاية بالنسبة لاوبوتي . كما بلغت السياسات الراديكالية على صعيد القارة الافريقية ذروتها في الصدام العنيف الذي حدث بين الرئيس اوبوتي ورئيس وزراء بريطانيا في مؤتمر دول الكومونويلث الذي انعقد في سنغافوره في يناير من عام ١٩٧١ بسبب قرار بريطانيا المتعلق ببيع السلاح لدولة افريقيا الجنوبية العنصرية . وهو المؤتمر الذي وقع اثناء انعقاده الانقلاب الذي قام به عيدي امين قائد الجيش للاستيلاء على الحكم .

لقد ادرك اوبوتي في السنة الاخيرة لحكمه الخطر الذي يمثله نفوذ اسرائيلي قوي في اوغندا على اي حكم تقدمي هناك ، ولذلك بدا بتقليص حجم التعاون الاوغندي — الاسرائيلي وتقليل عدد الاسرائيليين في اوغندا. وعندما وقع الانقلاب لم يكن من الصعب عليه ، وهو العارف بحقيقة الامور ومراكز القوى في بلده ، ان يحدد الجهة التي دبرت الانقلاب — اسرائيل . واذا كان بعض المراقبين قد شك آنذاك في صحة اتهامات اوبوتي لاسرائيل بانها هي التي دبرت الانقلاب لصالح نفوذها وصالح الاستعمار الجديد في القارة الافريقية ، فان احتضان اسرائيل (.والدول الاستعمارية الغربية) السريع لنظام حكم الجنرال أمين ، واتساع النشاطات العسكرية والاقتصادية الاسرائيلية في اوغندا بعد استيلاء هذا على الحكم ، لم تترك المجال لبقاء كثير من الشك . فقد طرد امين بسرعة المستشارين العسكريين والخبراء الروس والتشيكيين واستبدلهم بمستشارين وخبراء اسرائيليين حتى بلغ عدد افراد البعثة العسكرية الاسرائيلية الموجودة في اوغندا لدى طردها ٧٠ عضوا ، وهي اكبر بعثة عسكرية لاسرائيل عملت في اية دولة نامية في اية فترة من الفترات . وفي ظل المشورة الاسرائيلية بدأ حجم الجيش الاوغندي يتضخم تسليحا وتعدادا ، وبدأت النفقات العسكرية تمتص حيوية الاقتصاد الاوغندي الذي كان في مرحلة انتقالية متارجحة نتيجة لخطوات الرئيس السابق الاشتراكية . وكان المصدر الاساسي للسلاح المتكاثر ، الذي شمل الطائرات والدبابات والمدفعية ووسائط النقل العسكرية ، بالطبع اسرائيل . وكان الخبراء الاسرائيليون والشركات الاسرائيلية هي التي اشرفت على بناء القسم الاكبر من الثكنات والانشاءات العسكرية المكلفة للجيش الاوغندي . وقد استخدم امين الخبرة العسكرية الاسرائيلية والسلاح الاسرائيلي في قمع ثورة انصار اوبوتي في حزيران وتموز من العام الماضي ، وهدد تنزانيا ، الدولة الراديكالية في تجمع دول افريقيا الشرقية ، بالغزو اذا لم يكف رئيسها يوليوس نيريري عن تأييد الرئيس ملتون اوبوتي . وزادت اجراءات القمع الوحشية وتهديد تنزانيا بالغزو من عزلة عيدي امين في القارة الافريقية بشكل عام ، وفي افريقيا الشرقية بشكل خاص، حيث كان الرئيس السابق اوبوتي يتمتع باحترام كبير . واتخذت النشاطات العسكرية الاسرائيلية في اوغندا طابعا تآمريا خطرا في انظار القطاع الواعي من الرأي العام الاوغندي عندما بدأت الانباء تنتشر عن الاسلحة التي كانت اسرائيل ترسلها عبر اوغندا للمتمردين في جنوب السودان لاثارة المتاعب في وجه الحكومة السودانية ، وعندما بدأت تنتشر فيما بعد انباء عن اربعة « مطارات غامضة » [التعبير للفايننشال تايمز — ج. د. جونز : ٧٢/١/٢٤] يجري بناؤها في اماكن مختلفة في اوغندا ، وفقا لمواصفات تجعلها قادرة على استقبال طائرات عسكرية معقدة كطائرات الفانتوم ، ويكلف بناؤها ١٧ مليون جنيه استرليني، وهي كلفة ضخمة بالنسبة لاوغندا ، خاصة وان هذه المطارات ، كما تذكر الديلي تلغراف (دافيد لوشاك — ٧٢/٤/١٨) ، تتجاوز كل احتياجات اوغندا الدفاعية . وقد ذكر لوشاك في عدد الديلي تلغراف المذكور اعلاه ان الاسرائيليين كانوا لدى طردهم من اوغندا منهمكين في بناء مطارين من المطارات الاربعة ، واحدهما في اروا قرب الحدود

السودانية الجنوبية ، والثاني في ناكاسونغولا الواقع على بعد ٨٠ كم شمال كامبالا ، وعلى بعد بضع ساعات طيران عن الاهداف الحيوية لمصر . وذكر لوشاك ايضا انه علم من مصادر عسكرية في كمبالا ان الاسرائيليين كانوا معنيين بانشاء هذين المطارين لانهما يمكن استخدامهما عند الحاجة ضد مصر .

هذا بشكل عام حول بدء وتطور وطابع ووظيفة « المعونات » العسكرية الاسرائيلية لاوغندا ، ومنه ننتقل الى عرض موجز لحجم وطابع النشاطات الاقتصادية كي يصبح بالامكان رسم ملامح الصورة العامة لما اسمته « هعولام هزه » بالمغامرة الكولونيالية الكبرى لاسرائيل في القارة الافريقية . ان اية جهة اسرائيلية رسمية لم تصدر بعد بيانا مفصلا بالاستثمارات الاسرائيلية ومجالات الاستثمار ، ولكن صحيفة معريف نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٧٢/٤/١٤ (ص ١٧) مقالا ذكرت فيه ان الجهات المعنية في الوزارات والدوائر المختلفة ما زالت تجمع المعلومات ، من ثم اوردت تفصيلات ما تم جمعه حتى تاريخ نشر المقال . وهي تفصيلات كافية لايضاح المدى الذي بلغه التغلغل الاسرائيلي في اقتصاد اوغندا ، وايضاح الوجهة العامة لمخططاته المستقبلية . ونقدم فيما يلي لائحة مختصرة بالشركات الاسرائيلية التي نشطت او كانت تخطط للنشاط في اوغندا :

ـ فيرد : شقت في اوغندا طريقين بطول ١٥٠ كم، بلغت كلفتهما ٦ ـ ٧ ملايين دولار . وقد انجزت بناء الاول في منتصف عام ١٩٧٠ والثاني في منتصف عام ١٩٧١ . كما بدأت بانشاء اكبر مشروع للمساكن العامة في كمبالا . وهو مشروع يقضي بانشاء ١٨٠٠ وحدة سكنية وتبلغ كلفته ١٨ مليون دولار [تم انشاء ٨٠٠ وحدة] . وبعد قرار اتخذته الحكومة الاسرائيلية بتصفية شركة فيرد انتقل المشروع لشركة سوليل بونيه . واضافة للمشروعين السابقين « فازت » شركة فيرد ايضا بتعهد لبناء مدارج مطارات لا يحدد المقال عددها واماكنها . وقد انتقل المشروع بعد تصفية فيرد الى شركة « حيرم زئيفي » الخاصة في حيفا ، التي ارسلت لاوغندا معدات بلغت كلفتها ٤١/٢ مليون دولار ، نجحت في تهريب قسم منها لما اشتمت رائحة الازمة في العلاقات الاوغندية ـ الاسرائيلية .

ـ سوليل بونيه : اضافة لمشروع المساكن العامة الضخم ، بنت الشركة بنك افريقيا الشرقية في كمبالا ، وانجزت تعمير بناية ضخمة للطائفة الاسماعيلية، وكانت مشغولة لدى طرد الاسرائيليين من اوغندا ببناء ناطحة سحاب في كمبالا كلفتها ٤١/٢ مليون دولار [العمل فيها في مراحله الاخيرة] . كما كانت مشغولة باقامة مبان عسكرية « بمبالغ كبيرة » لا يذكر المقال مقدارها .

ـ شركة اسرائيلية خاصة للخدمات الهندسية لا يورد المقال اسمها (حيرم زئيفي ؟) كانت مشغولة ببناء ثكنات ومطارات عسكرية كلف وضع مخططاتها مليوني دولار تقريبا . وكان المفروض ان يتم العمل خلال خمس سنوات ، وان تبلغ الكلفة مئات الملايين من الشلنات [العمل في بداياته] .

ـ كور : كانت مكلفة ببناء ورشة مركزية للجيش الاوغندي بكلفة ٧ملايين دولار [العمل في بداياته].

ـ شركة « مختشيم » و « الدا » بالاشتراك مع شركة هندية واغندية كانتا مشغولتين باقامة مشروع لصنع اجهزة لابادة الحشرات الزراعية كلفته مليون دولار (٥١٪ من رأس المال للاسرائيليين) .

واضافة لهذه الشركات والمشاريع كانت هناك شركات اخرى قدمت للحكومة الاوغندية مشاريع لاستثمار رؤوس اموالها في اوغندا ، وكانت هذه المشاريع في طور الدرس من قبل الحكومة الاوغندية ، بعد ان نالت موافقة المستشار الاقتصادي للحكومة عليها :

ـ الشركة الاسرائيلية للفنادق برئاسة كورت ليفي : مشروع باقامة فنادق فخمة في الاماكن السياحية في اوغندا يستثمر فيه ٥ ملايين دولار ، وتستورد له معدات ومواد اولية من اسرائيل بمبلغ مليوني دولار تقريبا .

ـ شركة مرفيك بالاشتراك مناصفة معشركة اوغندية في رأس المال : مشروع بانشاء مزرعة لتربية ١٠٠ـ ٢٠٠ الف رأس بقر تنتج سنويا من ١٠ ـ ٢٠ الف طن لحم بقر للتصدير لاسرائيل ودول اخرى .

ـ شركة الملح في عطليت : مشروع لانتاج الملح النقي في اوغندا بادارة الشركة تبلغ كلفته ٥ ملايين دولار تدفع الشركة منها مليون دولار وتقدم الباقي المانيا الغربية بشكل قرض لحكومة اوغندا .

ـ شركة عليت : مشروع لانتاج ٤٥٠ الف طن

قهوة سنويا .

— شركة ايزنبرغ : مشروع لانتاج الزيوت النباتية، ومشروع لانتاج خضار مجففة بمقدار ٢٠٠٠ طن سنويا للتصدير .

كما يذكر المقال انه كانت هناك وقت وقوع الازمة شركات اسرائيلية اخرى تدرس موضوع استثمار اموالها في اوغندا . وحول شروط القروض والارباح بذكر موشيه اولبان مدير عام شركة كور للتجارة الخارجية (عل همشمار ٧٢/٤/١٤ ص ٥) ان القروض التي كانت تقدم لدول افريقيا الشرقية كانت قروضا قصيرة المدى لسنتين او ثلاث بفائدة مقدارها ٨٪ ، وان كل من استثمر في هذه الدول تقريبا قد ربح . واذن نجد انفسنا هنا ، بعد ان عرضنا ما توفر لنا من معلومات حول النشاطات الاسرائيلية في اوغندا ، امام نموذج مكتمل لنشاط كولونيالي واضح ، ينسجم مع المواصفات التي يعنيها الاستعمار الجديد في هذا العصر : اوغندا دولة ناشئة تحتاج الى كل شيء من الخبرة الفنية الى رؤوس الاموال لتثبيت كيانها وبدء عملية التطور . اسرائيل تقاربها عارضة عليها المساعدات الفنية والقروض مختارة بذكاء كمجالات لمساعداتها البنى الهيكلية الاساسية اللازمة لبناء الدولة وحمايتها ، وبشكل خاص الجيش الذي يمثل القوة الاقدر والاكثر نفوذا في الدول النامية . يصل نظام اوبوتي الى النقطة التي يشعر فيها انه لا بد من تصفية رأس المال الخاص المتخلف المرتبط بالاستعمار للوصول الى وضع يمكنه من الاستمرار في عملية التطوير الاقتصادية استمرارا حقيقيا . يصطدم بالقوى الاستعمارية ويجد نفسه في تحالفات اعمق مع الدول الافريقية الراديكالية المناهضة للاستعمار في القارة . تتحالف اسرائيل مع قوى الثورة المضادة وتستخدم نفوذها في الجيش والدولة لضرب اوبوتي خدمة لاهدافها واهداف الاستعمار الجديد . ينفسح المجال امام اسرائيل في ظل النظام الجديد فتندفع اكثر في خدمة اهدافها الاستراتيجية محملة الاقتصاد الاوغندي الاعباء الجديدة، وتندفع اكثر في اقتحام الاقتصاد الاوغندي لصالح الاستثمارات الاسرائيلية . تتعمق الازمة الاقتصادية في اوغندا وتزداد عزلة امين في افريقيا وتبدأ القطاعات الواعية في الرأي العام الاوغندي بالتذمر . ولكن هنا يبدا رد الفعل : يجد امين نفسه امام احد خيارين — الاستمرار في الخط القائم وتعريض نظامه للخطر ، او ضرب الاخطبوط الاسرائيلي الصغير الذي اخذ يقلد في اوغندا سيرة السلالات الاستعمارية التي اعتصرت ، وما تزال في اجزاء كثيرة تعتصر ، حيوية افريقيا . واختار امين الطريق الثاني ، وهنا نصل الى بداية الاحداث التي ادى تطورها الى انهيار النفوذ الاسرائيلي في اوغندا . زار امين في منتصف فبراير الماضي ليبيا ، وصدر عن الزيارة بيان اوغندي — ليبي مشترك يعلن تأييد القذافي وامين لنضال الشعب الفلسطيني من اجل استرداد حقوقه ونضال الشعوب العربية ضد الصهيونية العدوانية . واحدث البيان استياء كبيرا لدى الاوساط الحاكمة في اسرائيل ، واصدرت وزارة الخارجية تعليمات لسفيرها في كمبالا بالاستيضاح عن الموضوع . واوضح امين للسفير انه ليس منحازا لاسرائيل في مسألة الصراع العربي — الاسرائيلي ، وان البيان لن يؤثر على العلاقات القائمة بين اوغندا واسرائيل . ولكن هذا التوضيح لم يعجب الحكومة الاسرائيلية التي عادت فكلفت سفيرها بالاتصال بامين ومطالبته باصدار بيان علني يعدل الموقف الذي انعكس في البيان الليبي— الاوغندي . وشنت الصحف الاسرائيلية حملة عنيفة على عيدي امين اتهمته بنكران الجميل وصورت لاول مرة الوضع في اوغندا على حقيقته متجاهلة فقط(!) المسؤول الاول عن تدهور هذا الوضع — المشورة الاسرائيلية والاستغلال الاسرائيلي . وتطورت الازمة بسرعة بين البلدين ، وضرب امين في اواخر اذار ضربته النهائية ، مصدرا الامر الى الاسرائيليين بحزم حقائبهم والعودة الى بلادهم خلال ايام .

ركزت الصحف الاسرائيلية في كتاباتها على ان الدافع الاساسي لامين من وراء طرد الاسرائيليين من اوغندا كان الاموال التي وعد القذافي امين بمنحها واقراضها لاوغندا وارجع بعضها هذه الخطوة ايضا الى رغبة امين في كسب القطاعات المتعلمة من الرأي العام الاوغندي المعادية لاسرائيل ، ورغبته في الخروج من العزلة الافريقية التي يعيشها نظام حكمه نتيجة لسمعته السيئة كخادم للاستعمار الجديد في افريقيا ، واهم من ذلك رغبته في تحسين علاقاته مع تنزانيا ، شريكة اوغندا وكينيا في « تجمع دول افريقيا الشرقية » الذي تعرض التعاون فيه لهزات متواصلة منذ انقلاب امين على اوبوتي في مطالع العام الماضي.

ان هذه الاسباب تبقى كلها فعلا واردة ، ولكنها تقل في الاهمية ، بل وتتفرع عن السبب الاساسي، وهو شعور امين بان اسرائيل قد « امسكت باوغندا من خناقها » ، على حد تعبيره في التصريح الذي ادلى به لوكالة تاس ، وأوردته معريف في عددها الصادر بتاريخ ٧٢/٤/٢٠ .

قضية مداخل رفح : ومن « الاسرائيلي القبيح » في اوغندا ، الذي حذر الياهو سلفطر في هآرتس (٧٢/٣/٣١ ص ٩) مواطنيه من الاعتقاد فعلا بوجوده في « حادث » اوغندا كما يسميه ، الى « الاسرائيلي القبيح » في مداخل رفح ، الذي لم يتردد مردخاي بنتوف من كتاب صحيفة معريف (٧٢/٤/١٤ ص ١٩) في الاصرار على وجوده ومهاجمته . وقد كان هجوم بنتوف على ما أسماه بالاسرائيلي القبيح في مداخل رفح مساهمة منه في ابداء الراي في واحد من اهم الصراعات السياسية التي دارت في اسرائيل بعد حرب الايام الستة . وهو صراع احتل الى جانب مشروع الملك حسين المكان المركزي في الحياة السياسية الاسرائيلية في الاشهر الثلاثة الماضية وما زالت تفاعلاته مستمرة حتى لحظة كتابة هذه السطور . وقد بدأ هذا الصراع بالتفجر في اوائل اذار عندما اجتمع في نيرعوز في النقب حوالي ٣٠٠ عضو من اعضاء حركة « هاكيبوتس هآرتسي » التابعة للمابام ، يمثلون ١٣ كيبوتسا من كيبوتسات النقب . وكان هدف المجتمعين الاحتجاج على سلب البدو العرب في مداخل رفح لاراضيهم وطردهم منها بطريقة وحشية اثناء قيام الجيش بتسييج المناطق لمنع العرب من العودة اليها . وقد تكلم في الاجتماع العديد من اعضاء الكيبوتسات ، ومنهم من كان شاهدا بحكم خدمته في الجيش او تواجده في المنطقة ، عن قيام الجيش بارغام البدو على مغادرة مناطقهم خلال ساعات معدودة وعن هدم بيوت البدو — المزارعين وسد آبار المياه واقتلاع المزروعات التي كانت تعترض طريق الجرافات ، كما تحدث البعض عن المدلولات السياسية لعملية التسييج والطرد التي شملت منطقة تبلغ مساحتها ٦٠ الف دونم تقريبا (حسبما يذكر بنتوف في مقاله عن الاسرائيلي القبيح) تضاف للمناطق التي كان قد تم تسييجها في فترات سابقة . واوضح المتكلمون ، استنادا الى خريطة هيكلية كان قد اعدها قسم الاستيطان بالوكالة اليهودية بالاشتراك مع وزارتي الدفاع والداخلية واستنادا الى مشاهداتهم واطلاعهم على ما يجري ، ان الهدف من التسييج ليس الامن وانما استكمال خطوات المصادرة اللازمة لانشاء مناطق يهودية في قطاع غزة ومنطقة رفح تقوم على مساحة ٤٤٠ الف دونم وتشتمل على اربع مستوطنات في غزة ومستوطنتين في مداخل رفح وميناء يهودي بين خان يونس ورفح ومناطق صناعية قرب رفح واماكن استجمام وسياحة على طول الشاطىء الى الجنوب منها . وتؤدي هذه المناطق مهمة قطع التواصل الاقليمي للسكان العرب في غزة ، وتزرع اوتادا دائمة للاستيطان اليهودي في قلب المنطقة العربية ، وتلغي امكانية اي تطوير اقتصادي مستقبلي في المنطقة لصالح العرب. وتساءل المجتمعون عن الجهة التي اتخذت قرار المصادرة هذا ذا المغزى السياسي البعيد الدلالة ، واتخذوا في نهاية اجتماعهم قرارات بدعوة وزراء المابام في الحكومة واعضائه في الكنيست ومؤسسات الحزب وحركة الكيبوتسات المابامية للتحرك لايقاف هذه العملية والتحقيق في الجرائم التي ارتكبها الجيش خلال عملية التسييج والطرد ، مؤكدين انهم مع الاستيطان الامني — العسكري وضد الاستيطان المدني الدائم لانه يثقل على الجهود المبذولة للوصول الى السلام مع العرب . واجتمعت سكرتارية المابام وايدت قرارات اجتماع نيرعوز ، واشار وزراء المابام الموضوع في الحكومة ، مطالبين هم بدورهم بمعرفة من اتخذ ومتى اتخذت القرارات الخاصة بعملية مداخل رفح . واحدثت تحركات الاحتجاج هذه ردة فعل عنيفة وسريعة في الدوائر المتطرفة في حزب العمل الحاكم وفي اوساط المعارضة اليمينية احزابا ونوابا . وتعرض حزب المابام وحركة هاكيبوتس هآرتسي التابعة له لحملة تشهير واسعة النطاق ، ذكر المشهرون خلالها الحزب والحركة بان برنامج المابام للسلام يدعو لضم قطاع غزة لاسرائيل ، وان قادة المابام ايدوا بناء مستوطنات في القطاع والجولان والضفة الغربية ، وان قسما كبيرا من مستوطنات المابام الراهنة داخل اسرائيل قائمة على اراضي سلبت من العرب بنفس الطريقة التي يحتج المابام عليها الآن . ونشرت يديعوت احرونوت (٧٢/٣/١٧ ص ٩) مقالا لايتان هبار اعاد فيه الى الاذهان قضية كيبوتس بارعام السيئة الصيت ، حيث طلب الحاكم العسكري من سكان قرية كفر برعم العربية في نوفمبر من عام ١٩٤٨ اخلاء قريتهم مؤقتا لاسباب امنية ، وبدلا

من السماح لهم بالعودة اليها فيما بعد اقامت حركة هشومير هتسعير (المابام الان) كيبوتس بارعام ، ولم يسمح منذ ذلك التاريخ حتى الان لاي عربي بالعودة للاقامة فيها الا من كان ميتا واوصى بدفن جثمانه في مقبرتها . ومع تصاعد التحريض ضد الاستيطان في مداخل رفح من قبل المابام طلبت المعارضة اليمينية عقد جلسة طارئة للكنيست لبحث الموضوع ، مدعية ان هذا التحريض يضر بأمن اسرائيل . وقبل انعقاد الجلسة بيوم واحد اعلن انه كانت قد تشكلت لجنة تحقيق من ضباط كبار بمبادرة من رئيس الاركان للتحقيق فيما جرى في مداخل رفح ، وان اللجنة قد اكتشفت «تجاوزات» من ثلاثة ضباط كبار لصلاحياتهم ، وانه قد تم نقل احد هؤلاء الضباط ووجه لوم كتابي للضابطين الاخرين . ولم يذع تقرير اللجنة ، كما لم تذع اسماء اعضائها او اسماء الضباط المعنيين . ولم تحدد طبيعة « التجاوزات » التي حصلت . ولكن عرف ان اللجنة اكتشفت ان عملية التسييج وطرد البدو العرب قد تمت بدون تعليمات او علم من هيئة الاركان ، الامر الذي اثار استغرابا شديدا في الاوساط السياسية ، خاصة وان غولدا مئير وبسرائيل غاليلي كانا قد اكدا ان العملية تمت بدون علم الحكومة . وعقدت جلسة الكنيست المشار اليها اعلاه بتاريخ ٧٢/٣/٢٧ واعلن فيها يسرائيل غاليلي باسم الحكومة لاول مرة في الكنيست بان ثمة قرارا متخذا من قبل الحكومة الاسرائيلية باعتبار غزة جزءا من اسرائيل ، وانه لم تقم اية مستوطنة دون ان تكون الحكومة بكاملها او اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان قد اقرت اقامتها . وتمكنت الحكومة بحكم اغلبية الاصوات التي تملكها من اسقاط اقتراحات المعارضة اليمينية من جدول الاعمال . ولكن الكنيست ، كما يذكر التعليق السياسي لهآرتس في عدد ٧٢/٣/٢٨ ص ١١ ، لم تناقش النقاط الاساسية الثلاث المتعلقة بقضية مداخل رفح وهي : ١) القرار بحد ذاته الذي يعني اقامة مستوطنات يهودية في منطقة فيها كثافة سكانية عربية كبيرة . ٢) الطريقة السرية التي تم بها اتخاذ القرار باستيطان المنطقة دون نقاش عام . ٣) طرد الالف البدو العرب دون ان تكون الجهة التي طردتهم مخولة قانونيا بفعل ذلك . وكان التعليق يصدر في تعداده لهذه النقاط عن التساؤلات الكبيرة التي نبعت في ذهن الراي العام نتيجة لتصريح مئير وغاليلي بان الحكومة لم تكن على علم بعملية التسييج والطرد والقول بان لجنة التحقيق العسكرية قد استخلصت من تحقيقاتها بان هيئة الاركان لم تكن هي ايضا التي اعطت الاوامر . من اذن هو الذي اعطى الامر الخطير ؟ واضيف بعد « اسرائيلي داخلي » جديد لقضية مداخل رفح وعادت الى الاذهان قضية لافون المشهورة ، التي طرحت على الراي العام الاسرائيلي في حينها السؤال الكبير : من اعطى الامر بتنفيذ عمليات التخريب في القاهرة ؟ وهل كان الذين جرموا وقتها هم فعلا المسؤولون الحقيقيون ؟ وبدأ النقاش اكثر فاكثر يتمحور حول هذه النقطة ، وبدأت اوساط لها وزنها في الراي العام تطالب بنشر تقرير لجنة التحقيق العسكرية واسماء الضباط وتحديد التجاوزات التي قاموا بها ليصبح بالامكان تحديد المسؤولين الحقيقيين عن العملية التي تحولت لفضيحة سياسية وتحديد فيما اذا كان الذين عوقبوا هم فعلا المسؤولون عن التجاوزات وفيما اذا كانت العقوبات على مستوى المسؤولية . وانتقد زئيف شيف ، المطلع جيدا على اخبار المؤسسة العسكرية ، في هآرتس (٧٢/٤/٢ ص ٩) الطريقة التي عالجت بها هيئة الاركان القضية ، والرقابة العسكرية التي مورست وتمارس على الصحافة بشكل فظ ، واعلن انه مطلع على تفصيلات التجاوزات وان العقوبات ليست في مستوى هذه التجاوزات ، وان الضابط الذي نقل من وظيفته يتحمل مسؤولية اكبر من مسؤولية الضابطين الاعلى رتبة منه . ووصلت الانتقادات الى ذروتها في مقالة نشرها رئيس تحرير مجلة « اوت » النظرية الناطقة بلسان حزب العمل الحاكم ، وتساءل فيها اذا كان يجوز ان تكون عقوبة ضابط كبير وضع الحكومة بتصرفه امام « جثيقة جاهزة » ذات ابعاد سياسية خطيرة مجرد اللوم . كما تساءل كيف يمكن ان تتم عملية كهذه تدخل في نطاق مسؤولية وزارة الدفاع بدون علم من وزير الدفاع ، ولماذا لا تبطل الحكومة اجراء الضابط الكبير الذي أمر بتنفيذ العملية ما دامت تمت دون علمها . وختم رئيس تحرير «اوت» دافيد شاحام مقالته بالقول بأن « اي رد فعل اقل من رد فعل ترومان تجاه ماك آرثر لما تصرف هذا بشكل مشابه (لتصرف الضابط الاسرائيلي الكبير) هي سابقة خطرة على مستقبل الحياة الديمقراطية في الدولة » . وقد هز مقال شاحام وزير الدفاع موشيه دايان الذي طلب عقد جلسة عاجلة لمكتب

حزب العمل لمناقشة المقال . وقد عقدت الجلسة في ٧٢/٤/٢٧ وتعرض فيها رئيس تحرير « اوت » لحملة عنيفة من قبل دايان الذي اتهم شاحام باته غير مطلع على الحقائق ، وانه يشن حملة تحريض سافرة ضد ضابط كبير في الجيش ، كما اتهم ضمنا عددا من اعضاء المكتب السياسي بالتضامن مع شاحام وانضمت غولدا مئير لدايان في الهجوم على مجلة « اوت » وانتهت الجلسة بقرار يقضي بتشكيل سكرتارية لتحرير المجلة تقرر مع رئيس التحرير شأن ما ينشر او لا ينشر في المجلة . وقد استنتج المراقبون السياسيون من غضبة دايان ودفاعه عن الضابط الكبير المجهول ، ومن لا معقولية ان يكون هذا الضابط تصرف في موضوع خطير كالموضوع المطروح على مسؤوليته الخاصة، ان الشخص الذي اعطى الاوامر بتنفيذ عملية مداخل رفح كان دايان نفسه ، وانه انما يتنصل من مسؤولية العملية حتى لا يواجه باتهامات من قبل وزراء في الحكومة او اوساط معينة في حزب العمل الذي ينتمي اليه بانه يضع ، ليس فقط العرب والعالم ، وانما ايضا الحكومة الاسرائيلية امام حقائق جاهزة .

ان النقاش حول قضية مداخل رفح لا يزال مستعرا في اسرائيل حتى لحظة كتابة هذه السطور ، ولكن ليس من الصعب التكهن بالنهاية التي سينتهي اليها . ان تنفيذ عملية مداخل رفح قد بدأ فعلا على ارض الواقع ووجدت الحكومة الاسرائيلية (اذا صح جهلها بالموضوع) والرأي العام نفسه مرة اخرى امام حقيقة جاهزة مفروضة . وقد تم تنفيذ العملية بشكل اجرامي لم تستطع معه سلطات الجيش الا ادانة المسؤولين عنه . وعندما عقدت الكنيست جلستها لمناقشة الموضوع كان محصلة الجلسة اعلان غاليلي بان الحكومة الاسرائيلية قد اتخذت قرارا بان غزة جزء لا يتجزأ من اسرائيل ولم تتجرأ على مناقشة اساسيات الموضوع المطروح . وامام حملة احتجاج بضعة كيبوتسات في النقب على الشوفينية الاسرائيلية تعرضت حركة الكيبوتسات التابعة للمابام وحزب المابام (الذي لا يقل في نهاية المطاف شوفينية وصهيونية عن بقية الاحزاب الصهيونية الاخرى) لحملة تشهير عنيفة واسعة النطاق نقلته من موقف الهجوم الى موقف الدفاع . وامام انتقاد رئيس تحرير « اوت » لمعالجة الحكومة للقضية تشكلت لجنة « تومبساريين » لغرض رقابة على كتابات المجلة . ان كل هذه التطورات تشير الى مدى ضآلة الفرصة امام صرخة الاحتجاج الضميرية (كما يحلو لاصحابها تسميتها) في ان تتطور لحملة سياسية فعالة ضد « الاسرائيلي القبيح » في مداخل رفح ، وتشير الى المصير الذي سينتهي اليه الصراع الدائر — خضوع الرأي العام لجنرالات الجيش في الوزارة وهيئة الاركان .

زيارة غولدا مئير الى رومانيا : ليس معروفا عن الاسرائيليين شغفهم الزائد بالثرثرة والشائعات السياسية . انهم كذلك . ولقد تكلموا كثيرا وكتبوا كثيرا عن زيارة رئيسة حكومتهم غولدا مئير الى رومانيا تلبية لدعوة من رئيسها شاوشيسكو . وكلما ازدادت قراءة المراقب للصحافة الاسرائيلية عن دوافع هذه الزيارة المفاجئة وآفاقها ونتائجها كلما ازداد حذرا من الانجرار وراء اجتهادات الاسرائيليين وتقديراتهم . فلقد بلغ بهم النزق ، ربما ، حدا جعلهم ينقسمون الى معارضين ومؤيدين لتلبية الدعوة المدهشة الصادرة عن الرئيس الروماني . قال المعترضون ان رومانيا دائمة التمسك بمبدأ جلاء القوات الاسرائيلية من المناطق التي تم احتلالها في حرب الايام الستة . وعلى ذلك ، فان « المناورة » السياسية التي تتضمنها زيارة غولدا مئير قد تنتهي بالاستياء في بوخارست ، وقد تنتهي بالتذمر في القدس .

ويضيف المعترضون على الزيارة سببا اخر للتردد. هو ما يسمونه بالتطور الذي طرأ على السياسة الرومانية منذ ثلاث سنوات . فان رومانيا — كما يقول الاسرائيليون — قد اخذت تبرز اهمية « القضية الفلسطينية » ، وضرورة اعطاء الشعب الفلسطيني امكانية تنظيم حياته وفقا لارادته .وذلك من اجل السلام العادل والمقيم . ولقد تمادت رومانيا — كما يرى الاسرائيليون — باستخدام صيغة « التضامن مع نضال الشعب الفلسطيني». ومن الطبيعي ان يكون هذا الموقف بعيدا عن الموقف الاسرائيلي . ومن الطبيعي ان يسجل ثغرة اخرى في تلاقي اسرائيل ورومانيا ، الامر الذي يزيل عن رومانيا صفة او دور الوسيط . فاذا كان الوسيط يتخذ هذين الموقفين البعيدين عن مواقف السياسة الاسرائيلية ، فماذا بوسعه ان يعمل من اجل تقريب الموقف المصري من الموقف الاسرائيلي الذي لا يشاركه فيه الموقف الروماني ذاته ؟!

هكذا تساءل بعض الاسرائيليين ، عشية زيارة غولدا مئير الى رومانيا . والجدير بالملاحظة والتسجيل هنا هو ان التساؤل الاسرائيلي المتشكك بجدوى الزيارة ـ المظاهرة لم يطرح منذ البداية ودفعة واحدة . لقد بلغ هذا الشكل من التردد بعد دورة تدريجية من ردود الفعل الاسرائيلية على دعوة شاوشيسكو الاحتفالية . فور وصول الدعوة اجمع الاسرائيليون على اغراق رومانيا بالمدائح ، وراحوا يسجلون الانتصارات الاسرائيلية المتلاحقة التي يتضمنها مجرد ارسال الدعوة . ثم اكتشفوا فجأة، او تذكروا فجأة ، الهوة القائمة بين مواقف البلدين .

ولكن ، ماذا يقول المدافعون عن تلبية الدعوة ؟ يعتقد المعلق السياسي المعروف في صحيفة « يديعوت احرونوت » اريئيل غيناني ان « مبادرة رومانيا فوز كبير لاسرائيل ولرومانيا ، ولكل الدول الصغيرة . لقد اعتقد الجميع ان الجمود سيعتري كل شيء ، حتى مؤتمر الذروة بين بريجينيف وبين نيكسون ، الا ان رومانيا برهنت على ان الامور تسير على غير ذلك . وعلى اي حال ، فمن السابق لاوانه تقرير ما اذا كانت الزيارة ستشكل وسيلة لدفع السلام الى امام » .

ويلمح المعلق الاسرائيلي المذكور على الاعتقاد بأن كلا من القاهرة وموسكو تؤيد المبادرة الرومانية « فالسادات يقبل وساطة رومانيا ، لانه لا يمكن اتهامها ، مثل الولايات المتحدة ، بانها تؤيد اسرائيل . ما هي الغرابة ، حقا ، في أن يحاول الرئيس السادات جس مواقف اسرائيل ونواياها بواسطة القادة الرومانيين ؟!. ويمكن الاعتقاد ايضا بأن الروس ايضا معنيون بأن تلعب رومانيا دورا نشيطا في البحث عن تسوية في الشرق الاوسط . فالمحادثات التي ستجري في بخارست، وستنقل التقارير عنها بموافقة اسرائيل الى السوفييت ، ستمكن موسكو من الحصول على معلومات افضل عن نوايا الحكومة الاسرائيلية . واثناء طرح مشكلة الشرق الاوسط في مؤتمر الذروة لا يحتاج بريجينيف الى الاعتماد فقط على الرئيس نيكسون مصدرا لمعرفة تفكير القادة الاسرائيليين ».

وتربط صحيفة « معريف » بين زيارة تشاوشيسكو للقاهرة ومباحثاته مع الرئيس السادات وبين دعوة غولدا مئير الى بخارست . وتستذكر الصحيفة « دور رومانيا في الوساطة بين بكين وواشنطن ».

وتخلص الصحيفة الى القول انه « على الرغم من الفارق الكبير في المواقف بين رومانيا واسرائيل، فان رومانيا تنوي القيام بدور جسر يصل بين القدس والقاهرة للتغلب على الجمود القائم في المنطقة ، وربما سيتاح لغولدا مئير ان تسمع بماذا تفكر موسكو وماذا تريد . وفي هذا المجال ستقوم بخارست بدور الوساطة » .

حديث كثير عن مبادرة رومانية ، لم تعلن عنه رومانيا رسميا ، ولكن المراقبين استشفوه من تحركاتها . وقد نفته القاهرة ، ولم يتطرق اليه البيان الروماني ـ الاسرائيلي المشترك . وكانت صحيفة « يديعوت احرونوت » قد نشرت في ٤/٢١ عن زيارة نائب وزير خارجية رومانيا انه « يفهم من الحديث مع مكوبسكو ان الرئيس الروماني يميل الى الاعتقاد بأن ثمة امكانيات لمبادرة رومانية للتقدم نحو اتفاق بين الدول في المنطقة » . وكتبت الصحيفة ان نائب وزير الخارجية الرومانية الذي حمل الدعوة الى غولدا مئير لزيارة رومانيا « قد طمأن غولدا مئير وابا ايبن الى ان المقابلة بين الرئيس الروماني تشاوشيسكو وبين ياسر عرفات قد جرت لخدمة مصلحة القضية » . وعندما طلب من نائب الوزير ان يشرح فكرته ، اكتفى بالقول : « من الافضل الاعتماد على حسابات الرئيس الروماني » . ودعا نائب الوزير الروماني الاسرائيليين ألى التخفيف من الاهمية التي يعلقونها على لقاء تشاوشيسكو وعرفات ، والى التخفيف من اهمية استخدام مصطلح « نضال الشعب الفلسطيني » .

ولقد وصف مصدر اسرائيلي زيارة غولدا مئير الى رومانيا بانها « ايجابية ، ومباركة ، وخطرة .. ايجابية ، بسبب تحرك متوقع من الجمود القائم في المنطقة . مباركة ـ لانها اول زيارة لرئيس حكومة اسرائيلي الى دولة شيوعية . وخطرة ـ لان رومانيا قد تقدم مقترحات ترفضها اسرائيل ، الامر الذي لا يخدم مصلحة اسرائيل عشية مؤتمر الذروة في موسكو » .

والسؤال ، الآن ، هو : هل صدقت تكهنات الاسرائيليين ، حول دور الوساطة ، او « تقديم الخدمة » الذي قيل ان رومانيا تسعى اليه في المنطقة ؟ لقد انتهت زيارة السيدة الاسرائيلية لدى السيد الروماني ، وحقق الغزل السياسي الروماني ـ الاسرائيلي عناقا آخر ، امتنعت

السيدة الاسرائيلية عن الادلاء بتفاصيله عند عودتها الى مطار اللد ، وصرحت بأن « رومانيا لا تنوي ان تلعب دور الوسيط بين البلدان العربية واسرائيل، ولم تكن لديها هذه النية في يوم من الايام » . فهل كانت هذه الزيارة لاول دولة شيوعية بحثا عن وسيلة لامكانية الدخول الى بلدان شيوعية أخرى ؟ أو توسيعا للثغرة الرومانية في الجدار الشيوعي امام اسرائيل ؟

تقول غولدا مير : « ان زيارتي لرومانيا كانت زيارة لبلد صديق لاسرائيل ، لا لبلد عضو في كتلة معينة » . ثم لهجت بالثناء العظيم على رومانيا ، وافرطت في التعابير العاطفية عن مدى سعادتها وفرحها بالزيارة . واكد البيان المشترك المودة العالية التي سادت جو محادثات غولده ـ تشاو شيسكو . وبالنسبة الى الشرق الاوسط « اتفق الجانبان على مواصلة الجهود من أجل ايجاد تسوية سلمية للنزاع » .

ويلاحظ المراقب السياسي ان رومانيا لم تعلن ، في البيان المشترك ، تمسكها المعروف بقرار مجلس الامن ، كما أعلن تشاو شيسكو ذلك في زياراته لبعض الدول العربية . ولم تعلن تصورها لوسائل تحقيق ما سماه البيان المشترك « بالتسوية السلمية » ولا المباديء والشروط التي تقوم عليها هذه التسوية ... مما يمنح الفرح الاسرائيلي بنتائج الزيارة شرعية معقولة .

ان زيارة غولده مئير لرومانيا ، في جو احتفالي وفي مظاهرة اعجاب متبادل بين اسرائيل ورومانيا ، هي تتويج لتطور صداقة بين البلدين أخذت شكلا ساطعا في اعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، عندما قطعت كل الدول الاشتراكية علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل باستثناء رومانيا التي لم تكتف بذلك بل رفعت مستوى التمثيل الدبلوماسي مع اسرائيل الى درجة السفراء . وعمقت علاقاتها الاقتصادية والثقافية معها . وفي الوقت ذاته ، استطاعت رومانيا أن تحسن علاقاتها الاقتصادية ، التي اصابها بعض السوء في اعقاب حرب حزيران ، مع بعض الدول العربية .

ينشأ عن ذلك فهم آخر لطبيعة التحرك الروماني الاخير ، فقد يكون حرص رومانيا على اقامة توازن في علاقاتها مع الدول العربية واسرائيل ، وخاصة على الصعيد الاقتصادي هو الحافز الاكثر اهمية لدعوة غولده مئير لزيارة رومانيا بعدما قام الرئيس الروماني بزيارة بعض الدول العربية . هذا ، اذا استبعدنا صحة الانباء القائلة بأن رومانيا تطمح الى دور الوسيط .

يضاف الى ذلك ، او يسبق ذلك الحاح رومانيا على التظاهر بالاستقلال عن مجموعة الكتلة الشرقية ، سواء كان ذلك في علاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية او اسرائيل . ومن الواضح ان اسرائيل ترحب دائما بهذا « الاستقلال » الروماني الذي يتيح لها فرصة « اختراق » الجبهة الاشتراكية . وعلى هذا الاساس ، فان زيارة غولده مئير ، مهما كانت نتائجها العملية ، تعتبر انتصارا معنويا وسياسيا لاسرائيل يقدمه لها الموقف الروماني الحريص على الحياد بين المعتدي والمعتدى عليه ، والحريص في كل مناسبة على التظاهر بالاستقلال والتوازن ، والحريص قبل كل شيء على مصالحه الاقتصادية التي يقدمها على المبادىء . ان الصداقة الرومانية ـ الاسرائيلية ملفتة للنظر وتستدعي الحذر . هذا وقد ذكرت صحيفة الجارديان ان المحادثات تناولت ايضا مسألة هجرة يهود رومانيا الى اسرائيل واستيراد النفط الاسرائيلي الذي يجري في انبوب ايلات ـ عسقلان .

الخطة الاسرائيلية عسكرية ـ لا انسانية

كيف وضع موشه ديان خطة الاستيلاء على الطائرة البلجيكية المخطوفة في مطار اللد ؟ ما هي العناصر التي اعتمد عليها وزير الحربية الاسرائيلية لتنفيذ خطته ؟ لقد قيل كلام كثير عن تفاصيل العملية البطولية التي قام بها فدائيو « منظمة ايلول الاسود » ، وقيل كلام كثير عن العملية المضادة التي قامت بها السلطات الاسرائيلية ، وقيلت تصورات كثيرة عن دور الصليب الاحمر في العملية . ولكن ، ما قيل شيء عن تصور الاسرائيليين لنفسية الفدائيين . ويعتقد الاسرائيليون ان فهمهم لنفسية العرب كان المؤشر الاكثر جوهرية نحو نسبة نجاح مغامرتهم للاستيلاء على الطائرة المهددة بالتفجير .

ليس مهما ، الان ، مناقشة هذا التصور الاسرائيلي . أن ما يهمنا ، بالدرجة الاولى ، هو فهم هذا التصور . كان رأي موشه ديان ، منذ البداية ، أنه من الضروري شن حرب اعصاب طويلة الامد ، والاستعداد لممارسة لعبة القط والفأر ، بهدف استنزاف اعصاب الفدائيين وطاقتهم على الصمود ، ودفعهم الى حالة التردد .

وكانت اسرائيل ، من الناحية الاخرى ، قد حسمت موقفها من عدة نقاط : انها لن تستجيب لمطالب الفدائيين باي شكل من الاشكال . ولن تسمح للطائرة بالاقلاع في حالة يأس الفدائيين من نجاح عمليتهم . وانها ستبذل كل جهدها ، وباي ثمن ، من اجل القاء القبض عليهم . اي ــ الاستيلاء على الطائرة ، بالقوة ، وعلى الفدائيين الاربعة ــ كان هو الهدف الذي يحرك كل تصرفات الاسرائيليين . وقد كتبت صحيفة « معريف » في عددها الصادر في العاشر من أيار الماضي « ان هدف العملية الاسرائيلية لم يكن انسانيا فقط (انقاذ ركاب الطائرة) وانما كان الهدف الجوهري هدفا عسكريا وسياسيا بالدرجة الاولى : بتر ذراع الارهاب على ارض اسرائيل ، والبرهنة على ان خطف الطائرات ، المسافرة الى اسرائيل ، هو عملية خطرة لا تتم . »

ومن الواضح لاي مراقب ان اسرائيل خاضت حرب الطائرة بدمج الحرب النفسية مع الحرب القتالية. وتقول الصحف الاسرائيلية ان الخط الذي حدد وجهة تفكير موشه ديان هو افتراضه ان الفدائيين، على الرغم من تهديدهم بنسف الطائرة ، فانهم ليسوا على استعداد للتضحية بارواحهم في سبيل ذلك . من هذا التصور الاسرائيلي لمدى قدرة العربي على التضحية والفداء ، بدأ كل شيء .. كانت الفكرة لديان ، والتشاور كان باشتراك اقطاب العسكرية الاسرائيلية . كل هؤلاء جلسوا في برج مراقبة المطار للاشتراك في العملية : موشه ديان ، شمعون بيرس ، دافيد اليعازر ، يسرائيل طل ، زئيفي ، مردخاي هود ، اريك شرون ، اهرون يريف وغيرهم من كبار الضباط وافراد الفرقة التي اختيرت لتنفيذ العملية .

اتصل ديان برئيسة الوزراء غولدا مئير وابلغها فكرته بالقيام بالاستيلاء على الطائرة . طلبت مهلة . ركب وزير المواصلات شمعون بيرس طائرة خاصة من مطار اللد متجها الى القدس لاطلاع الحكومة على ما تم اعداده في برج المراقبة . وحصل على اذن من الحكومة لمباشرة تنفيذ العملية . وقد جرت كل هذه الترتيبات بسرية تامة خوفا من ضغوط دول اجنبية كما تقول صحيفة « معريف » .

وتدعي الصحف الاسرائيلية ان المحادثات المتقطعة مع الفدائيين ، بواسطة ممثلي الصليب الاحمر ، دلت على تردد الفدائيين ، وقد تم جس نبضهم ومدى حزمهم بواسطة المقترحات والمقترحات المضادة . كان ديان يزيد من الضغط احيانا ، ومفاجأة كان يكيل لهم الوعود . وفي احدى المراحل، اقترح عليهم ان يستدعوا طائرات من القاهرة لنقل الاسرى الفلسطينيين . وفي مرحلة اخرى ، قيل للفدائيين ان اسرائيل مستعدة للاستجابة لمطالبهم ولاطلاق سراح كل الاسرى المطلوبين في الطائرة نفسها التي يسيطر عليها الفدائيون الاربعة . ومنذ تلك اللحظة انصب كل اهتمامهم على اعداد الطائرة للاقلاع ، فطلبوا ميكانيكيين لاصلاح الطائرة « ولم يشترطوا قيودا على عملية اصلاح الطائرة » . وقالت صحيفة « معريف » : « ان استعداد المختطفين لتمكين الميكانيكيين من العمل قد قرر مصيرهم ، وعين ساعة الصفر ! ».

أ. خ. و م. د.

(٥) المناطق المحتلة

اتصفت الفترة الاخيرة التي مرت بها المناطق المحتلة بكثافة وتصعيد المشاريع والاجراءات من قبل السلطتين الاردنية والاسرائيلية ، المتمثلة في مشروع الملك حسين ، الذي يعتبر بمثابة الحلقة الاخيرة — اذا ما تم — في سلسلة التعاون بين السلطتين الاسرائيلية والهاشمية لتصفية القضية الفلسطينية، واجراءات سلطات الاحتلال في غرض الانتخابات البلدية على مرحلتين في الضفة الغربية بغرض تكريس الاحتلال وديمومته ، واستمرار سلطات الاحتلال في تنشيط حركة الاستيطان في كافة المناطق العربية المحتلة ، والقيام باعمال كولونيالية في الاراضي المصرية المحتلة عند مشارف رفح — خرجت عن اطار الاستيطان المعهود في المناطق المحتلة — مشفوعة باجراءات همجية (مثل تدمير ابار المياه ، واتلاف المزروعات ، وهدم المباني السكنية) ، والاقدام على خلق سابقة جديدة في المناطق المحتلة، تتمثل في تشكيل وحدة عسكرية من ابناء سيناء تابعة للجيش الاسرائيلي ، واتباع خطوات جديدة في قطاع غزة ، اهتداء بالخطوات التي اتبعت في الماضي في الضفة الغربية ، مثل فتح الحدود بين القطاع واسرائيل امام كل من يرغب في ذلك ، مع الادلاء بتصريحات بين الفينة والاخرى بان اسرائيل لن تنسحب من هذه المنطقة او تلك ، حتى ولو مقابل اتفاقية سلام . كل ذلك ، ابتداء من مشروع الملك ، ومرورا بمهزلة الانتخابات في الضفة ، وانتهاء بالخطط الاستيطانية الكولونيالية الخطيرة ، المشفوعة باصرار اسرائيلي بعدم الانسحاب كان له الاثر الكبير على نفسية المواطن العربي في المناطق المحتلة ، خاصة وانها تحدث مع مرور حوالي خمسة اعوام على الاحتلال ، وفي ظل مرحلة الانحسار الخطيرة التي تمر بها المقاومة الفلسطينية ، والتي نجمت عن مجزرتي عمان والاحراش ، وتعززت بفضل بعض القيود المفروضة على المقاومة في هذا القطر او ذاك ، وفي ظل وهن حركة التحرر العربي ، ووعود بعض الانظمة بالتحرير في هذا العام او ذاك ، دون ان يكون هناك تحرير او محاولة تحرير . الامر الذي يتطلب من المقاومة — تمشيا مع الظروف الموضوعية الراهنة — الرجوع خطوتين للوراء ، والانطلاق من نقطة العمل السري التام المشفوع بالعنف الثوري ضد كافة الاعداء ، من اجل تثوير المنطقة واعادة الثقة للانسان العربي الذي يرزح تحت نير الاحتلال.

حركة الاستيطان : اخذت السلطات الاسرائيلية ، تنشط في مجال الاستيطان في كافة المناطق المحتلة. ففي هضبة الجولان تجري الاستعدادات الآن لاقامة مستوطنة جديدة تحمل اسم « ارجوف » على بعد خمسة كيلومترات في الشمال الغربي لمستوطنة « ناحال هجولان » ، كما واحتفلت سلطات الاحتلال بتدشين موشاف يحمل اسم « نؤوت هجولان » في نقطة دائمة في المركز الاستيطاني « بني يهودا » في جنوب الهضبة ، وفي نفس الوقت انهمكت السلطات المسؤولة عن الاستيطان في الهضبة بدعم المستوطنات القائمة في المجالات المالية والزراعية والصناعية فقد خصصت الوكالة اليهودية مبلغ ١٥،٥ مليون ليرة اسرائيلية لتمهيد الاراضي الزراعية وشق طرق جديدة بين المستوطنات . وكانت الوكالة اليهودية قد خصصت حتى نهاية عام ١٩٧١ ، بغرض تمهيد ١٧ الف دونم في الجولان مبلغ ٨،٢٥ مليون ليرة . كما وبلغت تكاليف تمهيد الطرق المدنية والامنية مبلغ ١٠ ملايين ليرة . ومن الجدير بالذكر ان الميزانية التي خصصتها وزارة الاسكان لاقامة المستوطنات في الهضبة بلغت منذ عام ١٩٧٠ وحتى نهاية اذار ١٩٧٢ ، ٧٤ مليون ليرة . ومن المقرر ان تصل نفقات المباني في عام ١٩٧٢/٧٣ حوالي ٢٧ مليون ليرة . وعلى صعيد الخدمات تقوم سلطات الاحتلال بربط الكيبوتسات الثلاثة الواقعة في شمال الهضبة (ماروم هجولان ، عين زيوان ، الروم) بشبكة تدفئة مركزية ، اما على صعيد التصنيع فقد اخذت مستوطنات الهضبة تشهد براعم صناعة جديدة من اهمها معامل الصناعة الجوية المقامة في المركز الاستيطاني « بني يهودا » في جنوب الهضبة ، والتي تم فيها استثمار حوالي ٤،٥ مليون ليرة . ومن المتوقع ان تبدأ هذه المعامل بالانتاج في شهري اب وايلول من هذا العام . ومن الجدير بالذكر انه قد تم في « بني يهودا » تشييد ٤٠ وحدة سكنية ستستقبل عائلات العاملين في المصنع . اما المصانع الاخرى فهي مصنع الالكترونيكا في « مفوحمه » ومصنع لاجهزة اطفاء الحرائق في كيبوتس « شنير » ومصنع للطوب في « ماروم هجولان » ومصنع للاحذية المصنوعة من

البلاستيك في « عين زيوان » . وقد استثمر في هذه المصانع مبلغ يصل الى ٤ ملايين ليرة . وازاء هذا النشاط هنالك نشاط من نوع اخر ، يتمثل في تصريحات المسؤولين الاسرائيليين حول اصرار اسرائيل على البقاء الى الابد في الهضبة . فقد قال وزير السياحة « موشيه كول » اثناء الاحتفال بتدشين مستوطنة « نؤوت هجولان » « انه لا امل بان توافق اية هيئة في اسرائيل على التنازل عن الجولان العبري المأهول بالسكان اليوم » وانهى حديثه بغطرسة : « اننا على استعداد لنحافظ على حسن الجوار مع السوريين ، بيد اننا لسنا على استعداد انْنعيد لهم الجولان،لان الجولان هو الذي عاد الينا». اما وزير الاسكان زئيف شيرف فقد قال بصفاقة في نفس المناسبة : « اذا كانت الهضبة لم تضم بعد الى اسرائيل ، بشكل قانوني ، الا انها ستبقى على مدى الاجيال جزءا من دولة اسرائيل » .

وفي غور الاردن ، حيث اقيمت فيه حتى الان تسع مستوطنات ، تستعد سلطات الاحتلال لتقيم في منطقة فصايل الواقعة الى الجنوب منجسر داميا مستوطنتين او ثلاث مستوطنات (موشاف) . ومستوطنتين اخريين (كيبوتس) في بقعة من الارض تبلغ مساحتها ١٤ الف دونم ، تم الاستيلاء عليها بحجة انها « اراضي دولة » . وقد تشكلت النواة الاولى من المستوطنين وسكنت في مبان مؤقتة وتقوم بالاعمال الزراعية .

ومن الجدير بالذكر ان اعمال الاستيطان في غور الاردن قد رافقتها اعمال سلب ونهب وهدم للمنازل ونسف للابار . فبالاضافة الى الاستيلاء على «اراضي الدولة» في الاغوار قامت سلطات الاحتلال بالاستيلاء على حوالي ٣٠ الف دونم في الاغوار تعود ملكيتها الى مزارعين من سكان نابلس ، والحقت ذلك بهدم حوالي ١٥٠٠ منزل، واستكملت العملية بتدمير ١٢٠ بئرا دون ان تدفع تعويضات للمزارعين العرب ، الذين اخذوا في الاونة الاخيرة يطالبون وزير الدفاع موشيه ديان والحاكم العسكري لمدينة نابلس المقدم « اليعيزر سيجف » بالتعويض عن ممتلكاتهم ، الا ان مطالبهم ذهبت ادراج الرياح « لقد قدمنا طلبات تعويض ، تصل قيمتها ملايين الليرات ، ولكن خلال بحث الطلب من قانون لا يحق بموجبه للمواطن في الضفة تقديم دعوى ضد جهاز الحكم العسكري ، لان هذه الاراضي تعتبر منطقة حدود » (معاريف ٢/٥/٧٢).

وفي صحراء سيناء ، وخاصة في المنطقة الشمالية منها ، تقوم سلطات الاحتلال بالاعداد لاقامة مشروع مدينة على شاطىء البحر بين العريش ورفح ، وقد تكونت نواة اولى من مهاجري يهود الاتحاد السوفييتي لاستيطان المدينة المقترحة ، وعقد افرادها اجتماعا في مستوطنة « دكلاه » في سيناء لدراسة امكانية خلق « الاساس للمدينة ». الا ان المصادر الاسرائيلية ذكرت ان السلطات الاسرائيلية قد عدلت عن هذه الفكرة . وتتجه النية في الوقت الحاضر لدفع مئة العائلة من المستوطنين الى العريش ، حيث ستقام هناك ضاحية يهودية على غرار الضاحية اليهودية في الخليل .

استيطان كولونيالي في مشارف رفح : في اعقاب حملة التصفية والهدم والتشريد التي قامت بها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في أواخر شهر تموز من العام الماضي ، والتي تم فيها هدم حوالي الفي منزل في مخيمات القطاع ، وتشريد حوالي ١٥ الف عربي ، اخذت سلطات الاحتلال تفكر جديا في ضم القطاع وابقائه الى الابد تحت السيطرة الاسرائيلية . ومن اجل ذلك شرعت بالاستيلاء على «أراضي الدولة» واخذت تستعد لاقامة المستوطنات الاسرائيلية عليها ، اسوة بالمناطق العربية المحتلة الاخرى . وبدأت بتسييج اراضي الدولة وطرد الفلاحين العرب منها مثل مناطق كفار داروم وابو مدين وسوميري وام كلاب داخل القطاع . ومن اجل دفع فكرة ضم القطاع الى الامام واخراجها الى حيز التنفيذ ، اقدمت سلطات الاحتلال على الاستيلاء على اراض مصرية جنوبي رفح وتفريغها من سكانها العرب باقصى سرعة ، وهدم المنازل ونسف الابار وخلع الاشجار واتلاف المزروعات ، واحاطة المنطقة بسياج مع تحذير السكان العرب الاصليين بعدم اجتياز السياج والا تعرضوا لاقصى العقوبات .

تقسم المنطقة المسيجة الى قسمين ، جنوبي وشمالي . وتبلغ مساحة المنطقة الجنوبية حوالي عشرين الف دونم ، اما المنطقة الشمالية فتصل مساحتها الى ٤٠ الف دونم كما ذكرت المصادر الرسمية ، الا ان بعض المصادر الاسرائيلية المعارضة للاعمال الاستيطانية في مشارف رفح (كيبوتسات مبام المحاذية لرفح) تذكر ان الاراضي التي تم تسييجها تصل الى ١٤٠ الف دونم . ويبدو

ان هذا الرقم اقرب الى الحقيقة ، خاصة اذا علمنا ان قائد المنطقة الجنوبية الزعيم اريك شارون (من حزب حيروت) اشرف على عملية التسييج بنفسه ، وكان بين الفينة والاخرى يأمر القائمين على عملية التسييج بقوله : « ضم هذه الهضبة ، والحقها بالخريطة التي استلمتها » .

وقد نجم عن ذلك ان تم تشريد كافة السكان الاصليين العرب من هذه المنطقة ، والذين يزيد عددهم حسب المصادر الاسرائيلية على ٦ آلاف نسمة . مما دفع بعض مشايخ القبائل الى عقد اجتماع لدراسة الموضوع وتقديم احتجاج الى احد موظفي الصليب الاحمر الدولي الذي نقل بدوره الاحتجاج الى اوساط اسرائيلية معارضة للاستيطان في رفح ، وبذلك انكشفت مخططات سلطات الاحتلال التي حاولت التستر عليها ، وتفجرت القضية عندما وقفت التنظيمات السياسية اليسارية في اسرائيل ضد الاعمال اللاانسانية التي ارتكبت اثناء عملية التسييج وضد العملية بحد ذاتها ، الامر الذي دفع الحكومة الاسرائيلية الى اجراء « تحقيق » لمعرفة ما اذا حدث هنالك « تجاوز » للقانون ، بقصد امتصاص نقمة الهيئات اليسارية الاسرائيلية. وبالفعل تشكلت « لجنة تحقيق » بأمر من قبل رئيس هيئة الاركان ، وبعد مدة خلصت الى انه وقعت هنالك « تجاوزات » مثل « هدم عشرات البيوت وتدمير الابار والحاق الضرر بالمزروعات » وقد قدم ثلاثة اشخاص — ضابطان كبيران ومدني — لمحاكمة تاديبية ، الا ان ذلك لم يخفف من اتساع النقمة ، فقد بادر اعضاء كيبوتسات مبام (الواقعة على امتداد الشريط مع القطاع) الى عقد مؤتمر في اوائل شهر آذار في مستوطنة « نيرعوز » ، شجب فيه المؤتمرون « سلب اراضي السكان المحليين واقتلاعهم منها » كما وعارضوا اقامة المستوطنات الدائمة في قطاع غزه وشمال سيناء ، الامر الذي أحدث فجوة بين حزب مبام المشترك في حكومة الائتلاف وبين بقية الاحزاب المشتركة في الحكومة . بعد مؤتمر « نيرعوز » اخذت المنظمات اليسارية في اسرائيل تعزز من حملتها على « الاعمال الكولونيالية » وتشبهها بشكل ضمني بالاعمال النازية ، واستجابت هذه المنظمات الى دعوة قدمها ٣٠ شخصا من رجال الفكر لعقد اجتماع احتجاج في ٧٢/٤/١ في مستوطنة « كيرم شالوم » الواقعة بالقرب من « سياج السلب والنهب » كما جاء على لسان احد قادة شبيبة المبام ، واشترك في الاجتماع مندوبون عن حزب مبام واليسار الاسرائيلي الجديد ومتسبين والحركة من اجل السلام والامن وهمولام هزيه ورابطة حقوق الانسان والمواطن في اسرائيل . وكان ابرز المتحدثين في الاجتماع الكاتب الاسرائيلي « عاموس كينان » الذي قال : « لقد جئنا للاحتجاج ضد السياسة الكولونيالية ، لاننا ندخل عصرا حديثا لاسرائيل الكولونيالية . ان الاستيطان لا يبعد السلام فقط بل يجعله أمرا مستحيلا . لقد قامت اسرائيل جديدة ، قبيحة ، تتشكل من الخليط الديني والعسكري والبرجوازي » (معاريف ٢/٤/ ٧٢) واضاف كينان ان الاعمال الكولونيالية في القطاع وغور الاردن تؤدي الى الحرب « وينبغي علينا ان نعلن الان باننا لن نقاتل في هذه الحرب ».

ومع ذلك فقد استمرت اسرائيل « الجديدة القبيحة التي تتشكل من خليط ديني وعسكري وبرجوازي » في سياستها الاستيطانية عند مداخل رفح وفقا لمخططها الرامي الى اقامة ٨ — ٩ مستوطنات جديدة بالاضافة الى المستوطنات القائمة عند مشارف رفح ، من اجل احاطة القطاع — تمهيدا لابتلاعه وهضمه — بالمستوطنات الاسرائيلية ، اهتداء بالتجارب الاستيطانية السابقة منها والحاضرة.ففي منطقة الجليل المربيترات السلطات الاسرائيلية ان خير طريقة لتهويده ، احاطته اولا بحاجز من المستوطنات اليهودية على امتداد الحدود مع لبنان ، ومن ثم البدء في اقامة مستوطنات في الداخل ، وكذلك الامر بالنسبة للضفة الغربية التي اصبحت الان محاطة من كافة الجهات بحلقة من المستوطنات الاسرائيلية .

وقد رافقت الاجراءات الاستيطانية تصريحات من قبل المسؤولين الاسرائيليين بأن قطاع غزة سيبقى جزءا من دولة اسرائيل منها تصريح الوزير يسرائيل جليلي في الكنيست : « لقد حددت الحكومة اكثر من مرة موقفها من ان قطاع غزة لن ينفصل بعد الان عن دولة اسرائيل... وبالنسبة لموقف اسرائيل ليس هناك اية علامة سؤال فيما يتعلق بمستقبل غزة ومشارف رفح » (دافار ٢٨/ ٧٢/٣) . وفي هذا الجو تحرك رئيس بلدية غزة رشاد الشوا وطالب الامم المتحدة بادارة القطاع « اننا نرفض رفضا قاطعا تصريحات الوزير يسرائيل جليلي التي تدعو الى عدم فصل القطاع عن اسرائيل . اننا نشعر من خلال هذه التصريحات

التي تصدر بين الفينة والاخرى بأن كياننا في خطر ، ولم يبق أمامنا بديل ، الا دعوة الامم المتحدة لحمايتنا ، لتأخذ على عاتقها ادارة وطننا المحتل ، الى ان يحين وقت تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، مع ضمان حق تقرير المصير » (معاريف ٧٢/٤/٢١) . وقد أثار تحرك الشوا غضب الصحافة الاسرائيلية التي اخذت تعيد الى الاذهان « تعاون » الشوا مع الفدائيين المتمثل في حادث انتحار زياد الحسيني . الا انها اعترفت بأنه لا يوجد بديل في الوقت الحاضر لرئيس البلدية الحالي. وفي غضون ذلك تحرك وزير الدفاع موشيه ديان وادلى بتصريح قال فيه « ان حكومة اسرائيل تعتبر نفسها الحكومة الوحيدة في قطاع غزة ، ووفقا لذلك ينبغي عليها ان توفر الخدمات وتحافظ على الامن وتعامل السكان كمواطنين ، كما وينبغي عليها ان تعتني بالقطاع وكأنه جزء من دولة اسرائيل » (هآرتس ٧١/٤/٢٦) . والحق ديان تصريحه هذا باقتراح خطير قدمه الى الحكومة يدعو الى فتح الحدود بين القطاع واسرائيل امام السكان بدون اذونات سابقة، وقد وافقت الحكومة على الاقتراح بأكثرية الاصوات (عارض وزيرا مبام الاقتراح) ، واصبح نافذ المفعول اعتبارا من مطلع شهر أيار، وبذا خطت اسرائيل خطوة هامة في سياسة الدمج الاقتصادي المؤدية الى الضم الرسمي.

ومن الجدير بالذكر ان المهتمين بشؤون القطاع ، يجمعون على ضرورة ضم القطاع الى اسرائيل، الا انهم يختلفون في توقيت الضم . فهناك فئة تعتقد بأنه اذا مرت « بضعة اعوام » اخرى دون التوصل الى سلام مع العرب فانه ينبغي على اسرائيل ان تعلن بشكل رسمي ضم القطاع ، ويدعو اصحاب هذا الرأي الى اتخاذ خطوات خلال الاعوام القريبة القادمة ، مثل دمج اقتصاد الضفة بالاقتصاد الاسرائيلي ، وتخفيف الكثافة السكانية بقدر المستطاع ، وتنشيط الاستيطان اليهودي ، وفي حالة الضم يدعو هؤلاء الى منح الجنسية الاسرائيلية للسكان ، وتحويل القطاع من وحدة ادارية واحدة الى وحدات ادارية تتبع الاقضية الجنوبية . اما الفئة الثانية فتعتقد انه من الافضل ابقاء القطاع في حالة احتلال وحتى لو استمر الوضع « عشرات السنين » الى ان يتم التوصل الى اتفاقية سلام من خلال نظرة بأن القطاع سيضم الى اسرائيل اثناء التوقيع على اتفاقية السلام .

تشكيل « وحدة عسكرية » من ابناء سيناء ضمن الجيش الاسرائيلي : في مقابل التوسع الاسرائيلي الاستيطاني في مشارف رفح والمنطقة الواقعة شمالي مدينة العريش اخذت السلطات الاسرائيلية « تتوسع » ايضا بين صفوف البدو من سكان شمالي سيناء . وكان من ثمار هذا التوسع الجديد ، تشكيل وحدة عسكرية من ابناء شمال سيناء تعمل ضمن الجيش الاسرائيلي ترتدي ملابسه العسكرية الرسمية ، وتتزود بأسلحته ، وتتقاضى رواتبها من مخصصات الجيش كسائر وحدات الجيش الاسرائيلي ، وتقوم بأعمال الدوريات العسكرية بأوامر من قادتها الاسرائيليين. وقد اتخذت اسرائيل هذه الخطوة في اعقاب تزايد نشاط المقاومة في المنطقة الشمالية من سيناء والتي بلغت ذروتها عند مصرع طبيبين اسرائيليين يعملان في الجيش الاسرائيلي في منطقة القسيمة . ومن الجدير بالذكر ان « الوحدة العسكرية » تقتصر حتى الان على ابناء قبيلة واحدة ولا تشمل ابناء القبائل الاخرى ، وهي قبيلة السراحين التي استطاعت سلطات الاحتلال من خلال علاقاتها الحسنة مع مشايخ القبيلة التأثير عليهم ودفع ابناء القبيلة الى الانخراط في سلك الخدمة العسكرية الاسرائيلية . ومن المتوقع على ضوء « التجربة الجريئة التي قامت بها قيادة المنطقة الجنوبية للجيش الاسرائيلي ، التي لا تتسم فقط بالاهتمام ، بل بالنجاح البالغ » تعميم الخدمة العسكرية على ابناء قبائل اخرى ، على امل كسب هؤلاء السكان العرب الى جانب سلطات الاحتلال، خاصة وان الخبراء العسكريين الاسرائيليين في شؤون سكان سيناء ينطلقون من النظرة القائلة بأن العامل القبلي يلعب دورا اساسيا في حياة الانسان البدوي « بينما لا يلعب العامل القومي دورا مركزيا في حياته » .

ومن الجدير بالذكر ان الجيش الاسرائيلي قد اخذ يشجع ابناء النقب في فلسطين المحتلة سابقا بعد حرب حزيران للانخراط في سلك الخدمة العسكرية، وفي هذه الفترة اتسعت دائرة التطوع في الجيش بين ابناء معظم تلك القبائل ، لدرجة ان هنالك ثمة هيئات رسمية في اسرائيل تعتقد بأنه من الممكن في المستقبل فرض الخدمة العسكرية على البدو الاسرائيليين ، وليس هنالك شك بأن سلطات الاحتلال قد استغلت واقع انخراط بعض البدو في النقب في سلك الخدمة العسكرية ، في دفعها بعض

أبناء سيناء للانضمام للجيش الاسرائيلي، الا ان هذه الظاهرة تعتبر حتى الان كسابقة خطيرة في المناطق العربية المحتلة ، وليس من المستبعد ان تعمم على مناطق عربية اخرى اذا لم تقم جمهورية مصر العربية بمعالجة هذا الموضوع الخطير ، باعتبار ان سكان سيناء مواطنون مصريون .

الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : تمشيا مع سياسة تكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليه ، اقدمت السلطات الاسرائيلية على فرض الانتخابات البلدية في الضفة الغربية على مرحلتين، الاولى في ٧٢/٣/٢٨ في المنطقة الشمالية من الضفة وفي مدينة اريحا ، والثانية في ٧٢/٥/٢ في المنطقة الجنوبية من الضفة . ومن المعروف ان هذه الانتخابات قد جرت تحت وطأة التهديد والوعيد من جانب سلطات الاحتلال ضد كل من لا يشترك بها ، فقد اخذت السلطات تشيع بين الاهلين بأن كل شخص من بين الذين يحق لهم الانتخاب سيحرم من الامتيازات المختلفة مثل التصاريح والزيارات ما بين الضفتين وغير ذلك ، اذا ما لم تحمل هويته توقيعا يقر بأنه قد اشترك في الانتخابات ، وبذلك خلقت حالة من الخوف لدى قسم كبير من المواطنين على مصالحهم الذاتية ، هذا فضلا عن تهديدها الرسمي بأن ضابطا اسرائيليا سيعين من قبل سلطات الاحتلال لادارة شؤون كل مدينة او بلدة تقاطع الانتخابات . وقد تصدت العناصر الوطنية في الضفة الغربية ممثلة في « منظمة المقاومة الشعبية » لمهزلة الانتخابات البلدية ، حيث نشطت في توزيع المناشير المناوئة لاجراء الانتخابات في كافة مدن وقرى الضفة كما نشطت في كتابة الشعارات على الحيطان في المدن . وبين التهديد الاسرائيلي ونشاط « منظمة المقاومة الشعبية » المدعومة من قبل الثورة الفلسطينية اخذت الزعامات التقليدية في الضفة وخاصة في مدينة نابلس تتأرجح تارجحا حادا بين الاقدام على الانتخابات وبين الاحجام عنها ، فعندما فتح باب الترشيح في ٧٢/٣/١٣ تقدم ثلاثة اشخاص فقط لترشيح انفسهم وهم الحاج رحمي طوقان وطاهر رشيد المصري والشيخ احمد الحنبلي ، وفي اليوم التالي ارتفع عدد المرشحين الى ستة ، حيث تقدم كل من فوزي قادري وروحي شاهين وبرهان الشحروري بطلبات للترشيح ، وقبيل غلق باب الترشيح اقدم حمدي كنعان على راس قائمة تضم عشرة اشخاص لترشيح نفسه ، وبذلك لم يوف بالعهد الذي قطعه على نفسه حين اطلق اول دعوة لاجراء الانتخابات، بانه لن يرشح نفسه بها . وفي نفس الوقت رفض رئيس البلدية الحاج معزوز المصري ترشيح نفسه، وازدادت قوة الحركة الشعبية المطالبة بمقاطعة الانتخابات ، الامر الذي دفع سلطات الاحتلال الى تعزيز حملتها الارهابية ، حيث زادت من دورياتها المتنقلة في مدينة نابلس ، واتبعت هذا الاجراء باعتقال حكمت المصري من زعماء المدينة ، بعد تفتيش بيته واودعته السجن « بسبب علاقته مع المنظمات المسلحة » ، ثم افرجت عنه عشية اجراء الانتخابات . وخلال ذلك تراجع حمدي كنعان عن ترشيح نفسه ، وتوالت انسحابات المرشحين في المدينة ، حيث لم يبق من مجموع عشرين مرشحا سوى ثمانية ، اي اقل من اعضاء المجلس الاثني عشر ، عند ذلك بدا ان نشاط القوى الوطنية المتمثلة في منظمة المقاومة الشعبية قد اعطى ثماره ، الا ان سلطات الاحتلال صعدت من جانبها تهديداتها المحمومة حين عينت الضابط « اهارون هيرش » لادارة شؤون بلدية نابلس في حالة فشل الانتخابات . وبالفعل قدم الضابط الاسرائيلي الى المدينة وتفقد شؤون البلدية ليكون على استعداد لادارتها . وبالاضافة الى ذلك توجه وزير الدفاع موشيه ديان بنفسه الى احد معسكرات الجيش الاسرائيلي في الضفة ، وارسل طائرة هليكوبتر الى مدينة نابلس لتقل اليه الحاج معزوز المصري ، ودار حديث بينهما لم تفصح المصادر الاسرائيلية عنه . وفي هذا الجو عشية اجراء الانتخابات تقدم رئيس البلدية معزوز المصري مع شخصيات اخرى بطلبات ترشيح ، وبذلك انقلبت كفة الميزان لصالح سلطات الاحتلال .

جرت الانتخابات في اليوم المحدد لها في تسع مدن في الضفة ، ولم تجر في مدينة سلفيت التي فاز اعضاء المجلس بها بالتزكية . وقد كانت نسبة المقترعين في الانتخابات مرتفعة اذ بلغت ٨٤ ٪ . ومن الملاحظ ان الزعامة التقليدية في المدن والوجاهة التقليدية في القرى قد حافظت على مراكزها . وسنورد هنا نتائج الانتخابات كما اوردتها الصحف الاسرائيلية :

نابلس : اقترع ٤٨١٠ اشخاص اي ٧٣ ٪ من اصحاب حق الاقتراع، وفاز كل من معزوز المصري، وليد ستيتيه ، محمد الحمد ، عادل الشكعه ، روحي شاهين ، حسن عبدالهادي ، حافظ طوقان،

الحاج فوزي القادري ، الشيخ احمد الحنبلي ، الدكتور جمال الخياط .

أريحا : اقترع ١١٥٧ شخصا اي ٨٧ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، وفاز كل من شفيق بالي ، صالح عبدو ، عبد الطحان ، صالح يالو ، محمد عليان،داوود صلاح،خلف صبري، محمدموسى،برهم.

طولكرم : اقترع ٢٢٥٩ شخصا اي ٩٠ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، وفاز كل من حلمي حنون ، حسن الجلاد ، راسم كمال ، مصطفى الكرمي ، درويش بريج ، مالك الحاج ابراهيم ، فتحي الدلو ، عبدالكريم قادر ، عبدالكريم مرعب .

قلقيلية : اقترع ١٨٤٥ شخصا اي ٧٣ ٪ من أصحاب حق الاقتراع ، فاز رئيس البلدية الحالي حسين عبداله صبري ، ولم تتوفر اسماء الفائزين معه .

عنبتا : اقترع ٤٣٨ شخصا اي ٩٥ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، فاز كل من رفيق احمد حمد الله ، عبدالرحيم مصطفى جاد الله ، موسى الحاج قاسم كيدو ، عبدالكريم محمود عبدالحليم ، عبدالفتاح يوسف زايد ، حسين حسن شحاده ، عبدالعزيز مصطفى حنون .

جنين : اقترع ١٣٤٥ شخصا اي ٩١،٥ ٪ من اصحاب حق الاقتراع . فاز كل من احمد كمال السعدي ، حسن السوقي ، ناصر نفاع ، غالب خلف ، احسان الطاهر ، عبدالغني سلام ، احمد جرار ، فتحي قاسم مفلح .

طوباس : اقترع ٨٢٣ شخصا اي ٩٦ ٪ من اصحاب حق الاقتراع . فاز كل من المحامي هاشم سليمان الصالح ، احمد الحسن ، حسين الخضر ، فائق مساعيد ، حافظ الصالح ، خورشيد مبصلق، جميل ضميري ، سليمان الحاج حسين .

يعبد : ٦٣٤ شخصا اي ٩٧ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، فاز كل من مروح الانيس ، فتحي سعيد الظاهر ، مصطفى حسين يعمر ، توفيق يوسف ديب ، احمد خليل عطاري ، صبري توفيق ابو بكر ، مصطفى عبدالجبار ، طاهر ابو شملة .

عرابة : ٤١٤ شخصا اي ٨٩ ٪ من اصحاب حق الاقتراع ، فاز كل من عفيف الحسن ، محمد سعيد مرداوي ، فريد صالح فارس عطاري ، سعيد الجبر ، نافع كامل ، نايف عارضة ، حمد امين عبدالرحمن ، أديب لحلوح .

المرحلة الثانية من الانتخابات : بعد ان نجحت سلطات الاحتلال في فرض الانتخابات في المنطقة الشمالية من الضفة الغربية ، اصبحت عملية استكمال المرحلة الثانية منها في المنطقة الجنوبية سهلة . ففي الثاني من أيار جرت الانتخابات في ١٢ مدينة وبلدة من اصل ١٣ ، وكانت نسبة المقترعين مرتفعة ، اذ بلغت ٨٧،٨ ٪ . ومن الجدير بالذكر ان مدينة الخليل كبرى مدن المنطقة الجنوبية لم تجر فيها الانتخابات مثل بلدة سلفيت في المنطقة الشمالية ، بسبب تقدم رئيس البلدية الشيخ محمد علي الجعبري بقائمة شملت اعضاء البلدية ، وعدم وجود قوائم اخرى منافسة ، وبذلك فاز مجلس البلدية بالتزكية . والامر اللافت للنظر في انتخابات المرحلة الثانية فوز اربعة فقط من رؤساء البلديات وهم رؤساء بلديات البيرة ، بيتونيا ، سلواد ، دير دبوان . ومن الجدير بالذكر ان ابو عيطا الرئيس السابق لبلدية بيت ساحور ، والذي اشتهر خلال « مؤتمر بيت ساحور » الذي انعقد في آب ١٩٧١ ، هو الشخص الوحيد من بين رؤساء البلديات الذي لم يقدم على ترشيح نفسه .

النتائج : بيت لحم : احتل المكان الاول ابراهيم سليم ابو حمود ، وجاء بعده ايوب مسلم . اما رئيس البلدية السابق الياس بندك فقد وافته المنية قبل اجراء الانتخابات ببضعة ايام .

رام الله : احتل مكان الصدارة كريم خلف ، اما الرئيس الحالي للبلدية خليل موسى فقد احتل المرتبة الثانية .

بيت جالا : احتل المكانة الاولى فرح الاردج ، وحل رئيس البلدية جبرا خميس في المرتبة الخامسة.

بيت ساحور: احتل المرتبة الاولى عوض جبر هندي.

بيتونيا : احتفظ رئيس البلدية الحالي فخري موسى بالمرتبة الاولى .

بني زيد : لم ينتخب رئيس البلدية الحالي « الريماوي » وتصدر المرتبة شخصية من عائلته .

بير زيت : تغلب جبر يعقوب زيادة على رئيس البلدية الحالي توفيق تله، الذي احتل المرتبة الثانية.

دورا : تغلب محمد ابو الخليل على رئيس البلدية الحالي سليم ابو ليل .

ع٥ م٥

البنك العربي المحدود

أسس سنة ١٩٣٠

أضواء وحقائق

بناية الفرع الرئيسي
للبنك العربي المحدود
شارع رياض الصلح – ص. ب ١٠١٥ – بيروت

الموجودات : بلغت ١٬٤٥٢٬٠٠٠٬٠٠٠ ليرة لبنانية بزيادة ١٧٠ مليون ليرة عن السنة السابقة بالرغم من الازمات وعدم الاستقرار في المنطقة .

الودائع : سجلت رقماً قياسياً فزادت ٩٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ ليرة لبنانية بنسبة حوالى ٨½٪ فبلغت بليون ليرة بالرغم من عدم شمولها لودائع الفروع المؤممة .

رأس المال المدفوع بالكامل والاحتياطيات : اصبح ١٣٠٬٠٠٠٬٠٠٠ ليرة لبنانية بعد اضافة حوالى خمسة ملايين ليرة الى الاحتياطيات .

الايرادات : بلغت ٧٨٬٤٤٠٬٠٠٠ ليرة لبنانية كما بلغ الربح الصافي نحو ١٣ مليون ليرة وزع منها على المساهمين سبعة ملايين وخمسمائة الف ليرة بمعدل ١٦٪ من القيمة الاسمية للسهم الواحد .

تطور البنود المهمة في الميزانية العامة خلال ربع قرن

محولة إلى ليرات لبنانية بسعر الدينار الأردني ٨٥٠ قرشاً

السنة	الموجودات	رأس المال والاحتياطيات	الودائع	الارباح الموزعة
١٩٤٦	١٣٤،٠٠٠،٠٠٠	١٩،٠٠٠،٠٠٠	٧٠،٠٠٠،٠٠٠	٢،١٨٠،٠٠٠
١٩٥١	١٧٥،٠٠٠،٠٠٠	٢٦،٠٠٠،٠٠٠	١٠٤،٣٠٠،٠٠٠	١،٥٢٧،٠٠٠
١٩٥٦	٥١٨،٠٠٠،٠٠٠	٣٢،٠٠٠،٠٠٠	٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠	٣،٠٣٥،٠٠٠
١٩٦١	٧٧٣،٠٠٠،٠٠٠	٨٩،٠٠٠،٠٠٠	٤٩٨،٠٠٠،٠٠٠	٦،٩١٥،٠٠٠
١٩٦٦	١،١٧٠،٠٠٠،٠٠٠	١٠٥،٠٠٠،٠٠٠	٨٥٢،٠٠٠،٠٠٠	٧،٠٧٦،٠٠٠
١٩٧١	١،٤٥٢،٠٠٠،٠٠٠	١٣٠،٠٠٠،٠٠٠	١،٠٦٧،٠٠٠،٠٠٠	٧،٥٣٥،٠٠٠

استمر البنك العربي في لبنان في نشاطه ونموه محتفظاً بمنزلته الاولى ومركزه المرموق فقد قاربت ودائعه في لبنان الخمسمائة مليون ليرة لبنانية بالرغم من الازمات والمنافسة الشديدة

أرقام الهاتف للفرع الرئيسي : ٢٥٠٢٤٠ و ٢٥١١٥١

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.